

تاريخ مصر القديمة والحديثة

في

تاريخ مصر القديمة والحديثة

للمؤلف

مينا ئيل شاروويم بك

رئيس النيابة العمومية بمحكمة المنصورة الاهلية سابقا

والمفتش بنظارة المالية الجليلة حالا

عنى عنه

الجزء الاول

(حقوق الطبع محفوظة)

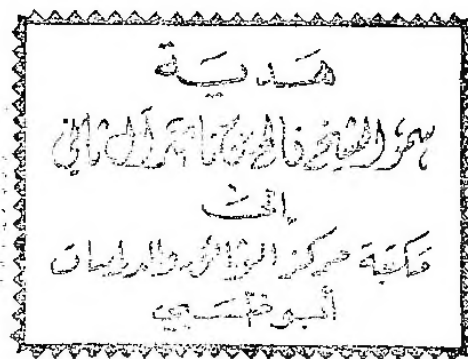
(الطبعة الاولى)

بالمطبعة الكبرى الاميرية بمولاق مصر المحمية

سنة ١٨٩٨ - ١٣١٥

ميلاديه هجريه

(بالقلم الادبي)



فاتحة الكتاب



بحمدك اللهم تستفتح المطالب * وتستخ الرغائب * وبشكرك تستزاد النعم * وتستزاد النقم *
تقدرت سبحانه بالعزة والجبروت * وتوحدت بالملك والملكوت * وتزهت في التدبير عن
الشريك والمعين * وتقدس في التقدير عن الخدس والتخمين * فصرفت خلقك بين رفع
ونخض * وبسط وقبض * وإبرام ونقض * وإماتة وإحياء * وإيجاد وإفناء * وهداية
وإضلال * وإعزاز وإذلال * أنزلت الكتب السماوية مخبرة بأخبار الأخيار * مسفرة عن
محاسن أخيار الأخيار * فكانت لقوم تذكره * ولا تخزن تبصره * يدرك بها المتأخرون
ماللاوائل * ويكونون معهم على حد قول القائل

من فاته تظير الديار بعينه * فعليه أن يصغي إلى الأخبار

ليشاهد الآثار ممن قد مضى * والمرء ليس له سوى الآثار

ونسألك اللهم أن تصلي وتسلم على أنبيائك الذين ضربوا لنا الأمثال * بوقائع الأمم
والأجيال * وسردوا أخبار الأولين * تبصرة وذكرى للمتأخرين * وعلى آلهم وأصحابهم *
الذين تمسكوا على منوالهم * بخافوا بأصدق الروايات * وأمروا باجتناب الأنباء الكاذبة ونبت
انحرافات * ونهوا عن الأخذ بما تولع به الأخباريون والفصاص من الباطيل والترهات
(وبعد) فيقول الفقير إلى مولاه الكريم * ميخائيل بن شارويعم بن ميخائيل
ابن شارويعم * لما كان بين تاريخي مصر القديم والحديث نسب مجهول * وسبب في

الظاهر

الظاهر مقطوع غير موصول * حيث مضت على أولهما أجيال وأحقاب * وأعين الكتاب
تنظر إليه من وراء حجاب * كانت الحاجة داعية لان ينظما في عقد نصيد * ويجمعا
بعد شتات الشمل في بيت القصيد * ولا يكون ذلك الا بالاسهاب والتطويل * ولا يستغنى
فيه قط بالاجال عن التفصيل * اذ كم تولى مصر من دولة * وكم حكها من سلطان ذى
بأس وصوله * وكم من ممالك هي كذلك أخضعها * وأهم ساستها * وعهود أبرمتها
* ومدائن أحدثتها * وهياكل ومساجد شادتها وكل ذلك كما لا يخفى يستلزم بياناً ويستتبع
النص عليه عصرا فعصرا وزمانا فرمانا * على توالى الايام * وتتابع الفراعنة والبطالسة
والقيصرية والملوك والسلطين والحكام * وبالنظر الى ما وقع لكل منهم من يوم أنشئت
مصر * الى عهدها الاخير من هذا العصر * ففكرت كثيرا في الحصول على هذا الغرض
المهم * والوصول الى المقصود في هذا الطريق المدهم

لعل أن أنال بها مرادى * وأحظى بالمتى بين البريه
فأنظر من خلال سطور قوم * ما نرهم فأكتب القصيه
ويحكم لى بأنى مستحق * حقوقا لى دلائلها قويه

غير أنى كنت أرى أن السابقين الى طلبها كانوا أطول باعا * بل أوفر علما وأكثر بحثا
واطلاعا * وأولى بصناعة الكتابه * وأحق بسمة البراعة والنجابه * وهم لم يفوزوا بالنال *
مع ما سهره في تحصيل ذلك من الليالى الطوال

وكل بدى وصلابىلى * ولى لا تقرأهم بناكا

وكان من أتى منهم بشئ جديد * بعد عناء وجهد جهيد * فأنما أتى برسائل مجله * أو
فصول غير مفصله * لاتشقى لى التاريخ غليلا * ولاتغنى عن الرجوع الى الكثير من المملقات
التاريخية قليلا * ومنهم من تعرض لتاريخها جلة واكتفى بالاجال * وأعرض عن التفصيل
في مقام البيان الذى هو مقتضى الحال * فلما سار لى الفكر يتردد في قيا فى الأمل * ويستطلع
ماعساه أن يكون من وسائل العمل * كدت أن أنبذ هذا الامر ظهريا * وأطرحه عنى
قصيا * وأجعله منى نسيما منسيا * فلا أكون متعقبا جهالات * ولا خابط عشوات
سيما وقد كان لى من المناصب الديوانية فى خدمة وطنى شاغل يحدوى حدوا الزاجر المقيم
ويذرى سويغات نهارى اذراء الريح الهشيم * مع ما يضاف الى ذلك من قلة البضاعة
ووجوب الوقوف عند حد عدم الاستطاعة * فقيض الله لى من جعل يقول * يا هذا
لا يبعدك الخول * ولا يبعدك عن بلوغ هذه الامنية ونيل الامل * ما أراك فيه من
التردد والوجل * بل سرفن سار على الدرب وصل * ومن يعرف المطلوب يستز ما بذل *
ولله در من قال

ومن يصطبر للعالم يظفر بنيله * ومن يخطب الحسنا يصبر على البذل
ومن لم يذل النفس فى طلب العلا * قليلا يعيش دهر طويلا أخا ذل

وقال لأستسلمن الصعب أو أدرك المنى * فما انتقادت الآمال إلا لصابر
واعلم أنه لا تترك منار في مغار * ولا تدرك أوطار البركوب الاخطار * ومالك لا تجتد
حتى تعصر مأربك * وتهتصر في هذه الآونة الصالحة مطلبك * والله تعالى يحل عقدة من
لسانك * ويجري في ميدان البراعة راع بنائك * فقلت يارعاك الله اني أسير وساوس
كثير ظنون وهواجس * وهذا لا يخفالك من عوائق النجاح * وموانع الفوز والفلاح
والعاقل من لا يأتي أمرا حتى يخبر مشروعه * ولا يقدم على عمل حتى يدرك بمرآة التبصر
موضوعه * وهذا الذي تشير على بطلابه * وتستغفري الى الاقدام على طرق بابك * لهو
غاية مراعى * ولكنه وايم الله من أبعد المراعى * لان من يعد نفسه في عداد المؤرخين
ويدعى أنه من الرواة والمحدثين * يجب عليه أن يطابق بين الواقع وواقع الامر * ولا يحول عن
الحقائق ولو تقلب على الجمر * ومن لى بالعصمة عن الغواية * واصابة الحقيقة في الرواية
والتاريخ كما تعلم صحيفة الزمان * وصورة من الماضي تمثلها أقلام الكتاب بأتم حجة وأقوى
برهان * وفي المثل من ألف فقد استهدف

وهذا هو الداعي لتأخير بغيتي * ومنع يراعى من قراع الكتاب
فأنت ترى لي العذر ياخير ناصح * لئلا أرى في الناس مضغة عائب
وحفظي عرضي واجب ومحتم * وتنزيهه عن ترهات المثالب
فقال بلى ولكن لا يجمل بمخاطب المعالي * أن يتهم سهر الليالي * والله در القائل
ليس الفتى بفتى لا يستضاء به * ولا تكون له في الارض آثار

وما زال بي حتى سرى عن سرى * واشتد بالعزم أزرى * وتحققت أن الكد أحسن
معين على تحصيل الامل * والجد أعمق قرين لتيسير العمل * فنشطت من عقالي * وقلت على
الله سبحانه الاتكال * وأجريت القلم في حلبة البراعة * وأخرجت نفسي من أرض
الخلول الى روضة البراعة * وأطلقتها من عقالي الفهاهة واللكنه * الى اعمال الفكرة
والفطنة * ولكن بين تقديم وتأخير * وصفاء وتكدير * حتى تصرم أجل تلك الخدمه
وقدر الله بانقسام عروة تلك الحزمه * فاعتزلت منصبى راضيا عما كان * شاكرًا تصاريف
الزمان * فلما سكنت بعزلاتي نفثات بعض الصدور * وتم نفوذ ذلك القدر المقدور * رحلت
عن الكنائة الى مسقط رأس الوالدين * وقد كنت لم أره منذ نشأتى الى ذلك الحين
وأنحت به مطية الرضا والتسليم * وسجدت لله شكرا على ما أولاه من فضله العيم * ثم
ما لبثت أن اتخذت القرطاس سميرى * والجد معينى على الكد ونصيرى * ومضيت في الذي
نهجه لى الامل * وقت ناشط بما عصبه بي العمل * فسهل الله ما كنت ألاقيه قبل من
المتاعب * وزال عني بمنه وكرمه ما كان ملازما لعملى من المصاعب * وما زلت حتى
ظفرت بالذى كنت أتمناه * وأتيت بما يحبه محب التاريخ ورضاه * فجاء كتابي بحمد الله خير
كتاب * وعمدة ما صنف في هذا الباب * حقيقا بما قال فيه القائل

كآب ان نظرت اليه تلقى * يتيم الدرة في لبنات حور
تري الروض الندى به نصيرا * وباسم زهره بين السطور
تري الخلود الحسان مخدرات * تبدى حسنهما خلف الستور

وها هو بين أيديكم اليوم ينلو عليكم عبرا من آثار الماضين * وسيرا من أخبار آبائكم
الاولين * فاحفظوا منها حكما ظواهر * واتخذوا لكم من أحاديث أيامهم مواعظ وزواجر
فقد طالما كانت البلاد غرضا لكل نابل * وأكلة لكل آكل * وفريسة لكل صائل * حتى
اختلط فيها الحابل بالنابل * وهذا كله من عبث الغرباء وافسادهم * وقطاول أطماعهم الى
معالي الحكم وعنادهم * وما برحت هذه السطوة الاجنبية تزرع الروع في القلوب * وتثير
القطوب والخطوب والكروب * حتى لم تبق من آثار المجد الا ثيل الا بقايا جدران * ولم
تترك من معالم الفخر الذي لم يكن له مثيل الارسوم مدنية وعمران * وقد ذلت هاتيك
السلطة وزهبت تلك الهيبة * وتفرقت شمل الهيبة باستفحال داء هاته العلة * وانصرف هذا
العنصر الطيب بتوالي الايام * وكرور الشهور والاعوام * عن وجهته بعض الانصراف
وأصبح منكبا عن مناجه فاقدا كثيرا من مزايه بحكم ذلك الجور والاعتساف * غير أنه لم
تزل فيه بقايا هي السائدة على أهليه * الحافظة لما بقي من رفيع شرفه ومجد ذويه *
ينبئك عنها ماتراه من الهدء وثبات الجنان * والدعة والطف والحنان * وخفض الجناح
للقريب * وتوطين التزبل والغريب * فكأن الذي قضى على بقايا تلك الآثار القديمة
بالبقاء * لتكون مرشدا وهاديا لسائر الامم في غدهم الحديث الى سلم الارتقاء * هو الذي حفظ
فيهم هذه الباقيات الصالحات لتكون عموانا على هاتيك الشمائل * وبرهانا على تفردهم
باحسن هذه المحاسن والقضائل

وقد بدأت بنوح أبي البشر الثاني عليه السلام * ثم حام ومن جاء من ولد حام * ثم
من قام بعدهم من الفراعنة والبطالسة والقياصرة والسلطين والحكام * ثم ذكرت قسما
كبيرا من تاريخ جاهلية العرب * وتدرجت الى ذكر تاريخ صاحب الشريعة الاسلامية
(صلم) وكيف ساد وغلب * وقد تتبععت سني الخلافة سنة بعد سنة * على أسلوب مفيد
وخطة مستحسنه * الى انقراض الخلافة العباسية * سنة اثنين وعشرين وتسعمائة
هجريه * ثم أتيت على ذكر من قام بالامر بعدها من ملوك آل عثمان * وهو السلطان سليم
ابن السلطان الغازي بايزيد خان * ولمكنى استطردت فأنتيت على سائر من سبق من السلطين
توفية للقيام وبيانا لمن شاء الاستقراء من الباحثين * وذكرت في سني ملكهم أخبار من تولى
من الولاة والعمال * وسيرة من أحسن منهم ومن أساء في الاعمال * وأضفت الى أخبار من
ملك من القياصرة والخلفاء والملوك والسلطين * عدد من تولى البطريكية من المتأصلين
والمكيين * وذكرت طرفا من الانشقاقات الدينية * والمناظرات الحزبية * والكوارث التي
ترتب عليها تفرق كلمة الدين * والفتن التي قامت بين الاحزاب فانجزمت بها جبل اليقين *

ثم انى اعتمدت في تأليفى هذا على بعض الكتب الشهيرة الاجنبية * وكثير من كتب
التاريخ القديمة والحديثة العربية * وأفرغته في قالب لا يشوبه خلل * ولا يعثرى القارئ
منه ان شاء الله أدنى ملل * وجزأته الى أربعة أجزاء الأول منها ينتهى الى سنة تسع
عشرة هجرية * أعنى قبل أن تحتل البلاد الجيوش الاسلاميه * وبعد تقلص ظل ملك
الدولة الرومانية * وابتدأت الجزء الثانى منه بتاريخ العرب الجاهليه * وانتهيت منه الى
سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة هلاليه * وهى السنة التى دخل فيها السلطان سليم البلاد
بجيوشه التركيه * والجزء الثالث يبتدأ بتاريخ ملوك آل عثمان * وينتهى الى سنة عشرين
ومائتين وألف وهى سنة الامتنان * التى علا فيها شرف نجم الامير الشهير * الحاج محمد على
باشا الكبير * والجزء الرابع منه ابتداءه تاريخه رحمه الله وانتهاءه الى سنة ثمان وثلاثمائة
وألف على التحقيق * وهى السنة التى انتقل فيها الى رجة مولاه الخديوى محمد باشا توفيق
وقد ارتقت بعده الأريكة المصرية بجناب شبيهه الأعظم * ذى المجد الانيل الداورى
الأفخم * مالك أزمة المعالى * وطود مجدها الشاى العالى * مولانا الخديوى الاكرم
(عباس حلمى باشا الثانى) بلغه الله من كل ما يحبه غاية الأمانى * وانما وقفت عند هذا
الحد ليكون عصره مبدءاً تاريخ جديد * وأول زمن طالعه سعيد * وسأفرد لعصره الزاهر
كتاباً زاهراً * وأخصص له فيما بعد تاريخاً باهراً * ليكون مفرداً بمقال * كما تقرّد صاحبه
حرسه الله بحاسن الخلال

وقد مهمت كتابى هذا (الكافى) في تاريخ مصر القديم والحديث وانى أجد الله على
ماوفق له عبده * فبلغ بمنه وجوده منيته وقصده * وأسأله سبحانه بنعمته حفظاً من الخطل
وبعونه اخلاصاً فى العمل * وبقدرته بعداً عن الزلل * فهو خير مسؤل * وأكرم مرجؤ
ومأمول

(تذنيه هـ)

سئل أحد العلماء عن التاريخ فقال هو المعاد المعنوى لانه يعيد الاعصار التى سلفت
ويبعث أهلها من القبور * كأنهم فى عالم الظهور * بعد أن يكونوا قد تلاشت أخبارهم
وعفت آثارهم * قال والتاريخ حافظ للانساب * ضابط للاحساب * لولاه لخفيت أخبار
الأول * وعفت آثار الممالك والدول * ولم تعرف حقوق ولا حفظت عهود * ولا برز مافى
عالم الغيب الى عالم الشهود اهـ

قلت والتاريخ خطيب قائم يقرر الحوادث الماضية على تعدد أنواعها * ويتلو عجائب الوقائع
الغابرة على تباين أوضاعها * فان كان مادونه على أسلوب بسيط مفيد * خال من الحشو والتعقيد

انساق السامعون الى حفظ عباراته * وفهم اشاراته * وان كانت عباراته وحشية المباني معقدة
 * لم ينل سامعها منها المأمول * ويعسر عليه في سلوك طريقها الى مقصوده الوصول * وليس
 من تمام الفائدة في شيء أن يكتب صاحب التاريخ ما يعتنى بجمعه من الحوادث والاخبار مقفى
 منسقا منسوجا على منوال مقامات البديع أو رسائل الصابي * أو يجعله كله رموزا لا يتسنى لكل
 انسان أن يفكها فان هذا كله ممتنع في مذهب أهل التاريخ وشرعة أصحاب الانتقاد * هذا
 تاريخ العلامة عماد الدين أبي عبد الله محمد بن محمد الاصفهاني المسمى بالفتح القسي في الفتح
 القدسي قد حوى من ضروب البلاغة وكلال المحافظة على النفائس اللغوية في مفرداتها
 وتراكيبها مع تزيين الكلام وتحسينه بالتميق والسجع والتنسيق والترصيع والتورية والجناس
 وغير ذلك ما لا يقدر عليه الا القليل من الكتاب وأهل الانشاء * ولكنه ليس من السهل
 المتيسر لسائر مطالعي التاريخ ادراك ما في عباراته من تلك المعاني العالية والاستعارات البعيدة
 فيلزم على كل من شاء قصدا من قصوده أن لا يقرأه الا وبين يديه معجم اللغة يقلب صفحاته
 عند كل سبعة فينصدع لذلك فكره * لعمرك ان في ذلك لمنتهى الجور وغاية التثقيب على
 محبي التاريخ بل ربما كان داعيا الى اذهاب ولوعهم به * ومثل ذلك تاريخ الامام محمد بن
 عبد الجبار المدعو بأبي النصر العتبي المؤلف في وقائع السلطان بين الدولة محمود بن سبكتكين
 فانه مع صغر حجمه ووقوف تدوينه عند انتهاء سني ملك ابن سبكتكين المذكور قد تضمن
 من حسن التنسيق واشباع الكلام من رقائق لغة العرب ما قام بشرحه الامام أحمد بن
 علي بن عمر الميني في مجلدين ضخمين لا ينقصان عن نيف وثمانمائة صحيفة وكلها شواهد على
 ما فيه من حسن صناعة الانشاء وعلى أن صاحبه من أكابر البلغاء متمكنة فيه ملكة تلك
 الصناعة التي قد استلزمت ذلك الشرح الطويل الذي لولاه لاستعصى على الكثير فهم مقاصده
 ومناحيه

وكان طالب التاريخ لا ينال منه شيئا الا اذا كان متمكنا من فنون اللغة العربية كما أشرنا
 الى ذلك وهذا على ما أظن ضرب من العسف * نعم لا يسوغ التوسع في القول حتى
 يقال انه ينبغي أن يكون التأليف باللغة العامية لاسيما تدوين الاخبار التاريخية بدلا عن اللغة
 الصحيحة الفصحى وذلك لان لغة هذا المصراع العامية مفعمة بالحشو الاجمعي الذي لا يمكن معه التحرير
 ولا يصح معه التأليف مع أن الألسنة قد انطبعت عليها أعني على هاته اللغة الجافية واستوى
 في التخاطب بها العالم والجاهل حتى في مجامع الافادة والاستفادة والتعليم والتعلم وعم ضررها
 بحيث اذا سمعك عالم أيا كان علمه تنطق ببعض كلمات في التخاطب صحيحة غير عامية امتعض
 ورماك بالتسكف ووسمك بالعسف وربما خاطبك بهذر الكلام بان يقول لك ياسبحان الله
 كائنك وسيبويه رأسان في قلنسوة فان حاجته تأفف ولم ينصفك وبالغ في مناقضة قولك
 ونازعك حقك الذي بيدك آمننا غير حائف لعلنا أن الناس طرا تقوم لنصرته ويمثل ذلك
 أني كنت أخطب رجلا يوما في أمر يعنيه وفي الذي صح في يدي منه فطال بيننا الاخذ والزد

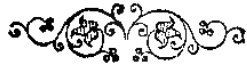
حتى غلبت حجتي بحجته وكدت أزهد ما يدعيه فقال اني أقول لك الحق اني رجل لأحب
التشديق بعبارات النجاة واستعارات أهل البيان فقلت وما الذي أنكرته من ذلك فقال انك
تنطق بالفاظ ضخمة معظمة وهذه خطة مذمومة في عرف الخطاطب العام وماذا عليك لو نظقت
بها كما ينطق بها كتابنا وأصحاب الذوق السليم منا وكأني بك لم تسمع قول القائل
وللناس عادات وهم يالفونها * لها سنن يرعونها وفروض
فمن لم يوافقهم على العرف بينهم * فذلك ثقيل عندهم وبغض
فقلت يا هذا ليس في الشر أسوء ولا في اتباع الخطا قذوه فان كان هذا كله مبلغ انكارك
ومنتهى انتقادك فيما تحببه الرجاء وأين ما كنت تدعيه الآن من الاحاطة بكل شيء ثم كيف
تدعوني الى غير الهدى الذي أنت مقيم عليه ولغتك التي عمت فأطفاأت نور اللغة الصحيحة
بما أدخلته عليها من الفساد والتعريف قد كانت ولن تزال علة انحطاط الامة وحرمان
السواد الاعظم وأعني بهم العامة من فوائد العلوم والآداب والاشترك في جنى ثمار الحضارة
والمدينة فأمسوا وهم لا يحسبون في عداد الهيئة الاجتماعية والجامعة القومية الا كالانعام
بل هم أضل سبيلا اذ لا حركة عندهم مرتبة ولا فساد صحيح ولا تفريق بين ما يضرهم
وما ينفعهم * ولعمري الحق انك يا هذا قد خطأت من حيث أخطأت وتهافت على غير مساع
للقول فانك ان أنكرت أنت فالتاس طرا لا ينكرون أن اللغة كاملة غنية في ذاتها عن حشو
ودخيل وكما أن فيها من التدوينات العالية العربية المجلة بالمحسنات البديعية ورفائق الالفاظ
ما لا يكاد يدخل تحت الحصر فكذلك فيها الاصطلاحات السهلة البسيطة الجامعة بين صحيح
اللغة وصحيح عرف الخطاطب العام وعندى أن النوع الثاني أهم وفائدته أكمل وأعم اذ
يستوى في فهمه العلماء ومن دونهم من سائر طبقات الناس ولذلك نسقت كتابي هذا الكافي
على هذا النسق ليعم ان شاء الله تعالى نفعه وتجزل فائدته غير ناظر الى ما يقوله العائبون العاتبون
ولا حافل بما سيرمونني به اذ ليس في أيديهم من الحجّة ما ليس في يدي * هذه مقدمة تاريخ
العلامة ابن خلدون المغربي قد حوت من العربية الخالصة فضلا عن صحة الانتقاد وقوة الحجّة
وفصاحة التعبير ما عم بشهرته مشرق الارض ومغربها حتى روى عنه الرواة ونقل الكتاب
وترجم المترجمون واحتجوا بحجته وأخذوا بقوله ومع كل ذلك فقد عاب بعض ما فيها بعض
أهل الانتقاد من المتقدمين والمتأخرين وسفهوا رأي صاحبها ونازعوه حقه الذي بيده
ومن ذلك ما سمعته من بعض الناس قال لي يوما * اني غير كاتم عنك ما أنا معتقده ولا وجل
من أن أقوله لك اني أرى تاريخ ابن خلدون خلا من البلاغة والفصاحة التي جمعتها فصول
مقدمته ولا أظنني مخطئا اذا قلت ان كانت هذه المقدمة لذلك المغربي كان مافي الكتاب لغيره
وان كان مافي الكتاب من غنياه كانت فصاحة المقدمة وطلاوة عباراتها من غنديات غيره
فقلت يارعاك الله أما المقدمة فاني أرى أنها وضعت اقوم * وأما الكتاب فلا خرين وذلك أن
هذا الفاضل رحمه الله قد التزم في تسييق مقدمة كتابه التي هي عنوان فضله ودليل عالميته

واحاطته بكل فن ما يجعل بكل باحث في فضل علم التاريخ وفي حقيقة النبوة والكهانة وفي اختلاط الانساب ككيف يقع وفي أخلاق البشر وتأثير العناصر وغير ذلك من ضروب الفلسفة التي قصد من تنسيقها على هذا النحو من البلاغة وحسن الترتيب عرضها على ذوى المكانة العالية اظهارا لفضله ومبلغ قدرته على التأليف والاستنباط الذي لم يسبقه اليه أحد من المشارقة والمغاربة ولذلك نراه قد كتب بقدر علمه والذي صح في يده منه وما قامت به الحجة عنده آمنة مطمئنا غير مقصر ولا كاتم لما في نفسه فجاءت عبارته غاية في الطلاوة وحسن السبك حتى عدت من المصنفات الفريدة في بابها * وأما الكتاب فقد استعمل فيه السهولة في التعبير ليطلع عليه العلماء ومن دونهم ابتغاء التعميم والمشاركة في فوائده العلية وهذه أصلح الله حالاً خطة محمود لا يهتدى اليها الا من كشف العلم عن بصيرته وبصره وهداه الى سواء السبيل

ويا لله كأن سرعة الانتقاد عند المتقدمين والمتأخرين واحدة والامر بينهما فيها مشاع غير مقسوم الا أنها عند المتقدمين خير منها عند المتأخرين لانك اذا ناظرتهم ناظرك طلبا للحق وأسقطوا بينك وبينهم اللجاج والمراء والمكابرة وأوسعوك تلطفا بان تقوم بحجتك غير مؤاخذين في شيء ولا متعنتين عليك في شيء والانتقاد اذا كان القصد به الافادة والاستفادة وتحقيق الحق والايان على ما صح من أصول الشيء المنتقد وفروعه كانت نتيجة حسنة * وفائده عامة مستحسنة * وجد الناس أمر صاحبه ومدحوه * أما اذا كان القصد به المهاترة والمكابرة على غير حق كان مثل صاحبه كمثل الفراشة التي اذا رأت نور السراج فرحت به ورقصت حوله ثم لانلبث أن تحترق وتغوت

وأما التعيب نقطة مذمومة ولطخة في وجه الادب لاسيما اذا كان المراد منه التشنيع والتفريع فانه بدون المناظرة الحقة التي هي مجال للاستفادة ومحط للافادة ممتنع وكان صاحبه مدفوعا اليه بعامل الغيرة ودافع الحسد وكان اذا تلطفت معه في القول وحاجته بحجتك وقطعتك عن بلوغ الحجة بشيء من المكابرة وهذر الكلام فحتاج أن تقبض لسانك ولا تبسطه له ببيان حجتك لانك لا تقدر على تقويم الظل مع اعوجاج العود * وكان التعيب ملكة اذا رسخت واستحكمت في النفس لا يجيد صاحبها المناظرة الصحيحة * قال أصحاب الكلام لان الملكات صفات للنفس فلا تتزاحم دفعة ولا تلتقي في واد واحد الا في القليل النادر من الاحوال * والعائب اذا شب على هذا الخلق غلب على طبعه التنطع في القول والتشديق والمماحكة وهي من أعراض هذا الخلق فلا يبقى من ورائها الاذهب المروءة والنقص في النظر القلبي والادراك فيرى حينئذ السليم معيبا والصحيح سقيما والمستقيم معوجا وهكذا تنقلب الاشكال في عينيه الى أضدادها والصور الى عكس ما هي عليه * والعائبون فضلا عن أنهم يقتحمون مواطن التعيب من غير أبوابها لا يأتونها الا رضاء لشيطان الحسد ثم هم يحقدون على من يعارضهم أو يخالف رأيهم وربما أدخلوا على أنفسهم الهموم والاحزان من

قيام أهل النصفة في وجوههم واستمروا في عناء عظيم من أجل إيجاب الحق لأنفسهم فيحصل
لهم المقت من الناس لما في الطباع البشرية من حب الترفع عن الصغار والهوان أدقل أن
تسلم نفس لنفس بالكمال والترفع عليها إلا أن يكون ذلك بنوع من القهر والغلبة أو بعصمة
من الله وهداية منه * وهذا أو ان الشروع في المقصود بعون الملك المعبود





المقدمة

(وفيها فصلان)

الفصل الاول

(في دخول نوح عليه السلام السفينة وفيمن نزل مصر من ذريته)

هبط ادم وحواء عليهما السلام من جنات النعيم كما جاءت به الكتب المنزلة وكثرت ذريتهما فسعوا في الارض فسادا فبعث الله سبحانه وتعالى اليهم نوحا عليه السلام فنهى وأنذر فلم يراعوا ولم تأخذهم آخذة من الخوف فشاء الله تعالى أن يبيدهم بطوفان فأوحى الى نوح أن يصنع لنفسه ولذريته فلكا وان يدخله هو وبنوه وامرأته ففعل فلما صار نوح ومن معه في الفلك أمر الله تعالى فانفتحت أبواب السماء وانفجرت ينابيع الغمر وعلت المياه على وجه الارض فمات كل ذي روح على وجه الارض وكان فلك نوح عليه السلام طافيا على وجه الماء فلم يبق سوى نوح وبنوه ومن معهم وكان ذلك بعد الخليفة بألف وستمائة وست وخمسين سنة على ما أخبر به المؤرخون

ولما غيظ الماء استوى الفلك على الجودي ففرح نوح وعائلته وتفرقت الحيوانات التي كانت في الفلك في أنحاء الارض فلم ترض عليها الاحقبة من الدهر حتى تناسلت وملاأت الارض وانطلق بنو نوح مع عيالهم الى ارض شنعار الواقعة جنوب الجبل المذكور على مقربة من دجلة والفرات فاستوطنوا هناك وبوآلدا وأخذوا في البناء حتى صاروا في خلال جبل بعد الطوفان شعبا عظيما * وكان أكثر حديثهم في ذلك الحين عن الطوفان وما ترتب عليه من انقراض العالم فأوجسوا خيفة من أن يعود مرة أخرى ورأوا أن يبنوا صرحا عظيما يلجئون اليه عند الحاجة ويتخلصون من غائلة الطوفان فأقاموه على شاطئ الفرات الى جهة الشرق وبالغوا جدًا في اعلائه حتى قيل انهم كانوا يريدون أن يصلوا به الى عنان السماء فرأوا من الموت

وبينما هم على هذا الحال من الاجتهاد اذ ابتلاههم الله تعالى بأمر منه فلبيل ألسنتهم فنفرقت كلمتهم ووقع بينهم الخلاف وصاروا لا يعرفون كلام بعضهم فكفوا عن العمل وخاب منهم

الرجاء والأمل وهاموا على وجوههم شرقا وغربا فاستوطن كل فريق منهم قسما من الارض كما جاءت به الكتب * وسمى ذلك الصرح ببرج بابل * وكان أولاد فوح الذين عمرت بهم الارض بعد الطوفان كما تقدم ثلاثة سام وحام ويافت * وكان ليافت سبعة أولاد أولهم دجومر وهو الذي هاجر الى الشاطئ الشمالى من البحر الاسود وتفرق نسله غربا وسكنوا في الجنوب الغربى من أوروبا وفي جزائر بريطانيا وأكثر الاورباويين من نسله على المشهور من قول جماعة من المؤرخين * وكان لدجومر ثلاثة أولاد الاول اشكينار وقد نزل بالشاطئ الجنوبى من البحر الاسود * والثانى ريفاث وقد نزل شرق اشكينار * والثالث تجرمة وقد نزل بالجانب الشرقى من ريفاث * الثانى ماجوج ومقره ببلاد التترأى الشاطئ الشمالى من بحر الخزر وأكثر سكان أواسط آسية من نسله كالمغول وغيرهم * الثالث مادى وموطنه شمالى بلاد العجم * الرابع ياون وقد سكن بلاد اليونان وباسمه سى دانيال النبى أهالى هذه البلاد وكان لياوان هذا أربعة أولاد الاول منهم الستة استوطن هيلاس وهى الولاية الجنوبية الغربية من بلاد اليونان * الثانى ترشيد ومقره كليكا فى آسية الصغرى وباسمه سميت مدينة ترسبس وذهب بعضهم الى أن طائفة من نسله سكنت أيضا بلاد اسبانيا * الثالث كنيم ومكانه عند شواطئ بحر ايطاليا وبلاد اليونان * الرابع رودانيم ومكانه البانيا التى هى بلاد الارناؤد على جنوبى مدينة ترسبته ويظن أيضا أنه سكن فى نواحى مرسيليا جنوبى بلاد الفرنسيس * الخامس فويال ومحلّه بجوار ماجوج وما بين البحر الاسود وبحر الخزر * السادس ماشك ومسكنه فى جوار فويال وماجوج وقد سكن بعض نسله فى شواطئ بحر البلييك ومنه تسلسل بعض المسكوبيين * السابع نيراس ولم يعلم المؤرخون أين سكن قالوا والمظنون أن نصف أهل الارض من نسل يافت

وأما حام فكان له أربعة أبناء أولهم كوش وكان له ستة ذكور ومحلّه غربى بلاد العرب وقد سكن أكثر نسله افريقية قيل ومنهم من سكن عند الشواطئ الشمالية من خليج العجم وامتد شمالا الى ما بين النهرين ويظن أن أكثر أهالى افريقية من نسله لانهم كانوا ينسبون اليه وان بنيه جميعا سكنوا بلاد العرب وافريقية ماعدا غرود فانه سكن على سواحل الفرات وهو الذى أسس مدينة بابل * الثانى (مصرام) وقد نزل بمصر فسميت بهذا الاسم نسبة اليه وقد تفرع منه سبع قبائل الاولى لوديم ومحلّها غربى مصر الثانية غايم وهى من القبائل الرحالة الثالثة لهايم سكنت جنوبى لوديم الرابعة نفتوحيم ومحلّها على الشاطئ البحرى أى على شاطئ البحر فى الجهة الغربية من مصر * قالوا ويظن أن اسم نبتون إله البحر عند الاقدمين مأخوذ منها * الخامسة قتروسيم ومحلّها مصر العليا السادسة كلوحيم ومحلّها بين مصر وأرض كنعان على شاطئ البحر ومنها الفلسطينيون السابعة كفتوريم ومحلّها جزيرة قبرص * وأما الثالث من أولاد حام واسمه فوط فقد سكن شمالى افريقية ونسله مذكور مع كوش ولود والرابع كنعان ومحلّه الارض المنسوبة اليه وكان لكنعان هذا اثنان الاول

صيدون وهو الذى بنى المدينة المعروفة الآن باسمه وهى صيدا ويقال انها أقدم مدن العالم والثانى حث وقد عقب غير هذين تسع قبائل سكنت أرض كنعان فى أيام يشوع بن نون * وأما سام فكان له خمسة بنين الاول عليوم ومحملة جنوبى بلاد العجم الثانى آشور ومنه الآشوريون الذين استعبدتهم النمرود وكوش الثالث ارفكشاد وقد توطن بين النهرين ومن نسله ابراهيم الخليل عليه السلام وكان لارفكشاد هذا ولدان هما فالخ وبفطان وكان لبفطان ثلاثة عشر ولدا منهم قبائل بلاد العرب وقد سكن الاسماعيليون بينهم الرابع لود ومن نسله اللوديون ومقامه الاناطولى الخامس ارام ومقامه بين النهرين ولذلك سميت هذه الارض سهل ارام وكان لارام أربعة بنين الاول عوص ومقامه عند رأس خليج العجم الثانى حول ومقامه منبع نهر الاردن حيث يدعى باسمه الثالث لم يذكر له المؤرخون اسما ولا محلا الرابع ماش وقد سكن الاناطولى أيضا * فما تقدم يتضح أن أكثر سكان افريقية ومنها ديار مصر هم من نسل حام ولد نوح عليه السلام

واعلم أن مصر التى بناها مصرايم ولد حام وتوطنها بنوه من بعده * اذا صح هذا القول * يحتها من الشمال البحر الابيض المتوسط ومن الشرق البحر الاحمر وخليج السويس ومن الجنوب بلاد النوبة ومن الغرب الصحراء وبلاد بركة وهى واد يكتشفه جبلان شرقا وغربا يتخللهما النيل من الجنوب الى الشمال ويصب فى البحر الابيض المتوسط عند مدينتى رشيد ودمياط بمصبهما * وكان المصريون يعتقدون أنهم أول من سكن هذه الديار وعمرها ولذا سمو أنفسهم لوت ونقشوه على الآثار ومعناه أصل البشر ظنا منهم أنهم آباء البشر * قال دهرى وحيه فى كتابه الذى ألفه فى تاريخ الست عائلات الاول ان الذى تحقق له من الآثار أن أصلهم وعقبتهم انما هو من آسية لامن الجهة الجنوبية

الفصل الثانى

(فى تاريخ مصر القديم وفيما يعتبره المصريون قاهرة تأسيس مملكتهم)

اختلف أهل التاريخ على اختلاف طبقاتهم فى تحديد مبدئ تأسيس المملكة المصرية وتاريخ نشأتها وكيفية ارتقاء مراقى ذلك التمدن العجيب فمن قائل انها قديمة العهد جدا ومن قائل انها ابنة اثنين وخمسين قرنا ومن قائل خمسة وثلاثين ولكل على قوله حجة وبرهان فالقاتلون بأنها قديمة العهد جدا جعلوا مستندهم على أنه لما لم يهتد قدماء المصريين الى معرفة مبدئ تأسيس مملكتهم وتاريخ نشأتها فرضوا لظهورها ثلاث عائلات أولية على وجه الاحتمال والتقريب وسموا العائلة الاولى منها بعائلة المعبودات التى يقال لها العائلة المقدسة

والثانية العائلة الشبيهة بالمقدسة والثالثة عائلة آبائهم الأولين وهم الحوريشو وقد ذكر كل من كهنة منف وطيبة عائلة المعبودات المذكورة على الترتيب الآتي

عدد	جدول أسماء المعبودات بمنف	عدد	جدول أسماء المعبودات بطيبة
١	بتاح	١	امون
٢	رع	٢	منتو
٣	شو	٣	توم
٤	سب	٤	شو
٥	ازوريس	٥	سب
٦	ست	٦	ازوريس
٧	حور	٧	ست
	الشعري اليمانية	٨	حور

قالوا ومعنى بتاح الفتاح وهو رمز للقدرة الالهية التي أوجدت الكون ومعنى رع عنصر النار وشو عنصر الهواء وسب عنصر التراب وازوريس عنصر الماء * قال صاحب العقد الثمين أما حور فإنه يدل على الزمن المستقبل وإذا كان المصريون يلقبون به ولي العهد كما أنهم يلقبون الملك الحيا كبرج أى الشمس والاموات بازوريس وكانوا يعتبرون هذه المعبودات ملوكا حقيقية وجعلوا لها أسماء وألقابا رسمية قال وأما العائلة الشبيهة بالمقدسة وعائلة أجداد المصريين فلم يوجد لها على الآثار القديمة شئ يذكر غير ما رأيناه في ورقة تورينو يعنى المحفوظة في خزانة المتحف بمدينة تورينو إحدى عمالات إيطاليا المينة لترتيب الملوك ومدة ملكهم من أن الذين حكموا مصر قبل الملك (منا) وسبقوه في الترتيب كانوا يدعون حوريشو ومعناه خدمة المعبود حور واعلمهم كهنة اه قال لبيسوس ان قدماء المصريين ينسبون لمعبوداتهم أولادهم حوريشوسن القوانين المدنية وابداع الفنون والصنائع واختراع الورق والكتابة وإيجاد الاسماء المقدسة وترتيب الديانة والمذاهب ولذلك كان قدماء المؤرخين من اليونان يقولون ان البركان حكمها (أى مصر) كذا من السنين ومعناه ان كاهن هيكل النار التي كانت إحدى المعبودات قد حكمها كذا سنة * ويقال ان أول هؤلاء الملوك يعنى الكهنة كان من مدينة طيبة كما يقال ان أول من أسس مدينة طيوه التي هي الآن بلدة الأقصر وما حولها هو الشمس يعنى كاهن الشمس * ثم خرجت بعد ذلك العائلة الملوكية من هاتين المدينتين * وأما من قال بانها ابنة اثنين وخمسين قرنا جماعة من كبار أصحاب التاريخ المتقدمين وتبعهم جماعة من المتأخرين منهم ما ينتون المؤرخ قال ان العائلات التي ملكت مصر إحدى وثلاثون عائلة تنقسم الى ثلاث طبقات وقد جعل لكل منها بابا مخصوصا * فالباب الاول في الطبقة الجاهلية أو الطبقة القديمة ومدة ملكها ألفان ومائة سنة وخمسين سنين وتشتمل على إحدى عشرة عائلة من العائلة الاولى الى الحادية عشرة

والثاني في الطبقة الوسطى ومدة ملكها ألف وثلاثمائة واحد وسبعون سنة وتشتمل على ست عائلات من الثانية عشرة الى السابعة عشرة * والثالث في الطبقة الاخيرة ومدة ملكها ألف وثلاثمائة واحد وسبعون سنة وتشتمل على أربع عشرة عائلة من الثامنة عشرة الى الحادية والثلاثين فيكون مجموع سني ملك هذه العائلات زهاء خمسة آلاف سنة * وقد عدد هذه العائلات جماعة من المؤرخين نحو ثلاثين عائلة وعددها اخرون ستا وثلاثين * وقارن جماعة من المتأخرين بين مبدأ ظهور كل طبقة من الطبقات الثلاث المذكورة وبين التاريخ الميلادي والهجري فكان مبدأ ظهور الطبقة الاولى منها أي الطبقة الجاهلية موافقا لسنة أربعة آلاف وخمسين قبل الميلاد المسيحي وسنة ست وعشرين وستمئة وخمسة آلاف قبل الهجرة المحمدية * والطبقة الوسطى منها لسنة أربع وستين وثلاثة آلاف قبل الميلاد وسنة ست وعشرين وستمئة وثلاثة آلاف قبل الهجرة * والطبقة الاخيرة منها لسنة اثنين وستمئة وألف قبل الميلاد أي سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وألف قبل الهجرة * قال مانيطون وكانت كل عائلة من هذه العائلات تلقب بمركز حكومتها فاذا كانت العائلة في مدينة طيبة مثلاً سميت بالطيبية وان كانت في مدينة منف سميت بالمنفية ورتب مانيطون هذه الطبقات الثلاث وحقق سني ملك كل منها في كتابه على الترتيب الآتي

ترتيب العائلات		تحت الملكة لكل عائلة في القدم	سني ملك كل عائلة
العائلة	الاولى	تدس	سنة
»	الثانية	منفيس	٢٥٣
»	الثالثة	»	٣٠٢
»	الرابعة	»	٢١٤
»	الخامسة	»	٢٨٤
»	السادسة	ايلفتين	٢٤٨
»	السابعة	»	٢٠٣
»	الثامنة	منفيس	٧٠
»	التاسعة	هر فيليو بوليس	٢٤٢
»	العاشر	»	١٠٩
»	الحادية عشرة	طينيه	١٨٥
العائلة	الثانية عشرة	طينيه	٢١٣
»	الثالثة عشرة	»	٤٥٣
»	الرابعة عشرة	اكسويس	١٨٤
»	الخامسة عشرة	الرعاة	»
»	السادسة عشرة	»	٥١١
»	السابعة عشرة	»	»

الطبقة الوسطى كل واحد مانيطون

الطبقة الأخيرة كما رواه مانبطون	سنوات كل عائلة	تحت المملكة لكل عائلة في القدم		ترتيب العائلات	
		طيبه	الثامنة عشرة	العائلة	العاشر
	٢٤١	»	التاسعة عشرة	»	»
	١٧٤	»	العشرون	»	»
	١٧٨	»	الحادية والعشرون	»	»
	١٣٠	تاندس	الثانية والعشرون	»	»
	١٧٠	بوياس	الثالثة والعشرون	»	»
	١٨٩	تاندس	الرابعة والعشرون	»	»
	٦٦	سيدس	الخامسة والعشرون	»	»
	٥٠	اتيويه	السادسة والعشرون	»	»
	٠٧	سيمس	السابعة والعشرون	»	»
	١٢١	الفرس	الثامنة والعشرون	»	»
	٠٧	سيمس	التاسعة والعشرون	»	»
	٢١	منريس	الثلاثون	»	»
	٣٨	سيمانيس	الحادية والثلاثون	»	»
	٠٨	الفرس			

ومن هذا حدو مانبطون هذا في حسابيه وتحقيقه العلامة الفلكي محمود باشا المصري فقد قرأت في رسالته التي حررها بالفرنسية في سنة اثنتين وستين وثمانمائة وألف ميلادية تحت عنوان **عمر الاهرام والغرض من بنائها** مملخصه قال * رحمه الله كنت تعودت أن أزور هذه الآثار الشريفة * يعني الاهرام * في أول فصل الربيع أحد الاعتدالين حينما يكون الليل والنهار متساويين ويقع ذلك مرتين في السنة في نحو الحادى والعشرين من كل من مارث وسبتمبر فلما جاء اعتدال مارث من سنة اثنتين وستين وثمانمائة وألف ميلادية استقدمنى الجناب الخديوى * يعنى به اسمعيل باشا * الى سرايه بالجيزة ورسم لى بالذهاب الى الاهرام وتعيين اتجاهاتها واستنتاج كل ما يمكن استنتاجه منها من القواعد العلمية ففقت بالامر طائعا وضربت لى مضربا فى جوار الهرم الكبير ولبثت أربعة أيام كاملة كنت أرى فى ليلائها النيرة نجومها اللامعة تتلألأ كأنها نجوى يابتناسم تلك الآثار العظيمة الدالة على ذلك المجد الانسانى فلما أمعنت الطرف فى حركات تلك النجوم والكواكب وسيرها استوقف نظرى ضياء ذلك الكوكب المعروف بسيربوس يعنى الشعرى اليمانية الذى هو أعظم كواكب برج الكلب الاكبر وأشرقها ضياء فكنت أرى أن أشعنه تبعث عودية الى الوجهة القبلىة من الهرم بلا انحراف فجعلت أفكر فى ذلك وأدقق النظر والتأمل حتى ثبت عندى أن هذا الأثر العظيم لا بد وأن يكون مقاما لاحد الآلهة الفلكية وأصحاب

المقامات العلوية وهذا الاله على معتقدهم انما هو نجم الشعرى اليمانية * الى أن قال * وليس الهرمان الكبيران هما المتجهين فقط تمام الاتجاه للاربع نقط الاصلية بل ان كافة الاهرام الصغيرة وسائر الآثار الجنازية هي كذلك أيضا مما يدل على أن إنشاءها كان لغرض ديني أشبه بالذي حدها بالام الحاضرة الى بناء مقابر موتاهم على وضع وشكل مخصوص * فانك ترى عند معاصر المسلمين مثلا أن وضع اللحد عمودي على اتجاه مكة المكرمة التي فيها بيت الله الحرام بحيث اذا وضعت الجثة على جانبها الايمن كان وجه الميت متجها نحو الكعبة * قال ومما يؤيد أن بناء الاهرام كان لغرض ديني ما يراه الرائي من ميل سائر جهاتها على سطح الاقبي زاوية لا تزيد ولا تنقص عن اثنتين وخمسين درجة ونصف تقريبا وهذا لا يمكن وقوعه ابدا بطريق الصدفة والاتفاق ولا بد أن يكون لهم فيه مآرب ويكون لهذا الوضع العجيب علاقة بأحد الكواكب التي كانت آلهة لقدماء المصريين * الى أن قال * وأما معرفة سني الاهرام وما مضى عليها من الاعوام فينحصر في البحث بين سنة (٢٢٥٠) وسنة (٣٢٥٠) وهو زمن يكون فيه الميل موافقا ٢٢ درجة و ٣٠ دقيقة وبعمل الحساب على مقتضى هذا يتضح أن بناء الاهرام كان سنة اثنتين وثلاثمائة وثلاثة آلاف قبل الميلاد المسيحي وهذا التاريخ وان كان على وجه التقريب نظرا لما يحصل عادة من الفرق في حساب الاميال لكنه موافق لما ذكره معظم مؤرخي العرب مثل الفوضائي وابن عبد الحكم والمسعودي والمقرئ وغيرهم وهم القائلون بأن حدوث الطوفان كان في القرن الحادي عشر قبل تجسد السيد المسيح وان الاهرام كان بناؤها قبل الطوفان بثلاثة أو أربعة أجيال * قال وربما استند هؤلاء المؤرخون وابن يونس الفلكي في هذا القول على القصة المشهورة التي جاء فيها أن بعض المصريين عثروا على ورقة من البابيروس الذي كان قدماؤهم يكتبون عليه فدفعوها الى راهب قبطي من رهبان دير قلامون ليفك رموزها وكان ذلك حوالي سنة خمس وعشرين ومائتين هجرية فقال لهم ان سنتم هذه توافق سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة وأربعة آلاف من بناء الهرم وسنة احدى وأربعين وتسعمائة وثلاثة آلاف من الطوفان * الى أن قال * وقد ذكر كل من بونسن والجنرال ويرا أن الزمن الواقع بين منيس ونبكتانوس هو عبارة عن ثلاثة آلاف وخمسمائة وخمس وخمسين سنة وان مدة تسلط الاربع عائلات الاول من ملوك الفراعنة كانت خمسمائة وسبعين سنة وان انقراض ملك العائلة الرابعة منها كان في سنة خمس ومائتين وتسعمائة وألفين للاسكندر وسنة عشر وثلاثمائة وثلاثة آلاف قبل الميلاد المسيحي * قال ولما كان بناء الهرمين الكبيرين في أيام الملك كيوبس والملك كفريم وكلاهما من ملوك هذه العائلة يعني الرابعة التي حكمت مائة وخمسا وخمسين سنة كان بناؤها على مقتضى هذا الحساب في القرن الرابع والثلاثين قبل الميلاد المسيحي أو في الخامس والثلاثين على رواية بروكش * قال وعندى أنه من المحقق الذي لامرأ فيه أن لبناء الاهرام علاقة دينية بنجم الشعرى اليمانية وأنه قد مضى عليها اثنان وخسون قرنا اه

وعن قال انها ابنة خمسة وثلاثين قرنا جماعة من المتقدمين والمتأخرين أيضا من اجتمعت
كلهم على أن (منا) الذي هو أول ملوك الطبقة الجاهلية هو (مصرام) المذكور في التوراة
ولما كان من الثابت المقرر في التوراة أن مصرام هذا هو ولد حام وحام ولد نوح عليه
السلام كان من الثابت المقرر أيضا أن المدة الواقعة ما بين الخليقة من آدم عليه السلام
والطوفان هي ألفان ومائتان وست وخمسون سنة أى قبل مولد المسيح بثلاثة آلاف ومائتين
وأربعين سنة * وقبل هجرة صاحب الشريعة المحمدية بثلاثة آلاف وثمانمائة
وست وستين سنة * وكانت الحقيقة هي غير ما ذكره مانيطون ومن هذا حذوه من المتأخرين
ومع أن مانيطون عاد فاستدرك فقال ان ملوك مصر في سنى الطبقتين الاولى والثانية لم يكونوا
جميعا متتابعين ملكا بعد آخر بل كانوا كثيرين متعاصرين مع بعضهم فبعضهم من كان مستقلا
يحكم اقليم ومنهم من كان منفردا بقطاع ومنهم من كان يحكم بالاشتراك وغير ذلك فان
المتأخرين من أهل التاريخ لما حاروا في كيفية وأسباب هذا الفرق الجسيم ولم يجدوا وجها
للطعن في صحة مارواه مانيطون وقوة سند أوله بعضهم بان ديار مصر كانت منقسمة الى عدة
ممالك يملكها أمراء متعاصرون من ملوك الطوائف في كثير من المسدد المذكورة وغالط
بعضهم أيضا فقال وان مانيطون وهم فعدد كثيرا من العائلات الملوكية على أنها متتالية
بعضها عقب البعض مع أنها كانت متعاصرة * وزعم أصحاب هذا المذهب أنه بينما كانت العائلة
الخامسة قابضة على زمام الملك في جزيرة ايليفنتين مثلا كانت العائلة السادسة مسنولية في
هذه المدة على سرير الملك بمدينة منفيس

قلت وايسر عبارة مانيطون المؤرخ هذه وحدها التي كانت ولم تزل موضعا للنقد بل
هكذا حال التوراة أيضا اذ قام في هذا العصر جماعة من علماء التاريخ وآخرون من الكتاب
يخطئون ما جاء فيها من أن المدة الواقعة بين الخليقة والطوفان هي ألفان ومائتان وست وخمسون
سنة وأثبتوا أنها أكثر من ذلك كثيرا وقد سلم جماعة من علماء اللاهوت صحة هذا المذهب
حتى وفق بعضهم بين هذا القول وبين عبارة التوراة بأن سلسلة الآباء المذكورة في التوراة
غير متصلة وقالوا انه لم يذكر فيها الا خاصة الناس دون عامتهم ولم يقفوا عند هذا الحد بل
تطرقوا الى القول أيضا بأن أسفار موسى عليه السلام كتبت بعده بأعوام كثيرة بل بعد
سبب بابل وان ما جاء في التوراة من الحوادث التاريخية الخاصة ببنى اسرائيل أو المنقولة عنهم
لا يعول عليها كثيرا * ولكن هذا كله لم يغير من صحة التوراة ولم يمس عصمتها التي هي عقيدة
أهل الكتابين من اسرائيليين ومسيحيين * على أننا لو وفقنا بين الحوادث التاريخية المذكورة
فيها وبين حوادث أيام تلك الطبقات الثلاث التي ذكرها مانيطون وذلك بأن نضم أيام ملك
الطبقتين الاولى والثانية التي هي أكثر اشكالا وتعقيدا بعضها الى بعض مع اعتبار أن
مبدأ ملك الدولة الاولى منها كان بعد الطوفان لصح التوفيق وزال بعض اللبس وكان هذا
المذهب على ما فيه من التعليل أقرب سائر تلك المذاهب الى الصواب وأبعدها عن الشطط

وعليه فاني مورد هنا ماصح عندي من أسلوب هذا التوفيق غير مشاغب ولا مفضل مذهبا على مذهب فاني أعلم انها كلها أحاجي ومعيمات وانها لاتزال كذلك حتى تنكشف خبايا تلك الآثار ويظهر لاصحاب العلوم الاثرية ما فيها من الرموز والاسرار * وليس هذا بالامر العسير في هذا القرن الذي كاد يبلغ فيه كل علم منتهاه

أما طريقة الوصول الى هذا التوفيق فهي أن نضم أيام ملك الطبقتين الاولى والثانية وهي عبارة عن سبع عشرة عائلة كما رتبها مانيطون بعضها الى بعض ونحسب أن أيام ملكها جميعها تبتدئ من الطوفان وتنتهي الى ما قبل نزول يعقوب وبنيه على أرض مصر في أوائل حكم الدولة الثامنة عشرة المتأصلة * فاذا صح لديك ذلك كانت مدة ملك الطبقتين المذكورتين عبارة عن ألف وثلاثمائة وستين سنة لا غير وكان مبدأ ملكها قبل مولد السيد المسيح بثلاثة آلاف ومائتين وأربع وأربعين سنة وقبل هجرة صاحب الشريعة المحمدية بثلاثة آلاف وثمانمائة وست وستين سنة كما يتبين لك ذلك من الترتيب الآتي على ما جاء في التوراة

سنة ١٠٧٠ من الطوفان الى ميلاد ابراهيم الخليل عليه السلام بطريق تسلسل الاجيال

١٠٠ من ابراهيم الى اسحق ولده عليهما السلام

٦٠ من اسحق الى يعقوب عليهما السلام

١٣٠ من يعقوب الى مجيء بني اسرائيل الى مصر

١٣٦٠

وقد جاء ما رواه مانيطون مطابقا لما نصت عليه التوراة من أن نزول يعقوب وبنيه على أرض مصر كان في أيام الدولة الثامنة عشرة المذكورة وهي الثانية المتأصلة التي قامت من مدينة طيبة بعد سقوط الدولة السابعة عشرة المعروفة بدولة الهيكسوس أو دولة الرعاة وجلائهم عن البلاد فدل ذلك دلالة واضحة على أن مدة ملك الطبقتين المذكورتين لم تتجاوز قط ألفا وثلاثمائة وستين سنة وليست ألفين وسبعمائة وثلاثا وعشرين سنة كما رواه بعض أصحاب التاريخ

أما الطبقة الثالثة وأعني بها الطبقة الاخيرة التي تبتدئ من العائلة الثامنة عشرة وتنتهي بالعائلة الحادية والثلاثين على رواية مانيطون المؤرخ فهذه لما كانت أخبار أيام ملوكها ظاهرة جليلة صح أن نقسمها الى أدوار ستة بشرط انطباق ما وقع في كل دور منها من الحوادث والانباء على ما جاء في التوراة وعلى هذا الترتيب يكون الدور الاول من هذه الادوار شاملا لاربعة عائلات من الثامنة عشرة الى الحادية والعشرين * ويصح أيضا تقسيم هذا الدور الى قسمين

الاول منها يشتمل على عائلتين اثنتين هما الثامنة عشرة والتاسعة عشرة أما أيام ملك هاتين العائلتين فكلها تقارن مدة سكني بني اسرائيل أرض مصر تمام المقارنة * قال مانيطون المؤرخ في كتابه بعد كلام فأقام يوسف بمدينة منف وتسلط على سائر البلاد في أيام أعظم

وأقدر فراعنة المملكة الجديدة اه قلت يريد بفرعون هذا الملك طوطوميس الثالث أوطوطيس
الذي تولى الملك بعد نفي الملوك الرعاة واخراجهم من أرض مصر وجاء في التوراة مانصه
* وقال فرعون ليوسف انظر قد جعلتك على أرض مصر * وخلع فرعون خاتمه وجعله في
يد يوسف وألبسه ثوب ارجوان ووضع طوق ذهب في عنقه وأركبه في مركبته الثانية ونادوا
أمامه « اركعوا » وجعله على كل أرض مصر * وقال فرعون ليوسف أنا فرعون فبدونك
لا يرفع انسان يده ولا رجله في كل أرض مصر اه

ومما جاء أيضا مؤيدا لصحة ظهور هذه العائلة المتأصلة بعد نفي الرعاة واخراجهم من البلاد
بغض المصريين لسائر رعاة الغنم وكرهاتهم لاسم الرعاة واعتبارهم أن كل راع للغنم نجس وقد
جاء في التوراة من قول يوسف عليه السلام لاهله عند قدومهم اليه بأرض مصر * فيكون اذا
دعاكم فرعون وقال ماصنعنا عليكم أن تقولوا عبيدك من أصحاب الماشية منذ صبا أنا الى الآن
نحن وآباؤنا جميعا كى تسكنوا أرض جاسان لأن كل راعي غنم رجس عند المصريين اه
وكان خروج بنى اسرائيل من أرض مصر أيضا في أيام الملك منفط الثانى أحد ملوك الدولة
التاسعة عشرة التى هى إحدى الدولتين المذكورتين ومنفطاهن هوابن سيزوستريس
صاحب الحروب المشهورة والفتوحات المأثورة قال مانيطون المؤرخ مات منفطاهن هذا عن ابنة
اسمها طوسير وبن قاصر اسمه منفط الثالث ويلقب بأوسير خيرورع ميامون فتزوجت هذه
الابنة بعظيم من المصريين اسمه حفطاهن فكان يقال له أيضا فرعون تبعا لها وكان يحكم
بالنيابة عنها اه ففسر أهل التاريخ أن زواج طوسير المذكورة بذلك العظيم الذى لم يكن من
بيت الملك مع أن جداه سيزوستريس كان قد خلف عدة بنين يدل على حدوث حادث عظيم جدا
نجم عنه انقراض سائر أعضاء تلك العائلة المالكية * قالوا وهذا الحادث انما هو غرق فرعون
وجنوده في البحر قلت فاذا صح ذلك كانت مدة مقام بنى اسرائيل في أرض مصر مائتين
وثلاثين سنة وهى مدة ملك العائلتين المذكورتين وتسلطهما على السواء

والقسم الثانى منهما يشتمل على عائلتين اثنتين أيضا وهما العائلة العشرون والحادية
والعشرون فهاتان العائلتان وان لم يقع في أيامهما من الحوادث شئ يذكر الا أنه يصح
اعتبار مبدئ أيامهما من خروج بنى اسرائيل من مصر الى حدوث ما حدث من الكوارث
في أيام العائلة الثانية والعشرين التى قامت بعدها هذه العائلة وبناء على ذلك تكون عبارة
عن ستمائة وسبعين سنة بالمقارنة على ما جاء في التوراة حسب الترتيب الآتى

٤٠. مدة مقام بنى اسرائيل في البرية
٣٠. رياسة يشوع بن نون على بنى اسرائيل
٤٥٠. مدة قضاء بنى اسرائيل على ما فى سفر اعمال الخواريين
٣٠. مدة رياسة صموئيل النبي على بنى اسرائيل بعد على الكاهن الى ولاية شاول
١٢٠. من ولاية شاول الى ملك سليمان بن داود عليهم السلام

والى هذا الحين أى الى أيام ملك سليمان بن داود عليهما السلام انقسمت السلطنة الاسرائيلية الى مملكتين أولاهما مملكة اسرائيل ورأسها ياربعمام عبد سليمان وهذه لم تلبث أن تلاشت وعفت آثارها وثانيتهما مملكة يهوذا ورأسها راجبعام بن سليمان وهذه قد بقيت تتنازعها الاحن وتتوالى عليها الخطوب والحن الى مجيء المسيح ثم تلاشت أيضا فأصبحت أثرها بعد عين كما أنبأ بذلك يعقوب عليه السلام ولده يهوذا
إذا علمت ذلك كان مجمل سنى ملك الدور الاول من الطبقة الثالثة على هذا الترتيب تسعمائة سنة لا غير

وأما الدور الثانى فيشتمل على ثلاث عائلات من الثانية والعشرين الى الرابعة والعشرين ومدة ملكها مائتان وثمان وثلاثون سنة بالتطبيق على مدة من ملك من ملوك يهوذا من أيام راجبعام الى موت بوثام كما سترى ذلك مفصلا فى محله * وقد طابق ما ذكره جماعة المؤرخين من الحوادث والانبياء التى وقعت أيام هذه العائلات الثلاث ما جاء فى التوراة أتم مطابقة من ذلك أن الملك شمشق الاول رأس العائلة الثانية والعشرين التى هى احدى هذه العائلات وقاعدة ملكها بوسط بالشرقية المعروفة بتل بسطة الواقعة الآن على قيد بعض فراسخ من مدينة الرقازيق قد أجار ياربعمام أحد عبيد سليمان بن داود عليه السلام عند ما نزل فى جواره هاربا من وجه سيده * وشمشق هذا مذكور فى التوراة باسم شيشق قال بعض أهل التاريخ ونزل ياربعمام عبد سليمان بن داود على شيشق ملك مصر مستنجرا فأكرم شيشق مشواه واتفق أن مات سليمان عليه السلام بعد ذلك بقليل فتولى الملك بعده ابنه راجبعام فلم يستوعب على سرير الملك حتى خرج عن طاعته عشرة أسباط من بني اسرائيل لاسباب لا محل ليرادها هنا وسيروا فى طلب ياربعمام عبد سليمان عليه السلام فسار اليهم فأحسنوا لقاءه وولوه الملك وسموه ملك اسرائيل فتجرد راجبعام عند ذلك لقتاله وركب عليه فى جيش عظيم من سبطى يهوذا وبنيامين فأرسل ياربعمام الى شيشق ملك مصر يستنجده على قتال راجبعام فسار شيشق لنجدته فى جيش ضخم وألف ومائة مركبة حربية وقاتل راجبعام قتالا عنيفا للغاية وفتح مدن يهوذا ونهب خزائن بيت المقدس وبيت الملك وأخذ تروس الذهب التى كان عليها سليمان عليه السلام وعاد الى مصر ظافرا غانما ونقش تاريخ هذه الغزوة على جدران هيكل الكرنك وكتب عليه يهوذا ملكى * يعنى ان مملكة يهوذا صارت فى قبضة يده * أما بيان سنى ملك هذه العائلات الثلاث التى هى عبارة عن مائتين وثمان وثلاثين سنة كما تقدم لك ذكره فهى على الترتيب الآتى من ملك على يهوذا كما هو مذكور فى التوراة

سنة	
مدة ملك راجبعام	١٧
مدة ملك إيبيا	٠٣
مدة ملك اسيا	٤١

سنة	
٦١	ماقبله
٢٥	مدة ملك يوشافاط
٠٨	مدة ملك يورام
٠١	مدة ملك حزيا
٦	مدة ملك عليا
٤٠	مدة ملك يواش
٢٩	مدة ملك أموصيا
٥٢	مدة ملك عزريا
١٦	مدة ملك يوثام

٢٣٨

وأما الدور الثالث فينحصر كله في العائلة الخامسة والعشرين السودانية ولا يتعداها ومدة سنى هذا الدور احدى وعشرون سنة لا غير وهي عبارة عن المدة الواقعة من ملك أحاز الذى تولى على يهوذا بعد يوثام الى ملك حزقيا حسب البيان الآتى

سنة	
١٢	مدة تلك أحاز على اليهودية قبل تلك هوشع على مملكة اسرائيل
٤	مدة » » » » بعد تلك هوشع على مملكة اسرائيل
٥٥	مدة تلك حزقيا الذى تولى بعده أحاز المذكور

٢١

ومن الحوادث التاريخية التى وقعت في أيام هذه العائلة وجاءت مذكورة في التوراة أيضا أنه لما قام شلنصر ملك آشور على هوشع ملك اسرائيل المذكور وكان هوشع معاصرا للملك سيواس فرعون المذكور في التوراة باسم سواء وهو أخو الملك سسباقوس الحبشى الذى دؤخ ديار مصر وتولى ملك الفراعنة قسرا بعد حروب وخطوب أتينا على شرحها في ترجمته أرسل هوشع ملك اسرائيل الى سواء ملك مصر يستجده ويستحمه فأبطأت النجدة وركب شلنصر على هوشع في عسكر جرار وقاتله وظفر به وقبض عليه وسجنه فجعل هوشع يستغيث بسواء الملك فلم يغثه لعدم تمكنه من ذلك وقالت التوراة في هذا المقام مانصه * وفي الثانية عشرة لاحاز ملك يهوذا تولى هوشع بن أيلة على السامرة على اسرائيل تسع سنين وعمل الشر أمام الرب ولكن ليس كملوك اسرائيل الذين كانوا قبله وصعد عليه شلنصر ملك آشور فصار له هوشع عبدا ودفع له جزية ووجد ملك آشور في هوشع خيانة لانه أرسل رسلا الى سواء ملك مصر ولم يؤد جزية الى ملك آشور حسب كل سنة فقبض عليه ملك آشور وأوثقه في السجن وصعد ملك آشور على كل الارض وصعد الى السامرة وحاصرها ثلاث سنين وسبي شعب اسرائيل الى آشور اه قلت وكان خراب مملكة اسرائيل وزوالها تماما بعد هذا التاريخ

وأما الدور الرابع فبدأه العائلة السادسة والعشرون التى قام على رأسها بسماتيكوس

الأول المشهور بحب العلوم وتوسيع نطاق المعارف والآداب وهو الذي في أيامه اتسع نطاق استعمال الكتابة بالحروف الأبجدية ومدة سني هذا الدور مائة وثلاث وعشرون سنة وأشهر على ترتيب سني من عاصرها من ملوك يهوذا. لا في بيانهم بعد

مدة ملك حزقيا خلافاً الخمس سنوات التي كان يعاصر فيها الدور الثالث

سني	شهور
٢٤	٠٠
» حكم منسا بن حزقيا	٠٠
» » امون بن منسا	٠٠
» » يوشيا بن امون الذي قتله فرعون نخو	٠٠
» » يهويا حاذ بن يوشيا الذي خلعه فرعون نخو	٠٣
» » الياقيم بن يوشيا الذي ولاه فرعون نخو	٠٠
١٢٣	٣

ومن الحوادث التاريخية التي جاءت في التوراة مثبتة مطابقة هذه المدة على الوجه المشرح لمدة الدور الرابع المذكور حادثة نخاوس بن بسماتيكوس رأس هذا الدور * ومحصلها انه لما كان نخاوس هذا ميالا كآبيه الى تحسين أحوال الرعية بتوسيع نطاق التجارة عمد الى فتح البلاد وركب في عسكر جرار وزحف على يهوذا وقاتل يوشيا ملكها وضيق عليه وما زال حتى قتله وفتح مدائنه وتغلب عليها من البر والبحر فباع بنو يهوذا يهويا حاز ولد يوشيا بالملك واجتمعوا تحت رايته فأغضب ذلك نخاوس فرعون المذكور وركب من فوره في عسكره على يوشيا وحاربه وظفريه وخلعه وذلك عند رجوعه من غزوة بابل وولى مكانه أخاه الياقيم وضرب الخراج على شعب يهوذا في كل عام مائة وزنة من الفضة ووزنة من الذهب واستصحب يهويا حاز الى مصر أسيرا فبقي بها حتى مات قالت التوراة * وفي أيامه يعني في أيام يوشيا هذا * صعد فرعون نخو ملك مصر على ملك اشور الى نهر الفرات فصعد الملك يوشيا للاقائه فقتله في مجدو حين رآه وأركبه عبيده ميتا من مجدو وجأوا به الى اورشليم ودفنوه في قبره فأخذ شعب أرض يهوذا يهويا حاز ابن يوشيا ومسحوه وملكوه عوضا عن أبيه وكان يهويا حاز ابن ثلاث وعشرين سنة حين ملك وملك ثلاثة أشهر في اورشليم واسم أمه حوطل بنت أرميا بن لبنة هـ

وأما الدور الخامس فمبدؤه أواخر سني العائلة السادسة والعشرين أي أوائل ملك بسماتيكوس الثاني الذي حارب النوبة وأبلى في قتالها بلاء حسنا ومات فقام بالامر بعده ابنه فرعون خفرع الذي يقال له أيضا وح ابرع * قال أصحاب التاريخ وكان فرعون هذا معاصرا لصدقيا ملك يهوذا الذي وقع خراب اورشليم وسبها الى بابل في أيامه باغارة بختنصر ملك بابل وان صدقيا أرسل الى فرعون خفرع المذكور يستنجده على قتال بختنصر فلم يفلح وسقط صدقيا في يد بختنصر * قال الله تعالى على لسان نبيه أرميا الذي كان على عهد سبي بابل هكذا قال الرب ها أنا ذا أدفع فرعون خفرع ملك مصر ليد أعدائه وليد طالب

نفسه كما دفعت صدقياء ملك يهوذا ليدي بنوخز نصر ملك بابل عدوه وطالب نفسه اه قال
 أهل التاريخ وقد تم ما أنبأ به نبي الله أرمياء حيث انتقض على (فرعون خفرع) عسكره وشقوا
 عصا طاعته عند عودته من حروبه مع القيروان ثم خلعوه وملكوا عليهم بجنديا اسمه اماسيس
 ويقال له أيضا احمس فسار احمس هذا مع هؤلاء الخوارج لقتال وح ابرع ولم يكن مع
 وح ابرع في ذلك الحين سوى بعض الجنود الاجنبية التي كانت في خدمته وهي زهاء ثلاثين
 ألفا فلما التقى الجمعان عند مدينة صالجر اقتتلا قتالا عنيفا فكانت الدائرة على جنود
 وح ابرع ووقع في قبضة احمس فحبسه في قصره قال هيرودوتس فلم تلبث الجنود بعد ذلك
 أن طلبته من احمس وشددت في طلبه فدفعه اليهم فقتلوه في الحال واستقل احمس بالملك
 واتسعت كلمته وخضع لحكمه أهالي جزيرة قبرص ثم مات فتولى الملك بعده بسماتيك
 الثالث فلم يستقر به المنصب حتى زحف ملك فارس على أرض مصر في عسكر جرار خفرج
 بسماتيك لقتاله في عدة وافرة من الجنود المصرية واليونانية الذين كانوا في خدمته فلما التقى
 الجمعان واشتد القتال هجمت جيوش بسماتيك على جيوش كميز ملك فارس وكان كميز قد
 وضع في مقدمة جيوشه كثيرا من السنائير والبناة وغيرها من الحيوانات التي كان يعبدها
 المصريون فلم يجسروا على القتال ولم يرموا بسهامهم على عدوهم مخافة أن تصيب تلك الحيوانات
 المقدسة فجفلوا ورجعوا القهقري وسقط بسماتيك في قبضة كميز فقتله بعد أمور قد أتينا على
 ذكرها مفصلة في ترجمته وبسقوط بسماتيك هذا زالت دولة الفراعنة وانثرت عرشها وتقلص
 ظل ملكها من هذه الديار فأصبحت من هذا الحين ولاية تابعة لمملكة كميز بن كورش ملك
 فارس (قلت) وقد ورد في التوراة أن الله أوحى الى حزقيال النبي عنسد سبي بابل وخراب
 أورشليم أنه لا يكون بعد اليوم رئيس من أرض مصر وألقى الرعب في أرض مصر (ومن
 أصدق من الله قيلا) فإنه لم يبق من ذلك الحين رئيس على مصر من أهلها الى يومنا هذا
 وقد عد أهل التاريخ هذه الدولة الفاتحة الغاصبة في عداد الدول المالكة باعتبار أنها
 السابعة والعشرون بعد السادسة والعشرين المصرية المتأصلة فإذا صح لديك ذلك كان ادخالها
 أيضا في دائرة الدور الخامس على مقتضى الترتيب المتقدم بيانه لازما مع ما يدخل معها في هذا
 الدور أيضا من بقية الدول الأخرى المتممة له كالدولة الثامنة والعشرين الصاوية والدولة التاسعة
 والعشرين الأشمونيه والثلاثين السمنودية والحادية والثلاثين الفارسية التي انقرضت باغارة
 الاسكندر المقدوني على البلاد أما ستمولك هذه العائلات فاثنتان وثلاث وثلاثون سنة على
 مقتضى التنسيب الآتي للحوادث التاريخية المذكورة في التوراة

سنة

١١ مدة ملك صدقياء على يهوذا وهو الذي وقع خراب أورشليم وسبي بابل في أيامه

٢٧٢ المدة من سبي بابل الى ظهور الاسكندر المقدوني

٢٨٣

بقي علينا الآن أن نأتى على ذكر الدور السادس الذى هو آخر مراتبناه من هاتيك الادوار
وبيان عدد مايدخل فيه من الدول التى تولت الملك وسفى ملك كل منها تميما لحساب هذه
القاعدة التى اخترناها للتوفيق بين ما جاء فى التوراة وما جاء فى التاريخ * فنقول اذا صح ما تقدم
بيانه وكان هذا الترتيب غير معيب فى شئ كان اذن مبدأ الدور السادس المذكور ظهور
الاسكندر المقدونى وكان هذا الدور مشتملا على دولتين لا غير أولاهما الدولة البطليموسية
وثانيتهما الدولة الرومانية أو اللاطينية المعروفة فى حساب أهل التاريخ بالدولة الرابعة
والثلاثين وهى الدولة التى ولد فى أيامها السيد المسيح وكانت مدته ملك هاتين الدولتين ثلثمائة
وتسع عشرة سنة على الترتيب الآتى

سنة

٠١٢ مدة ملك الاسكندر المقدونى

٢٧٥ مدة ملك الدولة البطليموسية

٠٣٢ مدة ملك الدولة الرومانية أو اللاطينية

٣١٩

فإذا جمعت سننى ملك كل طبقة من هذه الطبقات الثلاث الى بعضها على مراتبناه من الادوار
ظهر لك أن المدة الواقعة من عهد الملك (منا) رأس العائلة الملوكية الاولى الذى يسميه بعض
أهل التاريخ مصرام بن حام بن فوح عليه السلام أو من الطوفان الى مولد السيد المسيح ثلاثة
آلاف ومائتان وأربع وأربعون سنة ولم تتجاوز الاربعة آلاف سنة كما قاله جماعة من
المؤرخين المتقدمين والمتأخرين وان أنكروا أن مصرام هو (منا) وإذا علمت ذلك فالوقوف عند
حد بعض هذه الاحتمالات والفروض الثلاثة التى ذكرناها أو تفضيل بعضها على بعض
والأخذ به دون الآخر ترجيح بلا مرجح ولذلك لم أورد ما أوردته من المقارنة والتطبيق بين
ما جاء فى التوراة وما جاء فى كتب التاريخ الشديدة على ما تقدم بيانه اتصارا لمقالة على أخرى
ولاحذف حجة للترغيب فى تفضيل مذهب على آخر لاني أعلم أنها كلها آراء لم يثبت منها لغاية
الآن شئ ولا صحت بها دعوى ولكنى حرصت على أن لا تفوت محبى التاريخ معرفة هذه النبذة
أيضا فذكرتها غير كاتم ما فى نفسى منها ولا ستر رأي فيها فلا أنا داع اليها ولا ناه عن الأخذ بها
واعلم أن المصريين كانوا قبل عهد الملك بسماتيك يزعمون أنهم أقدم شعب على وجه
البسيطة قال هيرودونس لما تولى بسماتيك الملك عهد الى معرفة حقيقة هذا الزعم وكان
يظن أن الفريجيين أقدم شعب ويتلوهم المصريون قال وكانت أبحاثه الى ذلك الحين لم
تكف لمعرفة الحقيقة فآخذ طفلين رضيعين وسلمهما الى راع يريهما مع غنر ورسم له أن
يضعهما فى بيت لا يدخل أحد عليهما الا الغنر لترضعهما فى وقت معلوم وأن يتفرغ عن
كل أشغاله وقت ارضاعهما وقصد بذلك أن يعرف ماهى أول كلمة ينطقان بها متى صارا
قادرين على الكلام فلما مضى عليهما سنتان دخل الراعى يوما وقد فتح باب البيت فزحف

الولدان نحوه وصرخا بيكوس ومدا اليه أيديهما فاستكان عند ذلك ليرى ما يكون بعد هذه اللفظة فصار كلما دخل عليهما يصرخان بيكوس فاعلم الملك بالقصة فرسم باستحضارهما فلما حضرا وسمع منهما تلك اللفظة استخبر عن الشعب الذي يستعمل كلمة بيكوس وما معناها ف قيل له ان الفريجيين يسمون الخبز بهذا الاسم قال هيرودوتس فلذلك تنازل المصريون للفريجيين عن ادعاء الاسبقية (قلت) ولعلها خرافة رووها عن هيرودوتس بعادات المصريين وأخلاقهم وأعيادهم وقدره آلهتهم وكهنتهم وسحرتهم وغير ذلك مما اعتاد هذا المؤرخ العظيم الاسهاب وبسط الكلام فيه ومع ذلك فان هذه الرواية على ما فيها من الخلط تؤيد ما قلناه من أنه لم يتيسر لقدماء المصريين أن يعرفوا من أين جاء آبائهم ولا مبدأ تأسيس مملكتهم ولا من أين وصلت اليهم مادة هذا التمدن العجيب ولذلك لم يحزموا بشئ من هذا كله بل بنوا كل ما قالوه في هذا الباب على فروض واحتمالات اجتمعت كلمتهم على بعضها واختلفت في البعض فتبعهم في ذلك أصحاب التاريخ من المتقدمين والمتأخرين غير مباليين في النقد لضعف سندهم وعجزهم عن تفنيد البرهان بالبرهان ودحض الحجة بأقوى منها وكان ما اجتمعت عليه كلمتهم ولم يختلف فيه منهم اثنان قولهم ان (منا) هو أول مؤسس للمملكة المصرية وانه رأس العائلة الاولى من الطبقة الاولى احدى الطبقات الثلاث التي رتبها مانيطون في جدولته فعلى مقتضى هذا الترتيب نأتى هنا بذكر كل دولة من الطبقات الثلاث المذكورة وذكر أخبار كل ملك منها على التعاقب وبالله سبحانه وتعالى البداية ومنه تبارك وتعالى الهداية

الكتاب الاول

(في ملوك الطبقات الثلاث وفيه ابواب)

الباب الاول

(في الطبقة الاولى أو الطبقة العليا)

كان مبدأ هذه الطبقة على ما رواه جماعة المؤرخين سنة خمسة آلاف وأربعة قبل الميلاد المسيحي أى سنة ست وعشرين وثمانئة وخمسة آلاف قبل الهجرة الحمدية وهي تمتد بالملك (منا) وتنتهى الى الدولة الحادية عشرة الطينية وسنو ملكها ألف وتسعمائة وأربعون سنة

الفصل الاول

(في العاشرة الاولى الطيفية)

كان مبدأ حكم هذه العائلة سنة خمسة آلاف وأربعة قبل الميلاد المسيحي أى سنة ست وعشرين وستمئة وخمسة آلاف قبل الهجرة المجدية وسنو ملكها ثلثمائة سنة وخمس سنين وعدة ملوكها تسعة أولهم الملك (منا) أو مناوس الذى قالوا باحتمال انه (مصرام) المذكور في التوراة

في الكلام على الملك منا

هو أول ملوك مصر وأول مؤسس للمملكة المصرية بعد دولة الحورشسو وأصله من مدينة طينة وهي بلدة كانت على مقربة من العراية المدفونة بجوار جرجا ولما استخلص (منا) المذكور الملك من أيدي الكهنة واستقل بحكم البلاد هاجر من مدينة طينة المذكورة ليل أهلها الى الكهنة وأقر رؤساء القبائل على ما هم عليه من قبل وأسس مدينة منف التي موقعها الآن البدرشين وميت رهينة وهما من أعمال مديرية الجيزة وجعلها تخت ملكه وحول اليها النيل الى مجراه الذي هو عليه الان قال ديودور الصقلي وكان النيل يجري بصحراء ليبيا وأصلح أحوال الرعية بتحسين أحوال الزراعة قال هيرودوتس كانت الاصلاحات التي أحدثها بمدينة منف سببا في عمارتها وتخطيط المدن بارجائها وشيد فيها هيكلًا لمعبودها (بتاح) أى الفتح فصارت منف مركز المدنية والتمدن والعلوم والمعارف الى عصر اليونان ثم أدخل سكان ليبيا تحت الطاعة بعد أن غزاهم قال مانيطون وبعد موته اتهم أنه غير عادة أسلافه من الزهد بميله الى الترف ووضع الطعام على الموائد وتناوله الطعام مضطجعا على سرير قال ديودور واقتدت به الملوك من بعده فلما تولى الملك نشأت أحد ملوك الدولة الرابعة والعشرين أنكر عليه هذه العادة الذميمة والبسطة السيئة اذ هي موجهة للجبين والنجول وأمر بنقش كلام عنها في حجر هجاقية (منا) ووضع في معبد امون بطيبة وقال مانيطون انه لما تغلب الملك (منا) على طائفة الكهنة ونزع الحكم من أيديهم بالقهر والغلبة نسبوا اليه سوء العاقبة وقالوا انه ابتلعه تساح البحر بعد أن حكم ستين وقيل اثنيتين وستين سنة وكان الملك (منا) المذكور معظما في قومه مهيبا عندهم حتى انهم عبدوه وقدّموا له الذبائح والبحور واستمروا على عبادته فلما مات خلفه ابنه أثوتيس

في الكلام على الملك أثوتيس

(ومن ملك بعده من هذه العائلة)

تولى هذا الملك بعد أبيه ويقال انه لبث عاملا على مصر العليا والصعيد ثلاثين سنة في حياة أبيه وهو الذي زين مدينة منف وحسنها وبني فيها الهيكل والقصور المشيدة واشتغل بعلم التشريح وألف فيه رسالة استند منها أطباء قدماء المصريين * قال صاحب العقد الثمين وهي التي تجددت كتابتها في عهد رمسيس الثاني وعنوانها مكتوب في الصحيفة الخامسة عشرة في كتاب الاموات ونصه

هذا أول مجموع في التذاكر الطبية النافعة لمعالجة البرص قد نقل من صحيفة قديمة وجدت داخل محبرة تحت تمثال أنوب في مدينة ليتوبوليس

قال وكان وجودها في عصر الملك سيتي الذي هو الخامس من هذه العائلة حسب ترتيب الأتار وحيث ان بينه وبين الملك تت (يعني أثوتيس) ملاكين فهذا يثبت للملك تت المذكور معرفة علم الطب والتشريح ولعظم فائدة هذه الرسالة نقلت الى الملك (سندا) المدرج اسمه في جدول العائلة الثامنة

ومات الملك أثوتيس فقام بالامر بعده كشكنيس ولم يعلم المؤرخون من أخباره شيئا يذكر ومات بعد أن حكم احدى وثلاثين سنة * فقام بالامر بعده (ونيفس) الأول وفي أيام هذا الملك حصلت بمصر مجاعة عظيمة جدا ومن أعماله الهرم الموجود على شمالي الهرم المدرج بسقارة وهو المعتقد قديما لدفن ما كان يعبد من الثيران في أيامه * قال صاحب العقد الثمين وقد استكشف هذا الهرم البارون فون مينوفولي سنة احدى وعشرين وثلثمائة وألف ميلادية فوجده موضوعا على خلاف وضع الاهرام لعدم اتجاه أركانه الى النقط الرابع الاصلية وله أربعة أبواب وبداخله حجرات قال فان صح ذلك كان هذا الهرم أول هرم بني في مصر اه ومات ونيفس المذكور بعد أن حكم ثلاثا وعشرين سنة * فقام بالامر بعده ونيفس الثاني ولم يذكر المؤرخون من أخباره شيئا ومات بعد أن حكم اثنتين وأربعين سنة * ثم قام بالامر بعده (سيتي) وهو الذي وجدت في أيامه الرسالة الطبية التي ألفها الملك أثوتيس المكتوبة في الباب الرابع والستين من كتاب الاموات وهي من ضمن الرسائل الطبية المشتملة عليها الصحيفة القديمة الموجودة في برلين كما رواه صاحب العقد الثمين ولم يذكر المؤرخون لهذا الملك شيئا من الاخبار ومات بعد أن حكم عشرين سنة * فقام بالامر بعده (ميه بيدوس) ولم يعلم أيضا من أخباره شيء ومات بعد أن حكم ستا وعشرين سنة * فقام بالامر بعده ميسس وهو حفيد الملك سيتي وفشا في أيام هذا الملك في البلاد الوباء فقتل بالطلق فتكا ذريعا ثم قامت فتنة

عظيمة فاختلف نظام البلاد وعكف الناس على ارتكاب المعاصي واستفحل أمر الفتنه فبات في أثناءها الملك ميمس بعد أن حكم ثمانى عشرة سنة * فقام بالامر بعده (ببه نخس) وقد تولى الملك في خلال الفتنه وانتشار الخلل فزاد الهيجان بتوليته واشتدت الفتنه وعظمت ولم تنطفئ ناره الا بزوال العائلة الاولى هذه وموت ببه نخس المذكور الذى هو تاسع ملوكها واخرهم فقامت بعدها العائلة الثانية المعروفة بالطينية

الفصل الثانى

(فى العائلة الثانية المعروفة بالطينية)

كان ابتداء حكم هذه العائلة فى سنة أربعة آلاف وسبعمائة واحد وخمسين قبل الميلاد أى سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة وخمسة آلاف قبل الهجرة وسنو ملكها ثلاثمائة وستون سنة وعدة ملوكها تسعة وهم الآتى ذكرهم بعد * قال جماعة الكتاب ويقال ان بين هذه العائلة وبين الملك (منا) أول مؤسس للمملكة المصرية قرابة متواصلة ولكنه لم يقم من الادلة ما يثبتها ولم يوجد فى النقوش الاثرية لهؤلاء الملوك شئ سوى أسمائهم وكان أول ملوك هذه الدولة (الملك بوئوس) * قال مانيطون المؤرخ المصرى لما استولى الملك بوئوس على ملك مصر نزل رجز من السماء على مدينة بوبست المعروفة الآن بتل بسطه خسف بها الارض وأهلك فيها خلقا كثيرا اه ولم تذكر جماعة الكتاب من أخباره أو آثاره شئ ومات بعد أن حكم ثمانيا وثلاثين سنة * فقام بالامر بعده (كايه خوس) وفى أيامه عكف الناس على عبادة الحيوانات فعبدوا الثور أبس بمدينة منف والثور منيفس بالمطرية والحل المقدس بمدينة تمي الامديد قال صاحب العقد الثمين وذلك مادات عليه النقوش التى وجدت داخل مقابر منف بسقاره اه ومات (كايه خوس) المذكور بعد أن حكم تسعا وثلاثين سنة (فقام) بالامر بعده بنيوثر يس ومن أعماله انه سن قانونا أجاز به للنساء الحكم وورثهن فى الملك كىلا يخرج الملك من بيته (قال دى روجيه) وحاصل ما فى هذا القانون ان الملك اذا مات وكان له أولاد ذكور كانوا أحق بالملك وان لم يكن له ذكور أو كانوا وانقرضوا كان الحق فى الملك لبناته اه (وقال ماسيرو) فى ذلك مأموداه ان كل ملك توفى عن زوجة ولم يعقب ولدا أو كان ولده قاصرا تولت الملك من بعده زوجته بشرط أن لا تتزوج فان تزوجت بغيره من ايس له الحق فى الملك لا يجوز لزوجهها هذا أن يكون ملكا وانما يجوز لذريته منها أن يعطى لهم منصب الملك ولقب القراعنة اه وقد أجاز الملك بنيوثر يس فى قانونه المذكور أن سلطنة الملوك على الرعيه حق مفروض عليهم أدأوه بالنيابة عن

المعبودات وبالغ في هذا الامر جدا حتى زعم أن دمه الذى فى عروقه من دماء المعبودات ولذلك جعل لنفسه السلطة على جميع صنوف الرعية ولقب نفسه بابن الشمس التى هى أعظم المعبودات ليثبت القرابة لنفسه ولمن يأتى بعده بالمعبودات فسمى هذا الزعم منه الى جميع الملوك المصريين الى أيام الرومان ومن هذا الحين صارت الرعية لاستخفاف بالملوك ولو ضعفت شوكتهم وذلك لخصائصهم القدسية وقرابتهم من المعبودات فله ان زالت عنهم دولة الحكم بقيت لهم حرمة التقديس * وأخذ المصريون من هذا القانون ان كل من أراد تأسيس عائلة غير ملوكية ووصلها بالعائلة الملوكية التى قبلها فليتزوج من بنات الملوك أو يأخذ منهن لاولاده فيتم له وصف القرابة بينهما كما دلت على ذلك الآثار (ومات الملك بنيوتريس) المذكور بعد أن حكم سبعا وأربعين سنة (فقام) بالامر بعده (طلاس) ولم تذكر جماعة الكتاب من أخباره شيئا (ومات) بعد أن حكم سبع عشرة سنة (فقام) بالامر بعده الملك ستمس (قال مانيطون) المؤرخ المصرى كان الملك الخامس من هذه العائلة المدعو ستمس واسع العلم كبير المعرفة فكان لذلك محترما الى عهد اليونان وقد أتم الرسالة الطبية التى وجدت فى مدينة سخم المعروفة عند اليونان باسم ليشبوليس (ومات) بعد أن حكم احدى وأربعين سنة ومعنى ستمس باللغة القديمة المهل (ثم قام) بالامر بعده خايرس ولم تذكر عنه جماعة الكتاب شيئا (ومات) بعد أن حكم سبع عشرة سنة (فقام) بالامر بعده الملك نفرخرس وهو السابع من ملوك هذه الدولة قال مانيطون وقد خلا فى عصر هذا الملك ماء النيل حتى صار عذبا كالعسل وبقي على هذا الحال أحد عشر يوما ومات نفرخرس المذكور بعد أن حكم خسا وعشرين سنة * فقام بالامر بعده الملك سيسوخريس وهو ثامنهم قال مانيطون وكان هذا الملك طويل القامة جدا * ونقل صاحب العقد الثمين عن علماء القلم المصرى القديم أن مقبرة (توت حتب) الموجودة بنف وتغال (سبا) المحفوظ بمتحف باريز هما من آثار هذه العائلة لانه يظهر من نقوشهما وصناعاتهما وتصاويرهما أنهما من صناعة الحالة الأولى لكونهما أقل اتقاناً من صنائع المتأخرين (ومات) سيسوخريس المذكور بعد أن حكم ثمانيا وأربعين سنة (فقام) بالامر بعده خينرس وهو آخر ملوك هذه الدولة ولم تذكر أصحاب التاريخ من ماثره شيئا (ومات) بعد أن حكم ثلاثين سنة وبعونه انقرضت هذه الدولة التى هى من نسل الملك (منا) على مارواه بعض أصحاب التاريخ الذين قالوا أيضا ان الملك منا المذكور وان كان قد أخضع لحكمه جميع القبائل القاطنة فى وادى النيل وأدخل تحت طاعته جميع رؤساء الاقسام بشرط أن يكون الحكم متوارثا بينهم وبين ذريتهم الا أنه لم يتمكن من جعل أهل مصر أمة واحدة وما زالت كذلك الى أن تغلبت عليها ذريته فاختمت القبائل بعضها ببعض وتآلفت وصارت أمة واحدة واشتهرت بالامة المصرية * قبل وقد كان فى عصره اثنين العائلتين عائلات أخرى معاصرة ومشغبة لهما ولبنوا كذلك الى أن أطاعوا ودخلوا تحت حكم ملوك الدولتين (قال) صاحب العقد الثمين ولذا نجد أسماء بعض

المالوك منقوشة على ألواح حجرية لم يذكرها مانيطون في جدولته فلا بد وأن تكون من تلك العائلات المضادة لذرية مناه وبانقراض العائلة الثانية المذكورة على وجه ما تقدم قامت بعدها العائلة الثالثة المنفية

الفصل الثالث

(في العائلة الثالثة المعروفة بالمنفية)

كان ابتداء حكم هذه العائلة سنة تسع وأربعين وأربعمائة وأربعة آلاف قبل الميلاد أى سنة احدى وسبعين وخمسة آلاف قبل الهجرة وسنو ملكها مائتان وأربع عشرة سنة وعده ملوكها تسعة أولهم الملك نخروفس (قال) أصحاب التاريخ كان منشأ هذا الملك بمدينة منف وهو رأس العائلة الثالثة ولم يستقر به المنصب حتى قامت الفتنة في البلاد وانصلت بسكان صحراء ليبيا الداخلة تحت طاعة ملوك مصر من عهد الملك (منا) فسير لقتالهم عسكرياً فالتقى الجمعان في ليلة مقمرة فبيل لسكان الصحراء أن دائرة القمر تغير شكلها المعهود فخافوا وظنوا أن الله غضب عليهم لخروجهم على الملك نخروفس فبادروا بالطاعة له وانحسرت الفتنة واستتب الأمن وتوطد وأخذت البلاد في الترقى فانتشرت العلوم واتسع نطاق الصنائع والفنون وما زالت تترقى في أيامه حتى مات بعد أن حكم ثمانى وعشرين سنة كما رواه مانيطون المؤرخ فقام بالامر بعده توسورثرس فحذا حذوه في بث العلوم والصنائع فاحسن فن الكتابة وأتقن صناعة قطع الحجر ونحته وكان ماهراً في علم الطب كالملك (تتا) وألف فيه كتباً تداولها الناس في القرن الاول من التاريخ المسيحي ثم مات بعد أن حكم تسعا وعشرين سنة فقام بالامر بعده الملك تريس ولم تذكر له جماعة الكتاب شيئاً ومات بعد أن حكم سبع سنين * فقام بالامر بعده الملك سسوخريس ولم تعلم جماعة الكتاب من أخباره شيئاً ومات بعد أن حكم سبع عشرة سنة (فقام) بالامر بعده الملك سوفيس ولم يعلم من أخباره شيئاً ومات بعد أن حكم ست عشرة سنة * فقام بالامر بعده الملك تسرتاريس ولم يعلم من أخباره شيئاً ومات بعد أن حكم تسع عشرة سنة * فقام بالامر بعده الملك أخس ولم يعلم من أخباره شيئاً ومات بعد أن حكم اثنتين وأربعين سنة (فقام) بالامر بعده الملك سفوريس ولم يعلم من أخباره شيئاً يذكر ومات بعد أن حكم ثلاثين سنة (فقام) بالامر بعده الملك كرفريس وهو آخر ملوك هذه العائلة قال مانيطون المؤرخ وفي أيام ملك هذه العائلة زادت ثروة المملكة وكثرت عماراتها (قال) صاحب العقد الثمين فن تلك المباني أبوالهول الموجود الآن بين الهرميين بالجيزة ويسمونه حورمخنى أى شمس الافقين يعنون بذلك الشمس وقت شروقها وغروبها وهما الوقتان اللذان كانوا يعبدونه فيه - ما وصورته على شكل سبع له رأس آدمى إشارة الى القوة

والعقل وبه هذه المثابة جازلهم ان يرمزوا به لكل ملك ذى قوة وتدير حكم مصر ولذا ترى
 فى المناحف والبرابي والهيكل وغيرها كثيرا من الملول المصورة أجسامهم على هيئة سبع
 مع اتقان وجوههم ودقة هيأتهم الاصلية ومن هذه التماثيل ماهو كبير وصغير وأكبرها
 أبو الهول الموجود بين أهرام الجيزة ومنها الهيكل الموجود بالجهة القبلية من أهرام الجيزة
 ويعرف الآن بالكنيسة وهو من بدائع عصرهم ومحاسن صنعهم لكونه مبنيًا بالجر الصوان
 المنحوت والجبس العظيم ومنها أيضا جملة محاريب ومقابر بتلك الجهة كان سكان منف يدفنون
 فيها موتاهم خشية الغرق وكانت تلك المقابر تبعد عن منف بخمسة الاف متر من الجانب
 الغربى وكان أغلب فقراهم يدفنون موتاهم فى الحود على عمق متر واحد والمتوسطون يدفنون
 فى ضريح مربع مبنى بطوب أصفر غير متفن ولا يضعون معهم شيأ سوى أوان من الفخار
 بجانب الجثة فيها طعام معد لغذاء الميت وقت بعثته يوم القيامة حسب اعتقادهم وأما
 الاغنياء فكانت مقابرهم تتركب من ثلاثة أجزاء أولها حجرة ظاهرة منقوشة بأنواع النقوش
 والتصاوير المتقنة إما قليلا أو كثيرا على قدر ميسرة أربابها وكانت هذه الحجرة معدة لاجتماع
 أقارب الميت فيها وقت زيارة القبور وثانيها حجرة صغيرة رأسية مفتوحة الفوهة فى حجرة أخرى
 من حجرات المقبرة وثالثها حجرة أو عدة حجرات أخرى أسفل الحجرة الصغيرة وهى المعدة لوضع
 جثة الميت فيها ولا يجوز لاحد أن يدخلها * وبعض الناس يصنعون مقابرهم بكيفية أخرى
 فينحتون فى الجبل آبارا عميقة فيها منامة أو جملة منامات معدة لمواراة الموتى وأهل هذه الطبقة
 يضعون موتاهم فى ثوابيت على هيئة الانسان عارية عن الرسوم ومصنوعة من جملة قطع
 ويثبتونها بمسامير من خشب ويكتبون فوقها مامعناه (أنت فلان ابن السماء وخلقة الارض)
 وفى عصر العائلة الحادية عشرة جعلوا يدهنون وجوه التابوت باللون الأصفر أو الابيض أو
 الأسود ويصّرون فوقه المعبودتين (أزيس ونفتيس) راكعتين وأجنتهما على التابوت وفى
 عصر العائلة الثامنة عشرة كانوا يلفون التوابيت من باطنها وظاهرها بالسواد ويجعلون الوجه
 أحر ذهبيا ويرسمون على الصدر صورة عقاب وفى عصر العائلة التاسعة عشرة الى الحادية
 والعشرين كانوا يدهنون ثوابيتهم بالطلاء المعروف بالورنيش الذى فى لونه صفرة ويبالغون
 فى اتقان التصاوير دون النقوش وكانوا يضعون الموميا الصغيرة أى الجثة المصبرة اما
 فى تابوت أو اثنين أو ثلاثة أو أربعة يدخلون بعضها فى بعض وفى عصر العائلة الثانية
 والعشرين الى الثالثة والعشرين كانوا يلفون التوابيت من باطنها بلون أسود أو بلون الخشب
 ويجعلون وجهها أحر وعلى رأسها عصائب مزخرفة ويلفون موتاهم بلفائف من القماش ثم
 اصطلموها بعد ذلك على تلوين باطن التوابيت بالابيض وتقسيم أعطيتهما بالالوان الى أقسام عديدة
 ويكتبون فوقها كتابة بمداد أخضر وفى زمن البطالسة اتخذوا ثوابيتهم من الصوان والمرمر
 الازرق فكانوا ينقشون عليها نقوشا متقنة الصنعة (قال الراوى) فلو تأملنا جميع هذه التوابيت
 وما عليها من النقوش والحليسة علمنا ما كان يلزم للميت من النفقات والمصاريف الجسيمة التى

كانت تزداد قيمتها بما يتبعها من كثرة النقوش والمبالغة في التصاوير اه وقد وجد مكتوبا على ورقة قديمة في متحف فرنسا سميت باسم (پريس) الذي وجدها ماتعرييه انه لما توفي الملك حوتى وهو (سفوريس) ثامن ملوك هذه العائلة تولى بعده الملك سنفرى وهو (كرفريس) تاسع هذه العائلة وكان محسنا لاهل مملكته وفي مدنه ثار عليه سكان جبل الطور وتعدوا على حدود مصر فقاتلهم وقهرهم واستولى على أرضهم وشيد فيها قلاعاً وحصونا وديارا وحفر آبارا وأقام بتلك الارض رجلا تستخرج له المعادن من النحاس والحجارة الكريمة كالفيروز وعساكر تخفرهم ثم رسم نفسه هناك على صخرة (بواى مغارة) فى هيئة مقاتل يقمع أعداءه ونقش بجانب صورته ذكر غزوته (قالده روجيه) ووضع اسمه داخل خانة ملوكية ولقب نفسه فى تلك الصخرة بمحسسة ألقاب وهى (حور) ومعناه الكاهن و (موت نب) (عرع نب) ومعناه صاحب التاجين وهما تاج العقاب وتاج الثعبان و (حور نب) ومعناه المنصور الظافر بأعدائه و (سوثن سحت) ومعناه ملك الوجه القبلى والوجه البحرى و (سارع) ومعناه ابن الشمس وهو الاسم المقدس المختص بالعائلة الملوكية وختم ذلك بجملة دعائية له وهى (عخ ازاسنب) ومعناها دام بصحة وعافية قال فاقضى به الملوك بعده فى جميع ذلك ولما عاد الى مصر بعد هذه الغزوة بنى فى حدود الدلتا قلاعاً وحصونا بقيت الى عصر العائلة الثانية عشرة وابتنى له هرما سماء (خع) أى العيد ولم يعلم محله وانما يقال انه هو الموجود بميدوم بدليل وجود اسم هذا الملك منقوشا على بعض جدران مقابر قديمة فى تلك الجهة كما رواه ده روجيه فى كتابه فى الست عائلات الاولى ولدافعه عن بلاده أحبته الرعية وبالغت فى تعظيمه وعكفت على عبادته بعد وفاته واستمروا على عبادته واحترامه الى عصر البطالسة وكان منزوجا بالملكة هرتيتفس واصطلح ملوك هذه الطبقة على نقش أسماء أهرامهم فى الآثار بجانب أسمائهم فكان ذلك سببا لسهولة معرفة أسماء الأهرام فى مدتهم كما رواه ده روجيه فى كتابه المذكور ومن ماثر ملوك هذه العائلة التماثلان الموجودان الآن بمتحف بولاق أحدهما تماثل (رع حتب) والانيهما تماثل (نفرت) زوجته المتخذان من حجر واحد وعليهما نقوش تدل على أن رع حتب كان الكاهن الاكبر فى المطرية وقائدا للجيش المصرية وان زوجته نفرت أعنى الجميلة كانت حفيدة ملك لم يعلم اسمه بعد اه ومات الملك كرفريس بعد أن حكم ستا وعشرين سنة وبانقراض الدولة الثالثة المذكورة على وجه ما سبق بيانه قامت بعدها الدولة الرابعة المنقبة

الفصل الرابع

(فى العائلة الرابعة المنقبة)

كان ابتداء حكم هذه العائلة سنة خمس وثلاثين ومائتين وأربعة آلاف قبل الميلاد أى سنة سبع وخسين وثمانمائة وأربعة آلاف قبل الهجرة وسنو ملكها مائتان وأربع وثمانون

سنة وعدتهم ملوكها أربعة عشر ملكا (قال) أصحاب التاريخ ولم يعلم من أسمائهم غير ثمانية
وسند كرسية منهم بعد وأولهم الملك خوفو وبظهور هذه العائلة ظهرت مصر بظهور الارتقاء
وحسن البناء والعمائر التاريخية

في الملك خوفو

كان هذا الملك غازيا شديد البأس عظيم المهابة قاتل طائفة من بني عون وهم قبيلة من
عرب البوادي الذين كانوا مستوطنين بناحية وادي مغارة وكانوا كثيرى التعدى على حدود
مملكة مصر الشرقية من الجهة البحرية فأذلهم وأخضعهم وكان يحب تشييد العمارات
والمباني العظيمة فن مآثره الهرم الأكبر الموجود بالجيزة واسمه (خوفو) بمعنى البهاء وكان
العمال المشغولون ببنائه مع المناوبة في كل ثلاثة أشهر مائة ألف عامل واستمرت عمارته ثلاثين
سنة منها عشرة في توطيد أرضه وتأسيس حجراته السفلى وبناء الجسر الموصل اليه من شاطئ
النيل بالحجارة لنقل الاحجار التي بنى بها هذا الهرم ومنها عشرون سنة في تشييد ذات الهرم
كما رواه هيرودوتس ونقل أيضا عن بعض المؤرخين أن قدماء المصريين انما أرادوا ببناء تلك
الاهرام منع المعتدين الذين ينتهكون الحرمات وينشون القبور من سلب ما يكون فيها للموتى
من التوابيت الجميلة والاولاني الفاخرة بالدخول فيها وواقفهم آخرون على ذلك وقالوا ان قدماء
المصريين كانوا أشد الناس حرصا على موتاهم ولذا صنعوا هذه المباني الضخمة لاجاز أهل
الغيات عن التوصل الى كنهها اه كما رواه ماريت

وقال صاحب العقد الثمين وهذا الهرم لم يحصل له خال مع ثقله وطول مدته البالغة
ستين قرنا وليس في طوق البشر الآن اعمال بناء فيه حجرات وطرق وارتفاع بشقلى يكث زنا
كرمه (قال) وقد اطلعت على جبردار التحف المصرية عليه نقوش بجانبه الايمن والايسر
فالتى على جانبه الايمن تفيد أن الملك (خوفو) بنى هرمه المذكور والمقابر التي محييت آثارها
الآن بجانب هيكل المعبودة اريس المجاور ذلك الهيكل لمعبد أبى الهول من الجانب الغربى
البحرى وانه أنشأ أيضا لابنته الاميرة (حوت سن) هرما بجوار هيكل اريس المذكور ومن
هذا يعلم أن أبى الهول ومعبد هيكلى اريس كانت موجودة قبل بناء هرم خوفو ويستفاد
من النقوش التي على جانبه الايسر أن الملك المذكور كان أهدى هدايا للمعبودة اريس
المسماة أيضا حاتور واتخذها والدة له وأصلح معبدها ووضع بداخله التماثيل التي وجدها
فيه من قبل وهى سفينة اريس وتماثيل (سالك) وتحت وبتاح وحور وازيس ونفتيس
وسخت وأزوريس وحبي وبجانب كل تماثيل منها مكتوب اسم المادّة المتخذ منها فسفينة
ازيس وتماثيل حور وتحت كانت من الخشب المطلى بالذهب وكان تماثيل اريس من الذهب
والفضة وتماثيل نفتيس من التيج (قال) وأثبت دميخن أن الملك خوفو أصلح أيضا هيكل حاتور

الذى بدندره ومن هنا يتضح لك أن دعوى اليونان على الملك خوفو بأنه كان ظالما لرعيته في تضييقهم لبناء هرمه وغلق أبواب الهيكل واهانة المعبودات المصرية كذب لأصل لها لما علمت من تشييده الهيكل السابقة ولعل قولهم انه ظالم لرعيته في بناء هرمه مبنى على انه لما قاتل بنى عون وأسر رجالهم سخرهم في بناء هرمه كما هي عادة قدماء الملوك في معاملة الاسرى وهذا وحده لا يثبت أنه ظالم لرعيته (والاهرام) مقابر كانت تهتم في بنائها الفراعنة من تاريخ استيلائهم على الملك فيشيدون أولا حجرة يدفنون فيها الملك بعد وفاته ثم يبنون عليها هرما صغيرا ويعلمونه طبقة طبقة بالتدريج على حسب مدة حكم الملك فان طالت مدته كان هرمه كبيرا شامخا والاقتراء صغيرا وعلى ذلك يكون عدد طبقات كل هرم دليلا على عدد سنى حكم صاحب ذلك الهرم وعدد الاهرام الموجودة في ديار مصر ينيف على المائة والمشهور منها سبعون هرما اه وفي عصر هذا الملك عثر أحد الكهنة على رسالة طبية بالقرب من محراب معبد مدينة ديموت ببلاد النوبة فنقلها الى الملك خوفو وكتب على هذه الرسالة كيفية عشوره عليها بالالفاظ المعربة بما مؤداه (كانت الارض محدقة بالظلام والقمر يضئ من كل جهة على هذه الرسالة) فأحضرتها أعجوبة لجلالة الملك خوفو اه ثم مات (الملك خوفو) بعد ان حكم تسعا وعشرين سنة فتولى الملك بعده سوفيس الاول وهو الملك رع ددف

(الملك رع ددف)

كان هذا الملك كثير العبادة شديد التدين فاحبته الرعية واحترمته وقدسته وجعلته في مصاف المعبودات (قال أصحاب التاريخ) وقد وجد نقش على حجر لرجل مصرى اسمه ايساموتيك بن أصحابور يفيد أن ايساموتيك المذكور كان كاهنا للمعبود (تانن) وللمعبودة (ازييس) ملكة الاهرام وكاهنا للملك خوفو ولللك خفرع الذى هو سوفيس الثانى وللقدس رع ددف الذى هو سوفيس الاول وللمعبود حور محيى الذى هو أبو الهول ويظن أنه ابن الملك خوفو والآن الاكبر لخفرع أى سوفيس الثانى قال بعض الكتاب فان صح ذلك صدقت الرواية اليونانية بأن خفرع كان خليفة أخيه في الحكم بدون ملك بينهما وكانت مدة الملك سوفيس الاول المذكور ثلاثا وستين سنة ثم مات وقام بالامر بعده سوفيس الثانى ويسمى أيضا خفرع

(في الملك خفرع)

قال أصحاب التاريخ من اليونان لما تولى الملك خفرع بعد موت أخيه رع ددف الذى

هو سوفيس الاول شرع في بناء الهرم الثاني بجانب هرم خوفو وجعله على وضعه وسماه (آر) يعنى الكبير قال صاحب العقد الثمين ويرى بجانبه محل قطع الاجار التي كانت تستعمل في بنائه وكلا الهرمين موضوع على جبل ارتفاعه مائة قدم (وروى هيرودوتس) عن المصريين أنهم نسبوا لهذا الملك الظلم والاعتساف بالرعية وقالوا انه سار على سيرة الملك خوفو في جميع أعماله وقد سخرهم في بناء هرمه وأغلق الهياكل وشدد عليهم فأبغضوه بغضا شديدا كبغضهم للملك خوفو وكانوا يودون لو أنهم لا ينطقون باسم أحدهما ولذلك سموا هرميهما براعى المواشى تهكما واستهزاء وذكر ديودور الصقلي أن كلا الملكين حرم من بقائه مدفونا في هرمه وذلك لان الرعية كانت تبغضهما بغضا شديدا وقد عمدت الى جثتهما فأخرجتهما من الهرمين وكسرت تابوتيهما وألقتهما على الارض إهانة لهما قال ولم يستدل الى الآن من الآثار على شئ من سيرة خفرع المذكور غير أنه عثر على سبعة تماثيل من حجر الصوان على رسم صورته كانت بيتر في المعبد المشهور الآن بالكنيسة التي قبلى أبي الهول فنقلت الى دار التحف المصرية وحفظت فيها اه

ومات خفرع المذكور بعد أن حكم ستا وستين سنة على مارواه مانيطون المؤرخ فقام بالامر بعده منكورع الذي يسمى أيضا منخرس

(في الملك منكورع)

(المسمى أيضا)

(منخرس)

(قال) جماعة الكتاب لما استقر بمنكورع المنصب عمد الى انشاء الهرم الثالث الموجود خلف الهرمين وبالغ في إنجازه وسماه (حور) يعنى الاعلى قالوا وكان منكورع هذا عادلا محبا للرعية شقيقا عليهم واسع الحلم كثير الرحمة فكان اذا نظلم أحد الناس من حكم يكون صدر عليه حق اليه وعه باحسانه ولاطفه ليهون عليه الامر وقد دلت النقوش الاثرية على اهتمامه بأمر المعابد والهياكل حيث أمر ولده (حورددف) أن يطوف على جميع المحاريب والمعابد فيصلح ما تنخرّب منها وينشئ غديرها في الكثير من المدن فقام بالامر قالوا ولما كان يدبر العمل في محاريب مدينة (ايتوبوليس) المعروفة الآن باسم (وسيم) عثر على كتابة من بورة بلون أزرق على لوح من رخام فأحضرها الى أبيه فرحا مسرورا وقدم اللوح اليه قال ماسيرو وهي الكتابة المدرجة ضمن المواعظ والحكم القديمة التي جمعها علماء اللغة الهرسية في الباب الرابع والستين من كتاب الاموات فصعب عليهم حلها لانها أعجزت أهلها كما جاء في قول كاتب من عصر الزميسية الى رفيقة له وهو

(تأثني بأسرار كبيرة) أي بمواعظ وحكم عن الأمير حور ددف وتقول لي انك ما علمت منها طيبا ولا رديا وكأنها سور منيع لا يمكن تجاوزه وكيف تقول ذلك مع انك كاتب ماهر فائق على أقرانك فطن ولك فكر رائق وكلام موزون اذا قلت كلمة كانت أعظم من ثلاث كلمات صدرت عن غيرك ولقد تركتني أصم بما حصل لي من فزع قواك . قال وبهذا يتضح لك أن المواعظ والحكم القديمة كانت صعبة على أهلها ولذا يتعسر الآن على علماء القلم المصري القديم حل معضلاتها اه

وكان الملك منكورع حليبا وما آثره كثيرة منها عدة مؤلفات في علم الدين وكان شديد الرغبة في تقدم وطنه والارتقاء به الى درجات التمدن والتقدم ولذلك كفل الملك شبسكاف الذي تولى الملك بعده لجعله في بيته وأحسن تربيته بين عائلته وزوجه بابنته المسماة (معت خع) ليؤهل لارتقاء منصة الملك من بعده

(قال صاحب العقد الثمين) وقد وجدت جثة الملك منكورع هذا في تابوت من حجر الصوان داخل هرمه فأرادت دولة الانجليز نقله الى متحفها فغرقت السفينة به في ساحل البرتغال ولم تحصل على شيء منه سوى الجثة وغطاء التابوت المحفوظين الى الآن في متحفها وهذا الغطاء مصنوع من خشب الجيز على شكل آدمى وعليه نقوش تتضمن دعوات طيبة له وتدل على أنه كان ملكا على جميع أرض مصر اه

ومات بعد أن حكم أربعاً وعشرين سنة كما شوهد ذلك على الآثار القديمة وفي رواية مانيطون ثلاثاً وستين سنة فقام بالامر بعده شبسكاف وهو خامس ملوك هذه الدولة ويسميه مانيطون في جدولته باسم سبرخرس

(في الملك شبسكاف)

(المسمى أيضا)

(سبرخرس)

هو خامس ملوك هذه الدولة ولما استقر به الملك أمر بيناه الايوان الغربي الموجود بمعبده بتاح بمنف قالوا وهو أعظم ايوان مزين بالصور والرسوم الغريبة ليمتاز بذلك عن أسلافه وبني له هرما يعرف باسم (شبسكافكب) قال هيرودوتس ونقش عليه يعني على الهرم المذكور نقوشا معناها

لاتحقر هرنى بين الاهرام المبنية بالتجارة لاني أفضله عليها تفضيل المشتري على جميع الكواكب اذ كان بناؤه بطوب متخذ من خشب مبلول في مستنقع ماء امتص ذلك الخشب طفل المستنقع وقال أيضا ان هذا الملك كان أحد الخمسة المشرعين بالديار المصرية وانه رتب

الديانة وأبدع فن الهندسة ورصد الكواكب وسن قانونا للقرض يجوز للراء أن يرهن جثة والده عند الغير ويأذن للدائن أن يتصرف في مقبرة المدين حتى يوفيه دينه فان لم يوفه حرم المدين هو وذريته من الدفن فيه بعد وفاتهم
ومات بعد أن حكم سبع سنين كما جاء في جدول مانبطون المؤرخ فتام بالامر بعده
(نامقيش) ولم تذكر جماعة الكتاب من أخباره شيئا ومات بعد أن حكم تسع سنين وبه انتهت العائلة الرابعة ولم يعلم من أخبارها غير ما ذكر وقامت بعدها العائلة الخامسة التي كان تخت حكمها جزيرة أسوان

الفصل الخامس

(في العائلة الخامسة التي كان تخت حكمها)

(جزيرة أسوان)

كان ابتداء حكم هذه العائلة سنة احدى وستين وتسماية وثلاثة آلاف قبل الميلاد أى سنة ثلاث وسبعين وخسمائة وأربعة آلاف قبل الهجرة وسنو ملكها مائتان وثمان وأربعون سنة وعدة ملوكها تسعة (قال ده روجه) ولم يظهر لنا من تاريخ هذه العائلة بعد البحث والتنقيب من الآثار وغيرها الا ما سنذكره لبعض ملوكها وكان أول هذه العائلة الملك اسكاف ويقال له أيضا اسركاف

(في الملك اسكاف)

(الذى يقال له)

(اسركاف)

قال أصحاب التاريخ كان هذا الملك محبا للرعية عادلا دينا موقرا فكانت الرعية تحبه وتحترمه وتجله الكهنة اجلالا عظيما ولذلك جعلوا له وقتا معيناً للعبادة وسماه مانبطون في جداوله باسم اسرخس وابتنى اسركاف هذا لنفسه هرما سماه عب ستويعنى (المكان الطاهر) ولم يعلم من أخباره شئ غير ما ذكر ومات بعد أن حكم ثمان سنين وقال مانبطون ثمانيا وعشرين سنة

فقام بالامر بعده الملك سحورع الذى يسميه مانبطون سفيرس ولهذا الملك هرم على شمال قرية بوسير واسمه خعبا ومعناه بعثة الروح قالوا وله في وادى مغارة لوحة أثرية موجودة

لادّان ومنقوش عليها رسم صورته على هيئة المنصور على أعدائه وأمام صورته نقوش يستفاد منها أنه قهر جميع أعدائه وتغلب عليهم قالوا ولبت المصريون يعبدون هذا الملك بعد موته زمنا طويلا وقد وجد في عصر اليونان هيكل معبد لعبادته وبداخله أسماء الكهنة الذين كانوا معينين لخدمته وكان لهذا الملك مدينة شهيرة على مقربة من اسنا سماها بامسجورع وقد سميت آثارها الآن ومات بعد أن حكم أربع سنين وقال مانيطون ثلاث عشرة سنة فقام بالامر بعده الملك ككا ولم تذكر جماعة الكتاب من أخباره شيئا ومات بعد أن حكم سنتين

فقام بالامر بعده الملك نفراركارع ويسميه مانيطون نفرخرس ولهذا الملك هرم سماه (با) ومعناه الروح وفي أيام هذا الملك ازداد تمدن البلاد واشتغل أهلها بالعلوم والآداب قالوا وقد وجد بين قبور هذا العصر أسماء لكثير من الأدباء مثل (أورخو) و(ينحوك) قالوا وكلاهما كان حائزا للشرف العالي بين قومه

ومات نفراركارع بعد أن حكم عشرين سنة فقام بالامر بعده الملك شبسكارع ولم تذكر عنه جماعة الكتاب شيئا ومات بعد أن حكم عشرين سنة كما رواه مانيطون المؤرخ فقام بالامر بعده الملك خع نفررع ولم يوجد له شيء يذكر سوى اسمه ومات ولعل مدة حكمه كانت مع مدة شبسكارع فيكون الاثنان حكما معا وقال مانيطون انه حكم سبع سنين ويسميه باسم سيسيرس ثم قام بالامر بعدهما الملك رعنوسر ويسميه مانيطون المؤرخ رينوسر قالوا وهو أول من أضاف اسم (آن) وهو اسم عائلته الى اسمه فكان يقال له بعد ذلك رعنوسر آن وكان ملكا محاربا كثير الغزوات غزا سكان جبل الطور وانتصر عليهم وبني له هرما يوصير سماه (من ستو) ومعناه المحل المتين فلما مات دفن في الهرم المذكور بعد أن حكم إحدى عشرة سنة وقال مانيطون بل أربعاً وأربعين سنة

فقام بالامر بعده الملك منسكارحور ويسميه مانيطون المؤرخ في جدولته منخرس وله هرم يعرف باسم ترستو ومعناه المحل المقدس قالوا والغالب أن موضع هذا الهرم بجهة سقارة ومات بعد أن حكم ثمان سنين وقال مانيطون تسع سنين فتولى الملك بعده الملك ددكارع

(في الملك ددكارع)

(الذي يقال له أيضا)

(تنخرس)

كان ددكارع المذكور كثير العناية بالعلوم والصنائع وقد استكشف في أيامه معادن

بوادى مغارة وابتنى له هرما كاسلافه الفراعنة وسماه نفر ومعناه الجليل قالوا ولم يعلم مكانه الى الآن وكان له ولد من العلوم والفلسفة بكان عظيم اسمه يتاح حطب وقد شاخ ومات ودفن بجانب مقبرة (قى) واشتهر بالعلوم والمعارف التى نقلت عنه وكذلك المواعظ والحكم التى منها إذا كبرت بعد الصغر أو حزت مالا بعد الفقر وصرت به الاقل فى مدينتك وازدادت به شهرتك فلا تعظم نفسك بسببه لان الله من عليك به ولا تحقر امرأ كان كما كنت فقيرا أو كان ذامال مثلك ميسورا ومنها كن وجيها مادمت حيا ومنها متى صار للراء اعتبار وساح فى الارض وتأهل بامرأة فان كان عاقلا جهز بيته وأحب زوجته ولم يتنازع معها وأطعمها وزينها بتحسين أعضائها وعطرها وجعلها مسرورة مدة حياته ولا يكون عليها متوحشا قاسيا ومنها أجهل الهنات (اسم لمعبود) صاحب العمر الكبير متى أتى للراء الهرم وحصل له الضعف والعجز وأتاه النذير ورقد متألما صغرت عيناه وثقلت أذناه واضمحلت قوته وتلجلج لسانه وأظلم قلبه ووهن العظم منه حتى لا يفكر فى أمس وبلازمه النسيان لضرب ألم به فيتبدل معه الطيب بالخبيث الذميم ويذهب عنه الطعم والذوق السليم كيف لا وهو الهرم الذى يصير الانسان فى أسوأ حال وأقبح هيئة ومآل فيعطل حواس شمه حتى لا يستنشق رائحة العود ويكل من الوقوف والقعود فماذا يفعل الانسان اذا وصل لحالتي وسمع مقالتي فقال الهنات تعلم نصيحة من سلف التى يستغريها الشغار ويستعملها كبار الخلف وهى (ادفع عنك أذى العقلاء ولا تسيء أحدا ولو من الاعداء) اه كما نقله ماسيرو

(ومات الملك) دد كارع المذكور بعد أن حكم ثمانيا وعشرين سنة وقال مانيطون بل أربعا وأربعين سنة فقام بالامر بعده الملك أوتاس وهو آخر ملوك هذه العائلة على مارواه جماعة المؤرخين

(فى الملك أوتاس)

(الذى يقال له أيضا)

(آتوس)

لما ارتقى أوتاس المذكور عرش الملك ابتنى له هرما بسقارة وسماه نفرستو ومعناه الجليل قال صاحب العقد الثمين فتح يعنى الهرم سنة احدى وثمانين وثمانمائة وألف للميلاد وهو الموضوع فى الجنوب الغربى من الهرم المدرج ويرى حوله كنيب من الرمال والحصباء ناشئ من عمليات الفتح التى حصلت فيه قبل الآن ومن تساقط كسوته الظاهرة التى كانت مصنوعة من حجارة طرا ويرى على ظاهره هيئة الدمار وسقوط الصخور والاحجار وكان عرض قاعدته مائتين

وعشرين قدما وارتفاعه اثنتين وستين قدما فتناقصت الآن مقاييسه لما حصل فيه من الهدم والدمار من أهل الغوايات الذين سعوا في فتحه لاختذ ما كان مكنوزا فيه حسب اعتقادهم فلما أزالوا الكسوة الظاهرة وتوصلوا الى مدخله وجدوه مسدودا بالصخور التي لا يمكنهم ازالها فاضطروا الى فتح كوة معطفة طولها تقريبا سبعة أمتار وتوصلوا بها الى المدخل الاصلى وهو عبارة عن طريقة طويلة عرضها متر وستة وثلاثون سنتيمتر مكتوب عليها بالمداد الأحمر أحمد النجار قال ولعله هو الذى أيضا فتح هرم الملك خوفو الموجود بالجيزة مدة المأمون لرسم اسمه فيه فان صح ذلك كان فتح هذا الهرم سنة عشرين وثمانمائة هجرية ومن تلك الطريقة يتوصل الى قاعة معدة لاستراحة الزائرين وكان طولها ثلاثة أمتار وتسعة وثمانين سنتيمتر وعرضها مترين وستة وخمسين سنتيمتر ثم تمتد من تلك القاعة طريقة أخرى يوجد في وسطها ثلاثة حواجز ارتفاع كل واحد منها الآن متر واحد وكانت من قبل مجعولة لسد مدخل الهرم ثم تنهى بقاعة وسطى طولها ثلاثة أمتار وخمسة وسبعون سنتيمترا وعرضها ثلاثة أمتار وثمانية سنتيمتر وفيها طرقتان احدهما على اليمين والاخرى على اليسار فالتى على يمين الداخل طولها متر وخمسون سنتيمترا وعرضها متر وستة وثلاثون سنتيمترا وتفضى الى حجرة طولها سبعة أمتار وتسعة وعشرون سنتيمترا وعرضها ثلاثة أمتار وخمسة عشر سنتيمترا قال ولما فتح الهرم لم يوجد به شئ سوى تابوت الملك المتخذ من المرمر الأسود وغطاؤه ملقى بعيدا عنه وذراع الملك اليمين وعظم ساقه وبعض قطع من أكفانه ويرى في وسط هذه الحجرة حفرة كبيرة كان حفرها اللصوص للبحث عن دنانير كنوزية والتي على يسار الداخل مقاسها كالطريقة السابقة وتوصل الى طريقة أخرى فقطعها في وسطها وطولها ستة أمتار وثلاثة وتسعون سنتيمترا وعرضها متران وخمسة وثمانون سنتيمترا وجانبها الشرقى مقسم بفاصلين الى ثلاثة أقسام كل فاصل بارز في الطريقة بمقدار متر وخمسة وعشرين سنتيمترا ويرى على حجرات هذا الهرم نقوش هيروغليفية محفورة في حيطانه ترجعها جناب ماسيرو مديرا لانتبة خانة الان في كتاب مخصوص وهي عبارة عن أدعية اعتاد قدماء المصريين كتابتها في القبور قال وقد أعرضنا عن درج ترجعها هنا لعدم أهميتها وهذا الهرم معد الآن للفرجة اه بنصه ومات الملك أوتاس بعد أن حكم ثلاثا وثلاثين سنة (قال بعض الكتاب) وقد اتضح من الصحيفة المصرية القديمة المحفوظة الآن في متحف تورينو بايطاليا ان الملك أوتاس المذكور كان المتمم للقسم الاول من طائفة الفراعنة وان ملوك هذا القسم الذين حكموا مصر على عموماً المتعاقب من عهد (منا) الى أوتاس المذكور كانوا من نسل (منا) وبعد موت الملك أوتاس انقضت ذرية (منا) ونسبه كما حققه بعض المؤرخين وقال آخرون بل ان الملك (تتا) أحد ملوك العائلة السادسة هو آخر نسل الملك (منا) ولكل حجة وباتقراض هذه العائلة أى الخامسة قامت بعدها العائلة السادسة التى كانت قاعدة ملكها جزيرة أسوان

الفصل السادس

(في العائلة السادسة التي قاعدتها)

(جزيرة أسوان)

كان ابتداء ملك هذه العائلة سنة ثلاث وسبعمائة وثلاثة آلاف قبل الميلاد أى سنة
خمس وعشرين وثلثمائة وأربعة آلاف قبل الهجرة وسنو ملكها مائتا سنة وثلاث سنوات
وعدد ملوكها ستة أولهم الملك آتى الذى يقال له أتوس وشريكه الملك تنأ

(في الملك آتى والملك تنأ شريكه)

كان الملك (آتى) المذكور قبل ولايته حاكما على الافليم القبلى ويقال انه كان من
جزيرة أسوان وقيل انه من العنابة المدفونة وأما الملك (تنأ) فكان حاكما على الاقليم
البحرية فعدتهما أصحاب التاريخ لذلك كذلك واحد لحكما فى وقت واحد وقد كان (تنأ)
المذكور آخر من ولد من الملوك بمدينة منف كما قاله بعض المؤرخين وقال آخرون ان الملك
(آتى) هو رأس العائلة السادسة المذكورة وأول ملك منها حكم البلاد وقد بنى له هرما سماه
(بايو) ومعناه هرم الارواح وجلب اليه الاحجار من وادى الحمامات فى السنة الاولى من حكمه
وعين لهذا العمل رئيسا اسمه (اخيخفا) والامير (نحوت اربنى) وملاحظين اسم الاول
منهما (أبي) والثانى (بتاح انكيو) ومائتين من العساكر ومائتين من العمال ومثلهم
من أهل الصناعة وشييده على نحو ما أراد وأما الملك (تنأ) فقد بنى له هرما آخر وسماه
(ددستو) ومعناه أمن المحال صلابة ولقبه بابن الشمس قال أصحاب التاريخ ولم يسبقه بهذه
التسمية أحد فى هرمه قال مانيطون المؤرخ ومات بعد أن حكم ثلاثين سنة قتله عساكره
فتولى بعده موته وموت (تنأ) شريكه المذكور (مريوع) الذى يسميه مانيطون باسم فيوس

(في الملك مريوع)

(الذى يسمى أيضا)

(فيوس)

تولى مريوع المنصب الملوكي فجعل تحت حكمه جزيرة أسوان كما فعل الملك (آتى) سلفه

فانحط لذلك قدم مدينة منف وأخذت بهجتها في الزوال وظهرت عليها جزيرة أسوان وكان
مريـرـع المذكور عاقلا محبا لتقدم البلاد وعمرانها فاستوزر رجلا اسمه (اونـا) قال العلامة
ده رويـه وكان (اونـا) هذا في أول أمره رئيس كهنة الملك (تتا) وكان مسموع الكلمة عنده
فقلبه في أكبر الوظائف وأعلاها وقد كان ربا في بيته فلما تولى الملك مريـرـع استوزره وسلمه
مقاليد الأمور ورسم له بالذهاب الى طرا ليجت له هناك على صخرة بيضاء يصنع منها تابوتا
لجنته فتوجه (اونـا) المذكور وأتى اليه بالصخرة فزاد عنده قبولا وأخذ من هذا الحين يزيد
في ترقيه حتى ولاه نظارة أشغاله فاحسن التدبير وفرح المصريون به لحسن سياسته ووجه الملك
مريـرـع عنايته الى استكشاف المعادن فرتب لها الملاحظين والعمال حتى كثرت محصولاتها
وزادت عما كانت عليه قبل أيامه وفتح طريقا مخصوصا في الصحراء من قفط الى البحر الأحمر
تسهيلا للمسافرين وفتح طريقا أخرى فيها للتجارة واختط مدينة جديدة في مصر الوسطى وأصلح
معبد (حاتحور) الذي بدندره حتى أعاده الى ما كان عليه وكانت الحوادث قد دمرته في العصر
القديم ولقب نفسه بـابن (حاتحور) وأدرج هذا اللقب مع اسمه في خانة مالوكية وخرج عليه
أهالى النوبة وقبائل الشام المسماة (عمو) وقبائل هيروشا القاطنون أيضا في جنوب بلاد
الشام وكانوا أهل قوة ومنعة فركب اليهم وغزاهم وتغلب عليهم وأرجعهم الى الطاعة قال
صاحب العقد الثمين وتفصيل ذلك منقوش على لوحة (اونـا) الحجرية وهو وزيره وتعريبها ملخصا
من كتاب العلامة ده رويـه

(ان جلالة الملك يبي) وهو لقب الملك مريـرـع جيشا عظيما من كافة أرجاء مصر
ومن بلاد ارمنت ومن بلاد العبيد وهى أمام (واوات) (وكاوو) (وتعام) وأرسل (اونـا) على
هذا الجيش بعد أن رتبته وعلمه بمشاهير رجال دولته فتوجه به (اونـا) الى قتال الحروشين
وغزاهم وهدم حصونهم وقطع أشجارهم ودوا اليهم وحرق زرعهم وقتل من عساكرهم ألوفاً
عديدة وأسرجا غفيرا من رجالهم ونسائهم وأطفالهم ورجع بجيشه سالما منصورا من غير
ضرر ففرح به الملك فرحا كبيرا واستعمل الاسارى في أشغاله وباع العبيد منهم وقال (اونـا) انى
توجهت خمس مرات بهذا الجيش المجند الى قتال بلاد (حروشع) وقهرت عصاتهم ثم عصاة بلاد
(تبحع) التى هى على شمال حروشع فسرت اليهم بهذا الجيش وقاتلتهم قتالا شديدا حتى أهلكت
جميع عصاتهم وبهم انتهت الحرب وانقادت لاوامر الملك جميع البلاد قال ولما تمت هذه
الغزوات نلت عند الملك مزيد الشرف والقبول وتكرم على بعدم خلع نعالى عند دخولى في
القصر عليه وتمثلى بين يديه اه

وعادت بعد ذلك الراحة الى عموم البلاد وخضعت أهالى النوبة والليبيا وجهات آسية
المتاخمة للدلتا وبلاد الحبشة واسترجع هذا الملك الى ملكه جبل الطور وقد كانت ضمته اليها
بلاد آسية على عهد من سلفه امن ملوك وملأ ديار مصر بالآثار العظيمة فكان أعظم ملوك
هذه العائلة وبه نالت مصر شهرة عظيمة وراحة كبيرة ومات بعد أن حكم أربع عشرة سنة

وقال مانيطون بل ثلاثا وخسين فقام بالامر بعده الملك مرزوع الاول الملقب (سوكرمساف)
ويسميه مانيطون باسم مته سوفس الاول

(في الملك مرزوع)

(أو)

(مته سوفس الاول)

هو ابن الملك مرزوع وكانت أيامه كلها راحة واطمئنانا فقد مهد له أبوه العقبات
وأرهب جميع الامم المخالفة المناخة لديار مصر في أيامه فبقيت على الطاعة والسكينة واستوزر
مرزوع المذكور وزير أبيه المسمى (اونا) وفوض إليه تدبير المملكة والنظر في مصالح الرعية
وسلم إليه عدة وظائف أخرى مهمة منها ولاية الحكم على الاقليم القبلي بأبعجه وهذا المنصب
لم ينله أحد من قبل قالوا ورسم له بان يصنع له هرما وناووسا فأخذ (اونا) السفن ومراكب
الجل مع سفينة حربية وهي أول سفينة حربية صنعت في ديار مصر وسار الى بلاد (أبيا)
والبحريرة أسوان بلحلب التجارة اللازمة لبناء الهرم والناووس ومنها الى بلاد حانوب المشهورة
بجودة الاجبار لاحتضار مائدة عظيمة للمعاقرة وأتى بجميع ذلك على ظهر النيل وقت فيضانه
ولم يسبق لهذا العمل مثيل من عهد الملك (منا) ثم أخذ في بناء الهرم فما أتم بناءه حتى مات
فحضر الملك جنازته ومشى أمامه حتى واروه التراب
(ومات الملك مرزوع) أيضا بعد أن حكم سبع سنين فقام بالامر بعده الملك نفر كارع
الذي يسميه مانيطون فيوبس

(في الملك نفر كارع)

(ويسمى أيضا)

(فيوبس)

(نولى الملك نفر كارع) ولم تذكر جماعة الكتاب من أخباره ما يعادل سنى ملكه فقد
حكم قرنا كاملا كما رواه مانيطون المؤرخ وتسعين سنة كما دلت عليه الآثار غاية ما قالوه
عنه انه رسم باستخراج المعادن من جبل الطور في السنة الحادية عشرة من ملكه وأنه طرد
من كان فيه من القبائل المتوحشة وبني له هرما سماه (من عنخ) ومعناه دار الحياة فبلغت

مصر في أيامه من الشهرة واتساع الكلمة وبعد الصيت مبلغا عظيما وبقيت محافضة على حدودها وملحقاتها زمانا طويلا وقد لقبه اليونان (بيي) قال بعض الكتاب وعلى هذه التسمية يكون هو (بيي الثاني) ومات فقام بالامر بعده الملك مرزوع الثاني الذي يسميه مانيطون منه سوفس الثاني

(في الملك مرزوع الثاني)

(ويسمى أيضا)
(منه سوفس الثاني)

(قول مرزوع الثاني) الملك ولقب سوكرمساف الثاني ولم يستقر به المنصب حتى قامت الفتنه بين أهل البلاد واضطربت نارها وارتفع لها فقاموا عليه وعصوه وقتلوه فكان خامس ملوك هذه العائلة وكانت مدة حكمه سنة واحدة فقامت بالامر بعده أخته وزوجته الملكة نيتوقريس التي تسمى أيضا ليتوقريس

في الملكة نيتوقريس

كانت هذه الملكة من أجل نساء عصرها وأشهرهن فضيلا وكالا وهي أخت وزوجة الملك مرزوع الثاني ولقبها مانيطون المؤرخ في تاريخه بجوردة الحدين قالوا ولما استقر بها المنصب عمدت الى الانخذ بشأر أخيها الذي هو زوجها من قاتليه وقد كانوا بعض رجال الدولة فاحتالت عليهم وجذبتهم الى قصرها تحت الارض بقرب النيل بدعوى وليمة أعدتها لهم فلما جلسوا للطعام أمرت بانسياب النيل عليهم فغرقوا جميعا وماتوا ويقال انها ألفت نفسها بعد ذلك في محل ممتلئ برماد فمات فيه حتى لا تكون عرضة للعقاب وكانت مدة حكمها اثنتي عشرة سنة قالوا وفي أيامها أتمت الهرم الثالث الذي تركه الملك منكورع ناقص البناء وعظمت بناءه وكسسته من الخارج بحجر الصوان واتخذت لها منامة في وسطه بأعلى الحجر التي دفن فيها الملك منكورع من قبلها بثمانمائة سنة

وفي عهد هذه العائلة تقدمت صنعة التصوير والنقش واتسعت وأتقنت غاية الاتقان وكانت قبلها في حالة واحدة متشابهة وانتشرت عبادة المعبود ازوريس وعمت جميع الانحاء وقد كانت قبلها قلبيلة الا في بعض المدن وانتهت سنو ملك العائلة المذكورة بموت الملكة نيتوقريس التي كانت آخر ملوكها وقامت بعدها العائلة السابعة والثامنة المنفية والتاسعة والعاشره الاهناسية على الترتيب الآتي بعد

الفصل السابع

(في العائلة السابعة والثامنة المنفية)

(والسابعة والعاشرة الالهاسية)

(قال أصحاب التاريخ) لم يتأت لاحد من جماعة الكتاب الاهتداء الى معرفة أخبار ملوك هذه العائلات ولا معرفة شيء من أخبارها فان هذا الدور وهو الممتد من آخر الدولة السادسة الى أوائل الدولة الحادية عشرة يعد من أشكل أزمان تاريخ مصر وملوكها ويقدر بنحو أربع مائة وثلاثين سنة حتى ان مانيطون المؤرخ المصري لم يتعرض لذكر أسمائهم ولم يأت على شيء من أخبارهم قالوا والغالب أنه الى ذلك الحين لم تكن لتمتد جماعة الكتاب على الجهات التي توجد فيها آثار هذه العائلات الأربع المذكورة (قال صاحب العقد الثمين) وهذا القول هو الأرجح ويؤيده ما ذكره مريت باشا في تاريخه من أنه يوجد بوجه الظن لهذه العائلات آثار في نواحي ميدوم والفنت واهناس المدينة وفي سائر المنطقة الارضية التي في مدخل وادي الفيوم قال غير أننا الى الآن لم نطلع عليها ولم نقف على حقيقةها وما ورد عن مانيطون في هذه العائلات الأربع هو أن العائلة السابعة كانت قاعدة حكمها مدينة منف وملوكها خمسة من غير أن يعين أسمائهم وكانت مدة حكمهم خمسة وسبعين يوما وفي رواية سبعين يوما وفي أخرى سبعين سنة وقد ذكر بعض الكتاب ابتداء ملكهم فقال ملكوا سنة خمسمائة وثلاثة آلاف قبل الميلاد أي سنة اثنتين وعشرين ومائة وأربعة آلاف قبل الهجرة والذي وجد من أسمائهم في ورقة تورينو أربعة وهم نفر كارع وقد حكم سنتين وشهرا ويوما ونفروس وقد حكم أربع سنين وشهرين ويوما وآخر ومحل اسمه مقطوع من تلك الورقة وقد حكم سنة واحدة وثمانية أيام

وان العائلة الثامنة كانت قاعدتها مدينة منف وملوكها سبعة وعشرون ملكا وفي رواية تسعة عشر وقيل تسعة وقيل خمسة ملوك ومدة حكمهم مائتان واثنان وأربعون سنة وفي رواية مائة سنة وان ابتداء ملكهم كان سنة خمسمائة وثلاثة آلاف قبل الميلاد أي سنة اثنتين وعشرين ومائة وأربعة آلاف قبل الهجرة وان العائلة التاسعة كانت قاعدة ملكها اهناس المدينة المتاخمة لمدينة بخسوف على شاطئ بحريوسف وملوكها تسعة عشر وفي رواية أربعة لم يعلم منهم سوى ملك واحد واسمه (اكتوس) وكانت سنو ملك هذه الدولة مائة سنة وتسع سنين وقيل مائة سنة وكان ابتداء ملكهم سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وثلاثة آلاف قبل الميلاد أي سنة ثمانين وتسعمائة وثلاثة آلاف قبل الهجرة وان العائلة العاشرة كانت قاعدتها اهناس المدينة أيضا وعدة ملوكها تسعة عشر وسنو ملكهم مائة

ونخس وثمانون سنة وكان ابتداء حكمهم سنة تسع وأربعين ومائتين وثلاثة آلاف قبل الميلاد أى سنة احدى وسبعين وثمانمائة وثلاثة آلاف قبل الهجرة قالوا وقد وجد بعض أسماء ملوك هذه العائلات الاربع منقوشة على لوحة حجرية فى هيكل سبتى الاول بالعراة المدفونة (قال صاحب العقد الثمين) ومرتب فى هذا الجدول على الصورة الآتية

١٠٠٠	١٠٠	١٠	١٠٠٠	١٠٠	١٠٠٠
٤٠	٤١	٤٢	٤٣	٤٤	٤٥
٤٦	٤٧	٤٨	٤٩	٥٠	٥١
٥٢	٥٣	٥٤	٥٥	٥٦	٥٧
٥٨	٥٩	٦٠	٦١	٦٢	٦٣
٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩
٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥
٧٦	٧٧	٧٨	٧٩	٨٠	٨١
٨٢	٨٣	٨٤	٨٥	٨٦	٨٧
٨٨	٨٩	٩٠	٩١	٩٢	٩٣
٩٤	٩٥	٩٦	٩٧	٩٨	٩٩
١٠٠	١٠١	١٠٢	١٠٣	١٠٤	١٠٥
١٠٦	١٠٧	١٠٨	١٠٩	١١٠	١١١
١١٢	١١٣	١١٤	١١٥	١١٦	١١٧
١١٨	١١٩	١٢٠	١٢١	١٢٢	١٢٣
١٢٤	١٢٥	١٢٦	١٢٧	١٢٨	١٢٩
١٣٠	١٣١	١٣٢	١٣٣	١٣٤	١٣٥
١٣٦	١٣٧	١٣٨	١٣٩	١٤٠	١٤١
١٤٢	١٤٣	١٤٤	١٤٥	١٤٦	١٤٧
١٤٨	١٤٩	١٥٠	١٥١	١٥٢	١٥٣
١٥٤	١٥٥	١٥٦	١٥٧	١٥٨	١٥٩
١٦٠	١٦١	١٦٢	١٦٣	١٦٤	١٦٥
١٦٦	١٦٧	١٦٨	١٦٩	١٧٠	١٧١
١٧٢	١٧٣	١٧٤	١٧٥	١٧٦	١٧٧
١٧٨	١٧٩	١٨٠	١٨١	١٨٢	١٨٣
١٨٤	١٨٥	١٨٦	١٨٧	١٨٨	١٨٩
١٩٠	١٩١	١٩٢	١٩٣	١٩٤	١٩٥
١٩٦	١٩٧	١٩٨	١٩٩	٢٠٠	٢٠١
٢٠٢	٢٠٣	٢٠٤	٢٠٥	٢٠٦	٢٠٧
٢٠٨	٢٠٩	٢١٠	٢١١	٢١٢	٢١٣
٢١٤	٢١٥	٢١٦	٢١٧	٢١٨	٢١٩
٢٢٠	٢٢١	٢٢٢	٢٢٣	٢٢٤	٢٢٥
٢٢٦	٢٢٧	٢٢٨	٢٢٩	٢٣٠	٢٣١
٢٣٢	٢٣٣	٢٣٤	٢٣٥	٢٣٦	٢٣٧
٢٣٨	٢٣٩	٢٤٠	٢٤١	٢٤٢	٢٤٣
٢٤٤	٢٤٥	٢٤٦	٢٤٧	٢٤٨	٢٤٩
٢٥٠	٢٥١	٢٥٢	٢٥٣	٢٥٤	٢٥٥
٢٥٦	٢٥٧	٢٥٨	٢٥٩	٢٦٠	٢٦١
٢٦٢	٢٦٣	٢٦٤	٢٦٥	٢٦٦	٢٦٧
٢٦٨	٢٦٩	٢٧٠	٢٧١	٢٧٢	٢٧٣
٢٧٤	٢٧٥	٢٧٦	٢٧٧	٢٧٨	٢٧٩
٢٨٠	٢٨١	٢٨٢	٢٨٣	٢٨٤	٢٨٥
٢٨٦	٢٨٧	٢٨٨	٢٨٩	٢٩٠	٢٩١
٢٩٢	٢٩٣	٢٩٤	٢٩٥	٢٩٦	٢٩٧
٢٩٨	٢٩٩	٣٠٠	٣٠١	٣٠٢	٣٠٣
٣٠٤	٣٠٥	٣٠٦	٣٠٧	٣٠٨	٣٠٩
٣١٠	٣١١	٣١٢	٣١٣	٣١٤	٣١٥
٣١٦	٣١٧	٣١٨	٣١٩	٣٢٠	٣٢١
٣٢٢	٣٢٣	٣٢٤	٣٢٥	٣٢٦	٣٢٧
٣٢٨	٣٢٩	٣٣٠	٣٣١	٣٣٢	٣٣٣
٣٣٤	٣٣٥	٣٣٦	٣٣٧	٣٣٨	٣٣٩
٣٤٠	٣٤١	٣٤٢	٣٤٣	٣٤٤	٣٤٥
٣٤٦	٣٤٧	٣٤٨	٣٤٩	٣٥٠	٣٥١
٣٥٢	٣٥٣	٣٥٤	٣٥٥	٣٥٦	٣٥٧
٣٥٨	٣٥٩	٣٦٠	٣٦١	٣٦٢	٣٦٣
٣٦٤	٣٦٥	٣٦٦	٣٦٧	٣٦٨	٣٦٩
٣٧٠	٣٧١	٣٧٢	٣٧٣	٣٧٤	٣٧٥
٣٧٦	٣٧٧	٣٧٨	٣٧٩	٣٨٠	٣٨١
٣٨٢	٣٨٣	٣٨٤	٣٨٥	٣٨٦	٣٨٧
٣٨٨	٣٨٩	٣٩٠	٣٩١	٣٩٢	٣٩٣
٣٩٤	٣٩٥	٣٩٦	٣٩٧	٣٩٨	٣٩٩
٤٠٠	٤٠١	٤٠٢	٤٠٣	٤٠٤	٤٠٥
٤٠٦	٤٠٧	٤٠٨	٤٠٩	٤١٠	٤١١
٤١٢	٤١٣	٤١٤	٤١٥	٤١٦	٤١٧
٤١٨	٤١٩	٤٢٠	٤٢١	٤٢٢	٤٢٣
٤٢٤	٤٢٥	٤٢٦	٤٢٧	٤٢٨	٤٢٩
٤٣٠	٤٣١	٤٣٢	٤٣٣	٤٣٤	٤٣٥
٤٣٦	٤٣٧	٤٣٨	٤٣٩	٤٤٠	٤٤١
٤٤٢	٤٤٣	٤٤٤	٤٤٥	٤٤٦	٤٤٧
٤٤٨	٤٤٩	٤٥٠	٤٥١	٤٥٢	٤٥٣
٤٥٤	٤٥٥	٤٥٦	٤٥٧	٤٥٨	٤٥٩
٤٦٠	٤٦١	٤٦٢	٤٦٣	٤٦٤	٤٦٥
٤٦٦	٤٦٧	٤٦٨	٤٦٩	٤٧٠	٤٧١
٤٧٢	٤٧٣	٤٧٤	٤٧٥	٤٧٦	٤٧٧
٤٧٨	٤٧٩	٤٨٠	٤٨١	٤٨٢	٤٨٣
٤٨٤	٤٨٥	٤٨٦	٤٨٧	٤٨٨	٤٨٩
٤٩٠	٤٩١	٤٩٢	٤٩٣	٤٩٤	٤٩٥
٤٩٦	٤٩٧	٤٩٨	٤٩٩	٥٠٠	٥٠١
٥٠٢	٥٠٣	٥٠٤	٥٠٥	٥٠٦	٥٠٧
٥٠٨	٥٠٩	٥١٠	٥١١	٥١٢	٥١٣
٥١٤	٥١٥	٥١٦	٥١٧	٥١٨	٥١٩
٥٢٠	٥٢١	٥٢٢	٥٢٣	٥٢٤	٥٢٥
٥٢٦	٥٢٧	٥٢٨	٥٢٩	٥٣٠	٥٣١
٥٣٢	٥٣٣	٥٣٤	٥٣٥	٥٣٦	٥٣٧
٥٣٨	٥٣٩	٥٤٠	٥٤١	٥٤٢	٥٤٣
٥٤٤	٥٤٥	٥٤٦	٥٤٧	٥٤٨	٥٤٩
٥٥٠	٥٥١	٥٥٢	٥٥٣	٥٥٤	٥٥٥
٥٥٦	٥٥٧	٥٥٨	٥٥٩	٥٦٠	٥٦١
٥٦٢	٥٦٣	٥٦٤	٥٦٥	٥٦٦	٥٦٧
٥٦٨	٥٦٩	٥٧٠	٥٧١	٥٧٢	٥٧٣
٥٧٤	٥٧٥	٥٧٦	٥٧٧	٥٧٨	٥٧٩
٥٨٠	٥٨١	٥٨٢	٥٨٣	٥٨٤	٥٨٥
٥٨٦	٥٨٧	٥٨٨	٥٨٩	٥٩٠	٥٩١
٥٩٢	٥٩٣	٥٩٤	٥٩٥	٥٩٦	٥٩٧
٥٩٨	٥٩٩	٦٠٠	٦٠١	٦٠٢	٦٠٣
٦٠٤	٦٠٥	٦٠٦	٦٠٧	٦٠٨	٦٠٩
٦١٠	٦١١	٦١٢	٦١٣	٦١٤	٦١٥
٦١٦	٦١٧	٦١٨	٦١٩	٦٢٠	٦٢١
٦٢٢	٦٢٣	٦٢٤	٦٢٥	٦٢٦	٦٢٧
٦٢٨	٦٢٩	٦٣٠	٦٣١	٦٣٢	٦٣٣
٦٣٤	٦٣٥	٦٣٦	٦٣٧	٦٣٨	٦٣٩
٦٤٠	٦٤١	٦٤٢	٦٤٣	٦٤٤	٦٤٥
٦٤٦	٦٤٧	٦٤٨	٦٤٩	٦٥٠	٦٥١
٦٥٢	٦٥٣	٦٥٤	٦٥٥	٦٥٦	٦٥٧
٦٥٨	٦٥٩	٦٦٠	٦٦١	٦٦٢	٦٦٣
٦٦٤	٦٦٥	٦٦٦	٦٦٧	٦٦٨	٦٦٩
٦٧٠	٦٧١	٦٧٢	٦٧٣	٦٧٤	٦٧٥
٦٧٦	٦٧٧	٦٧٨	٦٧٩	٦٨٠	٦٨١
٦٨٢	٦٨٣	٦٨٤	٦٨٥	٦٨٦	٦٨٧
٦٨٨	٦٨٩	٦٩٠	٦٩١	٦٩٢	٦٩٣
٦٩٤	٦٩٥	٦٩٦	٦٩٧	٦٩٨	٦٩٩
٧٠٠	٧٠١	٧٠٢	٧٠٣	٧٠٤	٧٠٥
٧٠٦	٧٠٧	٧٠٨	٧٠٩	٧١٠	٧١١
٧١٢	٧١٣	٧١٤	٧١٥	٧١٦	٧١٧
٧١٨	٧١٩	٧٢٠	٧٢١	٧٢٢	٧٢٣
٧٢٤	٧٢٥	٧٢٦	٧٢٧	٧٢٨	٧٢٩
٧٣٠	٧٣١	٧٣٢	٧٣٣	٧٣٤	٧٣٥
٧٣٦	٧٣٧	٧٣٨	٧٣٩	٧٤٠	٧٤١
٧٤٢	٧٤٣	٧٤٤	٧٤٥	٧٤٦	٧٤٧
٧٤٨	٧٤٩	٧٥٠	٧٥١	٧٥٢	٧٥٣
٧٥٤	٧٥٥	٧٥٦	٧٥٧	٧٥٨	٧٥٩
٧٦٠	٧٦١	٧٦٢	٧٦٣	٧٦٤	٧٦٥
٧٦٦	٧٦٧	٧٦٨	٧٦٩	٧٧٠	٧٧١
٧٧٢	٧٧٣	٧٧٤	٧٧٥	٧٧٦	٧٧٧
٧٧٨	٧٧٩	٧٨٠	٧٨١	٧٨٢	٧٨٣
٧٨٤	٧٨٥	٧٨٦	٧٨٧	٧٨٨	٧٨٩
٧٩٠	٧٩١	٧٩٢	٧٩٣	٧٩٤	٧٩٥
٧٩٦	٧٩٧	٧٩٨	٧٩٩	٨٠٠	٨٠١
٨٠٢	٨٠٣	٨٠٤	٨٠٥	٨٠٦	٨٠٧
٨٠٨	٨٠٩	٨١٠	٨١١	٨١٢	٨١٣
٨١٤	٨١٥	٨١٦	٨١٧	٨١٨	٨١٩
٨٢٠	٨٢١	٨٢٢	٨٢٣	٨٢٤	٨٢٥
٨٢٦	٨٢٧	٨٢٨	٨٢٩	٨٣٠	٨٣١
٨٣٢	٨٣٣	٨٣٤	٨٣٥	٨٣٦	٨٣٧
٨٣٨	٨٣٩	٨٤٠	٨٤١	٨٤٢	٨٤٣
٨٤٤	٨٤٥	٨٤٦	٨٤٧	٨٤٨	٨٤٩
٨٥٠	٨٥١	٨٥٢	٨٥٣	٨٥٤	٨٥٥
٨٥٦	٨٥٧	٨٥٨	٨٥٩	٨٦٠	٨٦١
٨٦٢	٨٦٣	٨٦٤	٨٦٥	٨٦٦	٨٦٧
٨٦٨	٨٦٩	٨٧٠	٨٧١	٨٧٢	٨٧٣
٨٧٤	٨٧٥	٨٧٦	٨٧٧	٨٧٨	٨٧٩
٨٨٠	٨٨١	٨٨٢	٨٨٣	٨٨٤	٨٨٥
٨٨٦	٨٨٧	٨٨٨	٨٨٩	٨٩٠	٨٩١
٨٩٢	٨٩٣	٨٩٤	٨٩٥	٨٩٦	٨٩٧
٨٩٨	٨٩٩	٩٠٠	٩٠١	٩٠٢	٩٠٣
٩٠٤	٩٠٥	٩٠٦	٩٠٧	٩٠٨	٩٠٩
٩١٠	٩١١	٩١٢	٩١٣	٩١٤	٩١٥
٩١٦	٩١٧	٩١٨	٩١٩	٩٢٠	٩٢١
٩٢٢	٩٢٣	٩٢٤	٩٢٥	٩٢٦	٩٢٧
٩٢٨	٩٢٩	٩٣٠	٩٣١	٩٣٢	٩٣٣
٩٣٤	٩٣٥	٩٣٦	٩٣٧	٩٣٨	٩٣٩
٩٤٠	٩٤١	٩٤٢	٩٤٣	٩٤٤	٩٤٥
٩٤٦	٩٤٧	٩٤٨	٩٤٩	٩٥٠	٩٥١
٩٥٢	٩٥٣	٩٥٤	٩٥٥	٩٥٦	٩٥٧
٩٥٨	٩٥٩	٩٦٠	٩٦١	٩٦٢	٩٦٣
٩٦٤	٩٦٥	٩٦٦	٩٦٧	٩٦٨	٩٦٩
٩٧٠	٩٧١	٩٧٢	٩٧٣	٩٧٤	٩٧٥
٩٧٦	٩٧٧	٩٧٨	٩٧٩	٩٨٠	٩٨١
٩٨٢	٩٨٣	٩٨٤	٩٨٥	٩٨٦	٩٨٧
٩٨٨	٩٨٩	٩٩٠	٩٩١	٩٩٢	٩٩٣
٩٩٤	٩٩٥	٩٩٦	٩٩٧	٩٩٨	٩٩٩
١٠٠٠	١٠٠١	١٠٠٢	١٠٠٣	١٠٠٤	١٠٠٥
١٠٠٦	١٠٠٧	١٠٠٨	١٠٠٩	١٠١٠	١٠١١
١٠١٢	١٠١٣	١٠١٤	١٠١٥	١٠١٦	١٠١٧
١٠١٨	١٠١٩	١٠٢٠	١٠٢١	١٠٢٢	١٠٢٣
١٠٢٤	١٠٢٥	١٠٢٦	١٠٢٧	١٠٢٨	١٠٢٩
١٠٣٠	١٠٣١	١٠٣٢	١٠٣٣	١٠٣٤	١٠٣٥
١٠٣٦	١٠٣٧	١٠٣٨	١٠٣٩	١٠٤٠	١٠٤١
١٠٤٢	١٠٤٣	١٠٤٤	١٠٤٥	١٠٤٦	١٠٤٧
١٠٤٨	١٠٤٩	١٠٥٠			

الفصل الثامن

(في العائلة الحادية عشرة الطيبية)

كان ابتداء حكم هذه العائلة سنة ثلاثين ومائة وثلاثة آلاف قبل الميلاد أي سنة خمسين وسبعمائة وثلاثة آلاف قبل الهجرة وكان عدة ملوكها ستة عشر ملكا لم يشتهر منهم بالاخبار سوى تسعة وكانت مدة حكمهم ثلاثا وأربعين سنة ولكنهم كانوا تابعين للملك اهناس المدينة ولذلك لم تتوسع جماعة الكتاب في ذكر ما تركل واحد منهم الا الملك (منتوحب) الرابع (ومعني كارع) قال صاحب العقد الثمين قد كانا ملكين يحكمان بالاصالة اه وأول من ملك من هذه العائلة الملك انتف الاول

(في الملك انتف الاول)

(الذي يقال له أيضا)

(انتف عا الاول)

هو رأس ملوك الدولة الحادية عشر وقد حكم البلاد بالتبعية للملك اهناس المدينة ولذلك لم يدرج اسمه داخل خانة ملوكية كالفراعنة لانه لم يكن أصيلا بل كان واليا على الاقليم القبلي وكان ملكا مهيبا جليلا القدر ذا شوكة عظيمة وله هرم على ضفة الصحراء في الجهة المعروفة الآن بذراع أبي النجا بديرية قنسا مبني بالطوب اللبن وجعل في وسطه ضريحاً كساه بالجزر الأبيض وأتقنه غاية الاتقان قالوا ووجد أهل تلك الناحية جثته داخل هذا الضريح موضوعة في تابوت غطاؤه مطلي بالذهب وعليه اسمه ولكنه فقد

قال صاحب العقد الثمين وكذا وجد في داخل الضريح حجر مؤرخ في السنة المتمة للخمسين من حكمه وعليه رسم صورته وعلى رأسه تاج الشعبان وبجانبه أربعة كلاب كان يحبها مدة حياته وكان له ولد يدعى (منتوحب الاول) لقب في أيام أبيه بولي العهد وحكم البلاد القبلية تحت سلطة ملوك اهناس المدينة فلما مات أبوه تولى الحكم بعده ووضع اسمه في خانة ملوكية اه ولم تصل جماعة الكتاب الى معرفة شيء من أخباره ثم مات فقام بالامر بعده (انتف عا الثاني) ولم يوجد له أثر يذكر غير تابوته الذي صار العثور عليه في جهة الأصايف بقرب ذراع أبي النجا ثم مات

فقام بالامر بعده منتوحتب الثاني ومات ولم يقف أحد من الكتاب على شيء من أخباره
فقام بالامر بعده انتف الثالث ولم يوجد له أثر يذكر ومات
فقام بالامر بعده منتوحتب الثالث وله صورة منقوشة على أثر في جزيرة الكنوز
القريبة من قصر أنس الوجود على شكل مقاتل منصور على ثلاث عشرة أمة أجنبية
منقوشة وبجانها نقوش معناها أنه يعترف بالمعبودة ((نخم)) معبودة فقط التي كانت يومئذ
محصنة بالحصون والقلاع للدفاع عن وادي الحمامات وكانت مستودع الذهب والجارا النفيسة
التي كانت تستخرج من ذلك الوادي وكان بينها وبين بلاد العرب علاقة تجارية وقد زادت
هذه العائلة بهمجتها وروافقها بما أحدثته فيها من المباني والعمائر العظيمة قالوا ((ولنتوحتب))
هذا نقوش في وادي الحمامات منها ذكر والدته المسماة ((آتم)) ومنها حثه الناس على الاهتمام
بإستخراج المعادن النفيسة من هذا الوادي ومنها أنه حفر بئرا في وسطه عمقها عشرة أذرع
مصرية سيلا للواردين

((قال صاحب العقد الثمين)) ووجد له أيضا في هذا الوادي نقوش مؤرخة في اليوم
الخامس عشر من شهر بابه سنة اثنين من حكمه يذكر في أولها توسلات للمعبود ((نخم)) ثم يقول
فيها لرجل اسمه ((أمنمعت)) انقل تابوتي وغطاء من هذا الوادي الى طيبة فتقرب هذا الرجل
أولا بقربان الى معبودته ثم جمع ثلاثة آلاف رجل على هذا التابوت وأنزلوه في سفينة على
ظهر النيل حتى أوصلوه الى طيبة اه فلما مات قام بالامر بعده ((انتف الرابع)) وكان ذا
تدبير حسن وسياسة حازمة فما زال حتى نزع الاقليم القبلي من ملوك اهناس المدينة واستقل
بالحكم عليه وأخضع أيضا أهل آسيه الشمالية ((قال ماسيرو)) وقال اني استوليت على
الوجه البحري أيضا ولكن لاصحة لقوله لوجود ملوك اهناس المدينة المتأصلين في الوجه
البحري اه وله آثار أخرى ومات فدفن في ذراع أبي النجا

وقام بالامر بعده ((منتوحتب الرابع)) ولقبه ((نخزرع)) فلم يستقر به المنصب حتى
ركب على ملوك اهناس وأخذ يقاتلهم ليستخلص منهم الوجه البحري وما زال على قدم
الحرب والقتال حتى ظفر ونزعه منهم واستبد بملك مصر وادعى أنه المؤسس لهذه العائلة
وابتغى له هرما سماه ((خوستو)) ومعناه أبهى الاماكن لم يعلم محله وانما استدل على اسمه
من حجر وجد في العرابة المدفونة لكاهن كان خادما فيه ثم مات ((منتوحتب)) هذا
فقام بالامر بعده ((سغنخ كارع)) فلما استقر به المنصب سهل المواصلات ومهد العقبات
التي كانت بين بلاد العرب وديار مصر ونقش على حجر في وادي مغارة نقشا ذكر فيه ما ترجمته
عن شاباس

((يقول خنو)) أرسلني الملك لأوصل السفن الى بلاد العرب ولأحضر له الصمغ ذا
الرائحة الذكية . يعني البخور الذي جمعه رؤساء الصغراء للملك خوفا منه لان رعبه عم
جميع الامم فتوجهت من فقط ومعى جنود من جنوب طيبة يخفرون التجريدة المرسله لمقاتلة

الاعداء في بلاد العرب وعددها ثلاثة آلاف رجل وكان معي أيضا فحاتون وعمال وضباط
فررت بالكفر الاجر ثم بأرض مزروعة وأعددت معي قريبا وآلات لحمل زرع الماء وكانت
عشرين زلعة فصارت تحملها الرجال مع التناوب وحفرت أربعة أحواض أحدها كان
في غاية متسعة ومقاسه اثنتا عشرة قصبة واثان في محل يدعى ((اناحت)) مقاس أحدهما
قصبة واحدة وعشرون ذراعا ومقاس الآخر قصبة وثلاثون ذراعا ورابعها كان في جهة
تدعى ((آتب)) طوله عشر قصبات في مثلها وعمقه ذراع واحد ثم وصلت الى سبا وأنشأت
هناك سفنا لنقل المحصولات من بين البقيع ورجعت من سبا الى ((الك)) و((رهان))
فأحضرت منهما التجارة النفيسة لتمثيل المعابد ولم يحصل مثل ذلك من قبل وكذا لم يعهد أن
أحدنا من أقارب الملوك أرسل الى تلك الجهات غيرة وإنما فعلت ذلك لفرط محبة الملك لي
اه (قال شاباس) المترجم لهذه الحكاية ان ((حنو)) هو أول من فتح الطريق الموصل من
قفط الى بلاد العرب بأمر الملك ((سمنج كارع)) وجعل فيها خمس محطات وعمونا للماء فكانت
سببا لترتيب المواصلات فيها وسلكوها بالقوافل التي كانت تأتي بالبضائع والسلع من بلاد
الهند والعرب الى مصر واستمر هذا الطريق كذلك الى عصر اليونان والرومان

وكان المصريون يطلقون على حضرموت واليمن اسم ((يون)) فاستعار العرب هذا الاسم
ووضعوه للقهوة المعروفة باليمن وصار علماء لها الى يومنا هذا (قال صريت باشا) وقد وجد
في ذراع أبي النجا جملة من آثار هذه العائلة يرى عليها علامات الغلط وهي عدة ألواح حجرية
مستديرة من أعلاها وبعض أمتعة وأوان وفاكهة وخبز وملبوسات وشئ من أثاث البيوت
والاسلحة وآلات الصناعة وكل ذلك محفوظ بخزانة التحف ببولاك قال وقد اصطلح أهل هذا
العصر على أنهم يرسمون فوق نوايت موتاهم أشكالا بأجنحة على هيئة الطيور ويلقونهم بألوان
مختلفة باهرة اشارة إلى ما كان من جملة عقائدهم الدينية من أن إحدى معبوداتهم المسماة
((آريس)) كانت تحنو على أخيها ((آزوريس)) بالتجنج عليه بذراعيها فشهدوا الميت بآزوريس
ووضعوا صورته على نوايت الموتى قال والى الآن لم يستوعب جميع آثار هذه العائلة اه
(قال مانيطون المؤرخ) وضعفت شوكة من قاموا بالامر بعد الملك ((منتوحب الرابع))
وزال بأسهم وتقهقروا فكان ذلك سببا في انتقال الملك منهم الى العائلة الثانية عشرة بعد أن ظلوا
قائضين على زمام حكم البلاد نحو ثلاث وأربعين سنة اه قلت فانتهدت الطبقة الاولى بانتهاء
هذه العائلة وظهرت الطبقة الثانية بدور جديد ومظهر مفيد فزادت البلاد في أيامها بهجة
وعمرانا والعلوم والصنائع تقدما واتقاناً كما سيدكر في محله

الباب الثاني

((في الطبقة الثانية))

(قال أصحاب التاريخ) كان ظهور الطبقة الثانية من ملوك مصر في سنة أربع وستين

وثلاثة آلاف قبل الميلاد أى سنة ست وثمانين وستمائة وثلاثة آلاف قبل الهجرة وعدة من تلك منها ست عائلات من العائلة الثانية عشرة الى اخر العائلة السابعة عشرة وفي رواية من الحادية عشرة الى الثامنة عشرة والاولى أربع * وكانت سنو ملكها ألف سنة وثلثمائة واحد وستين سنة

الفصل الاول

(فى العائلة الثانية عشرة الطيبية)

كان مبدأ حكم هذه العائلة سنة أربع وستين وثلاثة آلاف قبل الميلاد أى سنة ست وثمانين وستمائة وثلاثة آلاف قبل الهجرة وسنوملكها مائتان وثلاث عشرة سنة وقد اتخذت قاعدة مملكتها مدينة طيبة فلما استتب لها الامر علمت على توحيد حكومة البلاد وجعلها مملكة واحدة تحت حكم ملك واحد وقد كانت الى هذا الحين منقسمة الى حكومات مختلفة حاكمة فى وقت واحد فتبخت وفازت وصارت البلاد كلها فى أيامها مملكة واحدة وكان عدة ملوكها ثمانية أولهم الملك امنمحت الاول الملقب بسحب أربع وهو الآتى ذكر أخباره بعد

فى الملك امنمحت الاول

لما ارتقى امنمحت الاول سرير الملك نهض الى قتال الاعداء الذين كانوا يشنون الغارة على البلاد وقد كانوا أحرابا من سكان ليبيا والنوبة وأسسية اجتمعوا على قتاله فقاتلهم حول قلعة تاقوى التى كانت غربى مدينة منف ومازال بهم حتى انتصر عليهم وتغلب وأخذ منهم منف وتبعهم حتى طردهم عن البلاد وعاد غائما قال صاحب العقد الثمين ولما طرد هؤلاء الاحزاب واستتببت الراحة فى عموم مصر قال مقالة مكنوبة فى ورقة سالىر تعريبها فرجت عن الحزين حزنه فلم يسمع أنين صوته وانطفأت بهمة نار الحروب وزالت الثورات والكروب وكان الناس من قبلى كشور يضرب وهو لا يشعر بماض ولا آت ولم يكن للجاهل والعالم راحة فى جميع الحالات ووسعت الفلاحة الى جزيرة أسوان ونشرت علام الافراح الى روضة يحيط بها البحران واقتربت فى ملكى ثلاثة أصناف من الحبوب وأحييت (نبرا) أعنى الله الحب المحبوب كيف لا وقد فاض النيل من جدواى على جميع الارض فلم يرم من جائع فى مدنى ولا من ظمان تحت سلطى وما هذا الا لامثال الرعية أوامرى واستماعهم كلنى وتمسكهم بافكارى فلهذا فهرت السبع وقطعت دابر التمساح وظفرت بأقوام (واواى) فنعى هذا الفلاح وأخذت (المناشيو) أسارى وألزمت أهل أسية السير بجانبى كالأرانب حيارى اه

قال وكان لهذا الملك العاقل ولد زكى فلما آنس منه رشدا صار يخبره بأحواله وطباعه في الحروب وغيرها وهذه ترجمة ما قاله لابنه في ورقة ساليير متى جن الامل * استغرقت ساعة في السرور ثم تعددت على فرش لينة بقصرى وتهيأت للراحة لتأخذنى سنة النوم وهكذا عادنى فاذا عصمتى بجماعة وتظاهرت على بالعدوان أظهرت لهم أولا الضعف كالضعبان البرى ومتى تهيأت لقتالهم لم أجد أحدا منهم يقاومنى في القتال وبذالم تنبى فائبة طول عرى واذا انتشر الجراد وأضر بالعالم أو أضر أحد أحداث الشقاق في قصرى أو كانت زيادة النيل غير كافية أو نضب الماء من الصهاريج كنت أجتهد في اصلاح ذلك اه

وقد اعتنى امنمختت المذكور في استخراج الذهب من النوبة وكان قد أهمل أمره من عهد الملك (يبي) وقاتل بعض طوائف الزنوج وأدخلهم تحت الطاعة وغزا بنى (واوى) وقد كانوا من ألد أعداء المصريين من قديم الزمان ولكنهم لم يلبثوا أن فارقوا أوطانهم ونزحوا عنها تخلصا من خضوعهم اليه قال برکش . ان سواحل المنزلة الشرقية التى كانت معمورة بأخلاق من المصريين ومن قبائل آسية كانت كمقيل خارجة عن حكمه وقد شيد لنفسه هرما سماه (كانفر) أى الهرم العالى الجميل وبني هيكل عظيم لعبودات منف فتنافس من أتى بعده من الملوك في توسيعه وتحسينه وبالغوا في ذلك * ثم بعد استقلاله بالملك عشرين سنة أشرك معه في الحكم ابنه المدعواوسرتسن الاول وكتب ذلك في صحيفة وجدها ساليير وتعريب ما فيها

رفعتك يابنى من بين الرعية وأطلقت لك التصرف كى يخافوك ويهابوك أما أنا الآن فأترين برفيع الاقشة لأظهر للعيون كنبته من نبت بستانى وأعطر نفسى بالعطريات الكثيرة كأنما أشر على ماء من صهاريجى اه

وكانت مدة مشاركة ابنه له في الملك عشرين من غير منازعة بينهما فظهر ابنه بين الرعية بمظهر أطفأ مظهر أبيه واتسعت كلمته وعلت شهرته وكان للملك امنمختت كتاب بين فيه قصة حياته وكان نفيسا جدا حسن العبارة فتداول تعليمه أهل المدارس القديمة وتنافسوا في ذلك وكان ما يبطون يسميه باسم أقمس ومات بعد أن حكم ست عشرة سنة وفي رواية ثلاثين سنة فانفرد بالامر بعده ابنه أوسرتسن الاول الملقب بخبر كارع

(فى الملك أوسرتسن الاول)

لما مات الملك امنمختت استتب ولده أوسرتسن بالملك فكان ملكا جميلا القدر عالى الهمة محبوبا استمال اليه قلوب الرعية بمظهره العظيم وهو صاحب المسئلة الكبيرة المنصوبة بالمطربة وقد كانت أمام هيكل الشمس المدعو أتوم تعظيما لهذا الهيكل لما كان له من الشهرة الواسعة وكانت تؤمه الناس في كل وقت لأداء شعائر دينهم وصنع بجانبها مسئلة أخرى

ولكنها تكسرت ولم يبق لها أثر أما الأولى فباقية الى يومنا الذي نحن فيه وعليها نقوش
بالفلم الهرمسي قال صاحب العقد الثمين ومخلصها ان الملك المنصور حياة كل موجود سلطان
الوجه القبلي والبحري خير كارع صاحب التاجين وسلالة الشمس أوسرتسن المحب لمعبودات
المطرية دام بقاءه صنع هذا الاثر في مبداء العيد الرسمي لتخليد ذكره واحياء لهذا العيد اه
قال ماسيرو وكان هذا اليوم يعني يوم العيد الرسمي محترما عند المصريين حتى ان الملك
أوسرتسن الاول نصب فيه المسلمين المذكورتين في مدينة المطرية وكانت هذه المدينة
محددة بصور وفيها أصنام هائلة بين قائم على قواعد وقاعد على نصبات عجيبه طول كل صنم
منها ثلاثون ذراعا وأعضاؤه على تلك النسبة ووجد أيضا بجوار قرية بجيج جهة الفيوم لهذا
الملك مسلة ثلاثة عليها نقوش تتضمن أنه نصبها تعظيما لمعبودات الفيوم أمام باب هيكل قد
دمر الآن قال وكان في عصره رجل اسمه (امني) قد بنى له مقبرة في بني حسان مكتوبا
عليها مناقبه ومخلصها . ان ((امني)) هذا مات اليوم الرابع عشر من بؤنة سنة ثلاث وأربعين
من حكم الملك أوسرتسن الاول وقد كان سافر مع الملك في البحر والبر لقيادة الجيش المرسل
لقتال الاعداء في جهتي ((كنت)) و((أنو)) بلاد الايتيوبيا فتغلب عليهم وظفر بهم وعاد
معه سالما ثم أرسله الملك ثانيا بأربعمائة رجل لطلب سبائك الذهب من تلك الجهة فلما
أحضرها غمره باحسانه ثم عينه ثالثا لتوريد البقر الحلوب للقصر الملوكي فقام في تحصيل ذلك
خير قيام ثم جعله ناظرا على قسم ((سمع)) الذي كان شرقي المنية فلم يظلم في حكمه فقيرا
ولا أرمل ولا صيادا ولم يطرد راعيا ولم يستخر في أعماله أحدا بل سقى العطشان وأطعم الجوعان
ولما حصلت في زمنه السنون المجدة اجتهد في زرع جميع أرض قسمه وأطعم سكانه وجلب لهم
المأكولات فلم يجمع أحد منهم وكان بسوى في العطاء بين الأرمل والمتروجة وبين الكبير
والصغير ولما وفيت زيادة النيل أخذ كل زارع محصول أرضه من غير أن يأخذ منه (امني) شيئا اه
(ورأى أهل التاريخ) أن هذه الرواية قريبة من قصة يوسف عليه السلام فظنوا أن
أوسرتسن الاول هذا هو فرعون يوسف الذي وقع القحط في أيامه لاهل مصر وعندى
أن هذا الظن بعيد عن الصواب لان مدة يوسف بن يعقوب لا توافق هذا العصر واعتنى
هذا الملك أيضا باستخراج الاحجار النفيسة من جبل الطور وكان جليل القدر مسموع الكلمة
في تلك الاصقاع وكان من مشاهير عصره أمير اسمه ((منتوحتب)) قال صاحب العقد
الثمين وله قصة منقوشة على حجر في متحف بولاق حاصلها أنه كان ناظر الداخلية والحقانية
والاشغال العمومية والديانة وكان عادلا مشرعا عالما فهد كل أمر في ديار مصر وأقام شعائر
الدين وحامى عن الفقير والعاجز وأعطى الأمان لمن شاء وقايل أعداء الملك وتغلب على أهل
آسية وسكن هيجان الوادى والعبيد وكان له الامر والنهى في الوجه القبلي والتصرف في
وضع الضرائب على الوجه البحري وصنع له محرابا ملاصقا لمعبد أزوريس بالعراية المدفونة
وحفر فيه بئرا اه

وقبل موت أوسرتسن هذا رسم لهندسه المسمى مري أن يبنى له مقبرة فبناها وجعل بداخلها أودا بطرقات مقامة على أعمدة وجعل فيها حوضا متصلا بالنيل وعمل لها أبوابا ومسلات ووجهة من حجر طرا الأبيض ثم مات بعد أن حكم خمسا وأربعين سنة وفي رواية مانيطون ستا وأربعين وكان مانيطون يسميه سيسونخوسيس فقام بالأمر بعده امنمحت الثاني الملقب تب كورع

(في الملك امنمحت الثاني)

لم تذكر جماعة الكتاب عن الملك امنمحت هذا شيئا من الاخبار سوى ما قاله بعضهم من ان المصريين كانوا في أيامه في قتال وحروب هائلة مع طوائف الايتيوبيين بغية توسيع مملكهم وتقوية حدودها في تلك الانحاء وان الملك امنمحت المذكور كان متزوجا بالملكة نفرت ومعناها الجميلة وكان مانيطون المؤرخ يسمى هذا الملك باسم امنمست وقد حكم ثمانيا وثلاثين سنة ومات فقام بالأمر بعده الملك أوسرتسن الثاني

(في الملك أوسرتسن الثاني)

تولى الملك أوسرتسن الثاني فأحسن التدبير وحافظ على حدود المملكة واجتهد في بقاء شهرتها التي أوجدها أسلافه وقد كانت الحدود يومئذ تمتد الى بلاد الايتيوبيا ومن آثار عصر أوسرتسن الثاني المذكور مقبرة (خنوم حنب) الموجودة في بني حسان وعليها أجمل نقوش قال صاحب العقد الثمين وهي مبنية لبعض أحكام الوراثة في ذلك العصر اذ يفهم منها ان خنوم حنب بن (نحر) وأمه (بوقت) كان قريب الملك وصنع هذا الاثر لتخليد ذكره وذكر مستخدميه الذين عملوا الخيرات وذكر من امتاز من فلاحيه بالدرجة العالية وبين كل صمعة ووظيفة تحت رسم صورته وأخبر أن الملك امنمحت اثنى أورثه الحكم الذي كان لخدمته من أمه على البلاد الشرقية بجهة المنية وأورثه أيضا وظيفة الكهانة للعبودين (حور) (ونخت) التي كانت لخدمته أيضا بعد أن وضع له الحدود بنفسه في كل جهة ووزع على الاراضي مياه النيل كما كان جاريا لخدمته من قبله وسبب توريث الحكم اليه من جده هو ان الملك امنمحت الاول أمر بتعيين جده رئيسا على البلاد الشرقية بجهة المنية وبعد ان مهدا له وأخذ عصيان أهلها وأصلح ماضي منها وبين حدودها بنفسه ووضع عليها الضرائب على حسب المحصولات ووزع عليها المياه كما كان مقررا في اسجل جعل هذا الجد ناظرا على قسم (سعم) بعد أن بين له حدود ومياه ذلك القسم وأنعم على ابنه المرحوم (نخت) برتبة حاكم على مدينة المنية اذ كان له حق الوراثة فيها .

قال ولما تولى الملك أوسرتسن الاول أصدر قرارا مؤيدا للارشاد من ذرية الجدد برتبة الرئاسة فكانت والدتي ((بوقت)) هي السابقة في التروؤس على مدينة امنمحتت الاول المسماة سحتب أبرع في قسم سحع فساغ لها بذلك أن تتزوج بجاكم فتزوجها الحاكم ((نحر)) والذي وعلى ذلك أورثني امنمحتت الثاني رتبة الرئاسة على مدينة المنية التي كانت لجدي وذلك سنة تسع عشرة من حكمه فعملت ما فيه الاصلاح لهذه المدينة وأحييت اسم والذي ((نحر)) وشيدت المعابد ووضعت تماثلي فيها وربت لها ما يلزم للقرابين وعينت لها قسيسا أقطعته أراضى وأخدمته فلاحين وربت للاموات الصدقات في جميع أعيادهم الآتية وهي

عيد السنة الجديدة وعيد رأس السنة وعيد السنة الكبيرة وعيد السنة الصغيرة وعيد آخر السنة والعيد الكبير وعيد الحر الاكبر وعيد الحر الاصغر وعيد خمسة أيام النسيء وموسم ورود المحصولات ومواسم أنصاف الشهور الاثني عشر وفي كافة أعياد الأحياء ومواسم الأموات وشرطت أنه ان بدل كلهن شيئا من هذه الرسوم فهو معزول عن الخدمة ولا ينوب ابنه عنه انتهى

وكان خنوم حتب هذا من كبار المصريين وعظمائهم وكان يؤمه كثير من الناس لكرمه فمن أتى اليه قاصدا بابه عائلته من بنى عمو القاطنين بأسية وكانوا سبعة وثلاثين فرسهم في مقبرته بصورة أنهم قيام بين يديه خاضعون يشيرون اليه بالتحية ويسألونه أن يأذن لهم بالاقامة في جواره ورسم كاتبه المسمى نضر حتب كأنه يعرض عليه ورقة قال صاحب العقد الثمين مضمونها يعني مضمون الورقة المذكورة * في السنة السادسة من حكم الملك أوسرتسن الثاني قدم سبعة وثلاثون نفسا من بنى عمو وأحضروا معهم من جهة ((بتسو)) معدنا يسمى ((مستوت)) هدية منهم للملك وكان هذا المعدن مرغوبا جدا عند المصريين ولذا كانت عرب البقيع المسماة عموتأتى به الى أهل مصر اه

قال ويرى على قبر خنوم حتب رسوم دالة على كيفية الفلاحة وأعمال الجهادية وطرق الموسيقى وتربية المواشى ومبينة لصور الملوك والاعيان وملاعبب اللهو وبعض قواعد الاحكام وتدبير المنازل وأثاثاتها وفيها أيضا اعمال دينية وآثار تاريخية وفن الملاحاة وعلم الحيوانات قال فمن أراد الوقوف عليها فليتوجه الى بنى حسان وينظر رسمها في قبر خنوم حتب هذا وقد استنتج برکش من حكاية خنوم حتب أن الرتب والوظائف والرئاسة في الاقسام والمدن كانت تورثها الملوك الذكور عن آبائهم وأجدادهم وان الاجنبى كان لاحق له في الحكم الا اذا تزوج امرأة لها حق الوراثة فيه وأن الملوك كانت تباشر توزيع المياه على الاراضى وتسجيلها في الدفاتر وضبط مساحتها ووضع الضرائب اللائقة بها وبهذه العادة الجديدة كان يتنوع الظلم والخصومة بين الاهالى اه

ومات الملك أوسرتسن الثاني بعد أن حكم تسع عشرة سنة وقال مانيطون بل ثمانية وأربعين سنة وسماه باسم سيسوستريس فقام بالامر بعده الملك أوسرتسن الثالث الملقب خع كارع

(في الملك أوسرتسن الثالث)

تولى الملك أوسرتسن الثالث فكان شهما مهيبا صاحب عزم وحزم فانتسعت لذلك شهرته وكبرت شوكته وبلغت مبلغا عظيما جدا حتى عبده الناس بعد موته وقد غزا مرارا طوائف العبيد المقيمين في جنوب مصر رغبة في توسيع حدود المملكة وأنشأ في وادي حلفا بالقرب من الشلال الثاني القلاع والحصون وقد بقي منها قلعتان لا الآن يعرفان بقنه وسمنه لمنع دخول الأعداء جوف البلاد وفيهما يرى آثار الأسوار الشاحنة والبروج العالية والخنادق والنزلات وغير ذلك قال صاحب العقد الثمين وكان بداخلها معبد وعدة مساكن دمرت الآن وقد عثر على حجرين كانا مجمعين حدا فاصلا لبلاد مصر من جهة الجنوب مكتوب على أحدهما مانصه

هذا حدد مصر الجنوبي وضع في السنة الثامنة من حكم الملك أوسرتسن الثالث مخلد الذكر لا يجوز لأى أسود أن يتجاوز هذا الحد في أثناء سفره الأسفنا فيها حيوانات من بقر ومعز وحبر من قبل بنى الأسود اه

وفي آخر هذه الكتابة عبارة مضمونها لا يجوز لأى سفينة تابعة لبنى الأسود خلية من الحيوانات المذكورة الدخول أثناء سيرها في بلاد مصر الجنوبية والكتابة الموجودة على الحجر الثانى يفهم منها ان هذا الملك وضع سنة ست عشرة من حكمه هذا الحجر حدا فاصلا لبلاد مصر الجنوبية وأنه أمر بنصب تماثيل في تلك الجهة فلماذا ابتهل أهل النوبة بصالح الدعوات الى أوسرتسن هذا بعد وفاته ومدحوه بأنه كان حامي حجي مصر وكان رجلا مقداما ثم بعد مضي خمسة عشر قرنا أعنى في عصر العائلة الثامنة عشرة شيد له تمثال في الثالث معبدا في سمسه وكتب عليه ابتهالات كان يتلوها المصريون في ذلك الوقت وهذا تعريبها ملخصا أهمها الامراء الذين يحترمون معبودات جهاتهم اذا قريتم من هذا الأثر فأتوا هذا الابتهل الى معبود النوبة (توتون) والى الملك المرحوم أوسرتسن الثالث عسى أن يرجعنا لهذا وكان أوسرتسن الثالث المذكور كثير التعبد يحترم المعبودات ويشيد لهم الأبنية العظيمة وقد وجد على الآثار من قوله انه في اليوم الثامن عشر من كيهك سنة أربع عشرة من حكم الملك أوسرتسن الثالث مخلد الذكر وحج (نخم حر) معبود مدينة فقط صدر أمر منه بصنع أثر في وادي الحمامات (لحشف) معبود اهناش المدينة اه وله هرم في دهشور ثم مات بعد أن حكم ستا وعشرين سنة فقام بالامر بعده ملك امنمحت الثالث الملقب عنامت

(في الملك امنمحت الثالث)

تولى الملك امنمحت الثالث فأحسن التدبير وخلد له ذكرا لا يحصى بما شيدته في الفيوم

من المباني الجسمية والعمائر النافعة وذلك أنه لما كانت ديار مصر وزروعات أرضها بين عاملين هائلين هما الغرق والشرق وكان اذا وقع أحدهما في إحدى السنين كانت الطامة الكبرى على البلاد وأهلها وكان الملك امنمحت المذكور كبير العناية بأمر مملكته شديد الرغبة في اسعادها واربادها موارد الغنى والتقدم نهض الى تلا في هذه الاضرار وجعل البلاد في مأمن منها وكان في الصحراء الغربية من مصر بادية عظيمة تصلح للزراعة وهي التي تعرف الآن بوادي الفيوم وكانت كما قاله بعض الكتابات تتصل بوادي النيل الاصلى بقطعة من الارض كالبرزخ وفي وسطها قطعة أرض مستوية سطحها يضاهي سطح مزارع مصر وفي جانبها الغربي أرض منخفضة متسعة جدا تغريها مياه بحيرة طبيعية هي التي تعرف الآن ببركة قارون تبلغ من الطول أكثر من عشرة فراسخ فرسم بحفر بركة في وسط تلك القطعة الارض المستوية وجعلها مستودعا للماء عرفت ببركة موريس فان كانت زيادة النيل ضعيفة فحمت البركة المذكورة فيخرج من المياه المخزونة فيها ما يكفي لرى مزارع بادية الفيوم بل سائر أراضي الجانب الايسر من النيل الى البحر الابيض وان كان النيل كثيرا جدا بحيث يخشى منه تكسير الجسور صرف القدر الزائد عن المنافع الى تلك البركة الجديدة فان طغعت فيها المياه انصرف مازاد عنها الى بحيرة قارون بواسطة قنطرة تسد وتفتح بحسب الحاجة

وكان الملك يرسل في كل سنة قبل ارتفاع النيل جماعة الى النوبة يستكشفون زيادة النيل جهة سمته وقته ولذا يرى في تلك الجهة نقوش بالقلم البراني معناها على مارواه جماعة من الكتاب هكذا * الى هنا وصل ارتفاع النيل في السنة الرابعة عشرة من حكم الملك امنمحت الثالث خلد ذكره اه

قال العلامة ليسيوس وكان فيضان النيل في عصر العائلة الثانية عشرة يزيد عن أكثر فيضانه الآن جهة سمته وقته ثمانية أمتار وسبعة عشر سنتيمترا وان زيادته المتوسطة في عصر امنمحت الثالث تزيد على فيضانه الحالي سبعة أمتار اه

قال صاحب العقد الثمين فيتضح لك مما تقدم ان بركة قارون كانت طبيعية وبركة موريس صناعية وكانت الاولى كثيرة الاممالك والثانية يصب فيها ماء النيل من ترعتين وقت زيادته ثم يحجز فيها بواسطة سد فاذا كان وقت الشرق فتح هذا السد فيسقى الاراضي المجاورة ببركة موريس وكانت إحدى هاتين الترعتين تتفرع من النيل بجانبه الغربي ثم تجري تجاه بحر يوسف الحالي وكان باب السد موضوعا في مجمع الترعتين والترعة الثانية كانت تجري جهة الشمال وكانت معدة لتوزيع المياه على الارض عند الشرق وكان في وسط بركة موريس المذكورة هرمان في كل منهما عمال جالس فالهرم الاول كان فيه عمال زوجته المسماة سبك نفرو رع وقد وجد رسم هذه الملكة في صحيفة موجودة بمتحف بولاق وسماها اليونانيون باسم موريس يعني تلك البحيرة وأصلها (مرى) ومعناها (بحيرة) اذن عادتهم أن يضعوا حرف السين آخر

أسماء الاعلام عندهم فلذا حولوا كلمة مري الى مورييس وقالوا (بحيرة مورييس) زاعمين أن مورييس هذا اسم لاحد الفراعنة المصريين والحقيقة ليس بشئ قال بعض الكتاب وأما الفيوم فاصليها بايوم أوفايوم ومعناه بالهرمسية بلد البحر ثم عربها العرب فقالوا الفيوم وأطلقوه على نفس الاقليم تسمية للارض باسم الماء الذي أخصبها باقتراح الملك امنمحت الثالث ومن أعمال هذا الملك السراى الشهيرة باسم لايرانتا وتسمى بالقلم الهرمسي لا يوراحونت ومعناها معبد فم البحيرة وكان يتعقد فيها مجلس الاعيان من كهنة المصريين للداولة في أمور السياسة وكان بداخله اثنتا عشرة رحبة متقابلة الابواب ستة على الشمال وستة على اليمين وهذه العمارة محسدة من الخارج بسور كبير وفيها ثلاثة آلاف أودة منها ألف وخمسمائة في الدور الاول وألف وخمسمائة فوقها وفيها أيضا ايوانات ورحبات وجميعها مسقوفة بالحجارة ومقامة على أعمدة من الحجر الابيض منتظمة الصفوف وفي آخر هذه العمارة هرم مزين بالرسومات العجيبة والاشكال الغريبة يتوصل اليه بسرداب تحت الارض وفيه قبر امنمحت الثالث الذي دفن فيه

(وذكر استرابون) أن الاماكن التي داخل تلك العمارة كانت بعدد أقسام ديار مصر القديمة فكان لندوب كل قسم محل مخصوص فيجتمعون فيها إما بأمر من الملك أو على مقتضى قانون البلد لكي يتداولوا في أحوال بلادهم كوضع الرسوم والاموال وتغيير الملك أو العائلة وهذه العمارة موضوعة في الجهة الشرقية من بحيرة مورييس على ربوة واسعة مربعة طولها مائتا متر وعرضها مائة وستون مترا وكانت وجهتها المظلة على بحيرة مورييس مصنوعة من الحجر الابيض فان دخلها انسان ضل عن الطريق ولم يهتد للخروج منها لكثرة أماكنها وأجبارها مجلوبة من وادي الحملات بدليل ما وجد على صخور الوادي المذكور من النقوش الدالة على انه في السنة التاسعة من حكم الملك امنمحت الثالث سار هذا الملك بنفسه الى هذا الوادي لجلب الحجارة للعمارة الجارية العمل فيها بمدينة الفيوم وصنع تماثلا لنفسه على شكل جالس ارتفاعه خمسة أذرع وهو المذكور آنفا ويرى أيضا في وادي الحمامات نقوش أخرى تفيد أن الملك أرسل هناك جماعة من المهندسين لمباشرة قطع ونحت الاجار ولعمل التماثيل المطلوبة له ووجد فيه أيضا نقوش من أعمال بعض رجال دولته يفهم منها أن لهذا الملك مآثر كثيرة منها استخراج بعض المعادن من بحيت جزيرة جبل الطور وأخصها معدن الفيروزج ومنها انه قاتل الزنج وفتح بلادا كثيرة اه

ومات الملك امنمحت الثالث المذكور بعد أن حكم اثنتين وأربعين سنة وقال مانيطون بل حكم ثمان سنين وكان يسميه باسم أهرس فقام بالامر بعده الملك امنمحت الرابع الملقب معت خوروع وأخته الملكة سبك نفرورع

(في الملك امنمحت الرابع)

وأخته

(الملكة سبت نفرو رع)

تولى الملك امنمحت الرابع وأخته الملكة سبت نفرو رع معا وحكما بالاشتراك وكانت ولاية أخته بحق الوراثة كالملكة (نيثوقرس) من العائلة السادسة ولم يعلم من أخبارهما شيء يذكر غاية ما كتبه أصحاب التاريخ أنه قد استمدل من الآثار على أن حدود المملكة المصرية كانت تمتد في عصر هذه العائلة الى بلاد النوبة وكانت ملوكها متسلطة على بحيث جزيرة الطور وكان بين المصريين وبين سكان ليبيا الشمالية وأهل أسية أشغال ومعاملات تجارية كان مركزها بين مدينتي نخسوف واهناس المدينة ولهذه الاسباب اختلط المصريون بالليبيين فتعلم المصريون عن الليبيين ألعاب المصارعة * وكان الزوج في أيام هذا الملك يأتون الى بلاد مصر أفواجا لخدمة أهلها وكانت العلوم والصنائع في أيام هذه العائلة بالغة حد الكمال والمدارس في نجاح وتقدم وحدود البلاد وأقسامها وحركة نيلها في انتظام غريب وأنفن فن البناء وصناعة الاجبار ولذلك قال أصحاب التاريخ إن أغلب ما يوجد في الاقاليم القبلية من الاعمدة الحزونية الشكل هو من أعمال هذه العائلة دون غيرها

ومات الملك امنمحت الرابع المذكور وأخته الملكة نفرو رع ولم يذكر أصحاب التاريخ أيهما مات أولا وإنما يستنتج من جدول أسماء هذه العائلة المنقول عن الآثار وجدول مانيطون المؤرخ أن مدة حكم الملك امنمحت الرابع المذكور كانت تسع سنين وثلاثة أشهر وسبعة أيام حسب الآثار وثمان سنين حسب ما قاله مانيطون وكانت مدة حكم الملكة نفرو رع سنة واحدة وعشرة أشهر وأربعة وعشرين يوما كما دلت عليه الآثار وأربع سنين كما رواه مانيطون وبموتهما انقرضت الدولة الثانية عشرة المذكورة وقامت بعدها الدولة الثالثة عشرة الطيبة

(الفصل الثاني)

(في العائلة الثالثة عشرة الطيبة)

كان مبدأ حكم هذه العائلة سنة احدى وخسين وثمانمائة وألفين قبل الميلاد المسيحي

أى سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة وثلاثة آلاف قبل الهجرة وسنوملكها أربعمائة وثلاث وخسون سنة وقيل غير ذلك وعدة ملوكها سبعة وثمانون وقيل غير ذلك

وقد خفي على أهل التاريخ معرفة أسماء ملوك هذه العائلة وما لهم من المآثر وغاية ما قالوه عنهم ان أكثرهم كان يلقب بلقب (سبك حنب) (ونفر حنب) قالوا وبالبحث في الآثار القديمة وجد كل من لقب سبك حنب ونفر حنب منقوشا على الايجار القديمة ولكن لم يعلم من أى عائلة هو ولما عثر أصحاب العلوم الأثرية على نقوش على الصخور التى بجهة سمنه مضءونها أن الملك (سبك حنب الاول) كان حيا على عهد الملك (أوسر تسن) الثالث استنجوا من ذلك أن ظهور هؤلاء الملوك الملقين باللقبين المذكورين كان عقب العائلة الملوكية الثانية عشرة وقد وجدت أسماءهم مرتبة فى جدولين على صحيفة من البردى ممزقة وهى موجودة بمتحف تورينو بإيطاليا قالوا وعدتهم سبعة وثمانون ملكا كما تقدم

ولم تعلم أسماءهم كلهم الا القليل منهم وهم كما ذكرهم صاحب العقد الثمين ر ع خوتاوى الملعب سبك حنب الاول . وسخنم كارع . ورع امنمعت الاول . وسخنم أبرع الاول . وأوفتى . وسخنم أبرع الملعب أم-نى أنتف امنمعت . وسمن كارع . وسخنم أبرع الثانى . و... كارع . والعاشر لم يعلم اسمه . والحادى عشر اسمه نزم أبرع . ثم ر ع سبك حنب الثانى . وبران سنب . وأتو أبرع الاول . وسنزف .. ر ع . ورع سخنم خوتاوى الملعب سبك حنب الثالث . ورع أوسر .. وسخنم كارع الملعب مرمشا . و... كارع . و... أوسر . ورع سخنم سوزتاوى الملعب سبك حنب الرابع . وخع سيشش ر ع الملعب نفر حنب بن حاعنف . ورع ساحاتور . وخع نفر ر ع الملعب سبك حنب الخامس . وخع كارع . وخع عنخ ر ع الملعب سبك حنب السادس . وخع حنب ر ع الملعب سبك حنب السابع . وح أبرع الملعب يعب . ومر نفر ر ع الملعب أبى . ومر حنب ر ع . وسخنم ر ع الملعب أوتو . ومر سخنم ر ع الملعب أزن . وسوز كارع .. أورع . وأغم .. رو . ومن الخامس والثلاثين الى الثالث والاربعين ساقط من الاصل . والرابع والاربعون هو مر خپر ر ع . ثم مر كارع . ثم من السادس والاربعين الى الخمسين ساقط . ثم مس . ورع معت .. الملعب أبا . و... ر ع أوبن الاول . و... كا . ورع .. تن . ورع وسابع خسيهم لم يعلم له اسم . وثامن خسيهم اسمه نحسى ر ع . ثم خع خور ر ع . ثم بيف عا أتورع . وسخنم ر ع . ومرز فارع . وسوز كارع . ونبز فارع . ورع أوبن الثانى ومن سادس ستيهم الى سابع ستيهم ساقط . واسم ثامن ستيهم ... زف عرا . ثم ... ر ع أوبن الثالث . ثم .. أتو أبرع الثانى . وحرابرع . ونب سن ر ع . ومن ثالث سبيهم الى سادس سبيهم ساقط . ثم سابع سبيهم سخنم ر ع . ثم دد خور ر ع . وسخنم كارع . ونفرتوم .. ر ع . وسخنم ... ر ع

. وكا . . . رع . ونفر اربع . ورع ورع خع ونزكارع . وسمن . . . رع . وهو سابع ثمانهم

وكانت المملكة المصرية في عهد هذه العائلة حافظة لمجدها باقية على حالها من بعد الصيت واتساع الكلمة بل كبرت حدودها عما كانت عليه واتسعت وكان الملك الثالث منها وهو المسمى (سبخ أبرع) له لقب محتوع على ثلاثة أسماء ملوكية وهي امفي . وانتف . من العائلة الحادية عشرة (وامنمحت) من العائلة الثانية عشرة وابتنى له هرما سماه (أمي خورب) قالوا ولم يعلم له محل للآن

وللك السادس عشر من هذه العائلة المسمى (سبك حتب) الثالث نقوش بقرب سمته على صخور بشاطئ النيل رأسية الوضع صعبة المرق مكتوبة على ارتفاع سبعة أمتار فوق ما يبلغه زيادة النيل الآن ومعناها ان ماء النيل وصل ارتفاعه الى هنا في السنة الثالثة من حكم جلالة الملك (سبك حتب) الثالث خلد ذكره

وأما الملوك الاربعة الذين هم (سبك حتب الرابع) (ونفر حتب) (ورع ساحاتور) (وسبك حتب الخامس) فقد تركوا من الآثار ما دل على أنهم كانوا حقيقة في عداد ملوك هذه العائلة قال صاحب العقد الثمين وقد عثر على تمثال الملك سبك حتب المذكور المتخذ من حجر الصوان في صان فدل وجوده هناك على أنه كان حاكما على الوجه البحري كما ثبت ذلك أيضا للملك سبك حتب الخامس لوجود تمثاله المحفوظ الآن بمتحف باريز في تل بسطة وكذلك استدل على وجود تمثال وأسماء بعض ملوك هذه العائلة في جزيرة (ارجو) وفي جهة الكاب بمقبرة (سبك نخت) على أنهم كانوا حاكمين على الوجه القبلي والنوبة وكان لهم عليها الصولة والقوة حتى وضعوا فيها تمائيلهم اثباتا لحسبهم وتذكروا بسلطتهم عليها وقد ذهب بعض أصحاب التاريخ الى أن المعالقة الذين هم الرعاة قد دخلوا ديار مصر في أيام هذه العائلة ولكن الآثار الدالة على تملك هذه العائلة على جميع ديار مصر والنوبة تكذب هذا المذهب اه وانقرضت هذه العائلة وبانقراضها قامت بعدها العائلة الرابعة عشرة السخاوية المنسوبة الى مدينة سخا التي هي من بلاد مديرية الغربية الآن

الفصل الثالث

(في العائلة الرابعة عشرة السخاوية)

كان مبدأ ملك هذه العائلة سنة ثمان وتسعين وثمانمائة وألفين قبل الميلاد أي سنة عشرين وثلاثة آلاف قبل الهجرة وسنوا ملكها مائة وأربع وثمانون سنة وفي رواية

أربعمئة وأربع وثمانون سنة والاول أقرب الى الصواب وعدة ملوكها ستة وسبعون ملكاً ولم يذكر مانيطون الكاهن شيئاً من أخبارهم ولا تعرض لذكر أسمائهم فخذوا هذه بقية الكتاب قال صاحب العقد الثمين ~~وكذا~~ لم يبلغنا من غيره يعني غير مانيطون ولا من الآثر رواية عنهم ولكن بالاطلاع على صحيفة تورينو وجد مذكوراً فيها بعد ملوك العائلة السابعة جلة ملوك تنسب لهذه العائلة يعني الرابعة عشرة المذكورة وجميعها محصورة في الجدل ولين الأخيرين منها وأكثرها متلاش وهم رع سخب رع . ورع مرزفا . ورع سفتكا . ورع زفار رع خب . ورع أوبن . وسادسهم وسابعهم سقطا من الاصل ثم جاء بعدهما رع نب زفا . ورع أوبن . ورع سفوتوحت . ورع حرت . ورع نب سنو . وثالث عشرهم ورابع عشرهم ساقطان من الاصل . ثم جاء خامس عشرهم وهو رع ب ثم مخبر رع . ورع ددخرو . وسعنتكارع . ورع نفر باي . ورع سخم . ورع كا ورع نفرحت . ورع آ ورع خعو . ورع نفر كا . ورع سن . وسابع عشرهم وثامن عشرهم سقطا من الاصل . ثم جاء تاسع عشرهم وهو رع أوسر . ثم رع ورع سخم ورع سخم س ورع سن . ورع نب أرى . ورع نب أتن . ورع سمن أوسر ورع سا أوسرات . ورع سخم حرو . ومن تاسع ثلاثيهم الى خامس ستيهم ساقط من الاصل . وكذلك سادس ستيهم غير مرفوم . ثم جاء سابع ستيهم وهو رع سنفر كا . ثم رع منخوو . ومن تاسع ستيهم الى ثاني سابعهم ساقط من الاصل . وكذا ثالث سابعهم غير مرفوم . ثم جاء رابع سابعهم وهو حانلحا . ثم (ينوو) خامس سابعهم وهو آخرهم

قال ماسيرو وكان انقراض هذه العائلة مسبباً عن عصيان الرعية وشقهم عصا طاعة اخر ملوكها فذهبت على يد من ظهوروا من ملوكها حاملي الذكر اه قال صاحب العقد الثمين ولعل الملك رعنخعو الملقب (عن أب) هو من ملوك هذه العائلة وله أثر في دار التحف المصرية يدلنا بوجه التقريب على درجة الصناعة في ذلك العصر اه وقال ماريت ان آثار هذه العائلة توجد بأسبوط اه وبانقراض هذه العائلة قامت بعدها العائلة الخامسة عشرة وارتقت منصة الاحكام

الفصل الرابع

(في العائلة الخامسة عشرة)

لم يعلم أحد من أهل التاريخ مبدأ ظهور هذه العائلة ولا سني ملكها ولا عدة من ملوك منها بالتحقيق غاية ما جاؤا به أن ملوكها ينقسمون الى قسمين وطنيين وأجانب فالوطنيون لم يعلم

عنهم شيء سوى أنهم كانوا قابضين على زمام الاحكام بالاقاليم القبلية وكانت قاعدة مملكتهم مدينة طيوه . والاجانب كانوا يعرفون بالرعاة وبالعمالقة وعدتهم ستة ملوك وقد حكموا البلاد وساسوها زهاء مائتي سنة وتسع وأربعين سنة وكانت قاعدة مملكتهم مدينة أواريس بالاقليم البحري وأول من ملك منهم الملك سلاطيس وهو الذي تسميه العرب الوليد ابن روقع

(في الملك سلاطيس المعروف عند العرب بالوليد بن روقع)

هو أول ملوك هذه العائلة وقد ارتقى منصة الملك بعد اغارة قوميه على الاقاليم البحرية من ديار مصر وأخذها من الملوك المتأصلين وتحرير الخبر أنه في نهاية أيام آخر ملوك الدولة الرابعة عشرة السخاوية جاء الى ديار مصر طوائف مختلفة الاجناس تحت راية الوليد ابن روقع وهو المسمى عند اليونان باسم سلاطيس ونزلوا مصر السفلى والوسطى وحاربوا من فيهما وتغلبوا عليهم بعد هجمات متتابعة وحروب هائلة وقيل بل بدون كبير معارضة لان أهل البلاد كانوا يومئذ في ثورة وخروج وكان هؤلاء الاقوام كثيرين جدا فانبثوا في البلاد وعاثوا وأفسدوا وأحرقوا المعابد والهيكل ودمروا الكثير منها ورسم سلاطيس المذكور ببناء القلاع والحصون بدلها وأكثر من سفن الدماء والقتل والسلب فنزح أكثر الاهالي وساروا مع من بقي من بيت الملك المتأصلين الى الاقليم القبلي واستقروا بمدينة طيوه واتخذوها تختا لملكهم فشكن سلاطيس المذكور الاقليم البحري بالجند والاسلحة ومعدات الحرب تحرزا من هجمات المصريين وجعل مدينة منف تختا لمملكته ورتب نظام الاحكام وضرب الجزية على من بقي من المصريين بالاقليم البحري وانتقل من هذا الحين ملك البلاد الى الرعاة ماعدا الاقاليم القبلية فانها بقيت مستقلة تحت حكم العائلة المتأصلة المصرية في مدينة طيوه التي هي دار الفراعنة وصار من هذا اليوم في ديار مصر مملكتان مملكة الفراعنة ومملكة الرعاة المتغلبين على منفيس قال مانبطون ولما غضب الله على مصر أرسل اليها من المشرق أمة خبيثة قوية شديدة البأس فاستولت عليها بلا حرب ولا قتال واستعبدت أهلها ورؤساءها وهدمت معابدها وهياكلها وسبت الاولاد والنساء وملك عليها ملكا جديدا من هذه القبيلة الهكسوسية أقام في مدينة منف وهو الملك سلاطيس ومن فرّ ونجا من أنفاز العائلة الملوكية ذهب الى الصعيد والى ساحل البحر الاحمر وتحصنت هذه القبيلة بالقلاع والمعقل والحصون وتمكنت من الاقاليم البحرية والوسطى وفعلوا بأهلها مالا خير فيه ولم يبق للدولة المصرية المتأصلة الا ملك الصعيد وكانت دار ملكه مدينة طيوه انتهى ووفد على الملك سلاطيس هذا جوع كثيرة من أهل أسية فاتخذ له منهم عسكريا ليأمن

شر الكنعانيين القائمين في بلاد الشام ومن بقى من سلالة الملوك المصريين المتأصلين ومن العرافيين فابتنى القلاع والحصون في المواقع النافعة وحشد أكثر جنده جهة مدينة السويس الآن وبني في مدينة أواريس معسكرا عظيما وأنشأ حولها الخنادق والحصون وبالغ في ذلك جدافها به المصريين واتسعت كلمته وطارت شهرته وظل يدبر الامور تسع عشرة سنة ثم مات فقام بالامر بعده الملك (بنون) وقد قضى أكثر سنى ملكه في قتال ملوك طيموه وإخضاعهم وجعلهم تحت طاعته فلم يفلح ثم مات بعد أن حكم أربعاً وأربعين سنة

فقام بالامر بعده الملك (الخناس) فتجرد كذلك لقتال ملوك طيموه وغيرهم من الملوك المتأخرين ومات بعد أن حكم ستاً وعشرين سنة وسبعة أشهر

فقام بالامر بعده الملك (آبى الاول) وكان مغازيا كثير الحروب والقتال مع الملوك المصريين ومات بعد أن حكم احدى وستين سنة

فقام بالامر بعده الملك (يانا) ومات بعد أن حكم خمسين سنة وشهرا ولم تذكر جماعة الكتاب من أخباره شيئا

فقام بالامر بعده الملك (أسس) وهو سادسهم وآخرهم ومات بعد أن حكم تسعاً وأربعين سنة وشهرين وانقرضت بموته هذه العائلة كما قاله أهل التاريخ وكانوا كلهم قساة غلاظ القلوب فابغضهم المصريون بغضا عظيما وكرهوهم كرها زائدا . قالوا وأصل هؤلاء الملوك مجهول فن قائل انهم من العبرانيين ومن قائل بل هم تتار وتركان وبعضهم يجعلهم صوريين وكنعانيين والاقترب الى الحقيقة انهم من جهة الجواز وبلاد الشام المتأخرة لدير مصر قال علماء الآثار فقد شوهد من هيئة أشكالهم المرسومة على كثير من الآثار القديمة أن صورهم كلها مرسومة بالوشم الأزرق وهم متشكون بجلود الغنم وهذه الاشارات من الأدلة الناطقة بانهم من العرب لامن العبرانيين ولامن غيرهم ولا سيما أن دوائسهم في بلاد مصر كانت تعرف بهيك سوس يعنى الملوك الرعاة قالوا لان لفظة هيك عند قدماء المصريين معناها الملك وسوس معناها الرعاة فاذا زيد عليها واو وقيل سوسو كانت بمعنى العرب وتطبيق هذا الرسم على ما يوافق به بالقلم البربانى وجدت كلمة (حق شاسو) موافقة له لان معنى حق ملك ومعنى شاسو أيضا البوادي وقال ماسيرو ان معنى شاسو اللصوص من عرب البوادي فسماهم المصريون بهذا الاسم لدناعة أصلهم

وذكر ما ريت أن قبائل الهيكسوس كانوا أخلاطا من العرب وأهل الشام وكانت أكبر قبيلة حاكمة عليهم تسمى بالقلم الهرمسي (خيتا) وفي التوراة الخيتيين وفي كتب العرب العمالة وبعد ان أقاموا في ديار مصر مدة طويلة مالوا الى حضارة أهلها فتأسوا بهم وغلبت عليهم طباعهم فتركوا القنطرة والغلظة ومالوا الى محبة الرعية وإحياء ما ندرس من معالم التمدن والعمارية واستخدموا الكثير من كتاب المصريين ونقلوا بالقاب الفراعنة ودانوا بدينهم وفتحوا المدارس لتهديب أولادهم واعتنوا بالامن والراحة واختاروا المصالح دولتهم رجالا

ممكنين من أولى المناصب والرتب العالية واتخذوا مدينة صان تختالهم وفتحوا معابدها
وأكثروا من العمار فيها حتى صارت من أعظم المدن شهرة وتغلبوا على الوجه القبلي ونزعوه
من أيدي الملوك المناصلين واستولوا على كافة أنحاء مصر القبلية والبحرية وطالت أيامهم
وتعاقبت ملوكهم وعم نفوذهم مشرق البلاد ومغربها وبانقراض هذه العائلة انتقل الملك
إلى العائلة الثانية منهم وهي العائلة السادسة عشرة المعروفة بالصانية

الفصل الخامس

في العائلة السادسة عشرة الصانية

كان مبدأ ملك هذه العائلة سنة أربع عشرة ومائتين وألفين قبل الميلاد أى سنة ست
وثلاثين وثمانمائة وألفين قبل الهجرة وسنو ملكها خمسمائة واحد عشر سنة وعدد
من ملك منها اثنين وثلاثين ملكا كلهم من الرعاة الذين هم الهيكسوس كما رواه مانيطون ولم يذكر
من أسمائهم سوى اسم ملك واحد وهو (آباني) وسماه (أبوفيس) وتسميه العرب الريان
ابن الوليد الملقب (رعا كئن)

(في الملك آباني أو أبوفيس الملقب رعا كئن) (الذي تسميه العرب الريان بن الوليد)

قال بعض الكتاب الغالب أن مانيطون المؤرخ لم يأت بذكر الملك (أبوفيس) هذا
دون من ملك من هذه العائلة إلا لشهرة أيامه وأهمية ما وقع فيها من الحوادث والانباء اذ هو
الريان بن الوليد الملقب رعا كئن وهو فرعون يوسف عليه السلام وفي أيامه وفدت السيارة التي
اشتري يوسف من اخوته بعد اخراجه من الحب فباعه مالا كسير هؤلاء السيارة إلى وزير
مصر قفطير ويسمى بالقلم القديم (بدوفر) ومعناه هدية الشمس فلما اشتراه قفطير أتى به إلى
بيته وقال لامرأته رعا بيل بنت رعا بيل أكرمي مثواه فلما رأت حسنه عشقته وأحبته حباً
كبيراً وراودته فامتنع وقال لها كيف وزوجك سيدي وقد أكرم مثواي فلا يصح لي أن
أخونه فكان من أمر سجنه ما جاءت به الكتب وكانت الحبوس يومئذ في الجانب البحري
من سقارة قال صاحب العقد الثمين ومكانه معروف للآن عند أهل تلك الجهة اهـ

وكان معه في السجن فتيمان هما ساقى الملك وخبازاه وكان من أمر رؤياهما وما قاله لهما يوسف ما جاء في الكتب المنزلة وبعد مكنه في السجن بضع سنين رأى فرعون رؤيا هي أن سبع بقرات سمان وسبع بقرات عجاف خرجن من نهر يابس فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وأفركت وسبعا أخرى يابسات قد استحصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبتها فجمع السحرة والكهنة وطلب منهم تفسير هذه الرؤيا فقالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين فعند ذلك أخبر الساقى عن يوسف فأرسله الملك اليه في السجن ففسره له يوسف هذه الرؤيا كما جاءت به الكتب المنزلة فكان ذلك سببا في خروج يوسف من السجن وجعله الملك (زافنات بنياخ) ومعناه أمين على خزان الأرض فأشار على الملك حينئذ بأعمال الخزان لجعل الطعام فيها بقصه ومنبهه وأن يرفع الخس من طعام الناس مدة سبع السنين المخصصة فأمر الملك ففعلوا ما أشار به يوسف فكفى يوسف أهل مصر ومن تأخها مدة السبع سنين المجدة وفي خلال ذلك جاء بنو يعقوب في مصر وتعرفوا بأخيه يوسف وأقاموا نحو أربعين سنة بمدينة تعرف الآن بالسهرج بمدينة الشرقية وقصتهم مذكورة في التوراة

قالوا وقد استدل جماعة الكتاب على حصول القحط في أيام يوسف عليه السلام بما عثروا عليه من النقوش على أحد مقابر قرية الكاب لرجل من المصريين اسمه (بابا) ويلقب (آباتا) وهو من أقارب ملوك العائلة الثالثة عشرة وكان معاصرا ليوسف قال صاحب العقد الثمين وتعرّيهما كنت ذا قلب رؤف لا آلف الغضب ولذا أكرمتني المعبودات بالخير الجزيل في دار الدنيا وكان أهل بلدي وهى الكاب تهتئني بالصحة والسلامة وكنت أقتص من المسيئين ورزقت من الاولاد مدة حياتي باثنين وخمسين ولدا صغيرا وكبيرا بين ذكور وإناث وكان لكل واحد منهم سرير وكرسى وسفرة وكانوا يأكلون في كل يوم مائة وعشرين مدا من القمح والحبوب وكان لهم ثلاث بقرات حلوبة واثنان وخمسون بقرة وثمانية جدير وكانوا يحرقون من البخور ما ينيف عن الهين ويصرفون من الزيت ملء زجاجتين فان ناقضى أحد في قولي وطن أنه أضحوكة فأشهد المعبود (موت) على ما قلته من الحق وانى أحضرت جميع ذلك في بيتي وكنت أعطى اللين الرائب في قدر والبوظة في قدر طويل ضيق الرأس يعرف بالدلق بمقدار يزيد عن الهين وجمعت قمحا كثيرا محبة للمعبود الطيب أى الملك وكنت متيقظا وقت الزراعة في السنين المخصصة

قال ولما حصل القحط في كثير من السنين كُنت أعطى القمح لاهل المدينة في كل جماعة وبمذا يعلم أن تنبه زمن الزراعة وصرفه الغلال للناس وقت المجاعة هو إشارة بلا شبهة الى سنى يوسف المخصصة والمجدة اهـ (كما رواه برکش)

الهين بكسر الهاء وسكون النون كبل معروف عندهم

وقامت في أيام هذه العائلة فتنة دينية بين الملوك وأمراء الاقاليم القبلية وكبرت واستفحل أمرها ومازالت حتى انسح الوجه القبلي عن حكم الرعاة المذكورين وعاد الى حكم ملوك المتأصلين وكان أول من ظهر منهم الملك (تاعا الاول) وأسس في الاقليم القبلي العائلة السابعة عشرة وهي العائلة المتأصلة وكان ذلك في أيام الملك (اياي) الملقب رعا كنن الذي هو آخر الملوك الرعاة من العائلة السادسة عشرة المذكورة

الفصل السادس

(في العائلة السابعة عشرة)

لم يعلم أحد من أهل التاريخ مبدأ ظهور هذه العائلة ولا سنى ملكها غاية ما جاؤا به عنها ان عدد من ملك منها ستة ولم يأتوا بشئ من أخبارهم لا بالاجال ولا بالتفصيل . قالوا وفي عصر هذه العائلة كانت مصريين حكومتين الاولى في الاقليم البحري وجزء من الاقليم القبلي وهذه كانت ملوكها من الرعاة وعددهم ثلاثة وأربعون ملكا لم يعلم اسم أحد منهم سوى الملك اياي . رعا كنن . وكانت قاعدة ملكهم مدينة صان والثانية في الصعيد الاعلى وملوكها من الوطنيين المتأصلين وقاعدة ملكها مدينة طيوه وعددهم ثلاثة وأربعون ولم يعلم منهم سوى ستة لا غير وهم تاعا الاول الملقب رعسكنن الاول وتاعا الثانى الملقب رعسكنن الثانى وأليسفر غموثوريس وتموزيس وتاعا كنن الملقب رعسكنن الثالث وكلمس الملقب رعوز خبر * ولتسكنكم على كل ملك منهم بالتعاقب واحدا فواحدا وأولهم الملك تاعا الاول

(في الملك تاعا الاول الملقب)

(رعسكنن الأول)

قال جماعة الكتاب لما ارتقى تاعا الاول منصة الملك نهض الى استخلاص البلاد من أيدي العالقة والاستبداد بالملك وجيش لذلك جيشا ضخما للغاية وقاتل الرعاة المذكورين وقام لنصرته الامراء من أهل البلاد الذين هم من أنحاذ العائلات الملوكية المتأصلة وأمدوه بالذخيرة والرجال ومازالوا يطاردون الرعاة والحرب بينهم سجال حتى أجلوهم عن مصر الوسطى ودفعوهم الى مدينة منف فأقاموا فيها ما استطاعوا ولما رأى تاعا الاول من قيام هؤلاء الامراء ليجدهه واستخلاص الوطن من الاغراب

عينهم نظارا على أقسام مملكته وأباح لهم التلقب بلقب (سوتن) ومعناها ملوكي تعظيما
لشأنهم حيث هم من نسل الملوك . وفي أيام الملك أليسفرغموثوريس ركب عليهم أيضا
وقاتلهم ليطردهم من البلاد وما زالوا حتى أجلاهم عن منف أيضا فالتحازوا بجنودهم إلى مدينة
أواريس التي بها معسكرهم واستقروا بها حقبة من الدهر آمنين ثم قام عليهم الملك رعسكن
الثالث وقاتلهم وكذلك الملك كامس وغيرهما من ملوك هذه العائلة الذين لم تعلم أسماءهم
لجماعة الكتاب فلم يستطيعوا إخراجهم من أواريس لمنعتها وظلوا حاكمين على أواريس
المذكورة وما جاورها من المدن والبلاد حتى تغلب عليهم الملك (أموسيس الاول) رأس
العائلة الثامنة عشرة التي قامت بعد هذه العائلة . قال بعض الكتاب ولم يبلغ كره المصريين
للرعاة حد ما ذكره بعض أهل التاريخ فقد كانوا في آخر أيامهم هم والمصريين على وفاق
ووثام حيث شيدوا لهم المباني العظيمة وابتنوا المعابد الكثيرة كما تقدم فبالوا إليهم
وأحبوهم وسمى بعض المصريين أولادهم بأسماء الرعاة تفاؤلا وبانقراض هذه العائلة ثم
انقراض الطبقة الثمانية بأسرها فظهرت بعدها الطبقة الثالثة التي هي الطبقة الأخيرة

الباب الثالث

(في الطبقة الثالثة)

كان ظهور هذه الطبقة سنة ثلاث وسبعمئة وألف قبل الميلاد أي سنة خمس وعشرين
وثلاثمئة وألفين قبل الهجرة وتبدأ بالعائلة الثامنة عشرة وتنتهي بالعائلة الحادية والثلاثين
التي هي العائلة الفارسية عبارة عن أربع عشرة عائلة وسنو ملكها ألف وثلاثمئة واحد
وثلاثون سنة وفي رواية ألف وثمانمئة وست وستون

الفصل الاول

(في العائلة الثامنة عشرة الطيمية)

كان مبدأ حكم هذه العائلة سنة ثلاث وسبعمئة وألف قبل الميلاد أي سنة خمس
وعشرين وثلاثمئة وألفين قبل الهجرة وهو مبدأ ظهور الطبقة الثالثة وكان عدد
من ملك من هذه العائلة أربعة عشر ملكا وسنو ملكهم مائتي سنة واحد وأربعين سنة
وأولهم الملك أموسيس الاول وتسمى هذه العائلة بالطيمية

(في الملك أموسيس الاول)

(الذي يقال له)

(أحممس الاول)

كان مبدأ ظهور الملك أموسيس الاول مظهورا لطبقة جديدة وعائلة حازت السود والفخار وعلو الكلمة فقد انفردت بالشوكة الملكية والسطوة الاهلية وامتدت حدود مملكتهما امتدادا سريعا وزادت ثروتها وتكاثرت عماراتها وكان أموسيس المذكور مصاهرا للملك الايتيوييا بزواج ابنته المسماة (أحممس نفرت آرى) فتعاهد معه على إخراج العمالة من أرض مصر والنهج على منوال أسلافه من الفراعنة المتأصلين وأخذ في التأهب والاستعداد وتجهيز الجند فلما كانت السنة الخامسة من ملكه سار بجيش عظيم وانضم اليه الامراء المصريون الذين هم من سلالة الملوك المتأصلين حتى نزلوا حول قلعة أواريس وحاصروها برا وبحرا وضيقوا عليها وشددوا حتى فتحوها عنوة وطردها من كان بها من العمالة وتبعهم الملك أموسيس بعسكره حتى أدخلهم قلعة (سروحن) في حدود أرض كنعان وكانت هذه القلعة غاية في المنعة والضخامة وقد أنشأها العمالة ليتحصنوا فيها عند الحاجة فحاصرها ثم هجم بجيشه عليها وأخذها وأسر من العمالة خلقا كثيرا ففر من بني قبيصهم بعسكره حتى عبروا الفرات فتركهم وعاد منصورا وقد تخلصت البلاد من أيديهم وانفكت من قيود العبودية والاسر بعد أن تسلطوا عليها ستائة سنة وفي رواية أربعائة سنة

وبقي من العمالة قوم في جوف البلاد فأظهروا الطاعة والخضوع للملك البلاد فأزلهم على سواحل المنزلة وأقطعهم الاراضي التي كانت بيد أسلافهم ليشيخوا من غلاتها ولم تستقر به الراحة بعد قتال العمالة وأخرجهم حتى خرج عليه أهل النوبة وعصوا أمره وشقوا عصا طاعته فسار لقتالهم وظهر عليهم وأرجعهم الى الطاعة ولما رأى الايتيوييون من منزلة زوجة الملك أموسيس عند المصريين واعتبارهم لها وهي من جنس الايتيوييين خضعوا له وأطاعوه بغير قتال احتراما لقدس زوجته فاستعت عند ذلك كلمته وعلت على جميع الديار المصرية من الشلالات الى البحر الابيض المتوسط لايعارضه في حكمه أحد قال بعض الكتاب وقد استمرت نار الحرب والقتال مضطربة بين ملوك الرعاة والملوك المتأصلين زهاء مائة وخمسين سنة حتى عاد لمصر استقلالها ورجعت مملكتهما التي أنشأها أول ملوكها (منا) وكانت في خلال هذه المدة الطويلة أخذت عماراتها وآثارها العظيمة في التداخي

الى السقوط بل تخرب منها الكثير واضمححل حال الرعية فنهض الملك أموسيس المذكور الى ترميم العمارات وتنظيم الاحكام وترتيب الادارة وعين الامراء الذين ساعدوه على اخراج العمالة نظارا على أقسام مملكته وأباح لهم التلقب بلقب «(سوتن)» يعنى ملوكى كما تقدم وفى السنة الثانية والعشرين من حكمه أمر بتشغيل محاجر طرا وفرض على أسارى العمالة نقل الحجارة منها ووكّل بهم رجالا لترميم معبد «بتاح» بمدينة منف ومعبد «أمون» بالكرك ولاثشاء معابد أخرى جديدة فعاد الى البلاد رونقها القديم وبهجتها الاصلية وأحبته الرعية حبا كبيرا وبالغوا في تعظيمه وقد أمر بعسكر أواريس الذى كان للعمالة فهدم وأنشأ محله قلعة تسمى «ناسال» لتكون حائلا بين اغارات أهل آسية وبين بلاد مصر وهجر مدينة صان حيث كانت تخت حكم العمالة وتركها على حالة ما أصبحت عليه بعد الحرب الاخيرة حتى كاد اسمها يمحى من كتب التاريخ * ثم مات أموسيس المذكور بعد أن حكم حكما حسنا وعشرين سنة وهو المعروف في جدول الآثار القديمة «(باحمس الاول)» فقام بالامر بعده الملك أمنحوتب الملقب زعركا

(فى الملك أمنحوتب الاول)

تولى الملك بعد موت أبيه وعدم بلوغه سن الرشد قامت أمه «(احمس نفرت أرى)» بدلا عنه بهام المملكة وما زالت حتى بلغ رشده فقام بالامر ونهض الى تعزيز مصر من الجانب القبلى وكذلك فعل بالجانب البحرى حتى صار حصينا لا يمكن وصول العدو منه الى ديار مصر وكانت له عدة وقائع حربية فى الصعيد الأعلى تشهد بها النقوش المنقوشة على أعمار الكاب المنسوبة الى احمس رئيس الملاحين قال صاحب العقد الثمين منها ما معناه اني أحضرت سفينة الملك أمنحوتب حين جهز تجريدة لقتال الايتوبيين لتوسيع حدود مصر هناك فانتشب بينهم الحرب وأسر الملك رئيس سكان جبل انوبة من بين رجاله وكنت أنا فى مقدمة فرساننا وقاتلت قتالا شديدا حتى شاهدت منى الملك البسالة والشجاعة وقتلت رجلين من العدو وقطعت أيديهما وقدمتهما لجلالته ثم أسرت رجلا وأحضرت له وصرت أبحث عن أهله ومواسيه وبعد هذه الغزوة صحبت جلالاته راجعين الى مصر فى يومين وكان قيامنا من جهة البحر لأعلى فأحسن الى بعقد من ذهب وكنت غنمت جارين غير الجوارى الا اني أحضرتهم له ولذلك لقيت بفارس الملك اه

ووجد أيضا بجهة الكاب نقوش لرجل مصرى يدعى «(احمس بن سوتب)» تفيد أن هذا الملك تقاثل مع أهل الايتوبيا ومع الجهة المسماة «(امكاك)» التى فى الجانب الشرقى من مصر

وقد أصلح ماتم-دم من قسم طيبة وهيكل أمون ولذا يرى اسمه منقوشا على طوبها وحجارتها
وملك مصر مع جميع ملحقاتها ولما وطد دعائم الراحة تزوج بالملكة (أحع حتب) وأقام
معها في أرغد عيش وأتم راحة واتخذ أهل مصر بعد موته مقدسا وجعلوا له كهنة
مخصوصين لعبادته لما شاهدوه من الراحة في زمن حكمه

قال صاحب العقد الثمين وجنته بدار الخف المصرية طولها متر واحد وخمسة عشر
سنتيمترا وهي محفوظة في تابوتها ومدرجة في أقشة بنية اللون وفوقها أ كاليل من أزهار
البشنيين والبردى وغيرهما اه

ومات امنحوتب المذكور بعد أن حكم ثلاث عشرة سنة فقام بالامر بعده الملك تحوتس
الاول الملقب رعا خيرا

(ن الملك تحوتس الاول)

(ويسمى أيضا)

(توتومس الاول)

قال صاحب العقد الثمين هذا الاسم مركب من كلمتين احدهما تحوت ومعناها هرمس
والثانية مس ومعناها ابن ثم صارا علما على هذا الملك

وقال غيره من الكتاب ان اسمه مركب من كلمتين احدهما توت ومعناها هارب
وميس أو موسيس ومعناها ابن ثم صارا علما وكان ملكا عظيم البأس كثير الحروب قاتل
الايثيوبيا جنوبا واتصر عليهم ونقش نصرانه على بعض اللواح الحجرية في مدينة كرمان
لإزاء جزيرة أونبو وأعظم نقش فيه ما نقشه بالجزيرة المذكورة في السنة الخامسة من حكمه
حيث يذكر فيه وفاته الحربية وأسماء الامم التي دخلت تحت طاعته ووضعت له الجزية
وامتدت حكمته إلى محاجر مدينة أونبو من النوبة وقد وجد اسمه منقوشا على حجر هناك
ووجد أيضا نقوش أخرى بجهة أسوان مؤرخة في السنة الاولى من ملكه تدل على نصرته
على بلاد النوبة وتغلبه على أهلها واتسعت في أيامه حدود مصر وامتدت من الجنوب الى
جبل (أبتا) بأرض الحبشة ومن الشمال الى آخر أماكن أهل آسية وكانت بلاد الاثيوبيا
منبع نرو ديار مصر حيث كانت تأتي منها البضائع والارزاق على المراكب بالنبل من الجنوب
والجلود والعاج والاختشاب والحجارة النفيسة والحيوانات والمعادن من الذهب وكان المصريون
يستخرجونه من تلك الاصقاع بواسطة الاسرى والعبيد وكان هذا المعدن يسمى عندهم
(نب) قال صاحب العقد الثمين فاشتق من هذا الاسم كلمة النوبة المعلومة الآن

وقاتل هذا الملك النوبيين وأدخلهم تحت طاعته ثم أقام عليهم أمراء ليحسنوا تدبير البلاد وسياسة أمورها وكان يلقب كل أمير منهم بلقب ((الأمير الملوكي لبلاد الانيوبيا)) ولما تم له الأمر بجهة الجنوب واتسعت مملكته وعلت كنيسته سار بجيش عظيم نحو الشمال وقاتل سكان وراء فلسطين وأرض كنعان بالسهمول الواقعة بين دجلة والفرات وهم الطوائف المعروفة في النقوش القديمة باسم ((روتو)) وكانت هذه الطوائف لآحاكم لها ولا سلطان يرجعون في أمورهم اليه وكانوا يقطنون بلاد الجزيرة التي بين دجلة والفرات ومنها مدينة بابل ومدينة نينوى وبلاد الكرد وكانت تأتي اليها التجارة من مصر الى ((رافيا)) التي كانت مأهولة يومئذ بالعاقلة ثم الى فلسطين ومنها يعبر نهر الفرات فينتهي الى الجزيرة المذكورة وكان هذا الملك عظيم القدر عالى الهمة موفقا في جميع أعماله

قال بعض الكتاب وهو الذى بيع يوسف بن يعقوب عليهما السلام الى وزير مصر فى أيامه على ما قيل واشتهر وفسر له أحلامه المذكورة فى الكتب (قلت) وقد اختلف أصحاب التاريخ من جهة شخص فرعون يوسف من هو من النراعة فزعم البعض أنه من ملوك العائلة الثانية عشرة وهذا بعيد وزعم البعض الآخر أنه كان من الملوك الرعاة الذين تغلبوا على مصر واسمه الوليد المعروف عند اليونان باسم ((أبي فاس)) وقد تقدم بيان ذلك فى محله وقال أحد المتأخرين من أهل التاريخ المحققين ان هذا الزعم غير صحيح لتقدم عهد تلك الأسرة (قلت) والاصح ان دخول يوسف الى مصر كان بعد انقراض دولة الرعاة كما قال مانيطون المؤرخ المصرى فانه لما تكلم على مدينة منف التى هى منفيس قال وعاش بها يوسف وتسلط على جميع البلاد فى زمن أقدر وأعظم فراعنة المملكة الجديدة التى قامت بعد نفي الرعاة وخروجهم من أرض مصر الى أرض كنعان وهى الدولة الثامنة عشرة المتأصلة التى قامت بمدينة طيبة ويؤيد صحة هذا القول ما جاء فى لتوراة من قول يوسف لآخوته عند نزولهم عليه بارض مصر * يكون اذا دعاكم فرعون وقال ما صناعتكم أن تقولوا عبيدك من أصحاب المشية منذ صباانا الى الآن نحن واباؤنا جميعا حتى تسكوا أرض جاسان لأن كل راعى غنم رجس عند المصريين . ويستدل من الآثار أن تحوتس هذا تزوج باخته السماء احمس ويقال إنها ملكت مصر بعده ولذا يظن أن اسم أميسيس الوارد فى جدول مانيطون المؤرخ بعد اسم الملك المذكور هو اسم هذه الملكة

ومات تحوتس الاول المذكور بعد أن حكم عشرين سنة وحسبها بعضهم احدى وعشرين سنة وقد عبده المصريون وعبدوا أخته بعد موتها وجعلوها فى مصافى المقدسين ومجونه قام بالأمر بعده تحوتس أو توتوميس الثانى

(فى الملك توتوميس الثانى)

لما ارتقى توتوميس الثاني سرير الملك عمدا الى تعمير الهياكل والمعابد ثم أرسل جيوشه الى الشام والايثيوبيا ليأخذوا له البيعة من أهلها فبايعوه وكانت السودان قائمة على قدم القتال من عهد الملك توتوميس الاول فخار بهم توتوميس الثاني هذا وقاتلهم قتالا شديدا حتى أدخلهم تحت نير الطاعة وصير بلادهم جميعا الى حدود الحبشة ولاية تحت حكمه بعد أن كانت مستقلة وأقام عليها العمال من قومه من ذوى الرتب العالية وسماهم (ولاية الديار الجنوبية من قبل المملكة المصرية) كما فعل أسلافه من قبل ثم اعتبر هذا اللقب رتبة عالية فكان ينعم به على من يستحق حكم تلك البلاد ولو كان قاصرا قصد الشرف والاعتبار وكان اذا أحسن به على من لم يبلغ رشده أقام له رئيسا يحكم بالنيابة عنه الى أن يتم رشده فيتولى الحكم بنفسه : ومات هذا الملك بعد أن حكم ثلاثين سنة وبضعة أشهر ولم يعقب نسلا فتولى الملك بعده أخوه توتوميس الثالث ولاية اسمية حيث كان قاصرا فقامت أخته بالامر بالنيابة عنه حتى يبلغ الرشد وهي الملكة حعتشيسو الملقبة رمكا

(في الملكة حعتشيسو)

(وتسمى أيضا)

(رمكا)

هي ابنة توتوميس الاول وأخت توتوميس الثاني المتقدم الذكر قال أصحاب التاريخ ولما كان لها حق الحكم على البلاد بالوراثة عن أمها (احمس) وجدها (احمس نفرت آرى) أشركها أبوها توتوميس الاول معه في آخر أيامه في حكم البلاد فلما مات والدها ظهرت وعاء كلمتها وعظمت شوكتها أيضا في أيام أخيها توتوميس الثاني وزادت بتوليها النيابة عن أخيها توتوميس الثالث واعتبرها المصريون الوارثة الحقيقية لكرسى الملك فلما دانت لها الامور تزوجت بزواج اسمه توتوميس ومات فتزوجت بآخر اسمه (امتطه) وولدت من الاول ولدها المسمى توتوميس وكانت عالية الهمة فنهضت لتشييد المباني العظيمة والهياكل الكبيرة وسمتها باسمها ورتبت لها القرايين وأحسنن التدبير جدا وحافظت على البلاد وأخذت الجزية من طوائف (الروتنو) سكان سوريا الشمالية وكانت عظيمة القدر مهيبة فرمت نفسها في الاراضي المقدسة وموضعها في جنوب بلاد العرب من جهة الهند وهي متاخمة بلاد اليون وكانت من كثر التجارة للشرق عموما ولمصر خصوصا وكانت بضائعها ترد الى مصر على طريق قفط اه وكانت تريد بذلك توسعة ملكها بتلك البلاد الشهيرة بالاختشاب النفيسة والصمغ

والعطريات والذهب والفضة واللازورد والجوهر النفيسة وجميع التجارات العظيمة التي
تحتاجها مصر لاشغال الهياكل والمعابد وغيرها وأنشأت في البحر الاحمر عمارة حربية
وسافرت فيها بنفسها لنفوذ عسكرها وتقاتل بلاد (اليون) المذكورة فلما نزلت عليها طلب
أهلها الامان فأمنتهم فسلموا بلا حرب ولا قتال وعدلت عن المسير لقتال أهلها الاراضى المقدسة
بعد أن رأت من استسلام أهلها (اليون) ما رآته ثم رجعت الى مصر وأمرت برسم صورة
تلك الواقعة وتحريرها على جدران حجرتين في الدير البحري وفي أحد جوانب هاتين الحجرتين ما يدل
على أن قائد جيوش الاعداء يتمثل بجيشه مع التضرع والخشوع أمام قائد جيوش هذه
الملسكة المتوج بالنصر والغلبة وترى صفة قائد جيوش الاعداء أنه أغبر اللون له صفائر من
الشعر مستطيلة على ظهره مجردا من السلاح ومن خلفه زوجته وابنته في صورة شنيعة
وطالة قطيعة ينقر منها الناظر قال صاحب العقد الثمين: ورسمها موجود في متحف بولاق فاذا
نظرت اليهما وجدت نوع استرخاء في أعضائهما وورما في أخاذهما يدل ذلك على أن في
جسمهما مرضا وتشاهد في الجانب الآخر من الحجرتين المذكورتين رسومات ثمانية بها
أشكال السفن الحربية المصرية يشحنها رجال من الاعداء المتقادين بالحيوانات الغريبة
كلزرافات والقردة ولتمور وفي جهة أخرى ترى أنواع الاسلحة وسبائك النحاس وحلق
الذهب وفي أخرى جل الصناديق من أصناف الاشجار العطرية المضمخ أسفلها بالطين وقدرها
اثنان وثلاثون شجرة لغرسها في بساطتها بطيبة وصورة السفن ضخمة يظهر عليها متانة
التركيب ذات شراع ومجاديف وعلى سطحها طوائف البحرية ويوجد عمائل أخر عليها أشكال
العساكر المصرية راجعة من الغزو كأنها تسرع في المشى وتدخل مدينة طيبة بدلائل
النصرة مسلحة برماح أو براط في الميمنة وفي الميسرة قابضة سعف النخل علامة النصر والغلبة
وأمامهم الطبول والمزامير وكأنهم يضربون النوبة الحربية وبجانبيهم الضباط حاملين على أكتافهم
الاعلام والرايات الوطنية مكتوبا عليها اسم الملسكة (حعتشيسو) الوصية على الملك (توتوميس
الثالث) اه

وقد فعلت هذه الملسكة من جليل المآثر وعظيم المناخر ما أعلى قدرها وحفظ بين هذه
العائلة ذكرها واستبدت بالتصرف مدة سبع عشرة سنة ومع بلوغ أخيها سن الرشاد ونصرفه
في الامور فقد كانت هي صاحبة الحل والعقد الى ان ماتت فاستبد أخوها توتوميس الثالث
المذكور بالملك

(في الملك توتوميس الثالث)

لما استقر بالمنصب واستبد بالحكم بعد موت أخته حعتشيسو عمد الى اعادة ذكر أخته

بحجوا اسمها الذي كانت نقشته على ماشيدته من المباني العظيمة والعمائر الجسيمة المرسوم عليها صور وقائعها الحربية ونقش اسمه عليها بدل اسمها ليحصى خبرها وبطفت سراج مجدها الذي دلت عليه فعالها انتقاما منها على ما صنعت به من اغتصاب الملك والتصرف في الامور بعد بلوغه سن الرشد ولم يرض على استقلاله بالملك الا القليل حتى خرجت عليه طوائف ((الروتنو)) وامتنعت من دفع الجزية واقتدى بها سكان جميع الجهات المجاورة لها ثم خرجت كذلك جميع الايلات التي كانت لمصر في اسية ولم يبق منها سوى غزة وما تاجها من البلدان فركب الملك توتوميس عليهم جيوش عظيمة وهزمهم شر هزيمة ونقش وقائع حروبه معهم على جدران هيكل الكرنك

قال صاحب العقد الثمين ما حصل له في شهر برمودة سنة اثنتين وعشرين من حكم الملك تحوتس الثالث يعني توتوميس توجه هذا الملك الى مدينة غزة وعمل فيها عيد ولايته ثم أخذ في المسير منها الى مدينة ((يوح)) فوصل الى ضواحيها في عشرة أيام ونزل بعسكره هناك وانتظر استكشاف طلائعه لينظم جيشه على حسب اخبارهم ففي اليوم السادس عشر من الشهر المذكور أخبرته طلائعه أن الاقوام المتحالفين تحت قيادة أمير كدش قد عسكروا بالقرب من قلعة مجدو في مضيق كرمل وانتشرت قوتهم في طريق لبيان فعند ذلك أشار عليه بعض قواد جنوده بالتوجه اليهم من طريق أثونا ليكون الهجوم على الاعداء من خلفهم وكانت هذه الطريق موصلة الى سهل ((يزر)) الواقع بين مدينة مجدو وجبل نابور فلم يقبل الملك منهم ذلك خوفا من عدم نجاح هذا المشروع وسار بجيشه مسرعا الى ((آلون)) فوصل الى ضواحيها في ثلاثة أيام وكانت تلك الجهات خالية من الاعداء ومن الحصون اعدم الاعتناء بها فشغلها الملك بجزء من عسكره وفي صبيحة عشرين من الشهر اجتاز المضيق الأنف المذكور من دون معارضة وانتظر في سفح الجبل من جهة الشمال مؤخر جيشه فلما اجتمع جيشه في الساعة السابعة من اليوم المذكور نشره في السهل على شاطئ نهر ((كيننا)) تجاه معسكر الاعداء من غير أن يبرز للقتال وفي صبيحة الحادي والعشرين من الشهر نظم جيشه للقتال والهجوم وجعل المينة في حصن حصين هناك بوادي ((كيننا)) والميسرة ممتدة في السهل الى الشمال الغربي من مجدو وأقام هو في القلب ثم هجمت الجيوش المصرية على أهل الشام هجوما قضيعا أوقع الرعب الشديد في قلوبهم فتشتتوا وتركوا عرباتهم وخيولهم ولوا الادبار مسرعين في فرارهم الى مجدو فلما رآهم حراس هذه المدينة أغلقوا الابواب دونهم خوفا من دخول الجيوش المصرية في أثرهم ولذلك لم يتمكن أحدهم من دخول المدينة سوى من تسور الجدران من القواد على الاجار

وأما باقي الجيش فانه تشتت داخل الجبل وتخلص من سفك الدم والذي قتل منهم ثلاثة وثمانون مقاتلا وأسرنحو ثلثمائة وأربعين رجلا وغنم المصريون في ساحة القتال مائتي

ألف واثنين وثلاثين حصانا (كذا) وتسعمائة وأربعا وتسعين عربية وغير ذلك من الأشياء التي تركها أهل الشام وقت هزيمتهم ثم توجه الجيش المصري منصورا إلى مجدو وهي وقتئذ أعظم من ألف مدينة فلم تثبت في صف القتال إلا أياما ثم سلمت للمصريين وبفتحها انتهت الحرب وأطاعه رؤساء الشام والجزيرة والكرد وبادر الجميع بدفع الجزية وإظهار الانقياد والتعظيم للملك المنصور نحو عس الثالث اهـ

ثم عاد أمير الشام إلى العصيان ثانية وخرج عن طاعة الملك توتوميس الثالث المذكور وهيج عليه سكان شمال سوريا فركب عليهم توتوميس وحاربهم وتغلب على مدينة توتب وحلب وارواد وذلك في السنة التاسعة والعشرين من ملكه وهجم في السنة المئمة للثلاثين على مدينة كدش فتملكها وأخذ جميع ما فيها من الأموال ودمر الأسوار ودكها دكاوسار منها إلى مدينتي صميرة وارواد فظفر بهما أيضا وانتصر على الخوارج ثم عفا عن زعماء العصاة وأبقاهم في مناصبهم وأخذ أولادهم وأخوتهم إلى مصر رهينة فكان إذا توفي أحد من هؤلاء الرؤساء أرسل واحدا من المرهونين ليتولى بدله

وفي السنة الثالثة والثلاثين من ملكه عبر الفرات وسار إلى الجزيرة التي بين دجلة والفرات في الجهة التي نصب فيها توتوميس الأول الحجر الشاهد على نصرته وتغلبه على بلاد الأرمن وادخلهم تحت طاعته ثم عبر نهر الخابور إلى دجلة وسار حتى وصل إلى نينوى بالعراق فخرج إليه رئيس العراق وتلقاه بالبشر والقبول وسلم إليه وأطاعه فأقره على منصبه وأباح لعسكره صيد ما في تلك الأصقاع من وحوش البر فاصطادوا منها مائة وعشرين فيلا وأتواله بجلودها وما غنموه من تلك الغزوات ثم سار إلى مصر فكان إذا مر بمدينة أو قرية خرج له أهلها بالجزية والهدايا النفيسة وتلقوه بالفرح ولقبول فظن أن قد تم له الأمر وخضعت جميع آسية إليه ولم يبق له من يعارضه في ذلك

فلما كانت سنة أربع وثلاثين من ملكه عادت بلاد آسية إلى شق عصا الطاعة وخرج كذلك في سنة خمس سكان الجزيرة وفعل كذلك أهل كدش وغيرها من البلاد المجاورة لها فركب عليهم وقتلهم جميعا وما زال حتى أخضعهم وتنصر عليهم نصرا مؤزرا ولم يكدر يرجع من غزوة آسية وأخضع أهلها حتى قام عليه الزنوج والعبيد القاطنون على شاطئ النيل الأعلى فسار إليهم فلما أحسوا بقدومه تركوا أوطانهم وهربوا إلى الجبال فأمر فنهبت مواشيهم وجميع أموالهم من الذهب واللاوانى لمعدنية والريش وغير ذلك وهدموا مساكنهم وأحرقوها ثم عاد بجيشه والنصر يتقدمه فكانت أيامه كلها حروبا وشدائد

ومات توتوميس الثالث المذكور في الثلاثين من شهر برمهاة سنة أربع وخمسين من حكمه بعد أن فھر بلاد الحبشة ولنوبة والسودان والشام والجزيرة وبلاد العراق الغربي وكردستان وجزيرة قبرص وأخذ منها جميعها الجزية صاغرة وهو من أشهر ملوك هذه الدولة

الثامنة عشرة التي هي رأس الطبقة الثالثة من طبقات ملوك مصر كما تقدم حسب ترتيب
جاعة المؤرخين من المتقدمين والمتأخرين وكانت مدة حكمه خمسا وعشرين سنة وبعض أشهر
وفي رواية ثمانا وأربعين سنة فانتقل الملك بعده الى حفيده أمنوفيس الثاني الملقب رعا خيرو
ويسمى أيضا منحتب الثاني

(في الملك أمنوفيس الثاني)

ارتقى أمنوفيس الثاني هذا سرير الملك والبلاد امنة مطمئنة لامهدد لسطوتها ولا
موقف من الامم لنفوذ كلمتها فزاد في نفوذها واعلاء كلمتها وتقوية شوكتها وأخذ في تميم ما نوى
سلفه على فعله من بناء العمار العظيمة والمباني المشيدة في النوبة وبلاد الكنوز وابريم ولم
يتمها وكانت في أيامه الراحة ضاربة أطناها في جميع انحاء البلاد والرعية في خوف من شدة
بأسه وجبروته لم تجسر على الخروج ولا شق عصا الطاعة مدة ثم هب الآشوريون بعد ذلك
من سنة الخول وعمدوا الى شق عصا طاعته والاستقلال بحكم أنفسهم فلما آنس منهم ذلك
وأحسن بما وراءه من الخوف على بقية الايالات الداخلة تحت سلطانه جيشا عظيما
وركب لقتالهم فاجتاز الفرات ونهر ارسات وأرسل طليعة من عساكر الشام يستكشفون
أحوال الآشوريين في مدينة (انات) ثم سار لقتالهم وضيق عليهم حتى انتصرت عساكره ثم سار
منها الى الجزيرة ووقعت الهدنة بينه وبين أهلها الى شهر أييب ففقد الشتاء فيها وذلك في
السنة الثانية من حكمه فلما كان العاشر من شهر أييب سار الى نينوى فلاقاه أهلها
واستسلموا له بغير قتال فنزل بدجلة وسار الى مدينة (اكاد) وتلك عليها وكانت هذه
الغزوة آخر الحرب مع الآشوريين ثم عاد في السنة الثالثة من حكمه بطريق البحر وكان في
مقدم سفينته سبعة قتلى من رؤساء مدينة (تاخيس) قد قتلهم بيده في معجزة الحرب فلما
دخل مصر أمر فعلقوا ستة منهم على سور مدينة نية وقد قطعوا أيديهم وعلقوها أيضا
بجانبهم ونقلوا سابعهم الى النوبة فعلقوه في مدينة (نبتا) ليكون عبرة لاهالي تلك الاصقاع
. وحكم هذا الملك خمسا وعشرين سنة وقيل لم يحكم الا عشر سنين وعشرة أشهر وكان جليل
القدر فلما مات تولى بعده الملك توتوميس الرابع الملقب رعنخيرو وهو ابن أمنوفيس الثاني

(في الملك توتوميس الرابع)

تولى هذا الملك بعد أبيه أمنوفيس الثاني وعكف على بناء الهيكل وتشبيد المباني

العظيمة وحافظ على بقاء مصر على ماوجدتها عليه من رفعة الشأن واتساع الكرامة وحارب
الايثيوبيين في السنة السابعة من حكمه وأخضع الشام لخروج أهلها عن طاعته وحصن
مصر وجعلها في منعة على القبائل العاصية جهة لويبة وبلاد برقة . قال صاحب العقد
التمين . ثم عكف على عبادة الشمس كما ورد في الاسانيد الاثرية على جدران معبد أمدا
بالنوبة واحترم أبا الهول القائم بين الهرمين بالجيزة حيث كان السر في وضعه الاصلى رمزا
عن الشمس المشرقة التي كان يتصف بها كل حاكم حائزا لكافة الاوصاف الفرعونية لكونه
بهذه الاوصاف يكون نائبا في الارض عن الشمس المعبودة لهم قال ويشاهد في صدر أبي
الهول حجر ارتفاعه أربع عشرة قدما انكليزية قد علمته الرمال وبأعلاه صورة الملك تحوتس
الرابع مرسومة جهة اليمين على هيئة انها تعبد أبا الهول وعلى يسارها رسم الشمس ثم يلي
ذلك نقوش مؤرخة في اليوم التاسع عشر من شهر هاتور من السنة الاولى من حكم هذا
الملك تفيد أنه لم يوفر أشياء لتحسين مدينتي منف والمطرية ولاعطاء المرتبات المقررة للعابد
ولانشاء الهياكل واعمال التماثيل للعبودات وانما تصفه بالقوة والشوكة بين الدول
قال ومن أجل عبارات هذا الحجر خطاب منصوص في آخره عن لسان أبي الهول يخاطب به
الملك ويقول له

أ كلك بنفسى كما يكلم الأب ابنه فانظرنى وسرح الطرف فحوى يا تحوتس يا ولدى أنا
أبولك (حورنخي خبيرع توم) أى الشمس المشرقة الموجودة الكاملة . أعدك بأن
تلك سائر الارض في طولها والعرض وأن تعطيك الام جزياتها العديدة وبطول عمرك
سنين مديدة اه

وحكم هذا الملك تسع سنين وثمانية أشهر ومات فقولى الملك بعده ابنه أمنوفيس الثالث
الذى رزق به من زوجته موت أموا ويسمى أيضا امنختب الثالث ويلقب رعاتب

(فى الملك أمنوفيس الثالث)

لما تولى هذا الملك واستقر به المنصب بسط يده على جميع حدود المملكة التى كانت تمتد
يومئذ شمالا إلى نهر الفرات وجنوبا إلى دجلة وكان جليل القدر له شهرة عظيمة فى الاقطار
الغربية وكان اليونان يسمونه (الممنون) وقيل انه لم يكن من جنس المصريين ولكنه اغتصب
المملكة وتسلط عليها بعد اخذته مع أحد الفراعنة بالزيجه ويستدل على صحة ذلك بانفراد
قبه الذى فى مدينة ثيبة عن قبور باقى الفراعنة ويحكى أن ولادته وترتيبه وشؤنه كانت
عجيبة ومرسومة فى آثار مباني لقصر و * تحويرا لخبر أن رئيس الكهنة بشر أمه بحمله فأحست
بذلك عن قرب فلما وضعتته بشرها أيضا بعظم شأنه واتساع كثرته وأن يكون له ملك عظيم

لم يسبق مثله وعملك ما بين الخافقين شرقا وغربا وشمالا وجنوبا فتم جميع ما قاله الكاهن وقد شيد المباني العظيمة والهيكل بلقصر وبيمان الملوك وغزا الغزوات الكثيرة بالنوبة والسودان وانتصر فيها فادعى لنفسه الالهية ولقب نفسه (هودوس) يعنى شمس الربيع وكذلك سمي نفسه ملك القطرين وصاحب المصريين ومولى الخافقين وكان يعنى بالقطرين الاقليمين البحرى والقبلى وبالمصريين منف وثيبة وبالخافقين المشرق والمغرب يعنى آسية وافريقية وكان مهيبا حسن السياسة بعيد النظر فى الامور فامتدت مملكته من الجزيرة الى قلب الحبشة وملا جوانب النيل بالآثار العجيبة والرسوم الغريبة والهيكل والمعابد فنها هيكلا جبلا البركل وهيكلا الشلال الثالث وغيرهما من الآثار الاخرى بجزيرة أسوان وجبل السلسلة وطرا ومنف وجزيرة الطور قال صاحب العقد الثمين ونقش تاريخ غزواته على تلح هيكلا لقصر الذى جدد فيه جزءا عظيما فقال مامعناه

أنا الملك المنصور الاكبر والليث الشديد الغضنفر أنا الذى دوقت بالسيف طوائف المتوحشين وملكت بلادهم وفرقت شملهم وأبدتهم أنا ملك القطرين وولى أمر المصريين والسعيد المالك المطلق التصرف وابن الشمس ضارب رقاب الولاة الكبار ورؤساء الاقوام فى الاقطار لابلدة من البلدان تقاومنى ولا دولة من الدول تصادمنى بل سرت فى سائر الاقطار جامعا شمل الانتصار كالمعبود حوريس ابن المعبودة اريس وكالشمس فى كبد السماء أضرب قلاعهم وأدمر حصونهم كيف لا وقد قهرت جميع الملل وألزمت كافة الدول بتأدية الجزية لدار مصر ألت بسلطان البرين وأمير العالمين ومن سلالة الشمس اه

ويقال انه هو الذى أنشأ على مبصرة النيل تجاه ناحية لقصر معبدا من أعظم الآثار المصرية القديمة وقد تخرب الآن ولم يبق منه الا الصورتان الموجودتان به السماتان الآن بالصمات وهما صورة الملك امنوفيس الثالث المذكور ويقال لهما أيضا شامة وطامة وكان فى الزمن الاول لم يلفت الى هذه الصورة أحد فحصلت زلزلة فى سنة سبع وعشرين قبل الميلاد المسيحي فأسقطت جزء أحد التمثالين المذكورين وبقيت قاعدته قائمة فى محلها وقد شوهد أن هذه القاعدة متى سقط عليها الندى وقت الصباح سمع منها صوت مستطيل عند شروق الشمس فكان يجيب من ذلك أرباب السياحة من اليونان والرومان واعتقدوا أن صورة الملك امنوفيس الثالث المذكور هي صورة شمسون أحد أرباب الايتيوبين ابن نيتون وأمه (أورور) وهو الذى أعان (بريام) على ادغام أنوف اليونان وانه يشير بالتحية عند طلوع الشمس الى أمه (أورور) أى الفجر ويودعه قال بعض المتأخرين ان هذا الصوت كان من أثر الندى وتأثير الشمس على الحجر فهي خاصية طبيعية وكان هذا الملك متزوجا بامرأة أجنبية من بيت الملك تدعى (نابي) ورزق منها بولد اسمه امنوفيس الرابع ويقال انه خلف عدة أولاد تولى منهم بعده ملك مصر ابنه هودوس وقد كان تناوب كرسى المملكة المصرية من غير بيت الملك عدة ملوك

قد حسبوهم في عداد ملوك الدولة الثامنة عشرة ولكنهم كانوا حاملي الذكرك ليس لهم من الآثام ما يدكر قالوا فلما تولى هودوس ابن أمنوفيس الثالث المذكور رجوع به المنصب المذكور الى أهله من بيت الدولة الثامنة عشرة وكانت مدة حكم أمنوفيس الثالث المذكور ستا وثلاثين سنة وخمسة أشهر فقام بالامر بعده الملك أمنوفيس الرابع الملقب رع نفروخون آتن

(في الملك أمنوفيس الرابع)

كان هذا الملك قبل تولية الملك كاهنا للشمس فلما آل اليه الملك بالوراثة عن أبيه أمنوفيس الثالث أمر الناس بعبادتها ونماهم من عبادة بقة المعبودات وغير اسمه لما فيه من ذكر أمون لبغضه له وسمى نفسه (خون آتن) يعني نور قرص الشمس وأمر فحجوا جميع أسماء أجداده وأقاربه التي وجد فيها اسم أمون وحافظ كثيرا على كل ما كان فيه اسم الشمس محبة فيها واحتراما لها قال صاحب العقد الثمين وقد أمر بتخطيط مدينة جديدة بمحل تل العمارنة قرب منية الصعيد لتكون نخنا جديدة للدولة المصرية بدل مدينة طيبة التي هي مقر المعبود آمون وقل في مدينته المستحدثة تمثال قرص الشمس وسماه (آتن) موافقة لاسم معبود اليهود أدونوس أو ادوناي وبكشف أرض تلك المدينة ظهر أنها كانت كثيرة الاماكن والشوارع المنتظمة منها آثار معبد الشمس المشتمل على دهليزين وعلى ستة عمد مدرجة الوضع كانت منصوبة في وسط هذا المعبد وشوهد أيضا على جدرانه رسم الشمس مشرقة فوق الملك ورجاله وهم وقوف يقدمون القرابين اليها ولها أشعة ذات أيد كأنها تنشر الحياة على المخلوقات وحول ذلك أدعية وقصائد يتلوها المرتلون مصحوبة بنغمات الاوتار ومعهم غانية تدعى (سنرو) تقول مدحة لقرص الشمس مطلعها

لأنا يا صاحب الاعوام * يا موجد الشهور والايام

يا ممدد الساعات * في سائر الاوقات

وقد كان شديد المحافظة على حدود مملكته كثير العناية بأمرها فكان الايتوبيون وأهل الشام والولايات الشرقية وجزائر البحر الابيض يدفعون له الجزية صاغرين وكان ملكا مهيبا موقفا في الحروب والغزوات ومات عن سبع بنات ولم يعقب ذكرا يتولى الملك بعده قال صاحب العقد الثمين ولذا انتقل الملك بعد وفاته الى خمسة رجال من المصريين حكموا على التناوب بينهم بدون حق في الوراثة وسندكر من علم منهم على ترتيبهم في جدول ملوك هذه العائلة قال

(في الملك آبي)

هذا الملك هو أول الملوك الخمسة وكان قبل استيلائه على سرير الملك يدعى (تترانف آبي

حقن تراوس) ومعناه السكاهن آبي الحاكم المقدس في طيبة وكان متوليا عند الملك أمنوفيس الرابع وظيفته سائق ركاب الميسرة ثم ترقى الى ناظر خيول الملك ثم الى كاتب سره وكان أخاه من الرضاعة وزوج ابنته الكبيرة (آتي) فلما آل اليه الملك على ديار مصر غير اسمه آبي وسمى نفسه (رع خپر خپر وأرما) وقد علم من الآثار أنه أبقي ديانة الشمس واحترم أيضا أمون والمعبودات المصرية التي أبطلها أمنوفيس الرابع وكانت مدة حكمه تزيد عن أربع سنين وفي أثناء ذلك عين باور واليا على الاقطار السودانية وصنع لنفسه مقبرة في بستان الملوك بطيبة نقش اسمه عليها فخاه من حكم بعده من الملوك لكونه خارجا عن بيت الملك ولم يبق اسمه الاعلى بعض مواضع من تابوته ولقصر مدته ترك مقبرته المذكورة ناقصة البناء اه وبموته قام بالامر بعده الملك توت عنخ أمن

(في الملك توت عنخ أمن)

توت توت الملك بعد الملك آبي وهو ثاني الملوك الخمسة وكان قبل توليته المنصب الملوكي حاكما على مدينة أرمنت وقد بقيت جميع المدن والبلدان خاضعة لحكمه وكان ملكا مهيبا جليلا القدر نافذا الكلمة أتى اليه رؤساء قبائل الآشوريين والروتنو والجزائر وبلاد السودان بالجزيرة والهدايا النفيسة من الذهب والفضة والاولافى من المعدن المتقنة الصناعة ومن الخيول والسباع وجلود النمر وغير ذلك مما كان يصنع ويوجد بالجزيرة التي بين دجلة والفرات وكانت أيامه غاية في الراحة والعز والطمأنينة فلما مات توت الملك بعده الملك (رسعا كاخيرو) ثم ملكان آخران مجهولا الاسم كما رواه صاحب العقد الثمين ولكن لم يعلم لهؤلاء الثلاثة شيء من الاخبار أو المآثر ولم يصل جماعة المؤرخين الى الوقوف على شيء من أعمالهم وبعوتهم عاد الملك ثمانية الى من بقى من العائلة الثامنة عشرة المتأصلة وهو الملك (حوربي) وقيل هو الملك هوريس بن أمنوفيس الثالث وبنته المسماة طماهو موت

(في الملك حوربي أو حورمحب)

(ويسمى أيضا)

(رع سر خپر واستبن رع)

لم يستقر الملك حوربي المذكور بالمنصب حتى قامت الفتنة في جوف البلاد واشتدت

وأخذت في الانتشار بسبب ما حصل من تغيير ديانة البلاد على عهد الملك أمنوفيس الرابع وقام الاهالى على قدم وساق ومحبت آثار الملوك الذين ساعدوا على تغييرها من جميع الهياكل والمعابد فنهض الملك (حورمحب) الى اطفاء نار الفتنة ورسم بارجاع عبادة المعبودات المصرية القديمة فقام عند ذلك الاهالى على هيكل الشمس ودكوه دكا ومحووا آثار المدينة العظيمة التي أسسها هؤلاء الملوك على مقربة من تل العمارنة وكانت تحت مملكتهم بدلا عن مدينة طيبة كرسى الملوك المصريين وما زال الملك حورمحب حتى مهد الامور وأسكن الفتنة وتم له الامر فنهض الى انشاء العمار وبناء الآثار العظيمة فبنى الواجهة الرابعة من معبد الكرنك وأصلح الغار الكبير الذى يجبل السلسلة وكان قبل ذلك مقطعا تستخرج منه الحجارة ونقش على جانبه الغربى نقوشا تدل على نصرته على أهل الايتيوبيا وكان ملكا حسن السياسة فعادت المملكة فى أيامه الى ما كانت عليه أولا وبلغت من العز والمجد مبلغا عظيما وحافظت على مالها من الحدود البعيدة على عهد الملك نوتوميس الثالث وحورمحب هذا هو آخر من أبلغ الديار المصرية من ملوك الدولة الثامنة عشرة أقصى درجات العمار وأكبر مراتب الفخار ومات عن بنته طماهو موت وابنه رمسيس الاول ولما كانت طماهو موت أرشد من أخيها وكان أخوها قاصرا تولت الملك بدلا عنه وقامت بتدبير أمور المملكة خير قيام فكانت مدة حكم الملك حورمحب وابنته معاثنا واثلاثين سنة وخمسة أشهر وهو آخر ملوك الدولة الثامنة عشرة على قول جماعة من الكتاب وقد أقامت هذه الدولة على كرسى المملكة احدى وأربعين ومائتى سنة ثم قامت بعدها الدولة التاسعة عشرة وعلى رأسها الملك رمسيس الاول الذى هو ابن حورمحب المذكور

(الفصل الثانى)

(فى العاشرة عشرة)

كان ابتداء ملك هذه العائلة سنة اثنتين وستين وأربعمائة وألف قبل الميلاد أى سنة أربع وثمانين وألفين قبل الهجرة وعدة ملوكها ثمانية ومدة ملكهم مائة وأربع وسبعون سنة وأول ملوكها الملك رمسيس الاول وهو ابن حورمحب وأخو الملكة طماهو موت آخر ملوك الدولة الثامنة عشرة وهو الآتى ذكر ما ثره بعد

(فى الملك رمسيس الاول)

تولى رمسيس الاول الملك والبلاد فى ضعف وشوكتها فى ذبول وكلمتها فى انحطاط بسبب

الفنن المترتبة على تغيير الديانة القديمة من آخر ملوك الدولة الثامنة عشرة وقد طمع فيها الغريب وخرج أهل آسية عن طاعتها وانضموا الى الحيثيين وصاروا يشنون عليها الغارة ولما كان رمسيس هذا ابن الملك (حورمحب) وأخا الملكة (طماهو موت) تولى الملك خلفا لاخته وأبيه خلفا لما قاله بعض الكتاب من أنه لم يعلم ان كان من عصابة الملوك المصريين أو ظهر من أهل آسية قال وغاية ما علم أن زوج ابنته (سيتي) هو من ملوك العائلة الثامنة عشرة ثم نبوا كرسى الملك كبيرا فأحسن السياسة في رعيته وأوردها موارد الراحة وكان مهيبا جليل القدر قاتل في السنة الثانية من حكمه أهالى شمال الشام من طريق الفرات وجبل كورين والبحر الابيض وهى البلاد التى يسكنها الخيتاس ويعرفون فى التوراة بالحيثيين وهاجم الجبل الغفير من حلفاء هذه الطائفة من سكان آسية وقاتلهم قبل وهو أول من أقدم على مقاتلة الحيثيين والتغلغل فى بلادهم حتى وصل نهر العاصى ثم عاهدهم وكانت مدة حكمه تسع سنين وخلفه ابنه منقطه الأول المسمى عند اليونان (سيتي) أو سيطوس الأول

(فى الملك سيطوس الأول)

(الملقب)

(وعما من)

لما ارتقى سيطوس الاول كرسى المملكة خف الى الاعمال النافعة وتعزيز جانب المملكة واتبع آثار جدّه الملك (توتوميس الثالث) فى إعلاء شأن البلاد والوصول بالمملكة الى أوج العز والفخار وله من الآثار الغربية والعمائر العظيمة بالاقليمين القبلى والبحرى وعلى سواحل البحر الاحمر وبلاد النوبة ما يدل على علو همته وجليل قدره وقد أكل بناء هيكل القمر الذى كان قد أنشأه الملك (توتوميس الرابع) بناحية بنى حسن القديمة وبنى بجانبه معابد أخرى ومقابر مرسوما عليها اسمه وأنشأ بالصعيد الاعلى عند جبل السلسلة على الشاطئ الغربى من النيل معبدا منحوتا فى الجبل لم تزل منه بقايا جيدة الصناعة كاملة الزينة تدل على تقدم فن العمارة والنقش فى أيامه وله القاعة ذات الاعمدة الموجودة بجهة الكرنك التى هى من أبداع العمائر المصرية القديمة وتسمى بالقصر المنقطى نسبة اليه قيل ولم يتم (سيطوس) المذكور بناء هذا القصر وإنما الذى تمه ابنه (رمسيس الثانى) وأنشأ هيكلًا آخر للشمس فى الوادى المعروف بوادى الموية على بعد يومين من النيل فى البرية التى فى طريق القصير ومن أعماله أيضا اصلاح الغار الموجود فى بنى حسان للعبودة (بشت) وهو المعروف الآن بغار (تيسيدوس) وكان من قبل مقطعا تستخرج منه الحجارة للعمارات وينسب اليه أيضا مقطع

أحجار الرصيف المصنوع الآن في جزيرة أسوان وهو من آثار الأجداد التي نقلها للعمارات التي بناها في هذه الجزيرة ومن آثاره المسلة العظيمة التي نقلت من مصر إلى مدينة رومة والهيكل الكبير الذي استكشف حديثاً بالعرابة المدفونة وما يحتوي عليه من التصاویر العجيبة والنقوش الغريبة وهو أول من حفر الخليج الموصل ماء النيل إلى بحر القلزم الذي هو البحر الأحمر وأول من فتح طريقاً للقوافل من أسنا إلى معدن الذهب بجبل (اتوكي) وحفر في الجبل هناك عيناً ينبع منها الماء وله جملة غزوات وحروب مع السودان والشام وكثير من بلاد آسية وانتصر على قبيلتي (الحيثاس) (والروبو) وهما أعنى القبائل وأشدّها بأساً وغزا مدينتي نينوى وبابل وسار بجنوده إلى أقصى بلاد أرمينية وانتصر على أهلها وكانت جميع بلاد آسية إلى عهد الملك سيطوس الأول ثانی ملوك الدولة التاسعة عشرة قد خرجت عن طاعة المملكة المصرية وصارت تشن عليها الغارات وتتقوى وتخرز حتى صارت من أكبر أعدائها وكان بينها وبين مصر من الوقائع والحروب ماسمذكر في محله ثم مات الملك سيطوس الأول المذكور فكانت مدة ملكه اثنتين وثلاثين سنة وثلاثة أشهر وفي رواية ماينتون إحدى وخمسين سنة ودفن في مدفنه الذي ابتناه لنفسه في بيمان الملوك عند مدينة طيبة تحت الأرض يعجب منه كل من يراه لما فيه من الهيئات الفلكية كالشمس تسبح بسفينتها في السماء وكأن السماء لجة ماء وتجتاز ما يعارضها من عقبات الثعبان أيب وكالنجوم الثوابت والسيارة وغير ذلك وتولى بعده بكر ولديه وولى بعده رمسيس الثاني

(في الملك رمسيس الثاني)

(المعروف)

(بسيروس تريس)

(الملقب)

(رع أوسر ما استبن رع)

اشتهر هذا الملك برمسيس الأكبر حيث كان أعظم ملوك مصر قوة وأكبرهم سلطة وافتخاراً وكان ظافراً كثير الحروب والغزوات مسلماً مشارق الأرض بصيت فتوحاته وأرهب مغربها بهيبته وبأسه وسطواته ولم يكن أحد قبله من ملوك مصر عبر البحر الأحمر لجهاز هو عمارة عظيمة قيل أنها كانت أربع مائة سفينة حربية وتغلب على سواحل البحر المذكور وعلى جزائر بحر الهند فامتد ملكه من نهر الكنك بآسية إلى نهر الدنوب الذي هو نهر الطونة

وكان كلما فتح فطرا واستولى على مملكة من الممالك شيد فيها هيكلًا وآثارا تدل على نصراته
وفتوحاته وأُنزل فيها طائفة من جنده المصرى ليستوطنوها وينشروا ديانتهم وعوائدهم فيها
ليكون ذلك دلالة ظاهرة على تخليد ذكره وزاد في ثروة أهل وطنه وأوردتهم موارد السعادة والرفاهية
ونعم بالهم وسن لهم القوانين والاحكام ونظم أمورهم على أكمل ترتيب وأحسن نظام وضرب
الجزية على عشرين أمة استعماها ويقال ان كاهن الشمس بشر أباه بأن ولده هذا يملك سائر
بلاد العالم ولذلك لما آلت اليه المملكة المصرية اعتنى بها كل مدينة منف المكرسة للشمس
فشيدها ووسعها توسيعا خارجا عن حد العادة وقد طال عمره وامتدت مدته ملكه وتوقلت
مآثره وبنات مفاخره وتكلم عنه كثيرا أصحاب التاريخ وقالوا انه لم يسبق هذا الملك أحد من
ملوك العائلتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة أعظم من توتوميس الثالث الذى كان بينه وبين
رمسيس الثانى هذا ستة ملوك وكان رمسيس من زمن شبو بنه قاضيا بارعا متضلعا من العلم
والحكمة حتى قيل انه تلقى جميع العلوم وسائر الفنون عن (هرمس المثلث) الذى هو
ايليا النبى أى إدريس عليه السلام زعم البعض أنه تلقاها عنه مشافهة (قلت) وهذا غير
صحيح لتأخر زمن رمسيس ورفع ايليا الى السماء قبل زمن رمسيس كما جاءت به الكتب ولعله
تعلمها بالتلقى عن أحد الهرامسة المصريين وقد دلت كتب اليونان على أن هرمس
الهرامسة المثلث هو ايليا النبى وهو مصرى المولد وأنه أول من وضع العلوم والفنون
والسياسات والندابير والحروب والصنائع وله رموز عجيبة وأسرار غريبة ومعارف غزيرة
واسعة قد أودعها بطون الاسفار والكتب وهو أول من عرف الله سبحانه وتعالى وعبدته قالوا
ولما جاء الطوفان وأغرق الارض وأهلك سائر النوع البشرى ثم عمرت الارض باولاد نوح
عليه السلام كان الناس كافة على الفطرة الاولى لا يعرفون شيئا من ضروريات المعيشة فبعث
الله لهم هرمس هذا فى صورة انسان وقد كان رفع الى السماء قبل الطوفان فعلمهم
ما يحتاجون اليه وثقفهم فتبدلت أخلاقهم الوحشية بانسانية وطباعهم الحيوانية بأدمية اذ
كانوا هائمين على وجوههم كالوحوش لا يفهم بعضهم بعضا الابصباح ساذج متقطع محتاطا
ووضع لهم أسماء المسميات وعلمهم طرق التعارف فيما بينهم قالوا وله اثنان وأربعون كتابا
سلمها الى طائفة الكهنة وأمنهم عليها وأودعهم أسرار غامضة وأمرهم بعرفة ما فى تلك
الكتب كل على قدر حاجته ومرتبته فى الهيئة الاجتماعية وقال جامبليك ان كتب هرمس
الهرامسة بلغت بمصر عشرين ألف كتاب وقال مانيطون بل أكثر من ذلك كثيرا اه ولغزارة
علمه كانت جميع عباراته سهلة المأخذ مقبولة مألوقة للنفوس وكانت عادة المصريين أنهم
اذا اخترعوا شيئا من المعارف النفيسة والحكم نسبوه الى هرمس المثلث ليسهل تلقيه من
عامة الناس ويكون حسنا لديهم مقبولا وكان (رمسيس الثانى) المذكور بطلا شجاعا
ميالا للغزو والقتال فأرسله أبوه لغزو بلاد العرب فنزل عليهم وقاتلهم وأرجعهم الى الطاعة
ولم تكن العرب قبله انقادت لملك من الملوك الاولين وكان معه فى هذه الغزوة كثير من أبناء

المصريين الذين كانوا تربو امعه ثم سيره الى جهات المغرب فاستولى على برقة وغيرها من بلاد
أفريقية وصيرها من ملحقات المملكة المصرية ثم مات أبوه عقب ذلك فتولى الملك بعده فلم
يستقر به المنصب حتى جيش الجيوش وأكثر من معدات القتال وسار لقتال الاقطار
السودانية وما زال بها حتى أخضعها وضرب على أهلها الجزية مقدارا يدفعونه في كل سنة
من الآبنوس وسن الفيل والذهب ولما كان في مبدأ السنة الخامسة من حكمه قامت عليه
سكان آسية الشمالية وهم قبائل الخيناس وككي وكر كيش وكدش وأرادوا أن يكونوا أقواما أصحاب
قوة وبأس فتألبوا على محاربهه وانضم اليهم أقوام آخر لم يكن لهم سابق قتال مع لمصريين
فعمت بذلك الفتنة وامتدت في أرجاء آسية الشمالية كلها وانحدروا جميعا على عجل الى أن
وصلوا الى وادي الارنود على مقربة من حدود مصر فلما بلغ رمسيس خبر وصولهم ركب
في جيش عظيم وسار لقتالهم فعبأ أرض كنعان التي كانت يومئذ خاضعة لدار مصر
وانعطف الى الجهات الشمالية ونزل بسبتون القريبة من كدش وبث العيون والجواسيس
لتأني له بأخبار العدو وما هو عليه من المنعة أو الضعف وكذلك فعل العدو فلما كان في بعض
الايام خرج رمسيس في طائفة من حراسه وسار صوب مدينة كدش فلقية رجلا من
الاعداء وأخبراه بان رؤساء القبائل الذين كانوا اجتمعوا لنجدة رئيس الخيتمين انفصلوا عنه
وسيروا بهما لخدمته والعمل بمقتضى اشارته وأنهما تركا رئيس الخيتمين في حلب شرقي مدينة
توبن يتقهقر بعسكره فرارا من رهبتن وخوفا من جبروتك فاغتر رمسيس بهذا الكلام
وتمكن منه الخيلاء فزحف على الاعداء بمن كان معه من طوائف الحرس في ذلك اليوم
وقد كان بينه وبين معسكره بعد بعيد وكان قد رتب من معه من الجند وقسمهم الى أربع
فرق الاولى منها فرقة أمون رع والثانية فرقة رع والثالثة فرقة بتاح والرابعة فرقة سوتخ
وعين اكل موقفا أمام العدو فلما سار بمن معه من الحرس نحو كدش يريد مفاجأة العدو وأخذ
أخذ عزيمته بمرزاليه رجلا من بعث بهما رئيس الخيتمين ليقبضا عليه ويأخذا أسيرا وكانت
جيوش العدو مجمعة في الشمال الشرقي من كدش وهي على أهبة الهجوم على كل من يربهم
من عساكر رمسيس فأنس رمسيس من الرجلين أنهما أتيا ليقبضا عليه ويأخذا أسيرا
فأمر جنوده بالقبض عليهما واوسعهما ضربا حتى اعترف بأسر بعثتهما وخفي مأموريتهما وأنهما
انما حضرا للكشف أخبار الجيوش المصرية والقبض على رمسيس فعند رمسيس لذلك
مجلسا من كبار جنده وعنفهم وبالغ في تعنيفهم وقال كيف تأتون بنا من طريق لاخبرة
لنا بها ولا معرفة لنا بما فيها وكيف بسوء تدبيركم نضل عن طريق السلامة ونقع مع
ما نحن فيه من القلة في أيدي الاعداء الذين هم لنا بالمرصاد فجعلوا يعتذرون ويهتفون
عليه الامر ويقولون انما ذلك كله من فساد قلوب حكام هذه البلاد التي نزل بها العدو فلم
نخبروا بخبره ولم يكشفوا لنا عن عوراته والرأى أن نرسل الساعة من يأتي لنا بالجيوش
فتركب على الاعداء ونقاتلهم حتى نظفر بهم فينمأهم بتدبرون اذ ظهر العدو في عدده

وعدده يريد قتال رمسيس ومن معه وكان رمسيس في هذا الحين نازلاً بمن معه من جنود الحرس على شمال كدش قريبا من نهر العاصي فهجم عساكر الحيثيين عليه هجمة رجل واحد وصدموهم جنود القلب وأوقعوا فيهم القتل ففشل المصريون وانقسموا وولوا الادبار وبقي رمسيس بين الاعداء منفردا فتأهب للقتال قال صاحب العقد الثمين وقد جاء في النقوش الأثرية أن الشاعر المصري (بنتأور) كان حاضرا مع رمسيس في هذه الموقعة فقال في ذلك مانصه ان حضرة الملك نهض وهو في غاية الصحة واعتدال المزاج ونهاية القوة والابتهاج كأنه المعبود مونت آخذا عدة الحرب في الحال وتهيأ للضرب والقتال فأرسل عربته في صفوف الجوع وهجم على بني خيتاس منفردا بنفسه لم يتقدم معه أحد من أبناء جنسه واقفهم المعركة وحده أي اقفهم بمشهد من جميع الاتباع والخدام وقد أحاط به ألفان وخسمائة عربية من شجعان الخيتاس والعصبية والقبائل المتكاثرة والعشائر المتظاهرة وهم ((آرادوس)) ((ومازو)) ((وبتاسا)) ((وكشكاش)) ((واليون)) ((وجازونان)) ((وشيروب)) ((واكتور)) وغيرهم وكان على كل عربية من عرباتهم ثلاثة من المحاربين ولم يكن مع حضرة الملك أحد من عشيرته ولا من أمراء دولته ولا من قواد جنوده ولا من العساكر الرماة ولا من عساكر العربات فتوجه الى معبوده واستغاث بمولاه قائلا

تركني وحدي جند الرماة والفرسان ولم يبق معي من يشد ازري . أوبعضد ظهري .
فإذا يريد مولاي أمون فهل أنا عاص أستحق العقاب مع أني لمولاي سميع مطيع أعمل بما أعلم من الامر بقدر ما أستطيع . وأقوم بحقوق المشاعر واطهار الشعائر . وأملأ بيوت العبادة من غنائم الاعداء . وأتقرب للمعبود بالقرايين التي لا تحصى عدا . وقد أكرت من المعابد والالهياكل وزبحت ألف ثور قربانا مزيينة بالزهور الطيبة الرائحة وشيدت الهياكل الجسمية . واقتطعت لها الاجار العظيمة . وغرست في المعابد الاشجار الخلدية . ونذرتها لتكون مأثر مؤبدة . وأحضرت من جزيرة أسوان للولي المعبود أجار المسلات الشاخنة . وأجريت السفن في البحار الزاهرة لطلب غنائم الملل الى الهياكل الباذخة . فها أنا يا مولاي أدعوك وأنا بين أقوام كثيرين لا أعرفهم . وأنا في حضرتك وحدي . فاقد الجندی . تركني عساكر الرماة وفرعني الفرسان السكة . وقد دعوتهم فما أجابوني . واستغثت بهم فما أغاثوني . وأنت أولى بي من الجنود الرماة والفرسان . وأحق بنصري من الابطال والفتيان . فانصرني على العدد الكثير والجهم الغنير . قال ثم أجاب الشاعر في قصيدته بكلام عن مولاه انه لبي دعاءه وقبل رجاءه (قلت) وقد ضربنا صفحا عن ايراده هنا خوف ملل القارئ

وبعد قتال وحروب هائلة بين رمسيس والكنعانيين مدة خمس عشرة سنة كادت تغنى فيها جيوش الفريقين تقدم ختاسار رئيس الحيثيين في طلب الصلح والكف عن القتال حقنا للدماء واستبقاء لما بقي من تلك النفوس ففجع رمسيس الى ذلك قال صاحب العقد الثمين وأبرم أمره سنة احدى وعشرين من حكم رمسيس وحرروا معاهدة كتبت صورتها

أولاً بلغة الحثيين ثم نقشت على لوح من فضة وقدمت الى ملك مصر في مدينة رمسيس وكانت
مدينة على الشروط والاحكام المدونة في المعاهدة التي وقعت بين أمير الحثيين ورمسيس الاول
وسيتى الاول وهذا نص تعريبها

(المقدمة)

في اليوم الحادى والعشرين من شهر طوبة سنة احدى وعشرين من حكم رمسيس ميامون محبوب
(أمون رع) (وحورمخى) (وبتاح) سيد قسم (أختو) بنف (وموت) سيده قسمى (أثر) (ونخونفرت
حتب) بطيبة وهو القائم على كرسى ملك العباد كأبيه (حورمخى) تخلد ذكره بينما كان هذا اليوم
في مدينة بارمسيس ميامون يؤدى فيها الشعائر للعبود أمون رع وحورمخى ولتوم سيد مدينة
المطرية ولأمون الساكن بمدينة بارمسيس وليتاح بالمدينة المذكورة وللشجاع (ست بن تحوت)
لانهم منوا عليه بدوام عيده الرسمى وبدوام أعوام السلمة وبخضوع الاهالى والامم تحت نعليه
على الدوام اذا برسل من طرف أمير الحثيين ختاسار أقبلت اليه وتقدمت بين يديه ليطلبوا
الصلح منه وكانت صورته منسوخة على لوح من فضة مرسل من طزف أمير الحثيين الى ملك
مصر مع رسولين هما (نارتيسبو) (ورمسيس) يطالب الصلح من رمسيس ميامون ثور الملوك الذى
وضع حدوده في كافة الارض حيثما أرد وهذه المعاهدة كتبها ختاسار أمير الحثيين المفخم
ابن موراسار أمير الحثيين المفخم وحفيد سابلل أمير الحثيين المفخم على لوح من فضة وذلك
بينه وبين رمسيس ميامون ملك مصر الاكبر المفخم ابن سيتى الاول ملك مصر الاكبر المفخم
وحفيد رمسيس الاول ملك مصر الاكبر المفخم وهى معاهدة وطيدة على الصلح والمخالفة
والوفاق مؤكدة للسلم والاتفاق دائمة على الدوام

كان فيما مضى من عهد بعيد حصل بين ملك مصر وأمير الحثيين عليهما رضوان الرب
اتفاق الا ان أخى موتور أمير الحثيين نقضه وتحارب في زمنه مع سيتى الاول ملك مصر
الاكبر لكن من الآن فصاعدا أعنى من هذا اليوم تعهد ختاسار أمير الحثيين بمرعاة هذه
الشروط سائلا (أمون رع) (وست) أن ينما بدوام اتباعها في ديار مصر وفي بلاد الحثيين وأن يزيل
الشقاق أبدا من بين المتشارطين قال

(المعاهدة)

اتفقت أنا ختاسار أمير الحثيين ورمسيس ميامون ملك مصر الاكبر من هذا اليوم على مراعاة
الصلح والمعاهدة بيننا أبدا لا بدىن وعلى أن يكون حليفى ومنطويا على السلم معى وعلى أن أكون حليفه
ومنطويا على السلم معه دهر الداهرين كما كان ذلك في عصر أخى موتور أمير الحثيين الاكبر الذى خلفته

في الحكم بعد موته وجلست على تخت والدي وهما أنا ختاسار أظهر لمودة الصادقة لرئيس
ميامون ملك مصر الاكبر وبناء على معاهدتنا ومسالمتنا هذه تكون ديار مصر وبلاد الحثيين
في سلم ومحالفة تامة دائمة دون أن يقع بينهما أدنى شقاق مدى الدهر بشرط أن أمير الحثيين
لا يشن أدنى غارة على مصر لسلب شيء منها كما أن رئيس ميامون ملك مصر الاكبر لا يشن
غارة على بلاد الحثيين لسلب شيء منها وأن أتبع اتفاق العدل الذي حصل في مدة سابلل
رئيس الحثيين الاكبر واتفاق العدل الذي حصل في مدة أبي مورا سار رئيس الحثيين
الاكبر وأن يتبع ذلك أيضا رئيس ميامون ملك مصر الاكبر ونعترف بيننا سوية بأن يتبع
هذا الاتفاق وتجرى أعمال العدل من هذا اليوم بشرط أنه ان أغارت أعداء على بلاد
رئيس ميامون ملك مصر الاكبر لزمه أن يرسل الى أمير الحثيين ليخبره بالحضور فينضم
الى قوته عليهم ويجب على أمير الحثيين حينئذ أن يجيب سؤال ملك مصر الاكبر ويقاثل
أعداءه وان لم يرد أمير الحثيين الحضور بنفسه لزمه أن يرسل جنوده المشاة وعربانه ليقاتلوا
أعداء ملك مصر وان غضب رئيس ميامون على جماعة من أتباعه يكتفون قد سرقوا
شيئا منه وأراد أن يقتلهم فعلى أمير الحثيين مساعدته على ذلك وإن أغار عدو على بلاد خيتا
لزم أمير الحثيين أن يرسل الى ملك مصر ويخبره بأن يحضر بقوته ليقاثل أعداءه فان أراد
رئيس ميامون ملك مصر الحضور بنفسه قاتل أعداء أمير خيتا وان امتنع عن الحضور
بنفسه لزمه أن يرسل مشاته وعرباته ليقاثل أعداء أمير خيتا وأن يعين الوقت ويخاطبهم
بذلك وان كانت جماعة من خدم أمير الحثيين تسبته في خدمته فعلى رئيس ميامون
أن يساعده في تأديبهم واذا هاجر بعض السكان من بلاد رئيس ميامون الى أمير خيتا
فعلى هذا الأمير أن لا يقبلهم بل يرسلهم الى رئيس ملك مصر الاكبر واذا ذهب بعض
العمال الماهرين الى أمير خيتا ليعمل ما فلا يتوطنون أرض خيتا بل يرسلون الى رئيس
ميامون ملك مصر الاكبر واذا كان بعض الهاربين يحضرون من بلاد خيتا ليتوجهوا الى
رئيس ميامون ملك مصر الاكبر فلا يقبلهم عنده بل يرسلهم الى أمير خيتا واذا ذهب
بعض العمال الماهرين من أرض خيتا الى ديار مصر ليعمل ما فعلى رئيس ميامون ملك
مصر أن لا يوطنهم مصر بل يأمر بارسالهم الى أمير خيتا هذا الكلام الذي على لوح الفضة
مقول على لسان ألف معبود من معبودات ومعبودى الجهاد منهم معبودات بلاد خيتا وعلى
لسان ألف معبود من معبودات ومعبودى الجهاد منهم معبودات مصر وهو أيضا يعتبر حقا
وذمة علينا ويشهد بذلك ست معبود توب وست معبود خيتا وست معبود مدينة أرنا
وست معبود مدينة توسورونتا وست معبود مدينة بركا وست معبود مدينة خساب وست
معبود مدينة سارسو وست معبود مدينة حلب وست معبود وست معبود مدينة
سرينا وأسترتنا معبود بلاد خيتا وجزيرة ناضرار وكدش ومعبود مدينة أخن ومعبود مدينة
تساي وجبال وأنهار بلاد خيتا ومعبودات بلاد كادز وأتانا وأمون ورع وست والارباب

الحرية والمعبودات وجبال وأنهار ديار مصر وكافة من بدائرة البحر الاكبر والهواء والسحب وهذا الكلام الذي على لوح الفضة منسوب لبلاد خيتا وبلاد مصر فكل من لم يتبع مضمونه تصرف ألف معبود من بلاد خيتا وألف معبود من بلاد مصر في مسكنه وأملاكه وخدمه ومن يتبع الكلام الذي على هذا اللوح سواء كان من بلاد خيتا أو من بلاد مصر أحبه ألف معبود من بلاد خيتا وألف معبود من بلاد مصر وأحيت بيته وأملاكه وأتباعه أيضا وإذا هرب رجل أو اثنان أو ثلاثة من مصر وذهبوا الى أمير خيتا فعلى أمير خيتا أن لا يقبلهم بل يأمر بإرسالهم الى رمسيس ميامون ملك مصر الاكبر وكل من أرسل الى رمسيس ميامون لا يعاقب بذنبه ولا يبيد بيته ولا امرأته ولا أولاده ولا تقتل أمه ولا يضرب على عينه ولا على فمه ولا على رجله ولا تقام عليه أية تهمة جنائية وإذا هرب من بلاد خيتا رجل أو اثنان أو ثلاثة وذهبوا الى رمسيس ميامون ملك مصر الاكبر فعليه أن يأمر بإرسالهم الى أمير خيتا وكل من أرسل اليه لا يعاقب بذنبه ولا يبيد بيته ولا امرأته ولا أولاده ولا تقتل أمه ولا يضرب على عينه ولا على فمه ولا على رجله ولا تقام عليه تهمة جنائية انتهى بنصه

فلما تمت هذه المعاهدة بين الفريقين بقي كل منهما محافظا عليها ستا وأربعين سنة وفي هذه المدة حصلت الراحة التامة للرعية ووقع فيها المصاهرة بين رمسيس وأمير الحيثيين وذلك ان رمسيس تزوج بابنة هذا الأمير وبعد المصاهرة بمدة دعا رمسيس صهره الى الحضور في ديار مصر كما دلت على ذلك الكتابة الموجودة في ورقة انسطاسي وحاصلها

ان رئيس الحيثيين الاكبر أرسل الى أمير (كاثي) أحد أمراء دولته قائلا له هي نفسك كي تذهب الى مصر حيث دعانا ملكها رمسيس لذلك ولا يسعنا مخالفته اذ لافرق بينه وبيننا وقد أحبته الناس لكونه يمنح الحياة لمن يشاء اه

وكان حضور أمير الحيثيين لزيارة رمسيس في مدينته بعد مضي ثلاث وثلاثين سنة من حكمه ولتسند كار سياحته نقش حاصل رحلته في حجر ورسم عليه صورة نفسه وصورة ابنته التي تزوجها رمسيس وصورة رمسيس فتعجب المصريون من ذلك وقالوا انما أهل مصر صاروا قلبا واحدا مع أمير الحيثيين وهذا من الامور التي لم يسبق لها مثيل من عهد المعبود (رع) انتهى

قال أهل التاريخ ولم يكن له من غاية في هذه الفتوحات العظيمة سوى حب الظفر والغنيمة وتذليل الاعداء وانقياد الامم لسطوته وخضوعهم لعزته وجبروته ولكن قد خاتمه الابام فانه ما رجع الى تخت مملكته حتى هبت جميع تلك الممالك الى الخروج عليه ونهضت الى شق عصا الطاعة فلم يبق له منها الا بعض المدائن والبلاد القريبة وهذه أيضا لم تبقى على الطاعة لمولاه مصر بعد موت رمسيس الثاني المذكور الازهاء أربعة قرون ثم عصت وخرجت كغيرها ولما كف عن الغزوات والحروب وجه عنايته الى تزيين الهياكل وإتحافها بنفائس الغنائم

ثم صرف همهته الى تشييد المباني العجيبة وكان في بنائه الهياكل يراعى معتقد الاهالى في كل بلدة ومدينة وكان الذين أسرههم في غزواته يقطعون الاجار ويشيدون تلك الآثار وكان جل اهتمامه منصرفا الى تحسين المدينتين العظيمتين وهما منف دار الملك وطيبة دار الدين والعلوم وقد أنشأ الجسور والقناطر والترع والخجان وسخر الاسرى في ردم الاراضى المنخفضة التى كان يفسدها النيل وفي رواية أنه حوّل النيل الى مجراه الحالى ليصلح بذلك ما تلف من الاراضى المنخفضة قال بعض الكتاب ويقال انه لما رجع رمسيس الثانى المسذكور من آخر غزواته الى ديار مصر خرج أخوه للقائه ومعه جماعة من خواصه وأظهر الفرح والسرور وقابله بمدينة تنيس فأحسن الملك فيه ظنه وأخاص له فى المودة فلما استقر بالملك المقام مع عائلته فى قصره الملوكة بمدينة تنيس أضرم أخوه النار فى القصر يريد إهلاك الملك وعائلته حرقا وأخو الملك هذا هو المسمى عند اليونان (دافوس المصرى) فلما أحس الملك بالحريق فترهبا ونجبا هو وعائلته من هذه المكيدة تخاف دافوس وهاجر الى بلاد اليونان ويقال انه أسس فيها القبائل المصرية وقد حكى بعض المؤرخين أن دافوس هذا هو نفس أرميس أخو رمسيس الثانى وأنه ركب سفينة من مصر مع طائفة من المصريين وهاجر الى موره وعمر بلاد اليونان ومدنها وخالف ذلك بعض المؤرخين فقال إن دافوس هذا ليس من أبناء ملوك الدولة التاسعة عشرة ولا من إخوة رمسيس الثانى وانما هو من عائلة الملوك الرعاة المشاغبين للعائلة المصرية المتأصلة وانهم لما حاربوا أمراء الملوك الرعاة وأخرجوهم ومزقوا شملهم هاجروا تحت رئاسة دافوس المذكور وقيل انه من أبناء بنت ايتاخوس المصرى الذى كان قد فر من مصر الى مدينة حور ومعه طائفة من عرب العمالة فنزل وتزوج منها وأعقب بنتا ولدت دافوس المذكور ثم هاجر ايتاخوس الى بلاد اليونان وتولى ملك اقليم ارغوس فى بلاد مورة فلما انتقلت المملكة الى أولاده وأولاد أولاده وكان دافوس من ذرية بنته ارتحل الى مملكة ارغوس ليأخذ حقوقه ووراثته فى ممالك جده قالوا وهذا كله يدل دلالة واضحة على أن تمدن اليونان انتقل مع من هاجر اليها من ديار مصر فى تلك الازمان وان اليونان انما هى بنت مصر لا محالة

وطالت أيام ملك رمسيس فكانت ثلاثا وثلاثين سنة وقال آخرون بل سبعا وستين سنة وقيل ثمانا وستين سنة واشهرها واستدلوا على ذلك بأنه لما تغلبت دولة فارس على بلاد مصر وخرجت الحكومة من يد ملوك مصر الاهلية وكان فى رواق الصور الملوكية بمدينة طيبة بالصعيد صورة رمسيس الثانى المذكور أراد داريوس ملك فارس أن يضع صورته فى هذا الرواق فوق صورة رمسيس الاكبر فغضب رئيس الكهنة المحافظ على تلك الصور من ذلك وقال للملك بغلظة لا يجوز لأحد من الملوك أن يعلى رمسيس الاكبر الا من حناحنوه فى أعماله العظيمة فلم يغضب داريوس من كلامه وقال له لأجتهدن وأفعلن لمصر من المنافع ما فعله هذا الملك العظيم ان عمرت عمر رمسيس حتى لا أكون دونه فى الشهرة ورفعته المقام

ورميس هذا هو الذى قسم بملسكة مصر الى ست وثلاثين إيالة وأقام على كل إيالة نوابا لجمع العساكر وتجنيد الاجناد وهو الذى رسم صورة الخريطة وصور فيها صورة المدن التى افتتحها ليين لاهل مصر عظم ملكه ولكنه جبروته وكان فيه تبه وتعظم فانه كان اذا ركب فى موكبه لزبارة المعابد أو التنزه يأتى ببعض الملوك والامراء والعظماء الذين أسرهم ويلبسهم ثيابهم الملوكية ثم يربطهم كالحبل أربعة أربعة ليجروا عربته وكان بعد رجوعه من هذا الموكب يجلسهم ويحسن اليهم وكان قد كف بصره فى آخر أيام حياته فخرع نفسه بعد ذلك بيده كأس الحمام وجسده اليوم محفوظ بدار الآثار المصرية وموته تولى بعده ابنه المسمى منقطا الثانى (ويقال له أيضا منقطا الاول)

(فى الملك منقطا الثانى)

(ابن رمسيس الاكبر)

تولى الملك بعد موت أبيه رمسيس الاكبر سنة خمسمائة وألف قبل الميلاد ويقال له أيضا فاران أو فرعان وفرعون وإنما سمي منقطا ليكون جده كان يسمى بذلك وكانت عادة ملوك مصر القدماء أن يلقب الملك منهم بلقب جده وله أبنية ومآثر عظيمة تدل على علو همته وفى أيامه خرج بنو اسرائيل من مصر مع موسى وهارون سنة أربع وخمسين وستمائة وألف قبل الميلاد بعد وقوع ما وقع من المعجزات على يد موسى كما جاء فى التوراة فهو على هذا فرعون الذى أغرقه الله سبحانه وتعالى فى بحر القلزم وقال بعض المؤرخين من أهل أوروبا ان خروج بنى اسرائيل وغرق فرعون كانا فى زمن رمسيس الثانى وزعم بعضهم ان هاتين الحادتين كانتا فى زمن ابنه منقطا الاول والذى وعليه معظم المؤرخين انهما فى زمن فرعون بن رمسيس الاكبر المسمى عندهم فرعان أو (ابوخوريس) وهو منقطا الثانى هذا قال مانيطون المؤرخ مات منقطا يعنى منقطا الثانى هذا عن ابنة اسمها (طوسير) وابن قاصر اسمه منقطا الثالث ويلقب (أوسيرخپورع ميامون) فتزوجت هذه الابنة بعظيم من المصريين اسمه حقطا منقطا فكان يقال له أيضا فرعون تبعالها وكان يحكم بالنيابة عنها اه ففسر أهل التاريخ أن زواج طوسير المذكورة بذلك العظيم الذى لم يكن من الدم الملوكى مع ان جدها سيزوستريس كان قد خلف عدة بنين يدل على حدوث حادث عظيم للغاية نجم عنه انقراض سائر أعضاء تلك العائلة الملوكية قالوا وذلك الحادث إنما هو غرق فرعون وسائر جنوده فى البحر * ولا بأس من أن نذكر هنا تفصيلا لقدم بنى اسرائيل الى مصر وما جرى عليهم الى يوم خروجهم منها

على ما جاء في التوراة وما قاله المفسرون في ذلك تيمنا للفائدة وان كان فيه بعض الاسهاب والتطويل

اعلم ان اولاد يعقوب الذين جاؤا الى يوسف بمصر مع يعقوب أبيهم هم راؤبين وشمعون ولاوى ويهوذا ويساخر وزبولون وبنيامين ودان ونفتالى وجاد وأشير وقد تناسل من هؤلاء الاعد عشر وعمن خرج من أصلابهم سبعون نفسا غير يوسف عليه السلام فلبثوا مع أبيهم بمصر ماشاء الله ثم مات يوسف وجميع اخوته وسائر ذلك الجيل وبقي من خرج من أصلابهم فتوالدوا ونفوا وكثروا كثرة بالغة جدا وامتلات أرض مصر منهم شرقا وغربا . فلما رأى فرعون كثرتهم ونماهم **(وهو رمسيس)** خاف شر العاقبة وقال لقومه انظروا كيف نما بنو اسرائيل وكثروا وصاروا شعبا أعظم منا هلم نختل لهم لئلا يكثروا فيخشى أنه اذا حدث حرب ينضمون الى أعدائنا ويحاربوننا ويكوفون لهم عوننا علينا فجعلوا عليهم رؤساء تثقل عليهم وتسومهم الخسف ثم جعلوا يسخرونهم في البناء ونقل الاحجار وحمل اللبن فابتنوا مدينتى **(فيتوم)** **(ورعسيس)** وفيتوم هذمه هى السماء فى الآثار باسم فيتوم **(ورعسيس مدينة حصينة واقعة بين مصر وفلسطين)** وكان أولئك الرؤساء لا يألون جهدا فى تعذيبهم واذاثمهم فقد وجد منقوشا على جدران هيكل طيبة الصغير من قول أولئك الرؤساء للعمال من بنى اسرائيل وذلك فى عصر توتوميس الثالث **(هاهى العصابة لنا فلا تكونوا متوائمين)** قال أصحاب التاريخ وقد اشتدت عليهم وطأة العذاب فى أيام رمسيس الثانى اذ لم يكن ثمة ما يشغله عنهم بسبب المعاهدة التى تمت بينه وبين أمير الحيثيين بالكف عن الحرب والقتال فوجه عنايته الى بناء المعابد وانشاء العمارات الجسيمة والابنية الضخمة بعمال من الاسرائيليين فكان فريق منهم للبناء وفريق للحرث وفريق للاعمال الدنيئة ومن لم يقدر على عمل شئ فعليه الجزية وقد وجد مكتوبا على ورقة البردى الموجودة الآن بمتحف لوندرة عاصمة الانجليز ما ترجمته

ان جلالة الملك رمسيس شيد لنفسه مدينة تدعى رعسيس حصينة الموقع بين مصر وفلسطين مملوءة بالخيرات العظيمة ورسمها كرم **(أون)** يعنى ارميت وستبقى أكثر من منف وتشرق الشمس فى أفقها وتغرب فيها وتمجر الناس مواطنها لتسكنها فهيسكل **(امون)** غربيا وهيسكل **(سوتخ)** جنوبيا وهيسكل **(استرته)** شرقيا والالهة **(بوت)** فى شمالها والمدينة بينهم كأنها أفق السماء وفيها **(رمسيس)** كأنه معبودها فهو ملك كالشمس بين الامراء لم تكن لمصر لذة الاب وهومثل **(توم)** من حيث حسن الادارة كيف لا وقد خضعت له الارض اه

قالوا ولما أتم عمال الاسرائيلين بناء المدينة المذكورة فرح بها رمسيس فرحاعظيما وأولم فيها وليمة حضرها كاتب من المصريين اسمه **(بنيتا)** فكتب فى ذلك الى رئيس له اسمه **(أمنم أبت)** يقول * قد دخلت مدينة رعسيس فوجدتها فى أحسن حال وهى جميلة ليس لها فى الحقيقة مثيل فى عمارات طيبة ولا فى جبل السلسلة الذى هو محل النعيم حيث

تري حقولها مملوءة في كل آن بالمغروس والمأكول وحيضانها مشحونة بالاسماك وغدرانها
تفرق عليها سائر أشكال الطيور المائية ومروجها مخضرة بالحشائش الأنيقة الى أن قال
ومينائها خاصة بالسفن والسوانى المشحونة بالخيرات الكثيرة من الماء كولات على اختلاف أنواعها
تأتى اليها في كل يوم وإذا نزل بها مقيم سرسره وانشرح صدره اذ لارقيب فيها ولا معارض بل
يستوى فيها الصغير والكبير الى أن قال * وفيها جوارى الملك الحسن واقفات على أبوابها
والفرح يعم سائر أرجائها بلا مكدر لصفوه * عشت يارميس في صحة وعافية * ومع ما كان فيه
بنو اسرائيل من الذل والحيف كانوا في نماء وازدياد عظيمين حتى خاف فرعون عاقبة أمرهم
وجسب لهم ألف حساب وكان لنساء الاسرائيليين قابلتان احدهما اسمها شفرة وثانيتها
اسمها فوه فأرسل فرعون في طلبهما فلما تمثلتا بين يديه قال لهما انظرا اذاجاء المخاض لاحدى
العبرانيات ودعيت احدا كما اليها فان ولدت ذكرا فلتقتله في الحال بلامهل وان ولدت بنتا فلتبقيها
فلم تفعل القابلتان ذلك وخالفتا فرعون فيما أمر وأحس فرعون بذلك فأرسل في طلبهما
وسألهما فقالا انا لم نخالف لمولانا أمرا ولكن العبرانيات أشد وأقوى من المصريات ولذلك
يلدن قبل أن تصل إحدانا إليهن فتركهما فرعون ونادى في قومه أن اطرحوا كل ذكر ولدته
عبرانية في النهر فان ولدت بنتا فاستبقوها فطاولت أيدى الناس الى العبرانيات وبالغوا في
اذاهن وتنكيلهن واحتاطت بهن العيون والارصاد فكانت شدة عظيمة للغاية * واتفق في هذا
الحين أن تزوج رجل من بيت لاوى ابنة من سلالة لاوى فحملت ثم ولدت ذكرا فنظرت اليه فرأته
جيلا حسن الصورة فخبأته ثلاثة أشهر ثم خافت أن ينفض أمرها فأخذت له سفطا من البردى
وطلته بالقار والحجر ووضعت الصبي فيه وألقته في النهر بين الحلقاء النابتة على حافة
النيل وأوقفت أخته من بعيد لترى ماذا يحل به وبينما هي على هذه الحال اذ أقبلت ابنة
فرعون في وسط جواربها ورصيفاتها لتغتسل في النهر وكان بعض جواربها على مقربة من
النهر فنظرن السفط في ذلك المكان فأخبرن سيدتهن بخبره فأمرت باستحضاره فأحضرنه
ففتحته فرأت فيه الصبي يبكي فتأملت في وجهه وقالت (هيه هو من أولاد العبرانيين)
وخالج حبه فوآدها وعند ذلك تقدمت أخته الى ابنة فرعون وقالت هل تسمح سيدتى بأن
أذهب وآتى لها بمرضعة ترضعه فقالت لها اذهبي فذهبت أخته وعادت معها أم الصبي
فدفعته لها ابنة فرعون الصبي وقالت أرضعيه ولك أجرتك فأخذته وانطلقت فرحة مسرورة
بنجاته ولبتت ترضعه حتى كبر وترعرع فأنت به الى ابنة فرعون فاتخذته لها ولدا وسمته
(أوزار سيف) ومعناه كإفسره أهل العلم من المتأخرين (موسى) وجاء في التوراة أنها سمته
(موسى) وقالت انى انقسلته من الماء وعنيت بتربيته وتهذيبه وتعليمه العلوم والفلسفة
المصرية حتى نبغ

وانفق أن خرج موسى يوما الى حيث بنو اسرائيل يشتغلون فرآهم وهم يقاسون العذاب
ألوانا والرؤساء تسوقهم الى العمل كالأنعام المسخرة وتظر فاذا مصرى بضرب عبرانيا ضربا شديدا

فَسَقَى عَلَيْهِ هَذَا الْأَمْرَ جَدًّا وَأَغْضَبَهُ وَنَظَرَ يَنْتَهِ وَيَسْرَةَ فَلَمْ يَرِ أَحَدًا يَخْشَاهُ فَوَكَرَهُ مُوسَى
فَقَضَى عَلَيْهِ وَوَارَاهُ فِي الرَّمْلِ وَهُوَ لَا يَنْظُرُ أَنْ أَحَدًا رَأَاهُ فَقَطَّ وَأَصْبَحَ نَخْرَجَ وَإِذَا بَاثْنَيْنِ
يَخْتَصِمَانِ وَكَانَ أَحَدُهُمَا شَدِيدًا قَوِيًّا فَكَادَ يَبْطِشُ بِالثَّانِي فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ مُوسَى
وَقَالَ لَهُ لِمَ إِذَا تَضْرِبُ صَاحِبَكَ كَفَّ عَنْهُ يَرْجُوكَ اللَّهُ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ وَمَنْ جَعَلَكَ رَئِيسًا
وَقَاضِيًا عَلَيْنَا أَتَصَرَّ عَلَى قَتْلِي كَمَا قَتَلْتَ الْمِصْرِيَّ بِالْأَمْسِ وَشَاعَ خَبَرُ قَتْلِ الْمِصْرِيِّ وَنَقَلُوهُ
إِلَى فِرْعَوْنَ فَغَضِبَ وَطَلَبَ مُوسَى فَلَمْ يَجِدْهُ حَيْثُ نَزَحَ هَارِبًا مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى أَرْضِ
(مَدْيَنَ) وَلَمَّا اشْتَدَّ بِهِ التَّعَبُ جَلَسَ عِنْدَ بئرٍ هُنَاكَ لِيَسْتَرِيحَ وَكَانَ رَجُلٌ مَدْيَنِي
الْمَدْعُورُ عُوَيْلُ سَبْعَ بَنَاتٍ فَاتْنِ وَاسْتَقَيْنِ وَمَلَأْنِ الْأَجْرَانِ لِيَسْقِيَنَّ غَنَمَ أَبِيهِمَا هُنَّ
عَلَى هَذِهِ الْحَالِ إِذْ جَاءَ بَعْضُ الرِّعَاءِ وَطَرَدُوهُنَّ وَأَخَذُوا مَائِي الْأَجْرَانِ مِنَ الْمَاءِ فَكَبِرَ هَذَا
الْأَمْرُ عَلَى مُوسَى وَاسْتَعْظَمَهُ وَقَامَ وَطَرَدَ الرِّعَاءَ وَاسْتَرَدَّ الْأَجْرَانِ وَسَقَى غَنَمَ أَبِيهِمَا فَلَمَّا
عَادَتِ الْبَنَاتُ إِلَى أَبِيهِمَا قَالَا مَا بِالْكَنَّ فَدَرَجَتِنِ الْيَوْمَ مَسْرَعَاتٍ فَقَتَلَ رَجُلٌ مِصْرِي
عَاوَنًا الْيَوْمَ وَأَتَقَدَّزْنَا مِنْ أَيْدِي الرِّعَاءِ وَسَقَى لَنَا الْغَنَمَ فَقَالَ رَعُوَيْلُ وَيَا لَكُنْ يَا قَاسِمَاتِ
أَذْهَبْنَ وَاسْتَدْعِيَنَّ الرَّجُلَ لِنَشْكُرَ لَهُ صَنْيعَهُ فَاتْنِ بِهِ فَأَكْرَمَ رَعُوَيْلُ وَفَادَتَهُ وَأَنْزَلَهُ مَكَانًا رَحْبًا
وَبَالِغَ فِي الْأَكْرَامَةِ وَقَرِيبَهُ مِنْهُ وَلَبِثَ مُوسَى عَلَى هَذِهِ الْحَالِ أَيَّامًا كَثِيرَةً فَزَوَّجَهُ رَعُوَيْلُ
أَحَدَى بَنَاتِهِ الْمُسَمَّاةَ حَفُورَةَ فَرَزَقَهُ اللَّهُ مِنْهَا بَوْلَدًا فَسَمَّاهُ (جَرَشُومَ) قَالَ لَأَنْي وَلَدَتُهُ وَأَنَا فِي بِلَادِ
غَرِيبَةٍ

وَمَا زَالَ مُوسَى وَزَوْجَتُهُ عِنْدَ أَبِيهَا رَعُوَيْلَ حَتَّى مَاتَ فِرْعَوْنُ الَّذِي هُوَ رَمِيسُ الثَّانِي
وَقَدْ أَخَذَتْ الشَّدَّةُ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مَا أَخَذَهَا وَارْتَفَعَ صَرَاحُهُمْ إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ وَاتَّفَقَ أَنْ
يُخْرَجَ مُوسَى يَوْمًا يَرَى غَنَمَ جَدِّهِ عَلَى عَادَتِهِ فَسَارَ بِهِمْ عَلَى غَيْرِ التَّفَاتِ إِلَى مَاوْرَاءَ جَبَلٍ (حُورَيْبٍ)
وَجَلَسَ هُنَاكَ قَلِيلًا وَكَانَ عَلَى مَقَرَبَةٍ مِنْهُ عَالِيْقَةٌ فَتَنَظَّرَ إِلَيْهَا وَإِذَا هِيَ تَتَوَقَّدُ نَارًا وَلَمْ تَحْتَرَقْ فَدَنَا
مِنَ الْعَالِيْقَةِ وَالْخُوفُ مَلَأَ فُؤَادَهُ فَسَمِعَ صَوْتًا يَنَادِيهِ (مُوسَى مُوسَى) فَقَالَ لِيَبْكُ فَقَالَ لَا تَقْتَرِبْ
مِنْ هُنَا وَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ لِأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ بِهِ مُقَدَّسٌ وَاعْلَمْ أَنِّي إِلَهُ أَبِيكَ وَالْه
إِبْرَاهِيمَ وَالْه إِسْحَاقَ وَالْه يَعْقُوبَ فَاشْتَدَّ الْخُوفُ بِمُوسَى وَاسْتَرْجَاهُ بِسَيْدِهِ فَقَالَ الصَّوْتُ إِنِّي
عَالِمٌ بِعَذْلَةِ شَعْبِي الَّذِي بِمِصْرَ وَعَالِمٌ بِأَوْجَاعِهِمْ وَسَاقَتَهُمْ مِنْ تِلْكَ الْعِبُودِيَّةِ وَأَخْرَجَهُمْ مِنْ تِلْكَ
الْأَرْضِ إِلَى أَرْضٍ وَاسِعَةٍ تَقْبِضُ لَبْنًا وَعَسَلًا وَسَاسَكُنْهُمْ حَيْثُ يَسْكُنُ الْكَنْعَانِيُّونَ وَالْحِثِّيُّونَ
وَالْأَمُورِيُّونَ وَالْغَرِزِيُّونَ وَالْحَوِثِيُّونَ وَالْيَبُوسِيُّونَ فَانْهَضَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَأَخْرَجَ شَعْبِي مِنْ بِلَادِهِ
فَقَالَ مُوسَى مِنْ أَنَا حَتَّى أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمِنْ أَنَا حَتَّى أَخْرَجَ شَعْبَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ
قَالَ * فَإِذَا خَرَجْتَ بِشَعْبِي مِنْ أَرْضِ مِصْرَ تَعْبُدُونَ اللَّهَ عَلَى هَذَا الْجَبَلِ وَهَذِهِ تَكُونُ لَكَ
عَلَامَةٌ أَنِّي مَرْسَلُكَ * فَقَالَ مُوسَى السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فَإِذَا أَتَيْتَهُمْ وَقُلْتَ لَهُمْ إِلَهُ آبَائِكُمْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ
وَقَالُوا مَا اسْمُهُ فَإِذَا أَقُولُ فَأُجَابُهُ الصَّوْتُ قُلْ لَهُمْ هُوَ (أَهِيَّةُ شَرُّ أَهِيَّةٍ) وَقَدْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ
فَإِذَا سَمِعُوا قَوْلَكَ فَادْخُلْ أَنْتَ وَشَيْمُوحُ بْنُ إِسْرَءِيلَ عَلَى فِرْعَوْنَ وَقُولُوا لَهُ إِنَّ اللَّهَ انْتَقَانَا

وأمر نأبالدخول عليك لتطلق شعبه بني اسرائيل واني أعلم أن فرعون لا يطلق شعبي ولا يسرحه
فلذلك سأضرب مصر بكل عجائبي حتى تخرجوا * فقال موسى وكيف يصدقني شعبك ويعمل
بقولي * فقال له الصوت وما تلك بيمينك قال هي عصاى قال ألقها فألقاها فإذا هي حية تسعى
خفاف موسى فقال له الصوت مديك وأمسك بذنبها فشد يده وأمسك به فعادت عصا فنادى
الصوت يا موسى أدخل يدك في جيبك فأدخلها ثم أخرجها فإذا هي بيضاء مثل الثلج فقال له
أدخلها ثانية فأدخلها ثم أخرجها فعادت كما كانت قال الصوت فان لم يصدقوك بعد
هاتين الآيتين فخذ ماء من النهر وصبه على الارض فيصير في الخال دما وسأشد أزرك بأخيك
هرون وأكون لكما ونصيرا

وانحدر موسى إلى مصر ومعه زوجته وأولاده وهرون أخوه وكان عمر موسى ثمانين
سنة وعمر هرون ثلاثا وثلاثين فلما قاهم بعض العبرانيين وفرحوا بمقدمهم وسجدوا
لله شكرا حيث نظر الى ضعفهم وما هم عليه من الذل والمسكنة وشاع الخبر بذلك فعم الفرع
وبات موسى ومن معه وأصبحوا وقد دخل هو وأخوه هرون على فرعون وقالوا له يقول لك اله
اسرائيل أطلق شعبي ليعبدوني في البرية فتعجب فرعون من كلامهما وقال من أنتم
ومن هو الهكم الذي يطلب أن أطلق له بني اسرائيل عبيدى وعبيد شعبي احسأ * ورسم
للرؤساء والسحرة بأن يشددوا على سائر العبرانيين ويضيقوا عليهم ما استطاعوا فشددوا
وهتدوا وساموهم الخسف فلما ضاق منهم الخناق اجتمع كبارهم ومدبرو أمرهم ووقفوا
لفرعون في طريقه فلما دنا منهم صاحوا في وجهه وقالوا ارحم عبيدك ولا تحرقهم بنار
غضبك فلم ياتفت اليهم فعادوا وهم في أسوأ حال واذا بموسى وهرون ينتظرانهم فكلموهما
في الامر وبكوا وانصبوا وقالوا لهما تضرعا الى الله كي يستجيب ندائنا ويرحم صراخنا فدخل
موسى وهرون على فرعون وقالوا له يقول الله اله ابراهيم واسحق ويعقوب ان أنت لم تطلق
شعبه بني اسرائيل حاق بك وبجميع شعبك غضبه فزجرهما وقال ما الذى جئنا به من العجائب
حتى أطلق عبيدى القائمين ببناء معابد آلهة شعبي وهياكلهم فقال موسى لهرون خذ عصاى
وألقها أمام فرعون ومن حوله من كبار دولته فألقاها فصارت حية تسعى فلم يحفل فرعون
بما صنع موسى وهرون وأمر بالسحرة والعرفان فحضر وا فقال دونكم وما فعل هذا العبراني
فطرح كل واحد عصاه فصارت حية تسعى فانقضت عليهن حية موسى وابتلعتهن جميعا
فغضب فرعون وأمر باخراج موسى وهرون فاخرجوهما فعاد اليه موسى وأخوه ثانية وقالوا
يقول الرب ان لم تطلق بني اسرائيل نضرب الارض والنهر فيتحول ماءه وسائر مياه سواقيكم
وأجامكم وكل مجتمعات مياهكم دما فيكون الدم في جميع أرض مصر حتى في الاخشاب والاحجار
قالا ذلك وفعلا بمحضرة فرعون وكبار دولته وجاعة السحرة والعرفان فالتفت فرعون الى السحرة
وقال وأنتم ماذا تقولون قالوا نفعل هاته الآية بعينها وفعلوها في الخال فاشتد عناد فرعون
وقال لا أطلق قط ذلك الشعب النجس وكبر الامر عليه جدا وجاء الناس ليستقوا من النهر

فلم يقدر والشدة تنته فخر واحوا الى النهر وأخذوا الماء فوجدوه دما فكانت شدة عظيمة وبعد سبعة أيام دخل موسى وهرون على فرعون وكلماه في اطلاق بنى اسرائيل فلم يلتفت اليهما فقال له يقول اله اسرائيل ان لم تطلق شعبي ليعبدنى في البرية وأبيت ذلك فهأنا أضرب جميع قومك بالضفادع فيفيض النيل ضفادع وتثبت في الارض وتدخل بيتك ومخدع فراشك وتضعد الى سريرك وتدخل سائر بيوت شعبك والى مخازلك ومعاجنك فقال فرعون لاسيبل الى ذلك فأمر موسى هرون فشد يده الى النيل ففاض في الحال ضفادع وانبتت على وجه الارض فجاء العرافون وفعلاوا كذلك واشتد اذى الضفادع بالناس فاستدعى فرعون موسى وهرون وقال لهما اطلبنا الى الهكما أن يرفع عنا ضفادعه فرفع موسى عينه الى السماء ونادى الله تعالى فماتت جميعها باذن الله فجمعوها فكانت أكواما كثيرة لانكاد تدخل تحت حصر وأنبتت وظن فرعون أنه لم يبق من موجب لاطلاق بنى اسرائيل فجعل يحاول موسى وهرون وبطاولهما فشد هرون يده بعصا موسى وضرب بها تراب الارض فصارت كل أرض مصر بجاء العرافون ليخرجوه بسحرهم فلم يقصدروا واشتد البعوض بالناس والبهائم فكانت شدة عظيمة جدا فلم ينكف فرعون عن عناده ولم يسرح بنى اسرائيل فغضب الله على فرعون وضربه هو وقومه بضربات أخرى متتابعة هي الذباب وموت الماشية والقمل والبرد والجراد والظلام الدامس مدة ثلاثة أيام ثم موت الابكار من ولد فرعون الجالس على كرسى عظمته حتى بكر الجارية التى تطحن على الرحى حتى بكر البهائم أيضا فكانت هذه الضربة خاتمة ضربات مصر فقام حينئذ المصريون قومة رجل واحد على فرعون ملكهم وقالوا له أطلق بنى اسرائيل الساعة فأطلقهم فساروا مع موسى وهرون من مدينة رعيس نحو مدينة (سكوت) وهم زهاء ستمائة ألف ماش من الرجال عدا الاولاد ومعهم شئ كثير جدا من الضأن والمعز والبقر فكانت مدة مقامهم بمصر مائتين وثلاثين سنة * وقال موسى لبنى اسرائيل اذ كروا أنكم خارجون من أرض مصر من بيت الذل والعبودية فى شهر أيب وأخذ موسى وهرون جثثة يوسف عليه السلام معهما ليدفنهما فى أرض الموعد وسارا بينى اسرائيل وهم جيش عرمرم من سكوت الى (ابتام) ونزلوا فى طرف البرية أياما ثم رجع بهم موسى ونزلوا أمام فم الجيروت بين مجدل والبحر امام بعل صهون * وندم فرعون على ما فعل من اطلاق بنى اسرائيل فنادى فى جنده وبنو قومه بالمسير خلفهم وارجاعهم وأمر فشدوا مركبته وجهازوا ستمائة مركبة حربية وعدة وافرة من مركبات النقل وسار بها سيرا حثيثا جدا خلف بنى اسرائيل حتى أدركهم عند فم الجيروت امام بعل صهون عند البحر فلما رآهم بنو اسرائيل مقبلين بخيلهم وعرباتهم فزعوا جدا وصرخوا الى الله تعالى وصاحوا فى وجه موسى وهرون وقالوا ويلك هلا يكون فى أرض مصر قبور ندفن فيها حتى آتيتما بنا الى هنا لئلا نموت فى هذه البرية فرفع موسى عينه الى السماء فسمع صوتا يقول * قل لبنى اسرائيل أن يرحلوا وارفع أنت

عصاك وامدد يدك بها الى البحر وشقه فتكشف اليابسة فاعبر البحر أنت وهم ففعل وباتوا ليلتهم
تلك وأصبحوا وكانت ريح شرقية طول الليل فييس البحر وظهرت اليابسة فعبى بنو اسرائيل
والماء سور لهم ذات اليمين وذات الشمال فتبعهم المصريون ودخلوا وراءهم بسائر مركباتهم
وخيلهم فلما تم عبور الاسرائيليين مد موسى عصاه الى البحر فانها الماء على فرعون ومن
معه من كبار قومه وجنوده ومركباته وأغرقهم جميعا وشاهد بنو اسرائيل أجسادهم طافية
على وجه الماء فصاحوا جميعا صيحة الفرح وجعلوا يترغفون بهذه الكلمات * أرنل الله تعالى
فانه قد تعظم . وقد طرح الفرس وراكبه في السيم . الله ربى قوتى ونشيدى
قد صار خلاصى هو الهى سبحانه فأمجده إله أبى فأرفعه * وجعلوا يكثر من مثل هذه الاغانى
حتى ملأت أصواتهم البرية وأخذت مريم أخت هرون الدف بيدها وخرجت جميع النساء
وراءها يضربن بالدفوف والكاسات ويرقصن ومريم تشدهن شيامن الحاسميات ثم ارتحل
موسى بنو اسرائيل من بحر سوف وخرجوا الى برية شور فساروا ثلاثة أيام ولم يجدوا ماء فأنقلبوا
على موسى وأخيه وقالوا قد جئنا بنا الى هنا فنأين ياترى نستقى وليس أمامنا الا تلك العين
المررة فنظر موسى الى شجرة كانت على مقربة منهم وقال اطرحوا هذه الشجرة فى العين فطرحوها
فصار ماؤها عذبا زلالا ففرحوا واستقوا وساروا فى طريقهم حتى نزلوا على (إيليم) . وكان
بها اثنتا عشرة عينا وسبعون نخلة فاستقوا واستراحوا أياما ثم ارتحلوا من (إيليم) فوصلوا
الى برية (سين) الواقعة بين (إيليم) المذكورة (وسينا) فى اليوم الخامس عشر من الشهر
الثانى من خروجهم من أرض مصر فشق عليهم ذلك جدا وتذمروا على موسى وهرون وخطبوها
بفحش القول وهذر الكلام وقالوا هل جئنا بنا الى هذا القفر لتقتلنا بالجوع والله قد كان
خيرا لنا ان نخدم المصريين ونستعبداهم ونحن جالسون عند معاجن الخبز وقدور اللحم فكبر
هذا الامر على موسى ونادى ربه وبكى فقبل له إله منزله عليهم فى الصباح خبزا من السماء
فيخرجون ويبتلعون حاجة اليوم وفى المساء لحافيا كلون ويستغفرون فكان ذلك وساروا من
هناك الى (إرفيديم) فأعوزهم الماء فصاحوا فى وجه موسى وهرون وقالوا ارجعنا بنا الى أرض
مصر فانه خير لنا أن نموت عبيدا لأهلها من أن نموت فى هذه البرية عطشا فغضب موسى وقال
ويلكم الى كم تغفلون فى القول والى منى تعنفونى وتظر الى السماء وبكى فناداه الصوت أن
خذ عصاك التى ضربت بها البحر وخذ معك جماعة من شيوخ بني اسرائيل وسر بهم الى حوريب
واضرب الصخرة التى هناك بعصاك تلك فينفجر منها الماء فسار موسى ومعه الشيوخ الى
حوريب وضرب الصخرة بعصاه فانفجر منها الماء فاستقى بنو اسرائيل وسائر دوابهم وشكروا
ودعوا ذلك المكان باسم (مسرة ومريسة) ثم سار بهم موسى وهرون حتى جاؤا برية سينا وخطوا
رجالهم أمام الجبل ونادى الصوت موسى وهرون أن اصعدا الى الجبل واقتحما فصعدا فأرسل
الله تعالى على موسى العشر كلمات شريعة يقضى بها ولبث موسى يصعد الى سينا وينحدر
منه الى بني اسرائيل بوصايا الله تعالى وشريعته التى سنها لهم حتى ناداه الصوت يوما أن اصعد

ياموسى الى الجبل فأعطيك لوحى الحجارة والشريعة والوصية التى كتبها لشعبى بنى اسرائيل
فقام موسى لساعته وودع شيوخ بنى اسرائيل وقال لهم ابنى مستخلف فيكم هرون
(وهور) فن كانت له ظلامه فليقدم اليهما وصعد الى الجبل فغشيه السحاب وكانت
نار آكلة تتأجج فى وسط الجبل وبنو اسرائيل ينظرون الى ذلك وهم وجلون فأقام موسى
فوق الجبل أربعين يوما وأربعين ليلة

ولما أبطل موسى ولم ينزل هاج بنو اسرائيل وماجوا وملوا من المقام فى البرية فقاموا
على هرون وصاحوا فى وجهه وقالوا قم واصنع لنا إلهة يسير أمامنا فأتنا ملتنا المقام فى هذا
المكان القفر أما موسى الذى أخرجنا من أرض مصر وجاء بنا الى هنا فلا ندرى ما فعل الله
به فوعدهم فلما من الوعد وذهبوا الى السامرة فقال اتوني بالذى عند نساكنكم وبناتكن
من الحلى فأصنع لكم منه إلهة فاتوه بجميع ما عند نساكنهم وبناتهم من الذهب فصنع
لهم عجلا على أحسن ما يكون فلما نظروهم صاحوا وقالوا (هذا الهكم يا بنى اسرائيل الذى
أخرجكم من أرض مصر) وبنى لهم مذبحا ونادى فيهم بأن تقربوا الى الهكم فى الغد
بما شئتم ففرحوا وأكلوا وشربوا ليلتهم تلك وأصبحوا وقد اجتمعوا حول العجل يرقصون
ويطربون ويغنون الاناشيد واذا بموسى قد انحدر من الجبل وألواح الشهادة فى يده فلما
اقرب من المحلة وأبصر العجل والناس من حوله يرقصون ويغنون اشتد به الغيظ والحلق
وألقى ألواح الشهادة الى الارض فانكسرت وانهض على العجل فنزعه وأوقد نارا عظيمة وطرح
فيها العجل ثم حرقه ثم نسفه فى اليم نسفا وكان بنو اسرائيل يستقون منه وأكرههم على
شربه جزاء مخالفتهم فشربوه وهم صاغرون وغضب الله على بنى اسرائيل ونادى الصوت
ياموسى قل لهذا الشعب قاسى القلب انهم لا يدخلون الارض المقدسة بل يلبثون أربعين
سنة فى هذه البرية ويموتون جميعا فلا يدخلها الأولادهم وأحفادهم فبكى موسى وتضرع
الى الله تعالى أن يرحم شعبه بنى اسرائيل وان لا يجازيه بحسب عمله فناداه الصوت ثانية
قائلا وأنت ياموسى لا تدخلها أيضا أى لا تدخل تلك الارض بل تراها من بعيد ثم تموت
فاشد بكاء موسى وشاع الخبر بين القوم فبكوا بكاء مرا * ولكن قد نفذ القدر المقدور
* وأقام بنو اسرائيل فى تلك البرية أربعين عاما حتى مات سائر من خرجوا مع موسى
وهرون من أرض مصر ولم يبق منهم أحد وما أصابهم مما هو مذكور فى التوراة لاجابة
الى ابراده هنا

أما مؤرخو اليونان فانهم لم يأتوا على ذكر شئ مما جاءت به الكتب السماوية بشأن هذا
الحادث وجميعهم يؤول انفلاق البحر لعبور بنى اسرائيل بمحادثتى المد والجزر وينكرون غرق
فرعون موسى ويقولون انه لم يكن من موجب لذلك أى لاضطهاد بنى اسرائيل الا انضمامهم
مع من بقى من طوائف الملوك الرعاة وخلودهم الى شق عصا الطاعة فضرب ملوك مصر عليهم
الاسترقاق والاستعباد كي لا يستطيعوا مد يد المساعدة الى أهل الجباز والشام الذين كانوا

كثيرى الاغارة على ديار مصر (قلت) وهذا القول بعيد لان نزول بنى اسرائيل على أرض مصر كان بعد طرد طوائف الملوك الرعاة من البلاد وجلائهم عنها وظهور العائلة الثامنة عشرة المتأصلة قال مانيطون المؤرخ فى كتابه بعد كلام * وعاش يوسف بمدينة منف وتسلط على سائر البلاد فى أيام أعظم وأقدر فراعنة المملكة الجديدة يعنى طوطمس الذى تولى الملك بعد نفي الرعاة ومما يدل على صحة ذلك ما جاء فى التوراة أيضا من قول يوسف لاختوته عند حضورهم اليه بمصر * يكون اذا دعاكم فرعون وقال ما صنعناكم أن تقولوا عبيدك أهل مواش منذ صبا إلى الآن نحن وآباؤنا جميعا لتسكنوا فى أرض جاسان لان كل راعى غنم رجس عند المصريين اه وقال بعض الكتاب أيضا * قد دلت الآثار على ان السعاة وجملة الرسائل كانوا من الكنعانيين فاستغاثوا وابتهلوا الى الله تعالى فأرسل اليهم موسى وأخاه هرون فذهب موسى الى فرعون بأيات مذكورة فى التوراة يخاف فرعون وأطلق بنى اسرائيل فساروا من مدينة (رعسيس) حتى أتوا مدينة (سوكوت) وكانوا ستمائة ألف رجل غير الاطفال وسار معهم أيضا عدة كثيرة جدا من الطوائف الاخر الذين كانوا فى أسر المصريين ومنهم الفينيقيون وقد نزلوا (بارام) التى فى آخر الصحراء وأمر الله تعالى موسى أن ينزل بهم امام قم خروث التى بين مجدل والبحر امام بعل صفون وأن يسير موسى امامهم قريبا من البحر الاخر وينزل هناك ففعل * وندم فرعون على اطلاق بنى اسرائيل فجمع فرسانه وجنوده وتبعهم ليرجعهم الى أرض مصر فأمر الله موسى أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق وعبروا جميعا على اليابسة حتى صعدوا الى الشاطئ الثانى فأتبعهم فرعون وجنوده فغطاهم الماء وغرقوا جميعا * ولما عبر موسى البحر سار باسباطه من طريق الصحراء بين مجدل والبحر فكان طريقهم على أطراف بلاد العرب شرق بلاد مصر والبحر الاخر ولم يبروا بأرض فلسطين شرفا خوفا من جنود الحيثيين أن تردهم الى أرض مصر قايما بالعهد الذى كان بين ختاسار ملك الحيثيين (ورسيس) الاكبر ملك مصر وهو رد كل من أتى من رعايا أحدهما الى بلاد الآخر * وتاه بنو اسرائيل فى البرية أربعين سنة عقابا لهم على مخالفة وصايا الله تعالى كما جاءت به الكتب المقدسة ولم يدخل أرض كنعان أحد منهم سوى يوشع بن نون كما أمره الله مع ان مسافة الطريق فى البرية الى أرض كنعان ليست الا اثنتى عشرة مرحلة ودخلها بعدهم أولادهم أمام موسى فقد أراه الله سبحانه اياها من جبل (نبو) ثم مات ولم يعلم للآن مكان قبره

وقال يوسوفوس المؤرخ غير ذلك وقال آخرون ان خروج بنى اسرائيل كان فى أيام المملكة طوسير بنت الملك منفطة الثانى كما سيأتى بيانه فى محله

(في الملكة طوسير بنت منفطة الثاني)

(وأخيها الملك منفطة الثالث)

(الملقب أيضا)

(أوسر خبر ورع ميامون)

تولت هذه الملكة حكم البلاد بعد أبيها منفطة الثاني وكانت متزوجة بعظيم يسمى حفظا منفطة ويقال له أيضا فرعون تبعاً لها وكانت ولايتها قبل أخيها أصغره ولذلك كان زوجها المذكور يدبر الملك بالنيابة عنها وطالت مدتها مع أخيها منفطة الثالث فكانت تسع عشرة سنة * قال بعض أصحاب التاريخ * وفي أيام الملكة طوسير كان خروج بني إسرائيل من أرض مصر * وقال يوسفوس عن مانيتون الكاهن المصري في خروج بني إسرائيل أنه لما كان الملك امنوفيس * قال صاحب العقد الثمين ولعله منقسط * يجب أن يرى المعبودات تجلي له كما كانت تجلي على الملك * (حوريس) * أحد أجداده سأل في ذلك أحد المكاشفين ورغب إليه أن يعلم كيف يصل إلى هذه المرتبة فقال له انك لن ترى الهك عياناً حتى تظهر الديار من جميع المجذومين وأصحاب الدناسة فجمع * (امنوفيس) * الملك من هؤلاء ثمانين ألفاً وهم من الاسرائيليين ووضعهم في محاجر طرا وبينهم طائفة من الكهنة فأثار هؤلاء القوم غيظ المعبودات فخاف ذلك المكاشف شر العقاب وكتب نبأ في صك يقول فيه ان هؤلاء القوم * يريد اليهود * سيتعاهدون مع قوم آخرين ويملكون مصر مدة ثلاث عشرة سنة وبعد أن كتب ذلك قتل نفسه فلما علم الملك * (امنوفيس) * بمقالة ذلك المكاشف لم يلتفت إليها ونقل أصحاب الدناسة إلى مدينة * (أواريس) * ليقبضوا عليها وكانت قد تخربت وتداغت إلى السقوط من أيام العمالة فلما سكنوها واستقر بهم المقام تألفت منهم طائفة فكان على رأسها مقدم دياتهم المسمى أوزار سيف المقيم بالمطرية قال صاحب العقد الثمين * وقد فسره أهل العلم من الاوروبيين بموسى * فجعل لهم قوانين مخالفة للعوائد المصرية وأعد لهم للحرب وتعاهد مع من بقي من العمالة المتوطنين من أجيال بالشام فهاجوا مصر سوية وملكوها بغير قتال فعند ذلك تذكر الملك * (امنوفيس) * ما قاله ذلك المكاشف وخاف وجمع الاصنام وهرب بها إلى بلاد ابيتيوبيا ومعه جيشه وكثير من المصريين فعاث العمالة واليهود في البلاد وأفسدوا في الأرض وأسأوا إلى أهلها وشددوا عليهم وضيقوا وحرقوا المبدن والقرى ونهبوا المعابد وكسروا الاصنام وأكلوا الحيوانات التي كان المصريون يعبدونها وألزموا الكهنة

من المصريين بذبحها وتقطيعها والقائها في الطرق وبينما هم على هذه الحال اذعان (امنوفيس) من بلاد الايتوبيا بجيش عظيم ورجع أيضا ابنه (رمسيس) بجيش آخر وهجموا على العمالة واليهود فانتصروا عليهم وقتلوا منهم عدة كبيرة واقتفوا أثرهم حتى أدخلوهم أرض الشام اه أما مؤرخو العرب فقد قالوا ان خروج بنى اسرائيل وغرق فرعون مصر كانا في أيام هذه الملكة وقد سموها باسم (دلوكة بنت ذبا) وقد ذكر المقرئ في خطه مانصه * قال ابن عبد الحكم لما أغرق الله آل فرعون بقيت مصر بعد غرقهم ليس فيها من أشرف أهلها أحد ولم يبق بها الا العبيد والاحرار والنساء فاتفق من بمصر من النساء أن يولين منهن واحدة وأجمع رأيهن أن يولين امرأة منهن يقال لها (دلوكة بنت ذبا) وكان لها عقل ومعرفة وتجارب وكانت في شرف منهن وموضع وهى يومئذ بنت مائة وستين سنة خافت أن يتناولها الملوك فجمعت نساء الاشراف وقالت لهن ان بلادنا لم يكن قبلا يطمع فيها أحد ولا بعد عينه اليها وقد هلك أكابرنا وأشرافنا وقد ذهب السحرة الذين كنا نقوى بهم وقد رأيت ان أبى حصنا أحرق به جميع بلادنا فأضع عليه المحارس من كل ناحية فانا لانأمن أن يطمع فينا الناس فبنت جدارا أحاطت به على جميع أرض مصر كلها المزراع والمدائن والقرى وجعلت دونه خليجا يجرى فيه الماء وأقامت القناطر والترع وجعلت فيه محارس على كل ثلاثة أميال محرس ومسلحة فيما بين ذلك محارس صغار على كل ميل وجعلت على كل محرس رجالا وأجرت عليهم الارزاق وأمرتهم أن يحرسوا بالاجراس فإذا آت بخافونه ضرب بعضهم الى بعض الاجراس فيأتهم الخبر من أى وجه كان في ساعة واحدة فنظروا في ذلك فنعت بذلك مصر من أرادها وفرغت من بنائه في ستة أشهر وهو الجدار الذى يقال له جدار العجوز بمصر وقد بقيت بالصعيد منه بقايا كثيرة فلكتهم ثلاثين سنة اه قلت فليتأمل أما أخوها الملك منقطة الثالث فقد كان كثير التبعيد للاصنام المصرية شديد الخضوع اليهم وله اغداقات كثيرة على الهياكل والمعابد وأهدى اليها تحفا كثيرة جدا وقد أنشأ هيكلًا خصوصيا لمعبوده (أمون) في هيكل الكرنك وعمل له قسيسو مدينة طيبة في هذا الهيكل القاعدة الصغيرة التى هى بالحوش الاول تذكارا لاسمه قال صاحب العقد الثمين وكتبوا عليها ان (لوى) رئيس كهنة معبد (أمون) كان هو وابنه وخليفته محبين للملك ولكهنة (أمون) اه

وبنى لنفسه مقبرة عظيمة في بيان الملوك كتب عليها القسيسون انه حكم جميع بلاد مصر وساسها وقد حصل في أيامه الخلل وكثرت الاختلافات الداخلية وفشت الاغراض وخرج عليه بعض الرعية وادعى بعضهم الرئاسة وانتحل لنفسه حقوق الكهونية والوراثة الملك مصر وكان ممن خرج دجل اسمه (امنميس) وادعى انه ابن (رمسيس) الاكبر وكان مولده في مدينة (خب) وأخذ ينازع منقطة الثالث في الامر ومازال حتى مات منقطة الثالث فكانت مدة حكمه بالاشتراك مع أخيه (طوسير) مدة واحدة قدرها

على ما قاله أهل التاريخ تسع عشرة سنة وستة أشهر فلما مات تولى بعده (منجس) المذكور وتسلق عرش الملك اختلاسا فحكم مصر وجميع ملحقاتها وأشاع أن المعبودة (ازيس) قد اختارته من مدينته (خب) التي هي من قسم (أفرو وميتروبوليس) وجعلته حاكما على الأرض وكان متزوجا بامرأة تدعى (باكت أورنور) فلم يستقر به المنصب حتى عم الخلل جميع البلاد وأقامت فيها الفوضى واشتدت ووردها الأجانب وتمكنوا منها ورسخت قدمهم في جوفها فعاملوا أهلها بالقسوة والجفاء والغلبة حتى كادت ترحل أهل البلاد وتنزع إلى غيرها من البلاد الأخرى وما زال الحال هكذا حتى مات (منجس) المذكور ومحيى بومه اسمه من جميع الهياكل والآثار لكونه ليس من بيت الملك وفي أيامه ظهر (سبتاح) من بيت الملك القديم ونازع (منجس) الملك أياما كثيرة وما زال ينازعه حتى هم إلى معاونة (سبتاح) المذكور الوزير (بابي) وانضمت إليه زوجة (سبتاح) السماعة (توسرت) فتم له ذلك وارتقى المنصب بعنايتهما

(في الملك سبتاح)

لما كثرت الفتن والارهاصات الداخلية وعم الاختلال وانتشرت الفوضى في البلاد واستقل كل رئيس بحكم جهة مخصوصة خض الوزير المسمى (بابي) واتحد مع (توسرت) زوجة (سبتاح) المذكور على تولية (سبتاح) ملكا على مصر فملا ومازالا يعملان حتى تم (لسبتاح) الامر واستقل ملك مصر قال صاحب العقد الثمين ولذا قال هذا الوزير اني أزلت الباطل وأظهرت الحق لكوني أجلس الملك (سبتاح) على تخت والده اه ولما استقر به المنصب أقام وزيره المسمى (سيتي) حاكما على بلاد (كوش) وقلده أيضا مناصب أخرى عالية وأجله وقر به عنده زلفى ولم يقدر (سبتاح) المذكور على إعادة الراحة في داخلية البلاد إلى سابق مجراها ولارفع أهل البغي والفساد والخوارج الذين ظهروا في داخلية البلاد بل ظل الحال على ما هو عليه من الخلل والارتباك حتى مات فبقيت مصر في يد هؤلاء الخوارج زمنا طويلا لم يتكلم أصحاب التاريخ عنه بشئ إلى أن خضع من أمر هذه العائلة (اريزو القنديقي) واستقل بالملك فعاش وأفسد وقهر أهل البلاد وأذلهم وأساءهم وطالت أيامه حتى ظهر آخر اسمه (سبتخت) فقام على اريزو القنديقي المذكور وخلعه وطرده من البلاد واستقل هو بالملك قال صاحب العقد الثمين ويرى اسم الملك (رعسو سبتاح) منقوشا مرتين في خانة ملوكية داخل الهيكل الذي شيدته زوجته (توسرت) فالمرة الأولى تجده في باب الهيكل والثانية في داخل الهيكل المذكور منزويا في المكان الذي نقش فيه زوجته اسمها وقد شيد لنفسه قبرا في ميدان الملوك كتب عليه أسماءه ولكنها محيت منه اه

(في الملك سيتخت)

لما استقر بالملك (سيتخت) المنصب نهض الى قتال الاغراب الذين عاثوا في البلاد وأفسدوها ومزقوا هيبتها فردعهم وأرغم من قام من أهل البلاد ينازعه الملك وأخضعه وسعى جهد الاستطاعة في ارجاع الامور الى ما كانت عليه بعد أن اختل نظامها في أيام الملك (امنجس) الى أيام (سيتخت) هذا قال صاحب العقد الثمين ومما يؤيد صحة ما كان حاصلًا من الاختلال والاضطراب في مدة الملوك الثلاثة السابقين وهم (امنجس) (وسبتاح) (وسيتخت) ماورد في ورقة (هارميس) من النصوص المقولة على لسان رمسيس الثالث في مبدأ حكمه حيث بين فيها حال تلك المدة الوخيمة بالالفاظ المعربة الآتية

(قال الملك رمسيس الثالث) المقدس الاكبر لأمرأه ورؤساء البلاد والجنود والمشاة وجنود العربات الحريسة والسردانيين ولكثير من العساكر الاجنبية وغيرهم من السكان المقيمين في ديار مصر اسعوا مقاتلي فاني سأعلمكم بحسن سيرتي * لماصرت ملكا على البلاد وكانت أهل مصر منفية بالجهات الخارجة ولم يكن للقيم فيها اعتبار ومضى على ذلك زمن طويل وتداولت الايام ومصر في أيدي رؤساء أجنبية وكان أحدهم يقتل الآخر بدون مراعاة الشريف والحقير ثم بعده هذا الاختلال بعدة ظهر (الفسديقي اريزو) أحد هؤلاء الرؤساء واختلس الملك لنفسه وألزم جميع الامم بدفع الجزية له وكانت رفقاؤه تنهب كل ما تذخره الناس لانفسهم وهكذا كانوا يفعلون وعاملوا المعبودات كالناس ومنعوا عنهم قرايئتهم المعتادة ولكن المعبودات أصلحوا الامور وأوجدوا العدل في المملكة وتكرموا بتعسين الحال وازالة الاهوال وجعلوا (سيتخت مرمايون) ملكا على جميع المملكة وأجلسوه فوق تخت المنيف فكان اذا غضب يشبه (ست) واعتنى بكافة المملكة وقتل كل من ثبت عليه قتل نفس أو ذنب وبذلك طهر تخت مصر المنيف من أهل الجرائم وحكم أهلها فوق تخت الشمس (توم) المعبودة لهم واستقبلها بوجهه وكان بيني الخاطئ على كل من لم يظهر لصاحبه الصحبة والاخوة ونظم المعابد وأعطى المعبودات مرتباتهم من القرايين حسب مربوط قوانينهم وأورثني الحكم في أرض مصر وجعلني حاكما على جميع ملحقاتها لأقوم بأمر الامة التي التأمت ثانيا ثم توفي وظهر من دائرة نوره كالأجسام السماوية فعملوا له الرسوم المعتادة لدفن الاموات وشيعت جنازته في النهر على سفينة ملوكية ثم وضعوه في جدره الاذلى غربى طيبة وبعد ذلك جعلني أبى (أمون) وأعظم المعبودات (رع) (وسبتاح) ذوى السماحة ملكا على تخت والذى فتقلدت رتبته مع غاية المسرة وفرحت الناس وانشرحت مما حصل لهم من مزيد سرورهم وقروا عينا لما نظروني ملكا على مصر حيث انى أشابه (حور) ملكها حين كان فوق تخت (أزوريس) وتوجت بتاج (أتف) وسبتاح

الذمبان وترينت بالريشتين كالعبود (تاتانن) وهكذا كان ارتقائى على تخت (حورغنى) وتزيينى بجلابس الفخار مثل (نوم) ٨١ بنصه
 وبموت الملك (سيتنخت) هذا انقطعت مدة حكم الدولة التاسعة عشرة على ما قاله جماعة من الكتاب فانهم عدوه آخر ملوكها وبعضهم يقول غير ذلك فكانت مدة حكم هذه الدولة على المشهور من أقوال أصحاب التاريخ مائة وأربعا وسبعين سنة وقامت بعدها الدولة المكملة للعشرين وأولها الملك رمسيس الثالث ابن (سيتنخت) المذكور

(الفصل الثالث)

(فى ملوك الدولة الحتمرة للعشرين الطيبة)

كان مبدأ ظهور هذه العائلة سنة ثمان وثمانين ومائتين وألف قبل الميلاد أى سنة عشر وتسعمائة وألف قبل الهجرة وعدد ملوكها اثنا عشر ملكا وسنو ملكهم مائة وثمان وسبعون سنة وقيل غير ذلك وأول ملوكها من نسل ملوك العائلة التى قبلها قال أهل التاريخ وقد كان لفظ الدولة عند قدماء المصريين غير المعنى المعهود منها فى اصطلاح المتأخرين وإنما كانت عندهم بمعنى آخر كالعصابة أو الفرع مثلا قالوا والعائلة هى التى تحكم مدة خاصة فى بلد خاصة حكومة متميزة وإن لم تختلف السلالة ولا خرجت الحكومة عن السلسلة الملوكية وأول من ملك منهم رمسيس الثالث الآتى الكلام عليه

(فى الملك رمسيس الثالث)

(الملقب)

(وع أوسر ماميامون)

كان أول ملوك هذه الدولة الملك رمسيس الثالث ويسمى رمسيس الميمون يعنى عبد شمس ويقال له أيضا سيطوس الاول وإنما سمى باسم رمسيس الثالث تفاؤلا بهذا الاسم واقتضارا إذ أن رمسيس الأكبر جعل لهذا الاسم كبير اعتبار ومزيد افتخار وقد تلقب به من أئى بعده من الملوك حتى أن هذه الدولة أى المكملة للعشرين سميت بالدولة الرميسية ورمسيس الثالث هذا آخر مشاهير ملوك مصر وكان قبيل موت والده (سيتنخت) شر يكاله فى حكم

البلاد وتدبير أمورها فلما آل إليه الملك كبر اهتمامه بأمور المملكة وحفظ حدودها وملقاتها واعتنى بتنظيم داخلتها وكان شجاعا على الهمة محاربا ولم يستقر به المنصب حتى قامت عليه قائمة الحروب والفتن وخرج أهل البادية فهددوا معاقل إقليم مصر المعروف بالدلتا وأذلوا العملة الذين كانوا بطور سيناء لاستخراج المعادن وزحف على ديار مصر طائفة عظيمة من الليبيين من جهة الشرق برآسة أربعة وهم (ديد ومشاكن وصمار وصا وعمار) وانضم اليهم طوائف (التهانو) (وتماحو) (وكنالك) وقبائل أخرى من بجاورهم وقد ساروا من سهول صحراء ليبيا ومازالوا حتى احتلوا قسم مريوط وقسم صان ومصاب النيل الى فرعه الأكبر وانتشروا وشغلوا جزء الدلتا الغربي من مدينة (كر يانا) الى آخر حدود مصر الشرقية ومنها الى ضواحي منف من الجهة القبلية فقام عليهم الملك رمسيس وقاتلهم قتالا شديدا مبتدئا بأهل البادية فهزهمم وانتصر عليهم نصرا مبينا حتى أبادهم ولم يبق منهم الا القليل ثم طارد الليبيين الذين هم أهل برقة ومن معهم من بقية الطوائف في السنة الخامسة من حكمه فهزهمم شر هزيمة فاشحاز بعضهم اليه فادخلهم في جيوشه المعدة للإمداد وتتابعت نصراته عليهم حتى أدخلهم تحت الطاعة وأذلهم وكسر شوكتهم وأزال بأسهم

قال صاحب العقد الثمين وهذه الواقعة منقوشة في خسين سطر على جدران مدينة (أبو) بطيبة تركنا من أولها ستة عشر سطر لعدم فائدتها لنا ولنذكر ههنا من السطر السابع عشر الى آخرها نقلا عن (شباس) وهذا نصها (الملك رمسيس الثالث) ذبح سكان بلاد السهول والجبال وأبادهم وأخذهم الى مصر أسارى متواضعين امام معبوداتها وأشبع الجائع بالمؤنة الوفرة التي غمر بها إقليمي الصعيد والبحيرة وبث الفرح في أهل مملكته على الدوام كيف لا وهو الذي أجلسه المعبود (أمون) على تخت مصر وجعل غالب ما تطلع عليه الشمس في قبضة يده ثم ان أهل آسية وبلاد (تهانو) اللصوص أهل الذناعة عصوا وفعلوا أفعالا قبيحة في مصر وشنوا غارة العصيان عليها مدة الملوك السالفة ونهبوا أمتعة المعبودات وأموال الناس ولم يردعهم أحد مذ عصيانهم فلما ظهر هذا الشاب الهمام وثب عليهم كالاسد ذى الخلب القاتل وهجم عليهم كالمعبود (نهي) أعنى (هرمس) حتى أبطل كلامهم الذي هددوا به أهل مصر وأثبت كلامه عليهم وسرت الى جنوده قوة جيته فظهروا كالثيران المستعدة للهجوم على المعز وكانت خيالاته تهجم عليهم كالصقر اذا انقض على الطيور الصغيرة ولهم زئير كالسباع الهائلة من الغيظ وكانت ضباطه شديدة البطش لا تقاوم كأنهم المعبود (رسب) ينظرون الالوف من الناس صغيرة كحدقة العين ولقد كانوا في قوتهم مثل (مونت) الذي اسمه ميزان العدل يخافه جميع بلاد السهول والجبال وبعد ذلك اجتمع أيضا لقتاله الليبيون والمشواشيون المعروفون قديما (بتماحو) واعتمد جنودهم على رأى رؤسائهم

رؤسائهم المهيج لقلوبهم ووافق أفكارهم هذا الرأي فقالوا هلم بنا نسكرو ونشبع من خمر الخمية
الأنهم خابت آمالهم ولم ينالوا مقاصدهم لعدم استحسان هذا الرأي لدى المعبود (أمون) حيث
لم يستجب دعاء رئيسهم لتكونه معبودا محسنا عالما بالهدى والضلال سلطان المعبودات الذي
أقام رمسيس رئيسا على مصر وجعل بيده القوة والنصر حتى صار بدعوات الامم له ملكا ذا
دولة عظيمة بفتنة وذكاء كالمعبود (هرمس) ولما ظهر له هذا الملك ما كمن في قلوب
(تماحو) ذوى القلوب الصغيرة من سوء مقاصدهم تغلب عليهم فخفضوا لسيفه وتفصيل
ذلك (انهم اجتمعوا) عند رئيسهم وأصروا على سلب بعض أراض من مصر فتعجب
المصريون وقالوا كيف ينالونها مع كونهم لم يسمعوا قولا يشبه ذلك في مدة الملوك السالفة
فلما سمع الملك رمسيس كلام الاعداء هاج قلبه واضطرب وهم باستئصالهم بسيفه المنصور
فرعبوا منه كالمعز اذا هجم عليها ثور ووطئها برجليه وضربها بقرنيه وزعزع الجبال واقتنى
أثر من قرب اليه كيف لا وقد منحت المعبودات في حضرتهم ما يليق به من القوة فكان اذا
اخترت جماعة حدوده هجم عليهم كالنار المحرقة اذا انتشرت في الحشائش فيصرون كالاور
المأخوذ من شبكة للتقطيع والشئ ولذلك تساقط منه أولئك الاعداء عند هجومه عليهم
رما مضرجة بدمائها تساقط هائلا ولم يمكنهم من شئ سوى مشاهدة ذفوبهم كبيرة بينهم
كالجبال الشاخنة بل جردوا في الميدان من أسلحتهم وتراكت على الارض أمواتهم بشهامة الملك
المنصور صاحب السيف والقوة (رمسيس الثالث) المماثل (لمونت) وأحضر معه
من هذه الواقعة لمصر أيديا وأحالييل مقطوعة وأسرى لا تحصى سلسلة في الأغلال منقادة
واجتمع في هذا الوقت رؤساء هؤلاء الامم المأسورة لينظروا فضيحتهم أما الملك فقد سارت
معه أعيان دولته الذين هم من درجة الثلاثين نحو المعبود (أمون رع) باسطين
أيديهم الى السماء منادين نداء السرور مع امتلاء قلوبهم بحجة الملك قائلين أيها المعبود
قد وجب علينا مدح شهامة الملك رمسيس الذي حضرت لديه جميع رؤساء الدنيا وقلوبهم
مرتجفة ومختطفة وغير مستقرة في صدورهم شاخصين الى هذا الملك الشبيه (بنوم) ملك
كسر في حكمه أصلاب (تماحو) الذين زحفوا على حدود مصر ودمروا الارض وجعل
قواد فرسانهم فرقا تحت تصرفه ولقبهم باسمه هذا ما حصل مع (تماحو) الذين بدأوا
بالعدوان على مصر من غير أن يقفوا على حالها وجلبوا معهم المشواشين كالسيل ورحلوا
من وطنهم فهلكت مزارعهم وتلفت وشتت أعضاؤهم من الفرع وعجزت وصاروا يقولون
لقد انقصت في بلاد مصر ظهورنا وأذل الى الابد ملكها نفوسنا والمصريون يقولون يا حسرة
عليهم لانهم يرون رقصهم تبدل بذبح والمعبودة (سخت) المصرية في أثرهم والفرع لاحق
بهم فازداد عند ذلك تأسف الاعداء وقالوا هزمتنا من غير مقاتلة فرسانهم لنا في ميدان القتال
فلا نمشي في الطريق التي نمشي الناس فيها بل نخوض الماء حياء منهم ولقد ألتهمنا الخراب
من ملكهم اذ كان كالنار علينا كل مرة أراد قتالنا واختطفتنا رجاله حين قربنا اليهم ولم نجد

لناسبيلا الى النجاة منهم ولما أراد رئيسهم رمسيس الشيبه (بست) الهجوم علينا كالسبع
 ذى الخلب واتبعنا ليقتلنا اضطرنا الى القهقري دائما والبعد عن مصره فأوجاعنا أعظم من الموت
 وسرت فينا النار فلا نزرع أبدا ولقد أراد رؤسنا (ديد - ومشاكن - ومرايو - وصماور
 - وصاوتمار) الذين كانوا أكبر المهيجين لنا مع الليبيين إضرار اللهيب في مصر من أولها
 الى آخرها ولكن سخطت علينا المعبودات لانتانها هياكلهم وأراضيتهم فالتزمنا بالخضوع
 لسيف مصر ذى البسالة العظمى أليس هو الذى أعطته الشمس قوة النصر فشابهها وقت
 ظهوره واستنارت به البشر فهل بنا نسد اليه احترامنا ونقبل الارض أمام حسام مصر المنصور
 (قال) وبهذا يتضح لك أن الليبيين انهزموا هم ومن معهم شر هزيمة وضربت عليهم بسبب
 عصيانهم الذلة والمسكنة وهذا حاصل ماتم في الواقعة الاولى * وقد وقعت واقعة ثانية كانت
 أكبر من الاولى وهى أنه لما سمع أهل آسية الصغرى والجزائر اليونانية بهذه الحرب الاخيرة
 هموا بالخروج عن طاعة رمسيس الثالث فشنوا الغارة عليه وهم (الدنائيون - والترسانيون
 والشكالاشيون - والتكرسيون) الذين خلفوا (الدردانيين) في البطش والمنعة بين الامم
 التروانية وتعاهدوا على قتال هذا الملك وانضم اليهم (الليسيون - والفلسطينيون) وساروا
 حتى نزلوا بيلاد (خيتا - وكركيش - وكاتي - وآراد - وكدش) فنهبوها وأخذوا رجالها
 معهم ليستعينوا بهم على قتال المصريين ثم ساروا حتى نزلوا بيلاد الاموريين وأقاموا بها مدة
 ثم نزلوا على مصر كسيل العرم من طريق الدلتا فتقابلت جيوشهم وسفنهم الحربية بالمركب
 والجيوش المصرية وكانت تنتظرهم بين مدينتي (رافيا - والطينة) بجانب برج رمسيس
 الثالث وامتلات مصاب النيل بالسفن الحربية والمراكب المشحونة بعساكر الاعداء فشرع
 الفريقان في القتال والطعان فكانت المشاة من المصريين تزار كالسباع وعساكر عرباتهم
 تقاتل تحت قيادة رؤساء محنكين وضباط مدربين وخيولهم تضطرب أعضاؤها وتدوس الامم
 بسنابكها أما رمسيس فكان واقفا أمام جيشه كأنه معبود الحرب (مونت) يقتل في
 الاعداء ويجندلهم ويغرق سفنهم وأموالهم حتى هزمهم هو ورجاله شر هزيمة واتصر عليهم
 نصره تامة وعادت الراحة بعد ذلك واستتبعت وعت الطمأنينة أنحاء البلاد مدة طويلة فلما
 كانت السنة الحادية عشرة من هذه الواقعة عاد (الليبيون) الى شق عصا الطاعة مرة
 ثانية وزحفوا على ديار مصر ومعهم قبيلة (المشواشين) وطوائف (سبانه - وكبكاش)
 وبعض طوائف آخر وجيش من الجنود (الترسينية - والليسية) وأغاروا على مصر من
 جانبها الغربى وذلك في شهر مسرى من السنة المذكورة وكان مقدم هذه الحملة (كابور)
 وابنه (مشاشال) فلما التقى الفريقان أعمل فيهم المصريون القتل وأبلاو فيهم بلاء حسنا
 واتصروا عليهم انتصارا مبينا

وأرسل رمسيس الثالث طائفة من جنوده المظفرة الى جبل الطور لقتال أهل البادية
 الذين كانوا يغيرون على الحدود ومحلات المعادن فصرهم وأخضعهم وأدخلهم تحت الطاعة

فعلت بعد ذلك كلته وطار صيته واتسعت مهابته وانجلى عن أرض مصر جميع من كان بهامن (السرديانيين - والترسينيين - والليسين - والفلسطينيين) بعد أن كانوا بأتون اليها مهاجرين من أوطانهم منذ خمسة أجيال ورحلوا الى قارة أوروبا (قال شيباس) فاستوطن (الترسينيون) شمالي مصب نهر (الطبر) ونزل السردانيون بجزيرة سردينيا فسميت باسمهم ورحل الفلسطينيون الى الشام وأقاموا بساحل البحرين يافا وسهول مصر بأرض كنعان وعاثوا فيها وحاكها ملك مصر واستقرت طائفة المشواشين الذين يسميهم مايطون الحبر المصري (ماكسير) في الناحية الاخرى من الدلتا وأقطعهم رمسيس هناك أرضا وصارت رجالهم في ليبيا وسواحل النيل جنودا تحت قيادة المصريين وامتازوا بالبسالة والاقدام والمثابة على الحروب

قال بعض المؤرخين ولما خرج الملك رمسيس الثالث لقتال الاعداء أقام أخاه المسمى (ارمايس أوبتناور) حاكما متصرفا على مصر بالنيابة عنه بشرط أن لا يلبس التاج الملوكي وأن يراعى حقوق زوجة أخيه رمسيس أم أولاده فينما هو يقاتل اذ وردت اليه الاخبار من رئيس كهنة المصريين بأن أخاه (ارمايس) لم يعمل بوصيته وأنه أقام راية العصيان واستبذ بالملك فكثر رمسيس راجعا الى مصر ودخل مدينة تيس واستولى على سرير الملك ولبس التاج الملوكي فهرب (ارمايس) وهاجر الى بلاد اليونان واليونان يسمونه باسم (دانوس) وقال هيرودوتوس المؤرخ انه حين رجوعه الى رجوع رمسيس من غزوته جاء اليه أخوه (ارمايس) الذي كان حاكما على مصر بالنيابة عنه ودعاه هو وزوجته وأولاده الى الحضور في وليمة أعداه له في قصره بمدينة صان وتظاهر بتنثته وأبدى له البشاشة والفرح فأحسن الملك فيه ظنه ولم يعتقد أن أخاه يظهر خلاف ما يظن والحقيقة أن أخاه أضمر له السوء والهلاك فلما استقر بالملك المقام أضرم أخوه النار في القصر ولم يشعر الملك بذلك فلما أحس هو وعائلته بالحريق فزوا هارين ونجوا من هذه المكيكة

ولما صفا للملك رمسيس الحال نهض الى اصلاح العمارات فوسع معبد الكرنك وأصلح هيكل لقصر وغيره من عمارات الاقاليم البحرية وزاد في قديسين المعبودات وفي الاحتفالات الدينية والمواسم والاعياد (قال صاحب العقد الثمين) ويرى على حيطان هيكل مدينة (أبو) ان الملك رمسيس هذا كان متزوجا بامرأة أجنبية من آسية أو من بلاد الحبشيين تدعى (هيمارو صا) وأبوها يدعى (هيبواتر وصا) رزقت من رمسيس باثنين وثلاثين ولدا منهم ثمانية عشر ذكرا وأربع عشرة أنثى وأكثر أسمائهم ثلاث ولم يبق منهم سوى العشرة الاول وهم الامير رمسيس الاول وكان قائد المشاة فلما تولى الملك لقب برمسيس الرابع ثم الامير رمسيس الثاني ولما تولى الملك لقب برمسيس السادس والامير رمسيس الثالث ناظر الاصطبلات ولما تولى الملك لقب برمسيس السابع والامير رمسيس الرابع ناظر الاصطبلات ولما تولى الملك لقب برمسيس الثامن والامير يراهيو ناميف أول قائد للعربات الحربية والامير منتحوى خورشف

قائد الجيوش والامير رمسيس الخامس الملقب **(بمرتوم)** كان رئيس الكهنة في المطرية
ثم صار ملكا والامير رمسيس السادس الملقب **(بجماموس)** رئيس كهنة معبد **(بتاح
سوكار)** في منف والامير رمسيس السابع الملقب **(بأمون حي خورشف)** والامير رمسيس
الثامن ولقبه **(ميامون)** اهـ

وعما تقدم يستدل على أن الدولة الملوكية المتممة للعشرين كانت سعيدة الطالع وأن هذا
الملك قد أعلی شأن المملكة المصرية ورقاها حراقى العز والرفاهية كما كانت في القدم * ولما
كانت السنة الثانية والثلاثون من حكمه اعتزل الاشغال وأشرك معه ابنه رمسيس الرابع في
الحكم الى أن مات بعد ذلك بقليل ودفن في قبره الذى بناه في بستان الملوك فاستقل ابنه
رمسيس الرابع بالملك وهو بكر أولاده وولى عهده وقائد جيوشه المشاة

(فى الملك رمسيس الرابع)

لما استقر به المنصب الملوكى وأخذ فى تدبير أمور الرعية قام عليه فى السنة الثانية من
حكمه أهل اسية وخرجوا عن طاعته فركب عليهم وقائلهم وأعادهم الى الطاعة صاغرين
ثم عنى بالتجارة فسهل أسباجها وفتح لها طريقا ما بين مصر وبلاد العرب من ناحية **(قفط)**
وأصلح شؤون الرعية بسن القوانين وإيجاد النظام ومال الى محبتهم فأحبوه كثيرا وأثرت البلاد
فى أيامه وأخصبت وكان واسع السياسة ميالا الى توسيع حدود المملكة مولعا بأبداع ما يؤثر
عنه وقد وسع معبد **(خونسو)** بطيبة وعمل رسوما بالحفر على حيطان وأعمدة معبد
الكرنك ويقال ان مدة حكمه كانت طويلة جدا ولم يذكرها أحد من الكتاب وقد مات فتولى
الملك بعده أخوه رمسيس الخامس وهو الملقب **(برع أوسرماس خبزع)**

(فى الملك رمسيس الخامس)

قد اختلف أصحاب التاريخ فى نسبة رمسيس الخامس هذا الى رمسيس الثالث فقال
بعضهم انه لم يكن من ذرية رمسيس الثالث وقال بعضهم غير ذلك أما من قال انه لم يكن
من ذرية رمسيس الثالث فقد نسب ارتقاءه بمرير الملك وقبضه على زمام حكم البلاد بعد
موت رمسيس الرابع ابن رمسيس الثالث الى الخديعة والغش وذلك أنه لما ظهر الاختلال
فى داخلية البلاد وكثرت الدسائس فى آخر أيام الملك رمسيس الرابع المذکور ظهر هذا
الملك بظهر الخديعة واختلس الملك لنفسه ونقش اسمه على الآثار بعد اسم سلفه رمسيس
الرابع وانتحل النسبة الى العصاة الملوكية فلما تولى بعده الملك رمسيس السادس محمدا اسمه

المكتوب بينه وبين أخيه رمسيس الرابع ونقش اسمه مكانه لاتصال سلسلة العائلة بدون فاصل أجنبي عن بيت الملك وبنى رمسيس الخامس المذكور له قبرا في بيمان الملوك ظاهرا على ربوة في آخر الوادى وعليه نقوش تدل على وقائع فلكية ورموز دينية مثل رسم فلك الشمس وما تقطعه في اليوم والليلة ورسم عدد ساعات اليوم والليلة أيضا وجدول مطالع الكواكب وحلولها في السروج وأحكام النجوم وتناسخ الأرواح والنص على ثواب الحسن وعقاب المسيء وذكر الحروب التي وقعت في أيامه ويقول بعض المؤرخين إن مدة حكم هذا الملك كانت عشرين سنة فلما مات تولى بعده رمسيس السادس

(في الملك رمسيس السادس)

(الملقب)

(بن باميامون)

(وفي الملك رمسيس السابع ورمسيس الثامن وميامون مرتبوم ورمسيس التاسع)

لما استقر بـرمسيس السادس هذا المنصب الملوكي اهتم ببناء بيوت العبادة والهيكل العظيمة وكانت له عناية تامة بالمعبودات وعاداتها المقررة واستكشف في أيامه النجوم من المصريين نجم الشعري اليمانية وبنوا على استكشافه حسابهم الفلكي فأمر برسم هذا النجم على مقبرته التي أنشأها في بيمان الملوك وذلك في سنة أربعين ومائتين وألف قبل الميلاد المسيحي كما قاله (بيوت) الفلكي الفرنسي في حسابيه * قال بعض أصحاب التاريخ من اليونان وقد كان المصريون يحسبون سنتهم التوتية ثلثمائة وخمسة وستين يوما واستمروا على هذا الحساب الأزمان الطوال ثم تبين لهم برصد الشعري اليمانية اختلاف حسابهم ونقص سنتهم ربع يوم فبتكامل ربع يوم في الحساب تكون السنة التوتية ثابتة على حالة واحدة ووجدوا الفرق بين السنة المختلفة والسنة الصحيحة في كل مائة وعشرين سنة شهرا كاملا وبضم هذا الشهر وزيادته يتكوّن منه في كل ألف وأربعمائة وستين سنة زيادة ثلثمائة وستين يوما سنة كاملة وهي الفرق بين السنين المختلفة والسنين الصحيحة فبكس هذه السنة في تلك المدة يوافق في آخر الدور أول السنة الصحيحة لأول السنة المختلفة ويوافق طلوع الشعري اليمانية فصار تصحيح السنة التوتية على هذا الوجه يسمى عند القدماء (بالدور الشعري) قالوا ووجه هذا التصحيح أن الألف والأربعمائة والستين سنة المختلفة باضافة سنة الفرق عليها لتصحيح تكون ألفا وأربعمائة وستين سنة صحيحة وحينئذ يكون عدد دورهما بهذه الاضافة واحدا لان مقدار أيام كل منهما مساو لمقدار الآخر في العدد فلذا صح التحرير والتصحيح لتوفيق السنين وكان تاريخ هذا التصحيح في أواخر القرن العشرين قبل الميلاد المسيحي اه

قال صاحب العقد الثمين وقد وجد على صخرة ببلاذ (النوبة) بجبل (أنيب) الذي على شاطئ النيل الايمن حذاء ابريم على بعد خمسين كيلومترا من أبي سنبل نقوش لرجل مصري يدعى (بني بن حرونقر) كان في عصر هذا الملك يعني رمسيس السادس رئيسا على اقليم (واوا) وحاصلها أن هذا الرجل أوقف لتمثال الملك رمسيس السادس أربع قطع من الارض الزراعية المجاور بعضها لمدينة هيكل الشمس بالدير وبعضها لمدينة (أما) المعروفة أيضا بابريم البالغة مساحتها ألفا وخمسمائة ذراع من ضرب خمسة عشر في مائة وقطعة أخرى من الارض الطفلية غير مدرجة في سجل الزراعة تبلغ مساحتها ألفا ومائتي ذراع حاصلة من ضرب أربعة في مائتين واثنين في مائتين وانه أوقف غيطا في أرض عالية تدعى (رفقي) وجعل زرعها معدا لأكل الثور الذي يذبح كل سنة قربانا لتمثال الملك المذكور ويرى في آخر هذه النقوش وصية معناه كل من تعدى على حدود هذه الاراضى التي أعرضنا عن ذكرها هنا لعدم فائدتها جازاء (أمون) جزاء مضاعفا وجازت المعبودة (موت) امرأته والمعبودة (خونو) أولاده ولحقه الجوع والنظم والذل الى أن يهلك في تلك الارض اه ملخصا من تاريخ بروكش

وكان رمسيس السادس المذكور عظيم الشوكة كبير المهابة وقد تغلب على كثير من البلدان وعلى اقليم (آهى) وعلى بلاد الذهب المسماة (اكينا) وأخذ منها الجزية وبسط حكمه على بلاد الزنوج وأقام عليها الولاة والحكام لجباية الاموال ومات فتولى الملك بعده الملك رمسيس السابع الملقب بـ (رع أوسر ميامون استبن رع) قال أهل التاريخ وهو أخو الملك رمسيس السادس ولم يعلم من تاريخ حياته وأعماله شئ يذكر ولا المدة التي حكمها ومات فتولى الملك بعده رمسيس الثامن الملقب بـ (رع أوسر ماخون امن) قالوا وهو أخو رمسيس السادس أيضا ويظن انه حكم مع أخيه رمسيس السابع فكانت مدة حكمهما واحدة ولم يعلم لهما شئ من أخبارهما ولا آثارهما أيضا وموت هذا أيضا حكم بعدهما الملك (ميامون حرتيوم) ثم رمسيس التاسع وهو (سبتاح) الملقب بـ (سخن ميامون) قال أهل التاريخ ولم يعلم من سيرتهما شئ يذكر ومات فتولى الملك بعدهما الملك رمسيس العاشر الملقب بـ (نفر كاوور رع استبن رع) الذي سيأتى ذكر أخباره بعد

(في الملك رمسيس العاشر)

(الملقب)

(نفر كاوور رع استبن رع)

كان لهذا الملك آثار كثيرة بالقرنة والكاب وقد وجد له دفتران محفوظان بمدينة لندن

عاصمة الانكليز أحدهما فيه حساب السنة الثانية من حكمه والثاني فيه حساب سبع عشرة سنة من أول ستة عشر امشير سنة واحد الى أحد عشر امشير سنة سبع عشرة من حكمه وله بعض عمارات أخرى مهمة ونقوش من هذا القبيل * قال صاحب العقد الثمين ومنها النقوش التي على حيطان هيكل (امون رع) بطيبة الدالة على علو شأن الكهنة في عصره وعلى بعض ملحوظات تاريخية ومحصلها أن رؤساء كهنة امون بطيبة أخذوا من عهد رمسيس الثالث في الظهور ونقود الكلمة شيأ فشيأ مع كل ملك الى أن آل ملك مصر بعد انقراض هذه العائلة يعنى الرميسية الى (حرحور) الذى هو سادس الكهنة المذكورين الذين هم (روى - وروما - ومرى بست - ورمسيس نخت - وأمون حتب - وحر حور) المذكور وما اشتهروا به في أيام هذا الملك أن (أمون حتب) لماولى رئاسة الكهانة على معبد (امون رع) الموجود بطيبة بعد موت أبيه (رمسون نخت) تحجب كثيرا الى الملك وتداخل في أمور الحكومة حتى وكل الملك لعهدته تجديد عمارة الهيكل وغيرها من الاشغال الجليلة التي كانت من وظائف الملوك ومدحه بخطبة عظيمة بعد أن كان المدح من الكهنة للملوك فكان ذلك باعثا على تقدم هؤلاء الكهنة وتداخلهم في أمور الحكومة وتقربهم الى السدة الملوكية كما يشهد بذلك صريح النقوش المكتوبة على الحائط الشرقي من هيكل طيبة ونصها ان (أمون حتب) ولى العهد قام بدل أبيه (رمسون نخت) رئيسا على كهنة (امون رع) سلطان المعبودات بطيبة اه فكان اتجال لقب ولى العهد لنفسه تمهيدا لتنفيذ ماقد وطن النفس على عمله وهو أخذ الحكم لنفسه أولم يأت من الكهنة بعده وإذا تعدى على عمل الملوك فقال

انى لما وجدت هذا البيت المقدس المعد من قديم الزمان لكهنة (امون رع) آل الى الدمار أردت أن أصلح ما فيه كما فعل (أوسرتسن الاول) في أيامه فشرعت في بنائه وجددته بعمل جيد وصناعة متقنة وقويت حيطان من جميع جهاتها وأتمت بناءه وصنعت أعمدته وأمسكتها بحجارة كبيرة من أسفلها وأعلاها بعمل متقن وصنعت له بابا كبيرا بمصرعين من خشب السنط بقفل محكم وأتمت سوره الكبير المطل على جهة (محي) من الحجر وبنيت فيه بيتا جديدا عاليا ليكون مسكنا لكل رئيس على كهنته ونصبت هذا الباب الكبير بخشب السنط وجعلت مفاثيحه من النحاس الاحمر وطلبت التماثيل بالذهب النقي والفضة وبنيت فيه بابا كبيرا بالحجر يفتح الى بحيرة المعبد من الجهة القبليية لأخذ الماء منها لغسل المعبد وأحطت جميع المعبد بسور ثم نصبت الاحجار الشاحخة المنقوشة على بابيه الكبير وركبت مصاريع الابواب المتخذة من خشب السنط ونصبت أمامها تماثالا من حجر التعت الكبير وذهنت دائرة النقوش باللون الاحمر وكتبت عليها اسم الملك وبنيت خزنة للاموال فى الارض داخل القاعة الكبيرة أما الأعمدة الكبيرة فصنعتها من الحجر والابواب من خشب السنط الملون وبنيت أيضا بحجرة للملك وأنشأت خلف الكيلار محلا من حجر لوضع أدوات المعبد فيه

وجعلت أبوابه ومصاريعها من خشب السنط ونصبت في الحوش الاول الكبير تمائيل لكل رئيس من كهنة (أمون رع) وأنشأت بساتين كالبساتين التي على بحيرة معبد (اشر) في الكرنك وغرست فيها الاشجار الى أن قال أفضل سيدى (أمون رع) سلطان المعبودات وأعترف له بالعظمة والحكمة والقوة وأطلب منه الملك ولنفسى الحياة والصحة والعافية وطول البقاء اه

فلما تم بناء الهيكل المذكور على ما وصفه رسم الملك لمن حوله من الامراء والوزراء بان يعطوه العطايا العظيمة جزاء ما فعله من الذهب والفضة فلما كان اليوم التاسع عشر من هاتور من السنة العاشرة من حكم رمسيس العاشر المذكور حضر (أمون حتب) في الحوش الاول من معبد (أمون رع) وحضر أمراء الملك وهم (أمون حتب) مستشار الملك وأمين خزانته (ونس أمون) مستشار الملك (ونفر كا أم بيا مون) كاتب الملك وترجمانه ومستشاره فلما انتظم محفلهم حضر الملك وألقى مقالة مدح فيها (أمون حتب) وهى دعوت (موننو) معبود الحرب و (أمون رع) و (تحوت) صاحب الكلام القدسى ومعبودات السماء والارض أن يكونوا شهداء على وأشهدت نفسى وأنا رمسيس العاشر ملك مصر الاكبر وأشهدت أولاد وأحباب المعبودات على أن يكون التوزيع والتمتع بمنافع أشغال الاهالى فيما يختص بمعبد (أمون رع) سلطان المعبودات تحت نظارتك وتعطى لك الارادات كافة وأن تستلم الضرائب وتتكفل بإدارة خزانة الاموال ومخازن المأكولات وشؤون الغلال التابعة لمعبد (أمون رع) سلطان المعبودات لتكون على أحسن حالة وعلى ذلك أكا فثلك أيها التابع العظيم الممتاز وأكلفك بهذه الوظائف لتقوى بها على ما فيه الاصلاح ولما شاهدت فعلك تعجبت منه وأصدرت أمرى بالانعام عليك بالذهب والفضة وغيرهما مكافأة لك وأنطت بذلك أمين خزانتي والمستشارين (نس أمون - ونفر كا أم بيا مون)

فعند ذلك قام المستشاران ووضعوا فى عنق (أمون حتب) عقدا من ذهب وحلياه بأنواع الخلى كما يشاهد ذلك على صورته المرسومة فى الحجر بجعبه أمون فى الكرنك اه ومن هذا الحين أخذت شوكة (أمون حتب) رئيس الكهنة المذكور فى العظم واتسعت كلمته وعلمت وتمكن من الملك وأرباب دولته وتداخل فى جميع أمور المملكة حتى آلت حكومة البلاد وانتقلت الى عقبه كما سيأتى بيانه فى محله ان شاء الله تعالى ولما مات الملك رمسيس العاشر المذكور تولى بعده الملك رمسيس الحادى عشر وهوا الملقب برع أو مرمز (استبن رع)

(فى الملك رمسيس الحادى عشر)

كان هذا الملك عظيم الكلمة واسع المهابة امتد حكمه على بلاد الاثيوبيا وجميع بلاد

سوريا ولم يستدل له على شئ من الآثار سوى ما وجد منقوشا على حجر مستخرج من هيك
 (خونسو) وهو موجود بالخزانة الملكية بمدينة باريس عاصمة الفرنسيين وحاصل
 ما على الحجر المذكور انه بينما كان هذا الملك في الجزيرة بين دجلة والفرات التي كانت من
 ملحقات الديار المصرية في ذلك الحين وقد عليه جميع ملوك الامم الخاضعة لسلطانه وقدموا
 له الجزية المضروبة عليهم من الذهب والبخارة الكريمة والعطريات اللطيفة من محصول بلاد
 العرب وكان ممن أرسل الجزيرة اليه ملك (بختانا) أرسلها مع ابنته وكانت جميلة فلما
 رآها الملك أحبها ومال قلبه اليها فتزوجها وسماها من هذا الحين (نفرورع) ورجع بها الى
 ديار مصر وعمل لها الولائم والافراح ولما كان اليوم الثاني والعشرون من أيب سنة خمس
 عشرة من حكمه سار الى مدينة طيبة التي هي تحت الملك يومئذ لزيارة (أمون رع) يوم
 عيده البهي بطيبة الجنوبية فبينما هو هناك اذ دخل عليه أحد حجابيه وأخبره بأن بالباب
 رسولا وفد من قبل صهره ملك (بختانا) ومعه هدية عظيمة برسم الملكة فامر به فتمثل بين
 يديه وقال السلام عليك يا شمس الامم نسألك العيش في كنفك ثم تذلل وقال اني أتيت اليك
 أيها الملك العظيم لآخبرك عن (بنت رشت) شقيقة الملكة (نفرورع) فانه قد أصابها
 مرض في جسمها فأتيت أسألك ارسال طبيب ينظر في شأنها فلما سمع الملك مقالة أمر بالاطباء
 والروحانيين فتمثلوا بين يديه فقال لهم قد دعوتكم لاختاروا من بينكم رجلا ماهرا حاذقا فاتوه
 بكتاب الملك واسمه (تحتوت أم حب) فرسم له بالمسير مع الرسول الى بلاد (بختانا) فلما
 وصل الى المدينة التي فيها (بنت رشت) وجدها ممسوسة بجحى ورأى نفسه غير كف بالدفعه
 عنها وأخبر ملك بختانا بذلك فأرسل الملك المذكور الى ملك مصر يقول أيها الملك العظيم
 والسيد المفخم تكرم عاينا ثانيا بارسال معبود مع كاهنه الى بلادنا لآخراج ذلك الجنى وكان
 وصول هذا الطلب الى مصر في غرة بؤنة سنة ست وعشرين الموافق يوم عيد (أمون) وكان
 الملك يومئذ في مدينة طيبة فقام من ساعته ودخل على (خونسو) معبود طيبة الثابت
 في كماله وقال له أيها السيد العظيم قد بحثت اليك من أجل بنت أمير بختانا ثم أمر الملك
 فأنزلوا المعبود (خونسو) وكاهنه في سفينة كبيرة وهيا لهما خسا من السفن وكثيرا من
 الخيول والعربات لتسير على عينه ويساره عند مروره في بلاد بختانا فلما وصل ذلك المعبود الى
 المدينة التي فيها بنت (رشت) من تلك البلاد بعد مضي سنة وخمسة أشهر جاء ملك
 بختانا لمقابلته ومعه قومه وامراته وألقى نفسه على الارض وتقدم اليه وقال لقد بحثت الى
 بلادنا وأفرحتنا بأمر صهرنا ميامون ومسيس ملك مصر ثم أتوا بالمعبود الى المكان الذي كانت
 فيه (بنت رشت) فسرت كرامة المعبود فيها حتى برئت من مرضها ونطق الجنى الذي كان
 عليها أمامه قائلا أهلا وسهلا بالمعبود الكبير هزيل الاذى عن بلاد بختانا هي لك وأهلها جميعا
 عبيدك وأنا أيضا عبدك فسأعود من حيث أتيت لينشرح صدرك باتمام الغرض الذي دعيت
 اليه غير اني أرجو منك أن تأمر بأن يعملوا لي في يوم واحد مهرجانا من قبل ملك بختانا

فأشار كاهن المعبودات الى ملك بختانانا أن اعل قربانا عظيما لهذا الجنى وعند تلاوة العزيمة على الجنى المذكور كان ملك بختانانا واقفا مع قومه وجلا فعمل الملك القربان وأولم ((خونسو)) والجنى وليمة عظيمة ثم ذهب الجنى الى حيث أمره المعبود ((خونسو)) الحاذق ففرج ملك بختانانا وقومه فرحا شديدا وقال في نفسه يجب أن أبقي هذا المعبود في بلادى وأعوقه عن الرجوع الى ديار مضر فكث في بلاد بختانانا ثلاث سنين وتسعة أشهر وبينما الملك نائم في سريره اذ رأى أن المعبود قد خرج من ناووسه العظيم كأنه باشق من ذهب قد بسط أجنحته وطار الى مصر فاستيقظ فوجد نفسه مريضا فقال لكاهن ((خونسو)) ان المعبود يريد أن يفارقنا ويذهب الى مصر وأمر فوضعه على عربته وأطلق سبيله وأعطاء كثيرا من أنواع الهدايا العظيمة فلما وصل سالما الى طيبة توجه الى معبد ((خونسو)) ووقع اليه أنواع الهدايا الثمينة التي أهداها اليه ملك بختانانا فلم يأخذ منها شيئا وبعد ذلك رجع ((خونسو)) الحاذق الى معبده في اليوم الثالث عشر من امشير سنة ثلاث وثلاثين من حكم الملك رمسيس ميامون مانخ الحياة ومحمد الذكر انتهى باختصار

ولما مات رمسيس الحادى عشر هذا تولى الملك بعده رمسيس الثانى عشر وهو الملقب
((رع من ما استبن پتاح))

(فى الملك رمسيس الثانى عشر)

لما تولى الملك رمسيس الثانى عشر هذا زين مدينة طيبة بالمباني العظيمة فى بيوت المعابد وغيرها من بقية الآثار وزين معبد ((خونسو)) فى المدينة المذكورة بكثير من التماثيل الصغيرة كما زين مقابر العائلة الرمسية وقد وجد ماريت باشا مدير دار التحف المصرية فى سنة ست وسبعين وثمانمائة وألف ميلادية حجرا فى شونة الزيب بالعراة المدفونة فى فوى ماهو منقوش عليه أن رمسيس هذا طال حكمه سبعا وعشرين سنة قالوا وخط هذه النقوش يضاهى تقريبا الخط المكتوب على الورقة القديمة المحفوظة الآن فى متحف تورينو بإيطاليا المؤرخة فى اليوم الخامس والعشرين من كيهك من حكم الملك المذكور وحاصل ما نقله منها بروكش فى فهرست تاريخه ان هذا الملك أصدر أمرا الى ((بيانخاس)) حاكم الايتيوبيا ورئيس الامم الاجنبية التابعة للدولة المصرية يقول فيه سيصل اليك مرسومى المتضمن لما فى الجواب المعطى للرئيس ((يانى)) مستشارى الذى سافر بأوامرى فبوصول هذا الامر اليك اشركه معه فى انجازها بالحسنى لانه هو المكلف فى الاصل بأدائها وعليك أن تلاحظ نوايت المعبودة وتضعها فى سفينة وأن تأتى بها معه الى المكان الذى أعد لنصب التماثيل فيه مع احضار الاحجار النفيسة لتسليمها للصناع واحذر من التأخير فى انجاز هذه المطلوبات والا خلعتك وعاملتك

على مقتضى ما يصل إلينا من أخبارك . قالوا فإن صح أن هذه الورقة محررة في عصر هذا الملك كان حكمه ممتدا إلى بلاد الحبشة غير أنه كان ضعيف القوة قليل البطش ولم يزل كذلك حتى توفي وتولى بعده الملك رمسيس الثالث عشر الملقب **(برع خپرما استين رع)**

(في الملك رمسيس الثالث عشر)

قد كان هذا الملك خامد الهمة ضعيف العزيمة ذابل الشوكة وكان المتولى في أيامه على رئاسة كهنة **(أمون رع)** سلطان المعبودات الكاهن **(ححور)** وهو سادس العائلة التي تقدم ذكر اسم كل منهم في محله فلما رأى **(ححور)** المذكور من ضعف عزيمة رمسيس الثالث عشر تطاول إلى الأعمال السياسية وتداخل في أمور البلاد وأحكامها وضم إليه قومه وأخذ في مخاصمة الملك وعائلته وتظاهر بالعداء فاختلف نظام الدولة وتفرقت كلمة أهل البلاد وزالت سطوة الحكومة وانحطت شوكتها ونجحت جلة بلاد عن حيازتها فضاقت حدودها وأحاطها من جميع الجهات أعداء أشد قوة منها واقتدارا ومازالت تسير القهقري حتى انتزعها **(ححور)** رئيس الكهنة المذكور من رمسيس الثالث عشر وزال الملك عن الدولة المتمة للعشرين التي آخرها رمسيس الثالث عشر المذكور وقامت بعدها الدولة الحادية والعشرون وأولها **(ححور)** رئيس الكهنة وهو من مدينة طيبة

(الفصل الرابع)

(في ملوك الدولة الحادية والعشرين القيسية)

كان ابتداء ظهور هذه العائلة سنة عشر ومائة وألف قبل الميلاد أي سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة وألف قبل الهجرة وعدد ملوكها أربعة وقال العلامة ماسبيرو بل هم سبعة نقلا عن الآثار ورتبهم على الترتيب الآتي الكاهن **(ححور)** والكاهن **(بعثي)** والكاهن **(بينوزم)** الأول والملك **(بينوزم الثاني)** والكاهن **(مزاحري)** والملك **(منخور برى)** والكاهن **(بينوزم الثالث)** ولكنه لم يجزم بصحة هذا الترتيب حتى تنكشف له حقائق مافي الآثار ومع أن هذا الترتيب المنقول عن الآثار يكاد يكون في حكم الثابت المحقق فلم يأتنا أصحاب التاريخ إلا بأخبار ثلاثة منهم ليس إلا وذكر بعضهم أسماء الأربعة الآخرين ذكر أخبارهم وقال أن مدة ملكهم جميعا كانت مائة وثلاثين سنة وإن أصل هذه العائلة من مدينة تيس التي هي صان شرقية وكانت هذه المدينة من أعظم

مدن الديار المصرية هواء وتربة وأتقنها نظاما وترتيا وفيها كثير من البساتين والكروم والتخيل
والمزارع الواسعة والأشجار العظيمة والخلجان الكثيرة والترع التي يجري فيها الماء صيفا وشتاء
ثم يصب في البحر الملح من جميع جهاتها وكانت هذه العائلة في عصر سيدنا سليمان وأبيه
داود عليهما السلام ويقال ان سيدنا سليمان تزوج بنت أحد فراعنتها وأمهرها مدينة غزة
* وأول ملوك هذه العائلة الكاهن حرحور وهو أحد الثلاثة الذين جاء أهل التاريخ على ذكر
أخبارهم تفصيلا

(في الكلام على الكاهن حرحور)

قد كان هذا الكاهن في أول أمره خاضعا معترفا بالتابعة للملك رمسيس الثاني
عشر فلما تولى الملك رمسيس الثالث عشر وأخس بضعف شوكته خرج عن طاعته واتخذ
لنفسه الألقاب الملوكية فسمى نفسه أول كاهن (لامون) * وولى العهد * وحامل
المروحة على عين الملك * وقائد الجيش في الأقاليم القبلية والبحرية * وأمين خزائن الأرض
كيوسف بن يعقوب عليهما السلام * وكان رمسيس الثالث عشر لا يلتفت إلى ذلك ولا يفكر
في المال فكبرت كلمة (حرحور) وانضم إليه جميع الكهنة وخرج على رمسيس الثالث عشر
ونزع منه ملك البلاد واستولى على الأقاليم القبلية والبحرية وتصرف في جميع الأمور ورسم
نفسه على جدران هيكل (خونسو) (وسيتي) معبودة (انبو) تقدم له التاج الأحمر
الخاص بالأقاليم القبلية * والمعبود (حور) يقدم له التاج الأبيض الخاص بملك الأقاليم
البحرية * قال صاحب العقد الثمين * وكتب على هذا الهيكل يعنى هيكل (خونسو)
مأمنا إلى وسعت مصر وأنت إلى رؤساء (روتو) خاشعين لسطوتى إلى غير ذلك من
عبارات المدح اه قال المؤرخون ولم يكن شيء من ذلك البتة فقد كانت البلاد في غاية الاختلال
والضعف ولم تقو على رد ما خرج من البلاد الأجنبية وقد منعها الشام من الوصول إلى
حدودها ولم يبق في وسعها غير الدفاع لا الفتوح كما كان في الأيام السابقة وقد جمع حرحور
الكاهن المذكور من بقى من العائلة الرميسية ونفاهم إلى الواحات الكبرى تشفيا وانتقاما
وهم رمسيس الرابع عشر ورمسيس الخامس عشر ورمسيس السادس عشر * قالوا * وكان
رمسيس السادس عشر المذكور متزوجا ب ابنة ملك آسية المدعو (بلاشارنس) فرزق منها
بولدين وبنت وهم الأمير (صيجورأوف عنخ) والاميرة (صى أنوب أوص عنخ) (والنروذ)
الذى تولى قيادة الجيوش المصرية على عهد حرحور وهو المعروف (بنروذ الخليل ابراهيم
عليه السلام) ولما مات حرحور المذكور تولى الملك بعده ابنه (بعنخى)

(فى الكاهن بعنقى)

فسد كان بعنقى الكاهن المذكور ضعيف الشؤكة قليل التدبير والسياسة فلما رأى أهل البلاد منه ذلك نهضوا الى الثورة وهب من بقى من العائلة الرميسية الى إنارة الخواطر وتحرير بض الاهالى على الخروج فاختلف نظام الحكومة وساء تدبير بعنقى الكاهن فلم يتمكن من نقش اسمه بين أسماء الملوك وظهر رمسيس السادس عشر فى أيامه واستعان بصهره ملك آسية المدعو (بلاشارنس) فسير الى مصر طائفة من أهل الشام وكان من أمرهم فى ذلك العهد ما سيذكر فى محله ومات بعنقى المذكور قبل أن تصل اليه النجدة من صهره ولم يأت عملا يذكرك فلما مات تولى بعده ابنه (بينوزم) الاول الملقب (بجمع خبرع استبن أمن)

(فى الكاهن بينوزم الاول)

(الملقب)

(بجمع خبرع استبن أمن)

تولى بينوزم الملك بعد أبيه فى خلال القلاقل والاضطرابات وظلت الدسائس قائمة الى السنة الخامسة والعشرين من حكمه فاشتدت الفتنة وقامت على ساق بين الاقليمين القبلى والبحرى بسبب ابعاد العائلة الرميسية الى الواحات وعلا لهيها فلم يقدر (بينوزم) الكاهن على إطفائها لاشتغاله بدفع اغارة أهل الشام الذين كانوا أوتوا لنجدة رمسيس السادس عشر صهر ملكهم فأرسل ابنه المدعو منخبر رع الى مدينة طيبة لارجاع الامور الى سابق مجراها واطفاء نيران الفتنة فسار اليها وما زال بها حتى سكنت الفتنة وزالت فلبث بطيبة وأقام نفسه رئيسا على كهنة (أمون رع) معبودها بدل أبيه (بينوزم) واستقدم من بقى من الرميسيين من الواحات * قال صاحب العقد الثمين * وهذه القصة هى المنقوشة على حيطان هيكل (خونسو) بطيبة وحاصلها

أنه فى السنة الخامسة والعشرين أتي (منخبر رع) ابن الملك بينوزم رئيس الكهنة وقائد الجيش بقوة عظيمة الى الوجه القبلى ووطد الراحة فى البلاد وقمع البغاة واقتص منهم بما يناسبهم وأعاد النظام الى حالته الاصلية ثم توجه الى مدينة طيبة فرح الفؤاد فاستقبله أهلها بدائح التهانى وبعد ذلك أخرجوا تمثال (أمون رع) فى محفل عظيم لمكافاة (منخبر رع)

على صنعه بحضرته فأمر أمون بجلبوس (منخبر رع) على كرسى والده (بينوزم) وجعله رئيس كهنته وقائد جيوش الوجه القبلي والبحري فصنع (منخبر رع) في نظير ذلك خيرات عظيمة وفي أول يوم من سنته وعشرين الموافق لمولد (ازيس) وموسم (أمون رع) أخرجوا أمون هذا في موكب عظيم ووضعوه أمام باب القاعة الكبرى من معبده فدخل عليه (منخبر رع) وتضرع اليه بأدعية كثيرة وقرب اليه قربانا عظيما ثم قال له أيها السيد العظيم لقد كثرت الشكوى من غضبك على الناس المنفيين في الواحات فأبتل اليك أيها المعبود المصور لكل موجود وبأخرج الغذاء للعبودات والموجودات ويانور الشمس في النهار وضياء القمر في الليل يا من يسرى في السماء بسلام دون وقوف وإهمال انظر الى أولئك الذين نفيتهم بامرئ واشف مرضاهم وارأف بهم لانهم أمك العديدة فهل يستطيع أحد أن يسكن غضبك لو غضبت على شيء أنت السماع المنير استجب دعوتي واعف في هذا اليوم عن الخدم الذين نفيتهم في الواحات ليعودوا الى مصر

فاستجاب دعاءه ثم طلب منه ثانيا ان لا ينفي أحد من أهل مصر الى تلك الجهات البعيدة فأجاب سؤله أيضا ثم طلب منه ثالثا أن يصرح بكتابة أمره هذا على حجر لنشره في البلاد فقبل المعبود طلبه وبعد ذلك قال (منخبر رع) لقد فرحت كثيرا بتمام قصدي الذي ستحسن به بين الخلق سيرتي فأنا عبدك النائب عنك في مدينتك من صغري أنت صورتني وأظهرتني في الوجود لسرور خلقتك فأعطني عيشة هنية في خدمتك وقد ساووقاية من عذابك وأرشدني الى طريقك واهدني سبيلك وحجب قلبي في بيتك العظيم ولا تحرمني من فضلك * الى غير ذلك من العبارات المألوفة لديهم ثم طلب في آخر هذه النقوش من معبوده أمون أن يبيد ويميت كل ذي سعي في الفساد فأجابه المعبود الى ذلك اه

وأما الملك (بينوزم) فانه بينما كان مرابطا في الحدود لدفع العدو عن البلاد اذ قدم غروذ ملك أشور بجيش عظيم جذا يريد التملك على ديار مصر وضمها الى مملكته لالي معاونة الرميسيين اصهاره فقاتل الملك (بينوزم) وعساكره وانتصر عليه نصرا مبينا ونزع الملك منه وأدخل مصر تحت حكمه وتصرف في البلاد تصريف الفاتح وما زال بينوزم منزويا حتى مات فدافنته أمه المسماة (مهنن أوسنخ) في مقبرة بالعراية المدفونة وربت لبقبره المرتبات المعتادة في أعياد الاموات والخدم والحشم وزال الملك من كهنة طيبة بزوال السكان (بينوزم) وتولى غروذ على البلاد * قال بعض المؤرخين وكان عدد ملوك هذه الدولة أعنى دولة الكهنة الحادية والعشرين سبعة ملوك وكانت مدة حكمهم جميعا مائة وثلاثين سنة وأصلهم من مدينة تنيس التي يسميها بعضهم أيضا (سان) وهي أعظم مدن مصر وكانت ذات جنات ونخيل وبها المجارى العظيمة لرى أرضها صيفا وشتاء كما تقدم لك القول * قال صاحب العقد الثمين قد حصل خلاف بين بروكش وما سبرو في شأن هذه العائلة فذهب بروكش اتباعا لنص بعض الآثار الى أن رؤساء الكهنة نزعوا الملك من

الرمسيسية ونفروهم الى الواحات ثم حصلت مصاهرة بين الرميسية وملوك الدولة الاشورية فأدى جميع ذلك الى تفرق الكهنة الاهلية ووقوع مصر في يد ملوك الدولة الاشورية * وذهب ماسيرو الى أنه لما أراد رؤساء الكهنة حصر الملك فيهم عارضهم سكان الوجه البحري وأقاموا (سمنتو) ملكا عليهم فنفى الكهنة الى بلاد الايتيوبيا الا أنه بالنظر لضعفه وتفرق الكهنة الاهلية لجأ هو ومن كان معه من الملوك الى جيرانهم فكان ذلك سببا لزوال الملك منهم وسقوط مصر في أيدي ملوك الدولة الاشورية قال وأما ما يتعلق بالتنيسيين وهم أهل صان فقال ماسيرو انه لما أراد (رحور) حصر الملك فيه وفي عائلته عارضه في ذلك سكان الوجه البحري مع أهل صان وأقاموا (سمتو ميامون) ملكا عليهم فجعل مركز حكمه بمدينة صان وتبعه في ذلك خلفاؤه الذين اعتبرهم ماينتون ملوكا أصليين لهذه العائلة الى أن قال ولضعف هؤلاء الملوك * أعنى بهم ملوك الدولة الحادية والعشرين المذكورة * كان أهل طيبة يطيعونهم وقتا دون وقت وكذلك الايتوبيون خرجوا عن طاعتهم واستقلوا تحت حكم كاهن من رؤساء كهنة آمون وعصمتهم أيضا بعض بلادهم فالتجؤا الى بعض الملوك المجاورة لهم واحتموا فيهم واختلطوا بهم فزوجوا أولادهم بنات ملوك الاسرائيليين وأخذوا من بناتهم لأولادهم فكان هذا سببا لنزع مصر من أيديهم واستيلاء النمرود المتقدم ذكره عليها * قال صاحب العقد الثمين * بين بروكش كيفية تداخل الاجانب في بلاد مصر الذي أدى الى نزعها من ملوكها فقال ان ملوك مصر اعتادت من قديم الزمان على تسكلة ما ينقص من جيوشهم من أسارى الحرب وتغالوا في ذلك حتى زعم ملوك العائلة الثانية عشرة أنهم نقلوا أهل الشمال الى الجنوب وأهل الجنوب الى الشمال وأنهم أسسوا لهم في وادي النيل طوائف عديدة * ولما خرجت ملوك العمالة من أرض مصر في عصر العائلة الثانية عشرة * قلت لعلها الثامنة عشرة كما يؤيد ذلك ما جاء في التورات بقى غالب قومهم في شرق الدلتا وحازوا بعض امتيازات ميزتهم عن المصريين وأطلق عليهم اسم (بي أمو) أي (بياميت) وتخصصوا أيضا من المصريين على وظائف مهمة كالكهانة ولجوها فأدى ذلك الى ادخال معبوداتهم في الديانة المصرية فاحترمها المصريون وبنوا لها معابد في منف قال ولما تعاهد رمسيس الثاني مع الحيثيين كان ذلك سببا أيضا لسريان اللغة السامية في بلاد مصر فتعلمها غالب المصريين والليبيين وحصل من ذلك تغيير وتحريف في اللغة المصرية القديمة فاستعملوا (كريات) بدل (نوت) أي مدينة (وترعا) بدل (را) أي باب وحرفوا كثيرا من الكلمات فقالوا (خبوشا) وشانبشاو بدل (خبش) (وشنس) أي باب ومصباح وفضلا عن تغيير اللغة وتداخل الاجانب في بلادهم شيئا فشيئا استقلت قبيلة من الليبيين بنفسها غربي الدلتا في أرض هناك استحوذت عليها من المصريين فأدى جميع ذلك الى أن صارت مصر غنية للاجانب في آخر هذه العائلة اه هذا وقد كان النمرود من نسل (بياي) ويقال له (بواي) أو (بوبواي) الشامي الاصل

الشهير الذي قدم الى مصر أثناء ملك العائلة المتبعة للعشرين وأقام ببسطة أو بضواحيها
وتمت ذريته بها فزوج ابنه الخامس (ششنيق) بأميرة من بيت الملك تدعى (مهتن أوسنخ)
فولدت له هذا النمرود الذي تلقب رئيس الكهنة وقائد المشواشين ثم ولد للنمرود ولد سماه
ششنيق على اسم أبيه فتولى ششنيق هذا ملك مصر بعد موت ميامون سبيونخج الثاني آخر
ملوك التنيسية من هذه العائلة فكان هو المؤسس للعائلة الثانية والعشرين

(الفصل الخامس)

(في ملوك الدولة الثانية والعشرين)

قال أصحاب التاريخ كان سرير ملك هذه الدولة مدينة ببسطة بإقليم الشرقية ومحلها الآن تل
بسطة القريب من مدينة الزقازيق على بعد بعض فراسخ وعدد ملوكها تسعة وسنوملكهم مائة
وسبعون سنة قالوا والغالب أن ملوكها لم يكن منهم من الغزاة وأصحاب الفتوحات الا القليل
ويظهر أيضا انه كان لهم مصاهرة أو قرابة أوجب واختلاط بالأجانب لتقارب أسمائهم
باسماء ملوك الاكراد والعراقيين ولم تكن جنودهم الخاصة بحراسة أجسادهم من
المصريين المتأصلين ولا من المستوطنين بل كانوا من المغاربة وكان أول ملوك هذه العائلة
البسطة حسب ترتيب الآثار الملك ششنيق الذي سيأتي الكلام عليه وكان مبدأ ظهور هذه
العائلة سنة ثمانين وتسعمائة قبل الميلاد أي سنة اثنتين وتسعمائة وألف قبل الهجرة

(في الملك ششنيق الاول)

هو رأس هذه الدولة الثانية والعشرين وتسمى أيضا بالدولة البسطة نسبة الى مدينة
بسطة التي كانت تحت حكمها ويلقب هذا الملك (برع ونزخبراستنزرع) تلك نحو سنة
تسعين وتسعمائة قبل الميلاد على ما رواه جماعة المؤرخين وثمانين وتسعمائة على رواية
مانيطون والثاني أقرب الى الصواب ويسمى في التوراة شيشاق وهو الذي لجأ اليه يوربعام
ملك اسرائيل مستغيثا به فنهض الى مجدته وقصد اورشليم بألف ومائتي مركبة وستين ألف
فارس وقاتل رحبعام بن سليمان ملك يهوذا وكان في جيوشه قوم من السود والحبشان
فافتتح مدن يهوذا وغنم خزائن بيت المقدس وخزائن بيت الملك وأخذ تروس الذهب
التي عملها سليمان عليه السلام ثم عاد الى مصر ظافرا غانما ونقش تاريخ هذه الواقعة على جدران

هيكل الكرنك العظيم وكتب عليه (يهوذا ملكي) يعني مملكة يهوذا في قبضة يده وقد عني كثيرا ببناء المعابد وقطع الاجار من جبل السلسلة لعمارة هيكل الشمس وكان أكبر أولاده المسمى (أوبوت) رئيس الكهنة (أمون رع) وقائد جيوش الصعيد فوكل لعهدته جلب الاجار للعمارات الكثيرة فقام بذلك خير قيام وأقام الملك ششنق الى أن مات في أحد فصول الصيف وتولى بعده ثاني أولاده المدعو (ارسرخان) وهو الملقب (برع خم خيرا ستن رع) فكانت مدة حكم ششنق المذكور اثنتين وعشرين سنة وفي رواية احدى وعشرين سنة

(في الملك ارسرخان الاول)

تولى ارسرخان الملك بعد أبيه ششنق رغما عن معارضا أخيه (أوبوت) اذ قام ينازعه وزيره انه أحق بالملك لانه أكبر أولاد ششنق واشتد النزاع بينهما وطال الجدل ثم استتب الامر (لارسرخان) فارتقى سرير الملك وقبض على زمام البلاد وعلت كلمته وهو المذكور في التوراة باسم زاراح الحبشي وقد حارب مملكة يهوذا بعشرات آلاف من النفوس وثلاثمائة عربية حربية فسار ملك يهوذا لملاقاته واصطفت جنود الفريقين في وادي (صعد) فوق الرعب في قلوب جنود مصر فولوا الأدبار جميعا وانتصرت عليهم جند يهوذا نصرا مبينا فلم يعد ارسرخان الى محاربتهم ثانية ومات وتولى الملك بعده ابنه (تاكلوت) الاول الملقب (برع خيرا ستن أمن نترحق أون) فكانت مدة ملك ارسرخان خمس عشرة سنة

(في الملك تاكلوت الاول)

لم يقف أصحاب التاريخ لهذا الملك على شيء من الاخبار أو الآثار ولم يعملوا شيئا عنه وغاية ما أمكنهم الوصول الى معرفته من أخباره أنه كان متزوجا بامرأة تدعى (كابوس) فولدت له صبيا سماه (أوسرخان الثاني) فلما مات (تاكلوت) المذكور قام بالامر بعده ابنه (أوسرخان) الثاني ولقب (برع أوسرما ستن أمن)

(في الملك ارسرخان الثاني)

تولى ارسرخان الملك بعد أبيه تاكلوت ولم يعلم له من الآثار التاريخية سوى أنه في السنة الثالثة والعشرين من حكمه مات العجل المسمى (ايبس) وهو معبود المصريين الاعظم قال المؤرخون

وكان هذا الملك متزوجا بامرأتين احدهما تدعى (كراما) والثانية تدعى (موت آووت عنخس) فولدت له الاولى ولدا سمياه (ششنق) باسم جده فلما بلغ اشداه ولاه رئاسة كهنة (بناس) معبود مدينة منف وورث عنه اخوته من أمه هذه الوظيفة من بعده وولدت له الثانية ولدا سمياه (نمروذششنق) باسم جده أيضا ولما بلغ اشداه ولاه رئاسة الجيش ونظارة كهنة المعبود (خنوم) في مدينة اهناس وخلفه اخوته لأمه في وظيفة الكهانة ثم انتقل من اهناس وصارحا كما على الوجه القبلي ورئيسا على كهنة أمون بطيبة ولمامات (ارسرخان) الثاني المذكور تولى الملك بعده ابنه ششنق الثاني الملقب (برع سنخم خيرا ستبن امن)

(في الملك ششنق الثاني)

قال علماء التاريخ لم يوجد لهذا الملك من المآثر شيء يذكر وقد انقطعت بعده سلسلة العصبة الوراثية من بيت الملك ولذلك لمامات ارتقى على سرير الملك بعده رجل اسمه (تاكلوت) وتاكلوت هذا كان زوج الاميرة (ميموت كروما ما أمن موت أم حعت) أخت النمروذ بن ارسرخان الثاني وكان رئيسا على كهنة أمون طيبة وقائد الجيوش المصرية وقد رزق من زوجته هذه بولد سمياه (أوسورخون) وجعله رئيسا على كهنة (أمون رع)

(في الملك تاكلوت الثاني)

(الملقب)

(برع خرخيرا ستبن رع)

لم يكن تاكلوت هذا من سلالة بيت الملك وكأنه لم يتقرب الى هذا المنصب الا بسبب تزوجه بالاميرة (ميموت كروما ما أمن موت أم حعت) أخت النمروذ بن اوسورخون الثاني وفي أيامه زحف على مصر الايتوبييون من الجنوب والاشوريون من الشمال وهددوها فخرج أهل الشام وغيرها من ملحقات مصر عن حكمها وانكش ملوكها الاصليون في مدائن الاقاليم البحرية وصاروا كالولاء وهم ثلاثة ملوك (شيشاق الثالث وبيملي وشيشاق الرابع) قالوا وفي أيامهم جرئت مصر الى ولايات صغيرة وكان على كل ولاية رئيس من الليبيين تحت حكمهم واشتغل هؤلاء الملوك بجمع الخراج وادارة الامور الداخلية ولم يلتفتوا الى ما كان الرؤساء المذكورون يفعلونه من الاستبداد بالاحكام والتشديد على الرعية ولم يأخذوا حذرهم منهم

ولا من الاجانب الذين استوطنوا البلاد بسبب ضعف الحكومة وانحطاط قدرها فعظمت
شوكة أولئك الحكام وتجاوزت فعالهم الحدود وكانت تساعدهم على ذلك طوائف الجند من
الليبيين الذين دخلوا في خدمة الحكومة المصرية وطمعوا بانظارهم الى الوظائف العالية
واحتلسوا الألقاب الملوكية نخاف المملوك الاصليون وانزروا أولا في مدينة بسطة ثم هاجروا منها
فرارا من أعدائهم الى مدينة منف واتخذوها مقرالهم وقامت الفوضى في البلاد وتكاثر
الخروج والعصيان فكانوا في شغل مستمر بدفاع الاعداء من الاشوريين والايثيوبيين ومازالوا
على هذه الحال من الضعف والانحطاط حتى مات (شيشاق الرابع) الذي هو آخرهم وانتزعت
الملك من بعده طائفة أخرى من التنيسيين وهم المعروفون بالعائلة الثالثة والعشرين
فكانت مدة حكم العائلة الثانية والعشرين المذكورة ستا وستين سنة وفيل أكثر من ذلك

(الفصل السادس)

(في ملوك الدولة الثالثة والعشرين التنيسية)

كان مبدأ ظهور هذه العائلة سنة عشر وثمانمائة قبل الميلاد أي سنة اثنين وثلاثين
وأربعمائة وألف قبل الهجرة وعدد ملوكها أربعة ومدة ملكهم تسع وثمانون سنة وكان
مركزها في تنيس وهي المعروفة الآن بصان في اقليم الشرقية وهؤلاء الملوك الاربعة هم
(بدوسابست) (أوسورخون الثالث) (وبساموت) (ودت) ولم يكن من سبب
الدخول مصر في حكم هذه العائلة سوى ضعف شوكة شيشاق الرابع الذي هو آخر ملوك
الدولة الثانية والعشرين وخروج الاقليم القبلي عن طاعته وانسلاخ الكثير من ملقات
مصر كالشام وغيرها عن حكمته وانزوائه في مدينة منف واستقلاله بحكم الاقليم البحري
الى أن مات وظهر بعد موته التنيسيون فاستولوا على الاقليم البحري أولا وأول ملوكهم
(بدوسابست) الذي يسميه مانيطون المؤرخ (بنوباستيس) فجعل هذا الملك قاعدة
ملكته مدينة بسطة ولما استقر به الملك أخذ في تقوية ملكته وما زال حتى نزع طيبة من
أيدي الاثيوبيين وضمها الى ملكه فعظمت شوكة وهابه أبناء جنسه وغيرهم وطالت أيامه
حكم أربعين سنة لم يغفل فيها عن أعدائه ولم يخفض لهم جناحا ثم مات فقام بالامر
بعده (أوسورخون الثالث) فجعل مقره طيبة وتنيس وحافظ على ملكته من الاعساء
وبالغ في ذلك ومات بعد أن حكم تسع سنين فقام بالامر بعده (بساموت) الملقب
(أوسررع استين بناح بيموت) وجعل تحت ملكته مدينة منف وأتبع طريق أسلافه

في البقطة والمحافظة على مملكته ومات بعد أن حكم عشرين سنين ثم قام بالامر بعده (دت) وهو آخر ملوك هذه العائلة لحكم احدى وثلاثين سنة حسب ما قاله مانيطون * قال بعض المؤرخين * وكان عصر هذه الدولة عصر محن ولاحن وانقسمت في أيامها مصر الى عشرين ولاية فكانت كل ولاية تشتمل على عدة بلاد وجملة أقسام وعليها أمير مخصوص واستمرت على هذه الحال مدة الى أن ظهر جماعة من صا الحجر بالاقليم الجبرى فنهضوا الى نزع الحكومة من أيدي هؤلاء الرؤساء وقد كانوا أضعفوها بسوء تدبيرهم وما زالوا حتى تم لهم الامر ثم أرادوا أن يؤسسوا عائلة جديدة تقوم بحكم البلاد وتدير سياستها فعاكسهم الدهر أياما وقام لمعارضتهم أولئك الرؤساء ثم لم يلبثوا ان عجزوا عن مقاومة الصاويين وأعيينهم الحيلة في أمرهم فاستعانوا بالايثيوبيين فطمع الايتيوبيون في حكومة البلاد واستولوا على الاقليم القبلى وقاموا على الصاويين يريدون إرجاعهم عن عزمهم فلم يقدرُوا واستمرت الحال بين الفريقين على ما هي عليه الى أن ظهر رجل اسمه (تفخت) فركب على طائفة الايتيوبيين وردعهم وأسكن الفتنة ولم يلبث أن ظهوروا عليه وهزموه شرهزيمة فعاد الى مصالحتهم والاتفاق معهم على توليته حكم البلاد تحت امرتهم فولوه فأسس الملك للعائلة الرابعة والعشرين وكان هو رأسها وعدد ملوكها خمسة كما سيأتى بيانهم

(الفصل السابع)

(في ملوك الدولة الرابعة والعشرين الصاوية)

كان مبدأ ظهور هذه الدولة سنة احدى وعشرين وسبع مائة قبل الميلاد أى سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة وألف قبل الهجرة وكان تحت حكمها مدينة صا الحجر التى كانت من أشهر مدن الديار المصرية فى ذلك الحين ولذلك كانت تعرف بالدولة الصاوية وقيل ولم يملك منها سوى ملك واحد أو اثنين أو خمسة وهو أصبح على مارواه مانيطون المؤرخ وسنو ملكهم ست وقيل احدى وعشرون سنة وقيل أربع وأربعون ولم يذكر أصحاب التاريخ سوى ما ثرائين منهم وهما (تفخت) الذى يقال له أيضا (تختاتس) رأس هذه العائلة وابنه الملك (باكوريس) الملقب (بوج كارع) وثر كوا أخبار الثلاثة الاخر لاتفاق وقائعهم مع وقائع وأخبار الملوك الايتيوبيين وهم ملوك الدولة الخامسة والعشرين السودانية الذين تغلبوا على بلاد مصر ونزعوا حكمها من يد الدولة الصاوية هذه

(فى الملك تفنخت)

(الذى يسمى أيضا)

(تخناتس)

ذكرنا فيما تقدم ان مصر الى ذلك الحين كانت منقسمة الى عشرين ولاية صغيرة وكان على كل ولاية منها ملك أو أمير مستقل بحكمها ولكنه يخشى اغارة جاره على ولايته ولذلك كان بعضهم لبعض عدواً فخص كل أمير ولايته وأكثر فيها من القلاع والحصون والرجال ومعدات القتال وكان أكثر جندهم من المشواشين وغيرهم من الاجانب وقد ملؤا أرض مصر من الحصون والمعقل على الاكام وضفاف النيل والجزر والبحيرات وغير ذلك وكان الملك (تفنخت) هذا حاكماً على مدينة (نتر) التى يقال لها باللغة القبطية (منوتى) المجاورة لمدينة (كانوب) على بحر رشيد فتأقت نفسه الى الملك وطمعت فيه فركب بقومه لقتال أقرب الولايات اليه وما زال حتى انتصر على ملكها فى عدة مواقع ولما كثرت جموعه واشتد أثره بهم قام لقتال بقية الملوك وقاموا لقتاله فاشتدت الحرب بينهم وكادوا يوقفونه عند حده ثم صارت بينهم سجالات الى أن قويت شوكته فتغلب عليهم وظفر بهم وأخذ منهم قسم صا الحجر وقسم اتريب وقسم ليبيا وقسم منف ولم يتعرض للتيسيين الذين هم بقية عائلة الملوك التيسية الحاكمين على جميع البلاد شرق الدلتا ثم سار بجيوشه الى الصعيد فأدعن له بعض أمرائه بالرضا والتسليم وبعضهم بالقهر والغلبة وما زال حتى وصل قسم ارميت واستولى عليه وضرب الضرائب على قسم اهناس الجنوبية وكانت هذه الاصقاع تابعة (لبعثى) ملك الايتيوبيا فلما بلغ (بعثى) خبر زحف (تفنخت) المذكور ركب لقتاله واقتتل الفريقان قتالاً شديداً للغاية فانتصر (بعثى) ملك الايتيوبيا على (تفنخت) نصرامينا قال صاحب العقد الثمين ونقش ذلك على حجر وجد بجبل برقل ونقل منه الى متحف بولاق وهذا نص نقوشه التى ترجمها ده روجه

(فى غرة توت) سنة احدى وعشرين من حكم ملك الوجه القبلى والبحرى (بعثى) ميامون خلد ذكره صدر أمر منه بما نصه اسمعوا مافعله زيادة عن أجدادى أنا الملك المخرج من سلالة مقدسة النائب عن المعبود (نوم) اشتهرت بأنى ملك منذ خروجى من ظلمة الاحشاء واحترمنى الامراء ... وميزتنى والذى بسمي الملك من صغرى أنا المقدس الطيب محبوب المعبودات ابن الشمس (بعثى ميامون) لما بلغنى أن (تفنخت) أمير الجنوب الحاكم الاكبر فى مدينة (نتر) تلك على ... (قسم اكسوئيتس) وعلى مدينة (حعب ...) وعلى

مدينة (عين) وعلى مدينة (بنوب) المسماة باليونانية (مومنفيتس) وعلى مدينة (منف) واستولى على جهة الغرب من أول بلاد البحيرات أعنى (بوتو) الى الحدود الفاصلة بين الصعيد والبحيرة وسار نحو الجنوب بجيش جرار واجتمع معه سكان الاقليم وأطاعته الامراء وأعيان البلاد وصاروا تحت رجليه أذلة كالكلاب ولم يغلق دونه حصن في الاقسام الجنوبية وسلمت له مدينة (ميدوم) (ويسخنم خبرع) (والهنسة) (ونكاناش) وباقي المدن التي في الجهة الغربية خوفا منه ورجع الى اقسام الجهة الشرقية ففتحت له البلاد وهي (حابو) (وتايوحاي) (واطفيج) وزحف متقدما الى أن حاصر مدينة اهناس الجنوبية حصارا تاما من كل جهة ومنع الناس عن الدخول فيها والخروج منها واستمر في قتالها حتى غلبها وأبقى الامراء الذين اعترفوا له بالسيادة في اقسامهم وأباح لهم الحكم على البلاد كما كانوا وعظموه بما يستحقه لذكاء عقله فأنشراح فؤاده قال (بعنخي) وكانت تأتي الرسل كل يوم من قبل الامراء وقواد الجيوش سائلة عن سبب سكوتي وعدم مدافعتي عن بلاد وأقسام الوجه القبلي ومخبرتي بأن (تفتخت) أخذها ولم يعارضه أحد وان التمروذ رئيس الاشمونين وأمير (حاور) أي (مجالو بوليس) هدم حصون (نفروس) ودمر المدينة مخافة أن يأخذها (تفتخت) ثم التجأ الى مدينة أخرى فاقتنى (تفتخت) أثره فاضطر الى الخروج عن حزبي والانضمام اليه وصار من جملة رعاياه وأعطاه قسم اهناس الجنوبية وكفأه وغمره بجميع ماتعائه من الخيرات. فعند ذلك أرسلت الى قوادى وضباط عساكرى الذين كانوا في مصر بطيبة وهم (بورم) (ولامرسكانى) وغيرهم من بقية ضباطى المقيمين بالجهات المصرية أن يستعدوا لقتاله ويسلبوا رجاله ومواشيه وسفنه التى فى النيل ويمنعوا العمال عن الخروج الى الغيطان والزراع عن الزرع ويحاصروا مدينة ارمنت ويهجموا عليها هجوما متواليا فذهبوا الى حيث أمرتهم وأمدتهم بجنود أرسلتها اليهم ونصحتهم بنصائح عديدة قبل توجههم الى القتال بقولى لا تهجموا أثناء الليل هجوم المتلاعبين بل اجمعوا متى رأيتم انه أعد جيوشه وخيوله للمسير اليكم وإذا قيل لكم انه جمع مشاته وخيالاته فى مدينة أخرى فاقبضوا فى مكانكم الى أن تأتى اليكم جنوده وقتلوهم وقاتلوهم واهجموا عليه متى قيل لكم انه نزل بجيوشه فى اية مدينة وانضم اليه الرجال الذين أحضرهم لآعائته من رؤساء التهانين وعساكر الوجه البحرى أو متى نظم هيئة القتال على النمط القديم لا تالانعلم ما يريد من تشكيل عساكره المشاة وفرسانه الكفاة وإذا اشتبكت الحرب فاعلموا أن (امون) هو المعبود الذى أرسلنا اليهم وإذا وصلتكم الى قسم (أوس) امام مدينة طيبة فانزلوا فى النيل وطهروا أنفسهم منه والبسوا ملابس الاعياد فى ساحل (تب) وضعوا عنكم القسي والسهام ولا يتعرض رئيس منكم الى (أمون) صاحب الشجاعة اذ بدونه لا يكون لفارسكم قوة لانه يجبر الذراع الكسير ويفنى العدد الكثير وينصر الواحد على الالوف واغتسلوا فى مياه معابده واسجدوا له وقولوا

ثبت أفشدتنا على الحق لنحارب في ظل سيفك لان المقاتلين الذين ترسلهم يبددون الالوف
فعند ذلك تواضعوا امامي قائلين اسمك سيفنا وملك مرشد لجيوشنا وخبرك في جسدنا حيثما
نذهب ومشروباتك تطفئ ظمأنا وشجاعتك سلاحنا والنصر مقرون باسمك وحاشا أن يثبت
جيش رئيسه معند باغ فن يشابهك أيها الملك المنصور الفعال بنفسك الأمر بالحرب وبعد ذلك
انحدروا في النيل الى أن وصلوا طيبة ففعلوا كل ما أوصاهم به ملكهم ثم زحفوا منها
منحدرين أيضا في النيل فقابلتهم سفن حربية سائرة الى الجنوب مشحونة من الوجه البحري
بالملاحين والجنود والضباط الماهرين المدربين وكان محيئهم لمحاربة جيش الملك (بغنى)
فأرهبهم رجال الملك المذكور وقتلوا منهم جماعة غفيرا وأسروا باقي عساكرهم وسفنهم وأرسلوهم
أحياء الى محل إقامة الملك (بغنى) ثم ساروا قاصدين مدينة اهناس الجنوبية لمحاربة
أهلها فبلغ أمرهم الى أمراء مركز الصعيد وهم النمرود والملك (وابوت) (وششوق)
ملك المشواشين بمدينة أبي صير (وتنا منوف عنخ) ملك المشواشين الاكبر بمدينة نعى
الامديد وابنه البكرى قائد الجيوس في (بابوت ابرحو) (وبوكوتفى) ولى العهد
وجنوده وابنه البكرى (نس نفدى) رئيس المشواشين في قسم اتريب وجميع الأمراء
المتوجين بريشة الوجه البحري (وأوسوركون) أمير مدينة بسطة ومدينة (رع نفر)
وجميع أعيان ورؤساء وحكام الاقسام الغربية والشرقية والبلاد الوسطى وكانوا كلهم
متفقين على رأى واحد وهو اتباع (تفتخت) رئيس الوجه القبلى الاكبر الحاكم على
اقسام الوجه البحري كاهن المعبودة (نيت) سيدة صالجر وكاهن (بتاح)
فقدمت عليهم رجال (بغنى) وأوقعوا بهم القتل الشديد وأخذوا سفنهم من النيل
ومن بقى منهم عبر النهر وأقام جهة الغرب فى محل يدعى (بايك) وفى صباح اليوم
الثانى من تلك الواقعة اجتاز جيش (بغنى) النيل مقتفيا أثرهم فادركهم واختلطت
الجنود بالجنود وقتلوا كثيرا من رجالهم وخيولهم وحصل للباقيين منهم رعب شديد فهربوا
الى الوجه البحري منهزمين شرهزيمة قال المترجم ولم نقف على خسائرهم لكسر حصل
فى الجبل قال ولما سمع النمرود ان جنود الملك (بغنى) شارعة فى أخذ بلدة ارمنت
جمع من كان معه من رجاله وخيوله ورجع اليها وتحصن بها وكانت وقتئذ جيوش (بغنى)
مصطفة على النهر بساحل قسم ارمنت فبلغهم رجوع النمرود الى بلده فحاصروها من
جهاتها الاربع ومنعوا الناس من الدخول اليها والخروج منها وأرسلوا مكتوبا الى الملك (بغنى)
ميامون) يحتوى على أسماء من قتلوه من الاعداء فعند تلاوته اغتاط وتلون كالنمر وقال لئن تركوا
باقى جيوش الوجه البحري أحياء أو مكنوا أحدا منهم من الهرب لمقابلة فرقته ولم يقتلواهم جميعا
وقت هزيمتهم فبصياقى وبحق المعبود (رع) وبحق أبى (أمون) لأقتالن بنفسى وأهدمت
جميع ما حصنه أهل الوجه البحري وأحرمتهم نزول القتال ولكن يلزمنى قبل ذلك أن أعمل موسم
رأس السنة بحبل برقل وأقدم قربان لآبى (أمون) يوم مواسمه العظيم الذى يتجلى فيه

بالظهور عند حلول السنة الجديدة وأتوجه الى طيبة لمشاهدته هناك في موسمه العظيم وأخرج صورته فيها لیسلة موسمه الجليل الطيب الذي قررله المعبود (رع) من قديم الزمان ثم أرجعه الى معبده وأجلسه على تخته ثاني يوم هاتوا المعد لدخوله في المعبد وبعد ذلك أذيق الوجه البحري طعم سطواني ولما بلغ عساكره الذين كانوا بمصراته غضب عليهم توجهوا لقتال مدينة (واب) في قسم (أو كسر نحوس) فأخذوها كوجه الماء المتطيرة وأرسلوا يخبرون ملكهم بذلك فلم يسكن غضبه ثم هجموا على (تهني) وكانت مدينة حصينة فوجدوها غاصه برجال الوجه البحري فعملوا مناريس حولها وهدموا أسوارها وأوقعوا القتل في أهلها ولم يعلم مقدار من قتل منهم الا انه كان في زمرة القتلى ابن (تفخت) أمير المشواشين فأرسلوا يخبرون الملك بذلك فلم يسكن غضبه فهجموا على (حينو) وفتحوا أبوابها ودخلوا فيها وأرسلوا يبشرونه بذلك فلم يسكن غضبه أيضا فلما كان اليوم التاسع من شهر توت أتى (بعننى) من بلاده الى طيبة وعمل فيها موسم (أمون) السنوى المعتاد ثم توجه منها الى أرمنت وخرج من مقعد سفينته ووضع النسر على خيوله وركب عرباته فانتشر الفرع منه في قلوب الناس الى أقصى بلاد آسية ثم رز للقتال وهجم على الاعداء وزار عليهم كالاسد وقال لهم اذا ثابرتم على القتال أخرتم أو امرى بالعفو عنكم وان عزمتم على العصيان أذقت الوجه البحري فزعاقى فلم يسمعوا قوله فهزمتهم فرسانه شريفة ووضع معسكره في الجهة القبلية الغربية من أرمنت وأخذ في الهجوم عليها كل يوم وعمل مناريس من تراب لتعجب عنهم ما يأتي من أسوارها ووضع سلالا للارتقاء اليها ففوقت عليها الرماة سهامهم والتي فيها الملقون أبحارهم واستمروا على قتال أهلها مدة ثلاثة أيام حتى فسد هواؤها وحرم أهلها استنشاق الهواء فسلبت أرمنت عند ذلك مستغيثة بالملك وخرج منها رسل النمرود حاملين من الاشياء العظيمة ما يسر الناظر كالذهب والجاراة النفيسة وأقمشة البسوس قائلين لقد ظهر الملك وتاج الثعبان على رأسه وغيظه مكطوم ولم تلبث الا أياما حتى أطعنا تاجه فأرسل النمرود امرأته بنت الملك (مستنتح) لترجو زوجات الملك (بعننى) وجواريه وبناته وأخوانه (في العفو عنهم) فسجدت أمام زوجات الملك في القصر قائلة أيتها الزوجات وبنات الملك وأخوانه أغثنى وسكن غضب الملك صاحب القصر فمأ كبر سطوته ومأ أعظم عدالته

سقط من الاصل خمسة عشر سطرا لكسر حصل في الحجر

قال الراوى فقال (بعننى) للنمرود لقد سددت طريق الحياة على نفسك فقال النمرود لو كنت صعدت نحو السماء كالسهم لادركتنى وكيف لا وقد غلبت بلاد الجنوب وأطاعتك بلاد الشمال فهل لنا أن نستظل بظلك فقد أفنى بأسك جميع رجالى - سطر ساقط من الاصل - فلا أب يرى مع ابنه حتى امتلأت البلاد بالاطفال ثم تواضع امام جلالة الملك وقال لقد جعلتنى سطوتك في هذا الحال فأنا أحد عبيدك الذين يدفعون الجزية لخزنتك فأحسب جزياتهم وأنا أعطيك أكثر منهم ثم بادر بتقديم الفضة والذهب واللازورد والزربرد والحديد

والاحجار النفيسة المتنوعة بمقدار وافر حتى ملائ خزينة الملك مجزئته وأحضر حصانا بيده
البنى وآلة موسيقية مصوغة من الذهب واللازورد بيده اليسرى فخرج الملك عند ذلك من
قصره وتوجه الى معبد (هرمس) سيد أرمنت والى هيكل المعبودات الثمانية المسمى باسمهم
فأظهر له جنود قسم أرمنت الفرح وقال له الكهنة ما أعظم الملك (يعننى) سلالة الشمس
لقد جئت في مدينتك فترجوك يا حامي حوزة أرمنت أن تعمل لنا عيدا احتفاء بقدمك فتوجه
عند ذلك الى المدينة ودخل قصر النمرود وطاف على جميع حجراته وعين الخزينة والمخازن
وأمر باحضار زوجات وبنات النمرود فأتين متواضعات لجلالاته حسبما تعلم النساء
من شؤون التواضع الا أن الملك أعرض بوجهه عنهن ثم توجه الى اصطبل الخيول
وبيت المهارى فرأى أنهم كانوا تاركها من غير أكل فأقسم بحياته وحق (رع) الذى
ينفخ أنفاس الحياة الجديدة قائلا ان جماعة خيولى أقبح ذنب فى الذنوب التى فعلتها أيها
النمرود فقال النمرود لا تغير قلبك بالغضب سأخبر أيها السيد الخدم بغيفظك المتسبب عن جماعة
خيولك فقال (يعننى) هل كنت تظن انك تنسى ظل وجهى المقدس وانهم يفرون من
قوتي ولو كان انسان غير معلوم عندى وفعل مثل ذلك لما سمحتم أن يعلمون انى مذ ظلمة
الاحشاء خرجت من بيضة مقدسة ومنحنى المعبود جوهره فكان جسمى من جسمه فلا أفعل
شيأ دونة فهو الذى يرشداً على * ثم وهب أموال أرمنت وما فى مخازن الخزينة وأملاك (أمون
رع) ساكن طيبة ثم جاءه ملك اهناس المدعو (بنابسط) بهدايا من ذهب وفضة وأحجار
نفيسة ونجائب من خيول اصطبله وسجد امامه قائلا السلام عليك أيها الملك الحاكم المنصور
الثور الذى يبطش بالثيران لقد كنت فى مكان سميق تغشانى الظلمة وقد أضاء لى النور بعد
الظلمات ولم أجد يوم الشدة من يساعدنى فى القتال سواك أنت المنصور الذى أبدت الظلمات
عنى أنا عبدك ولك جميع ما أملكه وتدفع أهل اهناس الجزية لك فانظر كيف
وضعنا تمثال (حورمخنى) فوق تمائيل الكواكب وكانت منزلتك عندنا كمنزلته وكما
لم تنقص قدره كذا لم تنقص قدرك أنت الملك (يعننى) مخلص الذكر ثم توجه الى (أين)
الى مكان يسمى (روهن) فوجد مدينة (براخم خبرع) أسوارها مرتفعة وأبوابها مغلقة
وكانت ممتلئة بأبطال الوجه البحرى فأرسل يقول لهم أيها المقيمون فى الموت الضعفاء
المحقرين أنتم أيها المقيمون فى الموت لئن تأخرتم عن فتح المدينة لترون ما يحل بكم من القتل
ولو كان يشق على فلا تغلقوا عليكم الأبواب التى افتحتها لجناتكم من ضيق هذا اليوم ولا
نفضلوا الموت وتكرهوا الحياة بين الناس . . . فأرسلوا يقولون له حيث إن ظل المعبود
على رأسك وان ابن (نوت) أعانك بيده وكل ما رغبتنه كان مقضيا لك فى وقته ما كأنه الا
صادر من فم معبود وكيف لا وأنت ابن معبود كما نرى ذلك من أفعالك فالمدينة وأسوارها
طوع يدك وأذن لنا بالدخول والخروج فأذن لهم بما تمنوه فخرجوا ومعهم ابن (تفخت)
رئيس المشواشين ودخلت جنود (يعننى) المدينة ولم يقتلوا أحدا من الناس الذين كانوا

بها وأرسل في الحال **(يعننى)** أمناء خزائنه ليختتموا خزائن صكوك تلك المدينة ثم أحصى بنفسه ما في خزائنها وأشوانها وتطوع به لقرابين أبيسه **(أمون)** ثم توجه إلى مدينة **(ماريتوم)** مسكن **(سوكارى)** صاحب النور فوجدها مغلقة الأبواب ولما وصل إليها اضطربت قلوب أهلها مما حصل لهم من الرعب والفرع الذى أخرس ألسنتهم فأرسل يقول لهم اختاروا أحد أمرين إما أن تفتحوا الأبواب فتجئوا بجياداتكم والا فتقوتون لاني لأمر بمدينة مغلقة ففتحوا له أبواب المدينة في الحال ودخلها وقدم قربانا إلى **(منهى)** في مدينة **(شات)** وحصر الخزينة والأشوان وأعد لها لقرابين **(أمون)** ثم توجه إلى مدينة **(تالوى)** فوجد أسوارها مغلقة وحصونها مملوءة بإبطال الصعيد ولكنهم فتحوا أبوابها له وتواضعوا امامه قائلين ان أبالك أورثك السيادة على الأقليمين فستملكهما وتكون السيد الحاكم على الدنيا ولما أمر الملك بالمدينة قدم لمعبوداتها قربانا عظيما من ثيران وعجول وإوز ومن جميع الأشياء العظيمة وحصر خزائنها وأضافها إلى خزائنه ووهب ما فيها لقرابين **(أمون)** ولما قرب من منف أرسل يقول لسكانها لا تغلقوا أبوابكم ولا تحاربوا أيها الناس القاطنون في المدينة لاني سأدخل وأخرج بدون اساعة أحد كالمعبود **(شو)** الذى كان موجودا في القرون الاولى وان لم تتعرضوا لى فاني أتقرب بقربان **(بشاح)** ولمعبودات منف وأودى في معبد **(شيتى)** الصلاة **(سكارى)** وأشهد **(بشاح)** وأذهب بسلام وأرأف بمنف وتنجبوا من كل غائلة نبكى أولادكم واعتبروا بسكان الوجه القبلى فانه لم يقتل منهم أحد سوى الذين أغضبوا المعبود ولم يصب العقاب الا من طغى فلم يسمعوا لقوله وأغلقوا أبوابهم دونه وأخرجوا منهم عساكر تقاتل فرقة من رجاله مؤلفة من شغالة ورؤساء عمارة وملاحين وكان ذلك على ساحل منف أما ما كان من أمر **(تفتخت)** أمير صالحجر فانه أتى إلى منف أثناء الليل وقال مرارا لجنوده وملاحيه وجميع قواده وكانوا ثمانمائة ألف رجل ان منف صارت مستقرة أعظم جنود الوجه البحرى والأشوان خاصة بالشعير والقح وأنواع الحبوب وجميع عدد الأشغال . . . والسورمبنى والطابية الكبيرة محكمة حسب قوانين الحرب والنهر محيط بشرق المدينة ولا يجد العدو نقطة للهجوم منها عليكم وأنتم تعلمون أن مراعيينا مملوءة بالمواشى وخرائنى غاصة بأنواع الفضة والذهب والتماس والملبوسات والعطريات والعسل فسأذهب وأعطي جميع ذلك لامراء الوجه البحرى وأفتح لهم أقسامهم فدافعوا عن أنفسهم إلى ان أعود اليكم فلما تم قوله ركب جواده لكونه أسرع من عربته وذهب إلى الوجه البحرى خائفا من الملك **(يعننى)** ولم يكن اليوم الثانى صباحا قرب الملك **(يعننى)** من منف ورسا على جهتها الشمالية فوجد الماء مرتفعا إلى أسوارها والسفن راسية على سواحلها وتأملها فرأها محصنة منيعة لها سور مرتفع قد بنى جديدا واستحكامات قوية ولم يجد فيها منفذا للهجوم عليها فتداولت في شأنها رجاله بما تقتضيه أصول الحرب وقالوا ان الهجوم عليها أولى . . . ولكن نرى جنودها مستعدة فاستحسنوا رأيا آخر وقالوا نجتمع كشبانا

مساوية لارتفاع سورها ونضع عليها سسلا لم وتصب حولها السوارى وعروق الخشب الطويلة ونضع في محيطها متاريس من تراب التمكن منها وبعد رفع الارض بارتفاع سورها نجعل لنا سبيلا للاستيلاء عليها ولكن تلون ملكهم **(يعننى)** تلون النمر وقال وحياتى وحق المعبود **(رع)** وأبى **(أمون)** أنا أعلم ان ما حصل في هذه المدينة من تحصين وغيره هو بأمر **(أمون)** أما سمعتم كلام سكان الوجه القبلى الذين فقهوا **(لأمون)** الطريق رغم أنهم لم يكونهم لم يذكروه في قلوبهم ولم يعرفوا قدر أوامره فخذلهم لبيان لهم قوته ويريههم هيئته فساخذ هذه المدينة كريح عاصف بأمر **(أمون)** وفي الحال أمر قواده بتقريب سفنه ومراكبه وجنوده ليهجم على منف من جهة الساحل فأحضروا امثالاً لأوامره جميع السفن والرواميس ومراكب النقل التى يمكنها المرسى على سواحل منف وربطوا مقدمات السفن في بيوت المدينة ولم يشعر أحد بهم ولم ينزعج طفل من أطفالهم ثم أتى الملك ليسير السفن بنفسه وأمر رجاله بالهجوم على المدينة والاحداق بسورها والدخول في بيوتها من النهر وقال لهم اذا تسور أحدكم سورها فلا يقف في محله ولا تقاها الرؤساء الذين يستسلمون لكم لان هذا مذموم لاسيما وقد حاصرنا الآن الوجه القبلى وقربنا من الوجه البحرى وصرنا في وسط الاقليم وبهذا التدبير أخذ منف كريح عاصف وقتل منها خلقا كثيرا وأحضريين يديه أسراها ولما كان اليوم الثانى من هذه الواقعة أرسل جماعة يحافظون على المعابد ثم توجه بنفسه الى هيكلى معبودات منف وقدم لهم قربانا من المشروبات وطهر المدينة بالنظرون والبحور وأرجع الكهنة إلى أماكنهم ثم توجه الى معبد **(بتاح)** وتطهر ببابه وعمل مهرجان المملكة ولما دخل في المعبد قدم لايه **(بتاح رستيف)** قربانا عظيما من ثيران وعجول واوز وغير ذلك من الاشياء النفيسة ثم دخل قصرها الملوكى وبلغه ان جميع البلاد التى في ضواحي منف وهى **(حريسبى)** **(وبنينا فوعع)** **(وبيوخن نيو)** **(وتاوحيى)** فتحت أبوابها وهربت رجالها ولم يعلموا أين المفر ثم ان الملك **(وابوت)** وأمير المشواشين **(موكانشو)** والامير **(بتيسبس)** وجميع رؤساء الوجه البحرى أتوا بجزيتهم راجين أن يؤذن لهم باجتلاء أنوار الملك **(يعننى)** وبعد ذلك تطوع الملك **(يعننى)** بخزينة وأشوان منف لقربانات **(أمون)** **(وبتاح)** وباقى معبودات **(حكا بتاح)** وفي اليوم الثانى توجه الى الجهة الشرقية وتقرب الى **(توم)** فى مدينة **(حزاو)** والى معبوداتها فى هياكلهم والى معبودات مدينة **(اماح)** بقربان من ثيران وعجول واوز راجيا أن يمنحوه السعادة ثم توجه نحو المطرية من جهة **(خر)** وقصد طريق المعبود **(سب)** من جهة **(خر)** ومر بالمعسكر الذى كان فى جنوب مدينة **(مرتى)** وقدم قربانا لمعبوداتها وتطهر فى المنبع الرطب وغسل وجهه من ماء **(نو)** حيثما تغسل الشمس وجهها ثم مر نحو **(شيو كامان)** وتقرب للشمس وقت شروقها بقربان من ثيران بيض وابن وعطريات وبخور

وغير ذلك من أنواع الاخشاب ذات الرائحة الذكية ثم قصد معبد الشمس ودخله وصلى فيه مرتين وطلب له الكاهن الاكبر من المعبود أن يهزم أعداءه وبعد ذلك صلى الملك صلاة الباب * قال المترجم وهي صلاة مخصوصة عندهم * وكسا الضريح وتجر بالبحور وتقرّب للمعبود بمشروب وأحضر له أزهار (الجنين) وهي المزروعة في المعبد ليستخرج له منها العطر ثم ارتقى على الدرجات نحو الشباك الكبير لينظر الشمس في ضريحها واختلى وحده ورفع المتراش وفتح الأبواب ونظر الشمس في ضريحها وعظم السفينة المقدسة المعلقة في مقام (رع ويوم) ثم أقفل الأبواب ووضع عليها طين ابلز وختم فوقه بالختم الملوكي وقال للكاهن اني وضعت ختما فلا يجوز لاي ملك من الملوك أني هنا أن يدخل في هذا المحل فتواضع امامه الكهنة قائلين سيبقى هذا الختم محفوظا مباركا ولا يحصل له أدنى ضرر أيها الملك الحاكم بحب المطرية ثم استعد بعد ذلك للدخول في معبد (يوم) وأدى فيه صلوات (انتا) لابييه (توم خبرع) سيد المطرية وفي أثناء ذلك أتى (اسريون) الى المطرية ليحتلي أنوار الملك (يعني) ولما كان اليوم الثاني توجه الملك (يعني) الى الساحل الذي فيه سفنه وسار منه الى ساحل قسم اتريب وضرب خيمته في جنوب مدينة (كهاني) التي كانت في الجهة الشرقية من هذا القسم فأتاه ملوك ورؤساء الوجه البحري وجميع الامراء والاعيان الممتازين بوضع الريش والظلل على رؤسهم ومعهم أمراء وأولاد ملوك الوجه القبلي والبحري والجهات الوسطى لشاهدوا أنوار جلالاته وبعد مشولهم بين يديه تواضع الامير (بتيسيس) لعظمته وقال شرف أيها الملك قسم اتريب حفظتك المعبودة (خونت) لتري المعبود (خنقي خاني) أمي (حور) وقدم له في معبده قربانا من ثيران وعجول واوز وادخل قصرى وافتح خزائني وتصرف في جميع ما يكون لابي وسأعطيك من النفائس فوق ما ترغب من الذهب والزرجد ومن الخيول أعظم ما في اصطبلاتي فتوجه الملك أولا الى معبد (خنقي خاني) سيد مدينة (كامور) وتقرّب اليه بشيران وعجول واوز ثم توجه الى قصر الامير (بتيسيس) فقدم اليه هذا الامير فضة وذهبا ولازوردا وزبرجدا وغير ذلك من الملابس الملوكية والسرر المغطاة بالاقشة الرفيعة ومقدارا عظيما من عطر (انتا) وزيتا طيبا في أوعية وخيلا وأفراسا من أعظم خيول اصطبلاته وحلف الامير (بتيسيس) امام ملوك ورؤساء الوجه البحري قائلا ان كل من خبأ خيوله وأخفى شيئا مما يملكه فلا بد من موته والحاقه بأبييه وقد حذرتكم لتمنعوا من اخفاء شيء من أموالكم وان كنتم تعلمون أني لم أظهر شيئا مما أملكه فأخبروا الملك بما أخفيته في بيتي ان كان ذهبا أو فضة أو أحجارا نفيسة أو أواني أو أساور أو عقود ذهب أو عقودا مرصعة بالحجارة النفيسة أو حليا أو تيجانا أو حلقانا أو زينة ملوكية أو من أوان من ذهب للغسل أو حجارة نفيسة سوى ما قدمته اليه من الاقشة والملابس والنفائس التي في قصرى وعلمت أنها تهجبه وأرجوك أيها الملك أن تمر باصطبلتي وتختار ما يوافقك من الخيول فقبل ذلك الملك منه وأمضاه

ثم قال له الملوك والرؤساء نحن أيضا نذهب الى مدنتنا ونفتح خزانتنا وننتخب منها ما يعجبك ونأتي لك بها وبأعظم ما في اصطبلاتنا من نجائب الخيل فأجابهم الى ذلك وانصرفوا وكانوا أربعة عشر ملكا وهم **(اساركون)** ملك مدينتي **(بسطة ورع نفر)** **(ووابوت)** ملك مدينتي **(تنريو وتاعان)** **(وتاتامن اف عنخ)** رئيس مدينتي **(نمي الامديدوتارع)** وابنه الكبير **(وعنخ حور)** رئيس العساكر في **(بابوت ابرح)** **(وموكانشو)** رئيس **(سبنوتس)** **(وباجي)** **(وسمهود)** **(وبتلف)** رئيس المشواشين الاكبر في جهتي **(بسوتي)** **(وابن سوتي خز)** **(وبجو)** رئيس المشواشين الاكبر في قسم أبي صير **(وناسنا كاتي)** رئيس المشواشين الاكبر في قسم **(حسب)** ولعله قسم **(كربوتيس)** **(ونخت حورناسنو)** رئيس المشواشين الاكبر في قسم **(باور)** **(ونبتا ار)** رئيس المشواشين **(وبنتابوخن)** رئيس المشواشين وكاهن **(حور)** سيد مدينة **(سبحم ستوحارستمو)** **(وحوربسا)** رئيس قسمي **(يامخت بنت سا)** **(وباسخت نبرا حساوي)** **(ونخمو)** رئيس **(خنطينفر)** **(وبابس)** رئيس **(خراووبجاي)** قال الراوي ثم اتوا بهداياهم العظيمة وكانت ... من ذهب وفضة وسرر مغطاة بالاقشة الرفيعة وعطر في أوعية وغير ذلك من الهدايا العظيمة كالخيول ونحوها ولما اتوا قالوا للملك **(بعثي)** ان رئيس مدينة **(مسي)** أغلق سورها خوفا منك وأحرق خزانته وتهيا للقتال على النهر وملا مدينته بالجنود ... فعند ذلك أرسل الملك فرسانه لينظروا ماذا حصل من عدو الأمير **(بنيسيس)** فرجعوا اليه قائلين نحن قتلنا جميع الرجال الذين وجدناهم في تلك المدينة فأعطى الملك أرضها للأمير **(بنيسيس)** ولما بلغ هذا الخبر **(تفخت)** رئيس المشواشين أرسل **(لبعثي)** رسولا يقول له اكظم غيظك فاني وجل من رؤيتك لعدم مقاومتي نار حربك وامتلأ قلبي بفزعك لانك كعبود الجنوب **(نبتي)** وكعبود الشمال **(مونت)** الموصوف بالثور المنصوران أردت شيئا لم يعارضك أحد فيه انا الآن وصلت جزائر البحر خشية من سطوتك ومن تو يبخك المؤلم وتعنيفك الموجه أما يسكن خاطرك بما حصل لي منك ألا ترى اني صرت الآن حقيرا فلا توقعني في شرك ذنبي لان دقة الميزان تظهر الفروق الصغيرة فاسألك أن تضاعفها لي بالعفو منك واعلم أنك إن بذرت بذورا حصدت محصولها عند حلول وقتها ولا تخلع الساق حينما يكون مكلا بالازهار ولقد وقعت الرعب في قلبي وسرى فزعك في سائر أعضائي حتى صرت لأستقر لحظة في حانة المشروبات ولا أتناول سوى الخبز اذا اشتد جوعي والماء اذا اشتد ظمئي ومذ بلغك اسمي بالعصيان ألم بجسمي الفزع وتصعد رأسي وخلقت ثيابي وقد التجأت الآن لحي المعبودة **(نبت)** فأنني وانظر بوجهك نحوي وان بحسدت ذنبي أفلا يعفو السيد عن خادمه وخذ لخزانتك جميع ما أملكه من ذهب وحجارة نفيسة وأجود ما في خيلي المعبودة بعددها وأغني عليك قدوم رسول من عندك ليزيل الرعب من قلبي وأذهب معه عند المعبود

وأحلف عينا أمامه بعدم العود فارسل الملك اليه (بتامنستو) الكاهن الا كبر ومعه (پوارما) رئيس الجيوش فاعطاهما (تفتخت) فضة وذهبا وملابس وحجارة نفيسة متنوعة ثم توجه معهما عند المعبود وتاب اليه وحلف عينا مقدسة بانه لا يخالف أوامر الملك ولا يتعدى أقواله ولا يسيء رئيسا من غير رضاه وأن يفعل طبق كلامه ويمثل أمره فرضى الملك بذلك منه وفي الحال جاءه البشير بقول له إن مدينة (نترحانبو) فتحت أبوابها ومدينة (أفروديتو پوليس) أذعنت لطاعتك ولا يوجد قسم من أقسام الجنوب والشمال والغرب والشرق مغلقا دون جلالتك وأن الاقاليم الوسطى تواضعت خوفا منك وأتاك أهلها باموالهم واعترفوا أنهم رعيتهك ولما كان اليوم الثاني صباحا أتى ملكا الوجه القبلى وملكا الوجه البحرى وتاج النعبان مضى على جباههم ومعهم رؤساء الوجه البحرى ليقدموا تحيتهم للملك (يعنقى) ويتشرفوا ببلقائه وكانت فرائصهم ترتعد كفرائص النساء فلم يؤذن لهم بالدخول لدى الملك لانهم كانوا مدنيين باكل السمك المحرم كله فى محل الملوك وانما أذن فقط للبروز بالدخول فى قصر الملك لكونه طاهرا لم يأكل السمك المنهى عنه وأما الباقيون فانهم لبشوا ووفقا على الاقدام من غير أن يؤذن لهم بالدخول وبعد ذلك أراد الملك (يعنقى) الرحيل الى بلاده فشحن سفنه بما أهدي اليه من الذهب والنحاس والملابس والخيرات الواردة اليه من الوجه البحرى ومن الشام ومن بلاد العرب وسار فى النيل وقلبه مسرور وأهل مملكته مستبشرون به من الغرب الى الشرق فكانوا يستقبلونه مظهرين السرور وكان كلما حل فى جهة رفع أهلها أصواتهم بالفرح قائلين أيها الملك المنصور (يعنقى) لقد أنبت وحكمت الوجه البحرى وصيرت رجاله أذلة كالنساء وحل الفرح فى قلب أمك التى ولدتك فصرت شهما وأعطاك (أمون) جوهره فبشرى لك أيتها البقرة التى ولدت ثورا كان له على عمر الدهور ذكر مخلد وملك مؤبد ألا وهو الملك المحب لقسم طيبة انتهى

وجعل الملك (يعنقى) مصر تابعة لمملكته وأبقى لرؤسائها مالهم من الامتياز وجعل (تفتخت) ملكا عليهم بالاصالة بعد ان كان رئيسا على الجيوش المصرية فاستقر (تفتخت) بمدينة صا الحجر مقر حكومته الاصلية ورجع (يعنقى) الى مقره بمدينة (نبتا) ونقل اليها تخت الملك من طيبة ومنف بعد ان أرجع الاحوال فى مصر الى سابق مجراها ولم يرض عليه بعد رجوعه الى (نبتا) الا قليل حتى أدركه الموت فورثه فى الملك أميراسمه (كاتشا) لم يكن من بيت الملك وانما كان متزوجا بابنة كاهن مصرى من العائلة الملوكية قيسل ولما انتقل الى (كاتشا) المذكور الملك من عائلة (يعنقى) قام عليه أهل مصر وخرجوا عن طاعته فسمع بجيوشه من الاقليم البحرى ومن مصر الوسطى وانحاز الى بلاد السودان وفى هذه الاثناء مات أيضا الملك (تفتخت) فقام بالامر بعده ابنه المسمى (باكوريس) الملقب (بوح كارع)

(في الملك با كوريس)

ولما استقر (با كوريس) على كرمى الملك هذا حذو والده (تفتخت) وحارب
 أمراء الوجه البحرى وولاية الاحكام فيه ونزع منهم مصر الوسطى والاقليم البحرية وجعل
 مصر كلها تحت حكمه واستقل بملكها وكان عاقلا مدربا ذا رأى ثاقب وخبرة بالامور قاضيا
 متشربا وفي خلال هذه المدة مات (كانشا) الذى قام بالامر بعد (بعنقى) عن
 ولدين أحدهما اسمه (سباقون) وثانيهما اسمه (امريتس) فتولى سباقون بعد
 أبيه ولما علم بما فعله (با كوريس) ملك مصر سار لقتاله وكان (با كوريس)
 المذكور مبغضا من جميع الامراء المصريين لتغلبه عليهم ونزع حكم البلاد منهم فلما علموا
 بقدرهم (سباقون) انضموا اليه وعاونوه على قتاله كما عاونوا (بعنقى) على قتال
 (تفتخت) فوقع (با كوريس) فى قبضة (سباقون) فى مدينة صا الحجر فأمر
 بالقائه حيا فى لهيب النار فمات وكانت مدة حكمه سبع سنين على مارواه مانبطون المؤرخ
 وزال عوته الملك من العائلة الصاوية وانتقل الى الدولة الايتيوبية ونزع من بقى من
 العائلة الصاوية المذكورة الى اقليم الدلتا وتفرقوا فيها وقد أخذت أملا بهم وابشوا باقليم
 الدلتا يتر بصون خروج الايتوبيين من مصر خمسين سنة كما رواه هيرودوتس المؤرخ
 اليونانى (قال بعضهم) وقد كان السبب فى استيلاء ملوك السودان على مصر تغيير
 الاحوال واختلاف كلمة ملوك الدولة الرابعة والعشرين وبغض بعضهم لبعض واشتداد
 المنازعات وقيام الفتن فى داخلية البلاد فعمت الرزايا والمحن وكثرت الخطوب والاحن
 وزادت الانقلابات والدسائس فى الاقاليم القبلية والبحرية وقالت التوراة فى هذا الصدد
 مانصه ان ملوك تنيس صاروا لاعقول لهم وملوك منف ضلوا وأضلوا قومهم فقضينا أن
 نعطي مصر لملك جبار يتولى أمرها ويدبر شأنها * ففسر الاحبار الملك الجبار بالملك (سباقون)
 السودانى وهو رأس الدولة السودانية التى تولى ملك مصر وهو الملقب بفركارع الا فى
 ذكره بعد

(الفصل الثامن)

(فى الدولة الخامسة والعشرين السودانية)

كان مبدأ ظهور هذه الدولة سنة ثمان عشرة وسبع مائة قبل الميلاد أى سنة سبع

وثلاثين وثلاثمائة وألف قبل الهجرة وعدد من ملك منها أربعة وسنوم ملكهم خسون سنة
وقبل ثلاث وخسون وأول ملوكها الملك سباقون

(في الملك سباقون)

قد كان ابتداء ملك سباقون هذا نحو سنة خمس عشرة وسبعمائة قبل الميلاد أي
سنة سبع وثلاثين وألف قبل الهجرة بعد تغلبه على الملك باكوريس واحراقه بإياه وظفره بمملكة
مصر فاتسع نطاق سلطته الى البحر الابيض وتكنى بكنى الملوك المصرية وتلقب بألقابهم
الفرعونية وسار في الرعية سيرا حسنا فدبر أمور البلاد أحسن تدبير وبث روح العدل
بين أهلها وأبقى كل أمير واليا على اقليمه تحت سلطانه وملاحظة أمناء من أبناء جنسه وقد
نظم الجسور وأصلح القناطر والترع والخجان ورمم المباني النافعة واصطنع المصانع العظيمة
وبذل الجهد في تعمير مدينة بسطة ورمم ما تهدم من مدينة منف وأعاد نقوشها الى رونقها
القديم وأصلح مدينة طيبة عاصمة الوجه القبلي وكان (سباقون) المذكور اذ ذاك
تحت تصرف شقيقته الملكة (أمن ريتس) وأصلح بعض المعابد والهيما كل ويقال انه أول
من أبطل العقوبة بالقتل من قوانين البلاد فاجبه الناس ومالت اليه قلوب الرعية وعلت
كلمته وبعد صيته فاستتب الراحة في داخلية البلاد ورفل أهلها في حلال الرفاهية وثار في
أيامه ملك آشور على الفنيقيين والاسرائيليين وأهل فلسطين وأقلقهم بغزواته المتتابعة وكان
الاشوريون أهل شدة وبأس وصبر على الحروب فانحدت الممالك الثلاث على أن تتعاهد
مع ملك مصر وتحالفه على الذب والدفاع ليخلصوا من جور الاشوريين وتقدم اليه هوشع
ملك اسرائيل في ذلك وأرسل اليه هدايا ورغب اليه في معاقبتهم على قتال شلناصر ملك
أشور فعاقدهم سباقون على ذلك طمعا في ضم بلادهم الى مملكته كما فعل أسلافه وأخذ
الهدايا في مقام الجزية * فلما علم شلناصر ملك آشور بذلك احتال على هوشع ملك اسرائيل
وما زال به حتى أسره وفاجأ قومه وركب عليهم فأخذهم جميعا أسرى وألزمهم الطاعة
فاعترفوا له بها ثم سار شلناصر الى مدينة سامرية وحاصرها وضيق حصارها ولكنه مات
قبل فتحها وهو آخر بيت السلطنة الاشورية * فلما مات اجتمع أعيان دولته واتفقوا على اقامة
(سرخون) كبير قواد الجند ملكا عليهم وبايعوه بالملك فلما استقر به المنصب شدد في حصار
سامرية حتى فتحها وزحف بجيشه على بلاد فلسطين وحارب ملكها (يهوئيد) وقتله فلما
علم سباقون بذلك خاف وسار بعسكره الى الشام وانضم الي (حانون) ملك غزة وكان حليفه
فالتقى هنالك بجنود ملك آشور في مدينة (رافيا) فانتشبت الحرب بين الفريقين
فانهزمت الجنود المصرية والجنود الشامية ووقع (حانون) ملك غزة في قبضة (سرخون)

ملك أشور وهرب سباقون ملك مصر وهام في القفار فضل عن الطريق فلقية أحد الرعاة
فدله على الطريق وسار معه من فلسطين الى أرض مصر فزالته بهزيمته في هذه المرة هيئته
وعصاه أهل الوجه البحري وخرج أمراؤه عن طاعته وطردهوا من كلوا فيه من السودانين
وأخرجوههم الى طيبة واستقلت حينئذ مدن صان وبسطة واهناس وكان ممن بقي من
أقارب الملك (با كوريس) آخر ملوك الدولة الرابعة والعشرين الصاوية رجل اسمه
(اسطيغانيس) فلما رأى خروج هذه المدن واستقلالها عمد لارجاعها الى ما كانت عليه
ونادى لنفسه بالملك فتم له ذلك وتكفى بكفى الفراعنة وأرسل الى (سرخون)
ملك اشور يشره بهزيمة عدوه (سباقون) وفراره الى الصعيد ويخبره برجوع حكم
الاقاليم البحرية الى أصحابه من المصريين أما (سباقون) فإنه لما استعصى عليه اخضاع
الوجه البحري فتر الى الصعيد ثم مات بعد قليل فقام بالامر بعده ابنه (سيخون) الملقب
(بدد كورع) وتولى ملك اليتيمى والاقاليم القبلية

(في الملك سيخون)

(ويقال له أيضا)

(شباناق)

(قال أوبرت المؤرخ) بعد كلام ولقد كانت العائلة الصاوية قبل جلوس هذا الملك
في نزاع واختلاف مع العائلة الصانية بأسباب ملك الاقاليم البحرية ورغبة كل منهما في
الاستيلاء عليه فلما آل اليه الملك عقد النية على الانتقام منهما جزاء ما فعلاه بأبيه سباقون
فجيش الجيوش وأعد معدات الحرب وأكثر منها وازداد همة وإقداما بتفرق الكلمة بين
المصريين ثم ركب عليهم وقاتلهم وأنشأ نار الحرب فيهم فظهر عليهم وبسط يده على جميع
الديار المصرية وحكمها ولكنه لم يلبث بعد هذه النصر حتى ظهر عليه (طهراق) الملقب
(نفرنوم خورع) وقتله وتولى الملك بعده

(في الملك طهراق)

(ويقال له أيضا)

(تاراقوس)

هو ثالث ملوك الدولة السودانية الخامسة والعشرين وكان رجلا محاربا ظافرا ذا شوكة وبأس

ولما استقر به المنصب ركب على العصاة والخوارج فبدد شملهم ونزع مدينة منف (من اسطيفانيس) ملكها وكبير العائلة الصاوية قالوا واستقدم أمه من السودان فقدمت فلقبها بالحكمة أم الاقاليم القبلي والبحري وسيدة الامم . كقول العلامة ده روجه . وتحرك ملك آشور لقتاله فزحف بالاشوريين على مصر من ناحية الطينة وقاتل طهراق قتالا عنيفا حتى هزمه فتقهقر بعسكره الى مدينة (نبتا) تحت الايتيويما فتبعه ملك آشور بجيوشه وأخذ منه منف وطيبة ونهب ما في هياكلها من الامتعة وأسر كهنتها وبعث بماله منها الى بلاد آشور وأمر بوضع بعضها في هياكلها لتكون شاهدة على نصرته على ملك مصر واستقر في بلاد مصر وجعل ينظر في اصلاح ما فسد من أحوالها وما اختل من أعمالها وأعاد أمراءها العشرين الى مراكزهم وأرجع اليهم امتيازاتهم وضرب عليهم الجزية وجعلهم يتصرفون في ولاياتهم كما كانوا وأقام من بينهم الامير (نخاو الاول) رئيسا عليهم وكان (اسطيفانيس) في هذا الحين قد مات وترك ابنا اسمه (نخبشو) فتولى حكم إقليم صا الحجر بعد أبيه تحت راية ملوك السودان وكان (نخبشو) المذكور ساحرا وفليكا كبيرا على مارواه (غالبان) ولكنه كان قليل الهيبة فأقام حاكما على الاقليم المذكور حتى مات وخلفه (نخاو) الاول فترأس على أمراء البلاد وحكم تحت سلطة الملوك السودانيين مدة من الزمان حتى تغلب ملك آشور على (طهراق) فانحلت تابعية (نخاو) واستبد بالامر وكان (نخاو) المذكور ذا غيرة ونشاط وجية فلما انفرد بالحكم أخذ في تنم ما كان قد شرع فيه أسلافه منذ مائة سنة من اصلاح شؤون البلاد وتوحيد حكومتها وتحالف مع ملك آشور ليحفظ لنفسه الرئاسة على أمراء مصر واسترجع حكمه مدينة منف ولما تم لملك آشور الامر ومهد الاحوال في الديار المصرية أراد الرجوع الى وطنه فخص من مصر ووضع في قلاعها نفرا من عسكره للذب عن البلاد من غائلة السودانيين اذ كان في عزمه الرجوع لقتالهم وادخلهم تحت الطاعة ثم سار الى نينوى ليعيد لها رونقها وفخرها القديم وكان قد دوخ مصر وأذلها وأهان عاصمتها طيبة الشهيرة كما فعل (توتوميس) الثالث (وامنوفيس) الثاني بمدينة نينوى منذ تسعة قرون

ونقل صاحب العقد الثمين عن أوپرت المؤرخ فقال انه لما وصل ملك آشور الى نهر الكلب نقش على صخرة هناك بالقرب من الحجر الذي نصبه رمسيس الثاني شاهدا على نصرته نقوشا كثيرة بين فيها فتكه بالمصريين والسودانيين ونسب لنفسه السلطنة عليهما ولما كانت سنة تسع وستين وستمائة قبل الميلاد أصيب بمرض شديد منعه عن الدفاع فعاد حينئذ (طهراق) الى مصر وهزم أهل آشور في منف وخلص المدينة منهم بعد ان حاصرها حصارا شديدا فبلغ أمره آشور أخا الدين وكان قد أحس بالعجز عن القيام بواجب مملكته فتنازل عن الملك لابنه البكري آشور بانبال ثم سكن بابل ومات فيها بعد ذلك بقليل فقام آشور بانبال باحياء الملك وسار الى مصر لمحاربة الايتيويين وضم اليه عساكر الاشوريين الذين كانوا بمصر ودخل في الوجهه

البحري فلم يعارضه أحد وجال في البلاد الى ان تقابل بالجيش السودانية بجوار مدينة
 (كاربانيت) وتغلب على ملكهم (طهراق) وأخرج جيوشه من منف وطيبة فحلت
 بهما عساكره ومكثت فيهما مدة من الزمان وبعد انتهاء الحرب أرجع الحكيم الى الامراء
 العشرين ثانيا وأصلح الاحوال كما كانت عليه منذ خمس سنين في زمن آشور أخي الدين وظن
 بعد ذلك أن لا يعود الاشوريون الى الحرب فعاد الى وطنه الا أنه لم يصادف ظنه محله اذ بوضوله
 الى نينوى نشر (طهراق) لواء العصيان وعزم هذه المرة على الانتقام من المصريين
 لمساعدتهم أهل آشور عليه فهابه المصريون وأرسلوا له رسلا ليعقدوا معه معاهدة سرية
 مقتضاها مساعدتهم له على رجوع ملك مصر اليه فبلغ أمر هذه المعاهدة ولاة آشور الحاكمين
 في مصر فبادروا بالقبض على رؤساء العصاة وهم (سادلوداري) رئيس اقليم تنيس
 (وباكرور) رئيس اقليم (باسوريتي) (وتخاو) رئيس اقليم صا الحجر وأرسلوهم
 في الاغلال الى نينوى وحيث كان أول من عصى من الاقاليم البحرية هو اقليم صا الحجر
 (ومندس) (وتنيس) منهم ولاة آشور ليكونوا عبرة لغيرهم ولكن لم يستطع هؤلاء الولاة
 صد الملك (طهراق) حيث لم يكن لهم قبل بمجنوده فرجعوا القهقري امامه واسترجع
 طهراق للملك مدينة طيبة ومنف وأبطل منهما عبادة العجل (ايس) الذي عكف المصريون
 على عبادته حديثا ثم أخذ في تهديد الوجه البحري فلما بلغ ذلك ملك آشور أراد أن يحسن
 المعاملة مع أمراء مصر المأسورين عنده ليكونوا أعوانا له على عدوه (طهراق) فطلب
 (نخاو) وخلع عليه خلعة الشرف وأعطاه سيفاً نغمة من ذهب وعربة وخيولا وبغالا
 ولكن لم يستصوب أن يرثه على اقليم صا الحجر بل جعل ابنه (نسامتيك) الكبير حاكما
 على قسم اتريب ورخص له في الرحيل الى مصر فعاد (نخاو) ولم يجد فيها (طهراق)
 حيث كان قد هاجرها وتوجه الى بلاده لرؤيا رآها في المنام كما رواه هيرودوتس وكان قد حكم
 مصر عشرين سنة والايثيوبيا خمسين سنة وبإخلائه الوجه البحري احتله أهل آشور ودخلوا
 منف بدون قتال ولكنهم لم يتجاسروا على الجولان في الجهات القبليّة خشية من الايتوبيين
 وولى على مصر ناني مرة أمراءها الاصليين فخلفه صهره (أوردامن) وأعلن لنفسه
 بالسلطنة فيها على طيبة وجمع قوة وشرع في مهاجمة أهل آشور حتى ظهر عليهم امام
 منف فدخلوا فيها وأغلقوا عليهم أبوابها فلما طال عليهم الحصار سلموا أنفسهم اليه ووقع
 (نخاو) في قبضته فقتله ونجا منه (نسامتيك) بن (نخاو) حيث فر هاربا الى
 الشام كما رواه هيرودوتس ولما طال الامر بهذه الحالة على ملك آشور عزم على قطع دابر
 الايتوبيين من مصر وأمر رجاله بالانتقام منهم فظهروا على (أوردامن) وهرب الى طيبة
 مؤملا أن يجيش فيها جيشاوا يأخذ منهم بثاره فخاب منه الامل اذ كانوا في أثره ولم يتمكنوه من
 طيبة ولا من تجنيد الجنود فيها فانحاز في (كبيكت) بالايثيوبيا ونهب الاشوريون طيبة وكانت
 آخذة في إصلاح ما دمر منها مدة الملك آشور أخي الدين سنة اثنتين وسبعين وستائة قبل

الميلاد وأسروا رجالها ونساءها وسلبوا أموالها من ذهب وفضة وجماعة نفيسة وجميع ما كان ادخره (منتوح) في معابدها من أقشة فانحة ونحوها وأخذوا أيضا مسلتين نصبوهم في نينوى حسب ما رواه (انين مرسلين) وأرجعوا مصر الى الحالة الاشورية التي كانت عليها فحكمها العشرون أميراً ثالث مرة وهم الذين كانوا متولين أمرها منذ ست أو سبع سنين وترأس عليهم هذه المرة (بسامتيك) ولكنه لم يصل الى درجة والده (بختاو).

وأما (أورد أمن) فإنه لجأ الى بلاد الايتيوبيا ولم يرجع وبقيت مصر تابعة للمملكة آشور مدة من الدهر كما رواه أويرت الى ان رأى آشور بانبال ان التملك عليها يحتاج لكبير مشقة فتركها وتنازل عن سيادته فيها فألت من بعده الى (نوات ميامون) ملك الايتيوبيا بعد ان استقلت بنفسها حينما من الدهر.

(في الملك نوات ميامون)

(الملقب)

(بيكارع)

(قال أصحاب التاريخ) لم يتنازل ملك آشور عن سيادته على مصر الا لاضمحلال دولته وضعف شوكته وخروج مصر عن طاعته فحكمت نفسها مدة فلما رأى ملك الايتيوبيا خروج مصر عن طاعته واستقلالها فاجأها وأغار عليها وأدخل المصريين تحت حكمه وتحرير الخبر أنه لمات (أورد أمن) ملك الايتيوبيا قام بالامر بعده ابنه (نوات ميامون) المذكور وكان حازماً قوى البطش فرأى في منامه انه سيملك اقليم مصر القبلي والبحري ففرح بهذه الرؤيا واستبشر بها وأخذ في اعداد الجند ومعدات القتال وهاجم الوجه القبلي بجيش ضخم فلم ير من أهله مخالفة وكانت طائفة من الايتوبيين قد أقامت بطيبة وأسست فيها حزباً قوياً جداً وكذلك في ضواحيها وحازت لنفسها رتبة الكهانة في معبد (أمون) فأمدوا الملك (نوات) المذكور عندما هم بالانغارة على مصر وساعدوه ومهدوا له الموانع والعقبات فكان لذلك استيلاؤه على الوجه القبلي بغير مقاومة ولا منازعة وبعد ان رسخت قدمه في الوجه القبلي سار لقتال الوجه البحري فركب أمراؤه لقتاله أيضاً فخاربههم وردهم خاسئين فانحازوا الى القلاع والحصون ولم يبرزوا لقتاله وقد طال انتظاره فحلّ وعاد الى منف على غير هدى من أمره واجتمع الامراء المذكورون وتشاوروا في الامر فأشار كبيرهم وصاحب الرأي

فيهم المدعو (بكرور) بوجوب الطاعة الى (نوت) وان لا يخالفوا له امرا فوافقوه وساروا الى لقاء (نوت) بمدينة منف وقدموا له الطاعة ففرح بذلك فرحا عظيما وتم له الامر قال صاحب العقد الثمين ونقش هذه القصة على حجر وجدته مريت باشا في اطلال مدينة (نبتا) بجبل برقل سنة ثلاث وستين وثمانمائة وألف ميلادية وهو محفوظ الآن بمكتب بولاق وهذا تعريبه بديباجته

(الديباجة)

ظهر الملك العظيم (نوت ميامون) يوم ولايته كالعبود (نوم) وحكم العالم فكان ملكا عظيما حائزا للسيادة على الدنيا بأسرها ذا ذراع منصور وعزم مشهور أول مبارز في القتال ومحارب ذى قوة كالعبود (مونت) في الصيال وكان شجاعا كالأسد المهل فطنا (كهيمشرت) أى هرمس المشهور ذا أهبة في سياحته بالبحر لنوال المقصود سائدا على كل أرض وحدود كيف لا وقد ملك مصر بدون قتال ولا معارضة له من أمراء وأبطال ملك الوجه القبلى والبحرى (يكارع) سلالة الشمس (نوت ميامون) محبوب (أمون) ساكن (نبتا)

(القصة)

(في السنة الاولى من حكمه) رأى فى المنام أثناء الليل ثعبانين أحدهما على يمينه والآخر على يساره فلما استيقظ ولم يجدهما طلب من المعبرين تأويل هذه الرؤيا فقالوا له انك ستملك الوجه القبلى والوجه البحرى ويضىء على رأسك تاجاهما وتدخل مصر تحت يدك طولا وعرضا ويكون (أمون) مساعدا لك دون غيره فى هذا الأمر فارتقى هذه السنة على كرسى الملك ثم خرج من محله كالأسد إذا انطلق من أجنته وصحبه كثير من انطلق فقال لهم أحم رؤياي فأناال المرام أم هي أضغاث أحلام رأيتها فى المنام ثم توجه الى (نبتا) عاصمة لايتيوبيا وقسم فلم يعارضه أحد عند دخوله فيها وتمتع بمشاهدة معبودها (أمون) فوق جبله المقدس وأحضر له الازهار وأخرجه من محله وتقرب إليه بقربان يليق به وهو ستة وثلاثون ثورا وأربعون كاسا من المشروبات وقطوع له بمائة حمار ثم سار الى مصر فى النيل بعد أن تضرع كثيرا لهذا المعبود ذى الاسم المكنون زيادة عن غيره من المعبودات ولما قرب من جزيرة أسوان عبر النيل وتوجه إليها ودخل هيكل (خنوم رع) معبود الشلالات وأخرج تمسالة وتقرب إليه بقربان كما تقرب بالخير والمشروبات لمعبودات منبجى النيل ثم انحدر من عطسة النيل هناك وتوجه الى مدينة (خفت جنبس) بقسم طيبة التابعة (لامون)

وتوجه منها إلى مدينة طيبة ودخل هيكل معبودها (أمون رع) فقابلته الكهنة والخدم وكالوه بأزهار هذا المعبود ذي الاسم المكنون فأنشراح صدره لاسيما لدى مشاهدته المعبد ثم أخرج شمال (أمون رع) وعمل له موسما كبيرا في جميع أرجاء البلد وبعد ذلك سافر في النيل إلى الوجه البحري فقابلته سكان الشاطئ الشرقي والغربي مظهرين الفرح والسرور قائلين توجه مصحوبا بالسلامة في ذاتك الأمن وفي جوهرك حياة الاقليمين توجه لتصلح الهياكل التي دمرت وتقيم تماثيل المعبودات كما كانت وتصرف لهم المرتبات وتبعث الرجات إلى الاموات وترجع كل كاهن إلى محله لاهياء شعائر الدين . هذا ما كان من أمر الحزب المطيع له وأما حرب العصاة الذين كانوا يريدون قتاله فتبدل بغضهم له خوفا منه وخرجوا عليه بمجرد ما قرب من منف وحاربوه فأحدث فيهم مذبحه كبيرة لا يعلم فيها عدد القتلى واستولى على منف ثم زار معبد (بتاح رستيف) وتقرب إلى (بتاح سوكر) بقربان وتعبدا إلى المعبودة (سوخت) الشهيرة بالحبة وأنشراح صدره مما فعلته المعبودات من مساعدته رعاية لمعبوده (أمون) ساكن (نبتا) وأمر بتوسيع معبد (بتاح) وأنشأ فيه ايوانا جديدا ولم يكن قبل فيه ايوان فبناه بججر غشاء بالذهب وكساه بخشب الصنط وملاءه بالخور المحضر من بلاد العرب واتخذ أبوابه من النحاس الاحمر الالامع وطرارزه من الحديد وبني خلفه محلا لحلب حيوانات المعبد وكانت مائة وستة عشر رأسا من المعز وكثيرا من الجبول المطلقة خلف أمهاتها وبعد أن أتم ذلك توجه لمحاربة أمراء الوجه البحري فالتجؤا إلى أسوارهم وتركوا له الجهات فانتظر مبارزتهم مدة من الايام فلم يبرز أحد لقتاله فعاد إلى منف واستقر بقصره هناك وعزم على أن يرسل فرسانه في طلبهم الا أنه قبل توجه فرسانه أخبره حجابهم بأنهم أتوا إلى الجهة التي كان ينتظرهم فيها فسأل ماذا يطلبون هل أتوني محاربين أم طائعين رجاء نجاتهم فسألهم الحجاب فقالوا بل أتينا طائعين لمولانا الملك فقال الملك وجب على شكر (أمون) معبود طيبة العظيم في جبهته الكريم على كل من آمن به الحفيظ لكل من أحبه معطى القوة لكل من اتبع سبيله وأطاع أمره المرشد لكل من سلك طريقه وهو الذي أراى في الليل ما نظرنه في النهار ثم قال - ان ما يريد الامراء لا يمكن انجازه الآن فقالوا له انهم وقوف بالباب تخرج من قصره وكانوا مؤمنين بالشمس المنيرة في أفقها فلما رأوه خروا على جباههم احتراما لهيئته فقال لقد تحقق ما أخبرني به المعبود وتأكد نفاذ أمره الموعود فسأفعل ما يأمرني به ولي عبرة في ذلك بما حصل لي الآن حيث تحقق لي وقوع ما أمر به وتأكد عندى ان الشمس المعبودة تحبني وان (أمون) جعلني مباركا وكيف لا وانى تربصت هذا الامر حتى تحقق لي وقوعه فأنا كخادم بسعي في مصالح سيده وعلى الخادم أن يعلم ما يليق بمولاه وليس لي أن أتعرض لطلب ما يعذني به بل ينبغي أن أتربص لما يقع اعلى عنايته تسعدني وتسعفني فقال الامراء نسأل هذا المعبود الذي نصحك أول الامر أن يكون

مرشدا لك ودليلا وأن يجرى الخير على يدك وأن لا يكذبك فيما تقوله فأنت ملكنا وسيدنا وبعد ذلك قام ((بكرور)) ولي العهد وأمير مدينة ((بسانبو)) مخاطبا للملك بقوله انك قيمت وتحبي من تريد بدون أن يلومك أحد فتبعه الرؤساء جميعا قائلين هل لنا أن نستنشق منك أيها الملك نسيم الحياة اذلا معيشة لاحد من دونه فنحن نروم أن نخدم ((أمون)) كوابعك حسبما تمنيت يوم تسلطت فلما سمع الملك كلامهم انشرح فؤاده وأعطاهم خبزا ومشروبات وخيرات كثيرة وأبقاهم عنده عدة أيام وهو يغمرهم بالعطايا والاحسان مع كثرتهم ثم قالوا فيم الإقامة هنا ألم تتم مقاصد سيدنا وحاكمنا فقال لهم الملك لماذا تعجلون بالرحيل فقالوا يلزمنا الرجوع الى بلادنا لنقوم بواجبات رعايانا وعبيدنا فأذن لهم بالذهاب الى بلادهم والتمتع بعيشتهم ثم أتاه سكان البلاد القبلية والبحرية مقدمين له الجزية والخيرات من الصعيد والبحيرة وبذا اطمأن قلب الملك ((بيسكارع)) سلالة الشمس ((نوات ميامون)) سلطان الوجه القبلي والبحري دام بصحة وعافية وحياة مرضية ودام ملكه الى الابد اه

ومات الملك ((نوات ميامون)) بعد ان حكم ثلاث سنين وبعثته زالت الدولة الخامسة والعشرون وقامت بعدها الدولة السادسة والعشرون

(الفصل التاسع)

(في الدولة السادسة والعشرين الصادية)

((قال أصحاب التاريخ)) قد حصلت فترة بين مدة ملك الدولة الخامسة والعشرين وهذه الدولة التي هي السادسة والعشرون عبارة عن خمس عشرة سنة كانت فيها حكومة البلاد حكومة جمهورية التزامية قالوا وبيان ذلك انه لما أحس أمراء البلاد المصرية بما ألم بالبلاد من النذل والعار والالتحطاط والبوار بسبب بسط يد الاغراب عليها واستعظامهم البقاء تحت سلطنة الدولة السودانية مع ما بذلته هذه الدولة من مزيد العناية بأحوال الرعية وتحسين حالة البلاد بالعمائر العظيمة والمنافع الجليلة قاموا وعقدوا معاهدة بينهم على انقاذ البلاد من أيدي هؤلاء الطامعين واتحدوا قلبا وقالبا وقاتلوا الدولة السودانية قتالا عنيفا أياما كثيرة حتى أجلاوها عن البلاد ثم تقاسموا بينهم الملك فصارت بين اثني عشر حاكما من أمراء المدن المتعاهدين كل أمير يحكم مدينة اقليم ويحكم ذلك الاقليم بتمامه فسميت هذه الحكومة بالمقاسمة الاثني عشرية فكانت عبارة عن جمهورية التزامية كما تقدم القول وكان من هؤلاء الامراء أمير اسمه ((بسامتيك)) صاحب مدينة صا الحجر فتناقت نفسه الى الاستقلال بالملك والاستبداد بالعظمة فقام وقاتل الامراء وطال القتال بينهم كثيرا حتى خاض البلاد من

أيديهم واستولى عليها واستبد بحكمها فصارت بعد ذلك مملكة واحدة قالوا وقد استعان بسماتيك
هذا على نزع الحكومة من أيدي هؤلاء الامراء بطائفة من جنود اليونان المتطوعة فقد
حكى هيرودوتس المؤرخ واقعة تملك بسماتيك على مصر واستبداده بحكمها على وجه غريب
فقال ان بعض الكهنة كان قد أنبأ هؤلاء الامراء المتعاهدين انه سيأتي يوم يتقربون فيه جميعا
بالشراب الى المعبود (بتاح) فيشرب أحدهم شرابه في قدح من حديد فن شرب في هذه
الكاس تولى ملك البلاد المصرية بأسره قال وكانوا يشربون شرابهم في أقذاح من ذهب فبينما
كان هؤلاء الامراء الاثنا عشر مجتمعين للتسليم على الشراب تقربا الى المعبود (بتاح)
ولم تكن أقذاح الذهب الموضوعة بينهم الا احدى عشر قدح السهم وحصل من الكاهن الموكل بتقديمها
فبقى أحدهم وهو الامير (بسماتيك) بدون قدح فنزع مغفوره من رأسه وكان من حديد فشرب به
الشراب فتذكر رفقاؤه ما أنبأ به الكاهن وتنبهوا لذلك فأكرهوه على أن يهاجر الى بعض اجزاء الوجه
البحري خشية أن يستبد بالملك دونهم فأقام بتلك الاصقاع منفيا وبينما هو كذلك استقدم اليه
أحد الكهان وسأله عما سيقع له فبشره بأنه سيأتي يوم يستبد فيه وحده بحكم البلاد وأن ينصره
على أعدائه رجال من حديد يقدمون عليه من جهات البحر الابيض فاتفق أنه رسا على
سواحل مصر جماعة أصحاب صيال من ملاحى اليونان مسلحين بأسلحة من حديد وطلعوا الى
البر على مقربة من منازل (بسماتيك) يريدون النهب والسلب فلما علم (بسماتيك)
بنزولهم فطن لأمرهم وتذكر بشرى الكاهن له فبادر اليهم ورحب بهم وأكرمهم
ووعدهم بالانعام فعاهدوه وحالفهم على أن ينصروهم مخالفوه ودخلوا في خدمته فقام بهم
على الامراء وشن الغارة عليهم وانحاز اليه أيضا حزبه من أهل البلاد فتلاقى جند الفريقين
واقترلوا فظفر (بسماتيك) بهم وخلعهم من مناصبهم واستبد بالملك وحده فكان هو
مبدأ العائلة الصاوية السادسة والعشرين وبه عاد الى مصر مجددا الأول وشوكتها القديمة
وطمعت الى الغزوات والفتوحات الجسمية فنالت من توسيع دائرة ملكها بعد الضعف
ماشاء وقد حقق بعض أهل الاستكشافات الجديدة أن الدولة الاثني عشرية أقامت متحالفة
خمس عشرة سنة ويظهر لبعض المؤرخين أن ملوك الدولة السادسة والعشرين المسذكورة
بل والامراء الاثني عشرية أيضا هم من نسل الامراء الاغراب وأنهم من مغاربة برقة وأنه
قد جعلهم كثير من المؤرخين من أبناء أمراء مصر المتأصلين ولكنهم مع ذلك كانوا من
الشهرة وعلاو الهمة بمكان اذ أورثوا البلاد السعادة والرفاهية مدة مائة سنة وثمانين سنة
عما فعلوه من إحياء العلوم والفنون والصنائع وبناء الهيكل القديمة بعد اندراسها وتجديد
المعابد العظيمة وغير ذلك من الاعمال الجسمية التي أحدثوها بمدينة صالحر تحت ملكهم
(قال بعض كتاب الاخبار) ولم تزل بقايا تلك الأعمال الى الآن تدل على عظم تلك المدينة التي
كان حولها مالا يحصى من الحدائق والبساتين والطيور المغردة والوحوش المستأنسة والأنهار
المطرودة والرياض المونقة والقصور المرتفعة مالا يدخل تحت الوصف وبظهور (بسماتيك)

الذكور ظهرت الدولة السادسة والعشرون فكان مبدأ ظهورها سنة خمس وستين وستمائة قبل الميلاد أى سنة سبع وثمانين ومائتين وألف قبل الهجرة ومدة حكمها مائة سنة وثمان وثلاثون سنة وعدد ملوكها تسعة وقيل ستة وسيأتى ذكر ما ترك كل منهم بعد

(فى الملك يسامتيك الاول)

(تولى يسامتيك المذكور) الملك مستقلا سنة خمس وستين وستمائة قبل الميلاد المسيحي أى سنة سبع وثمانين ومائتين وألف قبل الهجرة المحمدية وكان رجلا حازما محمود السيرة محبا للعلوم والفنون والصنائع فلما استقر به المنصب وسع ملكه بالفتوحات ففتح الاقاليم القبلية بدون قتال واتصل بالشلال الاول وتزوج بالاميرة (شابنت تب) بنت الملكة (أمن ريتس) التى كانت حاكمة على الاقاليم القبلية ليحفظ لنفسه ولذريته من بعده الملك حسب الرسوم القديمة اذ كان لا يعتبر الملك ملكا حقيقيا الا اذا كان متأصلا أو متزوجا من بيت الملك كما تقدم لكلام على ذلك فى محله وكانت مصر فى سلطنته قد مات أكثر رجالها وتولاهما الخراب باسباب حروبها المتتابعة مع الاشوريين والايثيوبيين فقد حاصر الاشوريون مدينة منف ونهبوها ودمروا مدينة طيبة وأحرقوها مرتين وخربوا أكثر المدن والبلاد العظيمة فاشتغل المصريون بقتال الاعداء والدفاع عن الوطن وتركوا النظر فى المنافع العمومية فطمعت الترع وسدت الطرق التى عنى سابقون الملك بفتحها واندرست معالم تلك الاعمال النافعة أو كادت وزالت بهجتها فعمد (يسامتيك) الملك الى أحياء البلاد واعادة رونقها القديم فاصحح الترع وسهل الطرق وأعاد الامن والراحة الى سابق مجراها ما وبث العلوم والصنائع بين الرعية وعمر بيوت العبادة وبنى واجهات معبد (بتاح) فى مدينة منف من الجهتين الشرقية والقبلية وأنشأ فيها طرقات على عمد عديدة وبنى القاعة الكبرى التى كان يعلف فيها الثور (ايدس) وأصلح ما تهدم فى معبد الكرنك وحث الناس على اكتساب العلوم والمعارف وشدد عزائم أمراءه وبيكار دولته على ذلك فاتقنت فى أيامه صناعة النقش والتصوير والرسم والتمثيل وجعلت التماثيل بين التنااسب والاعتدال وتساوت فيها الاعضاء من حيث التنااسب وقد كانت فى عصر ملوك منف والملوك رمسيس الثانى تصنع إما معرضة وإما كبيرة غير متناسبة الاعضاء وأحسن سياسته مع بقية الممالك وشيد حصون البلاد وحصن قلاعها وأنشأ المعاقل فى مضائق طريق الشام من الجهة الشرقية وفى ضواحي بحيرة المنزلة من الجهة الغربية وفى الشلال الاول من الجهة القبلية اذ كان للمصريين أعداء ثلاثة لا ينكفون عن شن الغارة عليهم واختلاس الفرص المناسبة للتطربهم وهم الاشوريون من شمالها والايثيوبيون من جنوبها وملكه القبروان التى استحدثها اليونان على شمالها أيضا وقد نزلت بها طوائف من مغاربة ليبيا وحصن مدينة (دفنه) القريبة من قلعة (تسال) لمنع اغارة الاشوريين ووضع فى

جزيرة (أسوان) (ومريا) مرابطين لمنع اغارة مغاربة برقصة والسودان كما رواه
 هيرودوتس (قال ليسيوس) فلما أتم هذه الحصون والمعازل انتقل من حالة الدفاع الى
 حالة الهجوم فغزا النوبة واستظهر عليها ولم يعلم تفصيل هذه الواقعة غير أن جنود اليونان
 الذين استأجرهم لهذه الغزوة نقشوا اسمه وأسماء قواد جنوده على جدران التماثيل الموجودة
 في معبد (أبي سنبل) اه ويقول المصريون انهم دخلوا (قرقيش) التي على
 مقربة من الشلال الثاني وأدخلوها تحت حكم مصر وسموها اليونان بعد ذلك (دوديكاشين)
 أي اثني عشر شينا وذلك لان المسافة الواقعة بينهما من الجهة الجنوبية وبين جزيرة أسوان هي
 اثنا عشر شينا يعني ثلاثين مرحلة ثم سار بجنوده أيضا يريد فتح الشام فقاتل أهل فلسطين
 وملكها وأخذ مدينة (اشدود) إحدى مدائن الكنعانيين ولم يتوغل في داخلية
 البلاد بعد هذه الغزوات

قال هيرودوتس المؤرخ وبعد هذه الفتوحات حلت بمصر مصيبة عظيمة وداهية جسيمة
 وذلك ان (بسامتيك) المذكور سلك مسالك أسلافه الفراعنة من تقرب الغرباء اليه
 ووطئهم في بلاده فرغب في مصر الاغراب وأتوها من كل صوب وحذب ووفد اليه كثير من
 اليونان والكارينين فآكرم نزلهم وأقطعهم أرضا على سواحل بحر الطينة (قال استرابون)
 وفي ذلك الوقت جاء الى مصر أيضا أقوام من الميليزيين في ثلاثين سفينة فرسوا بها على
 سواحل رشيد ونزلوا هناك وأنشؤا في ذلك الموقع العظيم معسكرا كبيرا للغاية وأقاموا لهم
 أحكاما مخصوصة سموها بالمعسكري (الميليزي) وانحاز اليهم أيضا آخرون من الاغراب
 النزلاء فكثروا وغوا وقويت شوكتهم وأرسل لهم (بسامتيك) الملك بعض الغلمان من
 المصريين ليعلموهم اللغة اليونانية ليترجوا منها ما يحتاج اليه الحال باللغة المصرية فتخرج
 الكثير من هؤلاء الغلمان واتسع بسبب ذلك نطاق التجارة فنهضوا الى تأسيس مدرسة في
 الاقليم البحري لتعليم الشبان فن الترجمة وظن بسامتيك الملك انه باختلاط قومه بأمة
 برعت في الصناعة تنبت فيهم بأسباب هذا الاختلاط روح البراعة فيصبرون مع تتعدي
 الوقت بارعين كرجال تلك الاممة ولكنه لم يصب ظنه المرعى الصحيح اذ كان الغرباء يسعون
 منذ قرنين في تكدير راحة البلاد وإيرادها موارد البوار وقد كره المصريون لذلك مخالطتهم
 ولا سيما مخالطة اليونان الذين أتوا الى مصر في ذلك الحين وما قبله بقبائل * قال بعض
 المؤرخين * وربما كان للمصريين بعض الميل الى الامم التي كانوا يعرفونها قديما كالفنيقيين
 والاسرائيليين والاشوريين ولكنهم لا يحبون من حدث عليهم من نزلاء اليونان

ولما استقر اليونان بمصر شاهدوا من المصريين التمدن والفلاح فاولعوا بمصر ومالوا الى
 ديانتها وعلومها فأرادوا أن يذهبوا بعبادتهم مذهب عبادة مصر وأن يخطوا عائلاتهم الشهيرة
 بالعائلات الملوكية المصرية فشبها معبودهم (أثينه) بمعبود المصريين (نيت) الذي بصا الحجر

كما رواه ديودور الصقلي قال هيرودوتس المؤرخ وأكثروا من تلك التشبهات حتى ملأوا كتبهم منها وأدخلوا أطفالهم المدارس المصرية ليتعلموا فيها العلوم والحكمة فمن تخرج عليهما من مشاهير اليونان (سولون) (فيساغورس) (وأدوكس) (وأفلاطون) ومع ذلك فقد كان المصريون يتطرون اليهم بعين المقت ويعتبرونهم أمة نجسة فكانوا يجتنبون معاشرتهم كي لا ينجسوا منهم بل كانت العامة من المصريين لاتأكل ولا تشرب مع اليونان ولا تستعمل سكاكينهم ولا طناجرهم وكان أصحاب المظاهر يعتبرونهم كطفل جاهل شب بين عائلة أصلها متوحش فكانوا يخفون هذه الكراهة ثم ظهرت بعد ذلك للعيان اذ كثر ميل الملك (بسامتيك) اليهم أى الى اليونان والى الكاريين احدى طوائفهم فكان يعطيهم الرتب العالية ويقربهم منه لمساعدتهم اياه على قهر أعدائه كما تقدم القول واتخذ له منهم حراسا وألف منهم جناح الجيش الايمن الذى هو علامة الشرف والنصرة وأقام منهم المرباطين بعد أن كان المحافظون على البلاد من المصريين والمشواشين وقد اختصوا بها من قديم الزمان فلما رأوا هذا كله ولا سيما نزع المحافظة على البلاد من أيديهم وبقاء عساكر اليونان المحافظين على (مريا) (ودفنه) وجزيرة أسوان بدون تغيير ولا انتقال من مرأى كرههم مدة ثلاث سنين خلافا للنظام المتبع فى ذلك هاجوا وماجوا وعزموا على ترك الوطن فاجتمعوا وتشاوروا فى الامر فاستقر رأيهم على أن الرحيل وترك الاهل والوطن خير من الخروج وشق عصا الطاعة فاجتمع منهم نحو المائتين وأربعين ألفا وكلهم شاكو السلاح وساروا قاصدين بلاد الايتيوبيا ولم يصل خبرهم الى (بسامتيك) الملك الا بعد خروجهم من مصر فسار فى إثرهم فى عدة كثيرة من قومه حتى لحقهم وأخذ يلاطفهم ويستعطفهم أن لا يتركوا معبودات بلادهم ولا يفارقوا أهلهم ولدهم فقال له أحدهم لاحاجة لنا بك الآن فاتنا نرزق بنساء واولاد فى أى أرض كنا وساروا فى طريقهم فرجع بسامتيك على عقبه وما زالوا حتى دخلوا بلاد الايتيوبيا فلتقاهم ملكها بالترحيب وأكرم نزلهم واتخذهم له جندا ثم انزلهم بين النيل الابيض والنيل الازرق فنشأت منهم أمة عظيمة شديدة البأس اشتهرت بطائفة (الاسماخ) أى حجاب ميسرة الملك كما رواه هيرودوتس ثم سماهم السياحون من اليونان (أنوموليس وسمبريس) فبقى هذا الاسم مشهورا بهم الى القرن الاول من الميلاد

وقد عاد بسامتيك الملك فندم على فعله حيث رأى ان المحافظة على بلاده أمست فى قبضة الاجانب من اليونان بعد أن كانت فى أبهى أهلها وشق عليه الامر جدا ولكن هيات أن يرد ما فات فجعل يشغل بتنظيم جيش جديد من أبناء البلاد وأنشأ سفنا للحرب وغير ذلك من وسائل الدفاع الى أن مات كما رواه هيرودوتس سنة احدى عشرة وستمئة قبل الميلاد ودفن فى مدينة صالجر فقام بالامر بعده ابنه (نيخاوس) الثانى المعروف بفرعون الاعرج وكانت مدة حكم بسامتيك نحو أربع وخمسين سنة

(في الملك نينجاوس الثاني)

(المعروف)

(بفرعون الاعرج)

تولى الملك بعد موت أبيه **(بسامتبك)** وكان كآبيه له عناية واهتمام بتحسين أحوال الرعية وتوسيع دائرة التجارة وكان ميلا إلى الغزو والفتوح واتساع المملكة ونفوذ الكلمة فاهتم بالعباس كروالاجناد الذين نظمهم أبوه وأكثروا إنشاء السفن الحربية وفتح على الشام أبواب الحرب وما زالت جنوده تقاتل حتى هزمت جنود الشام وتغلبت على كثير من المدائن وتعلت عليها من البر والبحر وقتل ملكها **(يوشيا)** في مجدل المذكورة في التوراة باسم مجسدو فبايع أهل الشام ولده يهويا حاز فقاتله **(نينجاوس)** وظفربه وخلعه وذلك عند رجوعه من غزوة بابل وولى مكانه أخاه **(الياقيم)** وضرب الخراج على شعب يهوذا في كل عام مائة وزنة من الفضة ووزنة من الذهب وجاء يهويا حاز إلى مصر أسيرا وبقي بها إلى أن مات وفي أيام **(الياقيم)** هذا تولى بختنصر الأول ملكا على بابل فجهز الجيوش وأكثرت من معدات الحرب وزحف على أورشليم وملكها واسترد ما كان قد أخذه **(نينجاوس)** فرعون مصر من بلاده فأنقطع بذلك حكم فرعون عن أورشليم وخسر ما كان اكتسبه من الممالك والمدن في آسية وعقد مهادنة مع **(بختنصر)** وقد كان **(بختنصر)** على عزم مهاجمة مصر وأخذها عنوة وعاد في نفر قليل إلى بابل من طريق صحراء العرب كإرواه بيروس قال بعض المؤرخين ولما عاد الملك **(نينجاوس)** إلى مصر لم يسكن غضبه على ملك بابل وقومه الاشوريين ولم يهدأ له بال جيش جيشا عظيما وأعد كثيرا من سفن الحرب وعاد إلى إثارة الفتن بين الاشوريين ودس إلى **(الياقيم)** ملك يهوذا أن يخرج على ملك الاشوريين وكان **(الياقيم)** يبغيض ملك اشور ويقيم عليه لتسلطه على مملكة يهوذا فأطاع لذلك **(نينجاوس)** وعصى **(بختنصر)** وخرج عن طاعته فسار إليه **(بختنصر)** في جيش عظيم وحاربه حتى استظهر عليه وضرب عليه الجزية فعاد **(نينجاوس)** وحرّضه على الخروج ثانية فعصى ونكث عهده مع **(بختنصر)** فأرسل إليه **(بختنصر)** قائدا من قواده ومعه عساكر بني **(أمون)** **(ومواب)** فاصروا أورشليم وشددوا عليها الحصار وفي أثناء ذلك مات **(الياقيم)** فقام بالامر بعده ابنه وحضر **(بختنصر)** إلى أورشليم وأمر فشددوا عليها الحصار حتى استسلمت فخرّب بيت المقدس وأخذ ما فيه من الخزائن والنحف وكذلك ما في خزائن ملك يهوذا * قال مانيطون * ومع ذلك فقد مات **(نينجاوس)** المذكور بعد هذه الغزوات بسنتين ولم يبلغ المراد بأخذ بلاد الشام

وكان **(نيخاوس)** المذكور ذا عناية شديدة بتدبير داخلية مملكته وتحسين أحوال رعيته وتوسيع نطاق التجارة فتواتر في أيامه الاختلاط بالأجانب واتسعت فروع المعاملات كما تقدم القول فخطر على باله أن يصل ببحر القلزم بالبحر الأبيض الرومي بواسطة قطع برزخ السويس بترعة موصلة إلى النيل على امتداد أربع مراحل بحرية عرضها يسع سفينتين متحاذيتين ومبدأ هذه التربة من مدينة بسطة وآخرها بركة التمساح التي كانت تسمى قديما بالبحيرة المرة حيث كان بحر القلزم يومئذ فشرع في هذا العمل الجسيم وجد فيه وبالغ في الاجتهاد فمات فيه من العمال مائة وعشرون ألفا على ما حكاه هيرودوتس المؤرخ فأوقف **(نيخاوس)** العمل نظرا لما أخبره به بعض الكهان من أن حظ الانتفاع بهذا المشروع الخطير لا يكون إلا لدولة أجنبية قال **(ارسطاطاليس)** انما ترك **(نيخاوس)** وغيره من الفراعنة هذا العمل بعد أن ابتدؤا فيه لما أعلمهم المهندسون بأن سطح البحر الأحمر أعلى من أرض مصر فلذلك لم ينته العمل إلا إلى بركة التمساح قال بعض المؤرخين وقد شرع دارا الأكبر ملك فارس في فتح هذا البرزخ ولكنه عاد فأوقف العمل خوفا من غرق البلاد بسبب ارتفاع سطح البحر الأحمر عن أرض مصر ثم أتى المسالوك البطالسة من بعد فتموه وأوصلوه إلى بحر القلزم واستعافوا على حفظ الأراضي المصرية من التلف بأبواب وأقفال ورياحات فسهلت بأحداثه أسباب النقل وراجت التجارة ولكنه لم يلبث أن طم وبقي كذلك إلى دخول عمرو بن العاص مصر بجيوش المسلمين فأمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بقتله ثم سد في زمن المنصور الدوانيقي العباسي قلت وقد فتحه ديلبس الفرنسي على عهد الخديو إسماعيل وصار حظ الانتفاع به لدولة أجنبية هي دولة الانجليز - كما قاله الكاهن المصري

ولم يقعد الكف عن فتح البرزخ المذكور للملك **(نيخاوس)** همة ولا أضعف له عزية بل تآقت نفسه إلى معرفة محيط قطعة إفريقية والوقوف على مسالكها البحرية وكان أهل صور وقرطاجة قد استكشفوا سواحلها ورأوا في بعض بلدانها كثيرا من الذهب والعاج والاحشاش النفيسة والخيرات العظيمة ولكنهم لم يأثروا منها بشيء لما بين الأمميين من البغضاء والشكناة وقد حرموها على أنفسهم ومنعوا غيرهم من الوصول إليها فأرسل **(نيخاوس)** طائفة من ملاحى **(الفنيقيين)** بسفنهم إلى تلك البلدان فطافوا حول إفريقية في ثلاث سنين وكان مسيرهم من البحر الأحمر ومنه إلى المحيط الهندي ثم إلى المحيط الاطلانطي حتى بلغوا بوغاز جبل طارق فعبروا منه إلى البحر الأبيض وساروا حتى وصلوا إلى مصر وحرروا بالدقة مآطهر لهم من الأماكن والمسافات فعلت سواحل إفريقية وما حولها من البحار على وجه صحيح ولكن لم يلبث عليها حتى غاب عن العقول وتناساه الناس وكأنه لم يكن شيئا مذكورا

(ومات نيخاوس) الملك بعد أن حكم سبع عشرة سنة كما رواه ما نيطون السكاهن وقال

هيرودوتس بل ست عشرة سنة والاول أصح وأشهر فقام بالأمر بعده ابنه ((بسامتيك)) الثاني
الملقب بـ ((سفرابرع))

(في الملك بسامتيك الثاني)

((تولى الملك بعد أبيه)) ولم يستقر به المنصب حتى قام عليه ملك الاثيوپيا فسار
لقتاله في سنة احدى وتسعين وخمسة قبل الميلاد وغزاه وظفر به ومات عند رجوعه من
الغزو في نحو السنة السادسة للملكه ولم يعلم من سيرته شيء سوى انه وجد حجر في مقبرة العجل
((ايبس)) بسقارة يستفاد منه ان هذا العجل ولد في السابع من بؤته سنة ست عشرة من
حكم الملك ((نيخاوس)) الثاني ودخل معبد ((بتاح)) في التاسع من أبيب من السنة
الاولى من حكم الملك ((بسامتيك)) الثاني ومات في الثاني عشر من برمودة سنة اثنتى
عشرة من حكم هذا الملك قال صاحب العقد النين ومن هذا يتبين ان مدة حياة العجل
المذكور كانت سبع عشرة سنة وستة أشهر وخمسة أيام ويستدل منه أيضا بوجه التحقيق
على مدة حكم نيخاوس الثاني وبوجه التقريب على مدة حكم بسامتيك الثاني اه
ولما مات بسامتيك الثاني قام بالأمر بعده ابنه ((وح أبرع)) الملقب بـ ((بجمع أبرع))

(في الملك وح أبرع)

((ويقال له أيضا))

((فرعون حفرع))

قد ذكر هذا الملك في التوراة باسم حفرى وان ((صدقيا)) ملك يهوذا استنجد
به على مجتئصر ملك فارس وكان أرمياء النبي في هذا الحين حيا وقد أئذ صدقيا بخراب
مملكة فلسطين ووقوع اسرائيل في الأسران لم يطع ملك بابل ويخضع اليه فلم يلتفت
صدقيا لقول أرمياء النبي وقد عميت بصيرته وخرج عن طاعة ملك فارس وجاهره بالعصيان
وامتنع من أداء الجزية وتحالف مع ((وح أبرع)) هذا على قتال ملك فارس فسار
((وح أبرع)) لخدمة صدقيا بالشام في جيش عظيم وقامت الحرب بينهما وبين ملك فارس
فلما التقى الجمعان وبرزت جنود فارس وقع الرعب في قلوب العساكر المصرية وفشلوا
فاستظهرت عليهم عساكر بابل وهزمتهم شر هزيمة ثم ركب ((مجتئصر)) بجيوشه على اسرائيل
وغزا بلادهم وقبض على صدقيا ملكهم وأولاده وأمر بهم فقتلوا بين يدي أيهم صدقيا وفقاً

عيني صدقيا فهاجر كثير من اليهود الى أرض مصر فاستقبلهم **(وح ابرع)** وأقطعهم أرضا بقرب **(دفنه)** فانتشروا في **(مجدل)** **(ومنف)** وسكن بعضهم بصعيد مصر فلما نظفر **(بختنصر)** باليهود وخلص من حروبه بأسية سار نحو مصر يريد الانتقام من ملكها لمخالفته صدقيا ملك اسرائيل وقد كان يطمع في الاستيلاء عليها حيث أخبره أرمياء النبي بالغلبة عليها وادخالها تحت حكمه

قال المؤرخ يوسفوس وقد أغار **(بختنصر)** على مصر وقتل الملك **(وح ابرع)** وقتله ونزح مصر وأقام عليها واليا من قبله ثم عاد الى وطنه وأخذ معه جميع اليهود الذين استوطنوا بمصر قات ولم يعول أصحاب التاريخ على ما قاله هذا المؤرخ اذ هو مخالف لما نقله هيرودوتس فقد قال ان المصريين يقولون بأن الهزيمة وقعت على عساكر بابل وان سفن الملك **(وح ابرع)** كانت مدت بملاحين من اليونان فضربت السفن التي كانت في خدمة البابليين في تلك الغزوة وان العساكر المصرية رفعت الحصار عن مدينة صيدا والتجأ أهل الشام الى التسليم بغير قتال فدخلت حينئذ سواحل الشام تحت سلطتهم رغم أنف **(بختنصر)** واحتلت الجنود المصرية جهة يقال لها **(جبل)** وشيدوا فيها معبدا استكشفت آثاره حديثا كما رواه **(رينان)** فلما تم النصر للملك **(وح ابرع)** داخله الغرور وتعاضم وتكبر وادعى انه أكبر أسلافه سطوة وأوسعهم كلمة قال هيرودوتس ولكنه لم يلبث في الراحة طويلا حتى استجده سكان سواحل ليبيا على قبائل اليونانيين القاطنين في القيروان يخاف أن يرسل لنجدتهم جنودا يونانية من الذين كانوا في خدمته لانهم من أبناء جلدتهم فأرسل لهم فريقا من المصريين فلما التقى الفريقان عند **(إبرانه)** اقتتلا فكانت الغلبة على المصريين وانهمزوا شر هزيمة ومن بقي منهم كثر راجعا الى مصر فقامت الفتنة عند ذلك على الملك **(وح ابرع)** وخرجت عليه جنوده المصرية وقامت أيضا طوائف الكهنة على الملك اذ ظنوا انه اغتار أرسلهم الى ليبيا لهلاك من لا يحبه واتسع نطاق الفتنة وعمت جميع البلاد وارتفع لهيبها وكان ممن قلداه الملك **(وح ابرع)** قيادة بعض الجنود المصرية رجل من العامة اسمه **(أحمس)** وكان فطنا ليبيا مدبرا وأصله من مدينة **(سيوف)** قرية بجوار صا الحجر فأرسله الملك **(وح ابرع)** الى العصاة ليردهم عن عصيانهم فسار اليهم ووقف بينهم خطيبا وأطال النصح وشدد في القول فينمأ هو كذلك اذ تقدم نحوه أحد الجنود العصاة ووضع على رأسه مغفرا وصاح بأعلى صوته **(قد رضينا لك لنا ملكا)** فلم يمتنع **(أحمس)** من قبول ذلك واجتمعوا تحت كلمته فسار بهم لقتال الملك **(وح ابرع)** ولم يكن مع الملك المذكور الا الجنود الاجنبية التي كانت في خدمته وهي زهاء ثلاثين ألفا فالتقى الفريقان عند مدينة صا الحجر واقتتلا فانهمزت جنود الملك **(وح ابرع)** ووقع هو في قبضة **(أحمس)** فحبسه **(أحمس)** في مقره الذي كان يسكنه قبل وقوعه في الاسر وأحسن معاملته وأظهر له غاية اللطفة وحفظ ناموسه

(قال هيرودوتس) فتشقى جنود مصر بما حصل لهذا الملك من الضيم والذل بالعزل والحبس لما كانوا عليه من الحق والغيظ فأكرهوا الملك (أموزيس) الذى هو احمس خصمه على أن يسلمه اليهم فسله فقتلوه خنقا فى الحال اه
وبعونه خلا المنصب الملوكى (لاحمس) المذكور فاستقر به وسمى باسم (اموزيس)
ولقب نفسه بـ (خنوم ابرع) وهو الآتى ذكره بعد

(فى الملك أموزيس)

(ويسمى أيضا)

(احمس الثانى)

لما جلس هذا الملك على سرير الملك لم تحفل به الرعية ولم تحترمه العساكر والاحبار لانه لم يكن ذا حسب رفيع ولا نسب عريق قيل ولما علم بما خطر فى بعض النفوس من احتقار صفته وخسة أصله وأحس بما وراء ذلك ججع محفلا كبيرا وتغسل فيه باناء من ذهب كان يستعمل فى كثير من الامور العادية بين أيدي السادة والعبيد ثم صار تمثالا معبودا موقرا مهيبا فعظم من هذا اليوم محله فى النفوس وصار مرعى الحرمة والناموس قال هيرودوتس وتزوج (أموزيس) بحفيدة الملك (بسامتيك) الاقل السمسة (عخناس نفرت حت) وكان قد اصطفاه من العائلة الملوكية ليؤسس لنسله منها عائلة ذات حق فى تاج الملك فولدت له ولدا سمى (بسامتيك الثالث) باسم جده وقام بتدبير المملكة خير قيام حافظ على نفوذ مصر وسلطانها على فنيقيا وأخضع لحكمه جزيرة قبرص وأحسن السياسة مع الدول المعادية لمملكة مصر وأزال عنهم الوحشة فانكفوا عن الاغارة وكان يخشى كثيرا من ملك فارس فلما قامت الحرب بين الملك المذكور وبين الليديين استعمل الحيادة ولم يظهر ميلا لاحد الفريقين ولكنه مع ذلك لم يسلم من شرهما فقد أخذوا منه فنيقيا فلم يعارض خوفا مما وراء ذلك بل زاد فى حسن السياسة مع (كيروش) ملك فارس والتزم جانب المسالمة ليحافظ على بلاده من غائلته فصفا له بذلك الوقت وتنع بالراحة نجسا وعشرين سنة نظر فيها الى أوجه الاصلاح وموارد الثروة فوسع الترع وأصلح الخيلان وأنشأ الجسور واعتنى بأمر الزراعة والتجارة فانتسح نطاقهما وأثرت البلاد وعادت الى مجدها القديم فبالغ المؤرخون فى أيام هذا الملك حتى هيرودوتس حيث جعلها أعظم من أيام سواه من الملوك وان مصر لم تخصص فى أيام غيره كخصبها فى أيامه الهنية ولم يفيض النيل على مصر بالخيرات فى مثل أيامه ولا صارت قبله كما فى عهده مربعة غنية حتى قيل ان مدنها بلغت فى عهده عشرين ألف مدينة عامرة والغالب أن الكفور والقرى كانت معدودة منها وكانت هذه زاهية زاهرة كالمدن

وقد أخبره بذلك الكهنة الذين كانوا يحبون المغالة والاطراء في المدح خصوصا في أيام
تظاهر الفرس

وقد زاد البلاد ازاء في أيام هذا الملك اختلاط الاجانب بأهلها للتجار لاسيما طوائف
اليونان فانهم كانوا في ذلك الوقت أصحاب جد واجتهاد في التجارة فضلا عن الصناعة مما نقلوه
عن المصريين بالاختلاط فقال اليهم الملك (أموزيس) وأحبهم وزاد في مساعدتهم وتزوج
بنت رجل يوناني اسمه (اركيزيلاوس) وأهدى الى مدينتهم الهدايا النفيسة من التحف
المصرية فأرسل الى مدينة القديوان تمثال زوجته (لاديكة) ابنة (اركيزيلاوس) وتمثال
المعبودة (نيت) مغشيين بالذهب غشاء جديلا وبعث أيضا الى طائفة الفنيقيين المعروفة باسم
(ليندوس) تمثالين من حجر وزردي من كان والى (يوفون سامين) تمثالين من خشب رآهما
هيروودونس بنفسه وأكثر من الاحسان الى اليونان وبالغ في الترحيب بهم حتى غوا وكثروا وبلغوا
مائتي ألف نسمة على مارواه (ليترون) فأزلهم جميعا في مدينة (نقراطيس) التي قيل
ان محلها الآن بندر قوّة وقيل انه كوم نكراش وقد جعل محلها محمود باشا الفلكي بالاستظهار
(نقره) بالقرب من دمنهور البحيرة لقرائن أثرية دلته على ذلك وقد أباح الملك لهؤلاء
الاجانب أن يتسكوا بأصول ديانتهم وأقطعهم أراضى مخصوصة لينبؤا فيها معابدهم وهياكلهم
ومذابحهم على اختلاف طوائفهم وأديانهم فلما كثروا في مدينة نقراطيس اختطوا حولها مدنا
وكفروا ودوتوا لهم قانونا مخصوصا كان من أحكامه أن كل من يستوطن بينهم من التجار أو
غيرهم يجب عليه الانقياد لاحكام قانونهم فان لم يقبل ذلك أكرهوه على الرحيل عنهم فيرخص
له أموزيس الملك بالاستيطان في أية بلد شاء من مملكته قال هيروودونس ولما اتسعت دائرة
التجارة اتخذ تجار اليونان لهم وكلاء من أبناء جلدتهم وبعثوا بهم الى الجهات التي تمر منها
القوافل فكان بعض المبلذين في العراة المدفونة وبعض الساميين في الواحات الكبرى وكان
وجود هؤلاء الاجانب لا يخل بشرفهم ولا يقلل من اعتبارهم اذ كانوا تجارا وعليهم مدار
حركة البلد

وعاقده (أموزيس) مملكة أثينا وعاهدها ووطد عروة المودة معها وكان في أيامه
(كيروش) ملك فارس لا يتكف عن التجهيزات الحربية والاستعداد للقتال عند ستوح
الفرص فلما مات (كيروش) وخلفه ابنه (كبيز) على كرسى المملكة وعلم بما هو عليه
(أموزيس) من الضعف والانكماش صار يتربص وقوعه في الزلل وينتحل لاضرام نار الحرب
معه أسبابا ويعظم صفائر الامور واختلفت روايات أصحاب التاريخ عن تعللات (كبيز)
المدكور وأبسوها أشكالا وألوانا فقال هيروودونس ان (كبيز) المدكور طلب أن يتزوج بابنة
(احمس) ظنا منه أن أباه لا يقبل ذلك فيجاريه فأحس احمس بهذه الحيلة وأرسل له ابنة
الملك (وح ابرع) فلما دخل بها كبيز ناداها بابنة (احمس) فقالت أنا لست بابنته فقد
(كبيز) عليه ذلك وغزا مصر وقال هيروودونس أيضا ان سبب غزو العجم مصر طمعهم في

ثروتها وما فيها من الخيرات وقد كان للصريين في ذلك الوقت أسوار وحصون ومعاقل في الصحراء والاباطح وكان بين حدود الشام وخان يونس وبحيرة **(سربونيس)** الضاربة فيها مقدمات الجيوش المصرية في ذلك الحين مسافة شاسعة قلبا يقطعها الجيش في ثلاثة أيام ومع أن صحراء العرب لم تكن يومئذ في اتساعها الآن المستتب على تخريب الاشوريين والكلدانيين لبلادها وتركها للعرب الرحالة فنهبوها حتى دهرت وصارت بلقعا غير أن كميز كان يخاف على عساكره من التيسه فيها فتخبر في أمره فقيض الله له رجلا يونانيا اسمه **(فانيس)** وفد عليه من ديار مصر وكان قائد جيش فيها فأعلمه **(فانيس)** المذكور بحقيقة تلك البلاد ودله على الطريق فاشتدت عزيمته **(قبير)** وتقوت أطماعه وعقد عهدا مع مشايخ قبائل العرب الذين كانت لهم اليد على الطريق الموصلة الى مصر ليخسواله بالمرور منها ويأتوا بجيوشه بالماء على ظهور نوقهم ثم سار بجيوشه وما زالت حتى حلت أمام الطينة فبلغهم ان **(احمس)** قد مات وان ولده **(بسامتيك)** الثالث خلفه على سرير الملك اه

وكان لهذا الملك أعمال مهمة فقد أصلح الكرنك جميعه وقطع الاحجار من محاجر ظرا وأسوان ورم غير الكرنك من المباني العظيمة بطيبة التي كانت زوجته مقيمة فيها وكانت الحوادث والاحسن قد خربت الاقاليم البحرية فوجه عنايته الى تعبيرها فأصلح منفي وبني فيها معبدا **(لأريس)** اندرست آثاره الآن وقد شاهده هيرودوتس المؤرخ فقال انه لم ير أكبر ولا أعظم منه في ديار مصر ونصب **(أموريس)** المذكور أيضا أمام معبد **(بتاح)** بنف عمودا طوله خمس وسبعون قدما وبني في صا الحجر مداخل لمعبد **(نيت)** يقدمها صفوف من تماثيل أبي الهول على هيئة منتظمة ونصب أمام تلك المداخل مستلتين كبيرتين وصنع لذلك المعبد خلوة من الصوان الاحمر المقتطع من محاجر أسوان فنقلها ألفا ملاح من أسوان الى صا الحجر في ثلاث سنين وطول الخلوة المذكورة من الخارج أحد عشر مترا وعرضها سبعة أمتار وثمانية وثلاثون سنتيمترا وارتفاعها أربعة عشر مترا ووزنها وهي خالية خمسمائة ألف كيلوجرام وقد وضعها خارج المعبد لضخامتها ويقال ان سبب وضعها هناك هو أن المهندس المكلف بنقلها حين وضعها خارج المعبد أخذ يئن مما عاناه من المشاق في نقلها فسمعه **(أموريس)** وهو على هذا الحال فأمر بإبقائها في محلها * وقال هيرودوتس ان عدم وضعها في المعبد ناشئ عن هلاك أجد العمال تحتها * وقد كان **(لأموريس)** المذكور مراسلات مع الملوك الاجانب وقد روى لنا التاريخ مراسلة منه مع ملك جزيرة **(صيصام)** التي يقال لها **(سيموس)** ينصحه فيها بنصيحة خيرية اقتضاها الحال ويقول له لا تأمن صروف الزمان بل استعد لتوائب الحدثن واقع النفس بالزهد في الدنيا عن اتباع هواها واعصها ولا تبلغها بالتشهي منهاها * قيل فبمجرد وصول هذه النصيحة الى الملك المذكور وكان بأصبعه خاتم جوهر نفيس لايؤثر عليه شيا من زينة الحياة الدنيا ألقاه في اليم

وعزم على الزهد فابتلع الخاتم حوت ثم اتفق أن هذا الحوت وقع في يد أحد الصيادين وكان حوتا عظيما فقدمه لطباخ الملك المذكور فوجد الطباخ في جوف الحوت خاتم سيده فأعطاه اليه فعلم الملك عند ذلك أن الاشياء تعود وبخوت * وكان له أيضا مراسلات مع ((سولون)) حكيم اليونان ومع ذلك فقد كان لا يحرم نفسه من حظوظها ويوفىها ملاذها وقال ذات يوم لبعض أخصائه أما علمت أن القوس لا توتر الا عند الحاجة وترخي متى فرغ القصد منها وهكذا الانسان اذا اشتغل بجهد في أمر ما فعليه أن يعطى نفسه الراحة ويبلغها من الحظ ما تستروح به وتستريح اليه لانها ان استدامت على الجهد داخلتها الحاقة والغفلة واستعدت للوساوس والجنون وصارت غير قابلة لادراك الامور اه ومات ((أموريس)) بعد أن حكم خسا وثلاثين سنة على مارواه بعض أصحاب التاريخ وقال ما ينطون بل أربعا وأربعين وخلفه ابنه ((پسامتيك)) الثالث الملقب بـ ((رع عنخ كان))

(في الملك پسامتيك الثالث)

لم يستقر المنصب باپسامتيك هذا حتى جاءت جيوش ملك فارس الى أرض مصر ووقفت أمام الطينة نريد القتال فسار اليهم پسامتيك في عدة كثيرة من الجيوش المصرية واليونانية الذين في خدمته وعسكروا أمام العدو وكان ((فانيس)) اليوناني الذي فر من مصر وذهب الى ملك فارس وهوّن عليه قتال المصريين قد ترك أولاده بمصر فأحضرهم المصريون الى معسكرهم وذبحوهم بين الصفيين وأبوهم ينظر اليهم ويتقطع قلبه حسرة عليهم ووضعوا دمهم في اناء ثم مزجوه بخمر وشربوه تشفيا وانتقاما من ((فانيس)) المذكور على فعله وهجموا بعد ذلك هجوما شديدا على جيوش ((كبيز)) فحملت عليهم الفرس أيضا والتقى الصفان والنجم الجيشان وكان الملك ((كبيز)) قد وضع في مقدمة جيوشه كثيرا من السنائير والبراة وغيرهما من الحيوانات التي يجلبها المصريون فلم يجسروا على القتال ولم يرموا مهامهم على عدوهم خوفا من أن تصيب تلك الحيوانات المقدسة عندهم فرجعوا القهقري ولم يثبت منهم في صفوف القتال سوى العساكر اليونانية والكارية واشتد القتال بينهم وحى الوطيس فقتل من الفريقين عدد كثير ثم ظفرت الفرس باليونان والكاريين وقت لهم الغلبة فانهمزمو الى منف فأرسل لهم ((كبيز)) رجلا من قومه يطلب منهم أن يستسلموا فركب الرسول سفينة يونانية من سفن ((مدلين)) وسار الى منف فلما وصل اليها ورأه أهلها خرجوا اليه من القلاع زمرا وقبضوا عليه وكسروا السفينة قطعا وذبحوا من كان بها مع الرسول أيضا فلما علم ((كبيز)) بما فعله المصريون غضب جدا وجاء الى منف وأحاط بها وحاصرها وضيق عليها حتى أخذها عنوة وقبض على ولد الملك ((پسامتيك)) وقتله وقتل معه عدة من أكابر المصريين فحضعت البلاد بعد هذه الواقعة لملك فارس ((قال بعض أهل التاريخ)) ولما استسلمت منف

أمر الملك (كبيز) باحضار أولاد (بسامتيك) وبنته ومرورهم أمامه بثياب الرق والعبودية ثم طلب أيضا أولاداً كبار المصريين الذين حكم عليهم بالقتل ليمروا أمامه قبل قتلهم وكان الملك بسامتيك واقفاً يتظر الى الجميع مع الثبات والصبر ولم يشفق بهم (كبيز) وفي هذه الاثناء مر بـ (بسامتيك) أحد ندمائه بلباس الرق فلما رآه (بسامتيك) على هذا الحال تضجر تضجراً شديداً وصرخ في وجهه فتعجب (كبيز) من ذلك وسأله عن سبب ثيابه فأولاه نظره الى بنيه ثم تضجره وضربه على جبهته عند نظره الى ندميه فقال ان البكاء في جنب مصائب قليلة واعلم يا ابن (كيروش) انه اذا تجرد الرجل عن مفارجه وحلت به الخطوب وأحاطت به الكروب ولحقه الجوع والهرم استحق الحزن والبكاء عليه قالوا فلما سمع (كيروش) أحد قواد العجم هذا الكلام بكى وبكى أيضاً (كبيز) الملك وكثير من العجم وحن قلب كبيز وأخذته الشفقة عليه فعامله معاملة الملوك وكاد يرجع اليه تحت الملك ويجعله تابعاً لحكومته ولكن علم بعد ذلك أن (بسامتيك) المذكور يغري الناس على الخروج عليه فأمر به فقتلوه فزالته الدولة السادسة والعشرون وانقرضت دولة الفراعنة وزال ملكها وكانت مدة حكمه كما رواه مانبطون المؤرخ ستة أشهر بحيث لا يكاد يعرف له فيها أمر ولا نهى وكانت مدة حكم الدولة السادسة والعشرين المذكورة (مائة سنة وثمانين سنة).

ولما تم الامر للملك كبيز ومهدت له الاحوال سلم ادارة البلاد بعد قتله بسامتيك الى (ايرنيس) الفارسي فصارت من هذا الحين تابعة لدولة فارس خاضعة لأحكامها ونجيت عليها شيئاً فشيئاً عناكب الذل والهوان وقام السفه والجهل بين أهلها مقام الرشيد والتقدم وذهبت نضارة علومها ومعارفها وكادت تبور صنائعها لتوالى المظالم والحن وتراكم الخطوب والفتن وتصرف الهيئة الحاكمة في الرعية تصرف السيد في عبيده أو التاجر في سلعته وتم ما أوحى الله تعالى به الى حزقيل النبي عند سبي بابل وخراب اورشليم حيث قال (قال الله تعالى لا يكون بعد رئيس من أرض مصر وألقى الرعب في أرض مصر) قلت ومن أصدق من الله قيلاً وسيأتى بيان هذا في محله ان شاء الله * وقد رأينا قبل الكلام على دولة الفرس وما كان في أيامها أن نذكر هنا شيئاً من ترتيب مملكة مصر في القدم وفي أقسامها ومعبوداتها وفي سياستها وأخلاق أهلها وعوائدهم وفي كيفية إقامة الحدود والعقوبات عندهم وفي عاداتهم وصناعاتهم وأعيادهم ومواسمهم وأحكامهم وشرائعهم تليماً للفائدة وقد جعلنا ذلك فصلاً على الترتيب الآتي بعد

(فصل)

(في ترتيب مملكة مصر في القدم وفي أقسامها ومعبوداتها)

كانت تنقسم ديار مصر على عهد الفراعنة الى قسمين عظيمين اشتهرت بهما وهما الاقاليم

القبلية والاقاليم البحرية وكانت الحدود الفاصلة بين هذين القسمين مدينة دهشور قال أصحاب التاريخ ثم انهم قسموا الاقاليم القبلية الى اثنين وعشرين قسما والبحرية الى عشرين قسما وكان القسم يعرف في لغتهم باسم (حنب) وكان لكل قسم من هذه الاقسام حاكم وادارة مخصوصة وحدود فاصلة من الحجارة المطرزة بالكتابة وتحت للحكم وهو مقر الجند والكهنة والديانة المتبعة في ذلك القسم

قال صاحب العقد الثمين وأقسام الوجه القبلي المعروف باسم (تورميس) هي أولا - (ناخونت الفنتين) وقاعدته مدينة (أب) وتعرف الآن بجزيرة أسوان وأشهر مدنه جزيرة أنس الوجود ومعنى (أب) الفيل وسميت بذلك لانه كان يباع فيها سن الفيل وكان فيها معسكر وسور ومقياس للنيل وهو الموجود الآن بها ولهذا القسم معبودان - أحدهما (خنوم) ويرسم بصورة كبش ومعناه مصور الكائنات - والاخر (سبت) أى النجمة المعروفة بالشعري اليمنية وكان في جزيرة أسوان عدة معابد وهياكل فاختة انطمست آثارها ولم يبق منها سوى بعض حجارة مكتوب عليها ما فيه تذكرة بهذه المعابد والبيوت المقدسة ويجوار مدينة أسوان جبل الصوان الاحمر المسمى قديما (دودوشر)

والثاني - (ادبولينوبوليتس مغنا) وقاعدته مدينة (دب) وتعرف الآن بادفو وكان فيها معبد عظيم لمعبود هذا القسم المسمى (حور) أى العظيم ورسمه على هيئة الباشق وهو الذى تسميه اليونان (ابولون) ويوجد تجاه مدينة ادفو في الجانب الغربى من النيل بئر ماء حفرها الملك (سبتى الاول) وتسمى عندهم (ناخنوم) ومعناه البئر ولم تزل باقية الى الآن بقرية تدعى (ردسيا) وهى أول محطة للقوافل التجارية التى كانت تمر على الصحراء الى البحر الاحمر وأشهر مدن هذا القسم (خنو) أى جبل السلسلة وكان مركزا للعالم والمعارف في تلك الايام

والثالث - (تنلاتوبوليتس) وقاعدته مدينة (نخب) أعنى القرية المعروفة الآن (بالكاب) الموضوع على الجانب الغربى من النيل وهى أحد الحصون القديمة وكانت الارض المجاورة لها شهيرة بمعادن الملح وموضع هذا القسم الشاطئ الغربى من النيل وكان كل من حكم هذا القسم بلقب بابن الملك (نخب) ولا يكون الا من عائلة ملوكية وأشهر مدنه (حابك) أعنى الكوم الاحمر وكانت سكانه تحترم المعبودة (نخب) ورسمها على شكل عقاب له وجه آدمى وعلى رأسه تاج يسمونه (اتف) وهى معبودة خصوصية لهذا القسم وعمومية للاقاليم الجنوبية وكان أكل السمك في هذا القسم منها عنه وفيه مدن شهيرة منها (سينى) أى اسنا وكان فيها معبد عظيم لم تزل تشهد آثاره الى الآن

الرابع - (اسديوسبوليتس) وقاعدته مدينة (فو) أو (نوامون) أى مدينة طيبة ويقال لها ثيبة وطيرة وكانت أكبر مدائن الديار المصرية وأشهرها ولم تزل تشهد فيها الى الآن من المعابد والآثار ما يوجب تعجب الناظرين واستغراب المتفرجين ويستدل على حدودها

القديمة بالكركنك ولوقصر والقرنة ومدينة (ابو) الشهيرة قديما بالمباني الفاخرة وكانت دار اقامة لعدة ملوك متناوبة بعد مدينة منف واستمرت تحتنا للديار المصرية نحو ألفي سنة ولهذا القسم معبودان الاول (امون رع) وسعى بهذا الاسم في عصر العائلة الحادية عشرة وهو معبود خصوصي لهذا القسم وعموى لكافة مصر ومعنى (امون رع) الشمس الخفية التي لا تدركها الابصار عند مغيبها وهو رمز للمعبود المنظم للكون ومرتبة في المعبودات بعد (بتاح) منشي الكائنات والثاني (مونت) ويقال له (موننو) أو (منت) وهو معبود عموى لهذا القسم وخصوصي لاشهر مدنه المسماة الآن أرمنت وصورته على شكل انسان له رأس باشق عليها قرص الشمس وریشتان مستقيمتان قابض بيده اليمنى على المذبة المسماة (خوبش) اشارة الى كونه اله الحرب ورب الشجاعة ويوجد غربي مدينة القرنة مقابر للفراعنة المعروفة الآن ببيان الملوك وهذا المكان مشهور باعظم القبور الاثرية التي يهرع لمشاهدتها السياحون في كل سنة

الخامس - (قوبطى قوبطيتس) وقاعدته مدينة (قبطى) أى فقط وموضعها على جانب النيل الشرقى ومعبودها (خم) ورسمه على هيئة رجل واقف رافع ذراعه الايمن اشارة الى كونه يبذر التقاوى ويده اليسرى مسترة مع جسمه باقشة ملتف بها وعلى رأسه ریشتان طويلتان وقضيبه منتصب دلالة على القوة الموجودة للتناسل والزروع وكان يعمل له عند وفور المحصولات الزراعية وجودتها موسم عظيم بالكيفية المرسومة على آثار مدينة (ابو) وكانت تمتد من تلك المدينة طريق للقوافل التجارية فمر بالصحراء من جهة القصير الى أن تتصل بالبحر الاحمر وكان في جنوب فقط مدينتان تعرفان الآن بشهور وقوس الشهيرة قديما باسم (كوسى)

السادس - (تام تمبريتس) وقاعدته مدينة (تنتر) وتعرف الآن ببندره وموضعها على شاطئ النيل الغربى وكان أهل هذا القسم يحترمون الكوكب المسمى (حاتحوم) أى الشعرى اليمانية ويحترمون على أنفسهم أكل العسل والسمك كما كان أهل القسم الثالث يحرمون على أنفسهم أكل السمك

السابع - (سوسنخم ديوسبوليتس) وقاعدته (حا) وهى مدينة (هو) الآن ومعبودها (نتا ونقر حنب) وموضعها على جانب النيل الغربى وقد اشتهرت قديما هى والقسم التابع لها بخصوبة الارض ونضارة البساتين

الثامن - (ابزو ثينيتس) وكانت قاعدته فى الاول مدينة (تينى) أعنى طينة وهى مسقط رأس الملك (منا) ثم صارت قاعدته بعد دمارها مدينة (ابدو) أى العرابية المدفونة وكان أهل تلك الجهة يحترمون المعبود (انخور) ومعناه الذى بيده مقابليد السماء والارض ورسمه على هيئة صبي متوج بتاج فوقه أربع ريشات وبيده حبل وكانت مدينة العرابية المدفونة ذات شهرة عظيمة بسبب المقبرة التى كانوا يعتقدون أن معبودهم (ازوريس)

مدفون فيها ولذا كانوا يأتون إليها في كل عام زائرين ويتمنون الدفن في تلك البقعة المقدسة عندهم ولم يزل يشاهد فيها إلى يومنا هذا باطراف الصحراء عدة مقابر فاخرة

التاسع - (خم بانو پوليتس) وقاعدته مدينة (بنجم) أي انجم وهي موضوعة على جانب النيل الشرقى ومعبودها (خم) السابق ذكره الذى من صفاته أيضا انه منزه عما توصف به سائر الذوات وكان لاهل انجم شهرة عظيمة بالمهارة فى فن صناعة الاقشة ونحت الحجارة

العاشر - (وص افرو ديتو پوليتس) وقاعدته الاولى (دبو) أعنى مدينة النعال وهي المعروفة الآن بقرية (ادفه) على الجانب الغربى من النيل بحرى سوهاج وكان أهلها يعبدون (حور) أي العلى وقاعدته الثانية (دوكا) أي (قاو) ومعبودها (ست) أي الشيطان وكان لهذا القسم شهرة عظيمة بمعادن الحجارة النفيسة التى كانت تستخرج من الجبال المجاورة له بالجانب الشرقى من نهر النيل

الحادى عشر - (مها هبسليتس) وقاعدته مدينة (شس حتب) ويستدل عليها بالقرية المعروفة الآن باسم (شطف) وكانت مستودع الاسرار الدينية ومعبودها (خنوم) أي منشئ الكائنات وبارئها

الثانى عشر - (دوف أنتيو پوليتس الشمالى) وقاعدته مدينة (فونت بك) ويستدل على محلها بقاوى الكهنة ومعبوداتها (حور ومق أى أريس)

الثالث عشر - (أنف خونت ليكو پوليتس) وقاعدته مدينة (سيوط) أي أسميوط ومعبودها (أبماتن) أي الحافظ على جميع ما فى الجهة الجنوبية من الاموات والسبل وهو على شكل ابن آوى وبخته مدفونة فى الجهة الغربية من أسميوط وكان أهل هذا القسم يحترمون أيضا المعبود (حاتحور) يعنى الشعرى البمانية

الرابع عشر - (أنف بجو افرو ديتو پوليتس) وقاعدته مدينة قوص ومعناها مدينة الرخام الابيض ويستدل عليها الآن بقرية قوصنيه وكان للرخام الذى يستخرج من مقاطع تلك المدينة شهرة عظيمة عند الاقدمين وكان أهل تلك الجهة يحترمون المعبود (معا) ويرسمونها جالسة ملتفة بأقشة وعلى رأسها علامة بالهير وغليفية تدل على العدالة ونطق هذه العلامة (معا) ويعتقدون أن هذه المعبودة تقدم الاموات الى محضر الحكم يوم القيامة

الخامس عشر - (آن هرمو پوليتس) وقاعدته (سنو) يعنى الاشمونين ومعبوده (فحوت) يعنى (هرمس) ومعناه رب الحكمة

السادس عشر - (مح هبون) وقاعدته مدينة (هبون) ويستدل عليها الآن بقرية انصنا ومعبودها (حور) يعنى العظيم وكانت بلدة شهيرة ويشهد لذلك آثار المعابد والخلوات التى كانت معدة للجناز فى الجبال القريبة منها وأشهر مدنها (سات) يعنى بنى حسان (وانويل) يعنى الكوم الاجر

السابع عشر (أنوسينو پوليتس) وقاعدته مدينة (كاسا) وتعرف الآن باسم
 قلوطنه ومعبودها (أنوب) وهو ابن آوى وأشهر مدنها سملوط
 الثامن عشر (سبوت اكسير تحيثوس الشمالى) وقاعدته مدينة (حاسوتن)
 ومعبوده (أنوب)
 التاسع عشر (وسب اكسير تحيثوس الجنوبى) وقاعدته (بماص) يعنى البهنسة
 ومعبوده (ست) يعنى الشيطان
 العشرون (أم ادخونت هيرا قليو پوليس) وقاعدته (خينتو) يعنى اهناس
 المدينة وله معبودان هما (خانوم) و (حورشف) أى القادر وأشهر مدنه مدينة بوص
 الحادى والعشرون (أبحوا رسينوفيتش) وقاعدته مدينة (صخور) ومعبودها
 (خنوم) يعنى مصور الكائنات وأشهر مدنه (بى سبك) يعنى الفيوم وكانت تعرف
 أيضا باسم (بسيموع) يعنى مدينة الم
 الثانى والعشرون (تباحوا مزوديتو پوليتس) وقاعدته (تباح) يعنى اطفح
 ومعبوده (حانخور) أى الشعري اليمانية وآخر حدوده من الجهة البحرية مدينة دهشور
 وهى الفاصلة بين الوجه القبلى والبحرى كما تقدم

(فى الكلام على أقسام الوجه البحرى)

(المسمى قديما)

(يتوضحيت)

أول هذه الاقسام (انبوخز منفيس) وقاعدته مدينة (منفر) يعنى المكان
 العظيم أو المينا العظيمة وتعرف عند مؤرخى العرب باسم منف وهى منحصرة فيما بين
 البدرشين وميت رهينة ومديرية الجيزة ولها معبودان الاول (بتاح) يعنى الفتاح ويلقبه
 القدماء بالمبرئ منظم الكون ويرسمونه على الآتار تارة متوجا بتاج الجعران واطئا بأرجله
 تمساحا إشارة الى الانقلاب والتغير وتارة على شكل موميا مطلقة اليدين يشيرون بذلك الى
 استحالة الروح بعد خروجها من الجسد الى نور يصعد الى السماء ينضم الى نور الشمس
 والثانى المعبود (سخت) يعنى حرارة الشمس المهلكة ويقال انها منوطة بعقاب الخاطئين
 فى النار ورسمها على شكل آدمى له وجه سبع وعلى رأسه الشمس وكان يوجد أمام الكرنك
 يعنى أمام المعبد جلة من عمال هذه المعبودات موضوعة صفين بانتظام ونقل بعضها الآن
 الى متحف فرنسا ويوجد وراء منف اهرام اعدة ملوك من الطبقة الاولى وكانت منف
 قاعدة للآل مدة سبعين قرنا وحدها القبلى شهاب والغربى بحر يوسف والشرقى النيل

والبحرى الجيزة وكان فيها قصور ومبان فاخرة بقيت عامرة الى عصر اليونان ويوجد بقربها على الشاطئ الشرقى من النيل محاجر طرا وتعرف قديما باسم ((طرويا)) وكان يستخرج منها الحجارة لبناء الهياكل وغيرها

الثانى ((اعاليتوپوليس)) وقاعدته مدينة ((سخم)) المسماة الآن وسيم وهى على الجانب الايسر من فرع رشيد ومعنى ((سخم)) المكان المنزه عن شوائب التدنيس ومعبود هذا القسم ((حور)) أى الاعلى الفخيم
الثالث ((امنت)) ويقال لها ((لييا)) أو ((ماريدس)) أو ((مومنفيتس)) وقاعدته مدينة ((نى نونفحى)) يعنى مدينة الثور ((ايس)) وموضعه جهة مريوط ومعبوده ((سنى))

الرابع ((سبيريس مينتانتس)) وقاعدته مدينة ((صقع)) يعنى ((كلوب)) وموضعها بجوار أبى قير على الجانب الايمن من فرع رشيد وكان أهل هذا القسم يحترمون المعبود ((آمون رع)) والمعبوده ((نيت))
الخامس ((سابى محت سايتس)) وقاعدته مدينة ((صا)) يعنى صا الحجر وكانت مدينة شهيرة فيها هيكل فاخر مؤسس لعبادة المعبود ((نحوت)) يعنى رب الحكمة ولهذا القسم معبودة تسمى ((بست))

السادس ((كاسيت اكسوتيس)) وله قاعدتان الاولى ((سحاوة)) ومعناها سخاوهى الموجودة بمديرية الغربية وكانت مدينة عظيمة اجتهدت فى عمارتها العائلة الرابعة عشرة واتخذتها تختا لها مدة من الزمن ومعبودها ((آمون)) والثانية ((عنت عرى حوس)) يعنى مدينة السبع الكاسر كناية عن ((آمون))

السابع ((امنت متلپتس)) وموضعه بين مديرتى الغربية والبحيرة وله قاعدتان الاولى مدينة ((سنتينفر)) يعنى مدينة مسيل والثانية مدينة العطف المسماة قديما ((ديت)) وكان أهل هذا القسم يحترمون المعبود ((حور)) والمعبوده ((ازيس)) ويرسمونها على شكل امرأه جالسة فوق رأسها كرسى

الثامن ((ابوت سنروتيس)) وموضعه فى مديرية الدقهلية بجوار بركة المنزلة وقاعدته مدينة ((سوكوت)) المذكورة فى التوراة بهذا الاسم ومعبودها ((نوم)) ومعناه الشمس وقت غروبها ورسمه على شكل آدمى متوج بتاج يسمى ((بشت)) وكان فيها قصر للالك ((منفتاح)) وقاعة حصينة بالقرب من مدينة ((رمسيس)) المعروفة قديما باسم ((يتوم)) وكانت هذه القاعة مفتاح الديار المصرية فى العصر القديم

التاسع ((آقى بوسيريتس)) يعنى قسم أبى صير وقاعدته مدينة ((بى اسرتب دو)) يعنى مدينة أبى صير ومعبوده ((ازوريس)) وهو المقدس الذى يحكم فى أحوال الارواح ويصحب الانسان بعد موته فيهديه الى أقدام الرب الاعلى ويوصف بفاعل الخير

العاشر: (كأكم اتريتس) يعنى اتريب في مديرية القليوبية على الشاطئ الشرق من فرع دمياط ويستدل عليه بقل اتريب وقاعدته مدينة (حاتحوراب) يعنى مدينة الارض الوسطى ومعبودها (حور) يعنى العلى ولفظه (ختى حتى) وكان له معبد عظيم في مدينة (حتى) القديمة

الحادى عشر: (كاجبس بكاسيتس) وقاعدته مدينة (كاجبس) يعنى شباس وكان سكان هذا القسم يعبدون الشيطان (ست)

الثانى عشر: (كاتب تيتوس) وقاعدته (سب فوتر) يعنى مدينة سمند ومعبوده (انخور) المسمى عند اليونان (مارس)

الثالث عشر: (حق آن هيلوپوليس) وقاعدته مدينة (آن) يعنى المطرية وكانت دار علوم ومعارف وفيها معبد للشمس ومسلتان احدهما مسلة الملك (أوسرتسن الاول) القائمة الآن هناك على ساقها وهى تدل على باب المعبد المذكور ولم يزل يشاهد فى تلك المدينة ما فيه تذكرة ببنائها الفاخرة ولهذا القسم معبودان الاول (حورمخو) يعنى الشمس وقت الشروق والغروب والثانى المعبودة (يوزاس)

الرابع عشر: (خونت ابدت تانيس) وقاعدته مدينة (صعن) يعنى صان وكانت مدينة شهيرة لاسيما فى عصر (رمسيس الثانى) الذى شيدها وسمّاها باسمه وفيها أظهر موسى عليه السلام المعجزات لفرعون (منفتاح) الاول لاطلاق بنى اسرائيل من مصر فأذن لهم بالرحيل فخرجوا من تلك المدينة بعد اجتماعهم فيها وساروا الى (سوكوت) حيث أمرهم الله وكان لهذا القسم معبودان الاول (حور) يعنى العظيم الفخيم والثانى المعبودة (خونت أبوت)

الخامس عشر: (بجج هرموپوليتس) وقاعدته (بى تحوت) وتسميها اليونان (هرموپوليس) يعنى اشمون الرمان ومعبوده (تحوت) يعنى كوكب المريخ السادس عشر: (خامندسيوس) وقاعدته (بى بى نب دد) ومعناه (مندس) يعنى قرية تحى الامديد وله معبودان الاول (بى نب دد) وتسميه اليونان (مندس) والثانية المعبودة (حاحيت)

السابع عشر: (سمهود ديوسبوليتس) وقاعدته مدينة (باخن أمون) المعروفة عند اليونان باسم (باخنمونيس) ومعبوده (أمون رع) والالهة موت الثامن عشر: (أم خونت بوبوتيتس) وقاعدته مدينة (بى بست) أعنى مدينة بسطة ويستدل على محلها الآن بقل بسطة ومعبودها الالهة (بست) المعروفة عند اليونان باسم (ديانا) ولعلها دميانا التى تزورها الاقباط فى كل عام

التاسع عشر: (احت بوتيكوس بثنونس) وقاعدته مدينة (بيوتو) أى كوم الرمان ويعرف عند اليونان باسم (بوتو) وهو اسم لمعبود هذا القسم أيضا

العشرون (سبت عربيا) وقاعدته مدينة (باقوسيم) المعروفة عند اليونان باسم (فقوسة) ويستدل على موضعها بالقرية المسماة الآن فقوس ومعبوده (ست) أى الشعرى اليمانية قال وهذه الاقسام متفق عليها فى عصر الفراعنة والبطالسة

(فصل)

(فما كانت عليه سياسة البلاد وفى اقامة القضاة وفى الدعاوى والاحكام)

ولما عرفت الامة المصرية ان لابد من رابطة وثقى لانفصام لها بين الراى والرعية والرئيس والرؤس وتحققت ان الحكومة الملكية التى تكون على مثال ما كانت هى عليه الى ذلك الحين لاتقوى أركانها ولا ينبج لها عمل الا بالشورى قامت بتعزيد ملكها وأمدته بالمال والرجال وضمت الى ديوانه جماعة العلماء والحكماء وأصحاب الراى فكان أمناء الدين فى ذلك الحين فى صدر الهيئة الحاكمة يرتبون ديوان الملك داخل وخارجا ويشاركونه فى جميع أموره وعليهم معتمده واليه المرجع فى فض المشكلات فاذا مات حكموا عليه بأنه كان فى أيامه من أهل السعادة أو الشقاء وأنفذوا عليه الحكم * وتحرير الخبر أنه اذا مات الملك وانتشر خبر نعيه مرق الناس ثيابهم وأغلق الكهنة أبواب المعابد والهيما كل ومنعوا من تقريب القربان وامتنعوا من عمل المواسم والاعباد واستقروا على هذا الحال من الحزن اثنين وسبعين يوما اجلالا لمنصبه وكانت فى خلال هذه المدة تنتشر جوع الناس من الذكور والاناث مرتين فى كل يوم فى الشوارع والحارات للندب وإنشاء المرائى فكانت هذه المدة عندهم مأتما خافلا يحزن فيه الخصاص والعام فاذا انقضت هذه الايام وضعت جثة الملك محنطة مصبرة فى دهليز المقبرة ثم بحثوا عن جميع ما فعله من خير أو شر بحضرة الالوف المؤلفة من الناس على اختلاف درجاتهم وأخذ كل بعدد محاسن الملك ومساويه ويذكر ما حسن من سيرته وما قبح ثم يطلب حكم الجمهور فان حكم بدفنه دفن بهذا الاحترام على مقتضى مقامه الملوكى والاحرم وجرى عما يجب لهم واجب التعظيم

ولم يكن للالهاتى وللعامه الناس قط تداخل مع الملك فى حكم البلاد الا فى هذا الامر ومع أن هذه المداخله ليست الا بالامر الهين لاسيما بعد الموت قد كانت نتيجتها من أهم النتائج وأكبرها وأشدها تأثيرا على بيت الملك وقد حرم من الدفن كثير من الفراعنة لضعف سيرتهم وخاف خلفاؤهم العاقبة وأجهدوا النفس فى اصلاح العمل وسلوك مسالك العدل فرارا من هول هذا العقاب وكان المصريون فيما عدا هذه الحالة يخدمون ملوكهم ويقدمون لهم واجب الطاعة بقدر الاستطاعة حتى كانوا يعبدونهم كعبادتهم الآلهة اذ كانوا يعتقدون ان من قدر له فى عالم الغيب منصب الملوكية ووفق للعدل بين صنوف الرعية فهو بشرى مظهر الالهية

وكانت ملوك المصريين تختار من بين أمناء الدين والكهنة في محفل من المبعوثين من كل إقليم نوابا وعليهم في المداولات الاعتماد فكانوا يجتمعون في البرية التي بين ميت رهينة والفيوم فتشكل منهم جمعية عمومية تنعقد في الحوادث المهمة كالصلح والحرب وتجديد التراتيب وتغيير الدولة عند خلو المنصب الملوكي وغير ذلك من الامور الخطيرة * ولم يكن من شأن الملوك يومئذ مباشرة دعاوى الخلق ولا الحكم بأنفسهم في الوقائع بل كانت المحاكم محلا للاقضية والاحكام فكان القضاة والحكام يخرجون من مدينة منفوعين شمس بالاقليم البحرية ومدينة ابوالاقليم القبلية وكانت كل مدينة من هذه المدن ترسل عشرة من القضاة لاجراء الاحكام فيجتمع من المدن اثلاث ثلاثون قاضيا لمجلس القضاء وكان للقضاة الثلاثين المذكورين الحق في نصب قاض منهم رئيسا عليهم وبعد نصبه يكملون عدة الثلاثين من مدينة القضاة العشرة الذين اختير منهم ذلك الواحد * وكانت نفقاتهم من خزينة الحكومة ومرتببات رئيسهم من بيت المال * وكانت لاتقام الدعاوى في مجلس القضاء الا بالكتابة ولا يسمع التداعي أو الخصام بالمشافهة والمخاطبة مخافة ان تجذب قلوب القضاة من مسمع كلام أحد الخصمين وتستميل قلوبهم فصاحته أو عذوبة ألفاظه اذ ربما ترتب على ذلك الانحراف في الاحكام فلذلك كان يكتب المدعى شكواه أولا ويبين مقدار ما يلتمس الاعتياض به في نظير ما خسره أو ما حصل له من الاساءة فيعطى للمدعى عليه صورة ما كتبه خصمه ليعلم ما قاله فيرى كلام خصمه ويناقضه بما شاء ثم يجوز أن يعطى جواب المدعى عليه للمدعى عساه أن يجيب عنه وكذلك يجوز أن يعطى للمدعى عليه بعد ذلك فاذا فرغت المناقشات وجب على مجلس القضاة بعد البحث في القضية أن يحكم فيها بما يظهر له فيكتب الحكم أيضا ويختتمه رئيس القضاة على وجهه عجيب وذلك ان الرئيس له سلسلة من ذهب معلق في عنقه فيه صورته من الجوهر عليها مثال الحق فعند افتتاح المذاكرة لابد من تعليق الصورة في عنقه فاذا صدر الحكم من المجلس صدق عليه الرئيس بختمه بصورة الحق ووجهها صوب أحد الخصمين الحاضرين بالمجلس حين الختم علامة على انه ظهر له الحق فعمل به وأنفذه وبقيت الحال على ذلك الى زمن البطالسة أيضا * وقد عثر أهل العلوم الاثرية على شقة من البردي وهي موجودة بمتحف مدينة تورينو من أعمال ايطاليا مكتوب عليها باللغة اليونانية ملخص دعوى نظرت بالمحكمة الكبرى بمدينة طيبة وكانت بين أحد المصريين وأحد اليونانيين وتعريب ما فيها * تقدمت هذه الدعوى الى محكمة طيبة عاصمة المملكة المشمولة برئاسة (هيركليد) حكايدار الخضر السلطاني وحاكم قسم الضواحي ورئيس جباة الاموال بالقسم ومعه كل من (بوليمون هركليد) الجباز و (اونيوس هرموجين) صديق الملك بمعينه و (بانكرات) ضابط من الدرجة الثانية و (بانسكوس) من أهالي مصر الخ قضاة بالمحكمة المذكورة

(الموضوع)

انه في الثاني والعشرين من شهر اتيبري (هاتور) سنة اربع وعشرين من حكم بطليموس اويرجيطه أي (الرحيم) طلب (هرماس) بن بطليموس حكمدار نقطة امبو الحربية خصمه المدعو (هوروس) بن (أرسيازى) المصرى ومعه فلان * وفلان * الخ الجميع صناعتهم مباشرة تخمين الاموات للحضور امام هذه المحكمة لان المذكور اغتصب منزله الكائن بمدينة طيبة المحدود من بحرى * الخ * وبعد ما سكنه في غيبته وأخذ يباشر صنعيته به وأبى الخروج منه وان (هرماس) المدعى طلب المدعى عليه وهو (هوروس) جلة مرات للحضور امام المحاكم الاخرى لاجل حصوله على حقه لم يفد ذلك شياً وان المدعى عليه كان يستعمل المراوغة والحيل كما ان المدعى كان مجبوراً على عدم مباشرة الدعوى لاقامتها بمحل وظيفته الى ان تطرت أخيراً بهذه المحكمة للحكم فيها نهائياً

قال الراوى لهذه الحكاية أما وجه اتمليك المنزل فذكور في عمودين ونصف من الورقة المشار اليها * وذكر بعد ذلك أقوال المحامين عن الخصمين وهما (فيلوكليس) النائب عن المدعى و (دنسيون) النائب عن المدعى عليه * قال وملخص ذلك * ان كل واحد منهما كان يبرهن بالاوراق والخطب والعقود والتواريخ المثبتة لصحة تملكه المنزل متمسكاً بنصوص بنود القانون العسمى والمدنى وأخذ (فيلوكليس) يزدري بجمعية المحنطين للاموات مستظهراً بالقوانين والاورام السلطانية الصريحة المانعة لمباشرة هذه الصنعة بقرب المساجد أما (دينون) فكان يدافع عن جمعية المحنطين ويذكر حالتها الطبيعية وشدة الحاجة اليها وأنها يمكن عظيم في الهيئة الاجتماعية وشرح نصوصها القانونية وبالغ في الشرح والتعبير وفند مدعى خصمه وشد التكبر على (فيلوكليس) اليونانى لانتهاكه حرمة القواعد المقدسة المرعية عند جميع المحاكم على اختلاف درجاتها * وكان في خلال هذا الدفاع يقول ان موكله يملك تلك الدار من أعوام كثيرة وجعل يعددها ثم غطف في أثناء المرافعة على بعض مواضع أثنى فيها على حسن الادارة وعلى الكثير من القضاة وما لهم من شرف الوظيفة وعلى الترتيبات النظامية الجارية بالفطر المصرى وذكر أحوالاً أخرى لا تتناول عن الفائدة التاريخية * قال الراوى ثم صدر الحكم في العمود التاسع من الورقة المذكورة برفض دعوى المدعى اليونانى واحقية (هوروس) المصرى بتلك الدار اثبت وضع يده اه * قلت وطريقة هذه المرافعة لا تختلف في شئ عما هو جار بالمحاكم الآن فرحم الله تلك الايام ما أعد لها

(فصل)

(في كيفية الحدود والعقوبات عندهم)

كانت للمصريين أحكام غريبة دونت في كتب شرائعهم وذلك كعقاب الخائن في يمينه بقتله * قالوا * وسر ذلك ان الخائن يرتكب كبيرتين أولاهما كونه حلف كاذبا وخان معبوده بسبب حلفه به كذبا وثانيتها ما لانه غش الناس وخدعهم بيمينه الفاجرة ليصدقوه فأوقعهم في تصديق الكذب * ومن أحكامهم ان من رأى في طريقه من يقتل انسانا أو يصول عليه ولم يغثه من القتل أو الصيال مع قدرته على ذلك فجزأؤه القتل فإذا كان لا يقدر على اغاثته بنفسه وانما يتمكن من طلب الاغاثة بغيره وجب عليه أن يطلب اغاثته من القادر عليها فإذا قصر في ذلك قتل أيضا وكذلك اذا علم أحد بقتل آخر وجب عليه التبليغ لاولى الامر فان لم يفعل فجزأؤه القتل * قالوا * لان وجوده كعدمه * ومنها ان الخائن الذي يبلغ الاعداء أسرار الحكومة ويطلعهم على عوراتها جزأؤه قطع لسانه وكذلك من يصطنع النقود الزيف أو يطفف المكايل والموازين أو يزور في الاختام والمكاتب والحج جزأؤه قطع يده قلت ولعل قول الراوى (وكذلك من يصطنع النقود الزيف الخ) فيه زيادة عن الاصل حيث اجتمعت كلمة أهل التاريخ على ان النقود لم تستعمل بديار مصر الا في أيام الدولة السابعة والعشرين الفارسية ويدل على صحة ذلك ما قاله هرودوتس المؤرخ من ان دارا بن (هستاسب) هو أول من ضرب نقود الذهب وبالع في تصفيتها وان دارا المذكور حكم بالقتل (على اريانديس) عامله بمصر حين علم بأنه ضرب نقودا من الفضة اه

قال أهل التاريخ وقد كانت النقود المتداولة قبل دارا المذكور اصطلاحية على أشكال مختلفة كالضفادع والحلقات والثيران والعجول الصغيرة المصوغة من الذهب والفضة والمعادن الاخرى مرقوما عليها قيمتها وزنها وعيارها فكانوا يقومون بها السلع والبضائع ويقال هذا يعادل حلقتين من الذهب أو من الفضة وهذا بثلاث ضفادع أو أربعة ثيران مثلا وكانت جزية الامم الخاضعة لمصر كلها من حلقات الذهب أو الفضة تقبضها منهم بالوزن وكانت الاحكام على النساء أيضا غاية في الشدة وبالنسبة لهن كذلك فان من ثبت عليه أنه اغتصب امرأة حرة غير رقيقة بالزنا فجزأؤه قطع آلتيه قالوا لان في هذا الذنب ثلاث بكائر الاولى التعدي على امرأة بهتك عرضها الثانية السعي خلف إفساد الاخلاق السليمة والعوائد في الهيئة الاجتماعية الثالثة ما يترتب على ذلك من اختلاط الانساب فاذا زنى بها برضاها فجزأؤه جلده ألف جلدة وجزاء المرأة قطع أنفها لتشويه خلقها حتى ينقطع ميل الرجال اليها ولا ينفذ الحكم على الحبلى منهن الا بعد الوضع ومن أحكامهم ان الدين

المتحى به لا يثبت على المدين اذا حلف على رؤس الاشهاد ان ذمته بريئة من ذلك الدين وان الدائن لا يستحق في ذمته شياً ووجه ذلك ان اليمين أقوى ما لم يثبت الدائن عليه دينه بسندات ومن أحكامهم- أيضاً ان الربح عندهم في أى شئ كان في البيع والشراء لا يتجاوز رأس المال والا عتد من الغبن الفاحش وان من كان عليه دين فأملأه كافلة لذلك الدين وضامنة له وأما ذات المدين يعنى شخصه فليس لمدينه عليه ولاية قالوا وسر ذلك ان ذات المدين مملوكة للهيئة الحاكمة بحيث تطلبها في كل وقت وفي كل حال سواء كان ذلك في زمن الصلح أو زمن الحرب فلذلك كان لا يجوز القبض على أحد من الاهالى ولا حبسه في الامور الخصوصية كالدين ونحوه ويحكم بقطع عين مطقف الكيل والميزان ومقلد ختم السلطان أو ختم أحد الناس ومنزور الخطوط ومغير مواضع الدعاوى الرسمية * ويحكم بالعذاب ثم بالحرق ومن قتل أحد أبويه عدا أحرق حياً ومن قتل ابنه أو ابنته يحكم عليه بأن يعاقب جثة المقتول ثلاثة أيام بلياليها قال هـ- يروى وتبقى الحكم بالقتل معمولاً به الى عهد الملك سباقون الحبشى أحد ملوك العائلة الخامسة والعشرين فأبطله واستبدله بالاشغال الشاقة في حفر الترع واقامة الجسور ونحو ذلك من المنافع العمومية قال ومن مآثر الملك ((مائس)) أحد ملوك العائلة السادسة والعشرين انه فرض على كل مصرى أن يثبت اسمه بالكتابة في آخر كل سنة بمحكمة الجهة الداخل في دائرة اختصاصها ويبين مهنته ووسائل معيشته وتكسبه فان لم يفعل ذلك أو ظهر انه يأكل من طريق الحرام والسحت حكم عليه بالقتل

(فصل)

(في تمدن المصريين وفي صناعاتهم وعقائدهم وبعض عاداتهم)

اعلم أن دلائل الآثار وما جاء به التاريخ المصرى القديم والحديث أثبت ما كان عليه أجدادنا المصريون من المعارف وما وصلوا اليه من درجات المدنية وما حازوه من الفنون العقلية والفلسفية والطبية والكيمائية وكيف تقدموا وبرعوا ونالوا الاسبقية في علم الهيئة والنجوم والهندسة لاسيما فن الطب الذى اتقنوه اتقاناً غريباً جداً اذ كان الطبيب عندهم لا يتفرغ الا لمعالجة مرض واحد من الامراض فيتقنه غاية الاتقان قال بعض الكتاب وقد وجد كتاب محرر في فن الطب من عهد الملك ((خوفو)) وكتابان آخران أحدهما من عصر الملك ((منكورع)) كانه تذاكر طبية وثانيهما كان قد وجد في عصر الملك ((سيني)) فتممه الملك ((سندا)) ثم نقلت هذه النسخ في مدة العائلة الثانية عشرة والناسعة عشرة ولنفاستها تداوتها مدارسهم وحفظت في مكتبة ((امجت)) التى بقيت الى عهد اليونان وكان حكماء اليونان يستنبطون منها العلاج قال هيرودوتس المؤرخ وكان قدماء

المصريين يعتنون بصحة أجسامهم زيادة عن غيرهم من الناس فكانوا كل شهر وثلاثة أيام يتعاطون مقيئات وشربا لتنظيف أجوافهم لانهم كانوا يعتقدون ان امراض الانسان تنشأ عن المأكولات* قال وإن الطب كان مقسما عندهم الى أقسام متباينة بمعنى ان كل طبيب كان يشتغل بنوع مخصوص من الامراض ولهذا كان حكاؤهم كثيرين اه

وقد برعوا في عمليات التصبر ووصلوا فيه الى درجة لم يأت لاحد من بعدهم الوصول اليها ومع ذلك فقد كانوا لا يميلون الى البحث في علم التشريح ولا التفنن فيه لاعتقادهم ان الجسم إذا شرح يكون مشوه الخلقة عند بعثه ولذا كانوا يبغضون كل من كان سببا في تشريح جثة موتاهم حتى ان المصبر الذي كان من وظيفته عمل الفحقات اللازمة لعملية التحنيط كان عرضة للعن والسكرامة وكان اذا عمل الفحقات المذكورة في الجثة خرج مسرعا فيقطع الحاضرون ويرجونه بالحجارة وكان الاطباء لهذا السبب يعالجون المرضى حسبا كانت تقضى به الشريعة عندهم فان خالفوا ذلك أخطوا وخاطروا بأنفسهم واذا مات المريض حال معالجته حكم على طبيبه بحكم القتل* وقد ورد في الرسالة القديمة المحفوظة بمخزاة التحف ببرلين عدة مسائل مهمة تتعلق بحياة الجسم الانساني عندهم وتعريب بعض ما في تلك الرسالة

ان للرأس اثنين وثلاثين وعاء توصل النفس الى داخله ثم يسرى منه هذا النفس الى جميع أعضاء الجسم ويوجد أيضا في الصدر وعا آن يوصلان الحرارة الى الشرج وعا آن في القعدة واثان في قة الرأس واثان في القفا واثان في الاجفان واثان في الاذن اليمنى ومثلهما في اليسرى لحصول التنفس واثان في الخياشيم اه والنفس هو ما يتنشق الانسان من الاهوية فيدخل في الاوردة والشرابين ويمتزج بجميع الدم الذي به حركة الانسان وعند موته ينقطع النفس بخروج الروح وتبطل حركة الدم فيموت الانسان* وذكر أيضا في الرسائل الطبية القديمة أسماء بعض الامراض كالرمد والدوالي والقرح والحمة والديدان والصرع ونحو ذلك وفيها أيضا باب مخصوص لبعض معالجات نافعة للحمل والولادة وورد في رسالة قديمة محفوظة بمتكينة برلين بعض علامات لتشخيص الامراض التي هي أهم كل شئ للعكيم من ذلك تشخيص نوع من الالتهاب تعريبيه

أن يحس الانسان بألم في البطن وبضعف في الابهر وبالتهاب في القلب ويشتد ضرب النبض وتثقل الملابس عليه بحيث لا يدفعه كثيرها وتلتهب بطنه عند قضاء الحاجة ويشتد ظمؤه في الليل ويتغير معه طعم الماء كل فيكون كرجل أكل جبزا ويخلد جسمه كما يخلد جسم الانسان المريض اه وعلاج ذلك منصوص فيها على أربعة أنواع إما أن يعالج بالمراهم أو بالبخ أو بالجرع أو بالحقن حسب الطباع فمن هذه الاربعة ما يتركب من خمسين نوعا منها ما هو من النباتات والاشجار كالعوسج والذرة ومنها ما هو من المواد المعدنية مثل كبريتات النحاس والملح وملح البارود اه وكان بعض علماء الطب يدخلون في تركيب المراهم المزيلة للالتهاب اللحم والقلب والكبد والمرارة والدم السائل والجاف لبعض الحيوانات لاسيما الشعر

وفرن الابل فكافوا كثيرا ما يستعملونهما في تركيب بعض المراهم النافعة لمعالجة الالتهاب وكانت أجزاء كل دواء تسحق على حدة ثم تغلى وتصفى بخرقه وتزج بعد ذلك بالماء القراح النقي أو بسوائل كغلى الشعير ولبن البقر والمعزوز زيت الزيتون النقي وغير ذلك كبول الانسان والحيوان ثم تحلى بالعسل ويتعاطى منها المريض وهى ساخنة فى الصباح والمساء * اما الصرع المعروف عند العوام بالعفريت فكانت معالجته على نوعين اما بالرقية أو بالطب والاولى عبارة عن عزائم كانوا يقرؤنها على المريض فيخرج منه الصرع وسند كرهنا نص العزيمة المكتوبة فى الرسالة المحفوظة بالانسكرخانة الانكليزية بمدينة اليمد وتعريبها

(أبها الجنى الساكن فى فلان بن فلان المسمى أبوك بضراب الرأس قد محى ولعن اسمك الى الابد لانه جالب للموت اه وتكرر هذه المقالة أربع مرات فان كانت هذه العزيمة لا تزال الصرع أتى الطبيب بعزيمة أخرى لازالت له فاذا زال من المريض اجتهد الطبيب فى معالجة الجسم بالادوية لدفع ما حصل للمريض من الهزال بذلك الصرع وبمذا تعلم ان الرقية اشتهرت عند قدماء المصريين بازالة المرض الخفى كما ان الطب اشتهر عندهم أيضا بازالة المرض الظاهري

وكانت درجة العلوم عندهم عظيمة جدا وذات أهمية كبرى قال ليسيوس وجدت نقوشا قديمة على جدار مقبرة من مقابر قدماء المصريين بجوار اهرام الجيزة مضمونها أن صاحب هذه المقبرة كان فاضلا على الكتبخانة الملوكية فى مبدا العائلة الثانية اه وما ذلك الا لعنايتهم الكثيرة بكتب العلوم حتى جعلوا لها خزانة وناظرا قال بعضهم ومن هذه الكتب ما كان محررا فى مدة العائلات الثلاث الاول ومنها ما كان مؤلفا فى عهد الملك (منا) ومنها ما كان قبله مما يتعلق بالديانات خاصة وما يتعلق بالهندسة والطب وعلم الفلك وعلم التاريخ المشتمل على قصص الملوك وما حصل فى مدتهم من الوقائع والحوادث المهمة وعلى مدة كل ملك وتاريخ حياته وكان فى الخزانة المذكورة كتب فلسفية وأدب وبعض كتب خرافات وغير ذلك ولم يتيسر للناس من ذلك الا شئ قليل من علم الفلسفة والتاريخ

وكان ما استكشفوه من علم الفلك كما رواه العلامة ليسيوس عبارة عن بعض النجوم السيارة التى هى المشتري والمريخ وزحل والزهرة وعطارد وبعض نجوم ثوابت قال ديموخرية وكانوا يشبهون الارض بالكواكب ويقولون انها تنقل كالريخ والمشتري وذهب شاباس الى ان الشمس مركز الجميع وأنها تسير سيرا عموميا وتسبح فى السماء مع النجوم السيارة وان السماء لجنة ماء تحيط بالارض من جميع جهاتها وتركز على الجوف هو لها كالاساس المتين كما جاء ذلك أيضا فى ورقة برلين الاثرية ويدل على ذلك أيضا ما يشاهد على الآثار من رسم السماء على هيئة الماء وفيها تسبح الكواكب والنجوم على اشكال بشرية وحيوانية كل منها فى سفينة خلف الشمس وتشاهد فيها أيضا النجوم الثوابت على هيئة مصابيح منتشرة فى القبة السماوية وكان القدرة الالهية توقدها كل مساء لتضىء الارض أثناء الليل

وجعلوا في مبدا هذه الهيئة النجوم التي كانوا يعبدونها وغيرها مما لا يمكن مقارنة أسمائها القديمة بالأسماء الحالية كما تشاهد مرسومة في الرصدخانات القديمة الموجودة بدندرة وسان ومنف والمطرية

وكانوا يهتمون كل سنة بعمل تقويم سنوية يبينون فيها ظهور وغروب الكواكب ولم تزل آثارها باقية وأشهر هذه الكواكب الشعري اليمانية حيث كان ظهورها علامة على مبدا فيضان النيل وعلى رأس السنة المصرية ولذا اتخذوها أساسا للتقويم قالوا وكيفية تقويمهم انهم قسموا السنة الى اثني عشر شهرا كالبحارى عند القبط الى الآن وقسموا الشهر الى ثلاثين يوما فتكون السنة ثلثمائة وستين يوما ثم قسموا هذه الشهور الى ثلاثة فصول كل فصل منها أربعة شهور فالاول فصل فيضان النيل والثاني فصل التخضير والثالث فصل الحصيد ثم قسموا أيضا كل شهر الى ثلاثة أقسام وجعلوا كل قسم عشرة أيام وقسموا الليل والنهار الى اثني عشرة ساعة وعلى هذا الحساب زادت سنتهم خمسة أيام وربعا فنشأ عن ذلك عدم موافقة النصول لمنازل القمر فاضطروا الى رصد الشمس ثانيا واستقر رأيهم على اضافة خمسة أيام لكل سنة سموها بأيام النسيء ومع ذلك لا يزال يرى فرق بين السنة البسيطة والكبيسة لان عدد السنة البسيطة ثلثمائة وخمسة وستون يوما وعدد الكبيسة ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم فصارت السنة الكبيسة تزيد كل أربع سنين يوما واحدا سماه الكهنة بيوم الشعري اليمانية وكانوا يجعلون لها مواسم وأعيادا في معبد (شيسو حور) بمدينة منف وأما علم الرياضة فلم يمتد الى شئ من كتبه وانما دل بناء الاهرام الشاغخة وتشييد العمارات المتسعة والمقابر المتقنة على ان فن الهندسة كان متقدما جدا وان المصريين كانوا يعرفون مقاييس الاجسام وجر الاثقال حتى أمكن المهندسين منهم ان يبتنوا تلك الاهرام الجسيمة والبرابي العظيمة الموجودة بسقارة وغيرها على شكل غريب وصنع عجيب وقد وجدت بعد بناء الاهرام بألفي سنة رسالة في الهندسة أظهرت حقيقة ما كان عليه هذا الفن في عصر العائلة التاسعة عشرة

وكانت لهم اليد الطولى في صناعة الذهب والفضة وأعمال أشكال الخلى النفيسة وهم الذين اخترعوا آلات الحرث وصنعوا الزجاج بألوان مختلفة وكان لهم اتصال مع بلاد الهند والصين بواسطة بلاد العرب فكانوا يرسلون الى تلك الجهات ما راجع عندهم من الحبوب والمواشى والفخار والزجاج ويستبدلون بها بالعطر والبهار والياقوت وغير ذلك من النفائس والاصناف العزيرة عندهم

ومن عوائدهم أنه اذا أراد انسان اقتراض مبلغ من المال يجوز له ان يقترض ويرهن في نظير ذلك أى في نظير دينه جثة أبيه المدفونة فيكون قبر أبى المدين تحت يد الدائن الى وقت استحقاق الدين فاذا لم يوفى المدين دينه ومات حرم من دفنه في مقابر والديه وتحرم أولاده أيضا مالم يوفوا دين والدهم

ومن عوائدهم ان الولاة التي يتخذها الاغنياء يحضرون فيها بعد الطعام في غير المكان المعدل نعشا مرسوما عليه صورة من الخشب جيدة الصنعة على هيئة جثة الميت ينظر اليها جميع التسدما عند الشرب والطعام ويفرج بعضهم بعضها عليها بالمناوبة فيقول بعضهم للبعض انظر الى هذه الجثة التي سنكون مثلها بعد الموت فاشربوا ياهؤلاء هنيئا وتمتعوا بدنياكم قليلا

ومن عوائدهم احترام القتيل للشيوخ فاذا قابل الفتى شيئا في طريقه تأخر عنه في السير واذا قدم شيخ على مجلس فيه قتيان قاموا اجلالا لشيخوخته واذا تقابل المصري مع اخوانه في موضع ولزم التسليم على من لقيه انحنى للاخر وجنا على ركبتيه وقبل كل منهما يد صاحبه

ومن عوائدهم انهم كانوا لا يجالسون الاجانب ولا يأكلون معهم شيئا ويبغضونهم بغضا شديدا وكانوا اذا مات أحد أشرفهم مرغ نساء بيته وأولات قريته بالوجه بالوجه وقرعن صدورهن وطفن بالمدينة صارخات باقيات قلت وهذه العادة باقية كما هي الى يومنا هذا * وهم كذا يفعل الرجال أيضا ثم يأتون بالجثة الى المهنطين وبعد التحنيط ينعقد مجلس القضاء على الميت فيأتون بالجثة امام عرش القضاة فان كان الميت من أهل الصلاح والتقوى ووجد من شهد بذلك صدر الحكم بدفنه مكرما وان كان ذميا دفن على خلاف اللائق ولو كان من أعظم الاشراف أو ملكا من الملوك وقد تقدم الكلام على ذلك في محله

وكانوا اذا حنطوا الجثة أخرجوا دماغ القحف من المخزن وأخرجوا الامعاء الى القلب والكليتين من ثقب في الخصرة ثم يغسلونها بخمر الخل ويردونها الى أجوافها ويملئون الرأس وأجواف الامعاء بالمر والقرفة وكل نوع من الأطياب والعطور ويدهنون الجسد بالزيت العطرية مدة ثلاثين يوما ثم يوضع في ماء النطرون مدة أربعين يوما ثم يلف بلفائف مغموسة بالمردهونة من الخارج بماء الصمغ للوقاية من الهواء ثم يوضع في تابوت من الخشب أو الحجر ويسلم لاهله فاما ان يبقوه في بيوتهم واما أن يدفنوه وكان أجدادنا يلبثون الثياب من الكتان ولها طراز وفوقها برانس من الصوف الابيض ولكنهم كانوا لا يلبسون تلك البرانس في المعابد والهيكل ولا يكفون بها موتاهم بل يقتصرون على الملابس الكتان لان دياتهم كانت تحرم عليهم ذلك

ومع انهم كانوا كثيرى الآلهة والمعبودات فقد كانوا أمة موحدة تعرف الله سبحانه وتعالى وتعبده حق عبادته كما يؤخذ من كلام (بورفير) المؤرخ وغيره من المتأخرين وقال هيرودوتس ان أهل طيبة كانوا لا يعبدون الا الله وكانوا يقولون انه هو الاول والاخر الحى الابدى الذى لا يزول ولا يحول وروى (جامبليك) أنه سمع باذنيه من كهنة المصريين أنفسهم أنهم يعبدون إلها واحدا وهو خالق السموات والارض رب كل شيء المالك لكل شيء والخالق لكل شيء الا زلى الذى لا موجد له المستزده عن المباشرة الذى لا تراء العيون يعلم ما تكن السرائر

وتخفيه الصدور وهو الفعال لما يريد الموجد لكل شئ والموجود في كل شئ قال أما ما نراه من كثرة المعبودات وتعدد الالهة فكلاهما رضى يرجع الى وحدانيته وذاته العلية قال المؤرخ (شميليون) وقد استنتجنا مما هو منقوش على الآثار صحة ما رواه المؤرخ (جامبليث) وما ذكره غيره من المتأخرين من أن الامة المصرية كانت أمة موحدة في عبادتها لله سبحانه وتعالى غير أنهم كانوا يظهرون صفاته العلية مشخصة في بعض المحسوسات وأنهم لما تغفلوا في سبل التوحيد وقطعوا آخر مرحلة علموا أن الروح أبدية واعتقدوا بصحة الحساب والعقاب قال وعندى أنه لا يعتد بما قاله بعض أهل التاريخ من الاغراب الذين تطفوا على محافل المصريين فنقلوا من أخبار عباداتهم ومعبوداتهم كلاما اكتفوا في نقله بالظاهر دون الحقيقة لجهلهم بعبادات المصريين ولغتهم ومبلغ علمهم بالديانة الصحيحة ومن المقرر على ما رواه بعض المحققين أن موسى النبي عليه السلام لما أخذته ابنة فرعون أبنته في دار أبيها حتى ترعرع ثم أدخلته إحدى مدارس الكهنة ويغلب أنها مدرسة عين شمس فتعلم الحكمة وتخرج على كبار كهنة المصريين وتعلم منهم اسم الله المكنون الذي كانوا يصوفونه عن غيرهم من العامة ولذلك قال بعض الكتاب ان لفظة (أدوناي) العبرانية التي قالها موسى عليه السلام ومعناها (الله) هي مشتقة من لفظة (ادن) أو (آتن) المصرية ومعناها عند عامة المصريين الشمس وأما عند الكهنة والخواص فعنها (الله القادر) قالوا وقد وجد على بعض الأوراق ما يدل على أنهم موحدون من ذلك ان الله واحد لا شريك له وهو خالق كل شئ * ومنها الله فرد أزلي كان قبل كل شئ ويسبق بعد كل شئ لا بداية له ولا نهاية وقس على هذه العبارة ما يماثلها

وقال العلامة سبرو نقلا عن بعض المحققين من أهل التاريخ إن من يتأمل فيما بقي من الآثار القديمة بديار مصر وينظر الى ما هو منقوش على اللوحات الدينية الموجودة بالهياكل وما هو مسطور أيضا على البردي هالته كثرة تلك الالهة المصورة عليها وأدهشه أمرها جدا لان الانسان لا يقع نظره الاعلى صور تماثيل مختلفة الهياكل والاشكال قد طأطأت لها رؤس كبار ملوكهم وأخبار كهنتهم فيخيل له أن ديار مصر انما كانت مأهولة بهذه الالهة وان المصريين انما خلقوا لعبادتها وقد كان السبب في ذلك أن المصريين أمة مخلصه في العبادة لما بالفطرة واما بالاكتساب فكانوا يرون ان الله تعالى في كل مكان فهامت لذلك قلوبهم في محبته واشتغلت أفكارهم به ولهجت ألسنتهم بذكره وملؤا كتبهم بحماسن أفعاله وكانوا يقولون انه واحد لا شريك له كامل في ذاته وأفعاله موصوف بالعلم والفهم لا تحيط به الظنون ولا يدخل تحت الكيف والكم قائم بالوحدانية في ذاته لا تغيره الأزمان فهو الذي ملأت قدرته جميع العوالم وهو الاصل والفرع لكل شئ وكلاهما واحد ثم عددوا صفاته العلية وميزوها بالاسماء واشتقوا منها نعتونا شخصوها في المحسوسات وفي كل شئ نافع وجميعها يرجع اليه ولاجل التمييز بينها جعلوا لكل اسم تمثالا فانتشرت هي وما اشتق منها حتى ملأت المدن

والبلاد فجعلوا لكل ناحية معبودات وميزوها بها لعدم الاتباس فنشأ من ذلك جلة معبودات متباينة في الشكل مختلفة في الهيئة منها الحيوان والطير والاسماك والحشرات وجعلوا لكل واحدة وظيفة خاصة ترجع الى صفاته قال من ذلك معبودهم ((أمون)) وهذا عندهم هو الله الذي ينبعث منه كل شيء ويعطى للعقل نور القوة لادراك الخفايا ومنها ((بتاح)) وهو في معتقدهم الذي أتقن كل شيء ومنها ((أوزيريس)) وهو الله الرحيم فاعل الخير * وعلى ذلك يكون ((أمون)) و((بتاح)) و((أوزيريس)) أسماء لصفات مترادفة ترجع اليه تعالى اه

قال بركش باشا وقد حصروا صفات الله تعالى العلية في سائر الاشياء النافعة كالنور والشمس مثلا وغيرهما وعبدوه أى عبدوا هذه المنفعة لانه مصدرها وأصلها وكانت الكهنة تعرف حقيقة ذلك جيدا ولا تقصد في عبادتها الاوجه الله تعالى
أما العامة فقد كانوا على خلاف ذلك فانهم مع نوالى الاعصار صاروا يعبدون تلك الاشياء لذاتها ولجلهم بالحقيقة كانوا يتقربون اليها زلفى وفشت فيهم هذه الزندقة قال وقد دل على ذلك ما رواه بعض أهل التاريخ عن بعض الاسفار المصرية القديمة المنسوبة الى هرمس الهرامسة يعنى هرمس المثلث ماصورته * بامصر بامصريا بأتى عليك يوم يتغير فيه دينك القديم ويتبدل منها جك القويم فتم ربوعك الضلالات وتثبت في أرجائك الخرافات وتحل عبادة الاوثان محل عبادة الواحد الديان وتطفئ نار الشرك والالحاد نور الهدى والرشاد وتختصر أخبارك في بعض أخبارك اه وقال ماريت باشا اتفقت كلمة الجمل الغفير من متقدمي أهل التاريخ على ان المصريين كانوا يعبدون الله وحده ولكننا مع الأسف لم نجد لذلك شاهدا على الاثر حتى كنا ننزل قولهم منزلة اليقين اذ الشك في قولهم هذا آخذ كل يوم في الازدياد اه وكان للوكهم عناية كبرى ببناء المساجد والهياكل وبذل النفيس في تزيينها بالنقوش الفاخرة والرسوم الظاهرة والالوان المختلفة وكانوا يقطعونها الاقطاعات الواسعة ويرصدون عليها الارصادات الكثيرة تقربا للالهة وتخليدا لذكراهم وذكرياتهم ملكهم وكانوا جميعا على اختلاف طبقاتهم شديدي العناية بتربية سائر أنواع المشية والطيور اذ كان عليها مدار ثروتهم وخصوصا أرباب الزراعة منهم فكانوا يهتمون بشأنها ويحسنون تربيتها ويستخدمون لعلاجها الاطباء والبيطرة والخدم وكانوا يقيمون لكل نوع منها كالمعز والاوز والضأن رعاة مخصوصين ولكل طائفة من أولئك الرعاة رئيس مسئول عنها وكانوا يبالغون في حسن تربيتها لاسيما الثيران فان عنايتهم بها كانت أشد بكثير نظر النفاخرهم بنطاحها وتحسين نوعها وكان رئيس الرعاة هو المكلف بتربيتها على النطاح وكان من عادة أولئك الرعاة وبكارهم أنهم لما جاؤا الى ساداتهم ليخاطبهم في أمر ما وقفوا امامهم بخضوع وخشوع وهم واضعون يدهم اليمنى على كتفهم اليسرى علامة على الطاعة وكال الامتثال أما يدهم اليسرى فرسلة تشير باحترام وكانت تربية هذه السوائم المختلفة في الاقاليم البحرية أكثر منها في الاقاليم القبلية لاتساع أرضهم

وكثرة الكلا عندهم * قال صاحب الاثر الجليل * وقد وجدت لوحة في احدى المقابر بجوار
الاهرام عليها رسم صورة صاحب القبر كأنه على قيد الحياة واقفا يتفقد أحوال ماشيته
وهو متمنطق ومتقلد بشرط عريض ينزل من كتفه الايسر الى خاصرته اليمنى ويده عكاز
طويل وفوق رأسه راية من القماش المزدوج يحملها خادم ليقية حر الشمس ويجواره بعض
صغار أبناء آوى وفي عنقه قلادة أو عقد وامامه خدم أو رعاة تسوق أنواع الحيوانات وفوق كل
فريق منها رقم واضح به كميته وفي مقدمة الجميع قطع من الحجر يتقدمها بحش وعددها
ثمانمائة وستون وعلى كتف الراعي عكاز عليه جلد جارات في الغيط ليطلع سيده على
صحة موته ثم يتلو ذلك قطع من الغنم بقدر ثمانمائة وأربعة وسبعين رأسا وخلفه راع يحمل
في يده سلة بها رأس حيوان بلا قرون يظهر من حالها انها رأس ذئب ثم يتلوه سرب من
البقر وعدده ثمانمائة وأربعة وثلاثون ثورا ثم مائتان وعشرون مابين حمل وبقرة ثم يتبعه
قطع من المعز وعدده ألفان ومائتان وأربعة وثلاثون قال ووجد على حجر في مقبرة أخرى
لاحد أغنياء مصر الوسطى ان عدد جيره كان يبلغ ألفا وثلثمائة وأربعة وبقره ثمانمائة
وثلاثين والغالب ان بقر الملك كان من أجود الأنواع واكتشف بعضهم في مقبرة لاحد
وجوه مدينة منف صورة خدم وحشم يقدمون قربانا الى المبت (وهو سيدهم) من
محصول أرضه ونتاج ماشيته مثل التمر والتين والعجول والاوز والغزال والفاكهة والازهار
ومنهم من يقود ثيرانا عظيمة الجرم منها الابيض والاحمر والاسود وفي أعناقها قلائد بها زينة
على شكل نبات البشنين ومنها اثنان من لونين مختلفين موسومان على نحرهما ما الايسر
بسمتين مربعتين سوداوين مكتوب في احدهما (المنزل الملوكي غرة ٤٣) وفي الآخر
(المنزل الملوكي غرة ٨٦) قال الراوى وربما كان هذا الرقم يدل على عدد الثيران
التي كانت من نوع كل ثور عليه هذه الوسمة اه

وكان من عاداتهم انهم يرسمون رب العائلة واقفا متكئا على عصا طويلة علامة على
الحكم والتصرف في منزله وعائلته * وكانوا يحبون اللعب بالشطرنج والكرة والضامة والمصارعة
وكانت المصارعة عندهم مفروضة على سائر الجنود من المشاة وأصحاب العربات وهي عندهم
عبارة عن تمرينات ومنازلة مختلفة النوع والشكل فترى المصارعين منهم تارة في هيئة الهجوم
أو الدفاع وتارة في هيئة الكر والفر يتناوبان ذلك بالدور والترتيب فينهزم المغلوب ثم يعود غالبا
ويستعمل كل منهما ضربا الخاتلة والمراوغة وهما عاريان ليس على بدنهما الا منطقة عريضة
تستر سواتهما

وكانت تربية العساكر عندهم تستلزم الايام الطوال وكان يدخل في تمريناتهم أيضا
سائر القواد و كبار الجنود فكانوا يتعلمون قواعد الحرب وأركانه وأسباب الهجوم والدفاع
ومقارعة العدو وكان سائر أولاد العسكر يتعلمون كآبائهم ويمتروون في حداثة سنهم على الحركات

العسكرية والسبب في ذلك انهم هم الوارثون لآبائهم القائمون بحماية الوطن من بعدهم وكان لا يجوز لاي انسان منهم أن يشتغل بحرفة أخرى مادامت فيه قوة على حمل السلاح وكانت الاسلحة المستعملة عندهم القسي والرماح والمزاريق والنشاب والحراب والحسام والخنجر والسيف والنصل والدبوس والشاطور والباطة والسكين والدرق والزرذ والدروع والمغفر وكان نظام معسكرهم لا يختلف كثيرا عن النظام المتبع في دول هذا الزمان فكان متقنا منتظما مرتبا ترتيبا عسكريا وفيه مضارب الجند ومواقف العربات وبيوت المرضى والمرضى والاطباء ومحضرى العقاقير وأمرائهم والنقلات والاسرة وأصحاب الحملة ودواب النقل من الخيل والحمار والمكلفين بحمل جرار الماء وكانت جندهم تنقسم الى فيالق مسماة بأسماء معبوداتهم فكان منها فيلق ((بتاح)) وفيلق ((امون)) وفيلق ((ازوريس)) ونحو ذلك فاذا باشروا الحرب برا كان يكون العدو قد جاءهم من طريق البر قاتل الملك في وسط الجيش وهو على ظهر عربته كآحاد القواد وان باشروا الحرب بحرا اصطفت سفن المصريين امام سفن العدو بقرب الساحل فتجري وتتحرك بواسطة الشراع والمجاديف وتصف عساكر الرماة على الساحل مددا للسفن ويرى الجميع بالنبل والنشاب على سفن وشواني العدو والملك واقف على قدميه في وسط العساكر البرية يدير حركة القتال ويقوى عزائم الجنود حتى يتم لهم الظفر بالعدو وربما اقتفوا أثره وحرقوا حصونه وقلاعته وهدموا أسوار مدنه أو عاقده على الهدنة أو الصلح وغير ذلك مما هو جار الآن على السواء ثم يعودون بعد النصر الى الوطن فيسيرون فرقا فرقا والملك فوق عربته يقود خيلها بنفسه وهي مطعمة بأجل زينة لها مجللة بأحسن ما يكون والاسرى امامه وهم مكبلون بالحديد والضباط تحمل المظلات على رأسه فاذا دخل المدينة واقترب من المسجد ترجل ودخل وأثنى على معبوداته ثم يتوجه الى مقره ويعين يوما للتبريك فتأتى اليه الوفود من أرجاء المملكة فيجتمعون في قصره ثم يخرج بهم الى المعبد وأمامهم أصحاب البوق والنفير والشبابة والطبول والمغنون والمترنون ويتلوهم أهل الملك وأقاربه ثم الكهنة و كبار الدولة وعظماؤها ثم ولي عهد الملك ويمشي امام الملك وهو حامل للبخور ثم الملك في هودجته المحلى بأنواع الزينة يحمله اثنا عشر ضابطا من كبار القواد وعلى رأس كل واحد ريشة من ريش النعام وتمشي أولاد الكهنة حول الهودج وهم حاملون قضيب الملك وقوسه وجميع سلاحه والشارات والرنك الملوكي ثم يتلوهم باقي الامراء والسكينة وكبار الجند وحول الجميع فرقة من المشاة تمشي على شكل حلقة لتمنع الناس من العبث بنظام المشهد فاذا دنا من المسجد ترجل فتقابل الكهنة على شكل مخصوص من التجلة والتكريم فيدخل ويتعبد ماشاء ثم يعود الى مقره في موكبه كما حضر وكان لكل عائلة في مثل هذه المحافل العمومية نظام وترتيب على ما يناسب الزمان والمكان وقد اجتمعت كلمة بعض أصحاب التاريخ على أن الجيش المصرى لم يكن به عساكر من الفرسان وبنوا قولهم هذا على أنهم لم يعثروا على شئ من ذلك البتة لاني الاثارة ولا

في اللوحات الحربية ومع أنهم كانوا من الفروسية ومعرفة ركوب الخيل بكان عظيم لكنهم لم يدخلوا ذلك في جيوشهم* قال صاحب الاثر الجليل والدليل على ذلك يعني على معرفة المصريين للفروسية انه وجد في كثير من النصوص الاثرية صورة فارس يركض جواده ونجابه يعدو مسرعا بفروسه وهو قابض على قراطيس من ورق أو مكاتب ليسلها في محمل لزومها ووجد أيضا صورة أجنبي يعدو بفروسه وهو بلا سرج فرارا من الموت اه وأيد هذا المذهب العلامة شميليون فيجاءك حيث قال ما علمنا انه كان لمصر فرسان وأن الغرض من الفرسان المذكورة في التوراة هسم را كبو العربات لارا كبو الخيل وان التوراة ذكرت في موضع آخر ان فرعون غرق في البحر بخيله وعرباته وفرسانه أى المقاتلة الذين كانوا عليها قال ويؤيد صحة ما قلناه من خلق الجيش المصرى من الجند الفرسان كيفية تربية العساكر وتربيتها المنقوش على الآثار وجميعها مشاة ولم نر للفرسان فيها أثرا اه

وكانت الجندية عندهم معدودة في الطبقة الثانية بعد الكهنة وكان الملك هو قائد قواد الجند وعليه تعيين الرؤساء لسائر الفرق من أولاده وأقاربه أو من أولاد ذوى البيوتات وأعظم العائلات بشرط مراعاة الكفاءة والاهلية وكان الغزاة من ملوكهم المبالون الى الفتح يقودون الجيوش بأنفسهم الى حيث يطوحهم القتال وعليهم تدبيرها في الحيل والترحال وكان الملك منهم يقف في ساحة الحرب على ظهر عربته كأحد الجند وهو شاك سلاحه وحوله جنود الحرس الخاص وكبار الضباط وهم يقذفون سهامهم على العدو ويضربون بأسلحتهم ما استطاعوا وقد شوهد على الآثار ان كثيرا من هؤلاء الملوك كان يقتنص الاسود وهى صغيرة ويربها حتى تصير داجنة فكانوا يسيرونها امام عربة الملك عند الخروج للحرب فكانت تقا تل وتبلى في العدو بلامحسنا

(فصل)

(في أعيادهم ومواسمهم)

وكان المصريون من ذوى البراعة في علم التقويم ولهم أعياد ومواسم معدودة يقدمون فيها للآلهة من الذبائح والقرايين شيئا كثيرا* قال صاحب العقد الثمين وكانت مواسمهم منقسمة الى أربعة أقسام القسم الاول في أعياد السنة وفيه ثلاثة أعياد العيد الاول عيد رأس السنة والثاني عيد السنة الكبيرة أى الكبيسة والثالث عيد السنة الصغيرة أى البسيطة* والقسم الثاني في أعياد الشهور وفيه عيدان الاول عيد الحر الكبير وكان يعمل في غرة أمشير الثاني عيد الحر الاصغر وكان يعمل في غرة برمهاة* والقسم الثالث في أعياد الايام وفيه عشرة أعياد عيد غرة الشهر وثانيه ورابعه وخامسه وثمانه وسابعه وعشره وتساع عشره وثلاثيه

من كل شهر وعيد أيام التسيء الخمسة * والقسم الرابع وفيه تسعة أعياد خصوصية *
 الاول عيد ظهور الشعري اليمانية في غرة توت * الثاني عيد (واك) وكان يعمل في
 السابع عشر والثامن عشر من كل شهر * الثالث عيد المعبود (نحوت) أي هرمس وكان
 يعمل في التاسع عشر من توت * الرابع عيد السفر في النيل * الخامس عيد أول زيادة النيل
 وهو الشهر الآن بموسم النقطة * السادس عيد السفينة (ثبث) السابع العيد الكبير
 * الثامن العيد الطيب وكان يعمل فوق الجبل * التاسع عيد (عاشع) أي عيد الرمل
 الكبير اه

قال هيرودوتس المؤرخ وكانت أعياد ومواسم المصريين تعمل في مدن متفرقة بالبلاد
 البحرية والقبليّة من مصر مثل مدينة بسطة وصالحجر والمطرية (وبوتو) التي من آثارها
 الآن تلال موجودة في ساحل البحر المالح مما يلي بحيرة البرلس ومدينة (بايرميس) التي لم
 يعلم الآن لها محل وكانت تلك المواسم والاعیاد دينية وسياسية يحضرها الملك أو من ينوب
 عنه من عائلته والملكة وخلق كثير من الناس وأكبرها يعمل على رأس كل ثلاثين سنة مرة
 وكان لمن تقع هذه الاعیاد في زمنه من الفراعنة الفخر العظيم والصيت البعيد

فيل وكان يصدر من المصريين في هذه الأعياد كثير من الفحش والفجور وكانت الاعیاد
 المذكورة مرتبطة بأوقات الزراعة في كل سنة وأول أعيادهم كان عند شروق كوكب الشعري
 اليمانية في أشعة الشمس وميقاته غرة توت وهو أول شهورهم وكانوا يذبحون فيه واحدة
 من السمان قربانا لمعبودتهم (ازيس) ويخرج الكاهن من معبد مدينة (أبو)
 في هياكل مقدسة محمولة على هودج على أعناق جماعة من الكهنة يختلف عددهم من
 اثني عشر إلى ستة عشر بالنسبة إلى ثقل الهيكل وهكذا في باقي المواسم وبعد مضي أيام
 من هذا الشهر كان يعمل موسم (نحوت) الشهر (هرمس) ولذلك كان يسمى هذا
 الشهر باسمه وكان من عوائدهم في هذا الموسم أكل التبن وشرب العسل ويقال بعد أكله
 (ماألى الحق)

ومن أعيادهم عيد كان يعمل في السادس من بابه وهو عيد جل (ازيس) ببولودها
 (هاربونرات) يشيرون بذلك إلى وضع بذور الزرع في الأرض بعد انحدار ماء النيل
 عنها وفي هذا الموسم كان يعمل طلسم في عنق شمال (ازيس) يسمونه (كلمة الحق)
 وفي الثامن عشر من هذا الشهر موسم (أمون رع) في مدينة بايريس وكان من
 عاداتهم فيه أن الكاهن في اللبلة المتقدمة عليه يأخذ الهيكل أي هيكل قديسهم ويضعه
 في برزخ مذهب بموضع مقدس لهم قريب من المعبد وفي الغد يقربون القرابين وبعد
 الفراغ منها عند زوال الشمس يقوم بعض الكهنة عند الهيكل ويقف الباقيون عند
 باب المعبد وبأيديهم العصي والمساق لمنع دخول الهيكل في المعبد فإذا جاء حاملو
 الهيكل وجدوا باب المعبد مقفلا فيقع بينهم وبين من به من الكهنة وغيرهم مضاربة وقتال

كبير ويخرج فيه كثير من الناس ويسيل دمه من ولا ينكفون عن القتال حتى يدخل الهيكل في المعبد ويستقر في مكانه وزعم الكهنة أنه لم يكن يحصل ضرر لاحد من تلك الجروح وكان المصريون يشيرون بهذه الاحوال الى أن (حور) بن (ازيس) أراد الدخول على أمه ليزني بها فمنعه حراسها من مرامه فجمع أحبابه وأصحابه وقاتل حتى غلبهم ونال مرامه وسر ذلك هو أن حرارة الشمس المعبر عنها (بازيس) دخلت في جوف الارض لتخصبها وفي الثامن والعشرين من هذا الشهر كانوا يعملون أيضا موسم عصا الشمس ويعنون بها تقدمها في العمر ونقص حرارتها وضعف قوتها ولذلك جعلوها كأنها احتاجت الى عصا تتوكأ عليها ويعتدون في هذا الموسم موكبا تحمل فيه صورة عجلة صغيرة يطوفون بها حول المعبد سبع مرات اشارة الى أن (ازيس) تبحث عن جنة زوجها (ازوريس) بعد أن قتلته (تيفون) وهي الريح الجنوبية

وفي السابع والعشرين من هاتور كان يعمل في المدن المعروفة الآن باسم بوصير عيد وقوع (ازوريس) في قبضة (تيفون) عدوه والقاء الثاني الاول في النهر ولذا كان هذا اليوم عندهم معدودا من أيام النحوس وفيه يكون ماء النيل قد انحسر عن أرض الزراعة وانحصر في مجراه بين ضفتيه

وكانت مدة هذا الموسم أربعة أيام يدور فيها المصريون بشور قرونه مذهبته وعلى ظهره قطعة قماش من القطن أو الكتان مصبوغة باللون الاسود مشيرين بالثور الى (ازيس) وبقطعة القماش الى مصر لان لونها بعد انحسار النيل عنها يكون أسود وكانوا بعد هذا الموسم يظهرون الحزن والكدر لنقص النيل ولغلبة الرياح الجنوبية المكنية عنها (بتيفون) على الرياح الشمالية في ذلك الوقت ولقصر النهار بطول الليل ولتجرد الارض عن الخضرة وكان الحزن في هذا الموسم عموما عند النساء والرجال لحزن (ازيس) على زوجها (ازوريس) وكانوا يكثرون فيه من الصلاة والصيام وتقريب القرابين من لحول البقر وكان من عاداتهم أن لا يؤخذ من هذه القرابين بعد ذبحها الا الجلد والامعاء والفخذان والكتفان والرقبة ولحم الكفل وما عدا ذلك من الجثة عملاً بالدقيق والعسل والتبن والعقاقير الطبية الرائحة ويحرق بالنار ويزيدونه اشتعالا بصب كثير من الزيت عليه وفي ذلك الوقت تكثر النساء من الصباح والنوح والبكاء والعويل ويلطمن وجوههن وصدرهن وبقطعن شعورهن وبعد ذلك يأكل الناس ما أخذوا من لحوم القرابين وكانوا يعملون في هذا الموسم وغيره من بقية المواسم أعمالا منكرا منها أن يخرج الرجال بعضهم بعضا جروحا بالغة وتشديخ النساء أخفاذهن بحجارة حادة حتى يسيل الدم من هذه الجروح اظهارا لشدة الحزن والجزع قال بعض الكتاب وقد أبطلت جميع هذه العادات قبل خروج بنى اسرائيل من أرض مصر

وفي الثالث والعشرين كان موسم دفن (ازوريس) يشيرون بذلك الى انحباس

النيل في مجراه مبدأ زراعة الخريف وفي اليوم الاول من شهر كيهك كان يعمل موسم عظيم في مدينة اسنا لقدّيسهم بها ومن رسوهم في هذا الموسم أن يظهروا جميع أواني المعبد والحلى ويتقربوا بالخبز والنبسذ وغيره من المشروبات وباللوز وفول البقر وبساتر المزروعات على اختلافها وفي اليوم التاسع من شهر طوبة كان موسم رجوع (ازيس) من بلاد فلسطين وكانت القرابين فيه من فطير فوقه صورة فرس البحر مسلسلة في القيود وفي هذا اليوم خاصة كان يرخص لاهل مدينة عين شمس التي هي المطرية بأكل لحم التماسيح وبعد هذا الموسم بأيام كان يعمل موسم تعويض مذا كير (ازوريس) بمنلها من الخشب والغالب أنهم كانوا يشيرون بذلك الى غرس الاشجار فانه يكون بعد هبوط النيل

وفي التاسع عشر من هذا الشهر كانوا يتخذون بمدينة صا الحجر عيدا كبيرا مشهورا بالوقدة التي كانت تعمل فيه وكانوا يشيرون بها الى زوال الظلمة التي عمت الارض بموت (ازوريس) فكانت الكهنة يذهبون بحرا في النيل صوب النيل في موكب عظيم به خلق كثير حاملين هيكل (ازوريس) مزينا بأنواع الزينة والحلى وفيه قدح صغير من الذهب يملؤه من النيل في وقت معين وعند ذلك يقول الكاهن وجميع الحاضرين بصوت عال هاهو جسد (ازوريس) قد عثرنا به فكانهم كانوا يشيرون بذلك الى رجوع الشمس وكان يتخذ كل واحد منهم صورة هلال يصنعها من الطين المعجون بماء النيل المعطر ببعض الاشياء الذكية وفي شهر أمشير كان عيد مشاهدة (ازيس) (لازوريس) يشيرون بذلك الى ظهور المحصولات الصيفية على وجه الارض وكان لهم في شهر برموده أعياد أخرى أولها عيد تطهير (ازيس) قبل البذر ثانيا عيد الخصب ووقته سادس عشر هذا الشهر وكانت تجعل فيه هيكل (ازوريس) مئذنة كبر مصنوعة من الخشب أو غيره على صورة أعضاء التناسل للانسان وفي الغد من اليوم المذكور عيد دخول (ازوريس) في القصر يعنون بذلك اجتماع الشمس والقمر عند الاعتدال ثالثها موسم ولادة (حور) في الثامن عشر من هذا الشهر رابعها موسم قدّيسهم (نبت) في مدينة (بويست) وهو موسم شهير واعله هو الذي يعمل الآن في جهة البرية للقديسة دميانة وكان لهم في شهر بؤنة عيد يتقربون فيه بفطير مرسوم عليه صورة حمار مسلسل يشيرون بذلك الى تغلب (ازوريس) على (تيفون) أي الى ابتداء النيل في الزيادة ويرغمون أن تلك الزيادة ناشئة عما سكبته (ازيس) من الدموع وقت بكائها على (ازوريس) زوجها قال هيرودوتس وهذا الموسم هو موسم مولد الشمس الذي كان يعمل في مدينة عين شمس لان الانقلاب الصيفي يحصل في هذا الآن وهو عبارة عن ابتداء الشمس في النزول بعد انتهائها في الصعود وقد حافظ قبط مصر على عادة الاحتفال ببليلة النقطة التي تكون في اللبلة الثانية عشرة من هذا الشهر وكان لهم موسم في شهر مسرى لمولد (هر بونخات) ويعرف عندهم بموسم السكوت واسارته حلقة صغيرة كانت توضع على الفم ولعل هذا العيد هو عيد وفاء النيل

وكانوا يتقربون فيسه بكتاب شقر كما كان الرومان واليونان يتقربون بها ثاني يوم مسرى الى
كوكب الشعري اه
ولترجع الى الكلام على ملوك الدولة السابعة والعشرين وهي دولة الفرس التي قامت
بعد انقراض دولة الفراعنة كما تقدم التنبيه على ذلك ونأتي على أخبار كل ملك منها ومن قام
بعدها على الترتيب فنقول

(الكتاب الثاني)

(فيمين تغلب على مصر بعد الطبقات الثلاث المقدمة)

(الباب الاول)

(وفيه فصول)

(الفصل الاول)

(في العاشرة السابعة والعشرين الفارسية الاولى وفي الملك كهمز بن كورش
رأس هذه العاشرة)

قد أجمع أصحاب التاريخ على أن كبير هذا هو ابن كورش وكورش رجل خرج والتفت
عليه جوع من أخلاط آسية الغربية لانهود لهم ولا ديانة فاجتاز بهم نهر (الرس) هاتما
على وجهه فكان لا يدري أين يتوجه ثم انضمت اليهم قبائل من أمثالهم من البلاد المجاورة
لحدود بلادهم وساروا جهة الشمال الغربي من آسية تحت قيادة كورش المذكور وهو كسرى
الاول من ملوك الفرس لا يصدهم في طريقهم أحد ولا يعارضهم معارض وكان مع كورش
أيضا طوائف من الجوس وضابط من أمراء الفرس يدبر أمر تلك الجوع وكانت الطائفة
المقدمة على غيرها من هذه الجوع طائفة الفرس فعبر كورش بهذا الجيش العظيم نهرى الفرات
ودجلة وجعل معسكره في اقليمي خوزستان والعراق واستولى على خورست وبابل المدينتين
العظمتين ثم تغلب على بلاد الشام بغير عمانع وضرب الجزية على ملكها وجعل على أهل الشام
الفرس والمغارم في تطير الترخيص لهم باستدامة التجارة مع بلاد الجزيرة بين دجلة والفرات
وصارت الشام بذلك إيالة تابعة لمملكة كورش المذكور ثم بعث بجنوده لغزو بلاد مصر فلم يتم له
الامر ومات يوم كانت جنوده مشرفة على الاسنيلاء على مصر فتولى الملك بعده ابنه قبشاش المسمى
أيضا كبير وسار على سيرة أبيه في الحكم والاعارة والفتوحات التي كان أبوه بدأ بها قبل موته فركب
على بلاد مصر في جوعه وحاربها وفقهها عنوة كما تقدم بيان ذلك في أيام الملك (ابسامتيك
الثالث) وسمى نفسه (بختنصر الثاني) قال بعض الكتاب واهل هذا معنى قول المؤرخين ان

(بختنصر) خرب ديار مصر مع أن بختنصر الجبار الذي هو ملك الموصل لم يحكم مصر ولا أتى إليها أما السبب الذي دفع بجنود الفرس الى الاغارة على مصر فهو أنه لما كانت هذه الأمة قد اتخذت في أيام كورش الحروب والاغارات ديدنا لها كانت تجوب البلاد شرقا وغربا وشمالا وجنوبا في طلب الغنائم والمكاسب شأن الامم المتبربرة والشعوب المتوحشة وكانت ديار مصر في ذلك الحين مشهورة بالغنى والثروة التي لا مزيد عليها قصد كبيز المذكور أن يتغلب عليها وساق جيوش أبيه الحرارة الذين هم من أخلاط اليونان وغيرهم ممن كان يتبع أباه في الحل والترحال ولكنه لما كان يخشى من معا كسة قبائل العرب النازلين في الطريق الموصلة الى مصر عمد الى محالفتهم وسار الى مصر من جهة الفرما حيث كان ملك مصر نازلا بعساكره لصدة عن الوصول الى داخلية البلاد فلما التقى الجمعان هجم كبيز على ملك مصر وجنوده فهزمه وهرب ملك مصر حتى لحق مدينة منف فأرسل له كبيز سفراء يخاطبونه في شأن تسليم البلاد وكف القتال فقتلهم فسار كبيز لقتاله وطالت الحرب أياما ثم سلم ملك مصر لخصمه بعد أن فارقه أتباعه ومن هذا الحين انتقل ملك مصر من أيدي أهلها الى قبضة الفرس وقام السفه والجهل مقام الرشد والتقدم وكان هذا مبدأ الدولة السابعة والعشرين ولما استقر بكبيز منصب ملك مصر عمد الى مناصرة أكابرها وأعيانها وميزهم بعلامات الامتياز استجلابا لهم واتخذ لنفسه الالقاب الفرعونية ليوهم الناس أنه من نسل العائلات المصرية وبالع في التزلف وسار الى صالحجر التي دفن فيها (أموزيس) وبنش قبره وأخرج جثته ومثل بها تمثيلا قبيحا بأن ضربها بالمناخيس حتى غرقت ونفرت أجزؤها ثم أحرقها بالنار وأوهم الناس أنه انما فعل ذلك لاغتصاب (أموزيس) المذكور الملك حالة كونه ليس من بيت الملك قال هيرودوتس وهذا سبب ظاهري أما الحقيقة فان (أموزيس) كان قد أساء كبيز في حروبه فتشفي بما فعله في جثته ولعدم اطلاع الناس عليه في ذلك أكرم (لادبكه) زوجة (أموزيس) المذكور وأحسن معاملتها وبعث بها الى أهلها ثم أمر بعد ذلك ببناء معبد (نيت) الذي بمدينة صالحجر لتعسكر جنوده فيه وأصلح جميع مآدمه وخربه في حروبه وقرب منه أمناء الدين المصري ليتعلم منهم ما شتهروا به من العلوم والحكمة وتلقى من الكاهن (اوزاخوسن) الاسرار اللاهوتية الخاصة (بازوريس) كما رواه ده روجه وعزم على أن يجعل مصر حصنا يستعين به على غزو افريقية وأكثر فيها من الاستعدادات فهابه المصريون واستوصلت جزومة التعصب والتخرب من البلاد واستتب فيها الراحة وكان لغزوه مصر وفتحها عنوة أثر مخيف عند سائر الامم المجاورين لها فجاء الليبيون وقدموا له الطاعة ودفعوا له الجزية وأهدوا اليه الهدايا والتحف العظيمة لتوطيد علائق السلم والمحبة بينه وبينهم واقتدى بهم في ذلك القورينيون (سكان مدينة قورين ببلاد العرب) وصفاله الزمان وعلت كلمته وذاع صيته فعزم على غزو القرطاجيين سكان مدينة قرطاجيه والامونيين سكان واحات امون بالجبال القريبة من ديار مصر والانيوبيين وهبم

الكوش قال هيرودوتس فأرسل الى قرطاجه عمارة بحرية عظيمة فلم تنجح وعادت خاسرة وذلك لان رجال تلك العمارة كانوا من الفنيقيين فوقع بينهم الخلاف لان السوريين هم الذين عمروا مدائن قرطاجه فكان بين القرطاجيين والسوريين علاقة القرابة فامتنعوا من محاربتهم وعادت العمارة بغير طائل ثم أرسل في الغزوة الثانية التي هي مع سكان واحات سيوى خمسين ألفا من جنوده لفتح تلك الاصقاع واستعباد أهلها وتجهيد الطريق لجيوشه وهدم هيكل المشتري القائم بها وهو هيكل (أمون) الذي كانت تحج اليه الناس وسار مع جيشه هذا الأدلاء يرشدونه نخافوه وأضلوه عن الطريق حتى نفدت منه الميرة ونفقت الخيل والجمال وضل الجيش في الصحارى وهبت عليه رياح السموم فأهلكت الجنود عن آخرهم ولم ينج منهم أحد وكانت هذه الغزوة قبل غزوة السودان ثم سار ببقية جيشه الى النوبة فلما وصل الى خمس الطريق نزل بجيشه القحط والمنحصة اذ لم يكن عندهم من الزاد ما يكفي فكانوا يأكلون دواب الخيل فلما فرغت كلوا يتغذون بما يصادفهم في طريقهم من الاعشاب والحشائش الرديئة فلما توغلوا في القفار صار يأكل بعضهم بعضا بالاقتراع من كل عشرة واحدا ممن تقع عليه القرعة فكان هذا الامر أشد عليهم هولا من الجوع ولم تسكن هذه الاهوال لتردع كبر عن غيه ولكنه خاف على نفسه وارتد على عقبه خاسئا ومع ما كانت عليه عساكره من الجوع والمنحصة وأكل بعضهم بعضا كان هو يتلذذ على مائدة بما تحبه نفسه من أنواع المأكول والمشرب وما زالوا على هذا الحال حتى قفلوا راجعين الى مدينة طيبة في أسوء حال فلما دخل المدينة المذكورة أمر بها كلها فسلبت العساكر ما فيها من الزينة والامتنعة والذخائر من الذهب والفضة وغير ذلك وقد كانت مملوأة بالنفائس والاشياء الثمينة قال صاحب العقد الثمين - والغزوة الثالثة كانت مع أهل الاثيوبيا وقبل الكلام عليها يلزمنا أولا أن نصف حال الاثيوبيا وما كانت عليه بلادها في تلك المدة وذلك أنه منذ هزيمة الملك (نوت ميامون) كانت مملكة الاثيوبيا قد قطعت العلاقات بينها وبين ممالك آسية فلما حاربها بسماتيك الاول والثاني قطعت أيضا علاقاتها مع مصر وحافظت على استقلالها وكانت ولاياتها التي بين الشلال الاول والثاني الشهيرة قديما بكثرة العدد والعمران قد لحقها الخراب والدمار وصارت أشبه شئ بالصحارى والقفار وصارت مدنها التي شيدها ملوك العائلة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة أطلالا وأوشكت هياكلها أن تغلوها الرمال وأما الجهة التي بعد الشلال الثاني فكانت أخذت في الظهور والارتفاع وكانت منقسمة الى اقليمين كصر وكانت مدينة (بينوني) (ودنفلة) في الجهات العليا منها ومدينة (نبتا) فوق جبل بركل ومدينة (تكاسي) في مجمع النيل عند الخرطوم وكان فيها أيضا نهر (استابوراس) الشهير الآن باسم (تكاسي) ثم مدينة (مروه) المسماة قديما (بروه) وبعد مروه هذه مملكة (الواح) تمتد على سواحل البحرين الازرق والابيض حتى تصل الى سهل سنار الاكبر وكان في حدودها الجنوبية طائفة (الاسماخ) وأصلهم من المصريين الذين هاجروا اليها في عصر بسماتيك الاول وكان بين درفور وجبال الحبشة والبحر الاحمر قبائل ماين متقدمة ومتبررة

بعضها من بنى الاسود وبعضها من أفريقية وبعضها من (بنى سام) بأسيه وكانت طائفة (الرهرىشا) قاطنة جنوبى (مروه) بين البحر الازرق ونهر (تكاسى) وطائفة (السادى) بين نهر (تكاسى) وسلسلة الجبال المارة بسواحل البحر الاحمر وكانت مطامع ملوك الاثيوپيا تسوقهم الى محاربة تلك الجهات لوجهين الاول عدم وجود صعوبات فيها مانعة لهم الثانى كثرة غنائمها حتى قيل ان اثنين من ملوك الاثيوپيا المعاصرين لكبيريهما (حورسيانف) و (نستوسن) أخضعا غالب هذه القبائل وأقعا كل من أظهر المقاومة والنبات أمامهما قال مريت باشا وكانت بلاد الاثيوپيا مملكة شوروية فإذا أراد أهلها انتخاب ملك يعملون فى معبد (أمون) بمدينة (نبتا) مجلسا يجتمع فيه الكهنة والنواب الذين تنتخبهم القضاة وبعض العلماء والعساكر والضباط فإذا انعقد المجلس دخلت الاخوة الذين هم من العائلة الملوكية فى معبد (أمون) المذكور ووقفوا أمام هذا المعبود المشير بأصبعه اشارة اتفاقية الى الانسان الذى يريد الكهنة انتخابه من العائلة الملوكية لتوليته الملك ومنى تم الانتخاب واستقر رأى على واحد جعلوه ملكا عليهم وبقي مدة حياته تحت سلطة الكهنة بحيث لا يمكنه اعلان حرب أو اجراء شئ مهم فى حكومته الا اذا استأذن المعبود (أمون) وكهنته فان عصى أو أراد الاستبداد أمرت الكهنة بقتله ولا مناص من انفاذ ما أمروا به وكما كان هذا القانون مشددا على الملك كان أيضا مشددا على الرعية فلو خالف أحد الرعية رأى الكهنة أو غير أدنى شئ من الشعائر الدينية اعتبروا هذا التغيير بدعة سيئة وحكوا على صاحبه بالقتل * وقد اتفق فى آخر القرن السابع أن بعض الكهنة أبدع فى شعائر الدين المصرية القديمة بدعا سيئة منها اباحه أكل لحم القربان نبأ وهى عادة بنى الاسود فتوجه الملك الحاكم حينئذ الى معبد (أمون) (نبتا) وحكم بطرد من أبدع شئاً فى الديانة وأحرق ما وجد من آثار تلك البدع السيئة فعلى هذا الامر خرج أصحاب المذهب الجديد من بلادهم الى جهات متباعدة واتخذوا لهم فيها مساكن وعكفوا من نشر هذا المذهب كل التمكن لأن رؤساء الديانة المصرية كانوا وقتئذ فى غاية الضعف بحيث لا يمكنهم ردعهم ولذلك استمروا ناهجين هذا المنهج حتى ظهر السيد المسيح وبقيت هذه العادة الى الآن عند بعض الحبشانيين فهم يأكلون اللحم النيء ويسمونه (برينده)

ولما انقطعت العلاقات بين الاثيوپيا ومصر واستبدت الاثيوپيا بأعمالها توفرت فيها أسباب الثروة وصار لها اسم شهير وصيت كبير بين أمم البحر الابيض المتوسط فامتدت مطامع الملك كميز الى فتحها فأرسل اليها سفراء من وادى الكنوز يحسنون لغة الاثيوپيا وكان رجال الاثيوپيا حسان الخلقة طوال القامة غلاظا شدادا أذكاء معروفين بعلاوهم والشجاعة وكان مما يزيدهم بسطة فى الجسم تدبيرهم للطاعم والمشارب فلهمذا كانوا أطول الناس أعمارا وكثيرا ما كان يعيش الانسان منهم مائة وعشرين سنة قال هيرودونس وكانت فى بلادهم عين ماء يرتوون منها تنعش أبدانهم ومروج مخضرة يابضة فيها ما تشتهى الانفس وتلذذ الاعين وكان

الذهب في بلادهم كثيرا جدا حتى انهم كانوا يستعملونه في الاشياء الدنيئة كالسلاسل التي يسحبون بها الاسرى وكان النحاس نادرا ومرغوبا عندهم فدخل سفراء كبيز بلادهم بصفة عيون وجواسيس ليرودوا البلاد ويستكشفوا احوالها فعرف اهل الاتيموبيا منهم ذلك ولكنهم رحبوا بهم وعاملوهم احسن المعاملة ولم يظهروا الخذر منهم ولا الاحتراس وكان مع هؤلاء الرسل هدايا للملك الاتيموبيا من المصنوعات الذهبية والحلجل الارجوانية وكثير من العطريات وأنبذة التمر فاعجبهم من هذه الهدية الشراب وسرّبه الملك وأمر فاحضر واله قوسه فأوترها بحضرة سفراء كبيز ثم قال للسفراء أودّ أن لا يأتي ملككم لحربنا الا وهو على يينة من عدد جنودنا وأحب أن لا يقدم عليها قبل أن يرى نفسه أو أحدا من قومه قادرا على أن يوتر هذه القوس بالسرعة التي رأيتموها مني الآن فاذا أعياء الامر ومال الى علاج ذلك حيننا من الدهر فليحمد معبوده حيث لم يرزق الاتيموبيين الطمع في الزحف على بلاد فارس وأخذ ملكهم

فلما نقل السفراء لكبيز هذا الكلام غضب وسار الى بلاد الاتيموبيا (وهي النوبة) ليغزوها فأصاب جنده ما أصابهم كما تقدم فعاد الى مدينة طيبة فلما دخل المدينة أمر العساكر بانتهاز ما فيها من الهياكل كما تقدم أيضا ثم سار الى مدينة منف فاتفق وصوله اليها في وقت كانوا يعملون فيها كلها موسما مشهورا لوجود العجل (ابيس) فظن أنهم شامتون بهزيمته فقتل جميع من كان في تلك الهياكل من الكهنة وأمرأء الاديان وأرباب الحل والعقد وقد أظنب المؤرخون في وقائع جبرونه وبالغوا ومما يحكى عنه أنه سأل يوما أحد وزرائه المسمى (أبريساسية) بقوله ما الذي يقوله الرعايا في شأنى وما الذى يذكرونه من مناقبي وأخبار عدلى في هذه الايام فقال هم يصفونك أيها الملك بكل وصف جيد ورأى سليد ويرون أنه لا مثلية فيك الا الانهماك على الشراب ولولاها لكنت منزها عن جميع العيوب فقال كبيزهم يعتقدون اذن أنى أغيب عن الصواب وقت تعاطى الشراب قال نعم فنقم عليه كبيز ذلك وأمر باحضار الشراب بين يديه ووقف السقااة أمامه وكبيرهم ابن (أبريساسية) فأخذ كبيز يشرب حتى صار كالزق المنفوخ ثم التفت الى ابن (أبريساسية) وقال له قف يا غلام منتصبا وضع يسارك على رأسك فوقف الغلام وكان صبياجيلا جدا فالتفت كبيز الى (أبريساسية) أبى الغلام وقال أتذكر ما قلته قال نعم قال سأتى لك بالبرهان الآن على أن الخمرة لا تفعل بي ما نقلته عن الرعيمة وهأنا مفوق سهمى لأصيب فؤاد ولدك هذا فان أصبت المرعى فلا سلطان للخمرة على عقلى مهما أكرت منها وان أخطأته صح ما يقول الناس عني ثم سدد سهمه صوب فؤاد الغلام فصاده بأحد السهام وأمر به فشقوا بطنه ليرى أبوهم محل السهم من فؤاد ولده ثم قال لاييه هل وفق أحد قبلى لمثل هذه الاصابة فقال لاوهى من دلائل البراعة والنجابة ويحكى عن هذا الملك شئ كثير جدا من أمثال ذلك حتى يقال انه كان يتسلى بقتل رعاياه من الهجم ذبحا كذبح الغنم وقيل انه غضب على بعض أعيان مملكة فارس فأمر باثنى عشر منهم فدفنهم أحياء وأهالوا عليهم التراب ولما طال مكثه بديار مصر خرج عامله

على فارس عن طاعته وأثار الفتنة وولى أخاه ملكا على العجم ادعاه منه بانه (اسمرديوس) أخو كبيز وقد كان أشبه الناس به فأطاعه الفرس وملكوه عليهم اعتقادا منهم بانه ابن كورش وأرسلوا الدعاة للبايعه في جميع الجهات وسمى في كتب التاريخ (باسمردوس) المجوسى وقيل انه انما سمي بالمجوسى لظهور المدعو (زدرشت) بدين المجوسية في أيامه وقد كان المجوس يعتقدون نبوة (زدرشت) المذكور وبعضهم يجعل ظهور (زدرشت) قبل كورش

وكان كبيز في وقت ظهور الفتنة ببلاد فارس قد خرج من أرض مصر وازل على الشام فبينما هو هناك اذ حضر داعى العجم يدعو أهلها للبايعه (اسمرديوس) ملكا على فارس فلما سمع كبيز بذلك اغتم غما شديدا ونادى في عسكره بالرحيل الى بلاد فارس وأسرع هو الى جواده فبينما هو يركب اندلق سيفه من غمده ففرحه في نفسه وألزمه القرّاش فبات بعد أيام قلائل وهذه رواية هيروdotus وقال (بهيستون) بل قتل نفسه عمدا ولم يترك أولادا ولا وصى لاحد بالملك من بعده ولم يذكر جماعة المؤرخين لهذا الملك شيئا من المناقب سوى أنهم قالوا ان أحسد قضائه المسمى (سيزمناس) ارتشى في بعض الوقائع ليحكم بغير الحق فعلم كبيز بذلك فقتله سلحا وأمر بجلده ففرشوه على منبر القضاء وولى ابنه مكانه وذكر ما حاق بأبيه ونهاه عن الرشوة وقيل ان ما حكى عنه من مثل هذه الامور غير صحيح وانما هو من نقل هيروdotus المؤرخ عن كهنة المصريين وهم أعداء له فكافوا يخلقون عليه ما لا يخفى من الاكاذيب فنقلها هيروdotus عنهم كما تلقاها

وكان كبيز لدى مسيره من مصر الى الشام أناب عنه في حكم البلاد رجلا اسمه (اريانديس) فلما استقرت به العمالة أخذ يعمل على تعزيز كلمته وناقت نفسه الى الاستبداد بالحكم والخروج عن طاعة مملكة فارس فلم يفعل وذلك أنه بعد أن قام (اسمرديوس) ملكا على فارس ثلاث سنين انكشف أمره واتضح لاهل البلاد كذبه واغتصابه للملك فقاموا عليه وقتلوه وولوا مكانه (دارا) فلما استقر بدارا المنصب وعلم بما يفعله (اريانديس) المذكور بمصر خلعه وأبعده عن البلاد

(في الملك دارا الاول)

تولى الملك في سنة تسع عشرة وخمسة مائة قبل الميلاد أى سنة احدى وأربعين ومائة وألف قبل الهجرة ونودى له باسم دارا الاول فلما استقر به المنصب أخذ في تدبير أمور المملكة وترتيبها على أحسن نظام وقد كانت بلغت في أيام كورش وكبيز مبلغا عظيما من الشهرة والاتساع ولم تكن أيامهما كافية للغزو وترتيب أمور المملكة بخفاء (دارا) هذا بأحسن التدبير وأتم التنظيم وقسم المملكة جميعها الى عشرين ايلة وقيل ثلاث وعشرين ثم ترايد عدد هذه

الايالات بتزايد الفتوحات حتى بلغت احدى وثلاثين فضرب عليها الخراج من مال وعروض فكان ماضربه من المال بالعملة الحالية ستة وعشرين ألف ألف وخسمائة وأربعين ألف جنيه وضرب لذلك سكة سماها الدارية وأما العروض التي قررها على تلك الايالات فقد كانت كثيرة جدا فكانت مصر تعطى منها غلالا تكفي لمؤنة الاثني عشر ألف جندي المراتبين فيها وكان الميديون يقدمون في كل سنة مائة ألف خروف وأربعة آلاف بغلة وثلاثة آلاف حصان ويقدم الارمن ثلاثين ألف مهر والبابليون خسمائة غلام من الخصصيان وسكان سيسليا ثلثمائة وستة وستين حصانا قيل ولذلك كانت تسميه الفرس بالنقاد لانه كان يعرف من أين يأتي الكسب كما كانوا يلقبون كميز بالملك وكورش بالاب وكانت مصر السادسة من ايلاته وقال بعضهم بل الثالثة وقد جعلها (دارا) مع قسم النوبة وإقليم الفيروان وإقليم برقة ايلة واحدة وعمالة واحدة وصيرها في الرتبة بعد بابل والموصل اللتين هما ايلالة التاسعة من ايلات فارس وأكثر جميع الايالات خراجا وقد ذهب بعض أصحاب التاريخ الى أن النوبة لم تكن في هذا العهد ملحقة بمصر ولم تدفع خراجا لمملكة فارس بل كانت انفصلت عنها عند تغلب الفرس على مصر وانه لا يعلم من تاريخ الفرس شيء يدل على انهم كانوا يملكون شيئا من البلاد بعد جزيرة أسوان مما يلي الجنوب وانما كانت مملكة الايتوبييا المصافية لمصر تبعث بشيء من المال الى الفرس اعانة لمصر وتبرعا ليس الا وكانت هذه الاعانة عبارة عن مدين من الذهب الخالص ومائة قضيب من الابنوس وخمس جوارنوبيات واحدى وعشرين سن فيل في كل سنة قالوا وقد دلت الآثار على ان الايتوبيين كانوا يدفعون مثل هذا القدر في كل عام الى الملك رمسيس الاكبر وسلفه وخلفه * وكان دارا المذكور شديد البأس صعب المراس ففزع جميع الفرس الذين كانوا معه بديار مصر أن يدينوا بديانة المصريين وأمرهم أن يحافظوا على عبادة النار وحرم عليهم الكتابة بالقلم المصري القديم ونهاهم عن أن يتداول بينهم هذا اللسان وطلب منهم أن يحافظوا على لغتهم حتى أوشكت أن تكون الشائعة الاستعمال في مصر وكانت كتابة الفرس المجوسية المقدسة عندهم مأخوذة من لغة الكلدانيين الذين هم السريانيون وهم أهل بابل ثم تلقاها عنهم أهل اذربيجان ثم انتقلت الى فارس فلما تغلب الفرس على مصر بقيت في مصر آثار من هذه اللغة يعني من كتابتها قال ده روجه ولما دخلت مصر في حوزة دارا أحسن معاملة أهلها ليذهب عنهم ما كن في صدورهم من الخفق والغيت المتسبب عن سوء تصرف كميز واضطهاده اياهم وعسفه بهم فاحترم الديانة وأصلح المعابد الخربة وعفا عن القسوس الذين أساءهم كميزاه وقال هيرودوتس وقبل أن يبارح دارا مصر زار معبد (بتاح) ومهد طرق التجارة وشرع في ايصال النيل بالبحر الاحمر بواسطة ترعة احتفرها ولذلك يوجد في كثير من المواضع ببرزخ السويس القديم كثير من الاجار القديمة المكتوبة باسم الملك (دارا) ولما اتصل البحرين وردت التجارة من الهند الى الثغور المصرية بالبحر الابيض المتوسط وفتح أيضا طريق فقط الموصل الى البحر الاحمر وطريق

وطريق أسيموط الممتد الى العرابة المدفونة ومنها الى أسوان فعاد الى مصر روثقها القديم
وغناها الواسع وراجت تجارتها رواجاً عظيماً واتسع نطاق معاملاتها

وكانت دولة فارس لينسة الجانب في حكم الواحات وغيرها مما جاور مصر رجاء اتساع
نطاق التجارة وتعميقها في سائر الاقاليم الخاضعة لحكمها فكانت تجبي المحصولات من الغلال
المفروضة على الاقاليم المسكونة بعساكرها مع غاية اللين والرفق بقدر كفاية عسكرها ولا
تعرض لبيت مال الامة بضر ولا تأخذ منه الا ما لازم لتعميم المنافع وتسهيل الطرق الواقعة
ما بين مصر والنجاز والقصير وغيرها قالوا وقد وجد ما يدل على ذلك منقوشاً على الصخور ومع
ذلك فقد كان المصريون لا يرضون بحكم الاجانب لهم وكانوا يراقبون الفرص للخروج عن
طاعة دولة فارس الى أن قامت الفتنة في العراق وخرج أهلها على ((دارا)) وقومه
واشتغل ((دارا)) بقتالهم فخرج أهل مصر وشقوا عصا الطاعة وطرّدوا عساكر الفرس
المرابطين وولوا عليهم ((خبيش)) ملكاً وذلك سنة ست وثمانين وأربعمائة قبل الميلاد
وفي السنة الخامسة والثلاثين من حكم ((دارا)) أي قبل موته بسنة واحدة هم بارجاعهم
الى طاعته فالت بينه وبين ذلك زيادة النيل وفيضانه ومات ((دارا)) قبل أن يبلغ منها
وطراً وذلك سنة خمس وثمانين وأربعمائة قبل الميلاد أي سنة سبع ومائة وألف قبل
الهجرة وله من العمر ثلاث وسبعون سنة وكان له قبل جلوسه على سرير الملك ثلاثة بنين
من زوجته المسماة ((ارتابازانس)) بنت ((غوبرياس)) وكان على عزم جعل أكبرهم
ملكاً من بعده فعلمه فنون الحرب ودرّبه على القتال معه في غزوة التتار ولكن لما عصت
مصر وأراد دارا أن يعين من يرث الملك بعده من أولاده أشارت عليه زوجته الثانية أن
يولي ((شيارش)) أكبر أولادها ففعل ذلك وصار ولي عهده * أما ((خبيش)) الذي ولاه
المصريون عليهم مكان دارا فيقال انه من ذرية ((بسامتيك)) الملك وكان استواؤه على
عرش الملك باتفاق كلمة الامة * قال ماريت ولما استقر به المنصب حصن مصر بالقلاع
المتينة حتى استعدت لدفع هجوم الفرس عليها وكان قد مكث ثلاث سنين في تقوية الوجه
البحري وتحصين الاباطح وأشاتم النيل حيث كان يظن ان الفرس لاتهاجه الا من البحر
فجعل أقوى استحكاماته على السواحل فلما فاجأه ((شيارش)) ملك فارس بالهجوم لم
يثبت أهل الوجه البحري في صف القتال الا قليلاً حتى استسلموا لعساكر الفرس فعاملهم
الفرس معاملة القسوة والجبروت وضربوا على كهنتهم المغارم ونهبوا ما كان في معبد
((بونو)) من الامتعة والنقائس وفي خلال تلك الواقعة اختفى ((خبيش)) ولم يعلم له
مقر الى الآن اهـ

وعادت مصر بعد ذلك خاضعة الى الملك ((شيارش)) بن ((دارا)) وكان من مآثره

ما سيذكر بعد

(في الملك شيارش بن دارا)

تولى الملك بعد أبيه في سنة خمس وثمانين وأربعمائة قبل الميلاد أي سنة سبع ومائة وألف قبل الهجرة وله من العمر يومئذ أربع وثلاثون سنة وقد كان فاطر الهمة لا يكثر بالقوانين ولا بالسياسة فترك تدبير أمور الإيالات التابعة لمملكته للأمراء المورثين يتصرفون فيها كما يشاؤون وولى أخاه اخمينس على مصر فاحكم أمورها وعاقب الخوارج من أهلها وما زال حتى انتقلت حكمه وخضعت لحكمته فأقام فيها بعد أربع سنين قوة عسكرية ثم أعد هذه القوة للغزو في السنة الخامسة وسبها للقتال وطلب من مصر المدد فأرسلت إليه مائتي سفينة مكملة العدة والرجال على رأس كل رجل من رجالها خوزة من الحديد ومعه درقة ورمح وكان لهؤلاء الجنود من آلات الحرب أيضا دروع وسيوف

قال أصحاب التاريخ وكان المصريون يكرهون دوام ملك فارس عليهم ويتمنون الخلاص من ربقة عبوديتهم ولو أنه وجد منقوشا على بعض آثار القصير ما يعبر عنه بأن الملك شيارش المذكور كان المولى المحسن سديد الجميع قالوا فهذه الكتابة إنما كانت صورية لاحقية قد جرى بها العرف والتأديب في حق الملوك فلا يستدل منها على سعادة الرعية ولا شقاءها ومع ذلك فقد كان المصريون لا ينفكون أبدا عن طلب استقلالهم وانقاذ ملكهم من أيدي الأجانب إذ كانوا يحبون على الشجاعة والاقدام وحب لوطن فضلا عن التمسك بشرائعهم وعوائدهم والذب عن دينهم ومفاداة حريتهم بالاموال والارواح وكانوا لا ينفسون قط مرارة ماذاقوه من ظلم الأجانب وعدوانهم وما سلبهم ملوك الاغراب من المنافع الجمة وما فعلوه بهميا كلهم ومعابدهم من النهب والحريق وهتك حرمت الدين عند زحف الفاتحين للبلاد فعادوا لذلك الى الخروج والبصيان ولكنهم لم يقدحوا زناده ولم يجاهروا به وجعلوا يتربصون ظروف الاحوال

ولما كانت سنة ثمان وسبعين وأربعمائة قبل الميلاد انضطت شوكة مملكة فارس وتضعفت فعصى عليها الكرد واليونان وقاموا على شيارش وقتلوه وأحرقوا سفنه وخرجت كذلك تساليا ومقدونيا وغيرهما من الإيالات التي في قارة أوروبا واشتدت الازمة على شيارش وتحير في أمره قال هيرودوتس فأخذ يستعمل الدهاء واللين الى سنة ست وستين وأربعمائة قبل الميلاد حتى أتت سفن أثينا الى سواحل القيروان وليبيا وطردت الفرس من هناك ثم قام بعد ذلك بقليل الاغا (اسپاميرس) والقائد (ارتابافوس) وقتلا شيارش وسارا الى ولده (ارتخشارشا) وموها عليه الحقيقة وقالوا ان أخاك (دريوس) قتل أباك فلا بد لنا من قتله والاخذ بشار أبيك فأجابهم الى قتله فقاما عليه وقتلاه وبعد أن قتلاه حاولا قتل (ارتخشارشا) أيضا فخافهما أحدهما أقرانهما وقتلتهما غدرا قال الملك بعد موت

(شيارش) الى ولده (ارتخشارشا) فكانت مدة حكم شيارش تسع سنين لاغير

(في الملك ارتخشارشا الاول)

(ويقال له أيضا)

(ارتسجار)

تولى (ارتخشارشا) الملك بعد موت أبيه في نحو سنة خمس وأربعين وأربعمائة قبل الميلاد أى نحو سنة سبع وستين وألف قبل الهجرة قال (قيسديد) وفي خلال قيام الفتنة ببلاد الكرد والقيروان وخروج أهلها عن طاعة الفرس وضععة سلطنة فارس في تلك الاصفاع وقيام اسبا ميثرس الطواشي ورفيقه على شيارش وقتله استبد المصريون بحكمهم وأقاموا (يناروس) بن (بسامتيك) ملكا عليهم وكان اذالك أمير مدينة ماريا فانضم اليه رؤساء الوجه البحرى ولكنه رأى عدم استطاعته على مغالبة الفرس بهذا الجيش الصغير فاستعان بمملكة اليونان وكان عند اليونان سفن حربية أنشؤها في جزيرة قبرص فأعانوه وأرسلوا اليه مائتى سفينة فسارت حتى جاءت الى مصر ومعها جنود يونانية من الممالك المعاهدة لاثينة وانضموا الى جنود مصر فتقوت بهم عزائم المصريين وقاتلوا جنود فارس قتالا عنيفا جدا وما زالوا حتى انتصروا على جنود (ارتخشارشا) وقتل (يناروس) ملك مصر بيده في وسط المعركة (انيمينس) نائب مملكة فارس الذى كان بمصر وأرسل بجثته الى شقيقه ملك فارس وهجمت السفن اليونانية بقيادة أميرها (خاريتيدس) على السفن الفينيقية التى كانت مع جنود الفرس وكان في هذه السفن بعض الحجم وبعض الجنود من الالهالى الذين حافظوا على طاعة فارس فخاربوهم حتى أسروا منهم ثلاثين سفينة وأغرقوا عشرين وانتصر اليونان والمصريون نصره عظيمة ثم ساروا على النيل حتى وصلوا الى مدينة منفيس وكان بها بعض الحجم وبعض الجيوش الوطنية فخاربوهم حتى استسلمت المدينة لهم ولكن بعد قتال طويل تمكن في خلاه ملك فارس من حشد جيش جديد وقيل انه لما رأى (ارتخشارشا) أنه لا بد من هجوم اليونان والمصريين ومن معهم على عساكره بمنفيس على سلع عساكر اليونان عن عساكر مصر وقصم عرى الاتحاد من بينهم ففج وراز حتى رشا بواسطة رساله أهل اسبارطة من اليونانيين ليمتنعوا عن الاشتراك في الحرب فامتنعوا فأرسل على الفور القائد (مجايسوس) بجيش جرار الى مصر فقابلته العساكر المصرية وحاربته فخاربها وطاردها الى جزيرة (بروسويتس) وكانت هذه الجزيرة في غاية المنعة لما فيها من القلاع والحصون فلما انحازوا فيها سد (مجايسوس) فرع النيل الذى

كانت فيه السفن اليونانية وهو المحيط بالجزيرة المذكورة فغاض منه الماء ونضب ثم هجم على المصريين ومن كانوا معهم من اليونانيين فأمر (ايناروس) وأمر بقتله صلبا وهلك أكثر اليونان قال (ني سيديد) وكان من تمام مصيبة المغلوبين أن جاءت نحو الخمسين سفينة من سفن اليونان لأمداد المصريين ورس في مصب البحر المنديسى فهجمت عليها السفن الفينيقية ودمرت نصفها بل أكثر قال هيرودوتس فدخل عند ذلك (فانيراس) ابن (ايناروس) تحت طاعة العجم وأظهر الخضوع فقلدته دولة فارس ملك مصر مكان أبيه مكافأة له على طاعته وكان من حزب (ايناروس) المذكور رجل اسمه (أميرتيوس) قد هرب عند ما وقع (ايناروس) في قبضة (مجايسوس) والتجأ إلى أباطح الساحل بإقليم الشرقية الذي انحاز فيه الملوك الصابون غير مرة ودافع هو ومن كان معه من حزبه حينما مع الظفر والاستظهار ولكنه لم يفلح وعادت مصر إلى ما كانت عليه من الوقوع في قبضة ملك فارس وأقام عليها (انخمينس) نائبا فاستعبد أهلها وأذلهم وبالغ في تنكيلهم وأذاقهم مر العذاب وكانت هذه الوقائع المشؤمة على عهد كثير من مؤرخي اليونان المشهورين أي في أيامهم فحكوها في عبارتهم على ما ينبغي والأصح منها ما رواه مانيطون المؤرخ المصري وقد تأيد بما وجد على المباني القديمة والنقوش وما جاء في كلامه أن (ارتخشارشا) الملك بعد أن مكن دولته وثبت أركانها حكم مصر ثمانا وثلاثين سنة بعد عصيان المصريين على نائبه مدة سنتين فتكون مدة حكمه جميعها على فارس أربعين سنة وبقى المصريون خاضعين لنائبه (انخمينس) المذكور إلى أن مات (ارتخشارشا) سنة خمس وعشرين وأربعمائة قبل الميلاد أي سنة سبع وأربعين وألف قبل الهجرة خلفه (شيارش) الثاني

(في الملك شيارش الثاني)

(والملك سوغديانوس)

(والملك دارا الثاني)

تولى (شيارش) الثاني الملك سنة خمس وعشرين وأربعمائة قبل الميلاد أي نحو سنة سبع وأربعين وألف قبل الهجرة فلم يستقر به المنصب سوى خمسة وأربعين يوما وقبل سنين يوما حتى قام عليه ابنه (سوغديانوس) فقتله فولوا (سوغديانوس) المذكور بعده حكم ستة أشهر ونصفا وقيل سبعة وقام عليه دارا الثاني خلفه وقتله

فولوا دارا بعده في نحو سنة أربع وعشرين وأربعمائة قبل الميلاد أى نحو سنة ست وأربعين وألف قبل الهجرة ولقب بلقب (رع ميامون) ولم يذكر المؤرخون السابقون وعلماء الفلك في فهرست ملوك فارس اسم (شيارش) الثاني المذكور ولا اسم (سوغديانوس) قال بعضهم وكذلك في جدول سلسلة تاريخ الملوك الذين ذكرهم بطليموس الفلكي في طالع كتابه المحيطي التي بنى عليها زيجهم لم يذكروا (كورش) وكميز (ودارا) الأول (وشيارش) ودارا الثاني ولا غيرهم قالوا فتكون العمدة اذن على ما قاله مانيطون وكان دارا المذكور متزوجا بخاتمه السماء (بارساتيس) قال (كيتزيانس) وكانت امرأة فاسية فاسدة غليظة الطباع وقد اختلفت في أيامه دولة فارس وخلق باهلها الضيم والهوان فلما أحس المصريون بذلك هبوا الى العصيان واستقدموا (أميرتيس) من الاباطح التي كان قد لجأ اليها بعد قتال الججم الاخير ليخلص الوطن من العدو ثم أقاموه رئيسا عليهم فقام بن معه من العساكر على نائب دارا وعساكره المحتلة بالديار المصرية وأخذ يطاردهم فمات في هذه الاثناء دارا وملك المصريون وطنهم واستقل (أميرتيس) بالملك وأعاد الاصول والاحكام القديمة السياسية والدينية على حكم أسلافه من الفراعنة وانقضت بملكه دولة فارس من مصر التي هي عبارة عن الدولة المصرية السابعة والعشرين فكانت مدة ملك دارا تسع عشرة سنة وكانت مدة حكم هذه الدولة على مصر مائة واحد وعشرين سنة كما رواه كثير من جماعة المؤرخين وجاءت بعدها الدولة الثامنة والعشرون الصاوية المنسوبة الى مدينة صا الحجر ولم تتعد ملكها بل كانت كلها عبارة عن أيام ملك واحد هو الملك (أميرتيس) الذي تقدم الكلام عليه في آخر أيام الدولة السابعة والعشرين

(الفصل الثاني)

(في الدولة الثامنة والعشرين الصاوية)

كان رأس هذه الدولة الملك (أميرتيس) الذي يقال له أيضا (أمرته) وقد تولى الملك بعد قتال كبير مع جند فارس الذين كلوا بعصره ويقال انه من نسل بعض العائلات الملوكية المصرية وكان بطلا مهيبا وقائدا مدربا في الحروب وهو المؤسس للدولة الثامنة والعشرين وقد تمكن بكنى الفراعنة فلما استقر به المنصب اجتهد في اصلاح ما أفسدته دولة فارس وفي اعادة المراسم والمواسم الدينية القديمة وفي ارجاع ما كان للهياكل من الروث والبهجة وفي اصلاح ما أفسده العجم أيضا من المعابد والصنائع قال جماعة المؤرخين ولو أمد الله في حياته

لتمكن من اصلاح جميع ما أفسدته أيدي الغرباء الا أنه أدركه الموت عاجلا وذلك في سنة ست وأربعمائة قبل الميلاد أى سنة ثمان وعشرين وألف قبل الهجرة فكانت مدة حكمه على ديار مصر سبع سنين وهى عبارة عن مدة حكم هاته العائلة وقد أبقي بقايا أصلهما من أتى بعده من ملوك الدولة التاسعة والعشرين التى أعقبت دولته وبعونه زالت الدولة الثامنة والعشرون وقامت بعدها الدولة التاسعة والعشرون التى تعرف بالدولة الاشمونية

(الفصل الثالث)

(فى الدولة التاسعة والعشرين الاشمونية)

قال أصحاب التاريخ لاندري ما سبب ارتقاء هذه الدولة الى منصة الاحكام بعد زوال الدولة الصاوية التى هى الدولة الثامنة والعشرون رغما عن كل بحث وقد كان ابتداء حكمها فى سنة ست وأربعمائة قبل الميلاد أى نحو سنة ثمان وعشرين وألف قبل الهجرة وكانت تسمى بالدولة الاشمونية ويقال لها أيضا الدولة الاشموية نسبة الى مدينة أشمون الرمان التى محلها الآن المدينة القديمة المسماة (منديس) فيقال لهذه الدولة أيضا المنديسية وكان فى أيامها مصب فرع من النيل يسمى الفرع المنديسى ولكنه قد غطته الآن الرمال وكان عدد ملوك هذه الدولة خمسة أولهم الملك (نفريتس) الاول المسمى عند اليونان (نفروطيس) ويلقب (بن رع ترو) وفى رواية أن عدد ملوكها أربعة وهو الاصح فقلا عما جاءت به الآثار وسنو ملوكهم احدى وعشرون سنة

(فى الملك نفريتس الاول)

ولى الملك (نفريتس) الاول فى نحو سنة تسع وأربعمائة قبل الميلاد أى نحو سنة ثمان وعشرين وألف قبل الهجرة وكان ملكا مهيبا جليل القدر فجعل ملك فارس منذ استوائه على سرير الملك يمدده ويخيفه بارسال الجنود الكثيرة لمحاربته ومع ذلك لم تفتقر له همة ولا ضعفت له عزيمته فى سلامة وطنه وإيراده موارد العز والرفاهية فعقد مع جمهورية اسبارطة اليونانية المعروفة باسم (لقدومنه) معاهدة للذب والدفاع ومهاجمة فارس فزادت بهذه المعاهدة مهيبته وارتفعت كلمته وخافه الفرس وحشد جيوشه فى حدود الشام لقتال فارس وأكثر من آلات الحرب ومعدات القتال غير انه قد حدث

للفرس حروب في جهات أخرى خالت بينهم وبين قتال المصريين قال بعض أصحاب التاريخ ولما كانت سنة احدى وتسعين وثلاثمائة قبل الميلاد طلب يونان جزيرة قبرس أن يعاهدوا الاثينيين (والهيكاتومنوس) ملك القبروان والمصريين وسعوا وراء ذلك سعياً مجيداً فتعاهدوا وارتبطوا برباط الاتحاد وتألّبوا على الذب والقتال وحسب الفرس لهم ألف حساب ولكن لم تطل بعد ذلك أيام الملك نفريتس حيث أدركه الموت في نحو سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة قبل الميلاد أى سنة خمس عشرة وألف قبل الهجرة خلفه (أخوريس) وكانت مدة حكم نفريتس ست سنوات وأشهر

(في الملك أخوريس)

تولى الملك أخوريس المذكور في نحو سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة قبل الميلاد أى سنة خمس عشرة وألف قبل الهجرة ويسمى باسم (هوقود) فلما استقر به المنصب حدا حدو (نفريتس) في إعلاء شأن البلاد وتعزيز جانبها ووجد المعاهدات مع الامم والملوك مثل أهل قبرس والعرب وأهل الغرب وبرقة وتعاهد مع اليونان على قتال الفرس فأمدّه اليونان بجيش جرار تحت قيادة (خابرياس) القائد الاثيني فلما جاءت عساكر فارس لقتال المصريين رأوا من شدة بأسهم ما لم يبلغوا معه أرباباً وكان للملك (أخوريس) المذكور عناية تامة باصلاح ما أفسده جور حكومة فارس مما لم يصلحه سلفه والدليل على عنايته هذه الاصلاحات التي أجراها بالاعمد الموجودة بالايوان الكبير في مدينة (أبو) في طيبة بالصعيد وفي مقاطع الجربطرا ولكنه مات في خلال اهتمامه باصلاح شؤون البلاد وترتيب أمورها وذلك في سنة احدى وعشرين وثلاثمائة قبل الميلاد أى نحو سنة ثلاث وألف قبل الهجرة فكانت مدة حكمه ثلاث عشرة سنة كما جاء في رواية مانيطون وفي أيام هذا الملك قدم افلاطون وغيره من حكماء اليونان ليتخرجوا على حكماء عين شمس ومنف وطيبة وينشروا علومهم في بلاد اليونان وبعد موته خلفه بساموتيس

(في الملك بساموتيس)

تولى بساموتيس في نحو سنة احدى وعشرين وثلاثمائة قبل الميلاد أى نحو سنة ثلاث وألف قبل الهجرة ولم يحكم غير سنة واحدة ولم يذكر أصحاب التاريخ شيئاً من مآثره وأعماله غاية ما قالوه أنه وجد اسمه منقوشاً بجانب اسم سلفه الملك (أخوريس) في قصر

الكرنك ومات في سنة ثمانين وثلاثمائة قبل الميلاد أى سنة اثنتين وألف قبل الهجرة وخلفه الملك (نفرتيس الثانى)

(فى الملك نفرتيس الثانى)

قولى نفرتيس الثانى الملك فى سنة عمانين وثلاثمائة قبل الميلاد أى سنة اثنتين وألف قبل الهجرة ولم يحكم سوى أربعة أشهر وقيل سنة واحدة ولم يعلم من آثاره الا صنم أبو الهول المحفوظ بجزائره النخف فى عاصمة الفرنسيس ونفرتيس هذا هو آخر ملوك هذه الدولة فكانت مدة حكمها احدى وعشرين سنة ثم انقرضت وزالت وجاءت بعدها الدولة المتممة للثلاثين وهى الدولة السمبودية المنسوبة لمدينة سمبود القديمة بالاقليم البحرى وهى كبقية الدول المنسوبة الى الاقاليم البحرية اذ كانت قد حيت من مدن الاقاليم القبلية آثار شهرتها العظيمة وانحط صيتها البعيد بعد ان سارت به الركان وزالت عنها مزية ما كان يعدد فيها من الملوك فان مدينة طيبة التى خرج منها جميع ملوك دولة الفراعنة زمنا طويلا أخنت عليها صروف الزمان وأصبحت شهرتها فى خبر كان

قال بعض المؤرخين وانقطعت طيبة للكهنوتية فانها لما طال بها الاستعباد وثقل عليها الهوان واضمحلت شرفها القديم انطفأت أنوار بهجتها وضاعت منها مزية انها مركز الملك لسرير الفراعنة وانتقلت منها الرئاسة الى مدن الاقليم البحرى فسبحان من يغير ولا يتغير

(الفصل الرابع)

(فى الدولة المتممة للثلاثين السمبودية)

كان مبدأ ملك هذه الدولة سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة قبل الميلاد أى سنة ألف قبل الهجرة وقد سميت هذه الدولة بالسمبودية نسبة الى مدينة سمبود تحت ملكها بالوجه البحرى كنسبة من سبقها من الدول الاخرى الى الاقليم البحرى فان مدن الاقليم القبلية كانت زالت شهرتها العظيمة وانقطع ذكرها وانحى صيتها البعيد الذى كان يذكر عند ذكر كل مدينة منها وأصبحت مدينة طيوه وهى طيبة التى هى أم ملوك أكثر الدول المصرية مجردة عن هذا الشرف والمجد العظيم وانقطعت للكهنوتية وانتقلت منها الرئاسة الى الاقليم البحرى فنالت كل مدينة من مدنه حظها من ذلك حتى مدينة سمبود القديمة وكانت مدة هذه الدولة التى هى السمبودية ثمانيا وثلاثين سنة وعدد ملوكها ثلاثة وأولهم الملك (نحت حورحب) الملقب (برع سنوزم حت استن انخور) ويقال له (نقطانب الاول)

(في الملك نقطاناب الاول)

تولى نقطاناب الاول الملك سنة ثمان وسبعين وثلثمائة قبل الميلاد أى سنة ألف قبل الهجرة وهو رأس هذه الدولة ولم يكن جلوسه على سرير الملك الا في خلال الفتن واشتداد أزمة الخطوب والاحن وكانت دولة فارس لم ترزل قلقا البال باسباب خروج مصر من قبضة يدها طامعة في استرجاعها وكان (نقطاناب) يعلم منها ذلك فجهز عسكريا كبيرا وأكثر من معدات الحرب وتأهب لرد الفرس عن مملكته فلما كانت السنة الثانية من ملكه جاءت اليه عساكرهم برا وبحرا تحت قيادة (فرناياز) الفارسي (وافيكرايس) الاثيني ونزلوا باشتوم أم فرج عند البحر الهنديسى فلاقته هناك الجنود المصرية المحافظة على السواحل وقاتلتهم فهزموها وانتصروا عليها وأشار (افيكرايس) الاثيني بالزحف على مدينة منف قبل أن تصل اليها جنود المصريين فعارضه في ذلك (فرناياز) الفارسي وأبى الا التبرص حتى يأتي اليه المصريون فسار اليهم الملك (نقطاناب) في جيشه وحاربهم وانتصر عليهم نصرة عظيمة وذلك على مقربة من منديس فولوا الادبار الى بلادهم وقيل انهم ركبوا السفن بالنيل وتعمعوا ببعض الجهات فخصن هو مدينة منف وزحف لقتالهم واقتفى أثر (فرناياز) قائدهم الاكبر وحاصره وكان ذلك عند حلول أيام فيضان النيل فوقع الفرس في أيدي المصريين حيث ضاقت عليهم الارض بجياه النيل وقد مات منهم خلق كثير جدا وتخلصت البلاد من شرهم وعلمت كلمة الملك (نقطاناب) وظهر نباهة وارتاحت البلاد بنهضته بعد أن ذاقت من الفرس من العذاب مدة خمس وعشرين سنة كما رواه (بودور).

وظهرت في هذه الاثناء طائفة من اليونان تسمى طيبة اليونانية على أهالي (لقدمونة) من أعمال مملكة اسبارطة وعظمت شوكتها فنزل الملك (اجريلاس) اليوناني الى الملك نقطاناب مستغيثا به على أهل طيبة اليونانية فاعانه وجهز له جيشا كبيرا فسار الجيش المذكور وظفر بأهل طيبة وتفرغ (نقطاناب) بعد حروبه وغزواته في آخر أيامه الى أمور المملكة فأعاد اليها الراحة وأكسبها الطمأنينة بعد انخوف وبني الآثار الجليلة من الهياكل والمعابد وأحسن ادارة البلاد ورتب أمورها على أحسن ترتيب وأكمل نظام ومات في سنة أربع وستين وثلثمائة قبل الميلاد أى نحو سنة اثنين وثمانين وتسعمائة قبل الهجرة وقد اختلف في مدة حكمه فقيل عشر سنين وقيل وهو الأصح انه حكم ثمان عشرة سنة خلفه الملك طانخوس الآتي ذكره بعده

(في الملك طاخوس)

و يقال له أيضا

(زيت خر)

تولى طاخوس الملك سنة أربع وستين وثلثمائة قبل الميلاد أى نحو سنة ست وثمانين وتسعمائة قبل الهجرة فلما استقر به الملك أخذ في تدبير أمور المملكة ودفع غارات الفرس عنها ومكن المعاهدة مع أهل (لقد مونية) من أم اليونان واستمدهم فبعثوا اليه جيشا كبيرا نحت قيادة كبير من قواد عسكريهم اسمه (اجزىلاس) ففرح (طاخوس) بقدمه وأعجبه منظره قبل أن يقف على حقيقة مخبره فعزم على أن يسلمه قيادة جميع الجيوش المصرية البرية والبحرية ثم رابه من أمره ربيعة فلم يسلمه الا قيادة العساكر البرية وسلم قيادة العساكر البحرية لآخر اسمه (خبرياس) ولقبه بلقب أمير عموم الجيوش المصرية وهم (طاخوس) بهاجرة فارس وقتالهم فأشار عليه (اجزىلاس) أن لا يهاجمهم الا اذا حضروا الى ديار مصر ويجتنبهم ما اجتنبوه فأبى الا قتالهم بعلاقتهم في سواد الشام وقام بجيوشه نحو الشام للقتال فلما ساروا ابتعد عن مصر قامت عليه العساكر فعزلته وولت مكانه ابن أخيه السمي (نقطان) الثاني فهرب (طاخوس) من وجه قومه الى ملك فارس فقباله وهو بطريقه عند بلاد العرب فأكرم منواه وأحسن لقاءه ووجهه الى بلاده فكانت مدة حكمه الى هربه سنتين اثنتين لا غير وخلفه (نقطان) الثاني الذي يقال له أيضا نحت بنف

(في الملك نقطان الثاني)

تولى نقطان الثاني الملك نحو سنة اثنتين وستين وثلثمائة قبل الميلاد أى نحو سنة أربع وثمانين وتسعمائة قبل الهجرة فلم يستقر به المنصب حتى قام من ينازعه في الملك وهو أمير من أولاد وجوه مدينة أشمون قد خرج ومعه كثير من العساكر المنحزبة له فأجاب دعونه أيضا الجمل الغفير من الأحزاب واستفحل أمره وعلت كلمته وكان (اجزىلاس) قائد الجيوش البرية متحزبا للملك (نقطان) فأشار على الملك بسرعة الهجوم على هؤلاء الخوارج وتمزيق شملهم كي لا يتمكنوا من التآب ولا يكثروا من جلب الامدادات اليهم فلم يفعل وارتاب في صدق النصيحة فلم يكن بأسرع من أن ساجله عصاة العساكر وغالبوه فامتنع في احدى المدائن فحاصروه وأحاطوا به ولم يعد اليه (اجزىلاس) يد المساعدة بل خذله وتركه أيا ما فبعث اليه يستغيث فأشار عليه بأن يفتح أبواب المدينة ويخرج لمطاردة

العدو ويحمل عليهم حملة شديدة ففعل فظهر عليهم وأبعدهم عن المدينة واقتفى (أجزيلاس) أثرهم وما زال حتى أخذ أميرهم أسيرا وخلا الجول (نقطانب) فاستقر في منصبه بلا منازع ولا معارض له في شؤنه

وعقد في السنة الثانية من حكمه معاهدة مع أهل صيدا وصور وقد كانوا كأهل مصر على خوف من غارات الفرس عليهم والتمك على بلادهم فكان الدفاع قدرا مشتركا بينهم فلما سارت الجيوش الفارسية لقتال المصريين لم يروا بدا من محاربة الصوريين أولا فعاقبهم قتالهم عن المسير إلى مصر واشتدت الحرب بين الفريقين فبعث (نقطانب) ملك مصر أربعة آلاف مقاتل من اليونانيين على نفقته مددا للصوريين وجعل (منطور) الروسي رئيسا عليهم وكانت قد دخلت في هذه المعاهدة أيضا عساكر قبرس فسار فريق منهم لنجدة الصوريين فلما التقى الجمعان اقتتلا قتالا شديدا فانتهزمت جيوش فارس شر هزيمة فلما وصل الخبر لملك فارس اغتم غما شديدا وجيش جيشا ثانيا وانطلق به إلى مصر ففرع الأمير (منطور) الروسي من عظم هذه الغزوة وهاله كثرة عساكرها ونخشي عاقبة هزيمته فانضم بمن كان معه للعدو واستسلم إلى (دارا أخوش) ملك فارس المذكور فرحب به دارا وأحسن نزله ولاطفه ليدله على البلاد ويكشف له عن عوراتها فيسهل عليه غزوها

فلما علم فرعون (نقطانب) بما فعله (منطور) جهز من العساكر والاجناد ما يكفي لحماية البلاد فقاد جندا مؤلفا من نحو خمس وعشرين ألفا من اليونان وعشرين ألفا من المغاربة وستين ألفا من المصريين وأقام المرابطين في جميع الثغور والحصون المهمة فكان في مدينة (الفرمة) منهم خمسة آلاف وكان مع كل من ملكي مصر وفارس رؤساء وقواد من اليونان من حربه يستشيرهم ويستعين ببسالته في الحروب ويثق بأمانتهم فالتحمت الحرب بين الفريقين وكانت محبلا وما زالت إلى أن ظهرت الفرس على المصريين فسلم المصريون واليونانيون أنفسهم فلما رأى ملك مصر انهزام جنده وتزيق شملهم وقرب زوال ملكه ضاقت به الحيل وداخله اليأس والقنوط فلم يسعه إلا أن جمع أموالا وفر إلى بلاد النوبة وانقطع خبره فكان هو آخر ملوك الدولة المصرية الممثلة للثلاثين وكانت مدة حكمه ثمان عشرة سنة وزال بزوال ملك مصر من يد أهلها وسقطت في أيدي الفرس مرة ثالثة وكان انتهاء هذه الدولة في سنة أربع وأربعين وثلثمائة قبل الميلاد أي نحو سنة ست وستين وتسعمائة قبل الهجرة بعند أن حكمت ثمانيا وثلثان سنة كجاء في أقوال جماعة من المؤرخين وصارت مصر من هذا الحين مضغعة في أفواه الغرباء يتولاها ملك منهم بعد الآخر إلى يومنا الذي نحن فيه ولم يملكها ملك من أهل البلاد بعد أن تخلصت من استعباد الفرس وحفظت استقلالها وأعادت ما اندرس من معالم مجدها وحكمت نفسها زهاء ست وستين سنة وقد عادت دولة فارس في تملكها على مصر في هذه المرة الدولة الحادية والثلاثين وهي الدولة الثانية الفارسية المنقرضة باغارة اسکندر المقدوني على مصر وأخذها منهم

(الفصل الخامس)

(في الدولة الحادية والثلاثين)

(وهي دولة الفرس الثانية المنقرضة بأفارة الاسكندر المقدوني على ديار مصر)

قال أصحاب التاريخ بعد ان تخلصت مصر من حكم الفرس وفكت قيود استعبادها ولبثت زهاء ست وستين سنة وهي مدة حكم الدول الثلاث السابقة متمتعة بالاستقلال وقد أعادت في خلال هذه المدة ما كانت خسرته في أيام دولة فارس من المدنية والعمران وأصلحت ما أفسدته طوارق الحداثان وملت شعنها بقدر ما في الامكان عادت فسقطت في أيدي الفرس مرة ثانية في أيام دولة الملك دارا أخوش الذي هو رأس الدولة الحادية والثلاثين المذكورة وذلك في سنة أربع وأربعين وثلثمائة قبل الميلاد أي نحو سنة ست وستين وتسعمائة قبل الهجرة ولكن لم تطل مدتها فلم تتجاوز ثمان سنين وكان عدد من تولى الملك منها ثلاثة أولهم الملك أخوش الذي سيأتي الكلام عليه

(في الملك دارا أخوش الفارسي)

تولى دارا أخوش الملك في سنة أربع وأربعين وثلثمائة قبل الميلاد أي نحو سنة ست وستين وتسعمائة قبل الهجرة بعد انتصاره على (نقطاب) الثاني فلما استقر به المنصب سمى نفسه (ارتخشارشا) الثالث وكان فظا غليظ الطبع متكبرا فأمر بقتل جميع أبناء وبنات الملوك الذين قبله ليجمعوا أثر أسلافه فقتلوا جميعا وسلب من مصر جميع أموالها واغتنم ما فيها وعاث في الارض فسادا وأقام على مصر نائبان قبله اسمه (فرند) وهو أحد أمراء دولة فارس وبنى القصر المعروف بقصر الشمع وجعل فيه هيكلًا وهو موضع الكنيسة المعلقة للقبط المتأصبين الآن فان صح ذلك كان القصر المذكور من آثار دولة الفرس لامن آثار المصريين * وكان دارا المذكور قبل تغلبه على ديار مصر قابضاً على زمام حكم الفرس نحو العشرين سنة وفي عصره أخذت مقدونية في الظهور بين الدول ووجهت اطماعها الى التملك على آسية وأخذها من الدولة الفارسية وجعلت تراقب الفرص الملائمة لذلك وما زال الملك دارا المذكور يتصرف في الامور ويظلم ويحجور ويسوم الرعية الخسف حتى أبغضته وكادت تشق عصا طاعته وبدأت علامات الفتنه وقلقت لذلك خواطر الولاة والعمال ودارا لا ينكف ولا يقف عند حد حتى دس له (باغواس)

الطواشي السم في طعامه وقتله فتولى الملك بعده ابنه ((اريسيس)) فكانت مدة حكم دارا المذكور على مصر سنتين اثنتين لاغير

(في الملك اريسيس ابن دارا أخوش)

تولى اريسيس الملك سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة قبل الميلاد أى نحو أربع وستين وتسعمائة قبل الهجرة فلم تكن مدة حكمه الاثنتين كأبيه ولم يذكر عنه جماعة المؤرخين شيئاً وانما ذكره مانيطون المؤرخ في فهرسته ومات في سنة أربعين وثلاثمائة قبل الميلاد أى سنة اثنتين وستين وتسعمائة قبل الهجرة خلفه دارا الثالث الذى هو آخر ملوك هذه الدولة

(في الملك دارا الثالث)

تولى دارا الثالث الملك سنة أربعين وثلاثمائة قبل الميلاد أى سنة اثنتين وستين وتسعمائة قبل الهجرة وكان اسمه قبل الولاية ((كودومانوس)) وكان ارتقاؤه سرير الملك في نفس السنة التى تولى فيها اسكندر الاكبر المقدوني وكان دارا هذا مشؤم الطالع على مملكة فارس فانه ما ارتقى سرير ملكها حتى أخذت في الضعف والانحطاط فزال شوكتها وتلاشى أمرها بظهور المقدونيين عليها وذلك لان الامة الصادقة في حب وطنها المتحمسة في الذب عن ذمارها متى كانت حائرة على بعض المعرفة بالسياسة حازمة مدبرة تحسب العواقب ولو كان عدد أهلها قليلاً فانها تغلب العدد الكثير وتظفر بالجم الغفير من أعدائها هذه مقدونية التى نبغت من بين أُمم اليونان في عهد قريب فدوصلت في دورها الى درجة عالية من التمدن وتمسكت بعروة الشجاعة وحب الوطن فظهرت على غيرها من الامم وطار صيتها الى أفاصى البلدان وسارت بشهرة مفاخرها الركان فحكمت اليونان واستولت على جميع أملاكها ودبرت امورها وأحسنست سياستها وأحكمتها وما زالت تترقى الى أوج المعالي حتى تولاها اسكندر بن فلنس المقدوني فوسع ممالكها بسيف فتوحه ولم يعقه عائق عن توسيع دائرة فتحه للبلاد وتضييره للعباد بل طاف قارة آسية فدخل الهند وبدد شمل قومها وهزم ملكها ((بوروس)) وكان بوروس المذكور قد حارب الاسكندر راكبا على فيل عظيم فأظهر هذا الفيل من الشجاعة والفروسية ما دهش الاسكندر فلما وقع ملك الهند في قبضة يد الاسكندر أخذ فيله المذكور وميزه ونذره لى كوكب الشمس معبود المقدونيين وسماه باسم ((اجاكس)) الذى هو أحد خول اليونان ثم حرم ركوب ظهره ما عاش وقد ذكرنا هذه الحكاية هنا على سبيل الاستطراد

وبعد أن تمت للاسكندر غزوة الهند عرج الى فارس وقائلها ومنزها وورث ملكها وقد ساعده على ذلك بعض أهالي الولايات الفارسية لبغضهم لحكم فارس وميلهم الى الخروج عن ربى عبوديتهم لاسيما مصر فانها كانت قد ستمت نفسها الذل وتناقت الى التخلص من قيود ذلك الاسر فلما كانت سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة قبل الميلاد سيرت الى الاسكندر تستخذه على الحضور الى ديار مصر ونزعها من أيدي أولئك الظلمة القساة فأتى اليها وأجلى الفرس عنها بعد قتال عنيف وأزال ملكهم منها وأباد جميع من كان بها من قوم فارس فأصبحوا كأنهم لم يكونوا شياً مذكوراً فكانت مدة حكم الفرس على مصر في هذه المرة بقدر المدة الواقعة ما بين قبشاش الذى هو كميز الى موت دارا الثالث وهى عبارة عن ثمان سنوات فقط قال بعض الكتاب فكان ما بينهما أى بين كميز ودارا الثالث من الدول المصرية غير معتبر اذ كانت دولة فارس لهم بالمرصاد فى المدة المتخللة بين حكمها فى المدينتين السابقتين

قال صاحب العقد الثمين ويشهد على هزيمة الاسكندر المقدونى لدولة فارس بمصر نقوش وجدت على حجر محفوظ الآن بمتحف نابولي بإيطاليا لكاهن مصرى من عصر دارا الثالث يقال له (سمتاوى تفنخت) حيث يدان بنقوشه على حرب الفرس مع المقدونيين فى ديار مصر وعلى سقوط الدولة المصرية واضمحلالها وهذا تعريبه على ما ترجمه بروكش * الامير الوارث المعبد والحبيب الاعز الاوحد كاهن المعبود حور سيد (هيونن) وكاهن معبودات قسم (هيونو) وكاهن معبودات (سمتاوى) بمدينة (أجو) وفاظر أملاك المعبودات ورئيس قسوس المعبودة (سخت) فى كافة المملكة أعنى به (سمتاوى تفنخت) ابن المكرم (نس سمتاوى أوف عنخ) كاهن المعبود أمون بمدينة (بيشا) وابن المكرم (عنخت) قال مامعناه ياسيد المعبودات (خنوم) أنت سلطان الوجه القبلى والبحرى وكبير المملكة أنت الذى تنير الدنيا بظهورك وتنير الشمس بعينك اليمنى والقر بعينك اليسرى والشعاع مقتبس من نور عقلك والريح الطيبة من خياشيمك فهى تنعش حياة كل موجود أنا كنت خادمك وأفعل بإرادتك وقلبي متملى بحبك وودادك ولم أزخر ف مدينة كدينتك ولم أقصر أبدا فى تبليغ سرى للبشر مع كثرتهم وفى اظهار مجزاتك للورى بين منازلهم فضاعفت لى ذلك مرارا بالخيرات الجزيلة حتى اشتهرت فى كافة الارض وتقلدت ادارة بيت الملك وما ذاك أياها الملك المحسن الالنعطف قلبك على واجابة سؤالى حتى رقيت الى أعلى الدرجات من بين كثيرين ولما غضضت نظرك عن المملكة المصرية ووجع قلبك بالمحبة الى ملك آسية أحببى أصدقائك العشرة وقلدتى أنت الرياسة على كهان المعبودة (سخت) بدل أخى من أمى (سرحونب) الذى كان رئيسا على كهان تلك المعبودة فى عموم الوجه القبلى والبحرى أنت الذى جيتنى فى حرب المقدونيين حين طردوا أهل آسية من الديار المصرية وقتلوا بجائى أولفا عديدة ولم يرفع أحديده على ولما استتببت الراحة بعد وقوع هذه الحادثة أمرتنى بالتوجه الى اهناس ووعدتنى أن تشملنى بانظارك وتلمظنى بعين عنايتك اذ كنت وحيدا فافد الاهل فريدا فتوجهت

اليها في النيل المبارك ولم يحصل لي خوف لاني كنت متفكرا فيك غير مجاوز لوصيتك حتى وصلت الى مدينة اهناس بدون أن تشعر شعرة من بدني وكما كنت مهنا بأمرك في المحل الأول كنت كذلك في المحل الثاني لانك منعتني الحياة مع راحة القلب فيأبها الكهنة الذين يخدمون المعبود الجليل (خنوم) ملك الاقليم والمعبود (حورسخي) العظيم بين معبودات مدينة اهناس والمعبود (توم) ساكن صان وكبير الكباش المقدسة المتصف بقوة الرجال ويأبها الناس والارباب ويملك مصر الاخير اعلموا أن الامير الذي كان يحب ملك الوجه القبلي والبحري قد سعدت روحه الى السماء لتشاهد هناك المعبود (خنوم) ملك الوجه القبلي والبحري في ابوانه والمعبود (توم) في نخته والمعبود (أونفر) واعلموا أنهم يتكرمون بتقليد ذكركم في دار الدنيا وانكم تتألون المكافأة من (خنوم) ملك الدارين لوداومتهم على المدح والشكر لمعبودات مدينة اهناس وعلى المدح أيضا لتمثال (سمنا) (وتفتخت) المقدس المحترم في قسمه ليكون لكم أعظم رفيق وبمدحكم غيره على عمر السنين بالمدح العريق اه قال ومن نقوش هذا الحجر أنه لما انتشبت الحرب بين المقدونيين والمصريين كانت الدائرة على الهجم فانهزم دارا وقتل كثير من رجاله ثم قتله أحد فوابه فانتقل بعده حكم مصر الى دولة اليونان اه

وقد أحدث الفرس بديار مصر من أسباب الخراب شيئا كثيرا جدا وأزالوا بهجة المباني والآثار العظيمة لاسيما ما كان منها بين مدينة طيبة من صعيد مصر ومحلة الدكة من بلاد النوبة على مسافة خط يزيد عن السنتين فرسفا فقد تركوها خاوية على عروشها لم يبق منها الارسوم واطلال وكانت أحكامهم في مصر أحكاما مطابقة فاذاق عمالهم وولاتهم أهل البلاد كأس الذل والهوان وجرعوههم الغصص ومنعوههم من التظاهر بعبادة معبوداتهم وضبطو أملاك طوائف الكهنة وضربوا المغارم على آلهة المصريين في نظير اباحة التعبد بها تدفعها لاصنام فارس ولم تكن الفرس تميل بالطبع الى المصريين ولا تحب الاختلاط بهم ولا التقرب منهم شأن الامة الفاتحة الغاصبة بل كانوا بمعزل عن جميع عوائدهم وزيمهم وملبسهم وكذلك كان المصريون غير أن الفرس كانوا قد نقلوا عن المصريين الحكومة المستحكمة وتعلم ملوكهم طرق الرئاسة وأساليب السياسة وقد كانت قبل تغلبهم على مصر مجهولة عندهم لا يرون للوصول اليها سبيلا * قال بعض المؤرخين وبانقراض حكم دولة الفرس من مصر دخلت مصر في تاريخ جديد على نسق جديد في الوقائع الزمانية أعاد اليها رونقها القديم وخرها القويم قالوا فان استيلاء الاسكندرومن أتى بعده على مصر بعد دولة فارس يعد فوزا للمصريين ونصرة وذلك لما كان بينهم وبين اليونان من روابط المحبة وشرايط المودة باشتراكهم في العلوم والمعارف الحكيمه فضلا عن العهود السابقة والتحالفات التي جعلت الامتين يدا واحدة على الفرس فأبادوا حكمهم وضعفوا شوكتهم فخرجوا من البلاد بعد أن أساءوا السيرة في أهلها * فسبحان من بيده الملك يؤتبه من يشاء

وبانقراض حكم الدولة الفارسية قامت بعدها الدولة المقدونية الاولى وهى المعروفة
بالدولة الثانية والثلاثين فى ترتيب أصحاب التاريخ وعلى هذا الترتيب لم يبق من عدد
دول الجاهلية الا ثلاث وهى الأخيرة منها الآتى الكلام عليها واحدة فواحدة على النسق
الآتى

(الباب الثانى)

(فى الدولة المقدونية الاولى التى ظهرت بظهور الاسكندر وفي فصول)

(الفصل الاول)

(فى العائلة الثانية والثلاثين إحدى العائلات الثلاث الباقية من الجاهلية)

كان مبدأ ظهور هذه الدولة سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة قبل الميلاد أى سنة أربع
وخسين وتسعمائة قبل الهجرة وكانت مدة حكمها سبعة وعشرين سنة وعدد ملوكها ثلاثة
ورأس هذه الدولة الاسكندر الاول الملقب بالا كبر * قال بعض المؤرخين وبظهور هذه الدولة
انقرضت تماماً دول العائلات المصرية التى جاء على ذكرها المؤرخ مانيطون قالوا ولا يفهم
من أحوال هذه الدولة وما جاء بعدها من الدول الأخرى الى فتوح الاسلام شئ غير ما هو
مكتوب على الآثار القديمة ومفهوم منها مع ما يضم الى ذلك مما يستفاد من كتب اليونان
والرومان المتداولة

وكان رأس هذه الدولة بمصر الاسكندر الاكبر حيث دخلها بعد أخذه مدينة صور
وصيدا وفلسطين وغزة من داراملك فارس واستولى على ديار مصر جميعها وكان من مآثره
ماسيد كر

(فى الملك اسكندر الاكبر المقدونى)

ولما تغلب الاسكندر على داراملك فارس تلقاه المصريون بالترحاب وأعانوه على قتال
الفرس فرارا من جورهم واستعبادهم فاستولى الاسكندر على جميع ديار مصر وأخرج
منها الفرس وعامل المصريين بالرفق واللين وأعاد ادارة البلاد وسياستها القديمة
الى ما كانت عليه ولم يغير شئاً من عوائد الاهالى الدينية والمدنية وأطلق لهم حرية العبادة

والقيام بشعائرها والجهربها في هذا كلهم وبيوت عبادتهم ورفع عنهم المغارم والمكوس الثقيلة التي كانوا يؤدونها للدولة الفارسية

واختار من أرض مصر القطعة الواقعة في البرزخ الكائن بين بحيرة مريوط والبحر المتوسط في غرب النيل ليبنى فيها مدينة جديدة على نسق المباني المقدونية وكانت هذه القطعة يومئذ قرية قديمة تسمى **(راقودة)** فاختطها الاسكندر بمعاونة **(ريناوخس)** المهندس اليوناني ورسم أما كن المباني العمومية والهياكل والمعابد اليونان والمصريين على السواء فكان محيط هذه المدينة لا يتقص عن ثمانين غلوة سهم ودخلت قرية **(راقودة)** المذكورة في سور تلك المدينة وسميها **(الاسكندرية)** وبقي اسم **(راقودة)** لخطتها بالاسكندرية بنيت على آثارها وقد زين الاسكندرية بأحسن الزينة وعمرها بالجلم الغفير من أهالي المدائن المصرية فصارت عاصمة أهلة ورتب فيها مرابطين من المقدونيين وأباح لجماعة اليونان وغيرهم من البلاد الشرقية الاستيطان بها وفتح أبوابها لاهل الملل وأعدها مركزا جديدا لتجارة المشرق والمغرب ثم قلده ولاية مصر للامير **(افليومنوس)** وسلمه زمام البلاد وسار هو بجيشه المتطفر الى آسية وتوغل في جوفها وقهر في طريقه دارا ملك فارس وانتصر عليه النصره الاخيره بقرب مدينة **(اربل)** عند الموصل سنة احدى وثلاثين وثلثمائة قبل الميلاد أي سنة ثلاث وخسين وتسعمائة قبل الهجرة ثم سار قاصدا مدينة بابل ولم يرل حتى لم يبق بينه وبينها الا فرسخ ونصف فرسخ فخرج اليه مشايخ أهل العراق العارفون برصد النجوم وتكلموا بين يديه وأعلموه انه قد ظهر لهم من التنجيم ما دلهم على ان دخوله لبابل لا يعود عليه الا بالفشل ويموت بها وألحوا عليه في الرجوع عنها الى غيرها من المدائن فتطير من ذلك ونشام فبعث ببعض أمرائه اليها وعاد هو الى معسكره فوصله بعد مسيرة عشرة أيام وكان في المعسكر جماعة من حكام اليونان فقدموا عليه للسلام والتبريك وعلوا ما في نفسه من الوسوسة والتطير وانه عدل لذلك عن دخول بابل لما زالوا به حتى أزالوا عنه ذلك الخوف والارتباب وطمع في المسير الى بابل مع جميع عساكره وأجناده وكان قد بلغه قدوم الوفود من جميع البلاد المسكونة اليها وانهم ينتظرونه بخد السير واستبشر وما زال حتى دخلها في أبهة وكبكية زائدة للغاية ثم اقتبل سفراء الملوك وأفسح لهم صدر الترحاب ولبث في بابل نحو السنة يجدد فيها الاعياد والمواسم والمآدب والولائم وعكف على اللذات وانهمك في الشراب فبينما هو ذات ليلة في مجلس الشراب وقد أسرف كل الاسراف وأفرط في تعاطي الخمر حتى أخذت منه مأخذها نظر الى ندمائه فتقدموا اليه في أن يشرب جاما على صحة كل واحد منهم وكانت عدتهم عشرين ندما ففعل ثم استدعى بقدر كبير كان يسميه **(هرقطوس)** الجبار فشرب به اثنين وقام يظهر من الضعف قوة فلم يقدر وانكب على محيا وأصيب في الحال بحمى شديدة ولازمته نوبة بعد أخرى فكانت اذا فارقتة أمر ونهى وأرسل الجيوش للغزو وفتح المدائن ظانا ان زمن مرضه قصير فلما رأى أن حياته على شفا جرف وأنه قد ضعفت حواسه

خلع خاتمه من اصبعه وسلمه الى الامير (برديقا) وأوصاه ان ينقل جثته الى هيكل المشتري
بواحات سيموه ليدفن هناك بين الآلهة * وكان قد سار متسكرا عند دخوله مصر الى
كاهن المشتري في واحات سيموه واستجوب الكهانة فعرفه الكهنة وقالوا له انك ابن المشتري
صاحب هيكل طيبة اليونانية وان سرك سرى الى معبد سيموه * قال أصحاب الآثار ومع ما حكاه
المؤرخون من سير الاسكندر الى تلك الاصقاع فانه لم يوجد من الآثار القديمة ما يدل على
ذلك سوى انه رأى اسم الاسكندر منقوشا على مصرعى باب مصنوع من الحجر الصوان عثر
عليه من عهد قريب بجيزة أسوان اه * وكان يظهر التجلد والتببات وقد أسند ظهره يوما الى
وسادة وجلس على عادته ويده ممدودة تقبلها الجند فسأله بعض كبار دولته عن يخلفه فقال
خليفتي عليكم أصلحكم بحفظ ناموس الملك * ثم قال انى لارى أنه لا بد أن يقع بينكم الفشل
والشقاق فتنصرم جبال عهدكم وسأله أحد كبار قومه متى نعدك في عداد الآلهة المعظمين
فقال لا أستحق هذا الاعتبار الا اذا سعدتم بعدى ولم تنفصم عروة اتحادكم

ومات وله من العمر اثنتان وثلاثون سنة وثمانية أشهر وذلك نحو سنة ست وأربعين
وتسعمائة قبل الهجرة أى نحو سنة أربع وعشرين وثلاثمائة قبل الميلاد فكانت مدة حكمه
اثنتي عشرة سنة ولم يعقب وارثا لسير الملك اذ لم يكن له من الاخوة الا أخ لاب يدعى
فليبس اريدس وكانت أم هذا الولد رديثة الاصل ليست من ذوى البيوتات العالية
وقد تسرى بها فليبس أبو الاسكندر فرزق منها بذلك الغلام وكان للاسكندر أيضا ولد
من زوجته (باريسينه) بنت دارا الملك اسمه (هرقولس) وكانت زوجته التى مات
عنها وهى (روشنك) بنت ملك همذان حبلى ومشرفة على الوضع فكان يرجى ان
تضع ذكرا ولذلك أمست ولاية عهد الاسكندر منحصرة فى اثنين وثالث موهوم ظهوره فأما
الاثنان فأحدهما فليبس اريدس أخو الاسكندر كان ضعيف الرأى لا يقدر على حمل
أعباء هذا الملك الجسيم فلذلك كان لا يصلح للخلافة وكان ثانيهما ابنه (هرقولس) لانجربة
عنده ولا خبرة بسياسة الممالك فكان كذلك لا يصلح لتولى الملك بعد أبيه فاشتد الخطب لذلك
على أمراء جنود الاسكندر وخاف أعيان دولته من زهاب الملك وتزريق ما جمعه
الاسكندر واختلفوا فيما بينهم بتولى هذا الملك العظيم بعده وكان ممن امتاز من قواد وأمراء
الاسكندر بالمجد والنسب العريق والامتيازات الجندية والملكية ثمانية أمراء وهم (برديقا)
(واليونات) (وانطباطير) (ولوزيماك) (وبوطون) (وبوطسطس)
(ومينارخس) (وبطليموس) فكان من هؤلاء الثمانية أن اجتمعوا فى غداة موت
الاسكندر حول سريرته ووضعوا عليه علامات الملك الخصوصية وسلاحه وتشاورا فيما يخلفه
فرأى أحدهم (برديقا) أن يولى مولوده من زوجته (روشنك) حيث كان قد أزف
وقت ميلاده ورأى (مينارخس) ان الذى يصلح لذلك هو ابنه (هرقولس) فدفع (بطليموس)
القولين وقال انهما من أسباط ملوك العجم فلا يصلحان للملك على انا لو سلمنا الملك لاحدهما

لترتب على ذلك تسليم ملك مقدونيا لملوك فارس والرأى عندي ان نجعل ادارة جميع مملكة الاسكندر شوري بين قواد الجيوش وأمرء الاجناد وبينما هم يتكلمون في هذا الامر اذا بصوت في وسطهم يقول انا نبايع أبا الاسكندر خليفة على كرسي أخيه ونلقبه بفيلبس وكان هذا الاسم محبوبا عند المقدونيين ثم انتدب رئيس جنود الاسكندر ونادى بالبيعة فعارضوه واستعانوا عليه بأمرء الفرسان فظهر في الحال بينهم (فيلبس اريديس) أخو الاسكندر وعليه الحلة الملوكية برى ملوك فارس فبايعه عند ذلك السواد الاعظم والجمهور من الاهالي والجنود ثم أمر بتخنيط جثة الاسكندر وكانت قد أقيمت بلادفن مدة سبعة أيام وأخذ في تدبير الامور على ما يشاء وكان من أمره ما سيذكر بعد

(في الملك اريديس فيلبس)

(ويسمى أيضا)

(ارهيدة فيلبس)

بويج اريديس فيلبس بالملك بعد موت أخيه الاسكندر بسبعة أيام وذلك سنة اربع وعشرين وثلثمائة قبل الميلاد أي سنة ست وأربعين وتسعمائة قبل الهجرة فلما استقر به المنصب وزع الايالات والمناصب الملكية على طوائف أمرء الاجناد والعساكر ومشاهير الرجال وقلد (بطليموس) النيابة على مملكة مصر وشاركه في ملك مقدونية ابن أخيه الاسكندر الثاني فكان مغلوبا على أمره وليس له من الملك سوى الاسم فقط وكان الامير (برديقا) وصي الاسكندر على ممالكه وهو الذي سلمه خاتمه عند ما أحس بان حياته على شفا وهو صاحب الكلمة على جميع ممالك مقدونية * وقيل بل إن الاسكندر لما احتضر استدعى أربعة من أمرء جنده الذين هم من ملوك الطوائف وجعل بيدهم أمر تقليد ملكه ان يستحقه فكان من الامير برديقا المذكور أن تغلب على خاتم الاسكندر عند موته وسعى في أن يستولى على جميع الممالك وطمع في سلطنته وكان للاسكندر اكبر أخت تسمى (قلوبطره) فتزوج بها الامير برديقا المذكور لظهور أمره فانكر عليه ذلك أربعة من ملوك الطوائف ومنعوه فخاف برديقا على نفسه وسار الى مصر فرارا من أعدائه طمعا في أخذها من بطليموس نائبها فخرج بطليموس لقاؤه فالتقى الجعان عند مدينة منف واقتتلا قتالا شديدا فانهمز برديقا هناك شرهزيمة وغرق في نيل مصر وتبدد من كان معه من الخوارج

ولم تصف الايام لاريديس فلبس بتملكه البلاد والتصرف في أمورها بعد موت برديقا حتى قامت عليه ((لينبادة)) زوجة الاسكندر الاكبر فقتلته في سنة تسع وثلاثين وتسعمائة قبل الهجرة لسبع سنين من حكمه فخلفه الاسكندر الثاني ابن الاسكندر الاول من لينبادة المذكورة

(في الملك اسكندر الثاني)

وتولى اسكندر الثاني ابن اسكندر الاول الملك نحو سنة سبع عشرة وثلاثمائة قبل الميلاد أى سنة تسع وثلاثين وتسعمائة قبل الهجرة وكان قد لقب ملكا في طفولته أيام اريديس فلبس فلما مات اريديس المذكور انفرد بالحكم وتحت له البيعة الكبرى ولكنه كان مغلوبا على أمره وكانت الكلمة اذ ذاك للامير ((انطيباطير)) أحد الاوصياء الاربعة وبقي على هذا الحال حتى مات انطيباطير المذكور فأوصى به الامير ((بيطون)) أحد الاوصياء باغراء بطليموس نائب مصر وكان للامير انطيباطير ابن اسمه ((كسدره)) فلما رأى من تغلب بيطون على مسند أبيه بغير حق لضعف الملك وعدم قدرته على تدبير أمور المملكة قام على ((كسدره)) المذكور فقتله وتغلب على مملكة مقدونية وقتل لينباده ام الاسكندر الثاني وجل الناس على المبايعة له وذلك سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة فكانت مدة حكم الاسكندر الثاني منفردا ست سنين لاغير

وكانت مصر في أيام كل من اريديس فلبس والاسكندر الثاني المذكورين تابعة لمملكة مقدونية كما كانت في أيام الاسكندر الاكبر اذ دلت على ذلك آثارهما في ديار مصر وقد وجدت لفيلبس مقصورة جميلة الصنعة من حجر الصوان بناها في هيكل الكرنك وسط مقصورة أخرى من بناء الملك ((توتوميس)) الثالث امام محراب هذا الهيكل وكذلك وجدت بعض نقوش بهيكل الكرنك ولقصر مرسوم عليها اسم الاسكندر الثاني

وبموت الاسكندر الثاني هذا انقرضت الدولة الثانية والثلاثون فكانت سنو ملكها سبعا وعشرين سنة كما تقدم وقامت من بعدها الدولة الثالثة والثلاثون أعني بها الدولة اليونانية الملقبة بالدولة البطلموسية وهي رأس الدور الثاني بعد الجاهلية أى دور النصرانية والتمدين بالدين المسيحي كما سبق الكلام على ذلك في محله

(الباب الثالث)

(في الدولة البطلموسية اليونانية وغير فصول)

(الفصل الأول)

في المسألة الثالثة والثلاثين

نسمى هذه الدولة باليونانية وتلقب بالبطلموسية أو البطالسة وكان مبدءاً ظهورها في نحو سنة خمس وثلثمائة قبل الميلاد أي سنة سبع وعشرين وتسعمائة قبل الهجرة وسبب ظهورها هو أنه لما تغلب (كسدر) بن انطيطاير على الاسكندر الثاني ملك مقدونية وقتله وحل الناس على المبايعته لبث نحو ست سنوات يدير أمور جميع مملكة مقدونية وملحقاتها مستبداً بحكمها لا يعارضه فيها معارض ولا يشاركه مشارك ثم لم يلبث أن جنح إلى المشاركة فاقسم الملك بينه وبين بطليموس نائب مصر في تلك السنة فصارت مصر من هذا الحين في حوزة بطليموس المذكور وعقبه من بعده مملكة مستقلة لا يشاركهم في حكمها أحد ثم انضمت إليها مملكة قبرس والقيروان بعد حروب طويلة هائلة ثم انفصلت عنها ثم اتصلت بها وعادت فأنفصلت عنها وهلم جرى وذلك بعد حروب وغزوات متتابعة

وبقي ملك مصر في أيدي هؤلاء البطالسة ثلاثة قرون متتابعة لا يقوى عليهم فيها محارب وصارت في هذه المدة الطويلة منفصلة عن مملكة مقدونية انفصال تاماً وكان ملوك هذه الدولة التي هي دولة البطالسة أربعة عشر منها ثلاثة عشر ذكراً وواحدة أنثى وهي الملكة كلوبطره وكان رأسها الملك بطليموس الأول الملقب بسوطير يعنى الخاص وتعرف هذه الدولة أيضاً بالدولة المقدونية الثانية وسنأتى هنا على ذكر أخبار ملوكها على التعاقب واحداً فواحداً وأولهم بطليموس الأول

(في الملك بطليموس الأول)

هو أول ملوك البطالسة ورأس دولتهم وقد أصاب مصر نصيبه حين اقتسم بينهم ملوك الطوائف ممالك الاسكندر الأكبر بعد موته وبطليموس هذا ابن لاغوص أحد فواد جيوش فيلبس أبي الاسكندر الأكبر فكان بطليموس المذكور مشاركاً في أيام شقيقته للاسكندر في الحروب واقتسام الخطوب ولذلك رفع الاسكندر قدره حتى صار رئيس

فرساته فأحسن الرئاسة في جميع غزواته وما زال على القدر مرموقا بعين الاعتبار حتى تولى ملك مصر فلما استقر به المنصب أحسن التدبير والسياسة واستمال محبته المصريين وأتى إليه أعيان القيروان مستجدين مما حبل بهم من جمهور الرعية لخروجهم عليهم وطردهم من البلاد فأجارهم وقام بنصرتهم بجيش عظيم وعدة من سفن الحرب فهزم أهل القيروان واستولى على بلادهم وعاد إلى مصر ظافرا غانما ثم جهز لغزو الشام جيشا وبعث به إليها فاستولى على أصول السواحل الشامية وبقيت في قبضته مدة ثم أغار عليها أنطيفونس أحد ملوك الطوائف فاستلبها وسار دمتريوس بن أنطيفونس المذكور قاصدا مصر يريد الإغارة عليها فأحس بطليموس بذلك وسار بجنوده لملاقاة دمتريوس المذكور فالتقى الفريقان عند غزة واقتل فيها قتالا شديدا انكشف عن هزيمة دمتريوس شريفة فرق بطليموس لحاله وأعاد إليه جميع الأسرى وسير إليه سفيرا يقول له لم يكن قصدي من محاربة أنطيفونس وولده دمتريوس تحصيل الغنائم والسبايا وإنما قامت الحرب بيننا لمخالفتها العهود وتعهدهما على العراق وأخذها من مملكتها * وتلك بطليموس عقب هذه الواقعة على مدينتي صور وصيدا ولكنهما لم يبقيا تحت حكمه طويلا حتى قام أنطيفونس وابنه دمتريوس وجردا جيشا ضخما جدا وقتلا بطليموس عليهما حتى أخذاهما وقعدن بطليموس جميع حصونهما ثم لارأى بطليموس من توالي الحروب والغزوات وسوء النتائج المترتبة على ذلك عمد إلى ترك الحروب والخلود إلى السلم وتفرغ بقية أيام حياته لتنظيم أمور المملكة ونهض إلى تميم الهياكل والقصور والمباني والمعامل التي أنشأها بمدينة الاسكندرية وبني للاسكندر الأكبر ضريحا عظيما جدا وقد خفي الآن عن عيون الباحثين وأنشأ منارة الاسكندرية على شاطئ البحر الملح المنافع المسلحة وهي من العجائب وبني مدرسة الاسكندرية المعروفة باسم الرواق وجع فيها جميع علوم تلك الأزمان من فلسفة ورياضيات وطب وحكمة وآداب وهيئة وكانت هذه المدرسة موصلة للقصر الملوكي وقد جلب إليها طائفة من علماء اليونان وغيرهم من سائر البلدان فأصبحت مدينة الاسكندرية دارا للعلوم ومركزا لسائر الفنون وكانت هذه المدرسة تحتوى على ايوانات عظيمة ورواقات حسنة البناء والشكل وأنشأ فيها خزانة للكتب جمع فيها أقدم الكتب وأجلها فكثرت عنده الكتب النافعة وبلغت في الكثرة مبلغا جسيما جدا

وكرت في أيامه التجارة وراجت أسبابها بمدينة الاسكندرية وأتى إليها الناس من البلاد القاصية والدانية مثل بلخ وهمذان والسودان والهند والحبشة وغيرها وبلغت البلاد أقصى درجات التقدم والعران فضاقت مدينة الاسكندرية بالسكان ونزع إليها الناس من جميع الاقطار وكان لا يتعرض للاهالي في أمر دينهم ولا يحجر عليهم التمسك بعباداتهم القديمة ولا يتعرض للكهنة والاحبار ولما بلغ الثمانين من العمر عهد بولاية الملك من بعده لا كبر أولاده من إحدى زوجتيه واسمه بطليموس محب أخيه ثم ولده أمور المملكة بعد ان تنازل له عنها وذلك

سنة خمس وثمانين ومائتين قبل الميلاد أى نحو سنة سبع وتسعمائة قبل الهجرة وعمل
لابنه المذكور موبكا حافلا جدًا فكانت مدة حكم بطليموس الاول المذكور ثمانيا وثلاثين
سنة منها سبع عشرة سنة فى منصب النيابة واحدى وعشرون سنة فى منصب الملوكية ومات
بعد مضى سنتين من ملك ابنه بطليموس الثانى وهو فى الثمانين من عمره

(فى الملك بطليموس الثانى)

﴿ الملعب ﴾

(بفيلا دلفوس)

ثم قام بالامر بعده ابنه بطليموس الثانى الملعب بفيلا دلفوس أى محب أخيه تهاكا
لانه كان ييغض اخوته بويج له بالملك فى حياة أبيه كما تقدم وذلك سنة خمس وثمانين
ومائتين قبل الميلاد أى سنة سبع وتسعمائة قبل الهجرة وله من العمر أربع وعشرون سنة
فلما استقر به المنصب ساسيرة أبيه وكان ميالا للصالح محبا للسلم ولذلك صرف جل عنايته فى
توسيع دائرة العلوم والفنون وتعميم الصنائع والاكتثار من تحصيل الكتب فجمع منها عددا
عظيما أضافه الى مكتبة الاسكندرية واستمال ما يسطون السكاكن المصرى الى تأليف تاريخ
مصر باليونانية فقال الى ذلك وجع تاريخه من الدفاتر والسجلات الرسمية والاوراق القديمة
المحفوظة فى الهياكل والمعابد ولكنه لم يبق منها لجماعة المتأخرين الا شذرات قليلة ووسع
بطليموس المذكور نطاق التجارة فى ديار مصر فتمت واتسعت أبوابها وراجت أسبابها وبلغت
ديار مصر من العمران درجة لم يسبق لها مثال فقد حكى سيموقريطس أن مدن مصر بلغت
عندها فى أيام الملك بطليموس الثانى المذكور ثلاثا وثلاثين ألف مدينة ﴿ قلت ربما كان
فى قول هذا المؤرخ تغال كما هو دأب جميع أصحاب التاريخ الا الذين تنزهوا عن الهوى
وقايل ما هم وربما كان مراده بذلك ما يعم القرى والكفور ونحوها ﴾

وجدد بطليموس المذكور فى معرفة حقائق البلاد واستكشاف طرق البحار بالاسفار
فأرسل البعث لاستكشاف داخلية بلاد أفريقيا وبلاد سواحل بحر فارس وبعث
القبودان المسمى طيموسيطنس الى قلب النوبة من طريق مصعد النيل لاستكشاف حقيقة
مجره ومنبعه ولكى يسخر بلاد السودان لطاعته فوصل طيموسيطنس بعد مسيرة ستين يوما
الى جزيرة مروى بقرب شندى وبعث أحد قواده المسمى ارسططريون الى تلك الاصقاع
أيضا فجاء فيها وانعطف من هناك الى جهة المغرب فنجم عن ذلك اتساع نطاق التجارة بين
مصر وتلك الاطراف وانتظم عقدها مع النوبة وظهر علم جغرافية الارض بظهور جديد لم

يكن يعرف من قبل فسهل معرفة البلاد وعوائد أهلها وما فيها من نبات وحيوان قال
ديودور الصقلي لم يسبق لاحد التوغل في بلاد النوبة من أهالي الاعصر الحالية الى عهد
بطليموس ولم تصل معرفة أهل تلك الاعصار الا الى حدود ديار مصر جهة الجنوب لأن أهل
أواسط بلاد النوبة كانوا لا يحبون مجيء الاجانب الى بلادهم فكان في الوصول اليها غاية
الخطر ومنتهى الضرر ولذلك بقيت حقائقها مستورة الى أن سافر هذا الملك ودخل بها
مع جيوشه اه

وعقد العهود بين مصر والممالك الهندية والمشرقية بما يترتب عليه توسيع أبواب
التجارة وبدأ بحفر خليج السويس الذي كان قد شرع في حفره (نخاوس) الملك أحد الفراعنة
ودارا ملك فارس وجعل فم هذا الخليج من الجهة المعروفة بفرع طينة القريب من تل
بسطة وأوصله الى بحر السويس في الجهة الشمالية وأرسل أيضا من يستكشف له سواحل
جزيرة العرب الى بلاد الهند وسفنا لاستكشاف سواحل الحبشة وبلاد السودان الداخلية
وكانت اللغة اليونانية في أيامه قد امتدت الى أقاصي ممالك الارض فامر بترجمة
التوراة من العبرانية الى اليونانية لمنفعة اليهود القاطنين بارض مصر الذين أنساهم الاسر
والاسترقاق لغتهم وكان عددهم كثيرا جدا فترجمت وسميت هذه الترجمة من ذلك الحين بالترجمة
السبعينية لان مترجميها كانوا سبعين عالما وزوج ابنته المسماة برنيقه لانطيوكوس ملك
الشام واشترط عليه أن يكون للذكور من أولادها ورائة ملك الشام بعده ثم جهزها وحملها
الى الشام وعمل لها في مدينة انطاكية أفراحا عظيمة للغاية ثم عاد الى مصر مريضا وما زال
حتى مات سنة ست وأربعين ومائتين قبل الميلاد أي سنة ثمان وستين وثمانمائة قبل الهجرة
فكانت مدة حكمه ثمانيا وثلاثين سنة وخلفه ابنه بطليموس الثالث الملقب بالكريم

(في الملك بطليموس الثالث)

❖ الملقب ❖

(بالكريم)

ثم قام بالامر بعده ابنه بطليموس الثالث يوبيع له بالملك في نحو سنة ست وأربعين
ومائتين قبل الميلاد أي سنة ثمان وستين وثمانمائة قبل الهجرة وكان يلقب بالكريم ثم كما
وسخرية وقد لقبه العامة أيضا بلقب اطريفون ومعناه المهزول والاول أشهر ولم يكذبته قربة
المنصب حتى قامت الحرب بينه وبين ملك الشام فسار في جيش عظيم من المشاة والركبان
والفيلة وجهز سفنا حربية وأغار على البلاد التي قبل نهر القرات واستولى على مملكة أدنه

ومجاورها وعلى سواحل سيمواس وعلى ايلة عكا وسواحل اناطولى وجال في بلاد أعدائه وصال
وظفر وأبلى بلاء حسنا للغاية ثم اجتاز الفرات واستولى أيضا على الجزيرة والعراق وخوستان
واذربيجان وعزم على غزو فارس وجميع بلادها الى بلخ وهمذان فوردت عليه الاخبار بقيام
الفتنة في ديار مصر فكرر رجعا وترك تلك البلدان طوائف عسكره وأجناده ودخل مصر
مشقلا بالغنائم ومعه عمائل الاصنام المصرية التي كان استلبها قبيشاش ملك فارس من مصر
ثم عاد سليوقوس ملك الشام لغزو مصر والانخذ بالثار فلم يزل يقاتل في أرضه بطليموس
ودخل الشام وأخذ دمشق وميا فارقين وفرر رؤساء السليوقية من وجهه الى انطاكية وانزروا
فيها ولما كان في حروبه مع انطيوخوس ملك الشام نذرت زوجته برنيقه انه ان عاد
اليها سالما من غزوه تكسر شعر رأسها للزهرة فلما رجع ظافرا غائما وقت نذرها فقصدت
شعرها ووضعت في هيكل الزهرة فلم يبق زمنا حتى سرق من الهيكل نخاف الحراس من
الملك واستعظموا هذا الامر فلما علم الملك بالخبر التهب قلبه غيظا وأمر بالحراس أن يقتلوا
فدخل عليه بعض النجسين وكان متقدما في بابه وقال قد سمعت بخبر فقد شعر الملكة من
الهيكل فأنت أخبرت بما علمته من ان الزهرة هي التي نقلت شعر الملكة الى السماء ووضعت
بين النجوم فلما سمع الملك كلامه سربه وصفح عن الحراس ومن ثم سعى شعر الملكة برنيقه بين
الناس من جملة مجاميع النجوم

ومات بطليموس الثالث المذكور في سنة اثنتين وعشرين ومائتين قبل الميلاد أى نحو
سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة قبل الهجرة فكانت مدة حكمه خسا وعشرين سنة وقيل
أربعا وعشرين وخلفه ابنه بطليموس الرابع محب أبيه

(في الملك بطليموس الرابع)

﴿الملقب﴾

(محب أبيه)

ثم قام بالامر بعده ابنه بطليموس الرابع الملقب فيلوبا ترى محب أبيه بويح بالملك
سنة اثنتين وعشرين ومائتين قبل الميلاد أى سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة قبل الهجرة وكان
صيا فكان تفوذ الحكم لوزيره سوسيموس وكان سوسيموس هذا طاغية في السياسة
فأرغى للملك عنان السرف في اللذات وتركه يهيم في مجبوحه الخظوظ والمسررات وذلك
لكي لا يكون له شريك في الملك واحتجب بطليموس عن أرباب ديوانه وصار لاراهم الا نادرا
وصرف وجهه عن الملك والممالك والبلدان التابعة لمصر فكان لا يعلم شيئا عن أحكامها

وعمالها ولا عن جنسها وكانت مصر الى هذا الحين قد ملكت جميع الاراضي الشامية
الكائنة ما بين طرابلس ودمشق ولها عدة مدن خاضعة لها على سواحل بلاد آسية وعلى
الجزائر وكانت الثغور والاربطة في أيدي ملوك مصر من عكا الى الدردانيسل وبوغاز كالبيولي
وفيها من العساكر والاجناد شيء كثير جدا وكان وزيره سوسيبوس المذكور يبلغ في ابعاد
الملك عن النصحاء وأهل المعارف لئلا يقف منهم على حقيقة حاله وفساد رأيه ونجائته
فكان يوسوس اليه بالاراجيف والاخبار الباطلة التي لاحقيقة لها حتى صار يأخذ حذره
خوفا على نفسه وعلى تحتته واشتد به الخوف والتظير الى أن صار يأخذ الناس بالشبهات فاذا
رأه من أحد ريبة أمر بقتله وكان قد حضر الى مصر في عهد بطليموس الثالث
اقليومونس ملك اسبارطة مستجيرا ببطليموس في اعادة ماورثه عن أبيه من الملك وقد
نزعه منه ملك مقدونية فأتى بطليموس الثالث قبل ان يقوم بنصرته وبقي عهد بطليموس
اليه بذلك نسيا منسيا فلما استقر ببطليموس الملك راجعه اقليومونس في الامر ورغب اليه
في تنفيذ العهد الذي كان بينه وبين أبيه فلم يجبه الى ذلك لاسيما وقد كان انطيفونس ملك
مقدونية في هذا الحين قد مات وقام بالملك بعده ابنه وكان صغيرا يبلغ الخامسة عشرة من
العمر فألح اقليومونس على بطليموس واستحثه فلم يرض خوفا من العاقبة وأبى أن يعينه مخافة
ان يستولى على جميع بلاد اليونان فيعود ذلك بالضرر على مصر فغضب اقليومونس من
ذلك ووسم بطليموس الرابع بضعف العزيمة وعدم الاكتراف بالعهود وقال لأهلية لبطليموس
الا في الاتحاد مع الشبان الذين يلعبون بالمزامير فوصل هذا الكلام الى مسامع سوسيبوس
الوزير فزعم أن ملك اسبارطه المذكور انما أراد بقوله هذا اثمارة الفتنة في بلاد مصر
فقبض عليه وسجنه وجعله تحت الحرس والمراقبة فالتب اقليومونس غيظا وأقسم ان
لا يموت في حبس الظلم موت الجبان وأخذ يتربص الفرص حتى علم يوما بسفر بطليموس الملك
الى أبي قير فجمع أحبابه وأتباعه في وليمة فحضرها فلما تكامل عددهم خرج بهم نهرا
من سجنه شاهرا سيفه من غمده وهو ينادي في الناس بالخروج وشق عصا طاعة بطليموس فلم
يجبه أحد الى ذلك فصعد الى قلعة الاسكندرية وكسر أبوابها وأخرج من كان في حبسها
وسلحهم بالاسلحة ليستعين بهم فلم يفلح حيث قام عليه كبار جند القلعة وهزموه فخشى هو
وأصحابه من الوقوع في أيدي خصومهم فتقاتلوا وجاء الخبر الى بطليموس بما وقع وهو
بأبي قير ففكر راجعا بن كان معه من كبار قومه ورجال دولته الى الاسكندرية لاجناد نار
هذه الفتنة فلما علم بما جرى لاقليومونس وأصحابه أمر بصلبه ميتا وذبح زوجته تحتته
وأم أولاده حيث كان يتوجس منها شرا وذلك سنة عشرين ومائتين قبل الميلاد أي سنة
اثنين وأربعين وثمانائة قبل الهجرة وقام على بطليموس بعد ذلك انطيوكوس أخو سليوفوس
صاحب الشام يريد قتاله انتقاما منه جزاء ما فعله أبوه بطليموس الثالث بالديار الشامية من
القتل والنهب وغير ذلك وسار بخيله ورجله الى انطاكية التي هي مدينة السليوقية وكان بها

جند مصر يخفروها بعد نصرة بطليموس الثالث عليها فأخذها ثم سار الى الشام وكان قائد العساكر والاجناد المصرية بها الامير سيور ووطوس اليوناني فلما قرب انطيوكوس منها سلمه سيور ووطوس المذكور ما كان في خفارته من القلاع والحصون والمدائن كصور وعكا وغيرهما كراهة في بطليموس الرابع وانتقاما منه فهال بطليموس هذا الامر جدا وأزعجه وأرسل اليه قائدا من قواد جنده البكار بجيش ضخم للغاية فلما دخل الشام نزل ببيروت وهاجم انطيوكوس في جبالها فهزمه انطيوكوس شر هزيمة ووقعت جميع بلاد الشام في يده الى حدود مصر فألح وزراء بطليموس عليه في أن يذهب بنفسه لقتال انطيوكوس وكشف عار هذه الهزيمة فسار من الفرما الى الشام في سبعين ألفا من المشاة وخمسة آلاف من الفرسان وثلاثة وسبعين فيلا وكانت جنود انطيوكوس اثنين وسبعين ألفا من المشاة وستة آلاف من الفرسان ومائة واثنين من الفيلة فالتقى الجمعان تحت أسوار مدينة رافيا بين العريش وغزة واقتتلا قتالا عنيفا فاستظهر انطيوكوس على بطليموس ملك مصر من الجناح الذي كان يدبره انطيوكوس ولم يلتفت الى الجناح الثاني من جيشه وكانت عساكر الجناح الثاني قد انهزمت وعادت القهقري وهو لا يشعر بهزيمتهم فلما أحس بها أخذ في تلافى الامر فلم يفلح ودارت عليه رجي الهزيمة ومات من عسكره خلق كثير وولى من بقى منهم فاستولى المصريون على مدينة رافيا ومدن سواحل الشام وفلسطين وطرابلس ودمشق فلم ير انطيوكوس بعد ذلك بدا من عقد متاركة وهدنة مع بطليموس ملك مصر لمدة سنة واحدة

ودخل بطليموس يافا وسار الى بيت المقدس وسأل كاهن اليهود أن يريه مافي البيت فأبى عليه ذلك فحقد بطليموس على اليهود والتهب قلبه غيظا وعد ذلك اهانة وتحقيرا ورسم باستئصال شأفة يهود الاسكندرية وكتب لعامله بذلك فأوقع فيهم القتل والذبح حتى أفنواهم الامن طال عمره فاختنق وعاد بطليموس الى الاسكندرية ورايات النصر تحقق على رأسه وعاد الى الانهمالة في اللذات والشهوات وأسرف في اللهو وبالنس حتى انتهكت قواه وضعف بدنه فات في مجبوحة شبابه سنة خمس ومائتين قبل الميلاد أي نحو سنة سبع وعشرين وثمانمائة قبل الهجرة فكانت مدة ملكه سبع عشرة سنة وخلفه ابنه بطليموس الخامس الملقب بالمناجد

(في الملك بطليموس الخامس)

● الملقب ●

(بالمناجد)

ثم قام بالامر بعده ابنه بطليموس الخامس الملقب بالمناجد ببيع بالملك بعد أبيه

سنة خمس ومائتين قبل الميلاد أى نحو سنة سبع وعشرين وثمانمائة قبل الهجرة وكان وقتئذ غير بالغ سن الرشد فأقاموا عليه الامير أغا سقليس وصيا وهو أحد وزراء أبيه وبقي سوسينيوس وزير المملكة ومدير أمورها وكان أغا سقليس المذكور طامعاً سيئ التصرف فلما صفاله الجوازاد في ارتكاب الجرائم ومجاوزة الحدود وبالع وأسرف حتى نفرت منه طباع الاهالى وسمت نفوسهم وحقق الجند عليه حقدا شديدا فأوجس في نفسه خيفة لئلا يشقوا عصا الطاعة عليه فراسل أهل مقدونية ليعاهدوهم عسى أن يكونوا عوناً له على المصريين فلم يفلح ولم يعض بعد ذلك الأيام حتى قامت الفتنة على ساقها وخرج الاهالى والجند عن طاعة أغا سقليس وكان رأس هذه الفتنة طلابوليميس كبير الجند فلم يجد أغا سقليس له نصيراً ولا ظهيراً واشتد الخطب واستفحل أمر الفتنة (قال يوليس المؤرخ) وانقسم أصحاب الفتنة الى طوائف وجماعات واجتمع بعضهم في ميدان السباق وهم يضحون ويصيحون ويطوف منهم جماعة بين الناس ليهيجوا الخواطر ويحضوا الخلق على الثبات ومعاونة بعضهم لبعض بالخطب والمقالات المهيجة وانزوى بعضهم في الدور والحصون عند اشتداد الازمة وكان أغا سقليس في أثناء ظهور الفتنة وتجمع أولئك الجوع ناعماً في قصره فأيقظوه فلم يشعر الا وقد امتلأ ماحول القصر المملوكى وميدان التعليم والرحبات والملاعب من جوع الثائرين والاحزاب على اختلاف درجاتهم فسار عندئذ في أتباعه وأحزابه الى حيث الملك بطليموس وأمر فسد بابان من أبواب القصر بالاجار والتاريس وحسن الباب الثالث بالقوة العسكرية وتترس من خلفه هو والملك بطليموس وسائر أتباعهما فازداد اجتماع الناس وكثرت الضوضى وعلت الاصوات وتقاطر الناس من جميع انحاء المدينة حتى سدوا الطرق وملؤا الميادين وضجوا وعجوا ونادوا بأعلى الاصوات كأنما اعتراهم الجنون وبقي هذا الحال الى ضحوة النهار وطلبوا أغا سقليس ونادوا بخروج الملك وتركه ليسبقوا أغا سقليس كأس الهوان واشتد الجاس بالجند المقدونيين وحاصروا دهليز بيت الملك وبحثوا عن المكان الذى كان الملك مختفياً فيه فعثروا عليه فاقحموا الابواب وطلبوا الملك ليأخذوه فاشتد خوف أغا سقليس واستجار ببعض أعوانه وحراسه ورغب اليهم أن يستميلوا اليه فريق الاهالى وبعض طوائف الجند المقدونيين في تطير تنازله عن منصب الكفالة والوصاية فلم يجبه أحد لذلك فلما أبس من شفاعته الشفيع والمجانى هذا الخطب المريع مديد السلام الى العساكر المقدونية وسلم وأشار بذلك الى الاستئمان وكذلك تقدمت أخته أغا سقلية التى هى أم بطليموس الرابع وكشفت عن نديها وقالت لطوائف العسكر هذا الثدى هو الذى أرضع بطليموس واغتذى بلبنه فلا يصح اهانتة واذلاله وأكثر من الاستغاثة والتضرع فلم يرث أحد لحالهما ولم يلتفت اليهما وأخرجوا الملك من مكانه وأركبه الجند على جواد وذهبوا به الى الميدان وساروا به في وسط الجوع فلما رآوه فرحوا به وضجوا بأصوات التهليل وأقبلوا اليه وأجلسوه على سرير الملك وتقدم اليه من أمراء

الدولة جماعة يسألونه عما يفعلونه باغاسقليس ومن معه فأباح إراقة دمهم فرسموا الى بعض الجند أن ينادوا بذلك بين الناس وصفوف العسكر فرفع أحدهم صوته بالمناداة ففرح العامة ونجحوا ضجيج الاستحسان والفرح وتفرقت طوائف الجند وبقيت العامة وبينما هم على هذا الحال اذبرز في وسطهم رجل من أخصاء اغاسقليس اسمه فيلون وقال ((كيف بكم أيها الناس لو رأيتم اغاسقليس واقفا في وسطكم لاجناخ عليه وأنتم تجاهرونه بهذا العصيان وتقابلون نعمته بالكفران فافقهوا يا قوم ولا تكونوا من الضالين)) فلما سمعوا كلامه هجموا عليه فقاومهم أشد مقاومة فزقوا ثيابه وطعنوه بالرماح وسرى من هذه الساعة الموت والقتل في حزب اغاسقليس وقومه وأهل بيته والفواجسة ذلك الرجل في الميدان بعد قتله وهاجوا وماجوا وعلت أصواتهم فظهر اغاسقليس مكبلا بالسلاسل والاغلال فلم يمهله حتى أكبوه على وجهه وقتلوه ثم أتوا بأخنسه اغاسقلية مع بناتها وأقاربها فقتلوا وابعاهم شر قتلة ثم قتلوا زوجته المسماة ايسانة وقد كانوا أركبوها عريانة على جواد وقتلوا كذلك أتباعها والمتقربين اليها وكان المتولى القتل جهور العامة والغوغاء فأخشوا فيه وكانوا يقتلون البعض بعض الانياب والبعض يطعن الحراب وبعضهم كان يفتقأ العيون وكانوا كلما قتلوا واحدا مزقوه وقطعوا أعضائه وألقوها في الطرقات ولما عم القتل وعلمت النسوة اللاتي كن يخشدن من الملكة ارسنوية أم بطليموس بحضور فيلامون الذي قتلها الى مدينة الاسكندرية قن على ساق وقدم وأحطن بيئته وأردن الفتك به وقبض عليه وأخنسه ضربا بالعصى والاجار وقتلن زوجته في الميدان العام وكان له طفل على يديهما فتناولته أيدي العامة وأماوته خنقا ثم سكنت الفتنة وهدأت العامة وأقاموا الأمير اطلابوليموس قيما على بطليموس بدل اغاسقليس واستبشر الناس بالظفر ولكن لم يمض الا القليل من الزمن حتى ظهر الامر على خلاف ما كان يظن وذلك لانهم لما كان اطلابوليموس المذكور جنديا مجتبا لا خبرة له بفنون السياسة التي عليها حفظ شرف الدولة ومركزها خبط وخلط فترتب على ذلك انحطاط المملكة وضعف سطوتها وقد ساء تدبيره أيضا وانهمك وانكسب على الاعاب بالصولجان والترس مع جماعة الشبان وأكثر من المآدب والولائم وأسرف وبالع في مثل هذه النفقات وبذر في العطايا والمنح لسفراء ممالك اليونان ترفلا واستحبابا ووصل بنعمائه أرباب الملاهي والملاعب وأمرء العساكر والاجناد وكل من تردد على أبوابه واشتغل بجميع هذه الامور عن النظر في شؤون المملكة وقضاء مصالح الخلق واحتجب عن الناس ليتفرغ للملاذع وشهواته فلما زاد اسرافه على نفسه سلم عنان الحكومة ليدارسطومينين الرومي وأطلق له عنان الحرية ومتعه بالسلطة والنفوذ التام فلما أحس ملك الشام بضعف أحوال المملكة المصرية وعدم قدرتها على دفع من يقصدها بسوء قويت عزيمته للاخذ بالشار جزاء ما فعله المصريون في حرب رافيا فعقد مع فيلبس ملك مقدونية معاهدة دفاع فقام فيلبس بعساكره وأجناده وهجم على بونغاز الدردانيل وبونغاز كاليبولى وعلى بلاد دروم

ابلى التي كان بها المرابطون من عساكر مصر من عهد فتوح فيلادلف وقام كذلك ملك الشام وهجم على أملاك مصر في أرض الشام وعلى جهات الاناضول وكان بتلك الجهات من قبل مصر القائد اسقوباس فلقية اسقوباس بعسكره وقاتله فانصرت العساكر المصرية على ملك الشام نصرة عظيمة في سواحل الشام وبلاد فلسطين ولكنها لم تلبث ان انهمزمت على منابع نهر الأردن وأخذ صاحب الشام مدينة سامرة وغيرها من المدائن كالقدس وما زال حتى أخذ أيضا في خلال سنة جميع المدن التابعة لمملكة مصر بولاية أدنة وغيرها من ولايات الاناضول

وفرح انطيكوس صاحب الشام بنصراته المتتابعة وأخذ جميع أملاك مصر في بلاد الشام وناقت نفسه الى قتال الرومانيين وغزو ايطاليا ولكنه عاد خاف عاقبة ذلك وجعل نصب عينيه ما بين مصر والشام من أسباب المشاحنة وخشى انه ان سافر الى ايطاليا قام عليه بطليموس صاحب مصر وظفريه فأخذ من هذا الحين في التقرب من صاحب مصر وصالحه مصالحة نافعة تقوى روابط المحبة وتؤكد دوام الصلح بينهما وكان لانطيكوس بنت تسمى (قلوبطرة) فكان من شروط الصلح أن يزوجهها لصاحب مصر ويعهرها سائر أرض الشام حيث كانت هذه الاراضي محل النزاع بين مصر والشام فجعلها انطيكوس من نصيب ابنته قلوبطرة

ولبثت قلوبطرة في بيت أبيها تنتظر استدعاء بطليموس لها حيث هوم يدخل بها لعدم بلوغه سن الرشد الى ذلك الحين وبينما هي في بيت أبيها اذ قامت بمصر فتنة أخرى باسباب البغضاء الواقعة ما بين ارسطونيوس الوصي على بطليموس ملكها واسقوباس كبير الجنود وتمكن اسقوباس من مقاتلة ارسطونيوس بالاسكندرية وقد انضم اليه جميع العساكر والاجناد الرومية الذين كانوا في خدمة مصر واشتدت الفتنة وقامت على ساقها وتكاثرت أحزاب اسقوباس وخرجوا عن طاعة بطليموس الملك ووصيه وقام المصريون مع الملك وزاد بهم الغضب على اسقوباس وأحزابه وأبناء جنسه وقبضوا عليه وساقوه الى موقف التحقيق فتبنت خيائنه فحكم بقتله مع أحزابه وحرمان جميع أبناء جلدته من الخدمة العسكرية وفاز ارسطونيوس وظفر بعدوه ومن كان معه من الاحزاب قاوم واحتفل احتفالا عظيما وألبس بطليموس الملك التاج في محفل عام وسلمه صولجان الملك وهو يومئذ في الثالثة عشرة من عمره وذلك سنة ست وتسعين ومائة قبل الميلاد أي نحو سنة ثمانى عشرة وثمانمائة قبل الهجرة هذا ومع أن الفتنة كانت قد سكنت وأمست نارها رمادا وانكشفت عن جلوس بطليموس على سرير مملكته فانه شاع خبر موته وانتشر واتصل بانطيكوس أبى زوجته قلوبطرة فتاقت نفس انطيكوس الى أخذ قبرس والتخلص من رابطة العهد الذي كان بينه وبين بطليموس وكانت قبرس اذ ذلك تابعة لمصر فسير اليها سفن حربية فعصفت بها الريح وألقته على سواحل الاناضول ووردت اليه الاخبار بان بطليموس لم يزل على قيد الحياة فانثنى عن عزمه وصمم على عدم حل عقدة التحالف وكان قد مضى على عقد زواج

بطليموس بقلوبطرة ست سنوات فسار انطيكوس أبوها الى مدينة رافياين غزة والعريش
ومعه ابنته قلوبطرة وكان بطليموس الملك نازلا بها فالتقى الفريقان وبني بطليموس بزوجته
واستلم زمام الشام مهرالها

ولما استقر ببطليموس المنصب وتخلص من نير الوصاية ساء تدبيره وكثر ظلمه للرعية وتجب
فكان وصيه ينصحه ويحذره عاقبة أفعاله فكان لا يلتفت لقوله ولا يسمع لنصحه ويحقد عليه
في تهديده وتخويفه ثم عد الى قتله فدنس له السم فأت فلما نظف بقتل وزيره المذكور
واستبد برأيه ارتكب من المآثم والسيئات ما لم تستطع أن تحمله الاها الى فقاموا على قدم وساق وأثاروا
الفتنة حتى كادت تم جميع المدن ونادوا بخلع بيعة بطليموس من أعناقهم فانتدب بطليموس
لقتال أصحاب الفتنة الجنود اليونانية الذين كانوا في خدمة الحكومة فسار بهم قائدهم
بولقراطس وضيق على الثائرين حتى استسلموا وكان بطليموس متمنا بمدينة صالجر فسار
رؤساء الاحزاب اليه يطلبون الامان فقبض عليهم جميعا وقتلهم شرقلة ومثل بهم وذلك سنة
خمس وثمانين ومائة قبل الميلاد أى نحو سنة سبع وثمانمائة قبل الهجرة ولما سكنت الفتنة
واستتب له الامر عاد الى عسفه وظلمه للرعية وأخذ يجهز جيشا كبيرا لقتال سيلقوس الرابع بن
انطيكوس فاخترته المنية قبل أن يتم هذه الغزوة وذلك فى سنة احدى وثمانين ومائة قبل
الميلاد أى سنة ثلاث وثمانمائة قبل الهجرة سمع بعض الاعيان فوات والسبب فى ذلك أنه لما أكثر من
تجنيد الجنود الاجنبية لغزو سيلقوس وبالح فى الاكثار منهم سئل يوما من أين ندفع جوامك
هؤلاء العساكر ونشأت هذا الجيش فقال ما سبب هذا السؤال أما تعلمون أن أموال أحبائنا
هى أموالنا فدخلت من ذلك الحين الوساس والاراجيف فى قلوب أحبائه ودسوا له السم
فى الدسم فقتل عليه فكانت مدة حكمه أربعاً وعشرين سنة وخلفه بطليموس السادس الملقب
بمحب أمه على سبيل التسمك

(فى الملك بطليموس السادس)

﴿ الملقب ﴾

(بمحب أمه)

ثم قام بالامر بعده بطليموس السادس أكبر بنى بطليموس الماحد بويح له بالملك سنة
احدى وثمانين ومائة قبل الميلاد أى نحو سنة ثلاث وثمانمائة قبل الهجرة ولقب فيلوماطور
ومعناه محب أمه تهما ومخرية لانه كان ييغضها بغضا شديدا تولى الملك قاصرا وكانت
مدة قصوره أقل اضطرابا من مدة قصور أبيه لان أمه قلوبطرة كانت قد أصحلت حال

ابلى التي كان بها المرابطون من عساكر مصر من عهد فتوح فيلادلف وقام كذلك ملك الشام وهجم على أملاك مصر في أرض الشام وعلى جهات الاناضول وكان بتلك الجهات من قبل مصر القائد اسقوباس فلقية اسقوباس بعسكره وقاتله فانصرت العساكر المصرية على ملك الشام نصره عظيمة في سواحل الشام وبلاد فلسطين ولكنها لم تلبث ان انهمزمت على منابع نهر الأردن وأخذ صاحب الشام مدينة سامرة وغيرها من المداين كالقدس وما زال حتى أخذ أيضا في خلال سنة جميع المدن التابعة لمملكة مصر بولاية أدنة وغيرها من ولايات الاناضول

وفرح انطيكوس صاحب الشام بنصرته المتتابعة وأخذ جميع أملاك مصر في بلاد الشام وناقت نفسه الى قتال الرومانيين وغزو ايطاليا ولكنه عاد خاف عاقبة ذلك وجعل نصب عينيه ما بين مصر والشام من أسباب المشاحنة وخشى انه ان سافر الى ايطاليا قام عليه بطليموس صاحب مصر وظفر به فأخذ من هذا الحين في التقرب من صاحب مصر وصالحه مصالحة نافعة تقوى روابط المحبة وتؤكد دوام الصلح بينهما وكان لانطيكوس بنت تسمى (قلوبطرة) فكان من شروط الصلح أن يزوجهها لصاحب مصر ويعمرها سائر أرض الشام حيث كانت هذه الاراضي محل النزاع بين مصر والشام فجعلها انطيكوس من نصيب ابنته قلوبطرة

ولبثت قلوبطرة في بيت أبيها تنتظر استدعاء بطليموس لها حيث هوم يدخل بها لعدم بلوغه سن الرشد الى ذلك الحين وبينما هي في بيت أبيها اذ قامت بمصرف فتنه أخرى باسباب البغضاء الواقعة ما بين ارسطونيوس الوصي على بطليموس ملكها واسقوباس كبير الجنود وتمكن اسقوباس من مقاتلة ارسطونيوس بالاسكندرية وقد انضم اليه جميع العساكر والاجناد الرومية الذين كانوا في خدمة مصر واشتدت الفتنة وقامت على ساقيها وتكاثرت أحزاب اسقوباس وخرجوا عن طاعة بطليموس الملك ووصيه وقام المصريون مع الملك وزاد بهم الغضب على اسقوباس وأحزابه وأبناء جنسه وقبضوا عليه وساقوه الى موقف التحقيق فثبتت خيانتة فحكم بقتله مع أحزابه وحرمان جميع أبناء جلدته من الخدمة العسكرية وفاز ارسطونيوس وظفر بعدوه ومن كان معه من الاحزاب فأولم واحتفل احتفالا عظيما وألبس بطليموس الملك التاج في محفل عام وسله صولجان الملك وهو يومئذ في الثالثة عشرة من عمره وذلك سنة ست وتسعين ومائة قبل الميلاد أي نحو سنة ثمانى عشرة وثمانمائة قبل الهجرة هذا ومع أن الفتنة كانت قد سكنت وأمست نارها رمادا وانكشفت عن جلوس بطليموس على سرير مملكته فانه شاع خبر موته وانتشر واتصل بانطيكوس أبى زوجته قلوبطرة فناقت نفس انطيكوس الى أخذ قبرس والتخلص من رابطة العهد الذي كان بينه وبين بطليموس وكانت قبرس اذ ذلك تابعة لمصر فسير اليها سفنا حربية فعصفت بها الريح وألقته على سواحل الاناضول ووردت اليه الاخبار بان بطليموس لم يزل على قيد الحياة فانثنى عن عزمه وصمم على عدم حل عقدة التحالف وكان قد مضى على عقد زواج

بطليموس بقلوبطرة ست سنوات فسار انطيكوس أبوها الى مدينة رافياين غزوة والعريش
ومعه ابنته قلوبطرة وكان بطليموس الملك نازلا بها فالتقى الفريقان وبني بطليموس بزوجته
واستلم زمام الشام مهرالها

ولما استقر بطليموس المنصب وتخلص من نير الوصاية ساء تدبيره وكثر ظله للرعية وتجب
فكان وصيه ينصحه ويحذره عاقبة أفعاله فكان لا يلتفت لقوله ولا يسمع لنصحه ويحقد عليه
في تهديده وتخويفه ثم عد الى قتله فدرس له السم فأتى فلما ظفر بقتل وزيره المذكور
واستبد برأيه ارتكب من المآثم والسيئات ما لم تستطع أن تحمله الاها الى فقاموا على قدم وساق وأناروا
الفتنة حتى كادت تم جميع المدن ونادوا بخلع بيعة بطليموس من أعناقهم فانتدب بطليموس
لقتال أصحاب الفتنة الجنود اليونانية الذين كانوا في خدمة الحكومة فسار بهم قائدهم
بولقراطس وضيق على النافرين حتى استسلموا وكان بطليموس متمسكا بمدينة صالجر فسار
رؤساء الاحزاب اليه يطلبون الامان فقبض عليهم جميعا وقتلهم شر قتلة ومثل بهم وذلك سنة
خمس وثمانين ومائة قبل الميلاد أى نحو سنة سبع وثمانمائة قبل الهجرة ولما سكنت الفتنة
واستتب له الامر عاد الى عسفه وظلمه للرعية وأخذ يجهز جيشا كبيرا لقتال سيلقوس الرابع بن
انطيكوس فاخترته المنية قبل أن يتم هذه الغزوة وذلك في سنة احدى وثمانين ومائة قبل
الميلاد أى سنة ثلاث وثمانمائة قبل الهجرة سمع بعض الاعيان فوات والسبب في ذلك أنه لما أكثر من
تجنيد الجنود الاجنبية لغزو سيلقوس وبالع في الاكثر منهم سئل يوما من أين ندفع جوامك
هؤلاء العساكر ونفقات هذا الجيش فقال ما سبب هذا السؤال أما تعلمون أن أموال أحبائنا
هى أموالنا فدخلت من ذلك الحين الوسوس والاراحيف في قلوب أحبائه ودسوا له السم
في الدسم فقتل عليه فكانت مدة حكمه أربعاً وعشرين سنة وخلفه بطليموس السادس الملقب
بمحب أمه على سبيل التهكم

(فى الملك بطليموس السادس)

❦ الملقب ❦

(بمحب أمه)

ثم قام بالامر بعده بطليموس السادس أكبر بنى بطليموس الماجد بويح له بالملك سنة
احدى وثمانين ومائة قبل الميلاد أى نحو سنة ثلاث وثمانمائة قبل الهجرة ولقب فيلوماطور
ومعناه محب أمه تهكما ومخرية لانه كان يبغضها بغضا شديدا تولى الملك قاصرا وكانت
مدة قصوره أقل اضطرابا من مدة قصور أبيه لان أمه قلوبطرة كانت قد أصحلت حال

ابلى التي كان بها المرابطون من عساكر مصر من عهد فتوح فيلادلف وقام كذلك ملك الشام وهجم على أملاك مصر في أرض الشام وعلى جهات الاناضول وكان بتلك الجهات من قبل مصر القائد اسقوباس فلقية اسقوباس بعسكره وقاتله فانصرت العساكر المصرية على ملك الشام نصره عظيمة في سواحل الشام وبلاد فلسطين ولكنها لم تلبث ان انهزمت على منابع نهر الأردن وأخذ صاحب الشام مدينة سامرة وغيرها من المدائن كالقدس وما زال حتى أخذ أيضا في خلال سنة جميع المدن التابعة لمملكة مصر بولاية أدنة وغيرها من ولايات الاناضول

وفرح انطيكوس صاحب الشام بنصراته المتتابعة وأخذ جميع أملاك مصر في بلاد الشام وتاقت نفسه الى قتال الرومانيين وغزو ايطاليا ولكنه عاد خاف عاقبة ذلك وجعل نصب عينيه ما بين مصر والشام من أسباب المشاحنة وخشى انه ان سافر الى ايطاليا قام عليه بطليموس صاحب مصر وظفر به فأخذ من هذا الحين في التقرب من صاحب مصر وصالحه مصالحة نافعة تقوى روابط المحبة وتؤكد دوام الصلح بينهما وكان لانطيكوس بنت تسمى (قلوبطرة) فكان من شروط الصلح أن يزوجهها لصاحب مصر ويعمها سائر أرض الشام حيث كانت هذه الاراضي محل النزاع بين مصر والشام فجعلها انطيكوس من نصيب ابنته قلوبطرة

ولبثت قلوبطرة في بيت أبيها تنتظر استدعاء بطليموس لها حيث هولم يدخل بها لعدم بلوغه سن الرشد الى ذلك الحين وبينما هي في بيت أبيها اذ قامت بمصر فتنة أخرى باسباب البغضاء الواقعة ما بين ارسطونيوس الوصي على بطليموس ملكها واسقوباس كبير الجنود وتمكن اسقوباس من مقاتلة ارسطونيوس بالاسكندرية وقد انضم اليه جميع العساكر والاجناد الرومية الذين كانوا في خدمة مصر واشتدت الفتنة وقامت على ساقها وتكاثر أحزاب اسقوباس وخرجوا عن طاعة بطليموس الملك ووصيه وقام المصريون مع الملك وزاد بهم الغضب على اسقوباس وأحزابه وأبناء جنسه وقبضوا عليه وساقوه الى موقف التحقيق فثبتت خيائته فحكم بقتله مع أحزابه وحرمان جميع أبناء جلدته من الخدمة العسكرية وفاز ارسطونيوس وظفر بعدوه ومن كان معه من الأحزاب فأولم واحتفل احتفالا عظيما وألبس بطليموس الملك التاج في محفل عام وسلمه صولجان الملك وهو يومئذ في الثالثة عشرة من عمره وذلك سنة ست وتسعين ومائة قبل الميلاد أي نحو سنة ثمانى عشرة وثمانمائة قبل الهجرة هذا ومع أن الفتنة كانت قد سكنت وأمست نارها رمادا وانكشفت عن جلوس بطليموس على سرير مملكته فإنه شاع خبر موته وانتشر واتصل بانطيكوس أبى زوجته قلوبطرة فتاقت نفس انطيكوس الى أخذ قبرس والتخلص من رابطة العهد الذي كان بينه وبين بطليموس وكانت قبرس اذ ذلك تابعة لمصر فسير اليها سفن حربية فعصفت بها الريح وألقته على سواحل الاناضول ووردت اليه الاخبار بان بطليموس لم يزل على قيد الحياة فانثنى عن عزمه وصمم على عدم حل عقدة التحالف وكان قد مضى على عقد زواج

بطليموس بقلوبطرة ست سنوات فسار انطيكوس أبوها الى مدينة رافياين غزة والعريش
ومعه ابنته قلوبطرة وكان بطليموس الملك نازلا بها فالتقى الفريقان وبني بطليموس بزوجه
واستلم زمام الشام مهرالها

ولما استقر بطليموس المنصب وتخلص من نير الوصاية ساء تدبيره وكثر ظله للرعية وتجب
فكان وصيه ينصحه ويحذره عاقبة أفعاله فكان لا يلتفت لقوله ولا يسمع لنصحه ويحقد عليه
في تهديده وتخويفه ثم عد الى قتله فدرس له السم فأتى فلما نظفر بقتل وزيره المسدكور
واستدبر إليه ارتكب من المآثم والسيئات ما لم تستطع أن تحمله الاها الى فقاموا على قدم وساق وأثاروا
الفتنه حتى كادت تم جميع المدن ونادوا بخلع بيعة بطليموس من أعناقهم فانتدب بطليموس
لقتال أصحاب الفتنه الجنود اليونانية الذين كانوا في خدمة الحكومة فسار بهم قائدهم
بولقراطس وضيق على الثائرين حتى استسلموا وكان بطليموس متمنا بمدينة صالجر فسار
رؤساء الاحزاب اليه يطلبون الامان فقبض عليهم جميعا وقتلهم شرقلة ومثل بهم وذلك سنة
خمس وثمانين ومائة قبل الميلاد أى نحو سنة سبع وثمانمائة قبل الهجرة ولما سكنت الفتنه
واستتب له الامر عاد الى عسفه وظلمه للرعية وأخذ يجهز جيشا كبيرا لقتال سيلقوس الرابع بن
انطيكوس فاخترته المنية قبل أن يتم هذه الغزوة وذلك فى سنة احدى وثمانين ومائة قبل
الميلاد أى سنة ثلاث وثمانمائة قبل الهجرة سمع بعض الاعيان فسادا والسبب فى ذلك أنه لما أكثر من
تجنيد الجنود الاجنبية لغزو سيلقوس وبالغ فى الاكثار منهم سئل يوما من أين ندفع جوامك
هؤلاء العساكر ونفقات هذا الجيش فقال ما سبب هذا السؤال أما تعلمون أن أموال أحبائنا
هى أموالنا فدخلت من ذلك الحين الوسوس والاراجيف فى قلوب أحبائه ودرسوا له السم
فى الدسم فقتل عليه فكانت مدة حكمه أربعاً وعشرين سنة وخلفه بطليموس السادس الملقب
بمحب أمه على سبيل التكم

(فى الملك بطليموس السادس)

● الملقب ●

(بمحب أمه)

ثم قام بالامر بعده بطليموس السادس أكبر بنى بطليموس الماجد بويع له بالملك سنة
احدى وثمانين ومائة قبل الميلاد أى نحو سنة ثلاث وثمانمائة قبل الهجرة ولقب فيلوماطور
ومعناه محب أمه تهكما وسخرية لانه كان ييغضها بغضا شديدا تولى الملك قاصرا وكانت
مدة قصوره أقل اضطرابا من مدة قصور أبيه لان أمه قلوبطرة كانت قد أصلحت حال

ابلى التي كان بها المرابطون من عساكر مصر من عهد فتوح فيلادلف وقام كذلك ملك الشام وهجم على أملاك مصر في أرض الشام وعلى جهات الاناضول وكان بتلك الجهات من قبل مصر القائد اسقوباس فلقية اسقوباس بعسكره وقاتله فانتصرت العساكر المصرية على ملك الشام نصره عظيمة في سواحل الشام وبلاد فلسطين ولكنها لم تلبث ان انهزمت على منابع نهر الأردن وأخذ صاحب الشام مدينة سامرة وغيرها من المدائن كالقدس وما زال حتى أخذ أيضا في خلال سنة جميع المدن التابعة لمملكة مصر بولاية أدنة وغيرها من ولايات الاناضول

وفرح انطيكوس صاحب الشام بنصراته المتابعة وأخذ جميع أملاك مصر في بلاد الشام وناقت نفسه الى قتال الرومانيين وغزو ايطاليا ولكنه عاد خاف عاقبة ذلك وجعل نصب عينيه ما بين مصر والشام من أسباب المشاحنة وخشى انه ان سافر الى ايطاليا قام عليه بطليموس صاحب مصر وظفر به فأخذ من هذا الحين في التقرب من صاحب مصر وصالحه مصالحة نافعة تقوى روابط المحبة وتؤكد دوام الصلح بينهما وكان لانطيكوس بنت تسمى (فلوبطرة) فكان من شروط الصلح أن يزوجهها لصاحب مصر ويعمرها سائر أرض الشام حيث كانت هذه الاراضي محل النزاع بين مصر والشام فجعلها انطيكوس من نصيب ابنته فلوبطرة

ولبثت فلوبطرة في بيت أبيها تنتظر استدعاء بطليموس لها حيث هولم يدخل بها لعدم بلوغه سن الرشد الى ذلك الحين وبينما هي في بيت أبيها اذ قامت بمصر فتنة أخرى باسباب البغضاء الواقعة ما بين ارسطونيوس الوصي على بطليموس ملكها واسقوباس كبير الجنود وتمكن اسقوباس من مقاتلة ارسطونيوس بالاسكندرية وقد انضم اليه جميع العساكر والاجناد الرومية الذين كانوا في خدمة مصر واشتدت الفتنة وقامت على ساقيها وتكاثرت أحزاب اسقوباس وخرجوا عن طاعة بطليموس الملك ووصيه وقام المصريون مع الملك وزاد بهم الغضب على اسقوباس وأحزابه وأبناء جنسه وقبضوا عليه وساقوه الى موقف التحقيق فثبتت خيائته فحكم بقتله مع أحزابه وحرمان جميع أبناء جلدته من الخدمة العسكرية وفاز ارسطونيوس وظفر بعدوه ومن كان معه من الاحزاب فأولم واحتفل احتفالا عظيما وألبس بطليموس الملك التاج في محفل عام وسله صولجان الملك وهو يومئذ في الثالثة عشرة من عمره وذلك سنة ست وتسعين ومائة قبل الميلاد أي نحو سنة ثمانى عشرة وثمانمائة قبل الهجرة هذا ومع أن الفتنة كانت قد سكنت وأمست نارها رمادا وانكشفت عن جلوس بطليموس على سرير مملكته فانه شاع خبر موته وانتشر واتصل بانطيكوس أبي زوجته فلوبطرة فتاقت نفس انطيكوس الى أخذ قبرس والتخلص من رابطة العهد الذي كان بينه وبين بطليموس وكانت قبرس اذ ذاك تابعة لمصر فسير اليها سفن حربية فعصفت بها الريح وألقته على سواحل الاناضول ووردت اليه الاخبار بان بطليموس لم يزل على قيد الحياة فانثنى عن عزمه وصمم على عدم حل عقدة التحالف وكان قد مضى على عقد زواج

بطليموس بقلوبطرة ست سنوات فسار انطيكوس أبوها الى مدينة رافياين غزة والعريش
ومعه ابنته قلوبطرة وكان بطليموس الملك نازلا بها فالتقى الفريقان وبني بطليموس بزوجته
واستلم زمام الشام مهرالها

ولما استقر بطليموس المنصب وتخلص من نير الوصاية ساء تدبيره وكثر ظله للرعية وتجبهر
فكان وصيه ينصحه ويحذره عاقبة أفعاله فكان لا يلتفت لقوله ولا يسمع لنصحه ويحقد عليه
في تهديده وتخويفه ثم عمد الى قتله فدرس له السم فأت فلما ظفر بقتل وزيره المذكور
واستبد برأيه ارتكب من المآثم والسيئات ما لم تستطع أن تحمله الالهة فقاموا على قدم وساق وأناروا
الفتنة حتى كادت تم جميع المدن ونادوا بخلع بيعة بطليموس من أعناقهم فانتدب بطليموس
لقتال أصحاب الفتنة الجنود اليونانية الذين كانوا في خدمة الحكومة فسار بهم فائدهم
بولقراطس وضيق على الثائرين حتى استسلموا وكان بطليموس متمسعا بمدينة صالجر فسار
رؤساء الأحزاب اليه يطلبون الامان فقبض عليهم جميعا وقتلهم شرقلة ومثل بهم وذلك سنة
خمس وثمانين ومائة قبل الميلاد أى نحو سنة سبع وثمانمائة قبل الهجرة ولما سكنت الفتنة
واستتب له الامر عاد الى عسفه وظله للرعية وأخذ يجهز جيشا كبيرا لقتال سيلقوس الرابع بن
انطيكوس فاخترته المنية قبل أن يتم هذه الغزوة وذلك فى سنة احدى وثمانين ومائة قبل
الميلاد أى سنة ثلاث وثمانمائة قبل الهجرة سمع بعض الاعيان فوات والسبب فى ذلك أنه لما أكثر من
تجنيد الجنود الاجنبية لغزو سيلقوس وبالغ فى الاكثار منهم شئ يوما من أين ندفع جوامك
هؤلاء العساكر ونفقات هذا الجيش فقال ما سبب هذا السؤال أما تعلمون أن أموال أحبائنا
هى أموالنا فدخلت من ذلك الحين الوساس والاراجيف فى قلوب أحبائه ودسوا له السم
فى الدسم ففضى عليه فكانت مدة حكمه أربعاً وعشرين سنة وخلفه بطليموس السادس الملقب
بمحب أمه على سبيل التكم

(فى الملك بطليموس السادس)

● الملقب ●

(بمحب أمه)

ثم قام بالامر بعده بطليموس السادس أكبر بنى بطليموس المجاهد بويع له بالملك سنة
احدى وثمانين ومائة قبل الميلاد أى نحو سنة ثلاث وثمانمائة قبل الهجرة ولقب فيلوماطور
ومعناه محب أمه تهما وسخرية لانه كان يبغيها بغضا شديدا تولى الملك قاصرا وكانت
مدة قصوره أقل اضطرابا من مدة قصور أبيه لان أمه قلوبطرة كانت قد أصلحت حال

المملكة ورتبت أمورها ووطدت أركانها بعناية وحزم ولما مات أبوه واتصل الخبر بذلك الى
 سيليقوس الرابع صاحب الشام تأقت نفسه الى الاستيلاء على ولايات مصر الى سواحل
 الشام ولم يراع حرمة أخته قلوبطرة ولا طفولية ولدها بطليموس فجهز العساكر وجند الجنود
 وعزم على الزحف أولا على وادي دمشق ثم على السواحل فبينما هو على أهبة القيام للقتال
 اذاخترمنه المنون وحالت بينه وبين ما كان ينويه وقام بالامر بعده انطيوكوس فلم يلبث ان
 سار على خطة سيليقوس بجيش الجيوش وجند الاجناد وعزم على تميم هذه الغزوة فلما أحست
 قلوبطرة بما فواه انطيوكوس راسلت جمهورية الرومان وطلبت منها حماية مملكة مصر وأن
 تكون تحت عنايتها وان يكون ولدها بطليموس تحت كفالتها فبعثت الجمهورية المذكورة
 أميرا اسمه ايميلوس لايدوس وجعلته كفيلة على بطليموس الملك وهو من طائفة الكهنة
 ولم تعش قلوبطرة بعد حضور ايميلوس الا قليلا وماتت فقام عند ذلك أهالي الاسكندرية
 على ايميلوس المذكور وخلعوه وولوا الكفالة اثنين من المصريين هما أوليوس الطواشي
 ولونيوس أحد أعيان الدولة وكان قد استولى ملك الشام في هذا الحين على سواحل دمشق
 التابعة لمصر فراسله الوصيان وطلبانه مرد ما أخذ من البلاد التي هي أحسن فاحتج عليهما وطلب
 كفالة ابن عمته بماله من الاولوية من الاجانب فحدث ان اشتغل الوصيان المذكوران بأمور
 أخرى عن فض الخلاف الواقع بين مصر والشام فاستفحل أمره بينهما واشتد بينهم الاخذ
 والرد وقامت الحرب على ساقيها ولما كان الرومانيون اذ ذاك مشغولين بالحرب مع برشاوش
 ملك مقدونية تعذر عليهم اعانة ملك مصر على صاحب الشام فتغلب صاحب الشام على ولاية
 دمشق ويهوذا وسواحل الشام الى حدود مصر واستولى على قبرس بخيانه القائم بحراسها
 فتقوى وتشددت عزائمه ورغب في الاغارة على مصر فقام ملك مصر بعساكره ونزل عند الفرما
 وقابل صاحب الشام قتالا شديدا فانهمز عسكر مصر في هذه الواقعة شر هزيمة ودخل
 انطيوفوس صاحب الشام الى مصر مؤيدا منصورا وأحسن معاملة بطليموس ملكها وقيل
 انه اعتذر اليه عما كان من قتاله اياه فلما رأى أهل ديوان الاسكندرية وجندها محل بملكهم
 وقومه من أسر انطيوفوس صاحب الشام اياه قاموا وبايعوا أخاه ولقبوه باويرجيطه الثاني
 ومعناه الرحيم وتأهبوا للقتال وأكثروا من جمع السلاح ومعدات الحرب وكان اويرجيطه
 هذا صبيا قاصرا فأحسن انطيوفوس بذلك وسار بجيشه الى الاسكندرية لقتال من بها من
 الاشرار فجهزوا للدفاع وشمروا عن ساعد الجسد وبعث اويرجيطه الملك وأخته قلوبطرة
 سفراء الى الرومانيين يستجدون بهم فوصل صاحب الشام الى الاسكندرية وحاصرها وضيق
 عليها وأطال مدة حصارها فكان من يهود الشام ان أشاعوا موته تحت اسوار الاسكندرية
 فقامت بسبب هذه الاشاعة الفتنة في داخل البلاد واشتدت وعظمت ووصل خبرها الى
 انطونيوس وهو تحت أسوار الاسكندرية فعزم على العود وترك الحصار فقام عند ذلك بطليموس
 السادس الذي كان في أسر انطونيوس وسار الى مدينة منف رجاء أن اختلافه مع أخيه

بطليموس اوير جيطه يكون داعيا لاستيلائه على تحت السلطنة ثانية وكان انطونيوس قد
تخلى عن المحافظة على مدينة الفرما ولم ينجح في اثاره الفتنة بين الاخوين وقد تمدها
وسار الى بيت المقدس فاستولى عليه وسلب ونهب وأراق الدماء وفي أثناء محاربته مع يهود الشام
والانتقام منهم جزاء ما أشاعوه من خبر موته تحت أسوار الاسكندرية اصطلم بطليموس
السادس محب أمه مع أخيه اوير جيطه بوساطة أختهما فلوبطرة وعقدا ائتلفا على دفع
العدو عن بلادهما ما استطاعا اذا عاد الى شن الغارة عليها وطلبا من الرومانيين ان يعفوا
اليهما يومئذ مختارا لاصلاح ذات البين بين مصر والشام ثم بعثا بقواد الخنود المصرية لقتال
سفن انطونيوس على سواحل قبرس الى أن يأتي الوفد الروماني

وفي فصل الربيع من سنة ثلاث وسبعين ومائة قبل الميلاد أي سنة خمس وتسعين
وسبع مائة قبل الهجرة أتت جيوش صاحب الشام الى حدود مصر وهجمت على البلاد
واستولت على جميع ما كان في طريقهم منها لحد مدينة منف ونصبوا معسكرهم على مقربة
من الاسكندرية وكان قد حضر في هذه الاثناء سفير من قبل الرومانيين اسمه بوبليون لنباس
فاوقف عسكر صاحب الشام عند الاسكندرية وعمل على اخراجهم من جميع أرض مصر
فخرجوا منها على أحسن وجه ولكن لم تحصل مع ذلك البلاد على ما كانت تتوق اليه
من الراحة بعد خروجهم اذ وقع بين بطليموس وأخيه اوير جيطه من الوحشة والخصومة
ما ترتب عليه غاية الفشل وتولدت عنه الحروب الداخلية التي لم يضل أصحاب التاريخ
الى معرفة تفاصيلها غاية ما قالوه عنها انها كانت سببا في ذهاب اوير جيطه الى رومة مستغيثا
بجمهوريةها فأرسلت معه سفارة وطلبت السفارة المذكورة من بطليموس ان يتنازل لأخيه
اوير جيطه عن مملكة القبروان وبرقة فلم يقنع اوير جيطه بذلك وطلب من مجلس رومة
ان يضم اليه أيضا قسما آخر من الايلات التابعة لمملكة مصر فقبل منه ذلك وأضاف اليه
جزيرة قبرس أيضا فأبى بطليموس ان يعطى جزيرة قبرس فأغضب امتناغه الرومانيين اذ
كانت لهم في ذلك الحين الكلمة النافذة في جميع الدول المشرقية وكان لا يتأق لائحد من
ملوك زمانهم ان يعارض لهم في كلمة أوزيريف لهم رأيا فرسم مجلس رومة لسائر الممالك
اليونانية وممالك آسية التي كانت يومئذ معاودة لزومة ان يمددوا اوير جيطه بجميع
الامدادات التي يحتاجها وان ينصروه على أخيه بطليموس ما استطاعوا فاستعان اوير جيطه
بهم وجهاز عسكرا لقتال أخيه وهاجه بجيش ضخم وقاتله قتالا عنيفا انكشف عن هزيمة
اوير جيطه ووقوعه في يد أخيه بطليموس فعامله بطليموس خيرا معاملة وصفح عنه الصفح
الجميل واشترط عليه ان لا يتطلع لمملكة قبروان وبرقة وبعض المداين من جزيرة قبرس
وأحكم بينه عرا المحبة والاتحاد بوعدة له بزواج ابنته كعادة البطالسة في ذلك الحين اقتداء
بملوك فارس فزال من بينهما الشكنا واستتب الراحة في داخلية البلاد وبقيت آمنة
مطمئنة حينئذ من الدهر

وكان في جزيرة قبرس من قبل ملك مصر عامل اسمه اريخياس فراسله صاحب الشام ومناه
بالاماني الطويلة لاذ سلم اليه قبرس فأحس بطليموس بذلك وهاج المصريون وماجوا
وكادت نار الحرب تضطرم بين مصر والشام وانكشفت خيانة اريخياس المذكور وخاب سعيه
واتضح أمره فقتل نفسه ودخل صاحب مصر الحقد على ديمتريوس صاحب الشام بسبب
إغوائه اريخياس وعقد النية على الانتقام منه وكان لبطليموس الملك صهر اسمه اسكندر
فدبر له ان يدعى انه ابن انطونيوس صاحب الشام فادعى ذلك وطلب الجلوس على تخت مملكة
أبيه فأجلسه على تخت سلطنتها وخلع ديمتريوس سوطير ملكها وسيره الى حرب ديمتريوس
وأمدته بالعساكر والجنود وقواه بمعدات القتال وآلات الحرب وما زال حتى ظفر بالملك
وقبض على زمام الاحكام فلما استتب له الامر طلب من بطليموس ملك مصر ان يزوجه
قلوبطره ابنته فزوجها له ووجهها وسار بها الى الشام وعمل لها هناك الافراح والولائم العظيمة
ولم يمض على الاسكندر المذكور في منصبه سوى ست سنوات حتى نمض ديمتريوس سوطير
يطالب بتاج أبيه وانحاز الى بطليموس صاحب مصر واستعان به فاعانه وجيش له جيشا عظيما
وسيره اليه من البر والبحر وسار هو معه فساعدته الأقدار وانتصر على صاحب الشام انتصارا
عظيما وأخذ الشام من فلسطين الى عكا وكان كلما ظفر بمدينة أو بلدة رتب فيها المحافظين
من الاجناد المصرية وأحكم المحافظة عليها فارتاب من فعله هذا امينيوس وزير صاحب الشام وعقد
النية على ان يقتله غيلة حرصا على ملك صاحبه اسكندر فأحس بطليموس بذلك واشتعر بما
فواه عدوه فرغب الى اسكندر في معاقبة وزيره امينيوس فلم يقبل فالتخذ بطليموس اباه ذريعة
للعرب وركب على الاسكندر وقاتله وتغلب على مدن سواحل الشام الى انطاكية وفرق بينه
وبين ابنته قلوبطره وساعد ديمتريوس بن سوطير على استرجاع مملكة أبيه وأعادها اليه
ثم زوجه ابنته قلوبطره فاتحدت بهذه المصاهرة مصر والشام وصارتا قوة واحدة
وقام بطليموس صاحب مصر على انطاكية فاستقبل أهلها وألبسوه تاجين أحدهما
تاج مصر والثاني تاج الشام فأبى ان يلبس تاج الديار الشامية بل آثر به ديمتريوس صاحبها
وكان يومئذ شابا فألبسوه اياه فكان مافعله بطليموس مع ديمتريوس مافعله قبله انطيوخوس
في مدينة منف مع ملك مصر سواء بسواء حيث كان صاحب الشام أعطى مملكة مصر
لاوربيطه وهذا من الاتفاقات الغربية

اما اسكندر فانه سار بمن بقي معه من قومه الى بلاد اليونان وكأنه قد تقوى قلبا فعاد
لقتال أعدائه فانهمز اسكندر تانيا وهرب عند شيخ حي من أحياء العرب والتجأ
اليه فحانه ذلك الشيخ وقتله وذلك سنة ست ومائة قبل الميلاد أي سنة ثمان وستين
وسبع مائة قبل الهجرة وبعث برأسه الى بطليموس صاحب مصر فلم يصل اليه الا وكان
قد مات هو أيضا حيث سقط عن ظهر جواده عقب انتصاره فاندق عنقه فكانت مدة
ملكه خمسا وثلاثين سنة قضاها بين حروب وغزوات وفي أيامه هرب أونياس الاسرائيلي
الى

الى مدينة الاسكندرية وتقدم الى بطليموس في بناء هيكل لليهود على اثار معبد في مدينة
تل بسطه لاشهار شعائر اليهود في مصر على مثال هيكل بيت المقدس فأذن له بذلك
ولمات بطليموس المذكور خلفه ابنه بطليموس السابع الملقب بأوباطور ومعناه
المسجد الاب

(في الملك بطليموس السابع)

﴿ الملقب ﴾

(بأوباطور)

ثم قام بالامر بعده ابنه بطليموس السابع الملقب بأوباطور أى المسجد الاب ببيع بالملك
بعد موت أبيه سنة ست وأربعين ومائة قبل الميلاد أى سنة ثمان وستين وسبع مائة قبل
الهجرة وكانت أيام حكمه قصيرة جدا حتى انه لم يذكره بعض المؤرخين في عداد البطالسة
الذين ملكوا مصر وانما نص بعضهم على أنه كان من البطالسة ثم ظهر للتأخرين منهم
استكشاف وثيقة معاهدة يونانية مكتوبة من ديوان مصر يعلم منها انه ابن بطليموس محب
أمه وانه تملك على مصر ولقب بالمسجد الاب وأنه تولى قاصرا وكفلته أمه فلو بطرة وحكمت
البلاد بالنيابة عنه مدة يسيرة جدا لاتعد مدة مستقلة بل متحدة داخلية في مدة أخيه بطليموس
الثامن الملقب اويرجيطه الثانى يعنى الرحيم

(في الملك بطليموس الثامن)

﴿ الملقب ﴾

(اويرجيطه الثانى)

ثم قام بالامر بعده أخوه بطليموس الثامن ولقب باويرجيطه الثانى ومعناها الرحيم
وبيان ذلك أن بطليموس هذا كان في أيام أخيه بطليموس المسجدا الاب ملكا على القيروان
فبلغه خبر موت أخيه المذكور قبل حصوله وكان شديد الرغبة في العود الى مصر وارتقاء
سرير ملكها فصدق الاشاعة وعقد النية على الرحيل الى مصر والقبض على زمام ملكها

فجهز لذلك جندا كثيرا وهم بالمسير فوردت اليه الاخبار بصحة موت أخيه وقد مات حقيقة في أثناء هذه المدة عن زوجته فلوطيرة التي هي أخته وعن ولدها القاصر منه المسمى بطليموس الماجد الاب فبادرت فلوطيرة بالمباينة لابنها المذكور ونادت بجلوسه على كرسى مملكة أبيه فلما قدم بطليموس الثامن الى مصر ووجد أخاه قد مات كما وردت اليه الاخبار وان ابن أخيه قد تولى ملك مصر لم يظهر ميلا الى الرئاسة ولم يتطلب الملك بنفسه بل طلب الوصاية على ابن أخيه فأبى فلوطيرة أن تمكنه منها فلم يطق ذلك وهجم بعسكره على مدينة الاسكندرية وفتحها عنوة وتزوج بفلوطيرة التي هي أخته قهرا عنها وذبح في يوم عقده عليها ولدها بطليموس على حجرها بيده وأمر بقتل أخزاب ابن أخيه عن آخرهم ثم تزوج على أخته فلوطيرة المذكورة بنتها من أخيه وبقي مع الزوجين الام وابنتها وأبقى لكتيها عنوان ملكة مصر فأوجبت هذه الافعال الشنيعة فضلا عن ظله وعسفه وجبرونه نفور جميع الرعية منه وبغضهم إياه نخشى عاقبة ذلك واتخذله جندا أجنيا لحبائه ورتب لهم الجاكي والمرنبات وولاهم المحافظة على مملكته فاشتدت بذلك كراهية الرعية له ونفورهم منه وكان كثير الانهماك في اللذات والشهوات منعكفا على المعاصي فقبحت في أعين الرعية صورته وكرهوا منظره وكان ضخم البطن قصير القامة لا يكاد يقدر على المشي لهذه العلة فلقبه لذلك أهل الاسكندرية بالبطين

وطال حكمه وتعتت أيامه وأكثر من الجور والظلم ولم يكن أطول ملكه من سبب سوى أن وزيره هو هياراش كان حازما محبوبا مهيبا عند الرعية نافذ الكلمة فيهم حسن التدبير والسياسة فكانت مدة وزارته مانعة لعطب المملكة حافظة لها من الاختلال واقية لها من الزوال ومع ذلك فانه لما اشتدت على الرعية وطأة الظلم والاستعباد قاموا في سنة ثلاثين ومائة قبل الميلاد أي سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة قبل الهجرة وأثاروا الفتنة وخرجوا عليه وحرقوا قصره فهرب وسار الى جزيرة قبرس وأخذ معه فلوطيرة الصغيرة وكان الذي أعان على ائثاره هذه الفتنة واضطرام نارها فلوطيرة الكبيرة فقد استدل على صحة ذلك أصحاب التاريخ بأنه لما كسر الاهالي تماثيل الملك زوجها ايدانا بعزله وتنزيله عن منصب الملك سلخوا زمام الحكومة وولوها أمور المملكة فلم تتأخر وارتقت سرير الملك آمنة وأخذت في تدبير الامور فرحة جزلة

ولما بلغ اوير جيطة الملك ما فعلته فلوطيرة زوجته كاد يتميز من الغيظ وخشى أن تباع ولدها منه على ملك البلاد فارسل من قبرس من يأخذه منها فبعثت به اليه فلما وصل قام عليه ونجسه ووضع أجزائه في زنبيل وبعث به الى أمه بالاسكندرية وبينما هي تحتفل بوليمة لمولدها اذ جاؤا اليها بجثة ولدها مذبوحا ممزقا فكادت تموت حزنا وتجهزت لحرب اوير جيطة زوجها وتجهز هو أيضا لقتالها وأكثر كل فريق منهما من الجند ومعدات الحرب وسلم اوير جيطة قيادة جيشه الى هجالوخس القائد وسلت فلوطيرة كذلك قيادة جيوشها

الى مرسياس والتقى الجمعان في ميدان مصر واقتتلا قتالا عنيفا فانهمز جيش قلوبطرة ووقع قائده مرسياس أسيرا في يد خصمه فبعث به الى اويرجيطة الملك في جزيرة قبرس فأحسن اويرجيطة معاملته وصفح عنه ليستميل بذلك اليه قلوب المصريين وتخزيت قلوبطرة بعد هزيمة جيوشها في مدينة الاسكندرية وخلعت تاج الملك على صهرها ديمتريوس نيقاطور ملك الشام وسارت هي الى الشام هاربة نجاة ديمتريوس الى الاسكندرية سريعا وحاصر الفرما وضيق عليها حتى صارت على وشك التسليم فقامت بالشام فتنة فخاف ديمتريوس استفحالها فسلم الاسكندرية مسلحا لاويرجيطة فركب اويرجيطة سريره سلفه ثانيا وعقد النية على الانتقام من ديمتريوس جزاء ما فعل فأغرى رجلا اسمه سيداطس على أن يدعي انه ابن انطيوخوس ملك الشام وأن له حق التملك عليها فقام وادعى ذلك ولقب نفسه باسكندر رزائيناس فبايعه خلق كثير ثم قام لقتال ديمتريوس فانهمز ديمتريوس وهرب الى صور فقتلته زوجته فيها فانتقل اليها ملك الشام وكانت تعلم ما بين رزائيناس واويرجيطة من البغض والشخصاء فتقربت من اويرجيطة صاحب مصر واستمرت على الحرب مع رزائيناس فانتصرت عليه بعناية اويرجيطة ومعاهدتها له وتزويج بنته طروفاة لابنها انطيوخوس اغريوس ومن هذا الحين سكنت الفتن والقلاقل واطمان اويرجيطة الملك واشتغل بزيادة كتب خزانة الاسكندرية على نحو ما فعله أسلافه من ملوك البطالسة زيادة كثيرة وكان له مشاركة في العلوم الحكيمية والفنون الادبية اذ كان قد تلقاها عن المعلم ارستارخس الشهير بالمعارف الادبية فانكب عليها وألف بعض الكتب والرسائل المفيدة في تلك العلوم

وفي أيامه سارت الرحلة العلمية لاستكشاف بحر الهند وكانت هذه أول رحلة ألفت من المصريين وسافرت لاستطلاع أحوال البحر المحيط الهندي تحت رئاسة القائد هودشيس القوزيقي وكان هذا القائد شجاعا قادرا على الاسفار جسورا على اقتحام البحار يحسن الارصاد الفلكية ويتبين مواقع تخطيط الارض فطاف حول افريقية وتم بالارصاد معرفة ما في البحر الهندي من الجزائر والبلدان في أيام بطليموس اويرجيطة المذكور ثم مات اويرجيطة في سنة سبع عشرة ومائة قبل الميلاد أي سنة تسع وثلاثين وسبعمائة قبل الهجرة فكانت مدة ملكه تسعا وعشرين سنة وخلفه بطليموس التاسع الملقب بسوطير الثالث

(في الملك بطليموس التاسع)

﴿ الملعب ﴾

(سوطير الثالث)

ثم قام بالامر بعده الملك بطليموس التاسع الملعب بسوطير بويج بالملك سنة سبع عشرة ومائة قبل الميلاد أى سنة تسع وثلاثين وسبعائة قبل الهجرة ولقب بسوطير الثالث ومعناه المخلص ولقب أيضا بوطونوس يعنى المحبوب ولاطوروس يعنى الارقط لانه كان له علامة في وجهه وهو أكبر ولدى بطليموس البطين من قلوبطرة الصغيرة وكانت أمه تبغضه وتب في أخاه الصغير المسمى اسكندر وتؤثره عليه وكانت متسلطة على قلب زوجها بطليموس البطين فحلمته على أن يبعث بولدها الأكبر المذكور الى جزيرة قبرس ليكون حاكما عليها وقصدت بتغريبه وإبعاده حرمانه من ولاية العهد وانتقال حق الملك لولدها اسكندر غير أنه قد خاب منها الظن وأخطأها الأمل فانه لما مات بطليموس زوجها قام أهل الدولة ورجالها والزموها بأن تستدعى ولدها لتخت أبيه فلم تربدا من استحضاره وأبسته تاج الملك واشترطت طلاق زوجته قلوبطرة وأخته وأن يتزوج إحدى أخواته المسماة سيلانة لطاعتها لامها وعدم عقوبتها فطلق قلوبطرة وتركها في جزيرة قبرس فلم يهدأ لها حال وصارت تتدخل في أمور دولة الشام ومصالحها فقتلت بأمر أختها طروفانة صاحبة الشام وتخلص بطليموس منها وتزوج بأخته سيلانة وصار في جميع أموره خاضعا لامه ولم يخالفها في شيء واسكنها كانت مع ذلك حاقدة عليه مضمرة له العداوة مريرة له التلغ فلما مات بنتها قلوبطرة صاحبة قبرس ولت بدلها ابنها الصغير اسكندر ملكا لترشحه للجلوس على مملكة مصر وكانت دائما على نية خلع ولدها بطليموس وتزيله ولا تسكف عن العمل على ذلك وبقي بطليموس المذكور وأمه زمنا طويلا على إدمان العداوة والاصرار على الدسائس الخفية وكل منهما يكل أمره الى حزب من أهل الشام يعضد أغراضه ثم كان من أم الملك المذكورة ان اتهمت ابنها بطليموس بأنه هم بقتلها بالسم وحزبت عليه جميع أهل الاسكندرية ليفتشكوا به فقر بطليموس الى قبرس فاستقدمت ابنها اسكندر الى مصر وباعته فباعه المصريون كافة وجعلوه ملكا على مصر كما سبذ كرفى محله ولم تقف قلوبطرة عند هذا الحد مع ولدها بطليموس بل جيشت لقتاله جيشا كبيرا وسيرت به ليخرجه من جزيرة قبرس ويجلبه عنها فخرج بطليموس الى سواحل الشام ومعه ثلاثون ألف مقاتل وهجم بهم على سواحل الاردن وهزم اليهود الذين كانوا على خلاف مع انطيوخوس القوزيقي ملك الشام واستولى أيضا على عكا وكانت يومئذ تابعة لمصر فلما علت قلوبطرة

أمه بخبر هذه الغزوة ونصرات بطليموس المتتابعة جهزت جيشاً ثانياً عظيماً وسيرته برا وبحر إلى الشام وقائلته على عكا فأخذتها منه وسار عسكرها لأخذ مدينة قيصري فلم يقدر واستمرت الحرب سجالاً إلى أن اصطلم الفريقان وانكفيا عن القتال وقد طالت أيام هذه الحرب إلى حد قامت معه الفتن في داخل البلاد المصرية وكثرت فيها الدسائس وكاد يعمها الخلل وتنتشر فيها القلاقل والاضطرابات وكثرت الأحزاب فوجهت قلوب بطرة عنايتها إلى حسمها بالتي هي أحسن فلم تفلح ورأت أن ولدها إسكندر الذي ولته ملك مصر ولقبته ببطليموس قد خرج عن طاعتها أيضاً ففقدت عليه وأضمرت له سوء وقصدت قتله والخلاص منه وأخذت تربص به السوء فأحس بذلك وخاف سوء العاقبة فتدارك الأمر وأسرع هو بقتلها واستبدت بحكم البلاد بلا منازع

ولما خلا له الجروبان مطلق اليدين طغى ونجبر وظهر ظلمه وعسفه وقيل أنه نبش قبر الإسكندر الأكبر وسلب تابوته المصوغ من الذهب واستبد له بتابوت من البلور فلم تطل مدته بعد ذلك إذ غضبت عليه الرعية وأبغضه العساكر وشددوا عليه الوطأة ففرّ هارباً إلى خارج مصر فقرر ديوان الإسكندرية حضور أخيه بطليموس سوطير ثانياً فاستقدموه من قبرس فقدم ففرح الناس بمقدمه وقد شوهد فيه من جيد الطباع وحسن الاخلاق ما حجب الناس فيه واستمالهم إليه وكان الإسكندر بعد أن خرج من مصر سار إلى بلاد بركة فاستولى عليها وقصد الاستيلاء على مدينة قبرس فلم يقدر ووقعت بينه وبين الجند المراكطين فيها حروب بحرية هائلة مات فيها وانغى ذكره وذلك سنة تسع وعشرين قبل الميلاد أي سنة إحدى عشرة وسبع مائة قبل الهجرة ولما استقر المنصب ببطليموس سوطير المذكر كوردانت له البلاد الامدينة طيبة أم الصعيد فانها لم تباعه ثانية وامتنع أهلها عليه وشقوا عصا الطاعة فسار إليها في جنده وقاتل أهلها وهزمهم واستولى على المدينة وقتل وسبي ونهب وسفك الدماء حتى أباد أهلها أو كاد ومحا آثارها وكانت من أعظم مدن مصر وأكثرها عمارة فأصبحت بعد ذلك وكأن لم تغن بالامس

وعادت مصر في أيام بطليموس سوطير هذا إلى شأنها الأول كما كانت وصار لها اليد العليا والكلمة النافذة على ممالك بلاد المشرق إذ أعاد لها شوكتها البحرية بتعمير السفن الحربية والتجارية والاقبال على فن الملاحة فرغبت الدول في معاهدتها وطلب سوطير يد اطمس ملك قابودوقيا وارمنستان عقد عهود المودة والولاء معها وكذلك الرومانيون فدل هذا كله على ما نالته من الشهرة والرفعة في ذلك الحين وما وصلت إليه من عزة الجانب

وكان بين ملك قابودوقيا وجمهورية الرومانيين شقاق وخلاف فكان كل منهما يرغب في معاهدة مصر رجاء الفوز على عدوه ومع الحاحهما بطلب معاهدتها فان بطليموس لم يرض أن يتعاهد مع الفريقين وعقد النية على أن لا يتظاهر بالمداخلة في حروب الدولتين لانه كان

يخشى اتساع نطاق صولة الرومانيين وقوة دواتهم لاسيما وقد كانت أخذة في النماء والزيادة
شيأ فشيأ فكان لذلك يعاون ملك قلوبدوقيا على عدوه سرا
ومات بطليموس حتف أنفه وترك مملكة مصر في عز ورفعة عظمتين جدتا وكان موته
سنة خمس وثمانين قبل الميلاد أى نحو سنة سبع وسبعائة قبل الهجرة فكانت مدة ملكه
وحده ومع أمه قلوبطره ستا وثلاثين سنة خلفته ابنه قلوبطره برنيقه على سرير الملك
ولكنها لم تحكم الاستة أشهر فتولى الملك بعدها بطليموس العاشر و بطليموس الحادى عشر

(فى الملك بطليموس العاشر و بطليموس الحادى عشر)

وهما اسكندر الثانى وأوليطيس

توليا الملك بعد برنيقه التى لم تحكم الا ستة أشهر لاغير سنة خمس وثمانين قبل الميلاد
أى سنة سبع وسبعائة قبل الهجرة وكان يعبر عن الاول منهما باسكندر الثانى وعن الثانى
بعنوان أوليطيس ومعناه الزامر وتحرير خبر توليتهما أنه لما مات بطليموس التاسع كان الرئيس
على جمهورية الرومانيين أميرا اسمه (سولا) وكان لاسكندر الاول البطليموسى ابن يسمى
اسكندر الثانى وكان مقبما فى ديوان متريداطس نزيلا فلما جاء الامير (سولا) المذكور الى
قالبودوقيا قائدا لعسكر الرومانيين الذين أتوا لقتال ملكها متريداطس وتنزيهه عن سرير الملك
مال اسكندر المذكور الى الامير (سولا) وانضم اليه عسى أن يكون له عون يوما ما
على ارتقاء كرسى مملكة مصر فسار الى (سولا) فأكرم (سولا) نزله وأخذه معه الى رومة
بعد انقضاء حرب قالبودوقيا فلما شاع الخبر بعث سوطير الثانى أخى الاسكندر المذكور وهو
بطليموس التاسع ملك مصر أرسل (سولا) رئيس جمهورية الرومانيين اسكندر المذكور لتولى
ملك مصر بدل أخيه فلما وصل اسكندر خشى الفتنة فعمد الى حسم أسبابها ومنع كل خلاف
بينه وبين الملكة قلوبطرة برنيقه فتزوج بها وشاركها فى الملك ولم يلبث معها الا ستة أشهر
حتى قام عليها وقتلها واستبد بالملك ولقب نفسه ببطليموس العاشر

ولما رأى كبار العساكر المصرية أن بطليموس المذكور معول على دولة اليونان ومعتمد
عليها وقد كان المصريون يعتبرونها أجنبية عنهم ولاحق لها فى التداخل فى مصالح بلادهم
عقدوا النية على قتله والتخلص منه ودبروا الامر وأحسنوا تدبيره فقتلوه ذبحا فى ماعب
بمدينة الاسكندرية بعد تسعة عشر يوما من استقلاله بالملك

ولم يكن اذذاك للبطالسة اللاغوسية أولاد ذكور من نكاح صحيح وإنما كان لسوطير
الثانى ولد من السفاح اسمه بطليموس أوليطيس يعنى الزامر لولوعه بسماع الزمار فولاه

المصريون ملكا عليهم ولقبوه ببطليموس الحادى عشر وتولى الملك وهو موسوم بأمرين بعدان من أقيص الصفات (كما قال بعض الكتاب) وأكبرهما عند المصريين أولهما كونه من السفاح وثانيهما ارتقاؤه المنصب الملوكى رغما عن رغبة الجمهورية الرومانية بل الذى كانت الجمهورية انتخبته وانتظم فى عداد معاهديها وكان يتوقع من الجمهورية المذكورة أن لا تعترف بملوكية بطليموس المذكور فلم تلبث أن أعلنت بعدم اعتبارها لولايتيه وأن سرير ملك مصر لم يزل غالبا من الذات الملوكية التى تستحق التولية المعتبرة وأن المنصب الملوكى قد خلا عن وارث له من السلسلة الملوكية فوجب لذلك أن يكون تحت كفالة جمهورية رومة بمقتضى وصية اسكندر الثانى ملكها قالت وسواء كانت هذه الوصية صحيحة أو ادعائية فهى على كلتا الحالتين واجبة التنفيذ طوعا أو كرها

وكان فى هذا الحين بأرض الشام من ذرية بطالسة مصر بعض بنات قد حلفن ذكورا واناثا من ملوك الشام فكان يطالبن أيضا بحقوقهن فى المنصب ويرغبن فى تقديم أولادهن على بطليموس الزامر فأكثرن من الشكوى مما فعله المصريون وكان ممن يطالب أيضا بمثل هذا أخت بطليموس سوطير المسماة سيلانة التى كانت زوجة بطليموس القوزيقى صاحب الشام وكان قد بقى لها من تعلقات ديار مصر بعض مدن على سواحل الشام كدينة عكا وكان لها ولدان من ملك الشام المذكور أحدهما يسمى أنطيوخوس والثانى يسمى سيليقوس فبعثت الى ايطاليا ابنيها لتطلب من جمهورية رومة أن تسعى فى ارتقاها المنصب الملوكى بدعوى أن المملكة المصرية قد انتقلت اليهما بطريق الميراث من جهة أمهما فأحس بطليموس الزامر بذلك وبعث الى رومية من قبله سرا عدة سفراء ليعارضوا فى مطالب الملكة سيلانة ويمنعوا أنطيوخوس وسيليقوس من دعوى ذلك لأنهما من أمراء الشام لامن أمراء مصر وليستميلا بالرشا والبراطيل بعض أمراء الجمهورية الرومانية ليكوفوا له عوناً على تنفيذ أغراضه فترتب على ذلك أن وقعت المذاكرات والمداولات فى مجلس رومة وتكررت بشأن ما يجب فعله فى مملكة مصر وفيما اذا كان يصح أن ترسل الجمهورية اليها جنودا رومانية ليقموا فيها اقامة مؤقتة لمنع الاختلال وحفظ قوام المملكة وتثبيت أقدام بطليموس الزامر وكان الحامل على هذه المذاكرات ونوالى الاجتماعات هو ما كان سفراء بطليموس المذكور يدفعونه من الرشوة والهدايا النفيسة فلم تنحل هذه العقدة لهذا السبب والسبب آخر وهو اشتغال الدولة الرومانية بالحرب التى كانت قائمة بينها وبين متريداطس ملك قبادوقيا فكانت هذه الحرب عائقا عن التفاتها لامور المملكة المصرية وتنجيز أغراضها فيها وما زال الحال بين أخذ وردّ والسفراء تغدو وتروح بين رومة ومصر حتى تمت هزيمة ملك قبادوقيا وخرج الرومانيون من قتاله فصرفوا الهمة لمصلحة مصر ووجهوا نحوها سهام أغراضهم وطلب افراسوس وبولوس قيصر رئيسا رومة يؤمض من مجلس الجمهورية أن يعينهما من قبله الى ديار مصر لاجراء ما تقتضيه مصلحتها فلم يقبل المجلس ذلك وفى سنة أربع وستين قبل الميلاد أى سنة ٦٨٦

قبل الهجرة طلب المستشار (دولوس) من المجلس المذكور أن تضاف مملكة مصر
للمملكة الرومانية وتكون إيالة ملحقة بإيالة رومة وكان في المجلس وقتئذ (قيكرون) الخطيب
الذي يقال له أيضا (شيشرون) وهو خطيب مصقع مشهور بالفصاحة وحسن الخطابة
فقام وخطب وأكثر من البراهين القاطعة على عدم موافقة اضافتها لما في ذلك من مخالفة
أحوال الملل والدول واحتج على وجوب استقلاليتها وأن تكون قائمة بنفسها مستقلة
بأحكامها كما يقتضيه موقعها الجغرافي فحكم المجلس بناء على ذلك بتخليص مصر من ورطة
التبعية لرومة وقضى بإبقاء استقلالها بنفسها على حاله وعدم التعرض لها بشيء البتة

وبينما كانت الجمهورية المذكورة تتوعد مصر بادخالها في عداد إيالاتها وتهتدها
بتبعيتها لها كان من بطليموس ملك مصر أن صرف وجهه عن موالة الجمهورية المذكورة
ومصادقتها في الباطن ولبت يراقب الحوادث فلما قامت الحرب بين متريداطس وبينها كما تقدم
القول عمد بطليموس الى ملازمة الحيادة وعدم التعرض للفريقين ولم يعتد المساعدة للرومانيين
بشيء مما البتة ولم يساعده دمتريداطس أيضا مساعده ظاهرة ولكنه كان يكاتبه سرا ويطلعه
على بعض الامور فلما عاد جيش الرومانيين من هذه الحرب وكان الرئيس على الرومانيين
يوشاذ الامير بومبيوس وكان قد نزل بالشام فبلغه في طريقه موت متريداطس عدو الرومانيين
فخرج على حدود الديار المصرية فعلم بطليموس ملكها بوصوليه وتخوف منه فأرسل اليه هدايا
فاخرة وواساه كل المراساة ورغب اليه أن يعينه على رعيته وكانوا قد قاموا عليه في هذا
الحين وأضرمو نار الفتنة في جوف البلاد فلم يقبل بومبيوس دخوله مصر وامتنع من اغاثته
بطليموس فألح عليه وطلب منه العون والحماية فعاد لاجابة طلبه وأسكن تلك الفتنة فلما
سار بومبيوس لحصار بيت المقدس أعانه بطليموس ملك مصر بالمال وأمدته بذخائر الحرب فلما
عاد بومبيوس الى رومة وكان قيصر ملكها لم يزل في منصبه الملوكي وكان بينه وبين بومبيوس
محبة أوصاه على بطليموس ملك مصر واستماله الى جانبه فجعله القيصر تحت حمايته وطلب
من مجلس رومة أن يقره على ملوكية مصر بعد أن كان قد قضى قبل ذلك بنزع الملك من يده
وذلك سنة تسع وخمسين قبل الميلاد أي سنة احدى وعشرين وستمائة قبل الهجرة

وأنفقت السلالة اللاغوسية الاموال الكثيرة في الحصول على حامية رومة حيث قرر
بعض أرباب المجلس الروماني بعد ذلك بمدة يسيرة اجابة لاغراض بعض أعضاء مجلس الامة نزع
ملكية جزيرة قبرس من يد ملكها الذي هو أخو بطليموس الزامر واصافها الى أملاك رومة
فأجيب الى ذلك وابتلعت رومة جزيرة قبرس مضغعة لينسة فأغضب ذلك ديوان الاسكندرية
وأهلها لانهم كانوا الى ذلك الحين شديدي الحرص على المحافظة على ناموس وطنهم وصيانة
أملاكهم أكثر من عسك ملوكهم بذلك فطلب أهل الاسكندرية من بطليموس الزامر أن يبذل
الجهد في نقض معاهدة الرومانيين وأن يهبط الى نزع قبرس بالقهر والغلبة ويعيد أخاه ملكا
عليها كما كان وقد كان بطليموس في هذا الحين لا يقوى على هذا الفعل ولا تؤمل منه القدرة على

حماية البلاد فلم يوافقهم على ذلك فقاموا عليه وأتاروا الفتنة فهرب من مصر خفية الى رومة يطلب الاعانة والمدد

وكان الرومانيون قد أقاموا الامير (قاطون) حاكما على جزيرة قبرس وسار حتى وصل الى جزيرة رودس فلحق به بطليموس الملك بعد خروجه من مصر ليزوره فلم يحتفل به ولم يكرم وفادته ولا مه على تركه مملكته وخروجه منها وأشار عليه أن يركب معه في سفنه ليوصله الى مصر ويتوسط له في الصلح مع الرعية وأكد عليه في ذلك فأبى بطليموس الرجوع وقال ان متيد السؤال على مساعدة رومة لأهون على من عودى الى مصر وطلب الصلح مع الرعية

واتفق أنه في خلال هذه المدة انقطعت أخبار بطليموس الزاهر عن مسامع أهل مصر ولم يبقوا له على أثر فظنوا موته وكان له بنتان كبيرتان وهما (قلوبطره طروفانه) و (برنيقة) فاتفق أهل البلاد على توليتهما الملك وبعثوا سفراء الى الشام يطلبون من انطيوكوس صاحبها الذي هو خال (قلوبطره) و (برنيقة) المذكورتين أن يحضرا الى مصر ويشارك برنيقة وأختها في أحوال المملكة وكان أنطيوكوس في هذا الحين قد خلع من ملك الشام وكان الذي خلعه بومبيوس رئيس رومة بعد طرد الرومانيين ملك الارمن فلما ذهب السفراء لطلبه لم يجدوه على قيد الحياة وفاته المنصب الملوكي كمفات أهل الاسكندرية غرضهم من التعاون به فعرض السفراء هذا المنصب على فيلبس أحد أقاربه للباقة للتملك على البلاد ورد الاجانب عنها فغضب غابنيوس كبير العسكر الروماني عن المسير الى الاسكندرية وحال بينه وبين هذه الامنية فتكلم السفراء مع الامير سيليقوس أخى انطيوكوس صاحب الشام فقبل المنصب وسار الى مصر فوجد قلوبطره طروفانه احدي الملكتين قد ماتت بعد أن حكمت مع أختها برنيقة سنة كاملة وبرنيقة منفردة بحكم البلاد فتزوجها واشترك معها في المنصب ولكنه لم يعيش معها الا قليلا حتى قتله خنفا وتزوجت بعده اريخيلوس كاهن هيكل البستان ببلاد الارمن وبقيت معه ويقال ان اريخيلوس هذا هو ابن متريداطس الاكبر ملك الارمن

أما بطليموس الزاهر فكان قد انتقل من جزيرة رودس ووصل الى رومة وتداخل مع أرباب الحل والعقد ورجال الجمهورية ودرج جميع ما قدر عليه من الدسائس والحيل وتوسل الى الرومانيين ليرجعوه الى منصبه ملكا على مصر فأرسلوا معه الامير انطونيوس الشهير الذي تقلد بعد هذا الحين قونصلية رومة وكان وقت بعثته في هذه السفارة قد تقلد امارة قبادوقيا وبلاد الارمن فتعهد للرومانيين بادخال بطليموس الى مصر وردتاج الملك اليه رغم أنف كل مكابر

واتفق أن حصل في ذلك الوقت خلاف وشقاق بين أعضاء جمعية رومة أدى الى المشاجرة والمهاجرة فتولد من ذلك قيام الفتنة في داخل البلاد واستفحال أمرها فغضب بومبيوس رئيسها وخرج من مدينة رومة فعاقت هذه الاحن تجيز سفر بطليموس الزاهر الى مصر وقد كان بومبيوس مظاهرا لبطليموس ومناصرا لاغراضه فبقى بطليموس في رومة لا يحرك ساكنا

أما أهل الاسكندرية فإنه لما اتصل بهم ان بطليموس على قيد الحياة وأنه يسعى سعيه في رومة أرسلوا اليها سفراء لأحباط مساعيه والعمل على نقيض مراده وأجازوا لهم أن يعتدوا معاييه ويترافعوا معه بالنيابة عن أهل البلاد في مجلس فاحتال بطليموس الزامر على قتل أكثرهم واستمال رئيسهم المسمى (ديون) وباعد بينه وبين مأموريته بالرشا والبراطيل فلم يفعل منها شئ وأبطلت رغائب بطليموس من رجوعه الى منصب الملك الى سنة خمس وخمسين قبل الميلاد أي سنة سبع وسبعين وستمائة قبل الهجرة حتى تولى بومبيوس الحكم على جميع الرومانيين وتلقب بلقب قونصل عليهم فلما استقر به المنصب كتب الى غابنوس قائد العسكر الروماني الأمور بغزو بلاد الفرس أن يسير ببطليموس الى ديار مصر ويعيد اليه تاج الملك وسير اليه بطليموس المذكور بالشام فلما وصل وجد غابنوس على عزم عبور القرات ليعيد متريداطس الثالث على إحدى ممالك فارس وقد كان طرده أخوه منها نخشي بطليموس العاقبة وتقرب الى غابنوس بالرشا والبراطيل ووعد بالاموال فلماطن في أذنيه صوت الدرهم والدينار مال الى قضاء مصلحة بطليموس وترك مأمورية متريداطس فصارت نسيا منسيا ومع كون قانون الرومانيين لا يجيز للولاة الخروج عن إياتهم بل يجيز لهم أن يرسلوا من يقوم مقامهم في مثل هذه المهمات فان غابنوس قام مع بطليموس الزامر الى مصر وترك لولده تدير البلاد في غيبته وأخذ من اليهود المدد فأمدوه بأصناف الإمدادات وسلم قيادة جيشه الى مرقوس انطيموس محب بطليموس (الذي سيأتي بيان اشتراكه مع قلوبطره ملكة مصر في التسلط على المملكة في محله) فوصل مرقوس المذكور أمام مدينة الفرما وقائلها وتغلب عليها وقيل انه أخذها بدون قتال بخيانة من بها من اليهود فقدم ارخيلالوس زوج الملكة مسرعا الى ساحة القتال وكان شجاعا في الحروب صنديدا في الشدائد والخطوب وهجم على جند غابنوس على مقربة من الفرما فانهمز عسكره ودخلت عساكر الرومانيين أرض مصر من البر ودخلت سفنهم قهرا من البحر وخزرت في النيل وسارت وهي صاعدة بلا ممانع ومع كراهة أهل الاسكندرية لبطليموس الزامر في الظاهر والباطن وعدم توقعهم منه الا السوء فانهم بمجرد ما رأوه وقد وفد عليهم وصار بين ظهرانيهم ورأوا من ارخيلالوس زوج الملكة تصميما على دفع جيوش الرومانيين وممانعتهم على قدر الاستطاعة وانهم على عزم أن يجهز مدينة الاسكندرية للحاصرة والدفاع خشوا العاقبة وكرهوا المدافعة لظنهم أنها لاتأتي بالآثر المطلوب وكثر نكدتهم في هذا الامر لاسيما لما رأوا ارخيلالوس المذكور يرسم خطوط الاستحكام ويخطط أخاديد هندسية ويحفر الخنادق للممانعة فأحس ارخيلالوس منهم بذلك ولوى عنان جهده عن هذه الخطة وركن الى المهاجة رجاء الظفر والتأييد ولكنه خاب في عزيمته وانهمز وقتل في هزيمته فلما علم انطونينوس قائد العسكر الروماني بقتل ارخيلالوس رثى لحاله وتأسف عليه وشيع جنازته بأعظم أبهة واحتفال لانه كان أضافه قبل ذلك بمصر فأكرم ضيافته واحتفل به غاية الاحتفال فلم ينس له هذا الجليل وبوت ارخيلالوس استقر الحال لبطليموس الزامر وجلس على سرير الملك ثانيا وقبض

على زمام الحكم بعناية الرومانيين ثم يلبث أن سلك في الانتقام أشنع المسالك وقتل بثه برنيقة وكثيرا من الاغنياء والاعيان وضبط أموالهم وسلمها للرومانيين العاملين معه فعاد غابنوس وقائد عسكره انطينيوس الى أوطانهم منتقلين بالذخائر والتحف والاموال الكثيرة وقد ترك غابنوس لبطليموس من يحرسه من ابطال الغالين الذين هم قدماء الفرنسيين ولم يفعل بطليموس المذكور شيئا لخير البلاد ولا لفائدة في مدة حكمه الاولى والثانية ومات في عنفوان شبابه سنة ثمان وأربعين قبل الميلاد أي نحو سنة سبعين وستمئة قبل الهجرة فكانت مدة ملكه مع مدة من حكم قبله وبعد حكمه الاول نحو تسع وثلاثين سنة وكان قد أرسل قبل موته الى مدينة رومة سفراء ومعهم وصية لمجلس الرومانيين ليحفظها بومبيوس تحت يده تتضمن وصايتة بملكة مصر لا كبر أولاده وبكر بناته بشرط عقد الزواج بينهما عند بلوغهما سن الزواج وأن يشتركا معا في الملك شيوعا وأن يكون الوصي عليهما الامة الرومانية وأن تعاملهما بمنطوق المعاهدة المبرمة بين الجمهورية والدولة المصرية فقام بومبيوس بتنفيذ هذه الوصية وعمل بحكم ما فيها على الوجه الآتي

(في الملك بطليموس الثاني عشر)

(الملقب)

(بدفيس يعنى الخمار)

ثم قام بالامر بعده ابنه بطليموس الثاني عشر الملقب بدفيس ومعناه الخمار كما أوصى أبوه وذلك سنة ثمان وأربعين قبل الميلاد أي سنة سبعين وستمئة قبل الهجرة ولم يكن عمره يومئذ الا ثلاث عشرة سنة فكان قاصرا وكان عمر قلوبطره الشهيرة الموصى لها بالملك بالمشاركة مع أخيها سبع عشرة سنة فكانت متأهلة للسياسة وتدبير الامور منصرف فيها دون أخيها لعدم أهليته ورشده فأقيم عليه ثلاثة أوصياء من أعيان المملكة المصرية وهم (بوطين الطواشي) و (طبودوطس) وزير الداخلية و (اخيلاس) رئيس الجند وكان هؤلاء الثلاثة أعداء لقلوبطره يكرهونها ولا يرغبون في اشتراكها مع أخيها في الملك ولما صدق مجلس رومة على تنفيذ وصية بطليموس الزاهر واستقر الملك ببطليموس الثاني عشر وأخته قلوبطره انتظما في سلك الملوك المعاهدين للرومان وكانت رئاسة الدولة الرومانية في هذا الحين في يد أميرين وهما (يولس) قيصر و (بومبيوس) وكانت قد ظهرت بينهما العداوة ووقع الفشل والاختلال فانقسم لذلك الرومانيون الى حزبين متخاصمين وانفرد كل من الرئيسين بحزبه فكان من وراء ذلك اشتداد الخصام ووقوع القتال بين الفريقين وازاقت الدماء هذرا فعزم بومبيوس عند ذلك على أن يهاجر من رومة الى بلاد اليونان وكانت يومئذ معدودة من الايلات الرومانية وتها للارتحال

فأرسل أكبر أولاده مع قائد من حزبه اسمه (قورنيليوس سيبوس) الى مصر ليجمع منها
عسكرا يستعين بهم على خصمه قيصر فأمدته قلوبطره بالزاد والراحلة وأعطته بستين سفينة
حربية وبالأبطال الغاليين الذين كان انتقامهم غابنيوس لحراسة الملوك البطالسة عند ما أرجع
بطليموس الزاهر الى منصبه وكان عددهم خمسمائة مقاتل فسار ابن بومبيوس الى أبيه بهذا
المدد ولم يكن على غرض الاوصياء فقد دوا لذلك على قلوبطره هذا الصنيع وحرصوا أهل
الاسكندرية على الخروج عليها فثارت فتنة عظيمة واتسع نطاقها وكادت تم البلاد تخافت
قلوبطره على نفسها وفرت الى الشام مع أختها الصغيرة المسماة ارسنويه

أما يولس قيصر فإنه قاتل بومبيوس وثار على قتاله حتى هزمه عند مدينة فرسة بولاية
ترحالتي ففر بومبيوس هاربا الى مصر وكان بطليموس الثاني عشر قد بلغ أشده فعزم على
السفر من الاسكندرية ليقفوا أثر أخيه قلوبطره ويقاومها فرأى سفن بومبيوس مقبلة وعلم
أنه جاء مستجدا لما له عليه من الايادي البيضاء فلم يحسن بطليموس نزله ولم تستفزه الخوة
لأن يأخذ بيد بومبيوس ولا تحرك خاطره لاستصراخه بل قبض عليه وقتله ولم يراع حقوق
الذمة

وكان قيصر متبعا أثر خصمه بومبيوس في كثير من سفن الحرب فحضر الى الاسكندرية
يبحث عنه ليقبض عليه وكان بطليموس اذ ذاك بقرب القرما يريد المسير الى الشام فرجع
على الفور الى الاسكندرية فلما أرسى قيصر بسفنه نزل اليه طيودوس وزير بطليموس ووضع
بين يديه رأس بومبيوس فلما رآها قيصر فاضت عيناه بالدموع ورثى لحاله وظهرت عليه
علامات الحزن والاسف وجهزه بكال الابهة والاحتفال وغضب مما فعله بطليموس وعزم على
الانتقام منه جزاء ما فعل بومبيوس وسيأتي بيان سجنه له ثم اطلاقه بشروط ثم اغرقه
مع جنده في النيل فكان ما فعله قيصر في حق بومبيوس بعد موته تطير ما فعله الاسكندر
الأكبر في حق دارا ملك فارس خصمه بعد موته بقتل أتباعه له حيث أسف عليه جدا
وقتل قاتله

ولما لم يكن لقيصر رغبة سوى الحصول على غريمه بومبيوس وقد قتل سار عن مصر الى
مدينة افريقية حيث كان قد اجتمع فيها من بقي من أحزاب بومبيوس ليشنت عليهم فعاقه عن
المسير اختلاف الرياح فاضطر الى الإقامة بالاسكندرية زمنا ليس بقصير وقال بعض أهل التاريخ
بل لتعلقه بحب قلوبطره التي كان قد أحضرها معه من الشام وأعادها الى منصب الملوكية مع
أخيها وقد أخذت بجماع قلبه لفرط جمالها فأقعده حبها عن الرحيل وكان أهل الاسكندرية
مولعين بحب الاستقلال يبالغون في محبة حريتهم ويكرهون جدا تحرش الرومانيين لأمور
بلادهم فلما حضر قيصر المذكور الى ديار مصر وأصلح بين قلوبطره وبطليموس أخيها المذكور
أغضب ذلك المصريين فشكى (بوطين) الطواشي للوجوه والاعيان من ذلك وبالغ في الشكوى
وعظم البلاء وقال ان فعل قيصر هذا يعد هتكا لتاموس البلاد وشرفها ورسم للأمة

ارخيلاس قائد الجيوش المصرية بان يزحف على مدينة الاسكندرية بجنده ويقا تل بطليموس الملك فقام ارخيلاس بجيشه وهجم على بطليموس وهو في قصره فهرب بطليموس وخلق بمعسكر فيصمر وكان قيصر في هذا الحين قد صرف جنده فرحلوا عن الاسكندرية ولم يبق منهم الا ثلاثة آلاف فلما دخل عليه بطليموس ورأى من كثرة عدد جند ارخيلاس ارتبك في أمره وخاف على المدينة وما فيها من الارواح والاموال فنشط الى تسكين الفتنة وقرأ على أهل الاسكندرية وصية آخر ملوكهم ووعظهم الموعظة الحسنة ليدفعهم بالتى هى أحسن ورغب اليهم في أن يعطوا ذرية بطليموس الزامر جزيرة قبرس وهم أرسونيسة وبطليموس القاصر ليشاركوا في مملكتها وألزمهم بذلك بصفة كونه رئيس الرومانيين والقائم بتنفيذ وصية ملك مصر وأكثر من مسابة الرعية وتسكين الخواطر حتى انقطعت الفتنة وزالت أسبابها ولكنها لم تلبث أن عادت واضطربت نارها بنحريض جماعة الوزراء حرصا على منصب وصايتهم وكرها في انتقاله الى الرومانيين وزادوا نار الفتنة اضراما واتحد (بوطين) الطواشي الوزير مع ارخيلاس قائد الجيوش على اهلاك قيصر ومن معه من الرومان فزحف ارخيلاس بجيشه وكان عدده اثنين وعشرين ألفا الى الاسكندرية وانصب معسكره أمامها وأعلم قيصر بان اطفاء نار الفتنة لا يكون الا بتسليم فلوطره للشعب لينتقم منها كما يشاء فلم يرض قيصر بذلك واختار الإقامة تحت الحصار والتضييق واحتمل مالا يحتمل ولم يرض بتسليمها للشعب يستيحيون دمها فهجم أهل الاسكندرية ليأخذوا سفن حربه فلم يمكنهم من ذلك وأضرم فيها النار فأكلتها وتطاير الالهيب منها الى القصر الملوكى فأحرق دار كتب البطالسة الموصلة الى هذا القصر وقد كلوا جعوا فيها من نفيس الكتب من جميع الدنيا شيئا كثيرا مع ما تجدد عندهم من التأليف المفيدة * فلت ولم يقم على صحة هاته الرواية دليل ولا برهان قال بعض الكتاب ومن هنا يتضح أن نسبة إحراقها الى عمرو بن العاص بأمر عمر ابن الخطاب محض اختلاق والله سبحانه أعلم بالحقائق

وبينما كانت جند فيصمر مع قلة عددهم على شفا الهزيمة إذ جاءهم الفرج بغتة بقدوم فريق من الجنود الرومانية وذخائر مع أشياء كثيرة فتلقاها قيصر بنفسه فرحط مسرورا وركب وقا تل قتالا عنيفا جدا حتى تمت له النصره وهزم أهل الاسكندرية شر هزيمة حتى التجؤا الى طلب الصلح وأرسلوا الى قيصر رسلا مفوضين في ذلك فقابلهم وطلبوا منه اطلاق بطليموس الثانى عشر وكان قد اعتقله على شروط معلومة فانفقوا ثم أطلقه وهو عالم بغدره وخيائنه فلما خلاص بطليموس من الاسر تأهب لقتال قيصر وأعد لذلك جيشا عظيما فساعدا الخط قيصر إذ قدم عليه دمترا يدا طس صاحب (برغام) ومعه جميع الجنود الرومانية الذين كانوا في هذا الحين في الانا طول والشام وفلسطين فقويت عزيمه قيصر وشد أزره وكان قد سار عن معه من الجنود قاصدا الديار الشاميه فلحقه بطليموس الثانى عشر في طريقه وهجم عليه بعسكره المصرى فقامت على بطليموس عساكر اليهود على ساحل النيل

واحتدم القتال بين الفريقين فانهزمت جنود مصر شرهزيمة وفر بطليموس مع فريق من قومه فأدركهم فرسان فيصر على الساحل فغرقوا جميعا في النيل وهلك بطليموس في جملة من غرق وفدقهم اليم بالساحل فعرفت جثته بما وجد عليها من الدروع المصوغة من ذهب وذلك سنة سبع وأربعين قبل الميلاد أى سنة تسع وستين وستمائة قبل الهجرة فكانت مدة حكمه خمس سنوات وخلفه أخوه بطليموس الثالث عشر

(فى الملك بطليموس الثالث عشر)

ثم قام بالامر بعده أخوه بطليموس الثالث عشر سنة سبع وأربعين قبل الميلاد أى سنة تسع وستين وستمائة قبل الهجرة بامر قيصر وذلك لانه بعد ان فاجأت جنوده قوم بطليموس الثانى عشر على ساحل النيل واغرقتهم رجع قيصر الى الاسكندرية وتغلب عليها بمن معه من الرومانيين وسار الى مصر فاخذها وصارت البلاد فى قبضة يده ولو شاء يومئذ لضمها لاملاك رومة وجعلها مملكة واحدة قال أصحاب التاريخ ولكنه راعى الذم وحافظ على العهود وقام بتنفيذ وصية بطليموس الزاهر وأثر تنفيذها على اطماعه فولى بطليموس الثالث عشر المذكور وكان قاصرا فاشرك معه أخيه قلوبطره فى حكم البلاد وأبقى الحرس قلوبطره وصيانة مملكتهما فريقا من الجنود الغالبين الذين هم قدماء الفرنسيين واستصحب معه الى رومة أختها ارسنوية اذ لو تركت بمصر لقامت بتركها الفتنة فدخلت الى رومة أسيرة كأنها من غنائم قيصر التى غنمها من مصر وسارت فى الموكب الذى انعقد لقيصر عند دخوله مدينة رومة فخلا الجول لقلوبطره ونصرفت فى ملك مصر التصرف المطلق وكان زوجها الذى هو أخوها ليس له فى الملك الا الاسم فقط

وبعد جلوس بطليموس الثالث عشر المذكور على سرير الملك بسنة واحدة سارت قلوبطره وزوجها الزبارة رومة فتلقاهما الرومانيون بالبشر والايناس وأكرموا وفادتهما ولبثا فيها ماشاء ثم رجعا الى مصر فمات بطليموس بعد رجوعه بسنتين فكانت مدة حكمه ثلاث سنين وقال جماعة ان أخته قلوبطره هى التى دست له السم فى الدسم وبقيت قلوبطره بعد موته ملكة على مصر بحماية قيصر حينما من الدهر وفى خلال ذلك قويت شوكة قيصر وعظم بأسه وظهر منه قصد التعدى على حقوق الجمهورية الرومانية وبدأ منه بعض الامور الدالة على ذلك وكان حزب الجمهورية شديد البأس مسموع الكلمة وبينهم شجاع اسمه (يرطوس) دعى مجهول الاب الا أنه كان من الشهرة بمكان ميالا للجمهورية محبا لمبادئها وكانت أحزاب الجمهورية لما رأته مارأته من قيصر المذكور اضمرت التخلص منه وعزمت على قتله فقدموا الى

(يرطوس) في ذلك وقالوا له لو كنت بطلا كما تزعم الناس لما بقينا في العبودية على هذه الحالة فتمكن الاغراء من قلبه وقال للاحزاب لا تقنطوا ثم لم يكن بأسرع من ان جرد خنجره وأقبل على قيصر وهو في المحفل العام فطعننه طعنة قاتلة فرفع قيصر عينه اليه وصاح (قد طعنت أباك يا هذا) قيل وقد كان (يرطوس) هذا ابن قيصر المشار اليه من السفاح والى وقت قتله لقيصر كان لا يعلم انه ابوه فندم ندما شديدا

وبعوت قيصر أصبحت مملكة مصر فاقدة النصير وكانت قلوبطره تخشى من هجوم قيسوس الروماني صاحب الشام فخاطرت بنفسها والتجأت الى المجلس الروماني وتوصلت بعد موت أخيها بطليموس الى غليك أصغر أولادها الذي زعمت أنها ولده من قيصر ولقبته بطليموس قيصر ون يعنى القيصر الصغير (قلت) وبلقبه بعض المؤرخين ببطليموس الرابع عشر وكان انطونيوس أحد الشركاء في دولة الرومانيين قد رأى قلوبطره فعشقتها ووقع في شرك غرامها بعد موت قيصر فجعلها تحت حمايته ودافع عنها ثم تزوج بها وارتبط نخسته بتختها وذلك انه لما أدخلها تحت حمايته أراد غزو مملكة من ممالك الجسم فعزم على المسير اليها ولكنه ارتاب في رئاسة قلوبطره المذكورة واشتبه في أمرها وخشى أن لا تكون صادقة في محبتها وربما أعانت أخصامه عليه فأراد أن يتحقق أمرها ويعلم خفي سرها فشدد عليها في الامتحان وطلب منها شيئا كثيرا من المال فبذلته ولم تقصر فعزم عليها أن تسير من مصر بعد وصوله الى مدينة طرسوس وتلقى به هناك وكانت هي لا تعلم منزلتها عنده ومالها في قلبه من شدة المحبة وانها متسلطة على فؤاده فسلكت مسلك الدلال والخفر ولم تبادر كطلبه الى السفر ثم لم تلبث ان حملها الهوى على المسير فسارت حتى وصلت الى ايلة سلفك فركبت نهرا قراصو الذي هو نهـر طرسوس وسارت في سفينة مذهبة الاطراف والاكاف ارجوانية القلاع والستائر وكانت مياه البحر تضطرب بالنسمات على نغمات العيـدان والمزامير وروائح البخور يعبق شذاها في سائر الارحاء فنكتسب الروائح المسكية ويفوح منها الى سائر النواحي ورائح الطيب الذكية حتى امتلأت شواطئ النهر من رباها قال بعض الكتاب فلما لمح أهل طرسوس ان قد هل عليهم كوكب الزهرة المصرية هرعوا جميعا الى هذا النهر لمشاهدتها وحيوها با عظم تحية ولم يتخلف عن الحضور سوى انطونيوس كوس اذبقى في مجلسه منظرا التجلد وعسرة النفس واستدعاها لتحضرا مامه فلم ترض الا بحضوره اليها واقباله عليها فأجاب الى مطلوبها ولبى دعوتها كمرغوبها فلما قدم عليها ونظر حسننها وبهاءها تعجب من ذلك وأخذ حبها بمجامع قلبه فأدخلها في مجلسه الملوكي وهيا لها الولايم وزين لها المجلس بأخريزينة وأصبح طوع يدها وأسير هواها وقضت معه أياما ثم جاءت به معها الى الاسكندرية وانعقد بينهما عقد القران بالوجه الرسمي فبقى معها وقد ذهـل بجمالها عن كمالها حتى انه غادر الوظيفة وأقام مع هذه الاليفة وما فصله عن مواصلة هذه اللذات ولا أخرجه من التمتع بجمال هذه اللذات الا تهديده من مجلس رومة بتجريدته من منصب الحكومة وخوفه من

انفراد اقطاعوس قرينه بالرئاسة فخرج من مصر مكرها وسار الى ايطاليا ثم سار منها الى بلاد الشام ليجهز فيها معدات الحرب لغزو الاجام فقابلته قلوبطره في تلك الاقطار لتقضى مافي النفس من الاوطار وطلبت منه أن يضيف الى المملكة المصرية جميع مدن السواحل الشرقية الواقعة على بحر سفيد وأن تضاف اليها أيضا جزيرة قبرس وجزء من اناطول وبلاد يهودا الموصوفة بالبلمس في تلك الازمان وطلبت أيضا أن يعطى لها بلاد العرب والحجاز الى بحر الهند كي تكون هذه البلاد مضافة لدولة الاسكندرية لان أهلها أرباب صناعة وتجارة قاصدة بذلك أن تعود المعاملات بينها وبين مدينة الاسكندرية كما كانت في الازمان القديمة وتعوض ما فات اذ كانت في هذا الحين قد تضععت معاملة الاسكندرية وتلاشت تجارتها أو كادت من عهد تدمير مدينة صور وخرابها التي هي شقيقة الاسكندرية على انه من يوم انقراض دولة العجم لم يبق لمدينتي صور والاسكندرية الا مجرد الاسم وتجهز انطينوس لقتال العجم وسار بجيشه ولكنه عرج على مصر ليقوم بما طلبته منه قلوبطره وأطال الملك معها وهو لا يستطيع الخلاص من أسرجالها بل نسي مقام وظيفته وأخذ في أسباب إضعاف الجمهورية الرومانية فأعطى عنوان الملك لولديه من قلوبطرة المذكورة وقسم الممالك التي عزم على غزوها بينهما دون سواهما وجر د رومة من جميع هذه الممالك ولم يراع حقوق بلاده وأعماء العشق والغرام فخالف عوائدها وجعل ابنه اسكندر ملكا على ارمينية وأذربيجان وفارس وقلد ابنه الثاني بطليموس ملك سواحل الشام ودمشق وأناطول ثم أحضرهما امام جمهور الاهالي بالمظهر الملوكي المعتاد في مثل هذه الولائم فألبس الاكبر التاج والحلة الملوكية في زى ملوك الارمن واذربيجان وألبس الثاني التاج والحلة الملوكية في زى ملوك الطوائف الذين خلفوا الاسكندر على الممالك اليونانية فصارت قلوبطرة منذ ذلك العهد لا تخرج من قصرها الا بالاباس الملوكية

وكان في عصمة انطينوس زوجة أخرى رفيعة الحسب وهي (أوقطاوية) أخت أقطاعوس شريك انطينوس في رئاسة الجمهورية الرومانية وكان اقطاعوس المذكور يحقد على انطينوس فعلة ويقع معاملته لزوجته أوقطاوية وينهاه حتى اشتدت الخصومة بينهما بسبب ذلك ففارق انطينوس زوجته أوقطاوية وقاطعها وبقي مع قلوبطرة فشكاه أوقطاوس لمجلس الجمهورية واتهمه بأنه منق شمل الدولة الرومانية وأنه أدخل قيصرين ولده في وراثته قيصر مع انه ابن سفاح فحكم المجلس بناء على ذلك بعزل انطينوس من منصبه وحكم باشهار الحرب على قلوبطرة صاحبة مصر فلما سمع أوقطاوس ما حكم به المجلس قال متهمنا لا يصح لنا أن نقاتل انطينوس لان التجارة المصرية قد أسكرته فذهبت بعقله فلا يكون حربنا اذن الا مع قوم قلوبطرة وأمرأ جندها يريد بهذا القول ان انطينوس المذكور كان دائما مخجورا لا يكاد يفنى

وتأهب بعد هذا الحكم كل من الفريقين للقتال فخرجت قلوبطرة بنفسها للحرب وأصبحت معها انطانيوس الى ساحة القتال في مدينة (اكسيوم) التي هي مدينة (ازيو) بساحل الروم ايلي وأمدت قلوبطرة انطانيوس وقومه بمائتي سفينة حربية فبالغ في الاستعداد وعمل على احياء همة الجنود وتنشيطهم وجاء الانتصار وجعلت قلوبطرة مدار الحرب على جنودها البحرية لتظفر بخصمها فانتشبت الحرب بينهم وكانت سجالا فلم ينتصر أحدهم على الآخر وبينما هم على هذه الحال اذا بدفعت ستون سفينة من سفن قلوبطرة بقوة المجاذيف وانفصلت عن بقية الاسطول وسارت تختر صوب جزيرة المورة وفيها الملكة قلوبطرة هاربة من القتال * قال بعض الكتاب * ولم يعلم ان كان هروبا هذا لفرعها من الحرب والهزيمة أم لاتساق وقع بينها وبين اقطاوس فعدرت بقرينها حيث وجدته قرين سوء فلما رآها انطانيوس قد أدبرت ولي مدبرا وراءها فاقننى أوقطاوس أثرهما وتبعهما فلم ترق قلوبطرة بدا من تسليمه مدينة الفرما التي هي مفتاح الديار المصرية قالوا وأرادت بهذه الخيانة الخجب اليه ان تنصل من انطانيوس وكان انطانيوس لشكك حظه وسوء طالععه يعتمد على أمانتها ولم يخطر على باله قط ما قصدته من تسليم مدينة الفرما والعمل على التخلص منه

ومن غريب الاتفاق انه في اليوم الذي وصل فيه اقطاوس الى مدينة الفرما ووقف امام أبوابها وصل أيضا انطانيوس الى مدينة الاسكندرية ليطلع قلوبطرة على دفتر أجهاء الابطال الذين جاهدوا معه في حومة القتال وامنازوا بالبسالة والاقدام فلم ير منها الا عينا غامضة وأذنا صماء فبات ليلته تلك وأصبح وقد خانه سائر العربان الذين كانوا يقاثلون معه وتحزبوا عليه مع اقطاوس وانفصل عنه الجند المشاة وانضمت سفن الحرب المصرية الى سفن قيصر وهذا كله كان باشارة قلوبطرة ولم يشعر انطانيوس بشيء من ذلك ثم عادت قلوبطرة فاحست بسوء فعلتها وحالها انهما في صدرها تخافت من انتقام انطانيوس اذا وقف على حقيقة سرها

ومهما يكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم فتوارت مع أموالها وكنوزها في مدفن حصين كانت قد شيده لتدفن فيه ثم أشاعت أنها تريد قتل نفسها وبوأت الخبر بذلك حتى بلغ انطانيوس فعزم هو أيضا على قتل نفسه لكي لا يعيش بعدها فأشار الى مملوك له بان يقتله فسل المملوك سيفه وتظاهر بأنه يريد قتل سيده وطعن نفسه بالسيف ولم تسمح نفسه بقتل مولاه ففجّل انطانيوس من ذلك وطعن نفسه بخنجره فلم يمت في الحال ثم علم قبل إزهاق روحه أن قلوبطره لم تزل على قيد الحياة فطلب من خدامه أن ينقلوه الى مقرها ليجتمع بها قبل موته فلم تأذن بفتح الباب له بل ادمنه من شباك الحبل وانزلته في جهة من المدفن فبات فيه شرميته وكان قد بلغ اقطاوس أن قلوبطره تريد قتل نفسها فأرسل اليها من جنده من يمنعها من ذلك فدخلوا من ذلك الشباك فوجدوا في حزامها خنجرا كأنها كانت تقربه من بطنها ورأوها

على هيئة من يعمد الى طعن نفسه والامر غير ذلك وانما كانت تقصد أن تفتن أوقطوس كما فتنت عمه قيصر فخاب ظنها ولم يلتفت الى جبالها ولا مال قلبه اليها فلما آنت منه ذلك صممت على قتل نفسها فامسكت عن الشراب والطعام وواصلت الصيام خوفا من الوفوع في أسراقطوس وذهابها الى رومة أسيرة فقتلت نفسها شر قتلة وكان اقطاوس يكرر عليها القول بعدم قتل نفسها ويتوعددها بقتل أولادها ان هي فعلت فلم تردع وقد وجدت ميتة بين بعض النسوة وجميعهن نيام فكانت هي نائمة على فرش من الذهب الابريز وعلى جبينها تاج الملك وكأنها متجملة بجميع زينتها الملوكية في يوم عيد

واختلف الكتاب وأصحاب التاريخ في كيفية قتلها لنفسها فقال جماعة انها تعاطت السم الناقع وقال آخرون بل أحضرت ثعبانا عظيما واخفته في وعاء مملوء من التين مدة طويلة فلما خرج ذلك الثعبان من الوعاء قالت له قدحان وقتك وقد حضرت اليك فاقض على فانساب عليها وعجل بوفاتها وشاع هذا الخبر يومئذ وتكلم به الناس كثيرا واعتقد أوقطوس صحته فلما عاد الى رومة عمل تمثال قلوبطره المذكورة وجعل في جانبه ثعبانا ينهشها وكان موتها في سنة ثلاثين قبل الميلاد أي نحو سنة اثنتين وخمسين وستمائة قبل الهجرة

وانتهى بموتها حكم البطالسة في مصر وصارت من بعدهم ليلية تابعة الى رومة وقتل أوقطوس أيضا ابنها بطليموس قيصرون بعد موتها وكان قد لقب في أيامها بلقب ملك الملوك فكانت هي آخر ذرية البطالسة بديار مصر وهي سبب زوال مجدها وسقوط عرشها بعاهدتها مع قياصرة رومة وقد سعت في أيامها مع انطونيوس حتى توجت ابنها قيصرون بتاج ملك الملوك يعني ملك مصر وبلاد العجم مثل أرمنسان وأذربيجان وغير ذلك من بلاد العجم فلهذا اعتبره المؤرخون في عداد البطالسة قال بعضهم فاذا صح ذلك كان هو بطليموس الرابع عشر وكان ادخله في ميراث بعض الاقاليم الرومانية سببا في حرب أوقطوس مع انطونيوس وهلاك انطونيوس وقتل قلوبطره لنفسها وزوال دولة البطالسة وقطع دابرها واستئصال نسلها بقتل قيصرون المذكور واستيلاء الدولة الرومانية على جميع ديار مصر قالوا ومع أن مصر عادت في أيام هذه الدولة القهقرى النسبية ومالت من درجتها العليا الى درجة ثانوية حيث فقدت ما كان لها من رسوخ القدم وعلو الكلمة على سائر الامم الا أنها مع ذلك كانت كثيرة المآثر غزيرة المفاخر وقد زادها شرفا ومجدا تبصرها في الامور وحسابها للعواقب ولإطلاقها عنان الحرية لجميع صنوف الرعية وجعلهم جميعا متساوين أمام الشريعة والقانون وقد اتحد المصريون واليونان بعناية بطليموس لاغوس رأس ملوك هذه الدولة في التمدن العام والتسوية في الاحكام وفي إحياء المعارف والعلوم فترجوا التوراة من العبرانية الى اليونانية وفي أيامهم كتب مانيطون الخبر المصري تاريخه المشهور وجع الكتب بالاسكندرية وأنشأ بعضهم خزانة للتحف والغرائب أحضرها من سائر الأقطار ووضعها برواق في الاسكندرية يسمى رواق الحكمة حتى قيل انه لم يسبق تنظيم مثل هذا الرواق

في سائر الاقطار وزادوا في العمار العظيمة والمباني الجسيمة وأتموا ما لم يتمه اسلافهم من العمار الاهلية والمعابد الكبيرة وأضافوا اليه معابد أخرى جديدة في بلاد النوبة والتاكة وغيرهما وبجزيرة البربا التي هي جزيرة أنس الوجود ومن بنائهم أيضا مدينة ارميت وبالغوا في تحسين مدينة طيبة ولم يملوها وبنوا فيها أيضا هيكلًا يعرف الآن بدار المدينة ومعبدًا على بركة (أبو) وشيدوا على الجانب الايمن منها الباب الكبير المنفرد في شمال الكرنك والباب الآخر المناظر له وبنيت الملكة قلوبطره بئذره هيكلًا عظيمًا أهدته لالهة المصريين باسم ولدها قيصرون المولود لها من بولس قيصر الروم سفاط وبنيت أيضا مدينة ادفو القديمة قال بعض الكتاب ولهم غير ذلك من الآثار العظيمة بمنشاء النيدة التي بناها بطليموس فيلادلفس وكذلك بناحية بهييت بجوار المحلة الكبرى ويغلب على ظن الباحثين عن الآثار القديمة أن من جملة آثار البطالسة المباني الجميلة القريبة من مقابر العجول الايسسية التي بناحية سقارة وما يوجد في هذه المقابر من النواويس والتوايت العجيبة الصنعة

وقد جعلوا تحت حكمهم مدينة الاسكندرية كما تقدم فصار بذلك موردا للخاص والعام ووفد عليها من البلاد الاجنبية ارباب العلوم والمعارف والعلماء وجماعات الحكماء والأدباء وأصحاب العقول الكاملة فعمرت بهم وبقيت آثار ذلك العمار الى أيام الرومانيين وكان لعلمائهم وحكمائهم اليد الطولى في معاكسة النصرانية بعد ظهور المسيح وانتشار الديانة المسيحية في مشارق الارض ومغارها

وكانت هذه الدولة ذات كلمة نافذة لدى الامم الاجنبية ولم تزل كذلك الى عهد الاسكندر بطليموس الزاهر ثم انه لم يعقب كفؤًا لولاية عهده وأوصى بالملكة كفسالة وتعلكا الى الدولة الرومانية من بعده فأخذت في الذبول والاضمحلال وكانت مدة حكم الملوك البطالسة المذكورين مائتي سنة وخمسا وسبعين سنة كما قاله جماعة المؤرخين لان ابتداء دولتهم كان في سنة خمس وثلاثمائة قبل الميلاد أى سنة سبع وعشرين وتسعمائة قبل الهجرة وانتهأؤها سنة ثلاثين قبل الميلاد أى سنة اثنتين وخمسين وستمائة قبل الهجرة

وبانقراض دولة البطالسة على ماتقدم بيانه وهى الدولة الثالثة والثلاثون جاءت الدولة الرومانية المعروفة بالدولة الرابعة والثلاثين

(الباب الرابع)

(في الدولة الرومانية وهي الدولة اللاتينية وفيه فصول)

(الفصل الاول)

(في الدولة الرابعة والثلاثين)

قال جماعة الكتاب قد اشتهرت هذه الدولة باسم الدولة اللاطينية وعرفت أيضا باسم الدولة الرومانية نسبة الى مدينة رومة التي هي تحتها وقد سميت هذه المدينة بهذا الاسم نسبة الى بانها (رومولوس) بالاشتراك مع أخيه (روموس) وقد أنشأها في سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة وثلاثة آلاف قبل الميلاد أي سنة خمس وسبعين وثلثمائة وأربعة آلاف قبل الهجرة وبينائها يؤرخ الرومانيون تاريخهم وقد كانت في مبدأ أمرها دولة ملكية مطلقة يتولاها ملك بعد آخر الى زمن العائلة المعروفة بالعائلة (التركينية) فنزعت منها وظهرت الحكومة الجمهورية وكان الذي يرأسها يلقب بالکنصل ومعناه منفذ الاحكام واستمرت الحكومة الجمهورية على هذا الوجه مدة خمسة قرون كاملة نالت فيها الغاية من العزة والظهور وتغلبت على جميع أمم ايطاليا وأدخلتهم تحت الطاعة وحاربت قرطاجة وقد كانت دولة عظيمة للغاية وطالت بينهما أيام القتال وكانت هائلة جدا سموها بالحروب (البونيقية) ثم انجلت عن نصرة رومة على قرطاجة فدمرتها تدميرا واستولت على مملكتها وظهرت كذلك على مملكة مقدونية وبقية أمم الرومان وجميع الامم المعروفة في تلك الازمان ماعدا أمة الجرمان ودولة فارس القديمة وكانت مصر في هذا الحين من أعظم الدول قوة وأكبرهم شوكة فمدت دولة الرومان اليها انظارها وناقت الى التغلب عليها فتدخلت في تنصيب ملوكها البطالسة حين داخلهم الضعف ولازمهم الانحطاط بالحروب الداخلية ومازالت حتى تسلمت عليها وجعلتها ابالة تابعة لها في عهد أغسطس كما سيأتي وأغسطس هذا هو مبدأ دولة القيصرية الاتي ذكرهم واحدا بعد واحد قال أصحاب التاريخ * وبظهور قياصرتها المذكورين عظمت دولة الرومانيين وعلت كلمتها وتملكت على الدنيا باجمعها ثم لم تلبث أن اضطربت في داخلها نار الحروب الاهلية فافسدت حالها وسلك القيصرية بعد ذلك مسالك الترف والانهمال في اللذات والشهوات وفساد الاخلاق وطمعوا وبغوا فكان هذا موجبا لضعفها وانحطاطها وكان ظهور الدولة القيصريّة فيها بعد الجمهوريّة في سنة ثلاثين قبل الميلاد أي سنة اثنتين وخمسين وستمائة قبل الهجرة وكان أول ملوكها الملك أغسطس الذي سيأتي الكلام

عليه ثم انقسمت في سنة احدى وأربعين ومائتين قبل الهجرة الى قيصريين احدهما بالمغرب وتحتها مدينة رومة والثانية بالمشرق وتحتها مدينة القسطنطينية وبقيت قيصريه المغرب الى أن زحفت عليها بعض الامم المنعبرة كلمة (الغوطه) وغيرها وتغلبت عليها وأزالت بهجتها ولم تزل بها حتى زال ملكها بالكليه وبقيت قيصريه المشرق الى أن فتحها الاسلام فغزا القسطنطينية بنو أمية وضربوا عليها الخراج ولم تزل كذلك حتى ركب عليها السلطان محمد خان الفاتح وأخذها كما سيأتي بيانه في محله ان شاء الله تعالى

وأما الديار المصرية فانها دخلت في حكم الرومانيين وصارت تابعة لها في سنة ثلاثين قبل الميلاد أى سنة اثنتين وخمسين وثمانئة قبل الهجرة كما تقدم وبقيت كذلك الى سنة أربعين وثمانئة للميلاد أى سنة تسع عشرة للهجرة وهى السنة التى افتتحها فيها المسلمون على يد عمرو بن العاص فكانت مدة حكم الرومانيين عليها ستمائة سنة واحدى وسبعين سنة منها أربعمائة واحدى عشرة سنة فى الجاهلية ثم صدر أمر الملك (طيودوسيس) بوجوب التمسك بالديانة المسيحية فى جميع الايالات الرومانية وسنذ كرهما ما أثر كل قيصر على حديثه وبيان ماجرى على مصر فى أيامه مبتدئين بالملك أغسطس الذى هو رأس القياصرة المذكورين

(فى الملك أغسطس قيصر)

تولى الملك أغسطس على كرسى المملكة الرومانية سنة تسع وعشرين قبل الميلاد أى سنة احدى وخمسين وثمانئة قبل الهجرة ثم استولى على مصر فكان يقيم عليها نوابا من قبله وكان أغسطس المذكور بلقب بامبراطور الرومانيين ومعناه فى الاصل رئيس الجيوش واشتهر كغيره باسم قيصر واقتب بلقب أغسطس ومعناه الرئيس الاعلى ولما ارتقى منصة الملك واستقر به المنصب وفد عليه رسل ملك المشرق يرغبون فى موالاته وبضربوعون اليه فى السلم فأسمعهم ودانت له الارض بأسرها وضرب الخراج على أهل الآفاق وكان عامه على اليهود فى الشام يقال له (هيودوس) ولما تغلب على مصر وقتل ولدى قلوبطرة بعد قتلها لنفسها كما تقدم بيان ذلك ولما نائبا من قبله اسمه قورنليوس غالوس فكان أول نائب على مصر من نواب الرومانيين ولما استقر منصب النيابة قورنليوس المذكور قام باصلاح ما أفسدته الفتن والحروب الأخيرة وبذل الجهد فى توطيد اركان الراحة بين الرعية وأصلح أراضى الزراعة بالعمليات كطهير الترع والخجان وإقامة القناطر والجسور ومع ذلك فلم يرض عنه الكثير من أهل البلاد ولم يلبثوا أن قاموا عليه وشقوا عصا طاعته وكان من المدن التى أضرم أهلها نار الفتنة مدينة طيبة بصعيد مصر فركب غالوس المذكور

على أهالي تلك البلاد وأرجعها إلى الطاعة وضيق على مدينة طيبة ونهبها واستوعب ما فيها من الأموال وضبطها لدولة رومة وأخذ لنفسه كثيرا من الامتعة النفيسة كما ذكرنا ذلك بعض المؤرخين وكان هذا الانتصار سببا في طغيانه وتجبده وفساد أخلاقه فنظم نفسه في سلك الملوك الفراعنة وقادهم في جميع أفعالهم الجهورية فأمر أن تحت تماثيل على صورته وتوضع في الميادين العمومية بمصر وأن ترسم وقائع حروبه على المباني والهيكل كما كانت تفعل الفراعنة ولكن لم تطل مدته إذ خلعه القيصر ونفاه لأسباب لم يذكرها أصحاب التاريخ وأهلها الخوف من استبداده بآل البلاد وخروجه عن طاعة القيصر فقتل نفسه في منفاه وقيل إن سبب ذلك أن أغسطس الملك غضب على أحد علماء الآداب وطرده من مدينة رومة فأوام قورنيلس والي المذكور بمصر فغضب عليه أغسطس لهذا السبب وأمر بخلعه ونفيه

فتولى بعده بطرنيوس فلم تكده تستقر به النيابة حتى قام عليه أهل الاسكندرية وخرجوا عن طاعته لأسباب لم يذكرها المؤرخون فركب عليهم وقتلهم إلى أن ردهم إلى الطاعة صاغرين وفي ولاية بطرنيوس هذا أغسطس قيصر المذكور بغزو بلاد العرب والملك عليها وكلف بطرنيوس نائبه على مصر بهذه الحرب فجمع بطرنيوس جيشا لذلك وسلمه إلى اليوس غالوس أحد كبار الجنود الرومانية وسيره إلى بلاد العرب وقيل إن أغسطس ذهب لهذه الغزوة بنفسه فانتصرت العساكر المصرية على العرب ثم انهزمت وتلاشت أوكدت لصعوبة مزاج الاقطار الحجازية ودامت الحرب قائمة على ساقها سنة كاملة كادت فيها الجنود المصرية من التعب وفقد الزاد والراحلة مالا مزيد عليه ثم رجع من بقي منهم إلى مصر ولم يفز أغسطس بأمنيته من الاستيلاء على تلك الاصفاع ولا على بلاد اليمن التي كانت يومئذ من كرا لواردات الهند الشهيرة

وبينما كانت هذه الحروب قائمة بين المصريين والعرب اغتم أهل السودان فرصة تغيب الجنود عن اقليم الصعيد وكروا على حدود مصر الجنوبية بجيش جرار تحت قيادة (قنداقه) ملكة جبال بركل باقليم دنقله فاستولى قومها على مدينة أسوان وما حولها من الجزائر المصرية كجزيرة الصنم وغيرها ودخلت بلاد الصعيد الأعلى وأهلكت الحرث والنسل وغنمت الغنائم العظيمة فركب عايم بطرنيوس وقتالها حتى أخرجها من بلاده إلى السودان واقتفى أثرها فغلبها على دار ملكها ولم يعقد معها الصلح الأعلى شرط أن تدفع خراجا سنويا لدولة الرومان وأن تبعث من عندها بسفراء للقيصر أغسطس لتتميم قاعدة الصلح وكان قد بلغ ديوان رومة خبر هذه الوقائع وهجوم الملكة (قنداقه) على الديار المصرية فأنفعل أغسطس من ذلك وأخذ منه الغضب مأخذه وسار بنفسه إلى مصر لينتقم منها فلما بلغ جزيرة صيصام علم بالتصاري بطرنيوس على قنداقه وما عقده معها من الصلح وتقويض تميمه إلى ذات أغسطس وإن بطرنيوس حمل (قنداقه) على أن تبعث بسفراء من قبلها إلى أغسطس فلبث أغسطس في جزيرة صيصام ينتظر السفراء فلما وفدوا عليه

تم شروط الصلح معهم على ماقرره بطرنيوس وعافى (قنذاقة) من دفع الجزية الى رومة

وعاد بطرنيوس من غزوة السودان ورايات النصر تخفق على رأسه وعكف على ما كان عليه من حسن الادارة وتبدير أمور البلاد وتحسين الاراضى واتساع الزراعة بما تقتضيه احتياجات البلاد وكان كثير الميل الى تحسين مجارى النيل واصلاح مصاريفه وخطبائه وترعه فبذل الجهد فى ذلك حتى تم له ماأراد فكان اذا بلغ النيل اثنى عشر ذراعا كفى لرى جميع الاراضى وكان قبل ذلك لاينقى بهذه الغاية الا اذا بلغ أربعة عشر ذراعا وقيل ستة عشر ذراعا

وبقى بطرنيوس والبا على مصر ثمان سنوات ثم خلفه عليها اليوس غالوس الذى كان قائدا على غزوة العرب فى نيابة بطرنيوس فلما استقرت به النيابة سار الى الصعيد الاعلى واستعجب معه اسطرابونس الجغرافى لاستكشاف مواقع البلاد ومعرفة حقائقها وطالت مدة ولايته حتى مات فى خلالها أغسطس الملك قال أهل التاريخ * وكان دخول ديار مصر تحت حكم الرومانيين ضربة قاضية على العلوم والمعارف التى كانت يزاولها فضلاء مصر بدار العلوم فى مدينة الاسكندرية اذ تضرعت أحوالها وزالت بهجتها وانحطت درجة المكاتب الاهلية فلم تكن هذه المضار دون ما سبق من حريقه مكنتها فى آخر أيام المملوك البطالسة وذلك لان كبار المعلمين الذين كانوا فى هذه الديار ساروا من الاسكندرية الى رومة ليمتقروا من قياسرتها وينالوا منهم الحظوة فخلت منهم ربوع العلوم والمعارف ومع ذلك فان القياصرة لم يتأخروا عن إنشاء بعض المدارس والمكاتب وعينوا لها من الرؤساء والرجال من له السبق فى مضمار الفضائل غير ان أهل البلاد لم تحفل بتلك المكاتب ولم تقبل على ما فيها من العلوم حيث كان قد ألم بهم الفتور والكسل واستولى على خواطرهم الخمول والملل فتأخرت العلوم وتقهقرت الفنون وانحطت درجات الصنائع وقد ساعد على هذا أيضا ان الرومانيين ليسوا فى درجة اهتمام الفراعنة أو البطالسة بتقويم العلوم وتعضيد الفنون بل كانت هممتهم منصرفة الى الحروب والغزوات وتوسيع دائرة الفتوحات ولم تكن مصر عندها من عهد أن بسطت يدها عليها الا بمثابة مخزن للدولة تستخرج منه ما تحتاج اليه من محاصيل الزراعة وجعلت الاسكندرية مركزا للتجارة وتكثير البضاعة فكانت لذلك العلوم والمعارف لانعد عندها الا من الامور الثانوية وقد اقتدى أغسطس الملك بالاسكندر الاكبر حيث أجاز للصريين التمسك بديانتهم وأباح لهم التعبد بمقتضى أصولهم ولم يتداخل فى شؤون عقائدهم وعوائدهم فجددوا الهياكل فى جميع أنحاء مصر والنوبة وأصلحوا ما تهدم منها وكتبوا على مبانيهم اسم أغسطس قيصر تخليدا لذكوره

وفى نحو السنة العشرين من ملك أغسطس ولد السيد المسيح من مريم العذراء فكان

ميلاده قبل الهجرة المحمدية بستمائة سنة واثنين وعشرين سنة وبعد ولادة يوحنا المعمدان
* وهو ابن زكريا * بستة أشهر على المشهور

وجاء صريحاً في الكتب السماوية ما يحصله وكان في أيام هيرودوس ملك اليهودية شيخ
اسمه زكريا وله زوجة من بنات هرون واسمها اليصابات وكان كلاهما من التقوى والصلاح
بمكان عظيم فبينما هو يوماً يؤدي ما عليه من الخدمة في بيت المقدس أصابته القرعة أن
يدخل هيكل الله تعالى ويبخر امام المذبح فدخل وبيده الحام واذا به يرى ملكاً من عند الله
واقفاً على عين مذبح البخور فاضطرب وأخذ منه الخوف مأخذه فقال له الملك يا زكريا لا تخف
لقد استجاب الله دعائك وستلد اليصابات امرأتك ذكراً يدعى يوحنا وتفرح بولادته فرحاً
لا يوصف فقال زكريا سبحان ربى القدير كيف يكون ذلك وأنا شيخ وقد وهن عظمى وانحنى
ظهري وامرأتى كذلك فقال الملك يا زكريا انى أنا جبريل الواقف امام العرش وقد أرسلنى
الله تعالى لأبشركم بهذا وحيث انك لم تصدق بما أمرنى الله بتبليغك إياه فانك تخرس
بإذن الله ولا تتكلم منذ اليوم الى اليوم الذى تلد فيه امرأتك تخرج زكريا من ساعته
وهو لا يتكلم

ولما كملت أيام خدمته سار الى بيته فحملت اليصابات زوجته وأخفت أمرها وهى
لا تصدق أنها حامل * فلما كان الشهر السادس من حملها أرسل الله سبحانه جبريل عليه
السلام الى مدينة من الجليل اسمها الناصرة الى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه
يوسف واسم تلك العذراء (مريم) فظهر لها جبريل وناداهما بقوله سلام عليك يا مريم
سلام عليك أيها المنعم عليها الله معك مباركة أنت في النساء يا مريم لا تخافى ولا تخشى فقد
وجدت نعمة عند الله وستحملين وتلدن ابناً يسمى (يسوع) ويكون عظيماً ويعطيه الله
كرسى داود أبيه ويملك على بيت يعقوب الى الابد ولا يكون لملكه نهاية فقالت مريم انى
أمة لربى سبحانه وانى يكون لى ذلك ولم يمسسنى بشر فقال يا مريم الروح القدس يحل فيك
وقوة العلى تظلك وهما هي اليصابات نسيبتك حبلى أيضاً بان فى شيخوختها وهذا هو الشهر
السادس لتلك العاقر وليس على الله شئ عسير فسجدت مريم لله تعالى شكراً وقالت انى أمة
الله والله سبحانه فعال لما يريد

وسارت مريم يوماً الى مدينة يهوذا ودخلت بيت زكريا ونالت على اليصابات وسلمت
عليها فما وقع صوت سلام مريم فى أذنى اليصابات حتى صاحت وقالت مباركة أنت في النساء
يا مريم فانه ما وقع صوت سلامك فى أذنى حتى تحرك الجنين بائهاج فى أحشائى * وتمت أيام
اليصابات فوضعت ولدها وسمته يوحنا كما بشر أباه جبريل عليه السلام ولما رآه أبوه
زكريا جله على ذراعيه وبكى من فرحه فانطلق لسانه وقال تبارك الله الذى خلق فسوى
* وانفق فى ذلك الوقت ان صدر أمر أغسطس قيصر الى سائر الولاة والعمال باحصاء جميع
من فى ايلاتهم وعالاتهم من الرجال والنساء والاطفال ورسم بأن يكون احصاء كل فى

بلده ومسقط رأسه وكان عامل أغسطس قيصر على الشام يومئذ كيرينفوس فنأدى بذلك في جميع المدن والبلدان والقرى وشهد في الطلب ولما كانت مدينة بيت لحم بلد يوسف خطيب مريم سار يوسف من الجليل من مدينة الناصرة الى اليهودية الى مدينة داود التي هي بيت لحم لانه من بيت داود ومن عشيرته ليكتب مع مريم خطبته وأقاما بيت لحم أباما تمت في خلالها أشهر حمل مريم فجاءها المخاض في يوم الاربعاء خامس عشر كانون الاول وتاسع عشر كيهك سنة تسع عشرة وثمانئة للاسكندر فانزوت في معلف للبقر ووضعت ولدها وقطعت له السريبيدها ثم قطته وأضجته في المعلف وجلست بجانبه

وكان على مقربة من بيت لحم جماعة من الرعاة يحرسون غنما في ليلتهم تلك فلم يشعروا الا وقد لمع لامع من السماء وكثر الضوء واشتد من حولهم حتى كاد يغطي أبصارهم فانزعجوا وسننوا وجوههم بأيديهم واذا بصوت يقول لا تخافوا فاني مبشركم الليلة بأن قد ولد لكم في مدينة داود مخلص هو (المسيح) وهذه لكم علامة تجدون طفلا مقمطا مضجعا في معلف للبقر ولم ينمه الصوت حتى هبط من كبد السماء جمع من الملائكة وهم يسبحون الله تعالى ويقولون بصوت جهورى المجد لله في الاعالى وعلى الارض السلام وفي الناس المسرة وجعلوا يكررون ذلك مرات كثيرة ثم ارتفعوا واختفوا عن أبصار الرعاة ولما تراجعت الى الرعاة نفوسهم وزال عنهم ذلك الخوف الذي كان قد اشتد بهم قال بعضهم لبعض ماذا علينا اذا سرنا الى بيت لحم لننظر ذلك الامر الواقع وقاموا من ساعتهم وجاءوا الى بيت لحم ودخلوا على مريم ويوسف وهما في معلف البقر مع الصبي فرأوه وفرحوا به فرحا عظيما وحدثوا مريم ويوسف بما رأوه وسمعه فتعجب يوسف من ذلك ونظر الى مريم فلم ترد عليه جوابا لانها كانت تعلم من أمر ولدها مالا يعلمه سواها * وجاء مجوس من المشرق الى أورشليم وطفقوا يسألون أين المولود الجديد ملك اليهود فأتوا رأينا نجمة في المشرق وأتينا لتقديم الطاعة له وشاع خبرهم في أورشليم وعلم به هيرودوس فانزعج وجمع كل رؤساء الكهنة والكتبة وسألهم أين ياترى يولد المسيح فقالوا يولد في بيت لحم اليهودية فسير هيرودوس في طاب المجوس فأثروا اليه فقال لهم متى كان ظهور ذلك النجم * يعنى نجم ذلك المولود فقصوا عليه ما عرفوه من أمره فقال اذهبوا الى بيت لحم وقتشوا عليه فان وجدتموه فارجعوا الى نخرجوا من عنده وساروا واذا بالنجم يتقدمهم ففرحوا به فرحا عظيما جدا وأثروا الى بيت لحم ورأوا الصبي مع أمه فسجدوا لله تعالى شكرا ثم قدموا الى الصبي هدية من الذهب واللبان والمر وباتوا ليلتهم تلك فرأوا في منامهم من يقول لا ترجعوا الى هيرودوس وسبروا من طريق أخرى ففعلوا

واشد القلق بهيرودس وأخذته الطيرة فرسم بقتل جميع الصبيان الذين في بيت لحم وما بناخها من ابن سنتين فما دون ذلك وشدد وهدد فرأى يوسف في منامه جبريل يقول

له قم وخذ الصبي وأمه واذهب الى أرض مصر لان هيرودوس يريد نفسه فقام يوسف
غلسا وأخذ مريم وولدها واركبهما على حمار وانحدر بهما الى مصر ولبثوا بها حتى ظهر
جبريل ليوسف في رؤيا وقال له قم وخذ الصبي وأمه وارجع الى أرض اسرائيل فقد
مات هيرودوس

قال بعض أصحاب التاريخ ونزلت مريم بولدها الى مدينة بوبسط التي هي بسطة في
اقليم الشرقية في رابع عشرين بشنس فلم يقبلهم أهلها فنزلوا بظاهرها أياما ثم ساروا منها
الى مدينة سمود وعبروا النيل الى اقليم الغربية وساروا الى مدينة الاشمونين فدخلت
به وهي لاتعلم لها مأوى * قالوا وظهـرت على يده في الاشمونين آية وهي ان خمسة
جمال زاحمتهم في مرورهم فصرخ فيهم المسيح فصاروا حجارة ثم انهم ساروا من الاشمونين
وأقاموا بقرية تسمى منليس أياما ثم مضوا الى القوصية فطردهم أهلها فمضوا الى ناحية
مسيرة غربي القوصية ونزلوا بالمكان الذي يعرف اليوم بدير المحرق وأقاموا به ستة أشهر
وأياما فرأى يوسف في منامه قائلا يقول له قم وخذ الصبي وأمه واخرج من أرض مصر
فقد مات هيرودوس فقام ومعه الصبي وأمه من ميرة حتى نزلوا حيث الموضع الذي يعرف
الآن بكنيسة أبوسرجه ثم خرجوا منها الى عين شمس فاستراحوا هناك من مشقة السفر
بجانب ماء قالوا وقد غسـلت مريم من ذلك الماء ثياب المسيح وكانت قد اتسخت وصبت
غسلاتها بتلك الاراضي فانبتت بلسانا وكان اذ ذلك لا ينبت البلسان الا بارض الاردن فانقطع
من هناك وبقي بهذا المكان وكثر الماء بالبئر التي هناك حيث سال عليها الماء الذي غسـلت
منه مريم

وقال بعض الكتاب ان من خواص مصر عمل النيدة وهي غسل القمح ولا يمكن
اصطناعها الا بديار مصر وقد ذكر بعض الحكماء ان السيدة مريم عليها أشرف السلام
صنعت النيدة للمسيح حين قل لبنها فآلهمها الله تعالى عملها وأكثر اتخاذ النيدة في منشأة
اخميم ولذلك يقال لها أيضا منشأة النيدة ولم يزل عملها باقيا الى الآن ولم يذكـر جماعة
المؤرخين ان السيدة مريم عليها السلام ذهبت بالمسيح الى تلك الجهة من الصعيد وانما
قال بعضهم انها نزلت أيضا باهناس المدينة حتى قالوا أيضا انها ولدت المسيح بها وان فيها
النخلة التي ذكرت في القرآن في آية وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا وان
هذه النخلة تسمى نخلة مريم وانها لم تزل باقية باهناس المدينة الى آخر أيام بني أمية
* قلت * وهذا مالا يعتد به جميع النصارى لمخالفته لما جاء به الانجيل والتوراة
والذي جاءت به الكتب المنزلة ان المسيح ولد في بيت لحم اليهودية وسارت به أمه الى
مصر وعمره سنن اثنان وانه أقام في مصر أربع سنين ثم عادت به ومعها يوسف
فنزلت به قرية الناصرة من جبل الجليل واستوطنها ونشأ بها حتى بلغ ثلاثين سنة
وقيل اثنين وثلاثين ثم سار مع يوحنا المعمدان الى نهر الاردن فاعتمد وحلت عليه روح

القدس فضى الى البرية وأقام بها أربعين يوما لا يتناول طعاما ولا شرابا ثم طاف وأبرا الأكمة والأبرص والمفعد وأحيا الموتى وغير ذلك من المجائب والآيات البينة مما لا موضع هنا لايراده بالتفصيل

ومات أغسطس في السنة الرابعة عشرة من ميلاد المسيح الموافقة لسنة ثمان وستمائة قبل الهجرة وعمره ست وسبعون سنة فكانت مدة حكمه مستقلا ثلاثا وأربعين سنة غير مدة رئاسته للجمهورية فتولى بعده الملك طباريوس الاول

(في الملك طباريوس قيصر الاول)

ثم قام بالامر بعده الملك طباريوس قيصر الاول في سنة أربع عشرة للميلاد أى سنة ثمان وستمائة قبل الهجرة وهو ثاني امبراطرة الرومانيين ولما استقر به المنصب استعمل على مصر عاملا اسمه أميليوس اولوس فزاد اميليوس المذكور في خراج البلاد زيادة كثيرة عما كان قرره أغسطس وبعث يستأذن طباريوس قيصر في ذلك فكتب اليه يقول أما بعد فاني لأشتهى من الراعى الاتسعين مايرعاه ولا أرضى منه أن يذبحه فتأمل فعبدل أميليوس عن ذلك وقد خلف اميليوس المذكور عدة ولاية تعاقبت على مصر في أيام طباريوس الملك منهم اليوس سيان الذى طغى وتجبجرت وتعظم وتكبر وسلط مسالك العسف والجور في الرعية وكان طباريوس الملك كذلك فانه كان جبارا عنيدا ما كرا مخادعا يظهر خلاف ما يظن فلما أن تولى المنصب المملوكى واستقام له الامر أراد أن يخاع نفسه بدعوى انه لا فضل له في السياسة ولا هو يقوى على تدبير أمور المملكة مثل أغسطس قيصر وأظهر غاية العجز مع التواضع والانكسار فالح عليه رجال الدولة وشدوا فلم يقبل الاكرها ثم سألهم أن لا يلقبوه بلقب امبراطور تواضعا وانكسارا ثم تم له الامر فقبض على زمام الاحكام وسلط مسالك العنف والكبرياء وأورد الرعية موارد الذل والهلكة واستوزر على مصر اليوس سيان المذكور الذى هو على شاكلته فكان اليوس بطانة سوء فأشار على طباريوس قيصر بقتل جميع عائلة أغسطس ساقه فقتلهم واحدا بعد واحد ولم يبق منهم الا طويل العمر وهؤلاء قليلون جدا وما زال اليوس يحسن له القبيح ويغريه على ارتكاب المعاصى وسفك الدماء حتى أحس طباريوس بان اليوس يريد التغلب على الملك وسلب المنصب منه فقبض عليه وقتله وأمر بالقاء جثته في الميدان العام ففرح الناس بذلك فرحا لا يوصف وانقضوا على جثته فزفوها كل ممزق ومثلوا بها

واشتد عتب طباريوس بأمور الرعية وبغضه لا كابر الدولة وأعيانها فذكرهته الرعية وازداد بغضا له وغنوا هلاكه فاعتسكف في جزيرة قريبة من مدينة رومة وانزوى فيها

منكباً على المعاصي والاسذات منغمساً في الفسق والفجور مع بطائفة ملوثاً بالنجاسات فاوى
اليه أرباب الرذائل وأسافل الناس وجعل هذه الجزيرة ميدان قتل وانتهاك محارم فكان
إذا أراد قتل أحد أحضره من رومة الى هذا المكان وقتله وأغرق جثته في ناحية أعد فيها
آلة تكبس على الغرقى فتكسر عظامهم ولا تجعلها تطفو على وجه الماء وكان له بهذه
الجزيرة قصور فاذا أراد أن يتمشى حولها للترهة سأل الساعي عن حال الطريق هل هي خالية
من الناس أولاً فان كانت خالية مشى والارجع على عقبه وكان مع بطشه وشدة فتسكه
جباناً عظيم الارتباب كثير الخوف متردداً موسوساً ضعيف الرأي فاسد الذمة وكان كثير
التمسك بالعرفاة والكهانة كبير الاعتقاد بزجر الطير مشغولاً بعرفة عاقبة أمره وما بقي من
أيام عمره

ولما ظهرت عليه علامات الضعف وأخذت قوته في الانحطاط كان يظهر التجلد ويخفي
الضعف وبينما هو ذات يوم خارج من ولية كان أعدها إذ نظر اليه طبيب فرأى من تغير
حاله ما دل على دنو حينه فأبلغ أهل الديوان ذلك وقال لهم ان القيصر يموت بعد يومين
فأرسلوا على الفور سعاة لكتاب الجند ليحضروا على عجل فكان أول قادم منهم الامير فاليقود
ابن جرمانيقوس فأخذ بزمام الحكومة واستولى عليها وشرع في تدبير الامور فلم يشعروا الا
وقد رجعت للقيصر حواسه وعادت اليه بعض العافية تخاف الناس وهرب من حضر من
الامراء فرارا من بطشه فقام في الحال كبير من الابطال اسمه الامير مقرون ودخل على
القيصر بقلب قوى وأمسكه ولفه في بروجته وثقل عليه بها حتى خرجت روحه وذلك
في سنة سبع وثلاثين بعد الميلاد أي نحو سنة خمس وعشرين وخمسمائة قبل الهجرة وله
من العمر نحو الثمانين فكانت مدة حكمه ثلاثاً وعشرين سنة وقد اشتهر هذا القيصر بانه
هيكل المظالم وتغالب الجبروت * قال بعض الكتاب * ومع ذلك فقد كانت له مزايا أخرى وهي
معرفة أساليب السياسة وتدبير الامور فكانت أيامه كلها صلحاً وسلاماً مع الاغنياء ولم يحصل
في مملكته أدنى اختلال وكان بأسه وجبروته رادعاً لتعدى الولاة على الرعية فكانت المساواة
والعدالة عامة في جميع الاقاليم والجمالات وكانت أموال الخزينة موفرة مدبرة فوجد في
بيت المال بعد موته خمسمائة وخمسون ألف ألف من الفرنكات وكان شديد الميل الى العلوم
والادب فألف وصنف ونظم باليونانية واللاطينية الا أنه قد اغتالت تأليفه يد الضياع بعد
وفاته واليه تنسب طبرية التي بأرض الشام فهي مأخوذة من اسمه وفي أيامه كان صلب السيد
المسيح وقيامته كما جاء في الكتب المنزلة وتولى بعده ابن عمه قاليغولا قيصر

(في الملك قاليغولا قيصر)

ثم قام بالامر بعده ابن عمه الملك قاليغولا قيصر ولى الملك سنة تسع وثلاثين للميلاد أى سنة ست وثمانين وخمسمائة قبل الهجرة فاستبشر الرومانيون بولايته في طاعة أمره بعد الذى قاسوه من طغيان طيبروس عمه وقاليغولا هذا هو ابن جرمانيقوس الذى كان من خول الرجال المحبوبين عند الرومانيين وله على البلاد الايادى البيضاء فلقبوه بقاليغولا لجهلهم اياه تبعاً لجهلهم لابيهم جرمانيقوس المذكور وكان في مبدا حكمه حسن السيرة كامل الاعتبار حاز ما كسباً ولبث على هذه الحال مدة ثم مرض مرضاً شديداً أشرف منه على التلف فلما عوفي تغيرت طباعه وانقلبت أحواله وتبدلت الى عكس ما كانت عليه فتولت عليه الحماقة ومال الى ارتكاب الكثر والمآثم وسفك الدماء والغدر والاتصاف بسائر أنواع القبائح وجع اليه أهل اللهو وأرباب اللعب والسخرية فكانوا يلعبون في المحافل جهاراً وكان يدعو لذلك أرباب المجلس الروماني فاذا حضروا ولم يظهر أحد منهم استحسنه لهذه الاعباب والاعجاب بها قتله حلاً ومن رفع صوته في ميدان اللعب أمر بان يجلد جلداً عنيفاً وهلم جرا

واتفق يوماً وهم في مجلس الاعباب ان قاليغولا المذكور كان يفاخر بالفضائل الرومانية ويفاضل بينها وبين المحاسن اليونانية ويجادل في التفضيل بينهما فترك عامة الرومانيين مجلس اللعب وخرجوا مغضبين فصاح عليهم قائلاً لئنه لم يكن للامة الرومانية الا رأس واحد * يشير الى أنه كان يسهل عليه خذ مرة واحدة * وكان كثيراً ما يلقي بمن بقصر من اللاعبين الى السباع فمزقه بين المتفرجين وكان يقطع لسانه قبل أن يفعل به ذلك كي لا يصيح ولا يشوش على الحاضرين

وارتكب غاية التبذير ونهاية الاسراف وأنفق جميع مآثره طباريوس قيصر من الاموال الجزيلة فكان يأمر باعمال الجسور والقناطر على المحيط فكان بأمر بالبحال مما تصوره له حالة الاختلال ويعمل الحراقات والزوارق المرصعة بالاجار الكريمة وصنوف الجواهر ويجعل فيها الحمامات الغريبة والغرف المزينة بأنواع الزينة والاشجار والازهار وعمل اصطبلاناً من المرمر لفرس كانت عليه عزيرة وعمل لها في ذلك الاصطبل حوضاً من العاج ورصع طقومها بالؤلؤ والمرجان وقيد اسمها في سجل القيسيين والاحبار * وقال ان الفرس المذكورة ستصير يوماً من الايام حاكمة على الرومانيين ويكون لها عليهم الامر والنهي وكان يسقيها الخمر في أكواب من الذهب الاجر وغير ذلك من الامور التي لا يقبلها العقل وأمر فصنعت صورته واتخذ منها تماثيل عدة فوضعت في مصاف الاوثان والاصنام في جميع الهياكل والمعابد الموجودة في المدن الرومانية كافة ليكون من جملة

الآلهة والارباب وجعل نفسه كهنة خصوصيين يتقربون الى تمثاله الذهب بذبائح الطواويس والسماني وكل طير نادر الوجود وكان عظيم الجبروت على قدر بحسامة حقه فكان اذا امر بقتل انسان استحضر والديه وأقاربه ليشهدوا مقتله فاذا اعتذر أحدهم عن الحضور لمرض مثلا بعث بنعش وجمالين ليأتوا به كي يشهد قتله وكان لا يحلوه القتل أو التعذيب الا وهو على مائدة الطعام

واتفق انه جلس يوما في وليمة حافلة وكان فيها أرباب مجلس رومة متكاملين فلم يشعروا الا والملك يغور في الضحك وينجسد بغير موجب ولا سبب فسأله من كان بجانبه من أرباب المجلس عن سبب ذلك فقال انما هو لاني اذا أردت قتلكم عن آخركم الساعة قتلتمكم ومع أنه كان طاغية جبارا وداهية غدارا فلم يكن شجاعا ولا هماما بل كان جبانا ضعيفا القلب يكره الوقوف في صفوف القتال وقد سافر في أيامه كلها في غزوتين احدهما الى بلاد جرمانية والثانية الى بلاد بريطانية فلم يشتر فيها الا بالجن وضعف العزيمة ولم ترعينه يوما صفوف العدو ومع ذلك فقد كتب يوما الى أعضاء مجلس رومة يقول لهم بينما أنتم عاكفون على اللذات منبسطون على بساط الشهوات فأنا معرض نفسي للخطر واقتحام العقبات

وكان أشد جميع من سلفه ظلما بل أشد جميع قياصرة الرومانيين غدرا وعدوانا وقد ألزم اليهود نصب تمثاله في بيت المقدس فلم يقبلوا فضيق عليهم وكذلك ضيق على النصارى الذين يبيت المقدس وزاد في التشديد الى حد الموت حتى ظهرت من بيته امرأة متمسكة بالديانة النصرانية فدافعت عنهم وردت أذاه فبقى اليهود يقاسون مضض البلوى وقد كان رسم الى والى مصر في السنة الاولى من ملكه بغزوهم فغزاهم واستبعدهم سبع سنين وفي الرابعة من ملكه أمر عامله أيضا على اليهود بفلسطين أن ينصب الاصنام بمحاريبهم في بيت المقدس ففعل وكانت هذه الفعلة من أشد الضربات على اليهود فلما عظم في الاساءة حاله وثقلت على جميع قلوب الرعية فعاله قام عليه الامير خرياس وقتله في قصره في سنة احدى وأربعين للميلاد أي سنة احدى وثمانين وخسمائة قبل الهجرة

وكان عامله على مصر اوليوس قلاوقس فأساء السيرة وظلم الرعية فكانت أيام ولايته كلها قسرا وبلايا وإحنا وعلى الخصوص في مدينة الاسكندرية اذ ضيق عليها وبالغ في تذليل أهلها وشد على من كان بها من اليهود فخرجوا عليه وشقوا عصا الطاعة وثابروا على قتاله حتى خلعوه وقتلوه فسكنت بقتله الفتنة واستقرت الاحوال ولما مات قالوا لا تولى الملك بعده قلاودس الاول وسيأتي الكلام عليه

(في الامبراطور قلودس الاول)

ثم قام بالامر الامبراطور قلودس سنة احدى وأربعين للميلاد أي سنة احدى وثمانين وخمسة
قبل الهجرة ولقب بلقب امبراطور وكان أمر توليته المنصب الملوكي من الامور العجيبة والصدق
الغريبة وذلك انه لما قتل خرياس قال يغولا هاجت العساكر والاجناد ودخلوا قصر الملك لينهبوا
ما فيه من الاثاث والامثلة فبينما كان أحدهم يفتش على شيء يأخذه اذ عثر على شخص
طويل القامة أصلع الناصية مختلف وراء الفرائس مرتجج الجوارح فاخذ الحواس فأمسك به الجندي
وصاح من الرجل فقال أنا قلودس من آل بيت جرمانيقوس فصاح الجندي على أصحابه
هلم الى قسلودس فأطوا به وسلموا عليه بالقيصرية ولقبوه في الحال بامبراطور الرومانيين
وجعلوه على هودج وساروا به الى معسكرهم فوضعه هناك فلما استقر به المكان أفاق وعادت
اليه حواسه فبايعه الحرس الملوكي فأتم على كل واحد منهم بخمسة وعشرين دينارا
ليستميلهم اليه ووعد ببقية الجنود بأحسن العطايا فصارت هذه الفعلة من ذلك الحين عادة
مستمرة ورسم ابتداء التولية للخلافات وصارت سنة متبعة وكان قلودس
المذكور مجردا من المكر والحيلة منزها عن الغدر والاذى ولكنه كان في غابة الحق
والغفلة ولذلك كانت تلفبه أمه في طفولته باضحوكة العالم وبالصورة الخيالية فانه كان
وهو في مهده أيضا مبتلى بداء الهزال فأورثه نخافة الجسم ومخافة العقل ومع ذلك فقد كان
ذا باع في الانشاء والتأليف فألف تاريخ رومة وقرطاجة وأحسن ضبطه واحكامه
ولما كان عاجزا عن حمل أعباء الملك وتدير الامور سلم ادارة البلاد الى المعاتيق والموالي
وقادهم أموره كلها مع ما هم عليه من الشرور والقبائح فنبغ منهم اثنان أحدهما اسمه
بلاص والثاني اسمه نرجا فكانا أعز وزرائه وأعظم أمرائه وقد تمسكا على عقله فكانا
يغريانه على ارتكاب الفجور والعدوان وعلى قتل خيار الناس من الوجوه والاعيان وكان
له زوجة خبيثة الطوية تسمى ((مسالينيه)) وكانت ممن ينكرن العشير ويكفرن بالكثير
واليسير وكانت تبغضه بغضا شديدا وتميل الى زواج شاب من الامراء تحبه فعقدت يوما النية
على قتل زوجها لتولي محبوبها المنصب الملوكي فأنس منها ذلك فقام عليها وقتلها وتخلص
من شرها ومن هذا الحين صما من سكرات غفلته وداخلته بعض الجاسة والفتوة وعدل عن
طباعه الاصلية وتزوج بزوجة أخرى اسمها ((اغريبنه)) وهي بنت جرمانيقوس
من نسل أغسطس قيصر فلم تكن في الحياة دون الاولى بل تزيد عنها وكان لها من زوجها
الاول ولد اسمه نيرون الجبار وكان للقيصر ولد آخر من ضربها التي ماتت فكانت تغار
منه جدا وتحقد عليه وتطمع في تولية ولدها الملك فعقدت النية على أن تسم زوجها

قلودس ودبرت له سماً بطياً فشربه فلم يمض في الحال نخافت من ظهور أمرها واستدعت طبيباً اسمه زنفون وكاشفته بسرها فوافقها على ذلك وتقدم للملك في أنه يسقيه علاجاً لاستفراغ ما في جوفه وأدخل ريشة مسمومة في حلقه فكانت سبباً في تعجيل موته فمات لوقتته وذلك سنة أربع وخمسين للميلاد أى سنة ثمان وستين وخمسمائة قبل الهجرة فكانت مدة حكمه ثلاث عشرة سنة كلها محن وشدائد

وفي أيامه قامت في مصر فتنة بين أهل الاسكندرية واليهود الذين بها وكانت عظمة جداً اقتتل فيها الفريقان قتلاً عنيفاً فبادر إلى تسكين الفتنة بالتي هي أحسن ومنح لليهود أن ينتخبوا لهم نقيباً منهم يحكمهم على حسب ما لهم من العهود والمواثيق فاستتب بذلك الأمن وحصلت الراحة * وفي أيامه أيضاً كتب منى أحد حوارى المسيح انجيله في بيت المقدس بالعبرانية ونقله يوحنا بن زبدي إلى الرومية وكذلك كتب بطرس رأس الحوارين انجيله بالرومية ونسبه إلى تلميذه مرقس وكتب لوقا انجيله بالرومية وبعث به إلى بعض الأكابر من الروم تذكرة

ولسبع نخلت من ملك قلودس المذكور دخلت امرأة من كسريات الروم في الديانة المسيحية على يدى شمعون الصفاء فجاءت إلى بيت المقدس لتعزيز جانب الدين ثم عادت إلى رومة وكذلك اتسعت في أيامه بمصر دائرة العلوم والمعارف وأنشئت في مدينة الاسكندرية دار للعلوم وتحسنت بها حالة المدارس والمسكاتب وعادت إلى ما كانت عليه من علو الشأن قال بعض الكتاب ولكن لم يكن اجتهاد العلماء والفضلاء فيها في هذا الحين بقدر ما كانت الهيئة الحاكمة تجلهم وتحترمهم وبعث قلودس تولى الملك بعده نيرون قيصر

(في الملك نيرون قيصر)

ثم قام بالامر نيرون قيصر تولى الملك سنة أربع وخمسين للميلاد أى سنة ثمان وستين وخمسمائة قبل الهجرة وهو ربيب قلودس الملك فتبناه وزوجه بنته المسماة اقطاعه وكان أمر تولى نيرون المذكور المنصب الملوكي عجيباً في بابه وذلك انه لما احتضر قلودس وكان الطبيب يعالجه في حالة النزاع أظهرت زوجته اغريينة أم نيرون غاية الجزع وبالغت في حزنها وتقدمت إلى ابنه من ضربتها المسمى ابريطانيقوس وأخذت تعاقبه وتضمه إلى صدرها وتقول وعيناها تذرف الدموع انك يا بنى على صورة أبيك قلودس الذى لاصبرلى على فراقه ولاسلوان لى عنه الا بك فلا تفارقنى أبداً ولا تتركنى وحيدة لهذه الهموم وأكثر من عبارات الاسف والحزن فظن ابريطانيقوس أن الامر صحيح فلما آتست منه ذلك منعه من الخروج من القصر وأمرت فأغلق الحراس جميع الابواب والمنافذ وأشاعت بأن الملك قلودس مضى إلى الصحة

فلما مات أخفت خبر موته أياما واست فيها الجنود بالهدايا وتحفتهم بالتحف العظيمة وعملت على تولية ابنها نيرون تخت الملك وما زالت حتى تم له الامر على ما أرادت ثم أمرت بفتح الابواب بغتة وخرج نيرون في وسط جند الحرس القيصري فلقوه بالترحيب وسلموا عليه بالقيصرية وبابعه في الحال فذهب الى المعسكر الروماني وتلا عليهم خطبة تتضمن تشويقهم ولاحياء قلوبهم ووعدهم بالانعامات العظيمة فسلموا عليه بالقيصرية والامبراطورية الرومانية فلم ير أرباب المجلس بدا بعد هذا كله من مبايعته وكذلك فعل أهل الحل والعقد ثم جهزوا الملك قلودس وشيعوا بحشته مع غاية الاحتفال والاكرام

ولم يكن عمر نيرون اذذاك الا خمس عشرة سنة حكمت أمه بالنيابة عنه وكانت تظهر عليه علامات النجابة وعلو الهمة وكان لا يأتى أمرا في صباحه الا بعد استشارة معلمه بوغوس وسناخس وقد استوزرهما فكان الاول منهما ممتازا بالمعارف والفنون العسكرية مع الشهامة وحسن الاستقامة وكان الثاني يمتاز بكافة الفريضة وقوة الفطنة وحسن السير مع الرعية ومما يحكى عن نجابة نيرون المذكور أنهم عرضوا عليه يوما قضية حكوا فيها على أناس بالموت وطلبوا منه ان يوقع على الحكم فاغرو رقت عيناه بالدموع وقال ((ليتني كنت أميا)) ومدحه أرباب المجلس يوما فقال لهم ((امسكوا عن المدح حتى استحقه)) وكان يظهر من حاله انه يألف الحلم والعدل ولكنه لم يلبث ان تغيرت أحواله وانعكست أعماله وتبدلت أخلاقه الى عكس ما كانت عليه فطغى وظلم ونجبر وتغشمر ولم يتدين بدين ما واضطهد النصرانية غاية الاضطهاد وصار يقتل كل من تمذهب بها ورسم بقتلهم في جميع الايلات التابعة لرومة فقتل منهم خلقا كثيرا وقتل بطرس رأس الخواريين وقد كان يومئذ بطرك رومة ومضى على بطريكيته مدة خمس وعشرين سنة وأسباب قتله معلومة فلا داعي لذكرها هنا فقام بعده أريوس بطركا على رومة

وفي الخامسة من ملك نيرون هذا يعنى في التاسعة والخسين للميلاد كانت بعثة مرقس الخوارى أحد السبعين للدعوة بالاسكندرية ومصر وبرقة وبلاد العرب فطاف في هذه المدن ونادى بالانجيل وحث وخطب ووعظ فتبعه خلق كثير وكانت ديانة المصريين يومئذ الوثنية وعبادتهم للنجوم والحيوانات كما تقدم بيان ذلك في محله فدخلت النصرانية في مصر وأرضها مشحونة بالاهالى عامرة بالسكان يبلغ عددهم فيها اثني عشر ألف ألف عدا مختلطى الانساب مابين قبطى ممت وحبشى وفونى واسرائيلى الاصل وغيره واتخذ مرقس الاسكندرية مقرا وأقام يدعو الناس فذاق من الشدائد اشكالا وألوانا وما زال يحض الناس ويعلمهم ويقربهم الى الله تعالى وكان فصيح اللهجة وديعا متواضعا فتججت تعاليمه وكثرت النصارى واتسع نطاق المسيحية وكادت تم جميع الديار المصرية والنوبة وكان له رفيق اسمه حنانيا ويقال له أيضا ((اينايو)) فأقامه بطركا بالاسكندرية وهو أول البطارقة بها وجعل معه اثني عشر قسيسا وأمرهم أنه اذا مات حنانيا البطرك ان يجعلوا عوضه واحدا منهم ويقموا بدل ذلك

القيس واحدا من الشعب المسيحي يختارونه حتى يكونوا أبدا اثني عشر قسيسا فتمت المسيحية وظهرت وتذهب بها الكثير من أرباب المناصب العالية والأكابر والاعيان وبعض رجال الدولة فساء هذا كهنة المصريين وأهل العلم بمدينة الاسكندرية ووقعت بين الفريقين مناظرات ومجادلات دينية أياما طويلة كان الظفر فيها لمرفس وأصحابه فلما كانت السنة الثانية عشرة من ملك نيرون قامت الكهنة وخدام الهياكل والمعابد المصرية وأهل الاسكندرية وأثاروا الفتنة على النصارى وأضرموا نارها وقبضوا على مرقس الحواري وقتلوه وكان موته غاية في الشناعة وطافوا بجثته في جميع الطرق مسحوبة على الارض ومنلوا بها أشنع تشيل وتبعوا النصارى وأغشوا في قتلهم والتسكيل بهم فخلوا بجثتهم أكثر الطرقات وكان ذلك اليوم يوما مشهودا

وقتل أيضا نيرون قيصر رئيس كهونية اليهود ببيت المقدس فثار لذلك اليهود على من كان من النصارى ببيت المقدس وقتلوا أسقفهم هناك وهو يعقوب النجار وهدموا البيعة وأخذوا الصليب الذي صلب عليه المسيح والخشبين اللتين كانتا معه ودفنوهما في مزرعة الى ان جاءت هيلانة أم قسطنطين الملك وأخرجتهما كما سيدكر في محله فولى مكان يعقوب النجار ابن عمه سمعون ثم ثار عليهم اليهود ثانية وأخرجوهم من بيت المقدس لعشرين خلت من ملك نيرون فاجتازوا الاردن وأقاموا هناك فبعث نيرون قائده المسمى وسباسيانوس الى بيت المقدس وأمره بقتل اليهود الذين كانوا هناك كافة وتخريب البيت فأوى اليهود الى ثلاثة حصون بنوها فحاصروهم وسباسيانوس وخرّب حصونهم وأحرقها وأقام عليهم سنة كاملة يقاتلهم حتى أذلهم وكاد يقتلهم

ونزع نيرون أمه من النيابة عنه وخالف مشورة وزيريه واتبع هوى نفسه فاستكبرا الامر ولكنهما لم يريا بدا من موافقته على ما وطن نفسه على عمله وكانت أمه اغريفة تحب ان تكون نافذة الكلمة مطاعة الامر والنهي في جميع الاحكام الجنائية وغيرها وكانت تخشى جدا أن يبقى ابريطانيقوس ابن ضرتهما حيا فينزع الملك من ولدها نيرون فشكت أمرها الى رؤساء الجند وبالغت في سوء تصرف ولدها وعجزه عن حفظ صولجان الملك في يده مادام ابريطانيقوس حيا فوافقوها على ما رأيت وصمموا من ذلك الحين على قتل ابريطانيقوس فبينما هو على المائدة يأكل مع نيرون وبعض الاقارب والحشم اذ سقط مغشيا عليه وذلك لان نيرون وضع له السم في كأس الشراب وسقاها له فلما رأى الحاضرون سقوطه تفرقوا مذعورين ومن بقي منهم صار مهوتا ينظر الى نيرون شزرا أما نيرون فانه لم يبال بذلك بل اضطجع على فراشه ومد رجله كأنه لا يعلم سبب موت أخيه وقال لا تعجبوا فانه مريض من زمن وان لاشئ في موته ثم أمر تجهيزه ودفنوه ليلا بغير احتفال وقسم أمواله وأملاكه على الذين اتفقوا معه على قتله ومن هذا الحين أحاط بنيرون أرباب الفسق والعصيان وأصحاب اللهو واللعب والالخان وقطاع الطريق وخوان الرفيق فكان يلبس في

الليل متسكرا في زى المماليسك ويطوف باطراف المدينة صعبة هذه الزمرة الشريرة ينهبون الخوانيت ويؤذون المارة وأبناء السبيل فكانوا اذا أحس بهم أصحاب البيوت أو تلك الخوانيت قاموا عليهم وضربوهم فيقع الضرب بينهم ويصيب القيصر منه شئ كثير ورعا شجوا رأسه أو أختنوه جراحا ثم لم يلبث حتى انكشف حاله وعلم الناس بأنه هو الذى يطوف متسكرا ومعه أولئك الاشقياء فاقتدوا به وعملوا على شاكلته فكثرت التعدى والسلب والنهب وصارت مدينة رومة في الليل كأنما هي مدينة قد أخذت عنوة بعد قتال لا يمر فيها أحد الا ويرجع الى بيته عربانا وقد جرح نيرون المذكور في ليلة جراحا كبيرة في قتال اشتبك بينه وبين الاهالى فاحتاط من ذلك الوقت وصار لا يطوف الا ومعه بعض الجند المتسكرة وبعض المصارعين ولم يزل على هذه الحال زمانا طويلا حتى ضاقت نفوس الرعية منه وتمنوا هلاكه

ولم تطق أمه الصبر على ذلك ولا على سقوط نفوذها وذهاب كلمتها فأخذت تعمل على ارجاع ما كان لها من السلطة والنفوذ وتسمى خلف ايقاف ولدها نيرون عند حد الطاعة والرضوخ لكلامها فلما آنس منها ذلك اشتد بغضه لها وصمم على قتلها وكان من أشد أمرائه فتنة وفسادا الامير انيقاطوس أمير البحر فكاشف انيقاطوس المذكور على ما في خاطره من قتل أمه فوافقه ودبر له الامر بأن أنشأ لها سفينة على شكل عجيب يفصل منها جزء عن أجزائها الحقيقية ويتصل في الظاهر بها بحيث لو سقط في البحر تبقى السفينة بتمامها كاملة لا ينحشى عليها من الغرق فلما تم بناء السفينة المذكورة على هذا الشكل أظهر القيصر رغبة زائدة في عمل عيد هيكل عطارد بمدينة (بايس) التي هي ساحل نابولي وكان له في هذه المدينة قصر وحمامات ومنتزهات فدعا أمه وأعلمها بذلك وطلب منها أن تصفح وتصفو عما فات فحضرت اليه راكبة على سفينة فاستقبلها في كبكبة وزينة وأخذ بيدها وعانقها وضمها الى صدره وبالغ في ملاطفتها حتى رقت اليه وحنن عواطفها عليه ولبثت عنده اليوم بطوله فلما قصدت الرجوع الى مستقرها قام معها الى الساحل وكانت السفينة التي أعدها لركوبها هي التي صنعها انيقاطوس مزينة بأحسن الزينة فأنزلهما فيها وعانقها فقبلته وودعته وسارت بها السفينة وهي لا تدري ما نصبه لها من الشر وكان المسير في ليلة مقمرة تحسن فيها الملاحة فلما توغلت السفينة في البحر انخفض في الحال مجلسها وانفصل عن السفينة وسقطت الملكة ومن معها من اتباعها والتمتمهم الامواج وظهرت على وجه الماء إحدى النساء المصاحبات للملكة فصاحت نخذوا بيدي أنا اغريينة أم الملك رجا ان تتخلص من الغرق فضر بها أحد الملاحين بجذاف على أم ناصيتها فقتلها أما اغريينة أم الملك فإنه لم يحصل لها من سقوطها في البحر الا جرح خفيف وكانت تحسن السباحة والعموم فسبحت وجاهدت حتى وصلت الى بعض سفن للتجارة كانت راسية على مقربة واستغاثت فعرفوها وأخرجوها وذهبوا بها الى قصرها سالمة وقد علمت بما كان دبره لها ولدها من الهلاك ووجدت ان كتبها

لهذا السر أولى وأحسن وتدبرت في امرها وكتبت لولدها تقول كن مطمئنا يا بني فقد نجوت بالاطاف الالهية من الغرق وتخلصت من الموت فلا يشغلنك شاغل من جهتي خاف نيرون من ذلك جدا وعلم أنه قد خاب أمه وخشى انها ان عاشت أثارت عليه الفتن واقامت الاحن وأغرت الجنود واستمالت القواد وأرباب الحل والعقد فسعى في طلب قتلها على أى حال كان وألح في ذلك على كثير من أرباب الفساد فبرز له صاحب الحيلة الاولى وتعهده بقتلها فاقسم له الملك انه ان فعل ذلك ايكافئنه أحسن مكافأة فقام انيقاطوس وغاب ليلة وعاد الى نيرون في الصباح وقد قتلها فلما بلغ نيرون خبر قتلها فرح فرحا ماعليه من مزيد وأشاع أنها قتلت نفسها ومن ذلك الحين صفا الوقت لنيرون وخلا له الحق ففعل بالبلاد وأهلها ما لم يفعل غيره من قبل

وكان له زوجة عفيفة حسنة الاخلاق جيدة السيرة اسمها (أوقطاوية) قل ان يوجد مثلها في الخلق والخلق فلم ينظر نيرون اليها ولم يراع لها حقا وتعلق بامرأة اسمها بوبه كانت من العاهرات وشغف بحبها فعقد عليها وقصد الخلاص من أوقطاوية وأمر بقتلها فسيققت الى القتل وماتت شهيدة الغدر والخيانة وكان في ساعة قتلها عاكفا على اللهو مشغولا بما في محافل اللعب والقصف وقد اتخذ له ملعبا عظيما ضرب عليه من جميع الجهات الاسوار فكان يأوى اليه بالليل والنهار ويجرب نفسه في اللعب والغناء والرقص وسوق العجلات ويجمع اليه خدمه وحشمه فيلعب امامهم بلا حياء ولا تجمل حتى برع وتفنن في جميع هذه الالعب وكان يركب الابل ويعدو عليها ويجمع الحيوانات للهراش ويعمل الولاثم ويدعو اليها الخواص والعوام وينفق الاموال بلا حساب فأوى الى ميسدانه الغوغاء وسفلة الناس الذين لا هم لهم سوى الكسل وكانت جدران هذا الملعب مطلية بالذهب الابريز مكسوة بحلل السندس المطرز وعمل الاشراك والشباك التي كان يصطاد بها من القصب المصنوع من الذهب والفضة وكان اذا ذهب الى اللعب سار بألف عربة تجرها البغال المطبقة باللجين (الفضة) وكان يصحبه ساسة الخيل والسعاة متحليين بالملابس مزدانيين بأنواع التماس وكان اذا لعب أطلق في ميدان اللعب أصناف البخور الثمينة كالمسك والعنبر وغير ذلك من أنواع السرف والتبذير

وبينما هو عاكف على اللهو في ذات يوم اذ وقع بمدينة رومة حريق هائل أخذ يدمر المدينة وسرى في أطرافها أسرع من البرق فأهلك خلقا كثيرا جدا فضج الناس وخرجوا على وجوههم هائين وكان كل من اقترب لاطفاء شئ من تلك النيران عاد خائفا مذعورا اذ كان يسمع صوتا هائلا مرجفا يتهده ولا يرى شخصه وكان الناس يبصرون شعل النيران الملتبئة ترمى في المدينة وبها أصوات تصيح نحن مأمورون بذلك قيل وكان نيرون في هذا الحين ينظر الحريق على بعد ويتفرج عليه مستحسنا ذلك المنظر الهائل وهو اذ ذاك يرى اللاعبين عند نشد الاشعار التي قيلت في رسوم ترواده ومعالمها واطلالها بعد خرابها وهو يتغنى بها متمثلا فلما

رأى ان الحريق قد دمر البيوت وأهلك الامتعة وأذهب الاموال وقد خرج الناس على وجوههم هائنين لا مأوى لهم ولا زاد جمع في ميادين تعليم الجند وفي غيرها من المحال الاخرى جميع الناس وأباح لهم سكنى بساتينه وبني لهم الدور والمساكن بأسرع ما يمكن وفرشها لهم وفرق عليهم بعض الاثاث والادوات المنزلية وأرخص أثمان الحبوب والاقوات كل هذا ليستميلهم اليه فلم يجد نفعا اذ اتهموه بفعل الحريق وتدمير البلد حيث شرع في بناء قصر مزين بالذهب والاشجار النفيسة وكان قد رسمه رسما متسعا وأدخل فيه البساتين والحدائق والمزارع والبرك والانهر والغابات والرياض والحياض فلذلك اتهموه بفعل هذا الحريق فلما آنس منهم ذلك وكان يكره النصرانية وأهلها كما تقدم القول أشاع ان هذا الحريق انما هو صادر من النصارى الذين تظاهروا بدين المسيح في رومة وتبعهم بالاذى وأنواع التعذيب وبالغ في ذلك جدا فكان يأمرهم فيلبسون جلود البهائم ويطرحون للكلاب فتشمهم وكان يأمر بصلب بعضهم ويأمر بدهن جلود البعض الآخر بالدهون والزيت والنפט والقطران حتى اذا أظلم الليل أطلقوا فيهم النيران وأوقدوهم كالمشاعيل ليستصحبوا بهم والعياذ بالله

وكانت هذه الفعالة الشنيعة تفعل في حدائق نيرون وبساتينه وقت الالعب الميدانية وكان يشاهدها بعيني رأسه ويتدرج بين الناس في زى ساقس أو في صورة أخرى ليعلم ما يقولون وشدت الوطأة على النصارى ومات في خلال هذه الفتنة بطرس رأس حواري المسيح وبولس الحواري قتلا بعد أن جاهدوا في دين الله ودعيا الناس وصنعا العجايب والآيات العظيمة وقد استشهد بطرس مصلوبا منكس الرأس كما طلب كي لا يتشبه بالمسيح وكان استشهاده بولس بضرب عنقه وقد تلطفوا في قتله لكونه رومانيا ولم يزيدوا في تعذيبه كما فعلوا ببطرس

ولما عادت رومة الى رونقها وبهجتها بعد الحريق الذي دمرها قامت نار الفتنة في داخلتها وخرجت الرعية على نيرون وطلبت إبطال الالعب والملاهي وهدم الميادين العمومية وقام أرباب المجلس والامراء والاعيان بل والنساء وثائقوا على ذلك وتحالفوا على كتمان الخبر حتى يقوموا عليه قومة واحدة فلم يلبثوا أن ظهر سرهم وانحل عقدتهم فقام نيرون وقبض على الاحزاب وبالغ في تعذيبهم بأنواع العذاب وكان من أعيانهم رجل اسمه (سوبريوس) فلما أتى به امام نيرون قال له بقلب ساكن ترى أيها الملك من يصدق في خدمتك من هؤلاء الجنود الا بقدر ماتريه من المحبة وما تفعله معه من المعروف أما أنا فقد وطلت النفس على بغضك من اليوم الذي قتلت فيه أمك ومن وقت قتل زوجتك ومن يوم ان صرت عربجيا ومصارعا ومغنيا ومحرقا لمدينة رومة العظمى فقال نيرون خذوه عنى واقتلوه فقتلوه في الحال بلا مهل

وقد عذب بعض من اتهمهم بالنسبة من أهل الفضل والآداب تعذبا شديدا فقطع

عروقههم وفتح أوعية دمهم ولا زال يستفرغه حتى ماتوا واتخذ الغناء وضرب اللحن
واللعب في الافراح العامة حرفة لما بدأ بإنشاء الاشعار الجاسية وعزم على الظهور
بمظاهر أصحاب هذا الفن قام عليه أهل هذه الصناعة وطلبوا منه الامتحان فتقدم في الميدان
العام برى لاعب وعلى هيئة مصارع وفي صورة مغن ووقف موقف الخاشع ثم جثا على
ركبته بعد ان غنى وتمقل من طبقة الى أخرى فهلل له المتفرجون وفرحوا به وتصيد
اسمه في دفتر أدل هذا الفن وكان كما تقدم القول شديد الحرص على أن يرى ميدان اللعب
في أوقات اللعب ساكنا مرتبا لا لغط فيه ولا تشويش فاتفق ان الامير وسپاسيافوس الذي
ولى بعده حينما منصب الملك كان في ميدان اللعب فتغلب عليه النعاس وظهر منه غطيط
فغضب نيرون وأمر بقتله ولولا شفاعته من لا ترد شفاعته لقتل وكذلك (بويه) زوجته
التي كان يحبها كثيرا قالت له يوما على سبيل التكم انك لاعب من أمهر اللاعبين فغضب
وضربها في بطنها برجله ضربة أرهقت روحها وماتت في الحال وهو لا يتحرك من موقفه
ولم يتأثر

وقصد نيرون المذكور المسير الى بلاد اليونان فسار من رومة يريد بلادها فخطر على
بأله أن يرى هل لرجالها وأرباب الفن بها براعة في فن اللحن فنزل بمدينة قورنثية ومعه
أعوانه يحملون المزامير والعميدان وكان يونان هذه المدينة وضواحيها لهم شهرة عظيمة بهذه
الفنون فانتصر عليهم نيرون نصرة عظيمة وأنزل تمائيل خول رجالهم الذين كانوا اشتهروا في
سالف الاعصار بالسبق في هذه الالعب الاولامبيقية * والالعب الاولامبيقية نسبة الى اولامبيقة
* وهي بلدة ببلاد اليونان كان بها موسم يجتمع اليه الناس في كل أربع سنين كسوق
عكاظ عند العرب وفيه تكتسب الامتيازات اليونانية وهذه المواسم المتكررة في كل
أربع سنوات يؤرخ اليونانيون وقائعهم فيقولون حادثة كذا وكذا وقعت في
الاولامبيق الاول عبارة عن أربع سنوات فكان تنزيل نيرون لتمائيل خول اليونان تحقيرا
لهم واكتنهم صانعوه وصفقوا له نفاقا وكانت هذه الواقعة بمدينة قورنثية باقليم اخاما
وكانت هذه المدينة اذ ذاك تحت استعباد الرومانيين ورفههم فأعقق لذلك اقليمهم وأعاد
اليه حريته القديمة وذلك سنة سبع وستين لليلاد أي سنة خمس وخمسين وخمسمائة قبل
الهجرة ثم عاد الى رومة وقد أخذ منه الطيش والاعجاب مأخذ فلما دنا من أسوارها أمر
فهدموا له جانباً من الاسوار فدخلها من هذا النقب راكبا بحلة تجرها خيول بيض وهو متشح
بحلة أرجوانية ملوكية وخوذة مرصعة بنجوم فضية وزهبيّة وعلى رأسه تاج النصر
اليونانية المصنوع من أغصان الزيتون البري وفي يده اكليل آخر من شجر الغار وكل هذه علامات
على الانتصار وامامه جماعات حاملون ألف اكليل وثمانمائة اكليل مكتوب عليها أسماء
القدماء الذين نالوا هذه الاكليل وامتازوا بها وحول مجلته المغنون وهم يشيدون
مدحه وامامه المباخر والعطريات يعبق شذاها واناس كثيرون يثرون الازهار واللاكي في

هذا الموكب وأمر أن يصنعوا تماثيله ويصوّروه على هيئة أرباب الطرب والالاعاب وأن توضع هذه التماثيل في الميادين العمومية وأن يرسم بهذا الوجه على النقود والسكة واشتد به الهوس الى درجة أنه أمسك عن كثرة الكلام والتزم الصمت خوفا على صوته من البجة وقلل الكلام مع جنده وخدامه وعبيده

فلما كثرت شروره واشتدّت على الرعية مظالمه صمموا على قتله وكان من جملة الاقاليم الرومانية إقليم فرنسا القديم الذي كانت أهله تسمى الغالية وكان على هذا الاقليم نائب يسمى (ونديش) من ذرية ملوك الفرنسيس خفد على نيرون وأبغضه بغضا شديدا وناواه وقصده بالحرب وعرض تقليد مملكة رومة على نائبها في اسبانيا المدعو (غلبا) فلما أحس نيرون بذلك استعان بقائد جنود جرمانيا وركب على ونديش المذكور وقتله وتجهز بعد قتله الى الركوب على غلبا نائب اسبانيا والبطش به أيضا فعاقبه ما بلغه من مباينة مجلس رومه لغلبا المذكور وتسليمه صولجان الملك فاحجم قائد جنود جرمانيا المذكور عن معاونة نيرون وعن القيام الى اسبانيا أما نيرون فإنه لما أيقن أنه لا محيص له عن الهلاك تقاعس عن الحظوظ وانكف عن الشهوات وهرب من رومة مع أربعة من عتقائه ونزل بقصر له في الخلاء يبعد عن رومة بعض فراسخ فاشار عليه بعض أصحابه أن يقتل نفسه قبل أن تدهمه الاعداء فيقتلوه فلم يجسر على ذلك لأنه كان يكره الموت وكان لا يكف عن البكاء والنواح ويقول كيف يصح قتلى والعالم بأسره في حاجة الى

وبينما هو على هذا الحال من البكاء والنواح اذ سمع صهيل الخيل وصرير سنايكها وقد حضر الفرسان وأحاطوا بالقصر وضيقوا عليه فقال لأصحابه هيا بنا فقد أوجبت الشجاعة على أن أقتل نفسي حين لا حيلة لي فيما دون ذلك وهم يقتل نفسه وشجعها فلم يقدر وكان كلما رفع يده بالخنجر ارتعشت وعادت الى جانبه فكان من بعض أصحابه أن أمسك يده وهي قابضة على الخنجر ووضعها على منخره ليشجعه فتجلد لذلك وطعن نفسه فازدهقها فكان موته في سنة ثمان وستين لليلاد أي نحو سنة أربع وخسين وخسمائة قبل الهجرة وبموته وانقطاع حكمه انقطعت عائلة أوغسطس قيصر وتم الامر لاقيصر غلبا كما سيذكر في محله قال بعض أهل التاريخ ومع ما كان عليه نيرون من الفسق والطغيان وانغماسه في دناءة اللهو واللعب وغير ذلك من قبيح الفعال كان لا يختار نوابه وعماله في البلاد التابعة لمملكته الا من أهل الفضائل والكالات فكانوا جميعا يحسنون سياسة البلاد وتدير الجمهور وكان حريصا على معرفة الحقائق وكشف تفاصيل الصغائر والكبائر وقد كان يستعمل على مصر الامير بلبياوس فاحسن فيها الصنيع وأصلح أراضيا وأخصبها بتدبير النيل ووسع نطاقها فعمرت وزادت رونقا وبهجة وعمت الراحة ربوعها وانكف اهلها عن المشاغبة وعلى الخصوص منهم يهود الاسكندرية وكان لنيرون المذكور اعتناء زائد بتحسين أحوال مملكة مصر ورغبة كبيرة في طلب معرفة منبع النيل فبعث من الرومانيين جماعة لاستكشافه فساروا وخرقوا جوف

السودان وعادوا بما عرفوه من أحوال تلك الاصقاع وموقعها الطبيعي - وحكى أن أحد نبلاء الرومانيين اجتمع باثنين من رجال هذه البعثة بعد رجوعهم فحدثناه بهذه العبارة وصلنا بعد سياحة طويلة الى ملك السودان فاعطانا الزاد والراحلة وأمدنا بالذخائر وأعاننا على هذا السفر الطويل بان أوصى علينا المملوك المجاورة لبلادنا فأباحوا له الجولان في بلادهم فسرنا حتى انتهى بنا المسير الى محل ذى بحيرات وبطائح وبرك يصعب السير فيها حيث هى مجهولة المعالم مملوءة بالأشجار المتكاثفة * قالا * وقد وجدنا هناك صخرتين عظيمتين تخرج عندهما المياه بغاية القوة فما علمنا هل هما منابع النيل أو أن منابعه بعدهما أو أن هذين المنبعين هما فى طريقه ومنبعه الحقيقى بعيد عنا اهـ

وكان نيرون يحب مملكة مصر محبة عظيمة فقصده الحضور اليها وتجهز لذلك وكان اذ ذلك عامه عليها طقسوس أخاه من الرضاع فارسل اليه يعلمه بقدومه وأرسل رسلا يجهزون ما يليق باستقباله فجهزوا ما لزم وعملوا له حمامات خصوصية لغسله فدخلها طقسوس ليتفرج عليها فاعجبته فاغتسل بها فلما علم نيرون بذلك أمر بقتله ولم يراع اخوة الرضاع ولا حقوق النيابة وحين أشرف نيرون على حد الارتحال الى مصر حلت فى مدينة رومة الفتنة الداخلية وقامت على ساقها فقتل فيها كما تقدم القول فكانت مدة ملكه نحو ثلاث عشرة سنة وخلفه اسليقيوس غلبا المتقدم ذكره

(فى الملك اسليقيوس غلبا قيصر)

ثم قام بالامر اسليقيوس غلبا قيصر ببيع بالملك سنة ثمان وستين لليلاد أى سنة أربع وخمسين وخمسمائة قبل الهجرة عقب موت نيرون وانقراض عائلة أوغسطس قيصر وكان غلبا المذكور من عائلة شهيرة بالحسب والنسب بين عائلات ايطاليا وكان شيخا كبيرا ممرا نحو ثلاث وسبعين سنة وكان سبب ارتقائه هذا المنصب أن جميع الجنود الرومانية اجتمعوا وتشاوروا بينهم فى أمر تولية ملك عليهم من غير مدينة رومة فاجعوا أمرهم سرا على انتخاب غلبا هذا وكان موسرا بالمال بخيلا صعب الاخلاق مدققا فى الادارة والتدبير مشددا فى الصرف والانفاق لا يلائم طبعه طبع الرومانيين فى الكرم ولم تكن رغبة العساكر فى توليته الا ليعطيهم من العطايا والمراتب عوائدهم التى عودهم عليها من سلف من ملوكهم فصارت عندهم رزقا لامقطوعا ولا منموعا فلما ارتقى المسند واستقر به أمسك عن الانعامات المعتادة للعساكر المنتخبه وغيرهم فطالبوه بذلك فقال انى أختار عسكرى أحسن اختيار ولا يجعل بى أن أشتري خدمتهم بدرهم ولا دينار فاسكتهم ثم قبض على وزراء نيرون الملك وعاقبهم وخطعهم واستوزر غيرهم وشدد عليهم بالاقتصاد والالتزام طرق الحزم

وعدم الاسراف في الاموال فضيقوا على العساكر وقتلوا عليهم غاية التقتير فشكوا من ذلك فلم يلتفت اليهم فركبوا عليه وقتلوه وقبضوا على وزيره المدعو بسقون وقتلوه أيضا وطافوا به في شوارع المدينة ومثلوا به تمثيلا

وكان بمدينة رومة رجل من عائلة قديمة ماجدة يبسط للكرم يده ويمد للشجاعة ساعده اسمه مرقوس أوطون وكان مشهورا بسعة الانفاق مثقلا بالديون للبذل في موااساة الرفاق فانفق أمراء العساكر على توليته المنصب واتحدت كلمتهم على ذلك فولوه فكانت مدة ملك غالبا المذكور سنة واحدة فقط

(في الملك مرقوس أوطون قيصر)

ثم قام بالامر مرقوس أوطون قيصر ببيع بالملك سنة تسع وستين لليلاد أي سنة ثلاث وخسين وخمسمائة قبل الهجرة وريثما استقر به المنصب وبايعته رومة والديار المصرية كانت جنود الرومانيين في بلاد جرمانيا قد بايعت أيضا وبطليموس وهو ايطالس الذي هو قائدهم فانقسمت لذلك الدولة وفشل أمرها وقامت بين الفريقين حرب هائلة واجتمع الجمعان واصطف الفريقان فانهزم جماعة أوطون وانتصر أصحاب ايطالس فلما علم أوطون بانهزام أصحابه دخل مخدعه وقتل نفسه فكانت مدة حكمه ثلاثة أشهر لا غير واستقر المنصب للفائد ايطالس المذكور وفي أيام أوطون على قصرها ضربت السكة باسمه في ديار مصر اذ كانت هي أول من بايعه ونقشت اسمه على بعض المباني العمومية قال بعض الكتاب وهو باق الى الآن دون سلفه غالبا قيصر وخلفه ايطالس اذ لم يوجد لهما اسم بها ولا رسم وقد استعمل على مصر طبريوس اسكندر اليهودي فطالت مدته وسيأتى الكلام على وسباسيانوس قيصر الذي مات في أيامه اينانو ناني بطاركة الاسكندرية

(في الملك ايطالس قيصر)

ثم قام بالامر ايطالس قيصر ارتقى المنصب الملوكي في اليوم الذي قتل فيه أوطون الملك في سنة تسع وستين لليلاد أي أواخر سنة ثلاث وخسين وخمسمائة قبل الهجرة فلما استقر به المنصب ذهب الى مقتل أوطون الذي قتل فيه وأظهر الشمانة والفرح وقال لقواد عساكره إن جثة العدو المقتول هنا لا يزال يشم منها على طول الازمان وتداول الايام رائحة طيبة فدل ذلك على خبيثته وقلة مروءته ولؤم طبيعته اذ قصد بذلك أن هزيمة أوطون ستكون

سببا في تنعيمه وتلذذه بالمطعم والمشرب والانهمالك في اللذات والشهوات الحيوانية وكان ايطالس المذکور يخيف البدن ضاوي الجسم شره النفس يقضى أكثر أوقاته في الجلوس على الطعام وباقي ساعات يومه في الاشتغال بجلب الاطعمة النادرة العزيرة الوجود من الاقطار الشاسعة والبلاد البعيدة وقد أحضر له اخوه في يوم واحد ألفي سمكة وسبعة آلاف طائر من أغرب الطيور واندريها وجودا وطبخها له وأحضرها على مائدته ليشكره على ذلك فاستخف بها ايطالس وبالغ في السعي حتى تسنى له ان جلب أكثر من ذلك وأعظم انهارا لاقتداره وعلو نفسه

ولما لم يكن له هم سوى بطنه وقد ترك أمور البلاد وشؤون المملكة غير ناظر الا لشباع جوفه قامت عليه الرعية والوجهاء والاعيان ونادوا بخلعه فوافقهم العساكر الرومانية والايالات المشرقية والديار المصرية وأجمعوا على مبايعة الامير وسياسيانوس القائد الشهير فلما أحس ايطالس بذلك أمر قواده بقتال وسياسيانوس والاحزاب فالتقى الفريقان واقتتلا قتالا عنيفا فانهمزم أصحاب ايطالس وولوا مدبرين وأتى له الخبر بانكسار أصحابه وهزيعتهم وكان نائما تحت ظلال الاشجار كالبهيمة السائفة فلم يتحرك ولم تأخذه آخذة من الغم فلم يشعر الا وجنود وسياسيانوس قد احتلت رومة فهرب عند ذلك واختفى في بيت لاجد حجابيه فهجموا عليه وأخذوه ثم ساقوه الى أحد الميادين العامة وضربوا عنقه في ليل ذلك اليوم فكانت مدة حكمه ثمانية أشهر أنفق فيها في مطبخه ما قيمته نحو مائتي ألف ألف درهم ولم يأت في هذه المدة بشئ غير التغالي في جلب المال كل النادرة الوجود من البلاد البعيدة فسبحان من أودع في كل قلب ما شغله

(في الملك وسياسيانوس قيصر)

ثم قام بالامر الملك وسياسيانوس قيصر ببيع بالملك في اليوم الذي قتل فيه ايطالس قيصر سنة تسع وستين للميلاد أي نحو سنة ثلاث وخسين وخمسمائة قبل الهجرة وكان سبب توليته هذا المنصب هو ان السلطة الرومانية منذ أن صارت ملكية الى هذا الحين كان قد مضى عليها خمسون سنة وهي محافظة على ما كان لها من العز والفخر وبعد الكلمة ثم مات بعد ذلك بتعاقب القياصرة الذين لا رأى لهم ولا حزم عندهم الى الانحطاط والضعف وتنازلات عن درجتها القديمة وعن رفعة الشأن فتلاعب بها أخصامها داخلا وخارجا فكانت دولة فارس تغير على ملحقاتها المشرقية الكرة بعد الكرة وكان اليهود من رعاياها في فلسطين يعتقدون ان حكم دين المسيح قد آن وقته وان لا بد من زعزعة أركان الدولة الرومانية عاجلا أو آجلا فكانوا لذلك لا يشكفون عن القيام واتارة الفتن ويرفعون راية العصيان ويقاثلون ولاية الامور

قصد التخلص وكانت الايالات الاخرى تحاول مثل ذلك وترغب في الاستقلال وقد قام الامير
 قيوبوليس الفلنكي وتحزب مع ابالة جرمانيا وطالب الدولة الرومانية بانفصال الايالة الغالية
 وما يتبعها وكذلك قام غيره من بقية الايالات حتى كادت الدولة تنحل وتترق وكان فيها
 عائلتان شهيرتان بالجهد والبأس والكلمة احدهما تسمى العائلة الغلوية والثانية تسمى العائلة
 الانطونونية فاجتهدتا في رفع شأن الدولة واحياء كلمتها واعادتا ما كاد يذهب من رونقها وعقدتا
 الخناصر على ذلك وكان وسپاسيانوس هذا رأس العائلة الغلوية وكبيرها ولكنه لم يكن
 صاحب مظهر بل كان يألف الخول ولذلك لم تكن شهرته واسعة ولا صيته بعيدا اذ كان جده
 من أحد ضباط الجنود في خدمة بومبيوس وكان أبوه صيرفيا وأما وسپاسيانوس المذكور فقد
 كان بطلاباسلا ومقداما فاضلا له الحظ العظيم في الفضائل العسكرية والنصيب الوافر في المعارف
 الملكية وكان عصاميا لاعظاميا ولكن كان فيه بعض الشج والبخل وكان له مودة كبيرة ومداخلة
 مع طيباروس الاسرائيلي نائب مصر فلهذه الاسباب كلها وبغض الرعية في ايطالس قيصر
 توسط طيباروس نائب مصر في مبايعته وخلع بيعة ايطالس وحل ديوان الاسكندرية على الاعتراف
 بولاية وسپاسيانوس المذكور وسبق جميع دواوين الايالات الرومانية في ذلك فبايعه وتم
 لوسپاسيانوس الامر ولكنه لم يحفظ هذه الفعلة لطيباروس بل أنكرها وجازاه عليها بقتله اذ لم
 يحض على توليته الملك الاستنات حتى أمر بقتله وولى مكانه على مصر لويوس وذلك سنة سبعين
 للميلاد أي سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة قبل الهجرة

ولما آل الامر لوسپاسيانوس المذكور ضاعف الخراج وزاد العوائد وجاوز الحد في
 ضرائب الأموال واحداث المكوس التي لم تكن قبل عهده وبلغ من طمعه انه كان
 لا يستحي ان يقام خدمه وحشمه وأتباعه في الاموال المستفادة لهم من الشفاعات وكان
 لا يقيم عماله الامن المشهورين بالطمع والبخل والشح فاذا استغنى أحدهم مال عليه وصادره
 واستصفي ما عنده وكان يشبه عماله بالاسفنج ويقول ان الاسفنج اذا عصر خرج ما فيه من
 الماء فكذلك الولاة والعمال وكان مع ذلك حسن التدبير عظيم الرأي مسموع الكلمة قوى
 السطان شديد البأس في القبض على زمام الحكومة وسد أبواب خلها فأحببه الرومانيون
 كثيرا ومالوا اليه وفرحوا به فزاد همة وإقداما وأكثر من الاصلاحات النافعة والاعمال
 الجسيمة فازدانت به أيامه وافتخرت به أحكامه ثم نظر الى الفتوحات والغزوات فغزا بيت
 المقدس وفتح واستولى عليه بعد قتال مع اليهود عنيف جدا وكان أقام ولده طيطوس على
 حصاره وعاد هو الى ايطاليا فضيق عليه وشدد حتى أخذه عنوة وهلك في هذه الواقعة من
 اليهود مائة ألف نفس بالفتح والاسر فكانت هذه الحرب تمام تخريب بيت المقدس
 ونهايتها كما أنذر المسيح رساله حيث قال لا يبقى من هذه المدينة حجر على حجر فهكذا كان
 ومن هذا الحين تفرق شمل اليهود في الآفاق وعزقوا كل ممزق وانتشروا في الاقطار وتفرقوا
 أيدي سبأ شيرقا وغربا وانقرض ملكهم ولم يبق لهم بعدها قاعة في شام ولا مصر ولا عراق

ولما افتتح طيطوس بيت المقدس وظفر باليهود وقهرهم عاد اليه جميع النصارى الذين كانوا عبروا الاردن وبنوا كنيسة به واستوطنوا فيه آمنين مطمئنين فكان الاسقف فيهم يومئذ سمعان ابن عم يوسف النجار خطيب مريم أم يسوع المسيح وهو الثانى من أساقفة القدس

ومع ما اتصف به وسپاسيانوس الملك من حسن السياسة واشتهر به من العدل فان مصر لم تسلم في أيامه من الجور والعسف بما جدد فيه من المغارم والمكوس التى لم تكن من قبل ووكل بجمعها أرباب الخيانة من أعوانه فكانوا لا يرعون للصريين إلا ولا ذمة ولا يرجون فيها ضعيفا فشكوا أمرهم لوسپاسيانوس وتطلبوا فلم يقبل منهم صرفا ولا عدلا فكانت شدة عظمة للغاية

ومرض وسپاسيانوس مرضا شديدا جدا فكان يتجملد ولا يتأوه من علته وطال مرضه مدة فلما احتضر دخل عليه كاهنه فقال له وسپاسيانوس معرضا بمعتقد الرومانيين قد آن وقت تقديس نفسى بالروحانية ونظمى فى سلك الارواح العلوية وكانت عادة الرومانيين انهم اذا مات ملكهم روحنوه ونظموه فى سلك العلويات وعدوه فى عداد الروحانيات فلما شعر بخروج روحه من ضلوعه تجملد وتوكأ على يدي زوجته واستند وقام من فراشه على أقدامه وقال ويحك يا زمان يجمل بالقيصر ان لا يموت الا قائما فخرجت روحه لوقته وله من العمر تسع وستون سنة وذلك سنة تسع وسبعين للميلاد أى سنة ثلاث وأربعين وخسمائة قبل الهجرة فكانت مدة حكمه عشرين سنين وتولى بعده ابنه طيطوس وكان فى أيامه المتولى أمر البطريك بمدينة الاسكندرية حنانيا ثانى بطاركتها بعد مرقس الحوارى كما تقدم الكلام عليه فى محله ولم يحصل فى أيامه للنصرانية أمر يذكر

(فى الملك طيطوس قيصر)

ثم قام بالامر ابنه طيطوس قيصر ببيع بالملك سنة تسع وسبعين للميلاد أى سنة ثلاث وأربعين وخسمائة قبل الهجرة وكان قبل توليته لا يعهد فيه الا القسوة والجبروت والسفاهة والاسراف ووضع الامور فى غير موضعها لاسيما ما بدا منه عند حصار بيت المقدس وما فعله من كثرة القتل واراقة الدماء والاسر والنهب حتى قيل انه عقل جميع الخوارج الذين كانوا فى فواحي بيت المقدس مع الاسرى وكان يلقى منهم كل يوم للسباع فريسة الى أن أفناهم فلما صعد على سرير الملك سلك مسالك العدل والرشد وحسنت حاله وجدت خصاله وحكم بالعدل والاحسان وقرب منه أهل الفضل وصلاح الناس وكان عالما عاملا فهامة عارفا باليونانية واللاتينية وكان ملازما دائما للخير مخالطا للناس غير محتجب عن أصحاب الخوائج وطرد من

ديوانه بطانة السوء وأهل السخرية وتنزهه الا عن معاشرة أرباب الفضائل فاجنبه الرعية حبا شديدا ولقبوه بنعيم الدنيا

ويحكى انه مضى عليه يوم ولم يعمل فيه عملا صالحا لرعيته فصاح في الليل قد مضى يومى هذا سدى فوا أسنى واخرنى * ووقعت في أيامه حادثة انفجار بركان ايطاليا أى جبل النار المسمى (وزوف) وكان انفجاره عقب زلزال عظيم جدا وانفتحت منه فريحتيه فصارت تقذف المواد الملتبة والرماد الغزير حتى غير الفضاء واغبر شكله وكان على مقربة منه مدينتان عظيمتان احدهما تسمى (هرقولانوم) والثانية تسمى (بومبايس) فوصل اليهما ما قذفه هذا البركان من المواد الجارية والرماد وتراكت عليهما هذه المواد حتى اغرقتهما وغطتهما وكان في هذا العهد (بلياس) الا كبر الحكيم الطبيعى حيا فذهب ليستكشف حقيقة هذه المواد واسباب هذا الحادث الغريب ودنا من البركان فهلك ولم يبق له من أثر قلت وما زال هذا البركان يهيج الى يومنا الذى نحن فيه ويقذف ما فى جوفه من المواد النارية

وبعد حدوث هذا الحادث بنحو السنتين مرض طيطوس الملك بالحمى فدخل الحمام فمات فيه فجأة وذلك سنة احدى وثمانين للميلاد أى سنة احدى وأربعين وخمسمائة قبل الهجرة فكانت مدة ملكه سنتين اثنتين وشهرين وكائما كان ظهوره في الدولة الرومانية ليتم ما نذر به المسيح من خراب بيت المقدس وليكون قدوة للملوك الرومانيين في التجنب الى الرعية ففقد كان عاقلا متواضعا لا يحب العظمة ولا يعيل الى التفاخر يذهب بنفسه بدون خدم ولا حشم الى حيث أرباب المجلس ليستشيرهم في أمور الدولة واحتياجات الرعية والبلاد ويذهب وحده الى الميادين العامة بين الاهالى على اختلاف طبقاتهم لسماع المواعظ والخطب الادبية وكان يحب رعيته جدا وهم يحبونه حبا شديدا فلما مات خلفه أخوه دوميطيانوس

(فى الملك دوميطيانوس قيصر)

ثم قام بالامر أخوه دوميطيانوس قيصر ببيع بالملك يوم موت اخيه طيطوس سنة احدى وثمانين للميلاد أى سنة احدى واربعين وخمسمائة قبل الهجرة ولم يستقر به المنصب حتى ظهر للناس انه هو الذى قتل أخاه طيطوس بالسهم مع انه كان قبل توليته يظهر الادب ويتظاهر بطيب الاخلاق وحسن السيرة والرفق ولين الجانب وغير ذلك من المظاهر الكاذبة فلما قبض على زمام الملك عاث وظلم وطفى وتجبر فكان اشبه بنبيرون الطاغية فى الميل الى اللهو واللعب والمصارعة والتولع بسفك الدماء والجراحة على قتل النفوس البريئة قال بعض أهل التاريخ وكان

إذا لم يجد من يقتله من الناس اشتغل بنخس الذباب حتى لا يخلو طرفه عين من اذافة
خلق الله طعم العذاب وكان شديد الجبروت يخترع للعقوبات طرائق متنوعة لم تخطر على
قلب بشر وكان اذا أراد قتل انسان في غده أحضره عنده ليتناول معه الطعام وبالغ في
إكرامه * وكان له قائد ماهر في الحروب اسمه اغريقولا فسيره لغزو الابريطانيين الذين هم
الأتكليز فحمل عليهم وغزاهم بعسكره وانتصر عليهم انتصارا كبيرا ونحرهم للرومانيين
وعاد الى رومة ومعه مالا يقدر من الغنائم وخلق كثير من الاسرى فلما دخل رومة وهو على
هذا الحال من الابهة والانتصار غار منه الملك وحقد عليه وخشى من عاقبة امره فاستدعاه
عنده يوما وسقاه كاسا مسموما فبات لوقته فحقد على الملك لذلك جميع الامراء واهل البلاد
وأبغضوه بغضا كبيرا وتمنوا موته وتحرك بعد هذه الغزوة الى قتال ملك الفلاق والبغدان
وجهز له الجند وساقهم لقتاله فلاقاه ملك الفلاق فلما احتدم بينهما القتال ترك
دوميطيانوس عساكره واهمل أمرهم ولم يعيدهم بالميرة ولا الزاد ولم يسعفهم بشئ من
معدات الحرب فانخذلوا وانكسروا وانتصرت عساكر الفلاق عليهم وأسرت الكثير منهم
وتعقبهم حتى كادت تصل الى اسوار رومة فشق هذا الامر على الرومانيين وهاجوا
ولم تقلص المدينة من مضض التصييق الا بدفع الخراج لملك الفلاق والبغدان فأغرى الالهالى
أميرا اسمه اصطفانوس بقتل دوميطيانوس والتخلص منه فقام اصطفانوس المذكور ودخل
على الملك بوسيلة كتاب حضره لديه وناوله الكتاب ففضه وبينما هو يقرؤه انقض عليه
وطعنه بخنجره فازهق روحه وكان ذلك سنة ست وتسعين لليلاد أى سنة ست وعشرين
وخمسائة قبل الهجرة فكانت مدة حكمه نحو ثلاث عشرة سنة وبموته انقرضت العائلة
الغلاوية وقامت بعدها العائلة الانطونية وسنأتى على ذكر ملوكها واحدا فواحدا

وفي أيام دوميطيانوس هذا مات حناينا بطرك الاسكندرية بعد ان أقام في وظيفته اثنتين
وعشرين سنة وكان موته في العاشر من هاتور سنة سبع وثمانين لظهور المسيح

وأقيم بعده ميليو وهو ثالث بطاركة الاسكندرية وقد كثر النصارى في أيام ميليو
المذكور ونموا وعاد الكثير منهم الى بيت المقدس بعد خرابه على يد طيطوس بن
سپاسيانوس كما تقدم بيانه في محله واستوطنوه وعمره ربوعه التي كانت اندرست معالمها
وانمحت آثارها قال بعض أهل التاريخ وكان يقال بأن دوميطيانوس هذا هو ابن أخت نيرون
قيصر ولذلك كان غشوما كافرا مثله وقد كان أمر بقتل جميع النصارى كما فعل خاله نيرون
وحبس يوحنا الرسول مكبلا بالحديد وأمر بقتل جميع اليهود الذين من نسل داود حذرا
من ان يقوم منهم ملك وكان يشدد عليهم الوطأة وقتل أبناء ملوكهم كافة ولم يبق منهم
أحدا وكان يتعقب النصارى ويفتك بهم لانه علم بأنهم يقولون ان المسيح يأتي ثانية فيملك جميع
العالم ويبحث عن أولاد يهوذا بن يوسف أحد الخواريين وجاهلهم الى رومة مقبدين
بالاغلال وسألهم عن محيى المسيح فقالوا انما يأتي عند انقضاء العالم فخلى عنهم وفي الثالثة

من ملكه طردميليوبطرك الاسكندرية وأقام غيره * قلت وهذه الرواية لم يقم على صحتها دليل ولم تتناقلها أقلام الكتاب ونقي سن رومة جميع الفلاسفة والمجتمين وأمر ان لا يغرس بها كرم ولما مات تولى بعده الملك (نيرود) قيصر وهو رأس العائلة الانطونونية

(في الملك نيرود قيصر)

ثم قام بالامر بعده نيرود قيصر وهو رأس العائلة الانطونونية بويج له بالملك في اليوم الذي قتل فيه دوميطيانوس سنة ست وتسعين للبلاد أي سنة ست وعشرين وخمسمائة قبل الهجرة وتحرير النصارى لما تحزب جمهور الرومانيين على قتل دوميطيانوس انضم المجلس الروماني الى المتحزبين بعد هلاكه ليولوا غيره فاجتمعت كلمتهم على تولية نيرود هذا وكان شيخا يطاق المولد كريدى الاصل والجنس يبلغ من العمر سبعين سنة وكان في السياسة جليل المذهب حديد الرأي يميز الغث من السمين ولكنه كان ضعيف القلب فاطر الهمة لا يقوى على تنفيذ الاعمال فلم يستقر به المنصب حتى قامت عليه الرعية وكادت تخلعه حيث لم يكن من يث الملك فتدبر أمره واستمال اليه (أوليبوس طريانوس) حاكم بلاد جرمانيا السفلى ثم تبناه وأشركه معه في الملك فركب الامير أوليبوس طريانوس المذكور على الاحزاب ومزق شملهم وقتل كبارهم ومحا أثرهم فتمكنت شوكة نيرود وعلت كلمته وهابه الناس فأحسن السيرة وعدل وأمر برد من كان منفيًا من المسيحيين وأباح لهم التمسك بدينهم وأرجع يوحنا الانجيلي الى مدينة أفسوس بعد سجنه ست سنين ومحا نيرود آية الظلم والجور وسلك سبل العدل والسداد فكان يصفح عن الجاني وعفا عن قتل الذين اتهموا بالعصيان والخروج عن الطاعة وعاقبهم بالنقي وأجلاهم عن البلاد لدفع الريبة ثم قتل العبيد والعنقاء الذين وشوا بساداتهم اضرارا بهم جزاء ارتكابهم النجاسة في حق مواليمهم ولما تمكن من الملك واستقر به المنصب ودانت له الامور وعلت كلمته لم يمض عليه بعد ذلك أكثر من ثلاثة أشهر حتى مات حتف أنفه في سنة ثمان وتسعين للبلاد أي سنة أربع وعشرين وخمسمائة قبل الهجرة فكانت مدة ملكه ستين اثنين وتولى بعده شريكه أوليبوس طريانوس

(في الملك أوليبوس طريانوس قيصر)

ثم قام بالامر بعده أوليبوس طريانوس قيصر سنة ثمان وتسعين للبلاد أي سنة أربع

وعشرين وخمسمائة قبل الهجرة وكان يوم وفاة (نيرو) قيصر متغيبا في الاقاليم الفرنجية التي على نهر الرين فأخذ له البيعة أرباب مجلس رومة وبعثوا اليه فتأخر عن الحضور وبالنسبة لما كان له في قلوب الرعية من الهيبة والوقار وعظم الصولة لم تقم في غيبته عن تخت الملك فتنة ولا حصل خلاف في بيعته

وكان مولد طريافوس المذكور بمدينة مالقه ببلاد الاندلس وقد اشتهر برفع النفس والافضلية على جميع أمراء الدولة الرومانية وكانت جميع الرعية تشهد بعلو درجته في المزايا العسكرية فلما قدم الى مدينة رومة عقدوا له موكبا مجردا من الابهة والطنطنة فدخل المدينة غير مختال ولا معجب بمنصب السلطنة بل ماشيا على الاقدام وكان يمشي في وجه كل من يراه مقبلا للتهنئة باسطا يده لمن أراد تقبيلها شاكرا لأرباب الادعية والاثنية وما زال حتى استقر به الجلوس فأقبل الى الحاضرين بوجه باش وقال أحب ان أصنع مع جميع الناس ما كنت أحب أن يصنعه معي قيصر رومة لوقييت في أيامه معدودا من آحاد الناس فما أحبه لنفسى أحبه لاهل وطنى وأبناء جنسى

ولما استقر به المنصب بذل الهمة والجهد في اصلاح شؤون البلاد حتى أعاد لها نورها القديم وأرجع ما فقدته من المزايا والحقوق التي كانت لها على عهد الجمهورية وأباح لمجلس الاحكام التصرف بما تقتضيه مصلحة البلاد ورخص للقضاء والحكام السلطة الغير المحدودة كل بحسب وظيفته ونهى عن أن يحكم القضاء على الغائب في المواد الجنائية لان القضاء على الغائب الذي لا يدفع عن نفسه يعتبر فصل نزاع بدون اثبات ولذلك قال طريافوس في هذا الشأن ان أصول الاحتياط ترجح جانب البراءة على جانب الجناية فلا يصح أن يحكم بعقوبة على متهم غائب لان الاصل عدم الجناية يعني ان الغائب المتهم الذي يراد الحكم عليه بالجزاء يحتمل أن يكون مذنبا كما يحتمل أن يكون بريئا ولكن المرجح جانب البراءة لانها الاصل

وكان طريافوس المذكور حسن التدبير والادارة متبصرا في عواقب الامور تخفف المكوس والعوائد وأنشأ القناطر والجسور ومهد الطرق والعقبات وجدد المين وأحسن مواقعها ومنها مينا انكونة على جيون البنادقة بايطاليا لتكثير التجارات والمعاملات وأنجز هذا العمل الجسيم في سنة لا غير فقام له أرباب ديوان رومة والاهالي ببناء هيكل بمدينة أنكونة لتخليد ذكره وبقاء اسمه وجدد طريافوس كثيرا من المباني النافعة وأنشأ مكتبة عظيمة للغاية وأقام في مدينة رومة العمود المشهور المسمى (الطريافوس) وهو من الرخام الابيض ورسم عليه الحروب التي وقعت بين الرومانيين والفلاق والبغدان وجميع ماجرى من نصر الرومانيين عليهم في تلك الازمان

وكان لا يخالط الاهل الادب وذوى الفضائل ولا يحضر مجلسه الا مشاهير الرجال وكابر اهل الفضل والامتنياز من الابطال وكان لأرباب القضاء عنده منزلة عظيمة كما أنه كان يجلس كثيرا لأرباب

الحكمة والفلسفة ومن المقرين اليه الحكيم بليساس الاصغر وكان هذا الحكيم من قول الكتاب فجمع مناقب طريافوس فيمصر هذا تذكرة للتأخرين

وغزا طريافوس بلاد الفلاق والبغدان وتغلب عليها وضمها الى الممالك الرومانية فاشتهر أمره وبعد ذكره في الاتفاق فبعث اليه ملوك الهند سفراء يهنئونه بهذا الانتصار ثم استعمل على الافلاق والبغدان بليساس الحكيم المذكور فأحسن تدبيرها ووردت الى طريافوس الاخبار بخروج عرب الحجاز لشن الغارة على أملاك رومة الشرقية لقصد النهب وسبي النساء والاطفال وانهم قد تحركوا لذلك فسار الى آسية في كثير من عساكره وركب عليهم وقاتلهم فوقع بين الفريقين قتال عنيف وبذل العرب الجهد وأظهروا الشجاعة فهزمهم طريافوس شر هزيمة وملك الاقطار الحجازية وضمها الى أملاك رومة وذلك سنة عشر ومائة لليلاد أي سنة اثنتي عشرة وخمسمائة قبل الهجرة وقام بعساكره بعد هذه الغزوة بسنة الى بلاد فارس وغالبهم على ملكهم وأخذ أرمينية والجزيرة وبلاد الاكراد والعراق واليمن فزادت شهرته وعلت كلمته وهابته الملوك واجتمعت قلوب رعيته على محبته فسموه (افطمينوس) ومعناه القيصر الكامل ولم تتحد كلمة جماعة المؤرخين على ذمته في شيء مما الاباضطهاد للسيحيين وتبديد شملهم في الاتفاق وقتله لسمعان بن كلاوبا أسقف بيت المقدس واغناطيوس بطريرك انطاكية فلقى المسيحيون في أيامه شدة عظيمة للغاية وتتبع أحبارهم بالقتل واستعبد عامتهم وسامهم الخسف وذاقهم مر العذاب وكان كثير الفتوحات والغزوات فجاء في فتوحاته بالمشرق حتى دنا من البحر المحيط الهندي فلما قفل راجعا الى رومة أدركته المنية في طريقه فمات خنفاً أنفه سنة سبع عشرة ومائة لليلاد أي سنة خمس وخمسمائة قبل الهجرة فكانت مدة حكمه تسع عشرة سنة وكان له آثار عظيمة جدا بالديار المصرية فحزن عليه جميع الرومانيين وغيرهم ممن سخر بلادهم كما حزنوا على طيطس من قبله

وفي عهده كتب يوحنا الانجيلي ببعض الجزائر في السنة السادسة من حكمه وكان قد رجع اليهود الى بيت المقدس وكثروا فيه وصمموا على الانتقاض على طريافوس والخروج عن طاعته فبعث عساكره لحربهم فطالت الحرب بينهم وقاموا على كثير من المدن التابعة لرومة وحاربوها أيضا وزحفوا على مصر والاسكندرية وحاربوا من فيها من العساكر الرومانية وقهروهم وأخرجوا من الاسكندرية لويوس نائب مصر فأرسل اليهم طريافوس بدله مرطيوس مع جيش عظيم جدا فاشتدت الحرب بين الفريقين لاستمرار القتل الداخلية المترتبة على المنازعات الواقعة بين يونان ويهود الاسكندرية وذلك لما بين الفريقين من العداوة واستمرت الحرب سجالا الى ان ملك أدريافوس قيصر وفي أيامه مات ميليو ثالث بطارقة الاسكندرية بعد ان أقام بطريركا اثنتي عشرة سنة وتسعة أشهر على المشهور وهذا يدل على عدم تغييره فأقيم بعده كورتيانو وهو رابعهم وكان من الحوادث في أيامه ما سيذكر في محله وبموت طريافوس قيصر المذكور خلفه ابن عمه ادريافوس قيصر

(في الملك ادريانوس قيصر)

ثم قام بالامر ابن عمه ادريانوس قيصر ببيع بالملك بعد موت طريانوس سنة سبع عشرة ومائة لليلاد أي سنة خمس وخمسة قبل الهجرة وتحرير الخبر أنه لما مات طريانوس ولم يعقب ولدا استخلف العسكر بعده ابن عمه ادريانوس المذكور وبايعوه بالملك وكان يومئذ قائد جيوش الديار الشامية فلما بايعته العساكر بايعه أيضا أرباب المجلس والوجهاء والاعيان واستقر به المنصب فكان متباين الاحوال متناقض الخصال اذ نارة يكون حليما وأخرى غضوبا وطورا يميل الى الفضائل وآونة الى القبايح والذائل وكان لا يحب الحروب ولا يميل الى الغزو وتوسيع نطاق البلاد بل يؤثر السلم والدعة والمحافظة على حدود بلاده وكان في أكثر أيام ولايته جوابا ينتقل من ناحية الى أخرى وأكثر من الزيادة في الضرائب والمكوس وضرب على جميع الاشياء مغارم أخرى فادحسة ولم يساوه أحد من أسلافه في الاكثار من تشييد العمارات والمباني الجسيمة وكان يحب المعارف والآداب وله فيها مشاركة كبرى وكانت عيشته في قصره عيشة هنيئة جدا وأشرك معه في حكم البلاد رجلا يقال له قسومودوس ويروس من أسافل الخلق فوسمه لذلك الناس بخلخل العقل والطيش وغضبوا عليه وقالوا انما أشركه معه لانه اخترع له صنفا من الفطير لذيذ الطعم يستطيعه الفهم ونوعا من الفراش يعتمد على بساط من الورد في وسط الروائح المعطرة فوقع هذا الاختراع لديه موقعا عظيما فكافأه بهذا الاحسان الجسيم

وكان ويروس المذكور أشبه بالنساء في المحادثة وقد اختارته النية قبل ادريانوس الملك بقليل من الزمن فأشرك بعده طيطوس انطونين وقد فرح الناس بموت ويروس المذكور وخلاص البلاد منه

وكانت أيام ادريانوس كثيرة الخير والبركة على الديار المصرية الا أنه قد وقع في خلالها بالاسكندرية فتنة عظيمة جدا بعد اخذ نار فتنة اليهود بها وذلك أنه ظهر في ذلك الحين بديار مصر مجل جديد على شكل العجل (ابيس) معبود المصريين وكان المصريون اذا مات مجلهم اجتمع الكهنة منهم وغير الكهنة وتداولوا بينهم في أمر المكان الذي يوضع فيه هذا العجل لترتيبه ورضاعته حتى يتحققوا من ألوهيته وماهيته فكثرت لذلك الجدال والخلاف في تعيين المدينة أو القرية التي يقيم بها العجل المذكور وقامت لذلك الحرب بينهم على ساق واشتد ضرام الفتنة وعلا لهيبها في جميع البلاد لاهمية هذا الامر لديهم

فلما طرقت مسامع ادريانوس هذه الاخبار وكان يومئذ باقليم فرنسا سار مسرعا الى مصر ودخلها بعسكره وأخذ نار الفتنة وأزال الجفوة من بين المصريين واليونان واتخذ مدينة الفرما مقره وأصلح بناء تربة بوميوس وزينها بأجل زينة ثم ساح في أرجاء مصر

ففرح الاهالى به وضربوا السكة باسمه تخليدا لذكرك وكانت هذه السكة من الحديد والرصاص فتمسوها عليها تاريخ سفره وصورة مدينة الاسكندرية على شكل انسان يستقبل الملك وهو قادم في سفينة وصوروا القيصري يستقبل الزائرين من اهالى الاسكندرية كانه عديده للاسكندرية وعديدها اليه على سبيل المصافحة وصوروا على تلك النقود مركب القيصري وتقريبه للقربان وكذلك رسموا عليها من الجهة الاخرى سير القيصري على النيل وهو في سفينة مقسمة على شكل قرن الخشب واليمن وضربوا سكة أخرى عليها صورته وصورة زوجته (سايته) وعليها تاريخ ابتداء ملكه على المملكة الرومانية

ويحكى أنه أثناء سفره في النيل معهما الصعبد مات ولده انطينوس فحزن عليه حزنا شديدا جدا ودفعه هناك وقد ساعد مملكة مصر على توسيع نطاق المعارف وتكثير العلوم وأنشأ فيها بعض العمارات اذانا بقدمه الى مصر وكتب وهو يتجول في انحاء البلاد رسالة الى صاحب له اسمه نريانوس من عظماء الرومانيين يقول قد استقصيت أحوال مصر واستقرت عوائدها واطلعت عليها اطلاعا كاملا وكنت في بادئ أمرى أخصها بالمدح والتخاشي ذمها فبين لي بعد التأمل والنظر أنها عبرة لمن اعتبر فهي طائفة لاتدوم على حال ولا تنكف عن المشاغبة والمنافرة لاسيما في أمور الدين وما يتولد منها على أن من لم يعبد منهم الشمس والعجل أيس نصرانيا مع انه ليس كذلك بل الذين يزعمون منهم أنهم أساقفة على دين المسيح هم كغيرهم من المصريين الذين يحترمون الشمس والعجل ولا فرق في ذلك بين الاسقف وحاكم اليهود وكل قسيس أو راهب أو عاى له في الشمس والعجل احترام كبير قال وقد يغلب على فكري انه لو أتى بطرك من بطارقة النصارى الخارجين عن ديار مصر ودخل مصر لشارك أهلها في التمسك بهذه الاحترامات الدينية وربما اعتقدوا أن العجل والشمس (والمسيح) انما هم أسماء مترادفة وانما في الحقيقة شيء واحد

واعلم أن أهل مصر دون غيرهم يميلون الى اختلاف الكلمة ويسرعون الى الغضب لاقول سبب أما مدينة الاسكندرية التي هي دار الحكومة ومقرها فهي بلدة مثرية غنية كثيرة الخير والبركات وليس أهلها أهل بطالة وكسل وأغلبهم حاكمة الكتمان وهم يميلون الى الصناعة لا يستغنى منهم الاعرج والاعوى ولا المصاب بأشد الامراض فلا يميلون الصناعة ولا يضيعون أوقاتهم الا في الكسب وكلهم عارفون بوحداية المعبود حتى العامة منهم والخرافيش ولو كانت مدينة رفيعة الدرجة في التربية والمدنية زيادة عما هي الآن لسادت على جميع المدن ومع ذلك فهي بكثرة أهلها وزيادة مبانيها واتساع أراضيها تستحق بأن تكون كاهي عاصمة الديار المصرية ولذا لم أمنعها شيئا من حقوقها بل منحتها جميع مزاياها القديمة وزيادة لتكون آمنة مطمئنة ولم أخرج منها الا وقد صار أهلها يستخرون بابي وروس ولا يخفوا ما يصدر عنهم من المقال لمناسبة موت ابني انطينوس فانا لا أعتنى لهم الا التهمة بما عندهم

من الدجاج ليكسبهم كثرة الباء الموجب لقوة التوليد . قال والا فصاح عن ذلك بأكثر مما قلته يحل بالأدب والحياء والواصل لكم بعض كؤس وأكواب مختلفة الألوان قد أهدها فيها كهان الهياكل فوهبتها لك ولاخني ليطوف بها السقاة في المواسم والمحافل وانما يجب على صاحبنا افريقانوس أن يحترس من أن يكثر من الشراب بها فيعربد فلا يدع هوى نفسه يستولى عليه ويستعبده انتهى

وقد اضطهد ادريانوس اليهود وأباد منهم خلقا كثيرا جدا وبني بيت المقدس وسماه مدينة ايليا وكان شديدا على المسيحيين فقتل منهم خلقا كثيرا وأمر بعبادة الاوثان وألزم أهل مصر على ما يقال بحفر خليج من مجرى النيل الى مجرى الفلزم أجرى فيه الماء الخلو ثم ارتدم بعد ذلك وهذا الخليج هو الذي ألزمهم عمرو بن العاص أيضا بحفره حتى جرى فيه الماء ثم ارتدم ثانية فلما بنى مدينة القدس رجع اليها اليهود واستوطنوها فبلغه أنهم على عزم الانتفاض وانهم أقاموا عليهم زكريا أحد ذرية ملوكهم فبعث اليهم جيشا وتبعهم بالقتل وخرب المدينة حتى عادت صحراء وأمر أن لا يسكنها يهودى وأسكن اليونان بيت المقدس فكان هذا الخراب لثلاث وخسين سنة من خراب طيطوس وهو الجلوله الكبرى وامتلا بيت المقدس من اليونان فكان المسيحيون يترددون الى موضع القبر والصليب يصلون فيه فكان اليهود يرمون على هذا الموضع الزبل والكناسة ومنعهم اليونان أيضا من الصلاة فيه وبنوا هناك هيكلًا على اسم الزهرة

ثم مات ادريانوس الملك في سنة ثمان وثلاثين ومائة لليلاد أى سنة أربع وثمانين وأربعمائة قبل الهجرة حنف أنفه

ومات في أيامه كـردونوس بطرك الاسكندرية في حادى عشر برموده بعد مادبر الكرسي عشر سنين وكان جيد السيرة صافي السريرة ورعا تقيا ناسكا متعبدا محبا للفقراء والغرباء تولا الكرسي بعده ثلاث سنين وقدم بعده ابريمو وهو خامسهم فأقام اثنتى عشرة سنة ومات في ثالث مسرى وفي أيامه اشتد الامر على النصارى وضيق عليهم ادريانوس قيصر تضيقا عظيما وبالغ في التنكيل بهم وقتل منهم خلقا كثيرا وقدم الى مصر وأقنى من بها من النصارى كما تقدم بيانه في محله ولما مات ابريمو أقسم بعده يسطس وهو سادسهم وكان حكيما فاضلا محبا للخير وفعل البر وكان من الحوادث في أيامه ما سيذكر في محله ان شاء الله تعالى

ولما مات ادريانوس الملك خلفه في الملك شريكه طيطوس انطينينوس قيصر

(في الملك طيطوس انطينينوس قيصر)

ثم قام بالامر القيصر طيطوس انطينينوس شريكه بويج له بالملك في اليوم الذى مات فيه

لديانوس سنة ثمان وثلاثين ومائة قبل الميلاد أى سنة أربع وثمانين وأربعمائة قبل الهجرة وكانت العائلة الانطونية التى منها طيطوس هذا من أمة الغالية الذين هم أسلاف الفرنسيين من أهالى مدينة نيمه وكانت هذه العائلة مصاهرة لأعيان ايطاليا وكان طيطوس مشهورا بكرم النفس وحسن التربية ذكيا حاذقا مطبوعا على مكارم الاخلاق محافظا على أسباب الراحة فى البلاد واذاعة الامن بين صنوف الرعية فلما استقر به المنصب بذل النفس فى تقدم أسباب التجارة والصناعة والاعمال المهمة وكان يدقق النظر فى حسن الادارة والاقتصاد فى مصروفات المملكة فكانت فى أيامه الاموال مدبرة على وجه لم يسبق له مثيل وكان يسلك فى تدبير المملكة طريقة بسيطة خالية من كل زينة وبلغ الاقتصاد منه مبلغا عظيما حتى قيل انه لو تكفل بالانفاق على جميع الرعية على وجه السعة وعدم التقير لم يكن ذلك ثم انه أنشأ العمارات العظيمة والابنية الجميلة النافعة للبلاد فكانت له هبة عظيمة فى أعين جميع ملوك الامم ولم يكن فى وقته منهم من يساويه فى حسن السياسة والتدبير وظهر فى أيامه يسيلاد الصين ملك اشتهر بالسياسة وحسن التدبير والحكمة اسمه (هيا كنغ نى) فكان هذا الملك يضارع طيطوس فى حب الرعية والميل الى عمارة البلاد فكان كثير الاهتمام بأمور الرعية وتحسين أحوالهم حتى حفظ له التاريخ ذكرا حسنا وظهر فى أيامه أيضا بديار مصر بطليموس النجم صاحب الفلك * قلت وبعضهم يجعل ظهوره فى أيام البطالسة كما سبقت الإشارة الى ذلك عند الكلام عليهم * وكانت أيام طيطوس قيصر هينة لينة لاسيما فى ديار مصر اذ نالها منه مالا يزيد عليه من العدل فكثرت بها فى أيامه العمارات الاهلية والمعابد الآن يونان الاسكندرية كانوا كثيرى القتل والعصيان والخروج على الولاة والعمال وقد خرجوا على نائب القيصريوما قتلوه وبالعوا فى الفتنة الى حد لم يسبق له مثيل فقدم عليهم طيطوس فى جيش جرار جدا ودخل الاسكندرية منصورا مؤيدا فقع العصاة وقتل الاحزاب وأعاد الامور الى سابق مجراها فهابه الناس وخافوا من بأسه وجبروته

ثم مات طيطوس حنفاً أنه سنة احدى وستين ومائة للميلاد أى سنة احدى وستين وأربعمائة قبل الهجرة فأسف على موته جميع الرعية لما له عليهم من الايادى البيضاء لاسيما مدينة نيمه وبلاد الفرنسيين لانها كانت مسقط رأسه خلفه صهره مرقوريلس قيصر ومات فى أيامه يسطس بطرك الاسكندرية فى ثمانى عشرى بؤنة بعد أن أقام عشر سنين ولم يقع فى أيامه من الحوادث الدينية ما يستحق الذكر خلفه (أوميافو) وهو سابعهم وكان حازما عالما تقيا محبا للفقراء وكان من الحوادث فى أيامه ما سيدكر فى محله

(فى الملك مرقوريلس)

(قيصر)

ثم قام بالامر مرقوريلس قيصر بويع له بالملك فى اليوم الذى مات فيه طيطوس أى

سنة احدى وستين ومائة للبلاد الموافقة لسنة احدى وستين وأربعمائة قبل الهجرة وكان متمسكا بذهب زينون الحكيم الفيلسوف المتقشف فكان من شبيبته زاهدا ورعا متقشفا لا ينال الاعلى الفراش الخشن مداوما على الاعمال الشاقة وكان قبل توليته قد اشتغل بالآداب والعلوم الفلسفية فاتسعت دائرة علمه واشتهر بالمعارف شهرة عظيمة فلما أتم علومه وتمكن منها دعى للملك ولما استقر به المنصب بنى على ما أسسه أسلافه الثلاثة من حسن السياسة والتدبير ونعم ما شرعوا فيه من المقاصد النافعة وزاد عنهم فى اتباع القوانين والتمسك بها وشدد فى اجرائها وأكد على العمل بموجبها

وأشرك معه بغير فكر ولا تأمل فى ادارة أمور المملكة (لوقيوس وبروس) بن (وبروس) الذى كان شريكا مع (ادريانوس) فنجم عن ذلك أمور كثيرة سنأتى على ذكرها فى محلها

وكانت أيام مرقوريلس المذكور وأحكامه حسنة ولولا ما وقع فى خلالها من الحوادث القضائية لعدت كلها من أسعد الأيام على البلاد وأحلاها فقد وقع فى أيامه وباء عظيم جدا هلك به ما لا يحصى من الخلق فكان لا يوجد من الاحياء من يدفن جثث الموتى وفاض فى أيامه نهر رومنة فأغرق جميع الاقاليم الوسطى بإيطاليا وخط الناس سنتين كاملتين واستسقى لهم المسيحيون يومئذ فاستجاب الله سبحانه لهم وأمطروا وكذلك تضرعوا وصلوا وصاموا فاستجاب لهم وارتفع الوباء والقحط وكان المسيحيون فى هذا الحين فى شدة زائدة جدا من مرقوريلس اذ كان قد تتبعهم بالقتل وأقنى منهم خلقا وهى الشدة الرابعة التى حلت بهم بعد نبرون الملك كما سيأتى الكلام عليها فى محله * وحصل أيضا فى أيامه زلزلة شديدة جدا اضطرب منها العالم بأسره وكادت تدمر المسكونة وأغار ملك العجم على أملاك رومة الشرقية وكذلك أغار الجرمانيون الساكنون بسواحل طونة على الاملاك المغربية وأكثروا من الكثر والهجوم المتتابع حتى كادا يقسمان المملكة وبأخذائها * وكانت مدينة رومة فى هذا الحين يحكمها حاكمان مختلفان فى الامر والنهى فى سائر أملاك رومة وتحرير الخبر أنه لما كان مرقوريلس الملك قليل الحزم حريصا بقدر الاستطاعة على شئون البلاد أشرك معه فى تدبير أمور المملكة لوقيوس وبروس بن وبروس شريك الملك ادريانوس فكان لوقيوس المذكور فى خسة أبيه وبروس ودناؤه مجردا من كل صفة حميدة وخصلة طيبة حيث قضى عمره فى الحانات ومحال اللهو واللعب فكان قلما يخلو من السكر والعريضة ومخالطة الاباوش فلما أغار العجم على ما جاورهم من أملاك رومة الشرقية فتوض اليه الملك أمر دفعهم وطردهم وأناط به ايقافهم عند حدودهم فقام معه قائد من القواد اسمه اويدوس قسسيوس وكان من أشجع القواد وأكبرهم معرفة بفنون الحرب فسلم لوقيوس الامر اليه فركب اويدوس على الاعداء بجيوشه وهزمهم وطردهم وتبعهم بالقتل حتى لحقوا الى حدودهم وحازنغر الانتصار وشرف الغلبة وقد كان لوقيوس فى أثناء القتال يلعب

مع أرباب الهزء والسخرية لا يفكر فيما عسى أن يحل بالجيوش ولم يقترب قط من ساحة الحرب ولا علم بما جرى حتى أتاه أويديوس القائد وبشره بالنصر على الأعداء وكان أويديوس المذكور أميرا ماهرا حازما مشددا على جنوده قوى البطش متمسكا بالاصول العسكرية وكانت جنود المشرق المقيمون من قبل رومة في الاقاليم قد ألفوا العوائد المشرقية من الخول وفتور الهمة والكسل فكان قدوم أويديوس عليهم غاية في الاهمية حيث أحكم سياستهم ودبر أمورهم وشدد عليهم فحسنت حالهم جدا

وكما أن لوقيوس وبيروس قد أنيطت به حياية البلاد المشرقية ودفع العدو عنها فكذلك قام مرقوريلس شريكه لحياية البلاد المغربية والذب عنها من غارات القبائل الشمالية فوصل اليهم في وقت الحاجة وذلك أن قبيلة (المرقومان) التي هي إحدى القبائل المتبربرة كانت قد اجتازت جبال (البنة) كأنها حجر مستنفرة تريد الاغارة على بلاد ايطاليا فسار اليها مرقوريلس وطردها وبدد شملها ومزقها كل ممزق فاستتب الأمن وتوطدت الراحة غير أنه لم يعض على ذلك الا ثلاث سنوات حتى قامت ثمانية أمسة الجرمان وانضمت الى قبائل أخرى متوحشة كقبائل (البدوان) وهم قبائل الاندلسيين والسريرة واللان وسارت الى ايطاليا للفتك بجيوش الرومانيين والتغلب على البلاد فبادر الملك مرقوريلس الى جمع الارقاء والمصارعين وجمع أهل الكسل والبطالة ونظمهم في سلك العسكرية وباع جميع الامتعة التي في دار الملك لنفقة الجنود وسار الى الأعداء بجيش جرار والتقى الجمعان فحاصرت القبائل هو وعساكره وأحرقوا به من كل جانب وقطعوا عنه الامداد والميرة وسدوا عليه المسالك وكاد يهلك هو وجيوشه عطشا وحرا وينتاهم على هذا الحال من الضيق والموت اذ هبطت الامطار وانهمل الغيث وأغاثهم المولى سبحانه فشربوا وارتقوا وزال عنهم البأس وقاموا على الأعداء قومة رجل واحد فانتصروا عليهم وفازوا فوزا عظيما وأعلموا فيهم القتل حتى مزقوا شملهم وكان المسيحيون منهم قد استسقوا لهم بصفاء نية فاعتقدوا جميعا أنه لم تحصل لهم السقيا الا بدعاء القسوس والاحبار وقد آمن القيصربنك واعتقد صدقه وعده من كرامات الديانة المسيحية وقد كانت هذه الديانة عنده من أكبر الكبائر فكتب في الحال الى مجلس رومة بوصيه خيرا بالملة المسيحية وأن لا يحصل للنصارى من الآن شئ من التعدي والاذى وندم على ما فرط منه في حقهم وأباح دخول الدين النصراني في جيشه فكثرت النصارى في معسكره وانكف الاذى عنهم زمنا

ثم عاد الولاة والعمال ف تعرضوا لهم في غيبة الملك ومدت لهم يد العدوان وعلى الخصوص في بلاد الغلبة وكان المسيحيون قد كثروا فيها كثرة بالغصة فأضعفوا قوة ظهورهم ودكوا شوكتهم غيرة وحسدا

وقد نقش المصريون على كثير من المباني اسم مرقوريلس ولوقيوس تخليدا لذكرهما على مر الايام وقام منهم في أيام مرقوريلس ولوقيوس المذكورين عدة أحزاب قد شقوا عصا

الطاعة وخرجوا على النائب يومئذ وكان يرأسهم رجل اسمه (أزيدور) باغراء أحد الكهان المصريين فقاتل (أزيدور) وأصحابه عساكر الرومانيين في جميع البلاد المصرية وهجم على مدينة الاسكندرية وقاتلها قتالا عنيفا جدا فركب النائب وهو أوديبوس قسيوس وقاتلهم وأجلاهم عن المدينة وسار خلفهم حتى ظفروهم وبدد ثملهم تبديدا وتبعهم بالقتل أينما حلوا حتى أوشكوا أن يفتنوا عن آخرهم ولما رجع الى الاسكندرية مظفرا منصورا أخذته خرة الانتصار وتاقت نفسه الى الخروج والاستقلال بملك البلاد فسعى في طلب الملك واستمال اليه الجنود فباعه العسكر المصري قبل وأعانته على ذلك زوجة مرقوريلس الملك حيث كانت تميل الى خلع زوجها لغرض من الاغراض

وكان لاوديبوس قسيوس النائب المذكور ولد اسمه ميطنوس وكان نائبا على الاسكندرية فسعى في أخذ البيعة لأبيه فأخذها ولم يتمكن أوديبوس من المنصب الملوكي حتى قامت عليه العساكر وقتلته هو وولده ميطنوس فكفى الله مرقوريلس الملك شر القتال واستتب له الامر وكان مرقوريلس كريم النفس رفيع الهمة يعفو عن المذنب ويصفح عن الجاني وقام الى ديار مصر ليصلح ما أفسدته الفتنة من أحوالها فوصلها وقبض على رئيسي الخوارج الاثنين ونفاهما وعقاعن بقية الاحزاب واستجلب قلوب الاهالي واستمال نفوس الرعية وعامل الجميع بحسن المعاملة فارتكز في قلوبهم أمر مجده وعلوهمته وأحبوه محبة عظيمة جدا ثم رجع الى غزو القبائل الشمالية ثالثة اذ كان قد غزاهم غزوتين فلم تتم له الثالثة حيث مات بالوباء في سنة ثمانين ومائة لليلاد أى سنة اثنين وأربعين وأربعمائة قبل الهجرة فكانت مدة حكمه نحو تسع عشرة سنة

وكانت أيامه كأيام بقية العائلة الانطونية أزمان صلح وسعادة على الامة المصرية ولكنها لم تتمتع بهذه السعادة صافية بلا كدر بأسباب الفتنة العظيمة التي قامت فيها وطالت أيامها فأريق فيها من الدماء شئ كثير جدا وفي أيامه مات (أومانيو) بطرك الاسكندرية بعد أن أقام عشر سنين فأقيم بعده (مريكانو) وهو ثامنهم فلبث تسع سنين وستة أشهر ومات في السادس من طوبة سنة خمس وخمسين ومائة لليلاد وكان عالما حبرا فهامة ورعا تقيا محبا للخير وأهله فأقيم بعده (كالانيانو) وهو تاسع بطارقة الاسكندرية وكان من أمره ما سيمذكر في محله

ولما مات مرقوريلس الملك كما تقدم تولى الملك بعده ابنه قومودس

(في الملك قومودس)

(قيصر)

ثم قام بالامر ابنه قومودس قيصر بويج له بالملك في اليوم الذي توفي فيه والده سنة

ثمانين ومائة لليلاد أى سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة قبل الهجرة فكان لا يؤمل من ظاهر حاله فعل شئ من الحسنات ولا يرجى خيره لما ظهر منه من أيام صباه من الخشونة والجفاء وذلك انه طلب في يوم من رؤس الحمام أن يهيئه له ففعل فدخل فوجد الماء بالغا من الحرارة حد الزيادة فغضب وأمر بالقاء رؤس الحمام في نار المستوقد ويضاف الى هذا الفعل الشنيع أيضا كراهة الاهالى له واعتقادهم فيه العقوق والخشونة فانه لما كان مع أبيه في غزوة النساء ومات أبوه هناك اتهموه بقتله وقالوا انه دس له السم في الدسم فكان لذلك ولغير ذلك من الاسباب مغضوبا عليه وقد بويع له بالملك بمدينة فينا بيلاد النساء في وسط معسكر أبيه حيث كانت الحرب قائمة يومئذ هناك كما تقدم وكان أبوه قد بنى بتلك الجهات قلاعاً وحصونا وأعدّها للترس والدفاع فترك قومودس تلك القلاع وانسل من تلك البلاد وعاد الى رومة يجتال بنفسه ويبدد مراه ينظر فيها الى حسنه ودخل المدينة بموكب عسكري على هذه الحالة وهو في وسط الموكب كانه المؤيد المنصور وكانت أيامه محفوفة بالمكاره فانه لعظم قامته وجليل هامته تعلق بصنعة البهلوانية ومال الى مصارعة أصحاب القوة والبأس فبرع في هذا الفن وحارب يومافيل عظيمًا فضربه فألقاه على الارض قتيلا وقتل أيضا في يوم واحد خمسة أفراس بحرية وفي هذا اليوم بعينه طعن أيضا مائة أسد بمائة سهم فقتلهم فزادت نفسه كبرا وعتوا وسمى نفسه **(هرقول الرومانيين)** تشبها بهرقول اليونان الذي فحكي عنه العجائب والغرائب في قتل الغيلان وتنظيف البقاع من الاسود ولذلك شوهد اسمه معنونا في بعض التواريخ بعنوان **(هرقليانوس)**

وكانت لاتهم مصالح البلاد ولا حاجات خلق الله ولا يأنس الا بمجانسة المصارعين وأهل المحاطبة والمغالبة وكان يظهر معهم بظهورهم في المحافل بلا احتشام ولا كافة وينازلهم ويصارعهم وهو متزى بزيمهم * وكان في مدينة رومة تمثال للشمس على صورة جسمية للغاية فرفع قومودس رأس هذا التمثال ووضع مكان الرأس صورة شخصه وكتب على أسفل التمثال مامعناه

(قد انتصر قومودس على ألف مصارع ليخلد ذكر مهارته في المصارعة)

ولم يعتكف أحد على هذه المثالب اعتكافه وكان اذا خلا بنفسه في قصره قتل الناس بغير ذنب وأراق الدماء وكان مغرى بسلب الاموال والارواح مغرما باطماع نفسه وأتباع هواه وكان يسلي نفسه ويروحها بتعذيب من يريد قتله من خلق الله فيقترع في كل يوم نوعا من العذاب جديدا فلما ضاق الاهالى منه ذرعا قاموا عليه وخرجت العساكر عن طاعته ودسوا الى معشوقته **(مرفيا)** فسقته بها فلم يؤثر فيه فلما شاع الخبر بذلك قام عليه أحد المصارعين وهو من أشدهم واسمه **(نرجس)** وطرح نفسه عليه وضمه بين ذراعيه وقدميه فتصارعا حتى صرعه وخنقه وطم مصرعه ففرح الناس بموته وموته انقطعت العائلة الانطونية وذلك في سنة ثلاث وتسعين ومائة لليلاد أى سنة تسع وعشرين

وأربعمئة قبل الهجرة فكانت مدة حكمه نحو ثلاث عشرة سنة وتولى بعده برطيناش قيصر
الذي يقال له أيضا غرديانوس * ولم تكن ديار مصر في أيام هذه العائلة في حالة هناء وسعادة كما
كانت من قبل فقد قامت فيها الفتن وتتابعت وعت الاحن ونجرت الرعية على الولاة والعمال
فقتلهم وقتلت الكثير من الجنود وفعلت ما لا يدخل تحت حصر * وكانت الديانة المسيحية في أيام
هذه الدولة آخذة في النمو والانتشار وكان ملوكها يبيعون التمسك بها بغير تهديد
ولانتشيد ومع ذلك فقد كان الدين المصري القديم لم يزل مستعصما به وهو الكثير والغالب
فكانت عبادة الشمس والقمر منتشرة في البلاد يتبعها اليونان والروم والغرباء المتوطنون بلا
فرق ولا خلاف

وفي أيامه مات (كادنيو) بطرك الاسكندرية في التاسع من أيب بعد أن أقام
أربع عشرة سنة وكانت أيامه هادئة مطمئنة لم يحصل فيها للنصرانية ما يكدر صفو راحتها
فقدم بعده (اغريمو) وهو عاشرهم وكان من الحوادث في أيامه ما سيذكر في محله

(في الملك برطيناش)

(قيصر)

(او غرديانوس)

(قيصر)

ثم قام بالامر برطيناش قيصر سنة ثلاث وتسعين ومائة لليلاد أي سنة تسع وعشرين
وأربعمئة قبل الهجرة وكانت مدته قصيرة جدا وتحريرا الخبر أنه لما مات قودموس الملك
اجتمع الأحزاب وبايعوا برطيناش هذا بالملك وله من العمر يومئذ ستون سنة وكان أبوه نجارا
رومانيا من الموالى فرباه وأحسن تربيته فصار في أول الامر معلما للغة اللاطينية وكان ذا
همة عالية فلم يقنع بهذا العيش وانتظم في جند انطونيوس قيصر واستخدم في عسكر الشام ثم
خدم ويروس الملك ففاق أقرانه واشتهر في حروب العجم وغيرها من بقية الغزوات فلما تولى
مرقوديس الملك كان يبغيه في أول أمره ثم لم يلبث أن مال اليه وأحبه وجعله من أخصائه
وأدخله في أعضاء مجلس رومة ثم قلده قيادة فرقة من الجنود فهابه أعداء الرومانين وصار له
شهرة كبيرة بحسن السياسة فلقبه مرقوديس بلقب قنصل الرومانين فلما استقر به المنصب
ظهرت عليه علام الحزم والعدل والتعجب للناس والميل الى العدل ولم يلبث أن أخذ يصلح شأن
الدولة ويرتب أمور المملكة مع الحزم والتدبير في الاموال وشيد أركان المعارف والعلوم بقدر

مانقضيته مصلحة البلاد وقلل المصاريف الإبتدرا الحاجة فكان ذلك باعثا لافادة خواطر
الامراء عليه وعقدتهم النية على قتله حيث سدد عليهم أبواب الصرف والانفاق فاجتمع من
الاحزاب المقاتلين ثلثمائة تحت رياسة أمير اسمه لوطوس واصسطفوا صفوفًا منتظمة وأحاطوا
بقصره من جميع الجهات وقبضوا عليه وذبحوه فكانت مدة حكمه ثلاثة شهور ليس الا وتولى
بعده ديدوس يوليانوس في نفس هذه السنة فكان خطه من الملك كخط سلفه كما سيأتي

(في الملك ديدوس يوليانوس) (قصر)

ثم قام بالامر ديدوس يوليانوس ببيع له بالملك في اليوم الذي قتل فيه برطيناش سنة
ثلاث وتسعين ومائة لليلاد أي سنة تسع وعشرين وأربعمائة قبل الهجرة وتحرير الخبر أنه
لما قتل الاحزاب برطيناش الملك وخلا المنصب من ملك وولى عهد اجتمعت كلمة الامراء
والاعيان وقواد الجنود على أن يضعوا المنصب الملوكي في المزايدة وأن يلتزم به من يشتريه
فيكون نوعا من المقاطعات الالتزامية يستفيد من يكثر في العطاء ولما استقرت القاعدة
بينهم على ذلك صعد على أسوار الرباطات العسكرية في الشوارع والمسالك عددة أشخاص
وأخذوا يصبحون على العامة وأبناء السبيل بالنداء ان المملكة الرومانية في المزايدة لمن يسوم
فن تغالى في الاموال تولى منصبها فحضر اثنان من السوام في محفل المزايدة أحدهما سوليقيانوس
صهر برطيناش الملك والثاني ديوديوس يوليانوس فسام الاول المنصب بخمسة آلاف من
الدرهم على كل رأس رومانية وجعل العملة في ذلك على الفرز والاحصاء وأبلغه الثاني على
كل رأس ستة آلاف ومائتين وخمسين فاستقر البيع للثاني فبايعوه في الحال على التزام هذا
الثن وبايعه كذلك مجلس الاعيان رغبا عما يعلمه من فساد هذا الامر ومغايرته للآداب
والناموس

فلما استقر المنصب لديوديوس على هذا الوجه عقدوا له موكبا وساروا به الى قصر الملك
فقام عليه العامة واجتمعوا وصاروا يسبون ويرجون ثم بعد قليل من الايام اجتمع
العسكر المرابطون في الحدود وانتقضوا على أمراء رومة وأعيانها وقوادها وبايع عسكر كل
اقليم ملكا اختاره من قوادهم وكادت تتمزق السلطة كل ممزق فقد بايع العسكر الشامي
قائده بالملك وبايع العسكر الابطالي أميرهم سبطيس
سوبرس ملكا على سائر الرومان وتفرقت الكلمة وتباينت الاغراض وكثرت المطامع وبانت
أمور البلاد في خلل وارتباك عظيمين وكان ديوديوس الملك في هذا الوقت مستقرا برومة
يتمتع بزهوة المنصب ويتصرف في أمر الحكومة غير مبال بما يهدده من الفتنة * وبينما

هو على هذا الحال قام عليه أعضاء المجلس الروماني واتهموه بالخيانة وبفساد الامر وعملوا بالحكم عليه بالقتل فقتلوه فكانت مدة حكمه شهرين اثنين وقد اجتمعت الكلمة في خلال هذه الحوادث على تولية سبطيمس سويرس أمير العسكر الايطالي وقد ساعده الحظ بقرب معسكره لمدينة رومة وكان موصوفاً بحسن التدبير وسداد الرأي فسار صوب رومة ليتم له الامر فبايعوه

(في الملك سبطيمس سويرس)

(قيصر)

ثم قام بالامر سبطيمس سويرس قيصر بويج له بالملك عقب موت ديوديوس الملك سنة ثلاث وتسعين ومائة للميلاد أي سنة تسع وعشرين وأربعمائة قبل الهجرة وكان من بلاد المغرب من مدينة (لمبوده) إحدى مدن افريقية وكان قد تزوج بزوجة شامية قد اشتهر بها ولذلك قال جماعة المؤرخين انه أول سلسلة القيصرية الشامية وكان طاغية من طواغى ملوك الروم وكان في أيام صباه يحب اللعب بمحاكاة حركات القضاة والحكام ويقلدهم في ألعابه وهزلياته فكان يجمع أتداده من الصبيان ويجعل نفسه رئيساً عليهم ثم يوزع عليهم مصالح المحكمة ووظائفها ويصفهم على هيئة مجلس قضائي ويصعد على منبر القضاء ويصفهم أيضاً حوله ويتذاكر معهم في قضية يختارها ثم يقول حكمت بذلك فلما تولى المنصب وكان يومئذ خارج مدينة رومة بادر بالمسير اليها ومعه جيش جرار يبلغ الستين ألف مقاتل فلما أشرف على المدينة خافه أعضاء المجلس وأرسلوا اليه من قبلهم رسلاً لينهوه بالمنصب فلما وصلوا اليه وهم منهم وخشى أن يكونوا جاؤا لمكبدة وارتاب في اخلاصهم نظراً لاختذه المنصب بغير استحقاق فأمر بهم ففتشهم فلم يجدوا معهم شيئاً فأمر بمسولهم بين يديه وأجزل انعامهم وبألف في اكرامهم فقبلوا انعامه خوفاً منه ودخل المدينة بجيوشه غير مبال بما للمجلس من الحرمه والوقار وتكلم في وسط أرباب المجلس بأنه لا يحكم الا بالعدل ولا يسلك الا سبل الانصاف فقبلوا كلامه ولكن على غير اخلاص وهيموا له موكباً فسار حتى دخل القصر في كبكة وأصبح مجلس للنظر في القضايا فكان أول شيء بدأ منه هو ابطال جند الحرس الذين قتلوا برطيناش الملك وصرفهم الى أوطانهم وعاقب رؤساء تلك الفتنة ومهد أسباب الراحة ثم أخذ في تنظيم أمور البلاد وترتيب أحوال الرعية وشدد على خروج جند الحرس وأمر بقتل من يتخلف منهم في المدينة وانتخب خمسين ألفاً من الابطال لحراسة تخته ورتب لهم أصولاً جديدة

ولما كان لا بد له من الخروج لقتال بسقنيوس فيجبر قائد عساكر الشام ومصر والبلد

المشرقية (فلوديوس البينوس) قائد العسكر الابريطاني الذين كانوا خرجا طلبا للثأر ولم يتم لاحدهما أمر وكان لا يتأتى له مقاتلة الاثنين في وقت واحد مع استدعاء الحال لذلك رأى ضرورة مشاركة أحدهما له في سياسة البلاد فأشرك معه (فلوديوس البينوس) قائد العسكر الابريطاني ولم يشرك بسقنيوس نيجر حيث كان عدواً ألد وخصماً لا يرد وجهته وكيل على الايوان القيصري برومة وكان بسقنيوس المذكور قد تربى في العسكرية في أيام ملك مرقوريلس فكان الجنود يحبونه جداً مع شدته وحدته وكانت جميع الديار المصرية قائمة معه على ساق وقدم وقد بايعته بالملك عليها وعلى جميع المشرق وكتب ديوان الاسكندرية على باب مدينة الاسكندرية (نيجر سيد هذه المدينة وصاحبها) فسار سبطيمس لقتاله سيرا حينئذ ليأخذه غيلة فلما قدم الى مصر بجيوشه تمثل بين يديه أهل الاسكندرية وازدحم على بابه عامة الناس ورعاهم وأظهروا مزيدهم الفرح باقباله وصاحوا (نيجر سيد هذه المدينة وأنت ياملك سيد نيجر) فاستعمل على مصر عاملاً من أرباب مجلس رومة وكذلك على مدينة الاسكندرية نائباً من أعضاء المجلس المشار اليه وخالف في ذلك قانون أغسطس قيصر الذي لا يبيح أن يكون أرباب هذا المجلس نواباً في الولايات أبداً

وكان نيجر لما أحس بقدوم سويرس الى الاسكندرية فرّ هارباً فتبعه سويرس وصار يهاجمه أينما لحقه وهو يصتد عن نفسه وعن البلدة التي يحتلها فلم تساعده الاقدار وقد أظهر من البسالة والاقدام فتونا وأساليب وقامت عليه أنواء شديدة ترتب عليها انهزام جيشه عند رأس البحر فأخذ نيجر في الفرار الى بلاد العجم فقبض عليه في الطريق وقتل وذلك في سنة خمس ومائتين للبلاد أى سنة سبع عشرة وأربعمائة قبل الهجرة وصفا لسويرس ملك البلاد المشرقية بعد قتل نيجر ولم يبق لسويرس بعد ذلك الا خصم واحد وهو فلوديوس البينوس الذي سبق الكلام عليه وكان مجلس رومة يعيل في الباطن الى نقل فلوديوس المذكور المنصب المملوكي والى نصرته على سويرس وقد كان معدوداً من خول الرجال وكانت جنوده من أبسل الجنود وأشدّها اقداًما على اقتحام المهالك وكان في خلال هذه الفطرة قد لقب نفسه بأغسطس فسار سويرس لقتاله والتخلص منه بعد أن كان قد أشركه معه في حكم البلاد وادارتها كما تقدم القول فلما تلاقى الجمعان عند مدينة (ليون) من بلاد الفرنسيس تقاطلا قتالا عنيفاً فانهمزمت جيوش البينوس شرهزيمة فقال البينوس عن فرسه وقتل نفسه خوفاً من الوقوع بين يدي عدوه فأمر سويرس بحرق رأسه وأرسله الى أرباب مجلس رومة مع خطاب يعنفهم فيه على مما لا تهم لالبينوس وتعصبهم له في السر ويعلمهم بشديد غضبه عليهم وما سيحل بهم عند رجوعه الى رومة ثم عاد الى رومة فقتل وقتل وأجرى فيها الدماء كالسيول ونفى منها من نفي من أكبرها وأعيانها وضرب أعناق مشاهيرها وأصحاب المظاهر فيها فم الخوف وانكش الناس ومهدت الامور وصفا له الوقت ونام على وسادة الاطمئنان ثم سار بجيوشه الى قتال العجم والانكليز ليدخلهم تحت الطاعة وبعث بجيش جرار الى الجهات المشرقية فخار بها

وحاصر مدينة (بوزنيطا) التي هي القسطنطينية وجعل على حصارها أمهر قواده فدافعت ثلاث سنين متوالية ثم فتحوها عنوة ونهبوا ما فيها من الاموال ودمروها تدميرا وبعد أن تغلب على العجم والبلاد الشرقية جاءت الاخبار بأن الانجليز غالبون على جنوده فقدم عليهم من حيث لا يشعرون وغزاهم غزوتين خسر فيهما خمسين ألف مقاتل وكان قد أشرك ولديه معه في الملك وبعث أكبرهما وهو (بسيانوس) مع الجنود المحاربة للانجليز فلما انهزمت جنود أبيه ووقعت الفتنة في الجند وحصل الفشل بين الرؤساء وتعب بكارهم ضد الملك قام بسيانوس المذكور على أبيه سويرس واختطف سيفه وهم به على أبيه فلم يتمكن من قتله فخنق سويرس والتهب قلبه بنار الغيظ واشتد به الامر اشتدادا عظيما فات لساعته وذلك سنة احدى عشرة ومائتين لليلاد أي سنة احدى عشرة وأربعمائة قبل الهجرة فكانت مدة حكمه ثمان عشرة سنة

وفي أيامه مات (اغريبو) بطرك الاسكندرية بعد أن أقام احدى عشرة سنة وفي أيام (اغريبو) المذكور اتفق رأى بطاركة جميع الامصار على حساب عيد الفصح للنصارى وصومهم ورتبوا كيف يستخرج ووضعوا حساب الابقطى وبه يستخرجون معرفة وقت الصوم والفصح واستمر الامر على ما رتبوه الى يومنا الذي نحن فيه وكانوا قبل ذلك يصومون بعد الغطاس أربعين يوما كما صام المسيح ويفطرون وفي عيد الفصح يعملون الفصح مع اليهود فنقل هؤلاء البطاركة الصوم وأجلوه بعد الفصح لان عيد الفصح كانت فيه قيامة المسيح من الاموات وكان الحواريون قد أمروا أن لا يغير عن وقته وأن يعملوه في كل سنة في ذلك الوقت ولما مات (اغريبو) قدم بعده (يوليانوس) وهو حادى عشره هم وكان من الحوادث في أيامه ماسيد كرفي محله

وخلف سويرس على سرير الملك بعد موته ابنه بسيانوس فتوسم فيه الناس الخير وأملوا فيه العدل والرفق بالرعية بعد الذي قاسوه من أبيه

(في الملك بسيانوس قراقله)

(قيصر)

ثم قام بالامر ابنه بسيانوس قراقله بعهد من أبيه فبويج له بالملك هو وأخوه (سبطيموس جيكا) معا حيث كان أبوهما قد عهد لهما به في حياته فاشتركا في الملك بعده وذلك سنة احدى عشرة ومائتين لليلاد أي سنة احدى عشرة وأربعمائة قبل الهجرة وكان الناس يعتقدون في بسيانوس المذكور الشفقة والرفق بالرعية والاعتدال في السياسة اذ كان كثيرا ما يقيج فعال أبيه بلا تحاش ولا اكتراث عندما كان يعاقب الناس بالقائمهم للحيوانات الضارية

وكان يبكي لذلك بكاء شديدا فلما تولى واستقر به المنصب تغيرت طباعه وانقلبت أحواله وهم أن يقتل أخاه بالسهم واحتال على ذلك بكل ما وصلت اليه قدرته فلما لم يتمكن منه أغرى به أعوانه فقتلوه بين ذراعي أمه وتجهل العلم بما جرى وهرب من قصره تمويهها بانه يخاف على نفسه من قاتلي أخيه أيضا وذهب الى حيث جند الحرس وأعلمهم بقتل أخيه فأنكر الجند عليه ذلك وأسفوا وحزنوا على ذلك الطفل فسارهم وأجزل انعامهم فخلصوا ولما كان لأخيه المذكور حزب قوى قام ذلك الحزب وأثار على بسيانوس الفتنة وكاد يخرج عليه خروجا تاما فأشار عليه كبار جند الحرس أن يضع لأخيه تمثالا وينظمه في سلك المعبودات على عادة الرومانيين ليقع الفتنة بالتي هي أحسن ففعل وطلب من وزير أبيه المسمى (باينياس) مقالة يتلوها على الناس يعتذر فيها عما جرى لأخيه فقال باينياس قد كان عدم قتل أخيك ذميرا من الاعتذار عنه فغضب من ذلك وأمر بقتله من ساعته وكان قنصل باينياس الوزير حاملا لبسيانوس الملك على ركوب متن العتو والطغيان والاكتار من سفك الدماء وضرب الرقاب والفتك بالأكابر والاعيان فكان عدد من قتلهم من هؤلاء نيفا وعشرين ألف نفس ثم تخوف ولازمه الوهم فكان يخيل له دائما في عالم المنام أن أباه وأخاه يجردان عليه حسام الانتقام فيقوم خائفا منزعا فلم يستقم له بعد ذلك حال ولم ينعم له بال فكان يسلى نفسه بالذهاب الى الولايم والالعب ويلعب مع اللاعبين ويلبس ملابسهم أو يتزيى بالعربجية وفي عنقه ياقة زرقاء كالزئار وهي علامة أهل هذا الفن وكان كثير المداهنة والتدليس فكان غشه مستوعبا لجميع أحواله وأطواره حتى كانت السكة المضروبة باسمه من دراهم ودنانير مغشوشة وقد قال بعض رعيته مانصه * كان القيصر يعطينا النقود المتخذة من الرصاص مطلية بالفضة على أنها فضة خالصة والنقود المتخذة من النحاس مطلية بالذهب على أنها ذهب خالص اه وكان يحتكر النقود الخالصة ويكنزها لنفسه ولا يخرج منها الا ما كان يدفعه للقبائل الاجنبية المتبريرة في عقود الصلح معهم لكي يتجنبوا حربه ويكونوا له عوناً على الرعية

واشتهر به الهوس حتى ولع بتقليد الاسكندر الاكبر المقدوني والتشبه به في جميع أحواله فكان يقلده في أموره وأطواره وينسج على منواله في الملبس والمطعم وكان يشكف التخلق باختلافه في جميع ما يحكى له عنه وجعل جند حرسه الخاص ستة آلاف كلهم مقدونيون تقليدا لجند الاسكندر وعلق تمثال الاسكندر على جميع الميادين والهيكل والمعابد وسمى نفسه الاسكندر لتكون هذه التماثيل رموزا له معنونة بعنوانه ومال الى الغزو على منوال ما فعله الاسكندر فنزل على بلاد الغالية وأهلك فيها الحرث والنسل وأفنى في محاربتها الجنود وسار في البراري حتى نزل على بلاد جرمانيا فلم يقدر على الجرمانيين اذ تأهبوا لصدده وعبروا نهر الرين ليهزموه شراهية ويخلعوه من الملك فلما أحس منهم بذلك واساهم ورشاهم بالمال فرجعوا عنه فدخل بلاد البحر والفلاق وبلاد الاردل المجاورة لبلاد الجرمان فوجدوها جميعها

خاضعة للغوطية وكادوا يبطشون به فرجع عنهم ولم يظفر الا بملكيتين صغيرتين لا يفيان
بما أهلكه من الرجال ونزل على بلاد فارس نقاب منه الامل وركن الى الصلح بعد الهزيمة ثم
وثب على ديار مصر وأعمل السيف في أهل الاسكندرية بلا موجب ولا سبب سوى ما بلغه
من أنهم يسمونه بالهوس ويصفونه بالخفة والطيش وقد أباحهم للعسكر فأعملوا فيهم الذبح يوما
وليلة لم يرجوا طفلا ولم يحنوا على عاجز وانتهت غزواته بالخبيثة والفشل والعجز عن العمل وقام
عليه العجم يريدون أخذ الثار فلما رأى جنوده ماسيحيين بهم من العار وما يزال ملكهم من
الخبيثة والبوار أجمعوا الكلمة على قتله فقتلوه وهو راجع من هذه الغزوة وذلك سنة تسع
عشرة ومائتين لليلاد أى سنة خمس وأربعمائة قبل الهجرة فكانت مدة حكمه ست سنوات
ليس فيها غير المذلة والانحطاط للدولة

وكان يلبس على رأسه في جميع غزواته مغفرا على زى بلاد الفرنسيس من النوع المسمى
قراقله فاشتهر بهذا الاسم في كتب التاريخ وكان حين اشتراك مع أخيه جيكا في الملك رسم
العلامات الملوكية والطغراء في جميع البلاد باسمه واسم أخيه معا ورسمها أيضا على المباني
في سائر الجهات فلما مات أخوه قتيلا على ما تقدم ذكره أمر بمحو اسمه من سائر الانحاء
وانما بقي في مصر دون غيرها آثار محو على بعض الايجار يمكن المتأمل قراءتها وكان بسيانوس
آخر قيصر بقيت آثاره على مباني الديار المصرية ولم يكن لقيصر بعده فيها اسم ولا رسم ولما
مات تولى الملك بعده (مقرينوس) رئيس جند الحرس الملوكي

(في الملك أو بليوس مقرينوس)

(قيصر)

ثم قام بالامر أو بليوس مقرينوس ببيع له بالملك في ساحة الحرب في نفس اليوم الذي قتل
فيه بسيانوس بايعه الجند ونادوا بملكه سنة سبع عشرة ومائتين لليلاد أى سنة خمس وأربعمائة
قبل الهجرة قيل وهو الذي أغرى الجنود وجعل لهم جعلًا جسيمًا فقتلوا الملك وكان الحامل
له على ذلك أن كاهنا من أهل العرافة أخبر أو بليوس المذكور أنه سيكون يوما ملكا على
جميع الرومانيين ففعل ما فعل استمسا كما يقول ذلك الكاهن
وكان مولد أو بليوس المذكور بمدينة الجزائر بالغرب وكانت تسمى قصيرة وكان مثقوب
الاذن فلذلك سموه (مقرينوس) وسمى أيضا (مقرين) ومعنى مقرين في لغة برايرة المغاربة
مثقوب الاذن وكان سعيد الطالع ميمون الطلعة فارتقى المناصب العالية في زمن يسير جدا
وكان صاحب علوم ومعارف متضلعا من الفنون العالية فقد خدم خطيبا في المجالس فكان له في
الخطابة الباع الطويل وانتدب عدلا في المحاكم ورئيس محكمة وغير ذلك من المناصب العالية
والرتب السامية

وكان أوبليوس في أيام ((قراقله)) الملك قاضيا فأخذه وسلمه منصب إمارة الجنود ورياسة الجيوش واستخدمه في بطانته ثم رفاه إلى أعلى المناصب وجعله أميراً على جنود الحرس الخصوصي فتمكن بذلك من فعل ما فعله بقراقله

وقد كان فريق من جنود الحرس نكص عن مبايعته فاستعمل معه الحيلة فلم ينجح فتركه واشتغل بأمور المملكة فبدت منه دلائل الخفاء والشدة على الرعية فشكى جميع الناس منه وتمكنت من قلوبهم الوحشة فلم يلتفت إليهم وسار لمحاربة ((اردوان)) ملك فارس إذ كان قد هجم على الحدود وكاد يدوقها فلما التقى الجمعان انهزم أوبليوس هزيمتين متواليتين مات فيهما كثير من جنده فطلب الصلح مع ((اردوان)) ملك فارس فاستقرت قاعدته بينهما على أن يدفع أوبليوس ثمانين ألف ألف من دراهم الفضة فعملها إلى ((اردوان)) من يومه فنمت عليه الرعية وكرهه لذلك أهمل البلاد ووسموه بالجن والحيانة وتقوى عليه الفريق الذي كان قد نكص عن مبايعته * ومحا وأثبت في قوانين المملكة وقواعد العسكرية واستعمل الشدة في انتخاب شبان الجندي المستجدة وأهمل تسريح العساكر المتمتزة على القتال وبذهم فخذ عليه الجنود وأبغضوه وصمموا على الانتقام منه ولبثوا يراقبون الفرص

واتفق أن نزل بقرب مدينة حص فريق من الجنود الرومانية رباطا وكان أهل حص يومئذ صابئين يعبدون الشمس وكان لهم كهان لخدمة هيكلمهم ومن هؤلاء الكهان شماس له من العمر ثلاث عشرة سنة اسمه ((بسيانوس)) جميل الشكل حسن الصورة اذ لبس ملابس الكهنوتية المكحلة باللؤلؤ والمرجان شخصت إليه الابصار ومالت إليه القلوب فكانوا يشبهونه بالقر المنير ويحفلون به وقت تقديم قربان ويرقصون حوله ويغنون بالألحان وكان لهذا الغلام جدة اسمها ((يوليه موزه)) هي أخت ((يوليه رومنا)) زوجة سويرس قراقله قيصر وكانت جدته من العجائز ربات المكر والدهاء فكانت تدعى أن هذا الغلام ابن قراقله الملك كي تستميل إليه الجنود الخالة هناك وقد كان مجهول الأب فكان يسمى بسيانوس هيلوغيماله يعني الشمس وهو مشهور في كتب التاريخ بهذا الاسم فلما تمكن حبه من قلوب الجنود أخذته يوما وذهبت به إلى المعسكر وكلت الجنود في أمر أبيه قراقله الملك وأن يبایعوه بالملك فأجابها الجنود إلى ذلك وبایعوه ولقبوه ((أغسطس)) فلما وردت الاخبار بذلك إلى مقرينوس الملك جمع أحزابه وسار بهم عاجلا لمقاتلة أغسطس المذكور على مقربة من انطاكية فكانت الحرب بينهما سجالا وبقي الحال هكذا مدة حتى كادت عزيمة مقرينوس واستولى على جيوشه الجن فهرب هو وأصحابه ولم يقف الا عند قاضي كوى في ايلة بروسه حيث لحقته جيوش أغسطس وقتلوا بأصحابه فتمكا وقتلوه في وسطهم وذلك في سنة ثمان عشرة وأربعمائة للميلاد أي سنة أربع وأربعمائة قبل الهجرة وخلا الجولاً أغسطس بسيانوس هيلوغيماله فتمكن من المنصب وكانت مدة أوبليوس مقرينوس المذكور سنة واحدة وأياما

(في الملك بسيانوس هيلوغيا له)

(قيصر)

ثم قام بالامر بسيانوس هيلوغيا له ببيع له بالملك بين عساكر حص ثم بايعته بقيمة العساكر وصدق على ذلك مجلس رومة وذلك سنة ثمان عشرة وأربعمائة لليلاد أى سنة أربع وأربعمائة قبل الهجرة فلما استقر به المنصب أمر بأقارب مقربينوس الملك فقتلوا جميعا وتبع أحزابه وكثيرا من الامراء والاعيان بالقتل حتى انقرضوا ولم يتنازل عن رئاسة هيكل الشمس وأبقاها لنفسه كالخلافة فكان جامع بين الملك والكنهوتية وقد صنع لولائه على الملك مواسم وأعيادا بقيت ستة أشهر وأمر بان يكون أجل المعبودات وأكبرها في جميع البلاد صنم الشمس ورتب ذلك برومة ومصر فكان هذا الصنم عبارة عن حجر أسود لاصورة به ولا شكل وبني له برومة هيكل عظيم وجعله سيد الاصنام وكبيرهم ثم زوجه لصنم الزهرة التي هي أكبر معبودات بلاد افريقية ورتب لها عرسا عظيما ومواسم وأعيادا سنوية وجعل مصرف هذه الافراح على جميع الاهالي يوزع عليهم وكان هذا الصنم في بلاد الشام أصل الزينج والبدع فنقله الى رومة

ودخل بسيانوس المذكور الى رومة وهو في سن الرابعة عشرة لابسا حلة كهنوتية من الحرير المقصب المنقوش بانقر النقوش فكان أول من لبس الحرير من الملوك في رومة وكان في يده أساور من ذهب وفي عنقه أطواق من ذهب أيضا وكان مزيج الحواجب مكحول العينين يتزيا بزى العذارى تارة وبزى المردان أخرى وليس فيه من صفات الرجولية شئ وكان ينشر في قصره دائما أنواع الزهور والرياحين وينثر تحت رجليه الذهب والفضة فكان في التسكس أقرب شيئا الى النساء منه بالرجال ولم توجد أخلاقه الذميمة في أحد من القياصرة الذين قبله فكان اذا أراد التزاهة وترويح النفس دعا الى مائدته ثمانية أشخاص من العود ومثلهم من العرج ومثلهم من الصم ويسخر بهم ماشاء وكان في كثير من الاحيان في وقت انتظام الدوان واحتفال الجاساء يطلق بغتة الاسود والنمور وقد كانت مقلبة الانظار مخلوعة الانياب فيضطرب الحاضرون من منظرها الهائل وينسرح هو وكان يزعم خواصه وأتباعه على الدوام بهدايا وتحف مملوءة من الهوام والحشرات حتى اذا فرحوا بها وفتحوها أربهم وأورثهم المضار وكان اذا اجتمع الاهالي في ميادين الالعاب أمر أعوانه فبطلقون الثعابين فتضطرب الناس وتتفرق * وقد تقدم القول على أن بسيانوس المذكور ابن دعى منسوب الى سويرس قراقله نسبة كاذبة وان قراقله كان زوج خالته وكان لخالته بنت لها ولد يسمى الاكسندر سويرس فلما كثرت قبائح بسيانوس وعم ظله جميع الرعية

وزاد طغيانه طلبوا منه أن يشرك معه الاسكندر سويرس في حكم البلاد وتدير أمورها فقبل ذلك كرها فرأى من الاسكندر خصما عنيدا فدير لقتله فأنكشف سره وفشا أمره فقام الالهالى على ساق وقدم وهموا بقتل بسيانوس فاخفى في مكان خفي ففتشوا عليه وأمسكوه وذبحوه وألقوا جسده بعد تنقيطها بحجر في نهر رومة وذلك سنة اثنتين وعشرين ومائتين لليلاد أى سنة أربعائة قبل الهجرة فتولى بعده ابن خالته الاسكندر سويرس الثانى وكانت مدة بسيانوس أربع سنين تقريبا

(فى الملك الاسكندر سويرس) (قيصر الثانى)

ثم قام بالامر ابن خالته الاسكندر سويرس الثانى ببيع له بالملك فى اليوم الذى مات فيه بسيانوس وكان أول من باعته أرباب مجلس رومة لاطوائف الجنود كاسلافه وذلك سنة اثنتين وعشرين ومائتين لليلاد أى سنة أربعائة قبل الهجرة وكان حسن السيرة والسياسة كامل التدبير موفقا فى جميع أفعاله وأفعاله وكانت أمه نصرانية اسمها (مامه) فكان يستشيرها فى جميع أطواره وأحواله ويستنصحه فى جميع مشروعاته وأفعاله ويعمل برأيها فأبطل جميع الامور المغايرة للآداب التى كان بسيانوس قد أحدثها وأعاد صنم الشمس الى حص وأخرج جميع الاصنام الاجنبية من رومة ومنع اباحة التعبد بها فى غير محالها ولم يرض أن تترك رومة من الاديان الاجنبية عنها بغير دين المسيحية يعنى أنه يباح لهم التمسك بدين جاهليتهم القديم ولا يباح لهم غيره من الاديان الا الديانة المسيحية وأصدر بذلك أمرا رغما عن معارضة كهنة الاوثان الرومانية

ثم سن القوانين النافعة بالنسبة للاخلاق والعوائد ونظم أحوال بيت المال وسياسة البلاد على أحسن ترتيب وسلك فى أحسن المسالك مستمسكا بالاحكام المتينة مراعىا بجانب القوانين فاقتدى به رعاياه وسلوكوا سبل العدل والانصاف وطرد من ديوانه أهل السخرية وأرباب اللهو والمغنين ولم يقرب من مجلسه الا أهل المعارف وأصحاب الحكمة وكان لا يضيع أوقاته الا فى مطالعة كتب الآداب أو التمرينات الحربية وكان لا يجسر أحد على التكلم فى مجلسه بشئ من العوائد القديمة ولا احداث شئ من البدع الذميمة وكان يعظ الناس جهارا بالخطابات والمقالات كما كان يفعل عظماء الدولة الرومانية أيام انتظام دولتهم وكان يستشير مجلس رومة فى كافة أمور البلاد ويسترشده فى جميع مصالح الزعيمة وخفف عن الالهالى العوائد والمكوس واجبايات وكان يحبى قلوب أهل الصنائع والفنون بالجوائز تشويقا لهم وتوغيبا وكان يقظا نشطا ساهرا على تدارك ما ينبج من أعمال العمال والولة كثيرا الاعتناء

بأمور الجند والعساكر وصرف جوامعهم وعلوفاتهم في أوقاتها وكان يزور المرضى منهم في
خيامهم وكان يقول

يجب على الجندي كمال الطاعة بقدر الاستطاعة ويجب له أيضا على الدولة أن يكون
حسن اللباس جيد السلاح مستور القدم حاصل على قوته على الوجه الاتم وأن يكون في
جيبه شيء من الدراهم لحاجة نفسه * فكانت العساكر في أيامه مستحوزة على جميع ما قاله
وكان لذلك إذا صدر من أحدهم هفوة شدد في جزائه وعاقبه بما يقتضيه جرمه من جلد
أو قتل

وبينا كان الاسكندر سويس مشغلا بأمور البلاد وتهذيب أخلاق الرعية وترويج
سوق التجارة وتحسين أحوال الصناعة وتقديم القوانين وتوطيد أركان الشريعة إذ وقع من
الانقلاب السريع في البلاد المشرقية ما لم يكن في حساب وذلك أن ازدشيرن بابك رأس
الدولة الساسانية قام على أمة ((البرث)) وهي أمة قديمة العهد تنسب الى فارس أو هي
الفرس الاولى واستولى عليها وأزال دولتها وأخضعها اليه وكان ازدشير هذا قبل وثوبه
عاملا على اقليم من أقاليم اصطخر وكان قد أخبره بعض المنجمين أن ملك فارس سيصير اليه
يوما فاستمسك بهذا النبأ ووثب على ملوك الطوائف وأخذ منهم بلادهم فلما اصطخر
وهمذان والجيل وأذربيجان وأرمينية والموصل والسواد وبني مدينة على شاطئ دجلة شرق
السدائن ثم رجع الى اصطخر ففتح سجستان ثم جرجان ثم مرو وبلخ وخوارزم الى تخوم
خراسان ثم رجع الى فارس ونزل صول وأطاعه ملك كوكستان ومكران ثم ملك مدينة
البحرين بعد حصار طويل ألقى فيه ملكها بنفسه في البحر ولم يزل مظفرا قاهرا لجميع
الملوك الذين حوله * وقد مدن المدن واستكثر من العمارة وقتل أردوان الاشفاني وغيره
من الاردوانيين واستولى على جميع ملك الاردوانيين الذين هم أنباط السواد يعني
السريانيين وكان على طوائف الارمن ملك اسمه ((بابا)) والارمن هم أنباط من نبط الشام
وكان بين أردوان وبابا حروب مستمرة فاتحدا على قتال ازدشير المذكور فخارباة مناوبة
فكانت الحرب بينهم سجالا فبعث ازدشير الى بابا في طلب الصلح على أن يدعه في الملك
ويخلى بابا المذكور يمينه وبين أردوان واستقرت القاعدة بينهما على ذلك ثم جرد ازدشير
على أردوان فقتله واستولى على السواد فأطاعه بابا بالشام وانقاد له بعد أن كان تحت
طاعة الرومانيين ودان له سائر الملوك وفهرهم قهرا قال أهل التاريخ ثم انقلب على
أهراء العرب وكانت بيوتهم على ريف العراق الى الحيرة وكانوا ينقسمون في هذا الحين الى
ثلاث فرق متميزة الاولى قبيلة تنوخ ومنهم قضاة وكانوا يسكنون بيوت الشعر
والوبر ويضعونها غربي الفرات بين الانبار والحيرة وما فوقها وكانوا واسعي الخربة جدا
فلما ملك ازدشير هذه الاصقاع أنفوا من الإقامة تحت قبضته فخرجوا من البهيرة
هائمين الثانية العباد وكانوا يسكنون الحيرة متوطنين فيها الثالثة الاحلاف الذين نزلوا

بهم من غير نسبهم ولم يكوفوا من تنوخ الساكسين عن طاعة الفرس ولامن العباد الذين دانوا لهم تلك الاحلاف المذكورون الخيرة والانبار وكان منهم عمرو بن عدى وقومه فزلوا بها وخربوها وكانت من بناء العرب من عهد بدو بتختصر ثم عمرها بنو عمرو بن عدى لما صيروها دارا للملكهم الى أن صبحهم الاسلام واخط الخلفاء مدينة الكوفة فدثرت الخيرة كما سيأتي الكلام على ذلك في محله

ولما زحف اردشير على ممالك الرومانيين كملكة الارمن وغيرها وعظم أمره وساعدته الاقدار على اتساع ملكه وأسس دولة الفرس الساسانية الجديدة ولقب نفسه **(بالمالك الاكبر)** وعظمت صولته في البلاد المشرقية وهابه جميع مجاوريه وخشى الاسكندر سويس بأسه وخاف أن يتسلط على ملكه فسار الى بلاد المشرق مسرعا لايقاف اردشير عند حده فلم يستقر به المقام حتى أرسل اليه اردشير سفراء يطلبون منه اعادة جميع بلاد فارس التي كانت ملحقه بها الى زمن كورش وهي الممتدة الى جزائر الروم فتعجب سويس من قوة اردشير وجراسته وجد في السير لقتاله واتفق وهو في الطريق أن بعض العساكر خالفوا الاصول والنظامات الجندية فعقد سويس لذلك مجلسا للحكم عليهم وأحضرهم أمام المجلس في السلاسل والقيود وقام في وسط المجلس وقال ان السكوت عن افعال الجنود واجباتهم يزرى بشرف المملكة ويهدم ناموس الامة وكان العامة في ذلك اليوم قد اجتمعوا ليروا ما سيكون من أمر المخالفين فلما سمع الناس ما قاله الملك ارتفعت أصواتهم بالصياح وعلت الضوضاء وقالوا لا تحل لك هذه الافعال فأشار أرباب المجلس الى الجنود أن اضبطوا هؤلاء الصائحين ووجهوا بهم صوب الاعداء لقتالهم عوضا عن أن يعارضوا الملك ويقاوموه فاشتد غضب الالهات وتمادوا على غيرهم واستطالوا على الملك وأقاموا في وجهه السلاح فبرز لهم ووقف في وسط الضوضاء وقال اغمدوا سلاحكم فاني لا أرهب التهديد ولا أخشى الوعيد فلما رأوه على هذا الحال ألقوا سلاحهم وسكنت الفتنة وحصل الهدوء والراحة واستقرت هيئته في قلوبهم ثم سار بعيد ذلك بجيوشه الى العجم يريد قتالهم فتلاقى معهم وانتصر عليهم نصرة عظيمة وهرب اردشير ونكص على أعقابيه وابت لا يحسرك سالك ولا يطلب نارا ورجع الاسكندر سويس الى رومة مؤيدا منصورا فتلقاء أهلها بالافراح ودخل المجلس الاعلى بقتة ووقف بين رجاله خطيبا فقال يا أعضاء مجلس رومة قد هزمت لكم الفرس شر هزيمة ولا حاجة لبسط الكلام في هذا المعنى بل أقصر على أن أذكر لكم قوة العدو وجنوده وما ظفروا به عند ما أتاح الله لنا النصر عليه والظفر به فقد كان للفرس في هذه الواقعة سبعة من الافياء يقتلون بها فقتلنا منهم مائتي فيل وسلبنا ثلثمائة وقد أحضرنا منهم الى رومة ثمانية عشر وكان معهم ألف عربة مسلحة بالنابج ملطقة بالعساكر المقاتلين بهذه الآلات فهزمتهم وأخذنا منهم مائتين ولم أحضرهم الى هنا اذلا فائدة في ذلك وقد هزمتنا أيضا فرسانهم وكانوا مائة وعشرين ألفا فبددنا جوعهم وقتلنا منهم عشرة آلاف مدرعين

وسلبنا منهم دروعهم وجعلناها عتة لعساكرنا وأسرننا من عسكرهم رجلا كثيرا بعناهم عبيدا وقد أعدنا ولله الحمد لدولتنا بلاد الجزيرة الفراتية التي أخذت على عهد القيصر سلفنا وقد بددنا شمل أزدشير مع ما اشتريه في المشرق باسم ((الملك الأكبر)) وقد ولي الادبار ذليلا حقيرا وقد رفعنا أعلامنا وبنودنا على جميع البلاد التي كانت تحت سلطاننا واستولينا على جميع أعلام أزدشير فهذه بضاعتنا رقت إلينا وقد أنسى عسكرنا المظفر هذا الانتصار ما كابده من المشاق والاختار فعلى المجلس أن يأمر في المعابد والمشاهد بنشر أنواع الشكر والمحامد في مقابلة هذه النعمة التي لا ينكرها الا جاحد معاند فأجاب أرباب المجلس عن هذه المقالة بقولهم أيها القيصر قد استحققت الامتياز بلقب الفارس الاول والاختصاص بهذه المزية حيث انتصرت على الفرس نصرة حقيقية والفضل في ذلك لحسن تدبيرك

ثم خرج من قاعة المجلس وذهب الى الميدان العام وارنق منبر الخطابة فاحتفل به الناس وصاحوا صيحة الفرح وعلت الاصوات فقال يا أيها الناس قد هزمنا جند فارس ورجعنا بقومنا سالمين فتعبدكم بالانعام والاكرام وستشاهدون غدا الافراح بهذه النصرة العظيمة فصاح الناس فائين بالسعادة رومة بطول عمر ملكها المنصور

ثم بعد هذه الغزوة جرد عساكره أيضا لغزو جرمانيا وسيرهم اليها جندا بعد جند وكانت قد شقت عليه عصا الطاعة مرة واحدة فلم ينل منهم مراما بل كانت الدائرة عليه وعلى جنوده وذلك أنه لما وصل الى مدينة ميانه من بلاد الفرنسيس وقعت الفتنة بين جنوده في المعسكر وقام بعضهم على بعض وهاجوا وعصوا ودخلوا على الملك في خيمته وذبحوه ذبح الشاة وكان مقتله في سنة تسع وأربعين ومائتين لليلاد أي سنة سبع وثمانين وثلاثمائة قبل الهجرة فكانت مدة حكمه نحو ثلاث عشرة سنة وبموته انقرضت سلسلة القيصرية الشامية الذين هم في الحقيقة من بلاد افريقية لامن الديار الشامية كما اشتهروا بذلك

وفي أيامه حصلت مصر على نوع من العمارة والتقتم في المعارف والعلوم من أدبيات وفلسفة وغيرها واكتسبت من النجاح والتمدن أكثر مما اكتسبته رومة وغيرها من المدن الداخلة في حكم الدولة الرومانية وكذلك حصل في بقية البلاد التي كانت تابعة له

وفي أيامه مات يوليافوس بطرك الاسكندرية في ثامن شهر برمهاث فكانت مدته عشر سنين فاقم بعده ديمتريوس وهو ثاني عشرهم وكان فلاحا أميا وله زوجة ذكر أنه لم يقترب منها قط وهو الذي رتب حساب الكرمة وقد وقع في أيامه من الحوادث ما سيذكر في محله

ولما قتل الملك الاسكندر سويرس تولى بعده مقسيمينوس قيصر الاول

(في الملك مقسيمينوس)

(قيصر الاول)

﴿ ويسمى أيضا ﴾

(مخشيميان قيصر)

ثم قام بالامر مقسيمينوس الاول ببيع له بالملك سنة تسع وأربعين ومائتين للبلاد أى سنة سبع وثمانين وثلثمائة قبل الهجرة فكان عاتبا فظا غليظا خارجا في ضخامة الجسم عن حد العادة جافى الطبع والعقل والجسم فكان اذا تختم في اصبعه تخم باساور زوجته واذا ضرب فرسا بقبضة يده أطار أسنانها وكان يسحق بيده الاجار ويفلق الشجرة فلقنته بيديه وكان يسحب العربة الكثيرة الاجال بيد واحدة وكان يأكل في اليوم أربعين رطلا من اللحم ويشرب جرة من الخمر زنتها خمس وعشرون أقة

قال بعض أهل التاريخ فهذه الاوصاف وان كانت تشم منها رائحة الاطراء والمبالغة ولكنها لا تخلو من الصحة

وكان أبوه من النوطيين وأمه من اللانيسين وكان علمي الهية وارتقى منصب الملك بنادرة عجيبه جدا وذلك أن سويرس الملك كان قد أقام عيداً مشهوراً على ساحل الطونة لولادة ابنه جيطا وكان مقسيمينوس هذا يرى المشاية بهذا الساحل فحضر يوماً الى معسكر الملك وطلب قبوله في عداد اللاعبين في تلك الولائم فلما رآه الملك عجب جداً من ضخامة بنيته ومنظره الهائل ورأى أن مثله يليق للنازلات والحروب فأمر أن يتصارع مع أقوىاء الجند ليحربه فطرح ممن بارزهم على الأرض ستة عشر صنديداً واحداً بعد واحد وغلبهم من غير تدخل زمن للاستراحة فأعجب الملك ذلك جداً وأمر بقميد اسمه في سجل الجنود فبقى في أفراد العسكرية الى أيام الاسكندر سويرس فسلمه الاسكندر المذكور رياسة أحد الجيوش ليعلمه وينظمه ويربیه التربية العسكرية فرباه أحسن تربية ونظمه أحسن نظام وضبطه ضبطاً كاملاً وعلم رجاله الحركات العسكرية وتديرات الحيل الحربية وكان يناضل الشبان منهم بنفسه فلما مات القيصر الاسكندر سويرس المذكور بايع مقسيمينوس هذا جنوده في اليوم الذي مات فيه سويرس عند شطوط نهر الرين ثم تابعه الجنود والاعيان وأرباب المجلس طراً

فلما استقر به المنصب عبر نهر الرين وأمر باحراق القرى والبلدان في طريقه ثم تقدم الى

إيطاليا وجعل معسكره في النسا وأمر أن يرسلوا إليه على جناح السرعة جميع أعيان
 ووجهاء إيطاليا فحضروا إليه في المعسكر فأمر بصلب البعض والقاء البعض الآخر للوحوش
 المفترسة بغير موجب ولا سبب ظاهر ثم اقتفى أثر النصرانية فقتل خلقا كثيرا جدا وكان معظم
 القتلى من القسيسين والاساقفة فقد كان يلقي بهم للوحوش المفترسة وكان يحتقر النوع
 البشري ولا يقدره قدره فكان الانسان عنده كالبعوضة أو أدنى وكان ظلوها غشوما
 بغضا للعدل فهو أشد القياصرة لؤما وخسة وأقلهم مروءة فقد قال يوما لبعض الأعيان
 (انى أحب أن لأحكم الا على رعية مستعبدة ذليلة أسومها الخسف)
 فلما استمدت وطأته على الرعية قاموا عليه ومعهم الجنود وطلبوا خلعه فخلعوه وذلك
 سنة خمس وأربعين ومائتين للبلاد أى سنة أربع وثمانين وثلاثمائة قبل الهجرة
 فكانت مدة حكمه أربع سنين لا غير وولوا مكانه اثنين وهما غرديانوس الاكبر وغرديانوس
 الاصغر

(فى الملك غرديانوس الاب)

(والمملك غرديانوس الابن)

ثم قام بالامر غرديانوس الاب وابنه غرديانوس الاصغر ببيع لهما بالملك عقب خلع
 مقسيمينوس الاول سنة خمس وأربعين ومائتين للبلاد أى سنة أربع وثمانين وثلاثمائة قبل
 الهجرة وتحرير الخبر أنه كان فى افريقية بمملكة قرطاج من قبل الرومانيين شيخ هرم
 من وجوه العائلات وأعيانها اسمه غرديانوس وكان له ابن اسمه غرديانوس الاصغر وكانا
 حسنى السيرة بين أهل رومة فاستقر رأى مجلس رومة عقب خلع مقسيمينوس الاول على
 توليتهما معا المنصب الملوكى واشرا كهما فى حكم البلاد فوليا وبويعا معا وسميت مدتهما
 بالمدة الغرديانوسية وكان على قرطاج نائب للرومانيين اسمه قابليانوس وكان هذا النائب
 طاغية من دهاة الرجال فخرج عليهما وشق عصا الطاعة فسارا لقتاله فقاتلهما وهزمهما
 شر هزيمة ثم أوقع الاقتتان بينهما حتى اقتتلا وقامت بينهما الفتنة على ساق وقدم واشتد
 الخلاف واستحكم البغض فقتل كل منهما صاحبه وكانت أيامهما كلها حروبا وكروبا وخطوبا
 وكان لمقسيمينوس الاول اليد الطولى فى اضرام نار هذه الفتنة ليعود هو الى منصب
 الملك فلما قتل غرديانوس وابنه وخلا المنصب انفتحت كلمة أرباب مجلس رومة على مبايعة
 بويانوس وقاودس بليينوس بالملك وتشريكهما معا فى حكم البلاد فوليا المنصب وبايعهما
 الوجهاء والاعيان وكلاهما من عائلة خاملة دينثة الاصل فقد كان والد بويانوس اقباليا
 يصنع أقفال الابواب ونحوها وكان والد بليينوس من أولاد الموالى قال بعض أهل التاريخ فلما

بلغ مقسيمينوس خبر مبايعتهما وخيبة آماله صاح ومزق ثيابه ولطم وجهه حتى اختبل عقله ثم أفاق وجد في السير مع من بقي معه من العساكر اقتال بوبيانوس وبلبنوس فافتتن في الطريق جيشه وعظمت الفتنة بين الجنود فقاموا على مقسيمينوس وقتلوه وألقوا جثته في الطريق وذلك سنة اثنتين وخسين ومائتين لليلاد أى سنة أربع وثمانين وثلثمائة قبل الهجرة فتم الامر لبوبيانوس وبلبنوس

ولما استقر بهما المنصب وشرعا في نظر مصالح البلاد تحركت العساكر وطلبوا خلعهما حيث لم يتوليا الملك الا بمبايعة أرباب المجلس وأعيان البلاد ولم تبايعهما العساكر ولذلك أبوا اقرارهما وطلبوا خلعهما ووسموا المجلس بالاستبداد والخروج عن الحدود واتفق في هذه الاثناء أن دخل أميران من أمراء الجنود على أعضاء المجلس بغير إذن فغضب أرباب المجلس لذلك وعدوه اهانة وتحقيرا وحكموا على الأميرين المذكورين بالقتل فوصل الخبر لجميع أمراء الجيوش فقامت الفتنة في الحرم الملوكي ودخل بعض العساكر على بوبيانوس وبلبنوس وقتلوهما وذلك في سنة اثنتين وخسين ومائتين لليلاد أى سنة أربع وثمانين وثلثمائة قبل الهجرة ونادوا في الحال بولاية غوردیانوس الثالث ابن حفيد غوردیانوس الا كبر فسكانت مدة بوبيانوس وبلبنوس أياما لم تذكر ولم تعتبرها جماعة المؤرخين مدة صحيحة

(في الملك غوردیانوس)

(قيصر الثالث)

ثم قام بالأمر غوردیانوس الثالث ابن حفيد غوردیانوس الا كبر وله من العمر خمس عشرة سنة بايعه الجنود في اليوم الذي قتل فيه بوبيانوس وبلبنوس سنة اثنتين وخسين ومائتين لليلاد أى سنة أربع وثمانين وثلثمائة قبل الهجرة فبايعه بعد ذلك أرباب المجلس وأعيان الاهالي ولما كان شابا قاصرا لم يبلغ رشده استوزر له في المجلس وزيرا حسن التدبير فصيح اللسان كامل المعارف اسمه ميسوطش ليعينه على تدبير الملك وسياسة البلاد فسار هذا الوزير سيرة حسنة وانتظم في أيامه حال المملكة وارتفع شأنها وقويت شوكتها وهابها العدو وعادت الى ما كانت عليه من بعد الصيت وفي أيامه قامت الفرنجة وهم الامم المتبرزة التي جاءت من البلاد البعيدة وأغارت على بلاد الفرنسيس ونزلت بها فهجموا على اقليم جرمانيا الروى وقصدوا التغلب عليه فسير لهم غوردیانوس جيشا تحت قيادة الامير أورليانوس فهزمهم شر هزيمة وردوا على أعقابهم خاسرين ثم تجهز أيضا بنفسه لغزو سابور بن ازدشير كسرى فارس وسار في جيش عظيم جدا فانتصر على سابور المذكور نصرة عظيمة وحارب كذلك أم السرماطية والغوطية الذين قاموا على بلاد الروم ايلي مع قبيلة الان فقهرهم وظفر بهم

وبد شملهم ثم سار الى الشام وأخذها من الفرس وطرد عمال فارس عنها واقتفى أثرهم فاسترد منهم أيضا الجزيرة وعدة مدن أخرى عظيمة وعاد الى رومة يجرأ ذبال الفخر فقرحت به الرعاية وقابلوه بغاية الترحيب والسرور وكان قد تزوج بابنة ميسوطش وزيره فبقي نفوذ الوزير المذكور على ما هو عليه بل زادت عند غورديانوس منزلته وكان من أمراء الجيوش الذين شهدوا مع الملك جميع هذه الغزوات أمير اسمه فليش أصله من العرب فكان هذا الأمير يبغض الوزير جدا ويعمل على موته وخلع الملك واختلاس المنصب الملوكي لنفسه وكان هذا الأمل يتقوى فيه يوما عن يوم وما زال كذلك حتى دس للوزير السم في الدسم وكان ذلك في مأدبة فمات ثم أخذ يعمل على خلع غورديانوس وبالع في الدأب والاجتهاد في ذلك حتى أوقع الفتنه بين عساكره وما زال يقوى ضرامها حتى اقتتلوا فتنة عظيمة فأغرامهم على قتل الملك فقاموا عليه وقتلوه وذلك سنة ثمان وخمسين ومائتين لليلاد أى سنة ثمان وسبعين وثلثمائة قبل الهجرة فكانت مدة حكم غورديانوس الثالث المذكور ست سنوات فلما مات حمل فليش الجنود على أن يبايعوه قهرا ويولى المنصب في نفس اليوم الذي قتل فيه غورديانوس

(في الملك فليش)

(قيصر)

ثم قام بالامر فليش ببيع له من الجنود في اليوم الذي مات فيه غورديانوس سنة ثمان وخمسين ومائتين لليلاد أى سنة ثمان وسبعين وثلثمائة قبل الهجرة وكان فليش المذكور عربي الأصل وكانت ولايته ضربة من ضربات الدهر وداعية الى تثبيت أركان الاختلال وسنة سيئة لكل من أراد اغتصاب المنصب الملوكي من ذوى الاقتدار حيث صار المنصب الملوكي منذ ذلك العهد غنية يستلها رؤساء الجنود وقواد العساكر بلا حق ولا أكثر من حقوق الأمة وأهل البلاد فكان يتولى المنصب منهم من غلب ويتصرف في الملك من قدر على التصرف ولم يستقر بفليش المنصب حتى ظهر له خصمان معاندان ينازعانه وهما بطيبانوس ودوقموس أما الاول فإنه لم تطل مدته ولم يتم ظهور أمره اذ قام عليه جنده وقتلوه لاسباب لم يذكرها أصحاب التاريخ وأما الثانى وهو دوقموس وقد كان من أعضاء مجلس رومة فإنه استظهر على فليش بجنود الرومانيين المرابطين في بلاد البوشناق والصرب والبلغار وكانوا ميالين اليه متحيزين له فقامت الحرب بين الفريقين على قدم وساق وطالت أيامها فعمت الفتنة وسرى عرق الخلل في أحوال البلاد واستفحل الخطب وما زالت الحرب بينهم حتى مات فليش في واقعة على مقربة من مدينة

ويرويه من مملكة البنادقة وسقط تحت سنبلك الخليل وذلك سنة ثلاث وستين ومائتين ليلاد
أى سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة قبل الهجرة

وكان قبل موته قد عقد الصلح مع سابور بن أردشير بيلاد الفرس وعاد بعد عقد الصلح الى
رومة وسلك سبل التجب مع بكارها وأعيانها رجاء ميلهم اليه وقد أعطى في أيامه المناصب
العالية لأقاربه وأصحابه لمعضدوه ويكونوا له عوناً فلم يفرز ولم ينبج له عمل ومات قبل أن يستقر به
المنصب فكانت مدة حكمه خمس سنين غير كوامل وتولى بعده دوقوس المذكور

(فى الملك دوقوس)

(قيصر)

ثم قام بالامر دوقوس ببيع له بالملك فى نفس اليوم الذى قتل فيه فليش سنة ثلاث
وستين ومائتين ليلاد أى سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة قبل الهجرة وأصله من بلاد أوستريا
من أعمال النمسا وكان من عائلة خاملة الظهور فتولى منصب القنصلية يعنى الحاكم الأكبر
بعارفه وآدابه لاجبسيه وكان سفاكا للدم غادرا خائنا غشوما لا يبالي بشئ ولا يرعى من شئ
وكثر فى أيامه الحوادث وعظم أمر الخوارج حتى كادت تتخلل أركان الدولة وقامت أمم
الغوطية والهيرولية والبرغولية وخرجوا من بلادهم ناحية الشمال واجتازوا نهر الطونة مع
مقدمهم اقليوه فأهلكوا الحرث والنسل فسار دوقوس بجيشه لقتالهم وردهم عن البلاد
فالتقى الفريقان عند روم ايلي واشتبك بينهما القتال فانتصرت جنود دوقوس عليهم
نصرة عظيمة وهزمتهم ونظرت عليهم كمال الظهور فطلبوا الصلح فلم يرض دوقوس وأصحابه
وأبوا الاقتالهم فاقتتلوا فعادت الهزيمة على أصحاب دوقوس وكانت شر هزيمة هلك
فيها دوقوس ومعظم جيوشه وتشتت من بقى منهم وتفرق أيدى سببا وكانت أيامه كلها
محنا ورزايا وقتنا واضطرابات وشقاقا أراق فيها من الدماء شيا كثيرا واشتد على النصرانية
شدة عظيمة جدا فأعمل فى جميع النصارى القتل والصلب وتقطيع الاعضاء والسلب حيث
رأى منهم ميلا لذكر فليش وحفظا لاسمه بعد موته فقد ذاقوا فى أيامه من الرحمة والعدالة
ما أنساهم الشدة التى كانوا فيها قبله وكان قد منحهم الحرية المطلقة فى إقامة شعائر دينهم وسهل
لهم الامور وخفف عنهم الانتقال فكانت أيام دوقوس على عكس ذلك فلم يذق النصارى من
النكبات شدة أعظم مما ذاقوه فى أيامه ولا ضيقا أشد مما عانوه فى سلطانه حتى كادوا يفنون
لولا رجة الله بهم

وكان المصريون فى هذا الحين شديدي التمسك بعقائدهم القديمة وعوائدهم الدينية
لا يغيرون بها بيلا وكان دعاة الدين المسيحي يعملون على استمالة جميع المصريين الى التمسك

بالديانة المسيحية وكان لهم في مصر أحزاب يدعون الى الانجيل وكانت أعمالهم ناجحة نامية فظهر في هذه الاثناء من بين ظهرائي المصريين داع لاهياء الدين القديم فسعى وأجهد النفس وبالح في الداب واستمال الكثير من أهالي البلاد على ترك الديانة المسيحية ودعاهم الى الردة فاستفحل أمره واستحكم بسببه الخلاف بين النصارى والوثنيين وقامت قائمة الفتنة فخرج الوثنيون على النصارى ونهبوا بيوتهم وكثر النهب بمدينة الاسكندرية حيث كانت يومئذ مأوى المتصرين وكان نظام الاسكندرية قد اختل قبل عهد دوقوس المذكور وعظمت الفتنة الى أن صار أمر اراقة دماء المسيحيين من الواجبات الدينية وتتبعوا أمرهم وكثر الفحص عنهم فخرجوا على وجوههم في صحارى الصعيد الاعلى وانزروا في أقطارها وأنكشوا أياما ويقال ان الذين أناروا الفتنة وأوقدوا نارها على المسيحيين هم اليهود والمصريون عباد الاوثان وكانت الحكومة الرومانية بديار مصر تسرّ جدا باستمرار الشقاق بين صنوف الاهالي بمصروا كيد العداوة بين أهل الاديان لتدوم شوكتها وتأييد دولتها فتقبض على سياسة البلاد بيد من حديد وكان هذا دائما في كل بلد ومملكة دوقتها وفي خلال هذه الشدائد والحن ظهر الراهب انطانيوس المصري وهو أول من ابتداء بلبس الصوف وعمارة الديارات بالبرارى وابتدع زى الرهبنة وأنزل بدياراته الفرق الهاربة من أهالي مصر ولم تكن الرهبانية اذذاك مشروعة ولا معروفة * واشتد البلاء على النصارى اشتدادا لم يسبق له مثال قال بعض أهل التاريخ وقرئ هذه الايام القتيبة أصحاب الكهف من مدينة افسس واختفوا في مغارة شرق المدينة وناموا فضرب الله على آذانهم فلم يزلوا نائمين ثلثمائة سنة وازدادوا تسعا * قلت ولم أر في كتب النصرانية لهذا الحادث الغريب ذكر البتة

وفي أيامه أبدل صورة الحكومة المصرية بصورة أخرى فأقام أميرا على العساكر يكون من وظيفته تدبير الجيوش والقيام بأموالهم بدون تدخل في أمور البلاد السياسية وأقام أميرا آخر مصرى الاصل في منصب الملوكية يأمر وينهى في الشؤون الملكية بدون تحرش لما يختص بأموال العساكر وهذان الاميران كانا علاوة على النائب العموى عن ذات القيصر في بلاد مصر ولكنه أصبح مع اقامة هذين الاميرين ضعيف الكلمة خامل الشهرة والذكر ليس له من النيابة الا الاسم

وقد كانت عبادة الشمس والقمر بديار مصر الى هذا الحين شديدة الانتشار لم يعترها ضعف ولا وهن لاسيما في عهد غوردانوس الثالث وفليش ومن بعدهما أيضا وكان التمسك بها لم يذهب من هياكل مصر والنوبة فكانت هذه العادة من أكبر الاسباب الدافعة بأمر المصريين الى اثاره الفتن وتعميم الحن والباعثة لهم على القيام على كل من خالف دينهم وشق عصا طاعة الهبة الحاكمة والخروج عليها من وقت الى آخر وكانوا لا يألون جهدا في تعصيد كل من خرج على الحكومة من أمراء البلاد أو الاغراب ويعاونون كل من أراد اغتصاب المنصب الملوكى وينصرونه على ذلك بالنفس والنفيس قيل والغالب أن أصحاب هذا

الاقبيات انما هم الاغراب المستوطنون للبلاد فكانت لذلك لا تنقطع من ديار مصر الحروب الداخلية والاضطرابات العمومية ولا ما يترتب على ذلك من القحط والوباء حتى أهلك أهلها وقل عددهم وكان الباعث على ذلك أيضا خسة الملوك ودناءة أصولهم واغتصابهم المنصب بغير أهلية ولا استحقاق وسيد عليك من قبح سيرة مثل هؤلاء الملوك شيء كثير عند الكلام على زفوبيه ملكة تدمر عند ذكر أوليانوس قيصر

وكان موت دوقوس الملك سنة خمس وستين ومائتين لليلاد أى سنة احدى وسبعين وثلاثمائة قبل الهجرة فكانت مدة ملكه نحو السنتين وخلفه في الملك غالوس

(في الملك غالوس)

(قيصر)

وبقال له أيضا

(والوس)

ثم قام بالامر غالوس واسمه أيضا والوس ببيع بالملك في اليوم الذي قتل فيه دوقوس سنة خمس وستين ومائتين لليلاد أى سنة احدى وسبعين وثلاثمائة قبل الهجرة * ونحري الخبر أنه لما انتصر اقليمه مقدم القبائل الشمالية على دوقوس وأصحابه وهلك دوقوس على ما تقدم بيانه بخلت العساكر مما لحقها من العار ولم تسرع بمبايعة أحد من قوادها وانتظرت ما سيكون من أرباب مجلس رومة وكان غالوس هذا معدودا من قواد الجنود الرومانية وقد ارتقى بغيره واجتماده الى درجة سامية في المملكة فحمل من معه من العساكر على مبايعة فبايعوه فاشرك معه هو سطيانيوس بن دوقوس في ادارة أمور المملكة وعهد لابنه وولسيانوس بالملك من بعده وحلفت له العساكر بذلك وقد تم هذا كله في معسكر بلاد النمسا ثم سار من هناك واستعجب معه شريكه هو سطيانيوس الى رومة ليأخذ البيعة لنفسه من أرباب مجلسها وكان اذ ذلك في البلاد الرومانية وباء عظيم جدا فبينما غالوس وشريكه هو سطيانيوس سائران اذ وسوس الشيطان في صدر غالوس بقتل هو سطيانيوس فقام عليه وخنقه وأشاع خبر موته بين الناس بالوباء ثم دخل مدينة رومة فبايعه أرباب المجلس بيعة صحيحة وكانوا يؤملون فيه انقاذ البلاد من أيدي الاعداء فخاب فيه الأمل

ولما استقر به المنصب أمر بقتل البابا (مارفور نيلوس) ولم تذكر جماعة المؤرخين لذلك سببا مع أن قتل البابا في تلك الظروف لم يكن بالامر اليسير وعقد مع الغوطية صلحا ذهب بشرف الامة أدراج الرياح حيث ضرب للغوطية على الرومانيين خراجا يحمل

اليهم في كل عام كيلا تحصل منهم الاغاثة على بلاد رومة ورجع غالوس بعد عقده هذا الصلح الى رومة مذموما مدحورا فكان في هذا الصلح كمال الصغار للرومانيين وحصل لهم كمال انحرى والعار وقد قصد غالوس بتجليله الصلح مع الغوطية على هذا الوجه التفرغ لحظوظه وشهوته ولم يراع حاجات الوطن والامة ومع ذلك فان الغوطيين لم يحفظوا لهذا الصلح شأنا ولم يحترموا له حرمة بل نقضوه وأغاروا على بلاد البوشناق والصرب والبغار وكان أمير الجيوش بتلك الجهات يومئذ الامير (امليانوس) المغربي فذب ودافع عنها خبير دفاع وضرب الغوطيين فهزمهم شر هزيمة وفرحت جنوده بالنصر واستبشروا بطالع قائدهم امليانوس المذكور فبايعوه بالملك في ميدان الحرب الذي انتصر فيه على أعدائه ونادوا بملكه فلما وردت الاخبار بذلك الى غالوس الملك سار اليه بجيوشه ليؤدبه على اعتدائه وتهافته على المنصب بغير استحقاق وبينما هو في الطريق وقعت الفتنة بين جيوشه فاقتتلوا وقاموا على غالوس وابنه فقتلوهما بطعن الخناجر وذلك سنة ثمان وستين ومائتين لليلاد أى سنة ثمان وستين وثلاثمائة قبل الهجرة فكانت مدة حكمه سنتين لاغير وتولى بعده الامير امليانوس المذكور

(في الملك امليانوس) (قيصر)

ثم قام بالامر امليانوس سنة ثمان وستين ومائتين لليلاد أى سنة ثمان وستين وثلاثمائة قبل الهجرة ولم يبايعه سوى جنوده الذين كانوا معه في غزوة الغوطيين فلم يستقر به المنصب حتى سار لقتاله (والريانوس) قائد العساكر الرومانية بلاد الغلية بجيشه المرابط في تلك البلاد فخرج امليانوس لقتاله ومعه جنوده وابنه فلما التقى الفريقان واقتتلا انتصر عليه والريانوس القائد نصرة عظيمة وقتله هو وولده في ميدان القتال وداست جثتهما سبابك الخيل في السنة التي تولى فيها فكانت مدة حكمه أربعة أشهر فقط وتولى بعده القائد والريانوس المذكور

(في الملك والريانوس) (قيصر)

ثم قام بالامر والريانوس بايعه عساكره بالملك في اليوم الذي قتل فيه امليانوس وابنه سنة ثمان وستين ومائتين لليلاد أى سنة ثمان وستين وثلاثمائة قبل الهجرة وبيان ذلك أنه

لما قتل امليانوس ورأت جيوش والريانوس منه بطلا شجاعا في الحروب واقترع المعارك
والخطوب فضلا عن أنه شيخ معمر حنكته التجارب توسموا فيه المقدرة على توطيد دعائم
المملكة وتمكين شوكتها وتخليصها من غوائل الفتن المتراكمة والخطوب المتوالية فأقاموا له البيعة
ونادوا بملكه وسار من ميدان الحرب الى رومة بجيشه فبايعه الاهالي وأرباب المجلس وتم له
الامر وارفق سرير الملك بين مظاهر التعظيم

فلما استقر به المنصب جهز جيشا عظيما وسار لغزوة سابور ملك فارس ابن أردشير فكانت
هذه الغزوة من شر الغزوات وأنعسها على الدولة الرومانية وتحرير الخبر أنه لما تقلد سابور
الملك بعد أبيه أردشير ورأى اختلاف كلمة الدولة الرومانية وتسلط قواد الجيوش على
منصبها الملوكي وزعزعة أركان سياستها الداخلية والخارجية سار بجيوشه الى بلاد أناطلي على
مهل وكان كلما مر ببلد أو مدينة قتل ونهب وأحرق وأهلك الحرث والنسل حتى نزل
بأنطاكية فدمرها وسار منها الى حصص ليخربها أيضا فلما وردت الاخبار بذلك الى رومة قام
الملك والريانوس بجيشه مسرعا الى حصص ليدفع سابور عنها فأظهر سابور الخوف والقهقري
ووالريانوس يتبعه بجيوشه حتى دخل والريانوس بجنوده في موضع خرج للغاية فهجم عليه
سابور بعسكره وهزمه شر هزيمة وأخذ أسيرا فعامله معاملة سيئة للغاية وضرب عليه ضروب
الذل والصغار فكان يصحبه أينما حل وحيثما ارتحل وكان يلبسه أخف ثيابه الملوكية وكان اذا
أراد ركوب عربته أو جواده استحضره وطرحه على الأرض وجعله سلم ركوب فكان يدوسه
عند الركوب بقدمه ولا ينظر الى شيخوخته ولبث على هذه الحال من الاهانة والتعذيب
ثمان سنين كاملة وكان أسره ووقعه في يدي سابور في سنة أربع وسبعين ومائتين ليلاد أي
سنة اثنتين وستين وثلاثمائة قبل الهجرة

قال بعض أهل التاريخ ومن غرائب الاتفاق أن والريانوس كان أمره يتبع النصراني
وتعذيبهم واذلالهم فقتل منهم خلق كثير وذلك في السنة الرابعة من ملكه ولم يمض على هذا
الفعل الا القليل حتى سار لحرب سابور ووقع في الاسر والتعذيب فكان صبورا على تحمل
هذه البأوى لا يتأمل ولما مات أمر به سابور فسلخ وذبغ جلده وصبغ باللون الاحمر الارجواني
الذي هو لون لباس الملوك وحشوه بالثبن ليكون دائما على شكله لا يتغير تمثيلا به وعبرة لمن
يأتي بعده من ملوك الرومان

وفي أيامه ظهرت قبائل الفرنجة وسارت للغزو وتخريب البلاد فوصلوا بعد أسره الى
بلاد الغلبة واسبانيا وافريقية وانقسموا الى عدة طوائف لكل طائفة منهم ملك وكان كل
ملك من ملوكهم يمتاز عن رعيته وقومه بهنداسة في يده يقبض عليها دائما وكانت وظيفته
أن يحشى بهذه الهنداسة أمام جنوده وأن يقضى بين الخصام على دكة ويبدد هذه الهنداسة
فيشير بها الى صاحب الحق عند الحكم له

وكان لوالريانوس ولد اسمه (غليانوس) واليا على بلاد الغلبة فلما يئس الرومان من

خلاص والريانوس من أسر سابور ملك فارس سيروا في طلب غليانوس المذكور ليملوه بدل أبيه
بجاء مسرعا الى رومة ودخلها في موكب حافل للغاية فكانت مدة حكم والريانوس الى يوم أسره
خمس سنوات

(في الملك غليانوس) (قيصر)

ثم قام بالامر ابنه غليانوس ببيع له بالملك سنة خمس وسبعين ومائتين للبلاد أى سنة
احدى وستين وثلثمائة قبل الهجرة وقد كان قبل ولايته عاملا للرومان على بلاد الغلية
فسار منها الى رومة في موكب حافل جدا فلما دخلها بايعه أرباب المجلس والوجهاء وأهل
البلاد واستقر به المنصب فعكف على مالاخريفه وألهته خيرة المنصب عن غيرها قال بعض
أصحاب التاريخ

وبينما كان والريانوس الشيخ الكبير أبو غليانوس هذا يكابد ما يكابد من ذل الاسر
ومضض الالهة والضيق ببلاد فارس كان غليانوس ابنه منهمكا في اللعب مولعا بالولائم
والاحتفالات يدعو اليها جميع ندمائه وجلسائه لاقتسام اللذات والشهوات وكان يقضى يومه
وليلته في السكر والعريضة ويتسلى ببناء القصور من باقات الزهور والرياحين ويزرع البطيخ في
الشتاء حيث تشتهيه نفسه في ذلك الفصل وقد كانت في هذه الاثناء تنصب على هامة المملكة
أنواع المصائب والنكبات من كل صوب وحذب حتى كادت تشرف على الدمار فقد انتشر
بها القحط وطغيان الانهار والوباء والفتن الداخلية فكان يهلك بالطاعون في مدينة رومة
وحدها في كل يوم خمسة آلاف نفس ومع هذه الخطوب والكروب والمصائب العظيمة كان
غليانوس الملك لا ينفك عن ملاذه وشهواته متغاضيا عن اغارة الاعداء على بلاده حتى مزقوا
المملكة وكادوا يتلعونها فكان اذا كلفه أرباب الدولة وكبار الجند في ذلك وحجبوا اليه كبح
جراح الاعداء وردهم عن البلاد قال لهم لا تكثر العتب واللوم فاني لأهتم الا باقليم ايطاليا
دون غيره فكانت أيامه شديدة الازمة على البلاد الرومانية بأسرها كثيرة الرزايا والاحن وسار
غليانوس للحرب مع افرنج الغلية لشنهم الغارة على حدود المملكة الرومانية فانهزم غليانوس
أمير الجنود الرومانية المرابطة بمصر هذه الفرصة ففرج على غليانوس وشق عصا طاعة الدولة
فكاتبه غليانوس في الرجوع الى الطاعة فلم يرجع وأصر على العناد فأرسل اليه طيودوطس
القائد في جيش عظيم فهزمه وقبض عليه وأرسله الى رومة فسجن فيها ثم قتله غليانوس
وهو بالحبس صبرا * ومنح ادنياطوس ملك تدمر لقب أغسطس حيث كان محالفا للرومانين
وهو الذي هزم الحشم الذين كانوا قد أغاروا على أملاك الدولة الرومانية وطردهم حتى
أرجعهم الى بلادهم وكفى الرومانين شرهم فانتقل هذا اللقب أيضا الى زوجته (زفوبيه)

وأولاده اذ كان متوارثا فيهم بعد موت ادنياطوس فصار كل من ينولى ملكا تدمر يلقب بلقب اغسطس فبدأت من هذا الحين مدينة تدمر في التقدم ورفعة الشأن واتساع نطاق التجارة ولا سيما في عهد زئويه كما سيأتي الكلام عليها مفصلا

وقام عليه في خلال ملكه كثير من أمراء الجنود الرومانية واغضبوا منه الملك فكان منهم من قبض عليه وقتل ومنهم من قتله جنوده قبل أن يصل الى رومة ولما اشتد بالرومانيين الخطب وبولاهم النذل والعار بسبب فعال غليانوس المذكور وسوء تدبيره وفساد رأيه أغروا طوائف الجند على الخروج عليه وقتله فقاموا عليه وقتلوه وألقوا بجثته أمام قصره وذلك سنة اثنتين وتسعين ومائتين للميلاد أى سنة أربع وخسين وثلاثمائة قبل الهجرة فكانت مدته سبع سنين وفي أيامه مات ديمتريوس بطرك الاسكندرية بعد أن أقام اثنتين وثلاثين سنة وفي أيامه طارت الاخبار بقتل جميع النصارى الذين في ممالك رومة فوقع فيهم مذبحة عظيمة جدا وكانت هي الشدة الخامسة وقد ابتدأت أولا من بلاد مصر حيث قتل جميع من فيها من النصارى حتى لم يبق الا من لجأ الى الجبال واختفى في المقابر والكهوف ثم سرت الى بلاد الغلبة والى افريقية فقتل في تلك البلاد ما لا يحصى عددا لا سيما في مدينة ليون احدى بلاد الفرنسيس وفي قرطاجه ببلاد المغرب فكانت شدة عظيمة للغاية فلما مات ديمتريوس أقيم بعده (باد كالوس) أو (باد كلاس) وهو ثالث عشرهم وأصله من مدينة الاسكندرية وهو أول من سمى بابا على المشهور وكان ورعا تقيا ووقع من الحوادث في أيامه ما سيذكر في محله

ولما مات غليانوس الملك كما تقدم تولى بعده فلودس الثاني

(في الملك قلودس)

(قيصر الثاني)

ثم قام بالامر قلودس الثاني ببيع بالملك بعد قتل غليانوس سنة أربع ومائتين ومائتين للميلاد أى سنة اثنتين وخسين وثلاثمائة قبل الهجرة فكان أول سلسلة القيصرية (الليزية) يعنى القيصرية السواحلية وكان أصله من اقليم دلماشيا وكان معدودا من خول رؤساء الجيوش الرومانية وهو الذى حارب الغوطية وقهرهم وبدد شملهم فكان أول من بايعه بالملك العساكر ثم حضر الى رومة في عسكره فأقره أرباب المجلس وبايعوه وفرحوا به واستبشروا بولايته ولم يستقر به المنصب حتى جمع الغوطيون جيشا جرارا عند نهر آق كرمان ونزلوا عند سواحل البحر الاسود وأغاروا على المدن الرومانية القريبة منها وزحفوا على بلاد اليونان التابعة لرومة وأغاروا عليها أيضا فسار قلودس الملك مسرعا لقتالهم فانتصر عليهم نصرة عظيمة

سميت نصره (نسبا) وهى مدينة ببلاد الصرب وقد كثر فيها اراقة الدم عند اشتباك القتال بين الفريقين الى حد تولد عنه وباء عظيم جدا فأصاب قلودس الملك فرض ومات به فى مدينة سرمش جهة بلاد الصقالبة وذلك سنة اثنتين وثمانين ومائتين لليلاد أى سنة خمسين وثلثمائة قبل الهجرة فكانت مدته سنتين وتولى بعده أورليانوس قيصر

(فى الملك أورليانوس)

(قيصر)

ثم قام بالامر أورليانوس بإيعه العسكر فى اليوم الذى مات فيه قلودس سنة اثنتين وثمانين ومائتين لليلاد أى سنة خمسين وثلثمائة قبل الهجرة وتحرير خبره أنه لما كان قائدا من قواد الجنود العارفين بأساليب الحروب وكان مقاتلا مهيبا تخشى سطوته ويخاف بأسه طار صيته فى الاتفاق فتعلقت الآمال به واجتمعت الكلمة على مبايعته فبايعوه وكان شديد المراس على طوائف الجنود يخافه القريب منهم والبعيد

فلما استقر به المنصب أغارت طوائف الالمان على ايطاليا وظفروا بجيش عظيم من جيوش الزومانيين وبددوا شمله وأعملوا النهب والسلب فى جميع مدن ايطاليا فانتهر أورليانوس اشتغالهم بالنهب وجمع ما تفرق من عساكره وانقض عليهم ولا انقضا الباز الاشهب وبدد شملهم وأعمل فيهم السيف حتى ركنوا الى الفرار وعادوا يعبرون نهر طونة كما حضروا فسلت البلاد من شرهم

وكان غليانوس قبل موته بنحو سنة اتفق غليانوس مع زفوبيه ملكة تدمر ونحبابا حيث كان زوجها محالفا للرومانيين ومظاهرا لهم على الفرس فظهرت زفوبيه المذكورة بعد موت زوجها ظهورا عجيبا فى البلاد الشرقية وقويت شوكتها واستفحل أمرها وانتظم ملكها وصارت مدينتها التى هى تحت ملكها فى صحارى الشام الرومانية عامرة أهلة زاهرة بهية حتى كأنها حنة من جنات الدنيا واتسعت دائرة ملكها من ساحل بلاد صور والشام الى نهر الفرات والعراق برا وبحرا واهتمت باعانة التجارات واتساع دائرة المعاملات فأحرزت بلادها مالا مزيد عليه من الرونق والبهجة واكتسبت مدينة تدمر فى أيامها من الفخر والزينة ما لم تكن تسببه فى أيام سليمان عليه السلام وكانت زفوبيه قد تزوجت بالملك ادنياطوس الذى هزم سابور ملك فارس وانتصر عليه فى عهد الملك غليانوس كما سبقت الإشارة الى ذلك فى محله فلما مات زوجها سلكت مسالك الجد وتقوت عزيمتها واتصفت بصفات الرجولية وحلت محل زوجها فى الجماسة والشجاعة والبأس والشوكة حتى أحرزت بلادها كمال الشهرة وبعد الصيت وثبتت دعائم ملكها بتلقاها بلقب

قيصرة وكانت تزعم أنها ماوتت الملك الا باستحقاق وأنها صاحبة أصل ينتهي الى فراغنة مصر وملاوكها فكانت في زمانها نادرة تخطب في العساكر بأبلغ خطابة وأفصح لسان وتحثهم على اقتحام الخطوب وتضمن لهم الفوز والغلبة شأن القائد الحازم وكانت تضع على رأسها خوذة الحرب كالابطال حاسرة عن ذراعها كالفتيان من الرجال وكانت قوية الجأش ثابتة الجنان لها في السياسة اليد الطولى وكانت شديدة الامل كثيرة الطمع في أن تحكم يوما ما جميع الممالك الرومية وكانت بلاد مصر في هذا الحين تحاول الخروج عن طاعة الرومانيين وتزاول الاستقلال بنفسها فلما علمت زفوية بذلك وجهت أطماعها نحو ديار مصر وأخذت تبذل الاموال الكثيرة والرشا التي لا تدخل تحت حصر رجاأ أخذها بالتى هي أحسن فلم تنجح فاستعملت القوة وسيرت جيشا جرارا لغزوها فانتصرت عساكرها على العساكر المصرية واستولت على سرير الاسكندرية فلم يستقر بها المقام حتى عادت الجنود المصرية الى مقام الاقتتال وطردتها من مدينة الاسكندرية وزحزحتها عنها فعادت اليها بعد قليل حيث جاءها من تدمير المدد من الرجال والذخيرة ومعدات القتال وتعلبت عليها واستولت على تحت الملك وذلك كله في عهد أورليانوس الملك فقام أورليانوس من رومة وسار الى الشام وحارب زفوية واقتتلا قتالا شديدا جدا فانتصر أورليانوس عليها نصرة عظيمة فهربت من حصن الى تدمر وتترست عساكرها وراء حصونها فضيق أورليانوس حصارها ومنع عنها الميرة فنقد ما في المدينة من الزاد وأيست من الذخيرة والامداد فحاولت الخروج والفرار فأحس بها وقبض عليها وهي هاربة فلما مثلت بين يديه قالت له قد ساعدتك بالنصر علينا الاقدار أيها الملك فما أنا معترفة لك بالولاء ولقد كان الخروج على أسلافك من الامور اللازمة اذهم لم يبلغوا ماوصلت أنت اليه من التجابة والبسالة وكانت في هذه الاثناء تحديق بها العسكر من كل جانب فصاحوا جميعا اقتلوها فقتلوا فما هي الاساخرة ماكرة فأشار أورليانوس أن اسكنوا وقال اني لأحب الابقاءها فاستبقاها ولكنه أذلها وأدخلها رومة في موكبه ضمن الغنائم ثم أنزلها في قصر في رومة ولبنت هناك الى أن ماتت وبقيت ذريتها من بعدها الى أن أوشك الاسلام أن يفتح الشام

وكان أسر زفوية وزوال ملكها جميعه في سنة أربع وثمانين ومائتين للميلاد أى سنة

خمسین وثلثمائة قبل الهجرة

وبعد هذا الحادث بقليل ظهر تاجر من تجار الاسكندرية وفصد الاستبداد بحكم البلاد وكان صاحب ظهور وخروج عالى الكلمة فنادى لنفسه بالرياسة وعمل على حكم البلاد فانتهى اليه من ديوان مصر الامر والتهى في جميع الامور وخضع له من أهل البلاد السواد الاعظم وقام يدفع جوامك جميع الجنود وزعم أنه يتكفل بجميع ذلك من ربح صناعة ورق الكتابة المتخذ يومئذ من البردى فلبى دعونه جميع المصريين وعقد المعاهدات مع المجاورين من ملوك العرب وضرب السكة باسمه واستعان بروم الاسكندرية فأطاعوه

وانتصروا له نخلصا من حكم الدولة الرومانية فخارب الدولة وتلاقى مع جندها في ثلاث مواقع فظهر عليهم في نصره ثم انهزم شرهزيمة ووقع في يد قائد الجيوش الرومانية فقتله وعادت مصر الى قبضة الرومانيين وتقلد نيابتها أمير من قبل أورليانوس اسمه (أورليوس بروبوس) فأصلح ما أفسدته الحروب والوفائع وعمر المباني بالتجديد والترميم وأصلح النيل بالعمليات الهندسية ونشغل فيها الجنود فسارت السفن وانتظمت أحوال الملاحة بعد أن تعطلت أو كادت زمنا ليس بقليل وكانت سيرة أورليانوس الملك أحسن سيرة وقد دبر البلاد أحسن تدبير فخازت في أيامه الصيد وكال الشهرة وسار في آخر أيامه لغزوة الفرس بعد انتصاره على عصاة مصر والشام فبينما هو يسير بجيوشه إذ أنار عليه منسيطس كاتب سره فتنة من جنوده فقام الجنود على أورليانوس وقتلوه وذلك سنة ثمان وثمانين ومائتين للميلاد أي سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة قبل الهجرة فكانت مدته حكمه أربع سنين لا غير وفي السنة الاخيرة من ملكه كان تعذيب النصارى بالشدة السابعة التي سفكت فيها الدماء الهائلة وقتل فيها ساندنيس رئيس أساقفة باريز وكانت من أعظم الشدائد وأنكاهها بالنصرانية ولما مات أورليانوس على ما تقدم بيانه تولى بعده طاقيطوس أحد أرباب مجلس رومة بعد أن لبثت البلاد بلا ملك مدة ثمانية أشهر

(في الملك طاقيطوس)

(قيصر)

ثم قام بالامر طاقيطوس ببيع له بالملك بعد فترة ثمانية أشهر فكان ذلك في سنة سبع وثمانين ومائتين للميلاد أي سنة سبع وأربعين وثلاثمائة قبل الهجرة وتحرير الخبر أنه لما قتل الجنود أورليانوس عند ذهابه لغزوة فارس وردتهم عن الاملاك المشرقية التي كانوا قد أغاروا عليها لم يستطع أحد مبايعة أحد بالملك خوفا وخلا فبقى سرير رومة خاليا وهذه أول مرة خلا فيها سرير الملك عن يشغله وكانت مدته خلوه ثمانية أشهر فاعتبرت عند جماعة المؤرخين فترة وقد حدث في خلال هذه الفترة أن ظهرت طوائف الفرنج وعبروا نهر الرين للتغلب على بلاد ايطاليا واغتيالها فلما أحس أعضاء مجلس رومة بهم اجتمعوا برؤساء الجنود وتشاوروا في الامر فاتحدت كلمتهم على مبايعة طاقيطوس بالملك وقد كان من أعضاء المجلس فبايعوه وكان حكما عاقلا كيسا حسن المقاصد سليم النية خالص الطوية يفخر على غيره من جهة أنه من ذرية طاقيطوس المؤرخ وكان هرما بلغ من العمر خسا وسبعين سنة ولم يكن مجربا للحروب ولا مارس الخطوب وكان له معرفة تامة بالانشاء والمحاضرات والادبيات والخطابات

فكانت لذلك نفوس العساكر غير ماثلة اليه ولم يلبث أن وقعت بينه وبينهم الوحشة والتنفور فكانوا لا يهابونه ولا يتطرون اليه الا بعين المفت والاحتقار ثم لم يمض الا قليل من ولايته حتى أضرموا نار الفتنة وبسطوا راية العصيان فوقف رئيسهم بينهم موقف الخطيب وصار يحضهم على السكون ويستميلهم الى الطاعة ويقول كيف ترضون طاقيطوس ملكا عليكم بالامس واليوم تطلبون خلعه وهو يعدكم بالعطايا والنعيم الجزيلة فلم تؤثر فيهم خطابته ولم يقدر على تسكين الفتنة ثم دخل على طاقيطوس فريق منهم وقتله بالفصر وألقوا جثته على باب حجرته فنقل ودفن وذلك سنة ست وثمانين ومائتين للميلاد أى سنة سبع وأربعين وثلثمائة قبل الهجرة فكانت أيام ملكه سنة غير كاملة وتولى بعده بروبوس

(فى الملك بروبوس)

(قيصر)

ثم قام بالامر بروبوس بويع له بالملك فى اليوم الذى قتل فيه طاقيطوس سنة ست وثمانين ومائتين للميلاد أى سنة سبع وأربعين وثلثمائة قبل الهجرة وقد كان أبوه بستانيا فدخل هو فى خدمة الجندية الرومانية وأقبل على تلقى فتونتها وضروبها فارتقى درجاتها واحدة بعد واحدة وسمى فيها باسم بروبوس يعنى الصالح وكان مستقيم الحال حسن الفعال جديرا بذلك العنوان وقد تحققت شجاعته لدى جميع الجنود بحصاره المدائن والنعور وحروبه وفتوحاته العظيمة فكان مهيبا محترما محبوبا

ولما أحضر والاه الحلة الملوكية لبسها يوم بويع بالملك امتنع وقال هى أكبر منى فألحوا عليه فى ذلك فأخذها وقال لعلكم قلدتونى المنصب قبل أن تعرفوا أحوالى وتختبرونى وقد أرى أنكم ستندمون على ذلك فإنى لأأراعى أحدا منكم فى الاحكام ولا تأخذنى فى الله لومة لائم

فلما استقر به المنصب شرع فى تحصين الحدود وحماية الثغور والعناية بها ودفع الاعداء ومنعهم من الاغارة عليها ثم تجهز بعد ذلك لحرب الغوطية والصقالية والافرنجة والامان وزحف بجيوشه عليهم مرة واحدة فانتصر على الجميع وأرسل كثيرا من القبائل الرومانية الى ماوراء نهر الرين ليتوطنوا بالبسلاد التى وراء ذلك وأرسل قبائل أخرى المانية الى الاقاليم الشرقية الرومانية وأذل الفرس وقهرهم وأهانهم اهانة عظيمة وقاىل أهالى صعيد مصر حتى أدخلهم تحت الطاعة وقد كان خروجهم من عهد أورلياس قيصر وعاقبهم أشد العقاب ولا سيما أهل مدينة قفط واخيم ومنشأة اخيم ثم عاد الى رومة مؤيدا منصورا ودخلها فى موكب عظيم للغاية سار فيه أمام عربته أسرى الامم وغنائم الدول التى هزمها بسيفه وكان بعد

انتصاره على أهل مصر قدولى عليهم واليا اسمه الامير (ساترنوس) فاستعان ساترنوس
المذكور عن اسماله لنفسه من أروام الاسكندرية على الخروج عن طاعة الملك والاستقلال
بملك البلاد ولكنه لم يلبث أن قامت عليه فتنة عاجلة فقتل فيها وعادت الكلمة في البلاد
للقيصر فاستعمل مكانه أميرا آخر اسمه (اخليس) فلم يستقر باخليس هذا أيضا المنصب
حتى حدثته نفسه بطلب الاستقلال والخروج عن الطاعة وعمل على ذلك واستمال اليه أرباب
المظاهر في البلاد فبايعوه على ذلك بعصر ثم قامت عليه فتنة فقتل فيها أيضا وعادت كلمة القيصر
الى مقامها الأول فهايته الدول وخافه سائر الرعية وعلت كلمته وانبسطت يده على جميع أمور
الدولة فاستتب الامن في داخل البلاد الرومانية واستولت الطمأنينة على جميع الاهلين
وانتظم حال التجارة والصناعة والفلاحة وكثر غرس الكروم لاسيما في بلاد الغلبة والجرمانية
والبلاد الاندلسية وزادت محاصيل العنب زيادة عظيمة للغاية وكان لا يترك الجنود في البطالة
والكسل بل كان يستعملهم في الخدم العمومية كتنشيف البرك وردم المستنقعات وعمار القناطر
والجسور وفتح الترع والخجان وتطهير الانهر وتحسين مجاريها وكان لا يدعهم للاستراحة
طرفة عين وقد كان أنذرهم قبل مبايعته بجميع ذلك اذ قال لهم * ولعلكم قلدتوني المنصب
بدون روية * فسم الجند من استدامة الخدمة وأغضبهم استمرارهم على هذا الحال وامتلات
صدورهم حقدا عليه وكرها له فذهب يوما ليرى عملية تطهير بعض البحيرات فقام عليه
الجند وقتلوه قيل وكان مما جل الجند على قتله أنه قال لقوادهم في محفل (سيأتى على
يوم لا أحتاج فيه الى جندي منكم ولا جنود) يريد بذلك أنه بالعدل تقل حاجة الملك الى
العساكر مصداقا لقول القائل

« لو أنصف الناس استراح القاضي * وبات كل عن أخيه راضى »

وكان قتله في سنة ست وتسعين ومائتين للبلاد أى سنة أربعين وثلاثمائة قبل الهجرة
وهو من الحوادث المشؤمة على الدولة الرومانية وكانت مدة ملكه سبع سنين وتولى
بعده قاروس

(فى الملك قاروس)

(قيصر)

ثم قام بالأمر قاروس بايعه جند الحرس الملوكي عقب قتل بروبوس سنة ست وتسعين
ومائتين للبلاد أى سنة أربعين وثلاثمائة قبل الهجرة وقد كان رئيس جند الحرس المذكور
فسار الى رومة بعسكره وطلب من أرباب المجاس البيعة له فبايعوه عن اخلاص وقد كان
مولده فى مدينة اربونة بملكة الغلبة ولم يكن ذايت عريق فى المجد وكان له ولدان أحدهما

اسمه قارينوس والثاني اسمه نومريانوس فلما استقر به المنصب قلد ولديه منصب الاغسطوسية ونادى لهما بذلك

وعاد الفرس والصقالبة في السنة الاولى من ملكه الى الاغارات على البلاد الرومانية فسار بنفسه الى بلاد آسية وقتلهم قتالا عنيفا فهزمهم وأخذ بعض مدتهم وعاد الى رومة فقام عليه بعض جنوده في الطريق وأخذوه غيلة وقتلوه وذلك سنة سبع وتسعين ومائتين للميلاد أي سنة تسع وثلاثين وثمانمائة قبل الهجرة فكانت مدة ملكه سبعة عشر شهرا فتولى الملك بعده ولداه قارينوس ونومريانوس

(في الملك قارينوس)

(قيصر)

(والملك نومريانوس)

(قيصر)

ثم قام بالامر ولداه قارينوس ونومريانوس ببيع لهما بالملك عقب قتل أبيهما في اثنا عشر سنة سبع وتسعين ومائتين للميلاد أي سنة تسع وثلاثين وثمانمائة قبل الهجرة وقد كان مريانوس معتدل المزاج لين العريكة سهل الاخلاق فصيح المنطق بليغ المقال الى حد أكسبه شهادة مجلس رومة بأنه خطيب عصره ونادرة مصره وقد كانت الخطابة عند اليونان والرومان في ذلك الحين أصلا عظيما من أصول الدولة يعين على التحسين والتسكين وقد خلد التاريخ فصاحة مريانوس وبيانه وجعل شهادة المجلس له بذلك دليلا وبرهانه

وأما قارينوس فقد كانت أوصافه على خلاف أوصاف أخيه فكان منهمكا على القبيح فاسد الاخلاق مخالطا لاهل السخريه والافاني لا يصحب الامن لاخلاق له وكان يتزيا بزى النساء فيلبس اللآلئ النفيسة والجواهر الكريمة ولا ينام الا على بساط الزهور والرياحين وكان يتجيب الى الجند وأهل البلاد بالاكثر من الولائم والضيافات فكانوا لذلك يتغاضون أحيانا عن معايبه

ولما استقر المنصب بنومريانوس سار الى بلاد فارس حيث كان أهلها قد قاموا على البلاد الرومانية وأخذ معه أبروس أبنا زوجته فلما رأى أبروس المذكور ما عليه نومريانوس من أبهة السلطنة وعزة الملك تآقت نفسه الى ذلك وموت له الفتك بنومريانوس فقام عليه وهو في طريقه الى فارس وقتل به وكان مع نومريانوس في هذه الغزوة دقلديانوس رئيس غلمانه فلما علم بما فعله أبروس قام عليه وقطع عنقه انتقاما منه وأخذوا بثأر

سيده وفي رواية أنه لم يكن ضربه عنق أبروس محض انتقام لسيده بل ان الاصل في ذلك أن كاهنة من بلاد الغالية بشرته بأنه سيملك على بلاد عظيمة جدا اذا بسر له القدر قتل الخنزير فكانت كلمة أبروس باللغة اللاتينية معناها خنزير ونقلت الى الغالية من معناها الاصلى فكان قتله لأبروس المذكور تحقيقا لما قالت وبشرته به الكاهنة وقد تولى الملك بعيد ذلك ولكن على بلاد الغالية فقط قيل ولم يقصد الاستيلاء على رومة ولا بسط يده على جميع البلاد الرومانية كما كان الناس يظنون

ولما تمكن دقليانوس من الجند وبارهم سار بهم الى قارينوس ودنا من مقره وأصر له السوء فأحس قارينوس بذلك وصحبا من سكر الغفلة وأقلع عما كان عليه من الخسة واللهو والاشتغال بالدنيا وبرز لمحاربة دقليانوس واستعمل البأس والشدة فكانت الحرب بين الفريقين مجالا ثم ظهر على دقليانوس وهزمه وكسر عساكره * وبينما هو يطارد دقليانوس وعساكره قامت فتنة بين جنوده فقتلوه في الطريق وذلك سنة سبع وتسعين ومائتين لليلاد أى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة قبل الهجرة فكانت مدة ملكهما أشهرا فلائلا وتولى بعدهما دقليانوس واستقل بحكم البلاد

(في الملك دقليانوس قيصر)

(ويقال له أيضا)

(دقلطيانوس ودقله والملك مقسيميانوس هرقل أغسطس)

ثم قام بالامر دقلطيانوس ببيع له البيعة العامة بعد قتل قارينوس سنة سبع وتسعين ومائتين لليلاد أى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة قبل الهجرة وكان مولده بمدينة دقليد لماجيا ببلاد النمسا من عائلة خاملة الذكر عاطلة من حلية المجد والحسب فدخل في خدمة العسكرية من زمن صباه واشتهر بالبراعة في الفنون الحربية والسياسة الملكية ولكنه لم يشتهر بالشجاعة في المواقع المهمة ولا عرف فضله بالفتك بالاعداء فكانت سياسته كسياسة أغسطس أول قيصرية الروم يعيل الى حسن التنظيم واحكام الامور والتمسك بالحزم والتبصر في العواقب وكان ميالا الى السلم والصلح وتنسيق الاحوال فكان معدودا لذلك من أكابر مدبري الدولة الرومانية ولم يسبق له مثيل بين رجالها وكان عمره حين تولى الملك أربعين سنة وقد أحس باحتياجه مع ذلك الى عضد يقوى ساعده وظهر يقسم معه جل أعباء المملكة وكان من أمراء شجعان العسكر الروماني أمير اسمه مقسيميانوس هرقل من أبناء بلد دقلطيانوس ولكنه كان فظا غليظا دنيء الاصل لان أباه كان من رعاة الماشية فقربى مقسيميانوس المذكور في

الجندية وما زال حتى انتظم في سلك الشجعان فأدناه دقلطيانوس منه وقاسمه الملك قسمة مهاياة وتراض فأبقى دقلطيانوس لنفسه الاقطار المشرقية وترك لمقسيميانوس تدبير الاقطار الغربية وجعل مقر حكومة مقسيميانوس مدينة ميلان من أعمال ايطاليا

وامتاز دقلطيانوس عن مقسيميانوس بملاحظة عموم المصالح وأمور كافة البلاد الرومانية مشرقية كانت أو مغربية وجعل دار اقامته مدينة ازميز من أعمال برسه فهجرت عندئذ مدينة رومة والسلب عنها كونها دار الملك ومقر السلطنة الرومانية في عهد هذه المقاسمة وكان ذلك في سنة ثلاث وثلاثمائة للبلاد أي سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة قبل الهجرة وكان كل من دقلطيانوس ومقسيميانوس في تدبير أمور المملكة وقضاء مصالح خلق الله على وفاق عام وواطؤ في الرأي تام فكان دقلطيانوس يؤمئذ رأس الدولة ومقسيميانوس عضدها

ولما ذهب مقسيميانوس الى مقر حكومته بالاقطار الغربية رأى من خروج فلاحي بلاد الغلية وعصيانهم وانارتهم للقتل ما ألجأه الى تجهيز الجيوش واعداد معدات الحرب لقتالهم فضربهم وانتصر عليهم وأدخلهم تحت الطاعة ثم سار الى قتال فارسسيوس الخارجي ببلاد الانجليز حيث استنجد أمره واجتمع معه عصب الاشقياء من أهل الصيال وقطاع الطرق وتعدى معهم للايذاء والسلب رجا أن يكثر قومه ويستقل بملك البلاد وفصلها من حكم الرومانيين فخاربه مقسيميانوس وأجهد النفس في قتاله فلم يقدر على ادخاله ومن معه من الفرنج تحت الطاعة فاضطر أن يشرك معه في الملك شريكين آخرين أحدهما قسطنطينوس خيورس من أهالي سواحل ايطاليا من بيت مجد وشرف وثانيهما اسمه والبريس الراعي ويقال له أيضا غاليرس وأبسمهما حلة الملك ليكونا له عوناً على الاعداء وكانت هذه المقاسمة والتشريك في سنة ست وثلاثمائة للبلاد أي سنة ثلاثين وثلاثمائة قبل الهجرة فاجتمع على حكومة الدولة الرومانية في هذا الحين أربعة ملوك ملكان كبيران يلقب كل منهما بلقب أغسطس وهما مقسيميانوس و دقلطيانوس وملكان دونهما في الرتبة يلقب كل منهما قبصرا وهما قسطنطينوس وغاليرس وكانت تسمى هذه الحكومة اذذاك بالدولة الرابعة فكان هذا الترتيب المشتمل على قسمة المهاياة تمهيدا لانتقال رومة وقسطنطينية وامتياز كل منهما بعد ذلك بملك مستقل قائم بنفسه كما سترى ذلك في محله

وكان لهذه الشركة الرابعة أثر مهم جدا اذ تقوّت بها الدولة وعظم شأنها وامتدت كلمتها وهابها العدو وصارت في مأمن من الغارات الخارجية فقهر قسطنطينوس الفرنج وهزمهم ودفع غاليرس الفرس وغلبهم وبدد ثملهم وأعاد للدولة مجدها الاول ورونقها القديم وقد كان دقلطيانوس في هذه الاثناء أيضا يعمل على تحسين أحوال الادارة الملكية وتهذيب الاحكام والقوانين السياسية واقامة حدود العدل للمساواة بين صنوف الرعية وادخال الجند تحت القوانين الرابطة ونشر بنود الضبط والعمارية وعمل أيضا على تحسين أحوال مدينة ازميز

وأنطاكية وحص وقرطاجة وأدخل في الديوان الرسوم والآداب المشرقية وأبهر الملك على عادة سلاطين المشرق من الفرس وغيرهم ولم تكن هذه الآداب معهودة من قبل في دواوينهم

ووقعت مصر في هذه المقاسمة الرباعية من نصيب دقلطيانوس حيث صارت من ضمن بلاد المشرق وكان العامل عليها يومئذ رجل اسمه اخليوس ويقال له أيضا آجله وكان في خلال هذه الحوادث قد تغلب عليها لنفسه واستبدت بحكمها فسار دقلطيانوس لقتاله وحاصر مدينة الاسكندرية وضيق عليها تضيقا شديدا فقطع نخلجان النيل لتصرف مياه النيل التي تجري فيها السفن لمنع الميرة والذخيرة عن المدينة واستولى عليها بعد حصار ثمانية أشهر فلما فتحها استعمل الظلم والعسف وتجاوز الحدود في ذلك وارتكب ما لا يخاطر لاحد على بال من الماسم والمظالم وأحرق المدينة وسبي أهلها سبيا وأباحها لجنوده ليفعلوا ما يشاؤون فعاثوا في الارض وأهلكوا الحرث والنسل وقتلوا وفتكوا وسبوا ونهبوا وأراقوا الدماء أنهرها واشتدوا شدة لم يسبق لها مثيل * وحكى بعض أحبار مسيحي مصر أن دقلطيانوس ركب ظهر فرسه وأمر جنسده أن لا يتركوا القتل حتى تسيل الدماء على الارض وتعلو حتى تصل الى ركبة فرسه * قال بعض المؤرخين فكان من اللطاف الالهية أن سقط به فرسه على الارض فتلوثت ركبناها بالدم فتم قوله معنى وأبطلوا القتل

واعتبر قبط مصر حكم دقلطيانوس على الدولة الرومانية تاريخا تؤرخ به الوقائع ويسمونه تاريخ الشهداء لكثرة ماسفك فيه من الدماء ولا سيما دماء المسيحيين وهذا التاريخ يوافق تسعا وثلاثين وثلثمائة قبل الهجرة وتسعا وثلاثين يوما * قال بعض الكتاب وكانت نصرة دقلطيانوس على آجله عامل مصر فتوحا جديدا للبلاد ومفتاحا لخير أهلها فانه بعد أن أجرى ما أجراه من الجور والعسف عاد الى سبل الاستقامة والرفق بالرعية فجعل لهم قوانين خصوصية وصالح أهل الصعيد وترك لهم من جنوب اسوان جهة الشلالات يستبدون بحكمه ويرابطون في الثغور والحدود يحفظونها ورتب لهم الجوامك والعلوفات في مقابلة ذلك

وأما واليبروس فقد كان قضا غليظا جهورى الصوت مزججا في حركاته وسكناته وكان يحسد دقلطيانوس على ما أحرزه من لقب أغسطس فسعى ليحرز هذا اللقب أيضا وقد كان هو علة تعذيب النصارى وتشكيلهم في الشدة العاشرة التي هي أعظم الشدائد وأقطعها وآخرها فعذبهم بأنواع العذاب مما لم يسبق له قط مثال وكان يحملهم على الردة عن دين المسيح والرجوع لعبادة الاصنام وأحرق القصر الملوكي مرتين واتهم أهل الديوان بتخريب أهدال البلاد على قتاله وأكثر من سفك الدماء في سائر الاقاليم ثم ان الشدة على النصارى بديار مصر في أيام دقلطيانوس وان كانت لنكبة المسيحيين دون غيرهم وتزيق شملهم غير أنه قد دعم جورها بجميع أهل البلاد وحلت بسائر أرباب العقائد النكبات ونزلت النعمة بالجميع بلا استثناء فكان ذلك باعثا على تقارب المسيحيين والوثنيين من بعضهم وتودد بعضهم لبعض وعداوتهم للحكومة

الرومانية وقد طالت شدتهم زهاء عشرين سنين فدل هذا الحادث على شدة ارتباط الفريقين واخلاصهما لبعض فقد أنقذ الوثنيون يومئذ طائفة المسيحيين الذين ركنوا اليهم وبلجوا الى حماهم ولم يكرهوا قط بهم كما كان يؤمل ولم تكن هذه الشدائد مانعة لانتشار دين المسيحية في الاقطار بل بالعكس فقد كان كلما اشتد الضيق وعم الويل ونطاوت على النصارى يد الايذاء كان الدين ينتشر انتشارا عظيما جدا ولم يكن الدين موجبا لضعف الدولة الرومانية ورجوعها الى الوراء الا نبعثا وانما الذي أضعف بالاصالة هذه الدولة على التسريع هو تقسيم المملكة بين ملوكها الاربعة كاشارة دقلطيانوس ثم ان تقسيمها على ذلك الوجه وان كان سببا في رفعة شأنها واتساع نطاق كلمتها وازاحة العدو عنها الا أنه قد ترتب عليه طمع رؤساء الاقاليم وعمال البلاد في الاستقلال والخروج عن طاعة الدولة وقد حدث عنه أيضا ما لا يطاق من الحروب الداخلية والخارجية فضلا عما كان فيه من المصائب الخصوصية فكان ارتقاء هؤلاء الملوك الاربعة على سري الملك ضربا من ضروب المصائب على الحكومة وبقي الامر على هذا الحال من أيام دقلطيانوس الى أيام قسطنطين الملك

ولما كان دقلطيانوس الملك حين حقد غاليرس عليه وناوشه الخصام قد كبر سنه ووهن عظمه وكان لا يمكنه مقاومته ولا صدّه عن مقاصده ولا أن يجيبه الى مطالبه الطويلة العريضة ولا يستطيع مخالفته خلع نفسه من الملك طوعا في سنة خمس عشرة وثلثمائة لليلاد أى سنة احدى وعشرين وثلثمائة قبل الهجرة وانزوى في اقطاعاته واشتغل بالزراعة والفلاحة فاقتدى به شريكه الثانى مقسيميانوس وخلع نفسه وانزوى في أملاكه أيضا فلم يبق بعدهما من الشركة الرباعية الا غاليرس وقسطنقيوس خيورس فصفا الوقت لغاليرس وتصرف في الامور واستبد كمشاء

قلت وقد قال المقرئ في خطبه عن دقلطيانوس المشار اليه ما محصله * ان دقلطيانوس أحد ملوك الروم كان من غير بيت الملك فلما ملك نجبر وامتد ملكه الى مدائن الاكسرة ومدينة بابل واتخذ تحت ملكه مدينة أنطاكية واستخلف على مدينة درومة وجعل لنفسه بلاد الشام ومصر الى أقصى المغرب وخالف عليه أهل مصر والاسكندرية فبعث اليهم جيشا جرارا وقتل منهم خلقا كثيرا جدا وأوقع بالنصارى فأسال دماءهم وغلق كنائسهم ومنع من دين النصارى وجعل الناس على الردة وعبادة الاصنام وأسرف جدا في قتل النصارى وهو آخر من عبس الاصنام من ملوك الروم ويقال ان رجلا اسمه آجله فار بمصر وخرج عن طاعة الروم فصار اليه دقلطيانوس وحاصر الاسكندرية ثمانية أشهر حتى أخذ آجله وقتله وعم أرض مصر كلها بالسبي والقتل وكانت أيامه كلها شنيعة للغاية قتل فيها من أصناف الامم وهدم من بيوت العبادة ما لا يدخل تحت حصر وكانت واقعه بالنصارى هي الشدة العاشرة وهي أشنع شدائدهم وأطولها لانها دامت عليهم مدة عشرين سنين لا يفتر يوما واحدا يحرق فيها كنائسهم ويعذب رجالهم ويطلب من استتر منهم أو هرب ليقتله يريد بذلك قطع

دابرههم وإبطال دين النصرانية من الارض فارتد خلائق كثيرة جدًا وصار قتل دقلطيانوس
لنصارى مصر تاريخًا تؤرخ به قبط مصر الى يومنا الذى نحن فيه * وبين تاريخ دقلطيانوس
يعنى أول يوم منه وبين يوم الخميس أول يوم من سنة الهجرة ثلثمائة وثمان وثلاثون سنة
قريه وتسعة وثلاثون يوما اهـ

وبعد خلع دقلطيانوس لنفسه وانصرافه عن الملك وتركه الحكومة لغاليرس خصمه كما
تقدم وانعكافه على الفلاحة والزراعة أعاده مجلس رومة ودعاه الى العود للمنصب فتصل
وتنزه وأنظر الأنفة عنه والعزة وأبان أنه لم يكن ترك المنصب وفي نفسه حاجة اليه وأنه
ما هجره الا حليما لاسفها خسبت له هذه الفعلة من المفازر عند جماعة المؤرخين وكانت
مدة حكمه ثمان عشرة سنة * وفي أيامه مات بادكلاس بطرك الاسكندرية بعد أن أقام ست
عشرة سنة فخلا الكرسي بعده سنة وأقيم ديونيسيوس وهو رابع عشرهم وكان وثيا ثم اعتنق
الديانة المسيحية وتعبّد وتزهد وعمل صالحا حتى اختاروه لهذا المنصب وكان في أيامه من
الحوادث ما سيذكر في حينه

قلت وعلى مارواه صاحب الخط عند تتبعه سير بطاركة الاسكندرية يكون البطرك
الذى مات في أيام دقلطيانوس هو بطرس خاتم الشهداء وهو ثامن عشرهم لابادكلاس مع
أننا اذا تتبعنا سنى كل ملك أى مدة حكمه من تاريخ دخول مرقس الحوارى مدينة
الاسكندرية ومناداته بالديانة المسيحية الى جلوس دقلطيانوس على سرير الملك يتضح أن موت
بادكلاس كان في أيام دقلطيانوس لافى أيام أورليانوس كما جاء فى كتب الكنيسة القبطية والله
سبحانه أعلم بالحقائق

(فى الملك غاليرس)

(قيصر)

(والملك قسطنقيوس خيورس)

(قيصر)

استقل هذان الملكان بالمنصب عقب خلع دقلطيانوس ومقسيميانوس لانفسهما من
الملك وذلك سنة خمس عشرة وثلثمائة قبل الميلاد أى سنة احدى وعشرين وثلثمائة قبل
الهجرة ولما استقر بغاليرس المنصب ورأى من أعباء الملك ومشاق المنصب ما لا يمكن معه
الاستقلال بالرياسة أشرك معه قسطنقيوس خيورس الذى كان يومئذ ملكا على بلاد الغلبة
شركة تامة عامة له ماله وعليه ما عليه فى حكم البلاد ثم انتخب أيضا شريكين آخرين أحدهما

اسمه سويرس أوسوريانوس وكان جنديا ولكنه مجرد عن الفضل والشجاعة والثاني مقسيمينوس وكان من رعاة الغنم انقطع عن الرعاية منذ عهد ليس ببيعيد وانتظم في سلك العسكرية بلا فضل ولا مزية فعادت اذذاك الدولة الرومانية رباعية الحكم كما كانت وكان غاليرس كبيرها ورأسها المشار اليه في مهام الأمور

ولما تم لغاليرس الامر على ما أراد أحصى أهالى البلاد كلا باسمه وصفاته وضرب عليهم المغارم وصادرهم في أموالهم فكانت هذه البدعة في البلاد تعد من الغرائب وتحسب من أشد المصائب ومسح جميع الاراضى والمزارع وضرب عليها المغارم الجسيمة وقاس كروم العنب وضرب عليها كذلك المغارم وأحصى الاشجار والمواشى وغير ذلك ورسم بأن كل رب عائلة وكبير بيت يحجر سجلا بعدد أولاده وعبيده وخدمه وتقييد ما يملكه من العقار والمتاع في سجلات بيت مال الدولة وكان يستنطق الاولاد والخدم والعبيد على ما يملكه آبائهم وساداتهم عسى أن يخالف قولهم قولهم ويظهر الخبايا بل ربما أغراهم المغرون على عدم المطابقة لعلمهم يصيبون أكثر وقد عين لذلك كله محال معدودة يحضرون فيها المرضى وأرباب الامراض المزمنة والعواجز لتقييدهم في دفتر العوائد وتغوبلهم وكانت المغارم مضروبة على المولودين والاموات فلم يكن أحد في تلك الايام مستثنى من المغارم والمصادرات وكان اذا مات أحد من المسجلين بسجل هاته المغارم أو نفق حيوان من الحيوانات التى عليها عوائد وزع ما يخصه على الاحياء بدون ترك شئ من المتأخر منها فلم يخل انسان ولا حيوان من ظله وعسفه حتى شمل جوره جميع طوائف الشحاذين والمعوزين والفقراء والمساكين وكان اذا عجز أحد عن أداء المطالب وأظهر الفقر والمسكنة وسأل الناس ما في أيديهم أمر بجمعه وجع أمثاله وأزلههم في سفن وأغرقهم في البحر ليجنب الناس الخلق بالمسكنة والفقر كيلا يتخلص أحد من المغارم ودفع ما ضرب عليه واشتد بالناس عسفه وجوره الى حد لا يطاق ولا يحتمل * قال أهل التاريخ أما قسطنقيوس خيورس شريكه فقد كان على عكس ذلك فانه كان عادلا يحب رعيته ويرفق بهم ويشفق عليهم ويوردهم موارد السعادة في الرفاهية وما زال على هذا الحال من الرفق برعيته حتى مات في مدينة بوركا من أعمال بلاد الانجليز بعد أن عاش عيشة مرضية تخلصه ابنه قسطنطين الملقب بالاكبر

واتفق في هذا الحين أن نارت فتنة عظيمة في ايطاليا قتل فيها سويرس أحد الشركاء في المنصب الملوكي فتولى بعده مقسنقيوس بن مقسيميانوس الذى كان شريكا لدقلياينوس فاغتاط غاليرس من ذلك غنطا عظيما واستغاث بدقلياينوس وكان دقلياينوس مقيما في مدينة سالونه بمنزوا مشغلا بالحرث والغرس وهو في عيش هنيئ فنكتب اليه يستقدمه ويعرض عليه المنصب الملوكي بالمشاركة فرد عليه يقول * أحب أن تحضر الى أيها الملك لترى الخس المورق المخضر الذى غرسته بمدينة سالونه فلعليك لو سرتحت الطرف في هذا الغرس النضير لانتخايتنى أبدا في

شأن الملك * فلما رأى منه الامتناع والاصرار على الالباء اختار شخصا اسمه ليقينوس ولقبه بعنوان أغسطس فوافقه المنية بعد ذلك حيث مرض مرضا شديدا على حين غفلة واندمل جسمه وتقرح وقاسى ما قاسى من شدة الألم الذى اشتد به ومات ولم ينل من اختياره لليقينوس المذكور اربا ولا مغنما وذلك فى سنة خمس عشرة وثلثمائة للبلاد أى سنة احدى وعشرين وثلثمائة قبل الهجرة وبولى بعده مقسيمينوس الثانى شريكه واستولى على الرئاسة العليا فكانت مدة حكمه نحو ثلاث وعشرين سنة

وفى أيامه مات ديونيسيوس بطريرك الاسكندرية وكان موته فى الثالث من توت بعد أن أقام تسع عشرة سنة كابدا فيها من الاهوال والشدائد ما لا يدخل تحت حصر وظهر فى أيامه بولا الخارج فكتب ديونيسيوس الى مجمع أنطاكية رسالة يدحض فيها اعتقاد بولا ويفنده ويطله فكان لهذه الرسالة وقع حسن جدا فأقيم بعده مكسيموس وهو خامس عشرهم وظهر فى أيامه رجل قال عن نفسه انه الروح البارقليط أى الروح المعزى فتبعه خلق كثير وكادت بدعته تم وتعالجه تؤثر فى الكثير من المعتضين ولكنه لم يلبث أن هلك وانجحت آثاره بالكلية

فى الملك مقسيمينوس الثانى وقسطنطين الاكبر ومقسنقوس وليقينوس

ثم قام بالأمر أربعة هم مقسيمينوس الثانى وقسطنطين الاكبر ومقسنقوس وليقينوس فكافوا شركاء فى حكم البلاد وسياسة الجمهور وكان ابتداء حكمهم فى سنة خمس عشرة وثلثمائة للبلاد أى سنة احدى وعشرين وثلثمائة قبل الهجرة ولكنهم لم يثبتوا على حسن الموالاة طويلا حتى اتحد أحدهم قسطنطين مع ثايم-م ليقينوس واتحد ثالثهم مقسنقوس مع رابعهم مقسيمينوس فحدث من هذا الاتحاد أن صاروا حزبين متخالفين قلبا وقالبا وكان مقسنقوس قابضا على زمام ايطاليا فسلك فى الايطاليين مسلك الجور والظلم واشتد عليهم وأنشب فيهم أظفار نكاياته فاستغاثوا بقسطنطين ليخلصهم من ظلمه وكان قسطنطين مشهورا بالرافة وكمال الشفقة وغاية الشجاعة والبسالة وكان محبا للملة النصرانية محاميا عنها ولكن جيوشه كانت قليلة فلم يكن عنده منها يومئذ سوى أربعين ألف مقاتل وكان عدد جند مقسنقوس نيفا ومائة وستين ألف جندي فلما رأى من كثرة عدد جنود خصمه تردد فى الامر وخشى عاقبة اغاثة الايطاليين ولكنه عاد بعد ذلك وصمم على الاخذ بناصرهم * قال بعض الكتاب ومما حجب اليه القتال أنه رأى يومئذ هو وكثير من عساكره شكل صليب على دائرة كوكب

الشمس مكتوبا عليه بالرومية (أنت تغلب عدك) ثم رأى في المنام أيضا حبرا من أحبار المسيحيين يأمره بأن يتخذ صورة الصليب شعار الملك على سلاح جنوده وعلى أعلامه وبنوده فتقوت عزيمته واشتد أمره بالنصر والغلبة وأمر فجعلوا شعار الصليب على جميع الأسلحة والرايات في المملكة الرومانية وقد كان قبل هذا شعار القياصرة عبارة عن صورة صنمية فالتخذ قسطنطين لنفسه بيزقا مطرزا بالقصب ومكلا بالجوهر على شكل صليبي ورقم عليه اسم المسيح بالحروف الرومية وصور المسيح متوجا بتاج من الذهب وأمر جميع جنوده أن يرسم كل منهم صورة المسيح على كتفيه وسلاحه ففعلوا جميعا وسار بهم حتى اجتازوا جبال البة بايطاليا فالتقى بجيوش عدوه فاقتتلوا قتالا شديدا فانهمزم جيش مقسنقوس شرهزيمة فساق قسطنطين خلفه يطارده ويعمل القتل حتى وصل جبلا تحت أسوار مدينة رومة اسمه جبل ميالوس وكان مقسنقوس قد صنف هناك جميع عساكره وأجنداه لينتقوى بهم على عساكر قسطنطين فحمل عليهم قسطنطين جملة واحدة فهزمهم وانتصرت عساكره عليهم نصرة عظيمة فلما كان صبح اليوم الثماني شوهد مقسنقوس غريقا مع كثير من جنوده وكان ذلك سنة خمس وعشرين وثلثمائة للميلاد أي سنة إحدى عشرة وثلثمائة قبل الهجرة

قال أصحاب التاريخ وبعد مضي نحو السنة من هذا الحادث المهم قام مقسيمينوس يريد البطش بليقينيوس رفيق قسطنطين انتقاما وأخذوا بئرا رفيقه مقسنقوس فسار إليه ليقينيوس وقاتله وقبض عليه وسجنه وشد عليه فقتل نفسه فارتفع من هذا الحين شأن قسطنطين واستفحل أمره وقويت شوكته وعظم قدره فغار منه رفيقه ليقينيوس وحسده وحقد عليه وناواه الشر وقصد صده ومنعه عن الغزو والفتوح فقامت الحرب بينهما واشتد القتال فانهمزم ليقينيوس وقتل بين جنوده في ساحة الحرب فبقى قسطنطين منفردا بالملك وذلك سنة سبع وثلاثين وثلثمائة للميلاد أي سنة تسع وتسعين ومائتين قبل الهجرة فجمع عند ذلك جنوده ودخل مدينة رومة في موكب عظيم جدا وجعل الصليب زينة موكبه وعلامة طالع كوكبه حيث انتصر به على أعدائه وفاز وعقد النية من هذا الحين على اتخاذ النصرانية دينه فصور صورة نفسه في شكل تمثال قابضا بيده على صليب فعقد أهل رومة ذلك من أعجب العجائب إذ كانت العادة عندهم أنه إذا دخل الملك رومة منصورا لا يقبض بيده الأعلى ربح فلم تبطل هذه العادة عندهم إلى أن أحدث قسطنطين عادة استعمال الصليب مع أنه إلى ذلك الحين لم يكن قد تنصر

وفي هذه الأيام مات مكسيموس بطريرك الاسكندرية بعد أن أقام اثنتي عشرة سنة فأقيم بعده ثاونا وهو سادس عشرهم وكان ورعا صائبا الرأي محبوبا مطاع الحكمة وكان من الحوادث في أيامه ما سيذكر في محله

(وصل)

(في انفراد الملك قسطنطين الاكبر بملك الدولة الرومانية)

وانفرد قسطنطين بملك الدولة الرومانية بعد قتال وحروب تقدم بيانها وذلك سنة سبع وثلاثين وثلثمائة لليلاد أى سنة تسع وتسعين ومائتين قبل الهجرة ودخل مدينة رومة بجيوشه فلم يلق من أهلها بشاشة ولا ترحابا بل كانوا يسخرون منه ويقذحون فيه ويطعنون في عرضه بلا موجب ولا سبب سوى مارأوه من محاماته عن النصرانية فغضب من وقوعهم فيه ورغبت نفسه عن رومة وصمم على أن يبنى مدينة أخرى عظيمة ويجعلها مقر حكومته ودار ملكه فطمح نظره الى مدينة بيزنيطا لحسن موقعها بين قارفي أوروبا وآسية ولكونها في منتهى عظيم البقعة واسع الانحاء مطلة على أبحر ثلاثة فرسها وأسرع في بناء أسوارها وهياكلها وقصورها وجامعاتها وسقاياتها وقصباتها وأتمها على أحسن ما يوصف فرغب الاهالى في سكنها وهرع اليها الناس من جميع الاقطار واشتهرت باسم القسطنطينية وكان اتمامها سنة أربع وخسين وثلثمائة لليلاد أى سنة اثنتين وثمانين ومائتين قبل الهجرة فتحول اليها تخت الدولة الرومانية وعظمت عمارتها واتسعت حتى صارت من أعظم مدن العالم رونقا وبهجة وكان قسطنطين الملك في هذه الاثناء يعمل على اصلاح شأن الحكومة وترتيب أمور البلاد التابعة لها فاعتنى باصلاح شأن مصر وهذب حكومتها وأحسن حالها وبذل الجهد في اصلاح أخلاق أهلها وكذلك أخلاق الرومانيين وأقام للبلاد الشرقية كافة رئيسا عاما يسوسها وينظر في جميع مصالحها فكانت مصر بمقتضى هذه الحدود المربعة يومئذ داخلية تحت كلمة الرئيس المذكور وحكمه الا عسكرها فانهم كانوا تحت تصرف قائد مخصوص تابع مباشرة لرئيس عموم الدولة الرومانية لاعلاقة له بغيره * قال بعض الكتاب وذلك لان بلاد مصر كانت مأخوذة من البطالسة كما تقدم فعدتها الرومانيون من الحدود والثغور التابعة لممالك رومة وكان للحدود والثغور والرباطات يومئذ أمير مخصوص مرابط من جانب رومة وكان ممنوطا بتحصيل العوائد وجباية الاموال من الحدود والثغور ليتوزع بعضها على الخزينة الرومانية يعنى بيت مال المملكة وعلى خزينة الملك الخصوصية

وكان لمصر في هذا الحين أيضا نائب ملكي كالملك على البلاد وعليه جل أشغال العمليات الهندسية مما فيه اصلاح أحوال النيل وعليه ملاحظة رى الاراضى والزراعة والاسفار في النيل ونقل الغلال من مصر الى القسطنطينية فكان رؤساء الاقاليم المصرية وحكامها وعملها لا يتقادون لهذا النائب في كثير من الاحيان بل كانوا مولعين بمخالفته وكان حاكم الصعيد يرى نفسه أعظم قدرا وأجل شأنًا من النائب المذكور فكان هذا الحال داعيا

خلل نظام البلاد وعدم استقرار أمورها على قاعدة منتظمة فكانت الدولة الرومانية لذلك تعمل دائماً على تغيير أسماء الاقاليم المصرية وتقسيمها الى أقسام صغيرة وتكثير العمالات لتمتكن دولتها وتتسع كلتها ويسهل عليها ضبطها وحكمها كما نشاء فترتب على تكثير العمالات والعمال كثرة الظلم في الرعية وانتشار الجور والعسف بهم فضلاً عن كره المصريين للحكومة الرومانية وما يضاف الى ذلك أيضاً من اختلاف المذاهب النصرانية وتسعها الى شعب كثيرة متعادية متخالفة كما سيأتى الكلام عليها * وكان قسطنطين الملك ولعا بتتيم ما قد كان شرع فيه دقلطيانوس قبل موته من جعل المملكة الرومانية دولة ملوكية يستوى في قوانينها وأحكامها جميع الرعايا فلا يكون هنالك حكومة أشرف ولا قضاة ولا ملتزمون وانما تكون الحكام أمراء من طرف القيصريوليم ويعزلهم ان شاء فقسم المملكة أقساماً ادارية بين أولاده الثلاثة وهم قسطنطين وقسطنطوس وقسطنطقوس وابن عمه دلقاوس وجعل لنفسه الرياسة الكبرى على هؤلاء الاربعة فانصلح حال الدولة وانتظمت أمورها على قاعدة مقررة ثم أصلح حال الجيوش والعساكر بأن قسمها الى فرق وجعل كل فرقة منها ألفاً وخمسمائة عسكراً وجعل على كل فرقة أميراً فصار كل أمير فرقة على حدته لا يخشى منه على الملك لانحصار امارته في هذا القدر من العساكر خلافاً لما كانت عليه قبلاً فكان هذا الترتيب داعياً لادخال كثير من الغرباء في مصاف العسكرية فقد تناقص عدد أهالى البلاد بالحروب الداخلية والخارجية ووصل الى حد لم يمكن معه تجنيد الجنود اللازمة للدفاع والحرب عند الحاجة * قال أهل التاريخ وكان في ادخال هؤلاء الغرباء في صفوف العسكرية الرومانية غاية الضرر على البلاد وأهلها

وفي آخر أيام قسطنطين تحررت دولة فارس لغزو الابلات الشرقية فتهباً قسطنطين لقتالها بجيش الجيوش وجع الجوع ومعذات القتال وقبل أن يسير بهم الى العدو سار الى قرب مدينة ازمير واستقدم أسقفها وتدين بالديانة النصرانية على يديه فعمله بماء المعمودية وقد كان أصدر قبل عماده وهو في مدينة ميلان سنة سبع وعشرين وثلاثمائة للبلاد أى سنة تسع وثلاثمائة قبل الهجرة مرسوماً يبيح التدين بالدين المسيحي وبأن النصارى جميعاً يكونون تحت حمايته الذاتية فانتشر من هذا الحين دين المسيح وصار دين الحكومة والهيئة الحاكمة ومعقد أهل الحل والعقد وقد كانوا جميعاً قبل ذلك عبدة أوثان ولازال الحال على ذلك الى أن جمع في سنة تسع وأربعين وثلاثمائة للبلاد أى سنة سبع وثمانين ومائتين قبل الهجرة في مدينة نيقية بابالة بروسه المجمع الاول الذى تهذبت فيه علامة الامانة المسيحية الباقية الى يومنا الذى نحن فيه ولم ير في القياصرة أشد من قسطنطين حمية على النصرانية لاسيما بعد دخوله في مصاف أبنائها فكان يعظم الاساقفة ويحبهم ويجمعهم على خوانه ورسم بصلاة يوم الاحد في جميع أطراف المملكة وجعل هذا اليوم عيداً في الاسبوع تعطل فيه جميع الاشغال فصار

العمل على ذلك سنة متبعة الى يومنا هذا عند سائر المسيحيين * وأبطل المصارعة وعيد الزهرة
وهدم هياكلها لما في ذلك من العوائد الذميمة فجعل عباد الاوثان يتزاحجون على الدخول في
النصرانية * وأقام في جميع أنحاء المملكة المراتبين والمحافظين من الامراء وأقطعهم
الاراضي نظير ذلك وجعلها وراثه لمن بعدهم في أعقابهم * ومنع جميع ما فيه مفسد
الاخلاق وخفف العوائد والاموال وعدلها ولطف أمور المصادر والاسر والاسترقاق
وأبطل الربا * وكان محبا جدا للعلوم والفنون فكان يعمل على تقدمها وترقيها وعافى
أهلها من جميع الرسوم والعوائد وخصهم بالمزايا العسكـرية وأن يسكنوا في خطط العسكر
ومنازلهم وجعل هذه المزية لفسائهم وأولادهم أيضا وأخرج اليهود من بيت المقدس
وأكرههم على التدين بالديانة المسيحية وقتل من امتنع منهم فأبى أكثرهم وقتل قيل
ومن تنصر منهم لم يخل من الشكبة أيضا حيث جمعهم وحشرهم في كنيسة في يوم عيد
الفصح وأمرهم بأكل لحم الخنزير فامتنع أكثرهم فأمر بقتلهم فقتل الجمل الغفير منهم في
هذه المحنة * قلت وهذه قرية من أهل الاقبيات لان شدة تدينه بالنصرانية تحول بينه وبين
هذه الفعال

قال بعض الكتاب عند الكلام على قسطنطين المشار اليه وكانت أم قسطنطين هيلانه
من أهل قرية مدينة الرها قد تنصرت على يد أسقف الرها وتعلمت الكتب فلما مريقرتها
أغسطس صاحب شرطة دقلطيانوس رآها فأعجبته فتزوج بها وجعلها الى بيزنيطا مدينته فولدت
له قسطنطين وكان جيلا فأندردقلطيانوس منجموه بأن هذا الغلام قسطنطين سيملك الروم
ويبدل دينهم فأراد قتله ففر منه الى الرها وتعلم بها الحكمة اليونانية حتى مات دقلطيانوس
فعاد الى بيزنيطه فسلمها له أبوه قسطنس ومات فقام بأمرها بعد أبيه الى أن استدعاه أهل رومة
فأخذ يدبر في مسيره فرأى في منامه كوكبا في السماء على هيئة صليب وصوت من السماء
يقول * اجعل هذه العلامة تنصر على عدوك * فقص رؤياه على أعوانه وعمل شكل الصليب
على أعلامه وبنوده وسار لحرب مقسيميانوس برومة فبرز اليه وحاربه فانصر قسطنطين عليه
وملك رومة وتحول منها فجعل دار ملكه القسطنطينية فكان هذا ابتداء رفع الصليب
وظهوره في الناس فانخذ النصارى من حينئذ وعظموه

وأكرم قسطنطين النصارى ودخل في دينهم بمدينة نيقوميديا في السنة الثانية عشرة من
ملكه على الروم وأمر ببناء الكنائس في جميع ممالكه وكسر الاصنام وهدم بيوتها وعمل
المجمع بمدينة نيقية وسببه أن الاكسندروس بطرك الاسكندرية منع اريوس من دخول
الكنيسة وحرمه لمقالته ونقل عن بطرس الشهيد بطرك الاسكندرية أنه قال عن اريوس ان
ايمانه فاسد وكتب بذلك الى جميع البطاركة فحضى اريوس الى الملك قسطنطين ومعه أسقفان
واستغاث به وشكى الاكسندروس فأمر باحضاره من الاسكندرية فحضر هو وأريوس وجع
له الاعيان من النصارى ليناطروه فقال اريوس * كان الاب اذ لم يكن الابن ثم حدث الابن

فصارت كلمة له فهو محدث مخلوق ففوض اليه الاب كل شئ فخلق الابن المسمى بالكلمة كل شئ من السموات والارض وما فيهما فكان هو الخالق بما أعطاه الاب ثم ان تلك الكلمة تجسدت من مريم وروح القدس فصار ذلك (مسيحيا) فاذن المسيح معنيان كلمة وجسد وهما جميعا مخلوقان

فقال الاكسندروس ايما اوجب اعبادة من خلقنا أوعبادة من لم يخلقنا فقال أريوس بل عبادة من خلقنا اوجب فقال الاكسندروس فان كان الابن خلقنا كما وصفت وهو مخلوق فعبادته اوجب من عبادة الاب الذي ليس بمخلوق بل تكون عبادة الخالق كفرا وعبادة المخلوق ايمانا وهذا أقبح القبيح

فاستحسن الملك قسطنطين كلام الاكسندروس وأمره أن يحرم أريوس فخرمه وسأل الاكسندروس الملك أن يحضر الاساقفة فأمرهم فأتوه من جميع ممالكه واجتمعوا بعد ستة أشهر بمدينة نيقية وعدتهم ألفان وثلاثمائة وأربعون أسقفًا يختلفون في المسيح فتم من يقول الابن من الاب بمنزلة شعلة نار تعلقت من شعلة أخرى فلم تنقص الاولى بانفصال الثانية عنها وهذه مقالة سليوس الصعدي ومن تبعه * ومنهم من قال ان مريم لم تحمل بالمسيح تسعة أشهر بل مر بأحشائها كمرور الماء بالميزاب وهذا قول اليان ومن تبعه * ومنهم من قال ان المسيح بشر مخلوق وان ابتداء الابن من مريم ثم انه اصطفى فصبيته النعمة الالهية بالحبة والمشيئة ولذلك سمي ابن الله قال ومع ذلك فأنه واحد في يوم وأنكر هؤلاء الكلمة والروح فلم يؤمنوا بهما وهذا قول بولس السيماطي بطريرك أنطاكية وأصحابه * ومنهم من قال الالهة ثلاثة صالح وطالح وعدل بينهما وهذا قول مرفيون وأتباعه * ومنهم من قال المسيح وأمه الهان من دون الله وهذا قول المراية من فرق النصارى (قلت) لاندري أين هذه الفرقة من فرق النصارى وأين موطنها * ومنهم من قال بل الله خلق الابن وهو الكلمة في الازل كما خلق الملائكة روحا طاهرة مقدسة بسيطة مجردة عن المادة ثم خلق المسيح في آخر الزمان من أحشاء مريم البتول الطاهرة فاتحد الابن المخلوق في الازل بإنسان المسيح فصارا واحدا * ومنهم من قال الابن مولود من الاب قبل كل الدهور غير مخلوق وهو جوهر من جوهره ونور من نوره وان الابن اتحد بالإنسان المأخوذ من مريم فصارا واحدا وهو المسيح وهو قول الثلاثمائة وثمانية عشر * قال الراوي فتخبر قسطنطين من اختلافاتهم وكثر تعجبه من ذلك وأمرهم فأنزلوا في أماكن وأجرى لهم الارزاق وأمرهم أن يتناظروا حتى يتبين له صوابهم من خطئهم فثبت الثلاثمائة وثمانية عشر على قولهم المذكور واختلف باقيهم فقال قسطنطين الى قول الاكثرين وأعرض عما سواه وأقبل على الثلاثمائة وثمانية عشر وأمرهم بكراسي وأجلسهم عليها وسلم اليهم سيفه وخاتمه وبسط أيديهم في جميع مملكته فباركوا عليه ووضعوا كتاب قوانين الملوك وقوانين الكنيسة وفيهما يتعلق بالمحاكمات والمعاملات والمناكحات وكتبوا بذلك الى سائر الممالك وكان رئيس هذا الجمع

الاكسندروس بطرك الاسكندرية واسطاوس بطرك أنطاكية ومقاريوس أسقف القدس فوجه ساطوس بطرك رومة بقسيسين اتفق معهما على حرمان اريوس خرموه ونفوه ووضع الثلاثمائة وثمانية عشرة الامانة المشهورة وأوصوا أن يكون الصوم متصلا بعيد الفصح على مارتبه البطارقة في أيام الملك أورليانوس قيصرو ومنعوا أن يكون للاسقف زوجة وكانت الاساقفة قبل ذلك اذا كان مع أحدهم زوجة لا يمنع منها اذا جعل أسقفا بخلاف البطرك فإنه لا يكون له امرأة البتة وانصرفوا من مجلس قسطنطين بكرامة جليلة

ويقال ان الاكسندروس هذا هو الذي كسر الصنم النحاس الذي كان في هيكل زحل بالاسكندرية وكانوا يعبدونه ويجعلون له عيدا في ثاني عشر هاتور ويذبحون له الذبائح الكثيرة فأراد الاكسندروس كسر هذا الصنم فنعاه أهل الاسكندرية فاحتال عليهم وتلطف في الحيلة الى أن قرب العيد فجمع الناس ووعظهم وفتح عندهم عبادة الصنم وحثهم على تركه وأن يعمل هذا لميكائيل رئيس الملائكة فان هذا خير من عمل العيد للصنم فلا يتغير عمل العيد الذي جرت عادة أهل البلاد على عمله ولا تبطل ذبائحهم فيه فرضى الناس بهذا ووافقوه على كسر الصنم فكسروه وأحرقوه وعمل بيته كنيسة على اسم ميخائيل الملك فلم تزل هذه الكنيسة بالاسكندرية الى أن أحرقها جيوش المعز لدين الله أبي تميم معتمد لما قدموا في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة للهجرة واستمر عيد ميخائيل عند النصارى بديار مصر باقيا يعمل في كل سنة الى يومنا هذا

وفي السنة الثمانية والعشرين من ملك قسطنطين سارت أمه هيلانة الى بيت المقدس وبنت به عدة كنائس فدلهما مقاريوس الاسقف على الصليب وعرفها بمعلمته اليهود به فعاقبت كهنة اليهود حتى دلوها على الموضع خفرتة فاذا به ثلاث خشبات فلم يعرفوا الصليب قبل فوضعت الثلاث خشبات كل واحدة على ميت قدبلى فقام أحدهم حيا عندما وضعت عليه احداها فعملوا لذلك عيدا مدة ثلاثة أيام عرف بعيد الصليب وهو يعمل الى يومنا هذا وعملت له هيلانة غلافا من الذهب الخالص وبنت كنيسة القيامة التي تعرف بكنيسة قمامة وأقامت مقاريوس الاسقف على بناء بقية الكنائس وعادت الى مملكته فكانت مدة ما بين ولادة المسيح وظهور الصليب ثلثمائة وثمانيا وعشرين سنة على المشهور اه

ومات في أيام قسطنطين الملك ثاونا بطرك الاسكندرية بعد أن أقام تسع سنين بطركا وفي رواية سبع سنين وهو أول من بنى الكنائس بمدينة الاسكندرية وكانت النصارى قبله تصلي بالاسكندرية في المغارات والسرادب خوفا من القتل وسنك الدماء فلاطف ثاونا المذكور جماعة الروم وبالح في ملاظقتهم وأهدى لهم تحفا جليلة حتى بنى كنيسة السيدة مريم بالاسكندرية فصلى فيها القبط جهارا * وقد ذكر عنه أنه كان يصنع بعض العجائب وكان صاحب عزم وتدبير وحسن سياسة ومعرفة بالامور وطرد في أيامه أهل الزيغ وأصحاب البدع

وله مناقب كثيرة * فأقيم بعده بطرس المعروف بالاول خاتم الشهداء وهو سابع عشرهم فأقام
عشر سنين ومات قتيلا وكانت أيامه كلها شدائد وكروباً وقتناً وخطوباً مات فيها من النصارى
خلق كثير على قول بعض المؤرخين
فأقيم بعده ارخلانوس وهو ثامن عشرهم وقيل انه كان تلميذ بطرس فأقام ستة أشهر
ومات وكان ورعاً تقياً محباً للفقراء
فأقيم بعده الاكسندروس وهو تاسع عشرهم وكان تلميذ بطرس أيضاً على المشهور وكان
من الحوادث في أيامه ما قد مرّ بك عند الكلام على قسطنطين الاول وأمه هيلانة

(في الملك قسطنطين الثانى والملك قسطنطوس الاول) (والملك قسطنقوس)

ثم قام بالامر أولاده الثلاثة قسطنطين الثانى * وقسطنطوس الاول * وقسطنقوس
بعهد من أبيهم وذلك سنة احدى وخمسين وثلثمائة لليلاد أى سنة خمس وثمانين ومائتين قبل
الهجرة وتحرير انخير أنه لما مات قسطنطين تقاسم أولاده المذكورون الممالك الرومانية بينهم
مساهمة ومحاصة وصار كل منهم ملكاً على جهة مستقلة بها فأصاب قسطنطوس الايلات
المغربية وخص قسطنقوس الايلات المشرقية وأقيم قسطنطين رئيساً على الاقطار المشرقية
والمغربية معاً فصار بذلك صاحب السكامة على أخويه قسطنطوس وقسطنقوس
ولما استقر بكل منهم المنصب على هذا الوجه خافوا من بقية عائلة قسطنطين أبيهم
وخرجهم في طلب الملك فقتلوه جميعاً حتى لم يبق منهم الا اثنان من الاقارب هما والوس
ويوليانوس الملقب بالمرتد اذ تشفع مرقص أحد الاساقفة في ابقائهما وخلّصهما من القتل
* وتلقب بعد ذلك كل من هؤلاء الاخوة بلقب أغسطس ولكنهم لم يلبثوا طويلاً حتى وقع
بينهم الخلاف وتفاقم حيث لم يرض قسطنطين بنصيبه من المملكة وتأهب لقتال أخيه
قسطنطوس وجرد عليه وسار اليه بخيله ورجله وقتلته قتلاً هائلاً فمات قسطنطين في حومة
القتال وكان ذلك سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة لليلاد أعنى سنة ثلاث وثمانين ومائتين قبل
الهجرة وتم التمكن لقسطنطوس ولكن لم يخل له الجوع حتى خرج عليه خارجي من ايلاتسه
المغربية اسمه منيقوس وأصله من الاسارى من سبي جومانيا وتربى عند الرومانيين وترقى في
العسكرية وتقلب في درجاتها العلية وادعى لنفسه تلك البلاد المغربية فتبعه خلق كثير فصار
اليه قسطنطوس وحاربه واقتتل الفريقان قتلاً عنيفاً فمات قسطنطوس في الحرب سنة أربع
وستين وثلثمائة لليلاد أى سنة ائنتين وسبعين ومائتين قبل الهجرة
فلما أحس أخوه قسطنقوس بذلك تأهب للاخذ بثأر أخيه وبلادته بقتل منيقوس فصار

اليه في عسكر جوار وركب عليه حتى قتله وانفرد بالملك بعد حرب هائلة ولكنه عاد فاشرك معه أحد أقاربه وهو والوس ولقبه بلقب قيصر وسلمه المحافظة على المشرق جميعه وأبقى لنفسه المغرب وسياسة البلاد كافة وتدبير أمور الدولة بتمامها فلم يفلح والوس المذكور حيث كان حديث نعمة فاسد الاخلاق وكان شره النفس سيئ التدبير فقام عليه قسطنقوس وقتله وذلك سنة ثمان وستين وثلاثمائة للبلاد أي سنة ثمان وستين ومائتين قبل الهجرة * قال بعض أهل التاريخ وصارت الدولة في هذا الحين على خطر عظيم يخشى عليها من التلف والانحلال بتحويل هذه الاحوال وكانت أمة الافرنجة تكثر عليها من المغرب وأكسرة الفرس تهددها من المشرق وكان الملك قسطنقوس وحده لا يستطيع الذب عنها فرأى أنه لا بد له من شريك في الملك يشد به أزره ويصلح به أمره وكان قد بقي من أقارب قسطنطين الاول يوليانوس أخو والوس وكان في مدرسة مدينة ازمير يتلقى العلوم وكان شابا متدينا بالدين المسيحي مشغلا بالفلسفة والحكمة وقد حصل على ما يمتاز به أبناء الاكابر من العلوم والمعارف والآداب فاستقدمه قسطنقوس وجعله قائدا لجنوده المنتخبة لقتال الافرنجة ورسم له بقتالهم فسار اليهم وقاتلهم قتالا شديدا وظهر عليهم ظهورا عجيبا وظفر بهم وأعمل فيهم القتل والسلب والنهب ففسده قسطنقوس على ذلك وحقد عليه وناواه وقصد أن يقلل جنده ليضعف بذلك شوكته وكان اذ ذاك سابور ذو الاكتاف قد زحف على ممالك الرومانيين بأسبيه وأخذ مدينة (آمد) بالجزيرة وكان قسطنقوس يمانع عن هذه البلاد ويحجمها فاعتنم هذه الفرصة مناسبة لما في نيته وطالب من يوليانوس أن يبعث اليه بفريق من عساكره فلم تقبل العساكر ذلك ولم ترض الانفصال عن رئيسهم يوليانوس لمكانته من قلوبهم وخالفوا على الملك وأحدقوا برئيسهم وعانقوه ولقبوه بلقب اغسطس وبايعوه على ذلك فتمنع من قبول هذا المنصب وتضرع اليهم أن يعفوه وبكى وناح فلم يقبلوا منه وجبروه على الرضا وجلوه على أن يسير بهم الى المشرق عاجلا لقتال خصمه قسطنقوس والانتقام منه فسار اليه على كره والتقى الفريقان ووقع بينهما قتال عنيف للغاية فمات قسطنقوس بمدينة المصيصة وذلك سنة خمس وسبعين وثلاثمائة للبلاد أي سنة احدى وستين وثلاثمائة قبل الهجرة فتم الامر ليوليانوس واستقل بالملك في هذه السنة وقد كان يوليانوس حين غزوه الافرنجة في بلاد الغلية وما جاورها جعل مقر اقامته ونحنت مملكته في مدينة لوطيقه التي هي الآن مدينة باريس واشتغل مدة الغزو بتحسين حال هذه المدينة واصلاحها وتوسيع العمارة فيها فهي من ما آثره الباقية الى يومنا الذي نحن فيه فكانت أحب البلاد اليه وقد بسط يده على ملك المشرق والمغرب وتصرف في الحكم بلا معارض ولا منازع فكانت مدة حكم أولاد قسطنطين الاول الى انفراد يوليانوس بها نحو أربع وعشرين سنة

وفي أيامهم مات الاكسندروس بطرك الاسكندرية بعد أن أقام اثنين وعشرين سنة فأقيم بعده اثناسيوس وهو عشرينهم وأصله من مدينة الاسكندرية وكان وثنيا منتظعا في الدين

الوثقى ثم تنصرو كان من الحوادث فى أيامه ما سىذ كر فى محله

(فى الملك يوليانوس) (قىصر المرتد)

ثم قام بالامر يوليانوس المرتد بايعه العساكر ونادوا بملكه فانفرد بعد موت قسطنقوس بحكم الدولة الرومانية سنة سبع وسبعين ومائتين للبلاد أى سنة تسع وخسين ومائتين قبل الهجرة وقد فرح به جميع الناس واستبشروا بولايته لرسوخ قدمه فى الفضل وتمسكه بشعار العدل فلما استقر به المنصب أبعد عن ديوانه أهل السخرية وبطانة السوء وأدنى منه أهل الفصاحة وأرباب البلاغة وأصحاب الفلسفة والحكمة فصارت تأوى اليه أرباب المعارف ويتقرب منه أهل الفضل ويأتون اليه من كل فج فكان يؤاكلهم ويبالغ فى تقييهم منه والحفاوة بهم وكان قبل ارتقائه سدة الملك مظهرا للتمسك بالدين النصرانى فلما ملك واستبد بالاحكام ارتد ورفض الدين المسيحى وعاد الى الوثنية ففرح عباد الاوثان بارتداده وانحاز اليه منهم من لاخلق له فامتلا ديوانه اذ ذاك من المنجمين وأرباب العرافة والعرافين حتى تقلد بنفسه الكهانة وصار رئيس هذا الدين وكان يفتخر بهذا المنصب ويحن اليه جدا ثم مال عن النصرانية وبالع فى عداوته لها وبغضه لاهلها ولكنه لم يبطل شيا من عوائدها وطقوسها وبذل الهمة فى اعلاء دين الاصنام وتعيمه فلم يبلغ مقصوده ولم يتمكن من نيل مراده لاسباب كثيرة.

وسار لقتال فارس لشنهم الغارة على الاملاك الرومانية وجهاز لذلك جيشا عظيما فرأى فى طريقه بمدينة قيصرية من اقليم قبادوقيه هيكلا للاصنام خربا ورأى من أهالى انطاكية احتقارا للديانة الوثنية فهاله هذا الامر وأغضبه جدا وحقد على النصارى فأمرهم فتبعوهم بالاذى والقتل والسلب واشتدوا عليهم شدة بالغة ثم دخل أرض فارس وجال فيها وأوغل كل الايغال فلاقته جيوش فارس وصدمته فانهزم ورجع القهقرى فتبعه سابور ذوالاكاف فتشجع يوليانوس وأرجعه على أعقابيه ببسالة واقدام فشهدت له الاعداء وقد كان جرح جرحا بليغا وعلم بذلك سابور فأعاد الكثرة على جيوش يوليانوس واشتبك القتال بين الفريقين وحى الوطيس والتقت السيوف بالسيوف فقتل يوليانوس فى ساحة الحرب وانفشل جيشه وكان ذلك سنة تسع وثلاثين وثلثمائة للميلاد أى سنة سبع وخسين ومائتين قبل الهجرة فكانت مدة حكمه واستبداده بالولاية العمومية سنتين لاغير.

وكانت مدته فيها رجة على من لم يكن تنصر من المصريين ممن بقى على دين آبائه فاستمر المصريون الذين لم يتنصروا على عبادة الاوثان بلا معارض ولا منازع وكان يوليانوس

يحترم العجل ايس الذي هو معبود المصريين احتراماً عظيماً للغاية فإنه لما كان على أهبّة الركوب لقتال سابور ملك فارس وبعث اليه أوفديقس نائبه على مصر يخبره بأن المصريين عثروا على شكل العجل ايس معبودهم الذي مات وأنه تين لهم أنه معبودهم بعينه فرح بذلك فرحاً شديداً واستبشر بالنصر على سابور اذ كان يحب العجل المذكور حباً كثيراً وقد دل على ذلك ما كتبه الى نائبه المذكور في شأن اثناسيموس بطرك الاسكندرية الذي كان نفي منها وعاد اليها مانصه وحق العجل ايس ان لم يخرج هذا البطرك من المدينة عاجلاً لاضربن على عسكريك مائة رطل من الذهب غرامة وعقاباً لهم اه

وكان في عهده قد رجع دين النصرانية القهقري وبقي على هذا الحال الى عصر طيمودوسيس قيصر كما سيأتي بيانه في موضعه ولما مات يوليانوس تولى بعده يوليوس

(في الملك يوليوس) (قيصر)

ثم قام بالامر يوليوس بايعة أولاً الجنود الرومانية كافة وذلك سنة تسع وثلاثين وثلثمائة للميلاد أي سنة سبع وخمسين ومائتين قبل الهجرة وتحرير الخبر أنه لما مات يوليانوس في ساحة الحرب حصل بموته فزع لجميع العساكر وركب شديد للغاية وكانت العساكر المنصورة على جيوش سابور ذي الاكتاف يومئذ في منقطع من الارض ليس عندهم شيء من الميرة ولا الزاد ولم يبق من العائلة المالوكية القوسطنطينية في هذا الحين وارث يتولى الملك فاختاروا سالطوس والى البلاد الشرقية للنصب الملوكي فامتنع ولم يقبل فألحوا عليه فشدد في الامتناع فوقع اختيار الجنود على يوليوس المذكور وقد كان يومئذ رئيس الحرس الملوكي وبايعوه على اتفاق تام وأخلصوا له في البيعة فلما استقر به المنصب أسرع في عقد الصلح مع سابور ملك فارس ولكن على شروط مخجلة بناموس الدولة وشرف الامة الرومانية ومحا جميع أوامر يوليانوس في كل ما يتعلق بعبادة الاصنام وفيما يتعلق باضرار دين النصرانية ونهى اليهود عن أن يشهروا شعائر دينهم وكان ضعيف العزم والرأى فقامت في أيامه قبائل المغاربة في بلاد برفة ونهبوا مدن طرابلس الغرب قال أهل التاريخ وكان من عماله على هذه الجهات الامير أوريقوس نائب اقليم طرابلس الغرب فلم يتمكن من منع اغارة هذه القبائل ولاردهم عن البلاد ولا بدا من يوليوس الملك أيضاً في هذا الامر ما نطمئن به قلوب أهالي تلك الانحاء فأبغضوه ونهوا عليه واشتد بالاهالي الغيظ منه الى حد عظيم جداً فلما كان في أحد الايام دخل عليه خدمه فوجدوه قتيلاً على فراشه ونحى أمر قاتله ولم يوقف له على أثر وذلك سنة أربعين وثلثمائة للميلاد أي سنة ست وخمسين ومائتين قبل الهجرة وقيل ان سبب قتله هو

عقده الصلح مع سابور كسرى فارس فكانت مدة حكمه سنة واحدة لا غير وتولى بعده ولنطينانوس وأخوه (ولنسوس)

(في الملك ولنطينانوس الاول والملك ولنسوس أخيه)

ثم قام بالامر ولنطينانوس الاول وأخوه ولنسوس ببيع الاول بالملك سنة أربعين وثلاثمائة لليلاد أى سنة ست وخسين ومائتين قبل الهجرة وبيان ذلك أنه لما قتل يوفانوس الملك على ما تقدم بيانه اجتمع أعيان الرومانيين في مدينة نيقه وبايعوا ولنطينانوس المذكور بالملك وهو من الامراء وقد كان مولده ببلاد المجر وليس له من الصفات ما يحمد فانه كان فظا غليظا شديدا طويل القامة عجيب الخلقة فلما استقر به المنصب ورأى عدم قدرته على حمل أعباء الملك أشرك معه أخاه ولنسوس وخصه بملك البلاد المشرقية وأبقى لنفسه ملك البلاد المغربية واتخذ مقر حكومته وتختها مدينة لوطيقه التي هي الآن مدينة باريس وبعث من هذه المدينة أمراء وقوادا لحفظ حدود المملكة من غارات قبائل الفرنجة والانجليز والمغاربة وكان ممن بعث بهم الأمير طيودوسيس فقاتل هذا الأمير قتال الأبطال واكتسب في قتاله مع هؤلاء الامم منزلة رفيعة واتفق أن صدرت في هذا الحين من ديوان باريس الاوامر مشددة بأن كل من اتهم بخيانة وطنه وقاتل مع الاعداء بعاقب أشد عقاب فصار التشديد في البحث عن ذلك وكثر التجسس وبشت العيون وتراجعت أقدام أهل السعاية على أبواب ولنطينانوس وعمت البلوى البرىء والمتهم وبالغ ولنطينانوس في عقاب كل من رمى بالخيانة بلائبات بما لا مزيد عليه من العقاب مما لم يخطر على بال بشر فمن ذلك انه حبس دين عظيمين مفترسين في قفص وأجاعهما حتى اذا أراد قتل أحد من المتهمين أطلقهما عليه لاقتراسه فيمزقانه تمزيقا وكان ظلوما غشوما ميالا لسفك الدماء شديدا على الرعية سريع الغضب حاد الخلق وقد غضب يوما واشتدت به حدة الغضب فمات في الحال وذلك سنة تسع وعشرين وثلاثمائة لليلاد أى سنة سبع وأربعين ومائتين قبل الهجرة

وأما أخوه ولنسوس فقد كان على خلاف ذلك يحب رعيته ميالا الى خيرها وابرادها مواردا السعادة والرفاهية يسوسها بحسن السياسة حتى كان يقال انه لم يتول الشرق قبصر خير منه وقد خفف عن رعاياه المكوس والعوائد والخراج وأنقصه قدر الربع شفقة منه فتعلقت به قلوب الرعية وأحبته حبا شديدا

ولما كانت سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة لليلاد أى سنة أربع وأربعين ومائتين قبل الهجرة ظهرت أمة جديدة لم تكن الرومانيون يعرفها قبل الآن وهي أمة تنارية تسمى أمة الهونية خرجت من آسية خرج الجراد المنتشر فزلت على قبائل الغوطية بسواحل نهر

طونة وطردتهم فهرب الغوطيون منها واجتازوا الطونة وأتوا الى بلاد المشرق وزحفوا الى أملاك الرومانيين وأراضهم وطلبوا منهم أن يقطعوهم أرضا ليعيشوا فيها فلم يقبلوا فساء الغوطية ذلك فقام رئيسهم المدعو افريطيجرن وسار بهم الى جهة أدرنه وأوقع بعسكر الرومانيين فسار ولنسوس الملك لقتاله ورده فأوقع افريطيجرن ولنسوس عند أسوار أدرنه وانتصر عليه نصرة عظيمة هلكت فيها العساكر الرومانية وجرح ولنسوس جرحا بليغة فنقله عساكره من ساحة القتال الى وكر وضعوه فيه فعلم بخبره الغوطية فقاتلوا حتى وصلوا الى ذلك الوكر وأضرمو فيه النار فهلك ولنسوس حرقا وذلك سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة لليلاد أى سنة أربع وأربعين ومائتين قبل الهجرة فكانت مدة حكم الاخوين المذكورين نحو أربع عشرة سنة وعادت بموتها الدولة الرومانية الى شركة رباعية كما كانت من قبل

فى الملك غريثيانوس والملك ولنطنيانوس الثانى والملك طيودوسيس الاكبر والملك مقسيموس

ثم قام بالامر غريثيانوس بن ولنطنيانوس الاول * وولنطنيانوس الثانى * وطيودوسيس الاكبر ومقسيموس * وذلك سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة لليلاد أى سنة أربع وأربعين ومائتين قبل الهجرة وبيان ذلك أنه لما مات ولنطنيانوس الاول سنة سبع وأربعين ومائتين قبل الهجرة خلفه ولده غريثيانوس المذكور على ملك الاقاليم المغربية وقد كان عمره يومئذ سبع عشرة سنة فكان أخوه المدعو ولنطنيانوس الثانى ينازعه الملك فتنازل له عن ايطاليا وبلاد السواحل الايطالية الخصبية ولم يستقر بغريثيانوس المنصب بعد أبيه حتى سار لقتال الغوطية اذ كانت الحرب لا تزال قائمة معهم على ساقها فكانوا دائما ظاهرين عليه لم ينتصر قط يوما فلما أحس بضعفه عن قتالهم اختار معه طيودوسيس ابن الامير طيودوسيس ولقبه باغسطس المشرق وقلده ملك الجهات المشرقية سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة لليلاد أى سنة ثلاث وأربعين ومائتين قبل الهجرة قال بعض الكتاب فكان هذا الاختيار من حسنات الدهر على الرومانيين عموما وعلى المسيحيين منهم خصوصا اذ كان طيودوسيس هذا كابييه طيودوسيس الاول هماما مقداما فى الخطوب على أن أباه كان من أمهر قواد الرومانيين وأشجعهم وله غزوات كثيرة فى بلاد افريقية وحروب هائلة حيث أدخل عصاة افريقية فى الطاعة وقتل غيلة فى مدينة قرطاجة وكان ولده طيودوسيس هذا قد ولد فى بلاد الاندلس وتربى فيها وخدم تحت راية والده وحارب معه وحضر المشاهد العظيمة فى الحروب والوفائع الهائلة فلما مات والده عاد هو الى موطنه بالاندلس حتى استقدمه غريثيانوس لشركه معه فى الملك

وكان طيودوسيس المشار اليه على جانب عظيم من البسالة والشجاعة في الحروب واقتحام الخطوب وكان يحب الدين المسيحي ويغار عليه ويحله حتى لقب **(بالا كبر)** فلما استقر به المنصب سار لقتال الغوطية فهزمهم شرهزيمة في وقت يسير جدا وأجلاهم عن المملكة وعكس آمالهم وأفسد ما كانوا يدبرونه فعادوا الى المسيرة وانكفوا عن الغارات ورغبوا في معاهدة الدولة الرومانية وعقدوا عقد المحبة والوصلة معها ليكونوا يدا واحدة مع الجماعة

أما غريثانوس فانه سار أيضا للقتال بعسكره في مدينة ليون من بلاد الفرنسيس فقتل فيها وذلك سنة سبع وتسعين وثلاثمائة لليلاد أى سنة تسع وثلاثين ومائتين قبل الهجرة فقام طيودوسيس بأعباء الملك وكاد أن يستبد بالملك هو وولنطينيوس الثاني وكان القائد للعساكر الرومانية المربطة في بلاد الانكليز في هذا الحين الامير مقسيموس فلما وصل اليه خبر موت غريثانوس وانه لم يبق سوى طيودوسيس وولنطينيوس تأقت نفسه الى الملك فبايعه العساكر بدلا من غريثانوس ونادوا به ملكا فشارك طيودوسيس وولنطينيوس في حكم البلاد وتدير الدولة * قال بعض أهل التاريخ وبقي على هذا الحال أكثر من خمسين سنة ثم سار اليه طيودوسيس بجيش جرار وقاتله فانهزم مقسيموس فتبعه طيودوسيس حتى قتله وكان ذلك في سنة اثنيتين وأربعمائة لليلاد أى سنة أربع وثلاثين ومائتين قبل الهجرة فلم يبق من شركاء طيودوسيس الا وولنطينيوس الثاني وحده مالكا لبلاد المغرب الرومانية ومازال وولنطينيوس يدبر الملك ويتصرف في الامور ويغزو ويحارب ويصد الاعداء حتى قام عليه في سنة أربع وأربعمائة لليلاد أى سنة اثنيتين وثلاثين ومائتين قبل الهجرة رجل اسمه اريوغست الافرنجى وقتله بخنجره فتولى بعده أوجينوس كاتب سر الديوان القيصري على غير رضا من طيودوسيس فنوى طيودوسيس الانتقام من أوجينوس لثاقته على المنصب فجمع جيوشه وسار اليه وتلاقى به في بلاد النمسا فقاتله وانتصر عليه نصرة عظيمة وأخذه أسيرا فتم له الانفراد بالملك سنة ثمان وأربعمائة لليلاد أى سنة ثمان وعشرين ومائتين قبل الهجرة * قال أهل التاريخ وهو آخر قيصر تملك على الدولة الرومانية شرقا وغربا

وكان طيودوسيس المذكور محبا للعدل شديد التمسك بالدين النصراني محبوبا عند أحباريه وقد اتحد بالبابا سنت سيريقوس على ابطال عبادة الاوثان في جميع الاقطار الرومانية ورغب الى مجلس رومة أن يصدر مرسوما في هذا الشأن فأبى عليه ذلك فأبطل طيودوسيس المجلس وألغاه وخلق أربابه ورسم بهدم جميع معابد الاوثان وهياكلهم ونهى عن تقريب القربان لهم في البيوت وعن أن تقام فيها شعائر دينية وأن تكون الديانة المسيحية الديانة الرسمية في سائر الاقطار الرومانية ونهى عن التفرق في الدين وسلوك مذهب الاعتزال ونصب

جواسيس وعيونا تنقل له الاخبار فن وجدوه متصفا بالتشيع والهرطقة أخرجوه من رومة
وصادروه في أمواله وعقاره ونهى البابا أيضا جميع القسوس أن يتزوجوا وجعل شعارهم
الرهبنة على طريقة أنطونيوس المصري

ورسم طيودوسيس في سنة خمس وتسعين وثلثمائة للميلاد أيضا أى سنة احدى وأربعين
ومائتين قبل الهجرة بمحو الديانة المصرية وأن لا يباح في بلاد مصر الا التمسك بالدين النصراني
فأغلقت الهيكل والمعابد المصرية وانعدمت شعائر الجاهلية وانمحت آثارها قال بعض الكتاب
وكان للمصريين يومئذ أربعون ألف صنم للعبادة فخل محلهادين المسيح الأمر بالتوحيد ومع
ذلك فقد بقي من العاكفين على دين الجاهلية كثير بصعيد مصر ولم ينج هذا الدين الا بتوالي
الايام وكرور الاعوام وكان طيودوسيس عادلا محبا للرعية حائزا لجميع الصفات الفاضلة والخصال
الكاملة فتقدمت في أيامه الديار المصرية وحسن حالها الى حد زالت معه الفتن واستتب
الراحة وعمت الطمأنينة واتسع نطاق العمار وعادلها رونقها القديم وراجت تجارتها وعظمت
ثروتها * ولم يتم على انفراد طيودوسيس بالملك سوى سنة واحدة حتى فاجأته المنية فمات
حتف أنفه سنة تسع وأربعمائة للميلاد أى سنة سبع وعشرين ومائتين قبل الهجرة فكانت
مدة حكم هؤلاء الملوك الاربعة نحو سبع وعشرين سنة

وأعقب طيودوسيس ولدين أحدهما اسمه ارقاديوس والآخر اسمه (نوريوس) فأورثهما
ملك الدنيا بأسرها أى ملك الدولة الرومانية شرقا وغربا ومن هذا العهد لم يتول على المملكة
الرومانية ملك واحد ولم تصرف فيها وحدة الحكومة بل صارت مملكتين مستقلتين أحدهما
قيصرية المشرق وتختها القسطنطينية والثانية قيصرية المغرب وتختها رومة كما كانت وقدم
التقسيم على هذا الوجه في السنة التي مات فيها طيودوسيس فكانت هاته السنة ختام حياة
الدولة الرومانية الحقيقية * قال بعض أهل التاريخ وقد نعت الدولة التي كانت على رأس
القرون الوسطى بعد صدور مرسوم طيودوسيس بإبطال الديانة الوثنية ومحو آثارها بالدولة
الطيودوسيسية وأول قياصرتها في المغرب هولوريوس بن طيودوسيس * قلت ولا حاجة لنا
بالكلام عليه فانه ليس ممن ملك الديار المصرية ولاهى مما دخل في حكمه من الممالك *
أما أول ملوكها في المشرق فهو الملك ارقاديوس بن طيودوسيس فصارت مصر في قبضة قياصرة
المشرق الذين عرفوا بقياصرة الروم وسميت دولتهم بالدولة الطيودوسيسية المشرقية وهى بالنسبة
لمصر عبارة عن الدولة الخامسة والثلاثين وسيأتى الكلام عليها مفصلا

وفي نحو السنة السابعة من حكم هؤلاء الملوك الاربعة مات اثناسيوس بطريرك
الاسكندرية بعد أن أقام ستا وأربعين سنة وفي أيامه جرت مناظرات طويلة مع ارسيانوس
الاسقف أفضت الى ضربه وفراره جزاء تعصبه وقال انه لم يقل ان المسيح خلق الاشياء
وانما قال به خلق كل شئ لانه كلمة الله التي بها خلق السموات والارض وانما خلق الله

تعالى جميع الاشياء بكلمته فالاشياء به كوّنت لأنه كوّنها وأما الثلاثمائة وثمانية عشر فقد تعدّوا عليه

وتنصر في أيامه جماعة من اليهود وطعن بعضهم في التوراة المتداولة بينهم وقال انهم نقصوا منها وان الصحيحة هي التي نشرها السبعون عالما فأمر الملك باحضارها والملك يومئذ قسطنطين وعاقبهم على ذلك حتى دلوه على موضعها بمصر فرسم باحضارها فحملت اليه فاذا بينها وبين تورااة اليهود نقص ألف سنة وثلاثمائة وتسع وستين سنة زعموا أنهم نقصوها من مواليد من ذكر فيها لاجل المسيح

وغلبت في أيامه مقالة أريوس على القسطنطينية والانطاكية والاسكندرية وصار أهل الاسكندرية وأهل مصر أريوسيين ومنايين واستولوا على ما بها من الكنائس ومال الملك لرأيهم والملك يومئذ قسطنطين الثاني بن قسطنطين الاول وحل الناس عليه ثم رجعوا عنه وكتب ابرسيس أسقف بيت المقدس أنه ظهر من السماء على القبر الذي بكنيسة القيامة شبه صليب من نور يوم عيد القبرة لعشرة أيام خلت من أيار في الساعة الثالثة من النهار حتى غلب نور الشمس ورآه جميع أهل بيت المقدس عيانا فأقام فوق القبر عدة ساعات والناس تشاهده فأمن يومئذ من اليهود وغيرهم ألوف من الناس

ولما ملك يوليانوس ابن عم قسطنطين اشتد اضطهاده للنصارى وقتل منهم خلقا كثيرا جدا ومنعهم من النظر في الكتب وأخذ أواني الكنائس والديارات ونصب مائدة كبيرة عليها أطعمة مما ذبحه لاصنامهم ونادى من أراد المال فليضع البخور على النار ويا كل من ذبائح الخنفاء يأخذ ما يريد من المال فامتنع كثير من الروم وقالوا نحن مسيحيون فقتل منهم خلائق ومحا الصليب من أعلامه وبهوده

وفي أيامه أيضا خرج القديس اياوفوس الى بركة الاردن وسكن فيها وبني بها الديارات وهو أول من سكن بركة الاردن من النصارى فلما ملك طيودوسيوس وكان نصرانيا عاد كل من كان قد فتر من الاساقفة وكتب الى اثناسيوس بطررك الاسكندرية أن يشرح له الامانة الصحيحة فجمع جميع الاساقفة وكتب له أن يلزم أمانة الثلاثمائة وثمانية عشر فثار لذلك أهل الاسكندرية على اثناسيوس ليقتلوه ففتر فأقاموا بدله لوقيوس وهو أريوسي أي على مذهب أريوس فأقام خمسة أشهر ثم اجتمع جميع الاساقفة وأقاموا على لوقيوس المذكور وحرموه ونفوه وأعادوا اثناسيوس فأقام الى أن مات خلفه بطرس الثاني وهو حادى عشرتهم فوثب الاربوسيون عليه بعد سنتين من اقامته ففتر منهم واخنتى فأعادوا لوقيوس فلبث ثلاث سنين ووثب عليه أعداء الاربوسيين ففتر منهم فردوا بطرس في نحو العشرين من أيار فأقام سنة

وقدم أريوس أسقف أنطاكية الى الاسكندرية بمرسوم من الملك فأخرج منها جماعة من الروم وجلس بطرس بطرركها ونصب بدله أريوس المعروف بالسمييطى ففتر بطرس

البطرك من الحبس الى رومة واستجار ببطركها ثم مات فكانت مدته خمس سنين قضاها في كيد وشدة
فأقيم بعده ثيموثاوس وهو ثاني عشرهم وكان من الحوادث في أيامه ماسيدكر في محله

(وصل)

(فيما كانت عليه مصر أيام الدولة الرومانية)

لما صارت ديار مصر في قبضة الدولة الرومانية على ماتقدم بيانه بذل الرومانيون الجهد في إبقائها تابعة لهم ونظروا الى أنجح الوسائل الممكنة من ذلك فلم يروا خيرا من أن لا يتعرضوا لامورها الدينية وأن يتركوها على عوائد القديمة وفنونها وصنائعها وطريقة كتابتها ولغتها وأن لا يعاملوها بما عاملتها به الفرس من الخطر والمنع والتضييق عليها في أمورها وعلى ذلك بنوا قاعدة سياستهم فأصلحوا ما كان اندرس من معالم الديانات وهياكل العبادات وزادوا عددها ومحووا ما كان من مشروعات الدولة البطلموسية ولم يقتصروا على العمائر بمصر فقط بل جددوا عمار أخرى مهمة في ديار النوبة من بلاد السودان رجاء استمالة المصريين اليهم وبسط أولوية السلطان عليهم وعلى النوبة فتم لهم بذلك الامر ورسخت قدم الدولة الرومانية بمصر رسوخ الاطواد وانبسطت يدها شرقا وغربا وقبضت على زمام الامور داخلا وخارجا وتصرفت تصرف المالك المطلق

وكان جنود مصر وأمرائها هم القائمين بحراسة قلاعها وحصونها وثغورها وزمام المملكة بين أيدي جمهورها فلما أمنت الدولة الرومانية من أهل مصر غوائل العصيان بمسايرتهم على مذاهبهم وعقائدهم ولم يبق للمصريين من سبب لاثارة الفتن رسمت بجعل محافظي القلاع والثغور من عسكرها وأن لا يتولى حكم البلاد الا نواب روماني ينتخبه مجلس رومة وأن يكون النائب المذكور متصرفا في حكم البلاد تصرف القيصر من خصاله في الملكية والعسكرية ليكون شأنه بين المصريين شأن ملكهم القديم فكان كل من ارتكب من هؤلاء الولاة هفوة عاقبه مجلس رومة بالعزل فلاجل ذلك لم تطل مدة ولاية الولاة المذكورين وكان النصب والعزل فيهم سريعا جدا لاقل سبب استرضاء للمصريين وكان من قواعد الدولة الرومانية المقررة عندها أن لا يتولى على مصر أحد من أعضاء مجلس رومة ولا من عائلات المجد الاولية خشية أن يستبد بملكها ويطمع في الاستقلال بها فلذا لم تكن البلاد في أيام هذه الدولة ذات رونق سياسي ولم تكن متمتعة بالثمرات الوطنية ولا حائرة على شيء من الحرية بل كانت على حالة الاسترقاق والاستعباد فلم تلبث أن اندرست مفاخرها القديمة ونسيت أنها كانت سيادة جميع المدن والبلاد قال بعض الكتاب ولم يبق لها من رفق الحياة الاهلية الا بعض لمحات روحانية اذ كان لمدارس الاسكندرية في هذه المدة شهرة

لا سيما في المذاهب الفلسفية. وكان لها على رومة ومملكة اليونان سلطة القوة العلمية وسطوة الحكمة على حين كانت حالها الداخلية في اختلال واعتلال ملازمين وخراب لامثيل له اذ كنت لا ترى في هذا الحين مدينة طيبة والعرابة المدفونة ولا منف ولا عين شمس الا آثارا خربة وأطلالا بالية ولم يبق من هاتيك العماثر العظيمة الا الرسوم من جميع المدن حتى من مدينة الاسكندرية التي كانت تحت السلطنة وصار لاعناية لاهل البلاد الا بالفلاحة والزراعة تخدم وتشقى لمدينة رومة فتجيرها بالميرة وتعينها بالذخيرة كأنها مخازن للغلال ومستودع للاقوات * ولم تقز مصر في أيام هذه الدولة قط بفائدة تذكر غير أنها في آخر الأمر دانت بالديانة النصرانية وقامت بأسبابها من الشدائد ما لا يدخل تحت حصر كما سينلى عليك في محله

وكان أول ملوك هذه الدولة أغسطس قيصر وآخرهم طيمودوسيس وعددهم ست وستون قيصرًا منهم من حكم على انفراد مستبدا بالملك ومنهم من كان له شريك ومنهم من كان له شركاء وكانت سنو ملكهم نحو أربعمئة واحد عشر سنة تقريبا باعتبار أن مصر ايلة تابعة مثل بقية الايلات المشرقية الداخلة في حكم دولة الرومان * وإلى هذا الحين زالت الجاهلية وقامت بدلها المسيحية بصدور أمر الملك طيمودوسيس قيصر بالتمذهب بهذا الدين وتعميمه في جميع أنحاء مملكته فم من ذلك اليوم وانتشر انتشارا سريعا للغاية واشتهر أهل مصر من هذا التاريخ باسم (قبضة مصر) فطائفة الاقباط من أهالي مصر الآن هم المتنصرون من ذرية الامة المصرية القديمة وهم بقية ذلك الشعب الذي قدر وافتدر وفاز واشتهر واستمر الدين المسيحي متسلطنا بمصر مدة المائتين وتسع وخمسين سنة التي هي عبارة عن سني ملك دولة الروم المسيحية المعروفة عند أصحاب التاريخ العائلة الخامسة والثلاثون

(الباب السادس)

(في دولة الروم المسيحية التي قامت بالاسكندرية وفي فصول)

الفصل الاول

(في العائلة الخامسة والثلاثين)

كان ابتداء هذه الدولة التي هي دولة الروم المسيحية في سنة خمس وتسعين وثلثمائة للميلاد أي سنة احدى وأربعين ومائتين قبل الهجرة وكان انتهائها بفتوح الاسلام لديار مصر سنة تسع وثلاثين وستمئة للميلاد أي سنة ثمان عشرة للهجرة فكانت مدة سلطنتها مائتي سنة وتسع

وخمسين سنة كما قاله جماعة المؤرخين وأول ملوكها الملك ارقاديوس بن الملك طيمودوسيس قيصر مؤسسها

(في الملك ارقاديوس)

(قيصر)

تولى ارقاديوس قيصر الملك بعهد من أبيه طيمودوسيس سنة تسع وأربعمائة لليلاد أى سنة سبع وعشرين ومائتين قبل الهجرة وقد اعتبره أهل التاريخ رأس هذه الدولة واعتبره آخرون ثانى ملوكها بعد أبيه طيمودوسيس الذى شيد أركانها ووطد دعائم بنيانها وكان ارقاديوس هذا ضعيف العقل حامل الفكر فكانت المملكة فى أيامه ضعيفة كلما ارتسمت فيها مرآة طبعه وقد فوض سياستها وتدير أمورها الى أحبائه وأمراء عسكره وقواده وكانوا من غير الرومانيين فوقع بينهم لذلك الفتنة وكان بعضهم عدوا للبعض الآخر فاختل النظام وعز الوثام ثم تسلم زمام الدولة بعد ذلك حلا وعقدا رجلا من أحدهما اسمه (روفين) ويلقب برئيس الدولة وثانيهما اسمه (أطرويس) صاحب ديوان الملك ولم يكن يعاونهما فى نفوذ الحكمة الا اروقسية زوجة ارقاديوس الملك وكان لاروقسية هذه شهرة كبيرة فى القسوة وغلبة القلب وهى التى عذبت القديس خروصو صطومس الذى سيأتى الكلام عليه ولما عهد طيمودوسيس لولده ارقاديوس المذكور بالملك كتب له وصية يقول فيها

لو كنت يابنى من أبناء ملوك فارس وعهد اليك بملكها وآلت اليك دولتها لكان عنوانك الكسروى كافيا فى حفظ سرير ملكك وصيانة تاج دولتك ولكن منبتك أرض الروم وحال أهلها يابنى معلوم فكن حازما فالخزم ينفع فاعله وان كنت ممن يجهل الامر فاسأل فاذا أردت أن تكون أهلا لان تحكم الامة وتسوسها فابدأ بنفسك واحكمها وأحسن سياستها قبل ذلك لتعلم كيف تغلبها فالعاقل من هذب نفسه وغلب عقله على هواه

والناس يابنى صنفان سوقة وملوك فالسوقة لاهم لاهم الا اسعاد أنفسهم وأما الملوك أمثالك فهمهم اسعاد الرعايا فان سعادة الرعايا هى سعادة الملك فاذا تغلبت عليك يابنى الذنوب وجرت بك الى ارتكاب العيوب فأنت عبد هوى ولوتحليت بتاج القياصرة فاحترس من تغلب الشهوات النفسانية وخلها للرعاع من الرعية فان الشهوات الذنبوية تعرض للامراء والملوك وتكون فى كل جال نصب أعينهم فتغلبهم فاذا أردت أن تتخلق باخلاق ملك الملوك وسلطان السلاطين فتخلق برحمته وحلمه واتبع دائما طرق العدل والاحسان ولا تلتفت الى فعل الخير لجرد المدح أو القبح من انسان فان العامة لا يتعاشون من مدح الملوك أو القبح

فيهم فكان باستكمال الفضائل ومكارم الاخلاق صورة للعدل والاحسان وتخلق بأخلاق الملك الخلاق لكي تكون داسلطان على قلوب الرعية تستغنى به عن الارهاب بالسيف وشدة البأس فقد جرت عادة الرومانيين أنهم لا ينفادون لذى كبرياء نخل أبهة الملك الملوك آسية والبلاد المشرقية وتحل بحلية عظماء القياصرة الرومانية وأوصيك اذا عادت ملكا من الملوك فأحكم قيادة جنودك وأحسن في الامرة والساولك لتطاع منهم وينفذ أمرك فيهم واقتسم اقتحام الاخطار مع الجند فانهم بك يقتدون ويستسهلون المهالك ولا يبالون باقتحامها

ومما تتأكده الوصية وتجب فيه النصيحة أن تواظب على قراءة تاريخ من سبقك من القياصرة لتعرف ما أصابهم من النصرة والهزيمة وتقف على أسباب العزة والهوان لتتفقه من ذلك ما يجب فعله وتتفطن لما ينبغي عليك اجتنابه اه

فلم يعمل ارقاديوس بهذه الوصية لسخافة عقله فكان مبعوضا عند سائر الرعية ممقوتا مذموما لا يذكرون اسمه الا باللعنات والتقيج * وقد سبق الكلام على أن الذي كان قابضا على زمام الدولة هو الوزير روفين وأن الحل والعقد كان باستشارة الملكة اورقسية فكان الوزير المذكور يخشاه ويخاف منها جدا وكانت نفسه تحذره دائما بأن يسلب الملك من زوجها ارقاديوس فكان يمنع من ذلك شدة بأسها وحرصها ولكنه مع ذلك أخذ يهدد لهذا الامر الاسباب ويعمل سرا على اخراجه من حيز الخفاء الى عالم الظهور فصاغ النياشين باسمه ونقش عليها رسمه كانه لابس التاج القيصري وأعدتها لوقت استقلاله بعد ظفره بخلع ارقاديوس والكفران بنعته

وكان لطبودوسيس والد ارقاديوس الملك قائد عسكر اسمه اسطيليقوس أقامه في حياته ككفيل على ولديه عند ما قسم الملك بينهما شرقا وغربا فلما توليا الملك بعد أبيهما كان اسطيليقوس مشغولا بقسمة الاموال والعساكر بينهما وكان يسمع بما يفعله روفين الوزير من الاستبداد والجور والعسف بالرعية ويحقد عليه كثيرا ويراقب الفرص للوقعة به والانتقام منه

واتفق في هذا الحين أن طائفة الغوطية اجتازت نهر طونة لحرب ارقاديوس وقتاله وسارت قاصدة بلاد القسطنطينية واقتربت منها ولم يمنعها في الطريق مانع فرأى الامير اسطيليقوس هذه الفرصة موافقة لما في نفسه من الانتقام من روفين الوزير فقام من ايطاليا في جيش عظيم وسار الى مدينة القسطنطينية للانتقام منه فدفع الغوطيين عن البلاد وأذاع أنه قادم لرد الغوطيين وما زال سائرا حتى وصل الى مدينة سالانيك ثم انعطف بسرعة غريسة وهجم بحركة عجيبة على الغوطيين وحصرهم وما زال بهم حتى هزمهم شر هزيمة فلما تم له النصر أشاع الناس بأنه يريد القسطنطينية بجيوشه فأحس الوزير روفين بأنه انما يريد الحضور لقتله واغتياله وعلم ما في نية تخاف وتقدم الى ارقاديوس الملك في أن يرسم الى اسطيليقوس بسرعة ارسال الجنود الى القسطنطينية وأن لا يحضر هو معهم فرسم له الملك بذلك فامتلأ اسطيليقوس

أمره وبعث بجميع العساكر الذين كانوا معه الى القسطنطينية ولكنه كشف كبارهم بما في نفسه من خجور وفين الوزير وأسر الى غيناس قائدهم أن يقتل الوزير المذكور فعاهدوه على ذلك وعلى كتمان الخبر حتى يتم له الامر وبيطشوا به عاجلاً وكتبوا ما عاهدوه عليه بحزم شديد ولم يوحوا به لاحد حتى دخلوا مدينة القسطنطينية فحضر الوزير اليهم فأظهروا له غاية الطاعة وقابلوه بغاية الحفاوة والولاء فأعتر بظاهرهم واعتمد عليهم واتخذهم عوناً على درك مقاصده من قتل زوجة الملك ومبايعته بالملك وكشف كبارهم بذلك فوافقوه وأظهروا أنهم أعوانه على جميع ما يرغب وكتبوا هذا الخبر أيضاً عن ارقاديبوس الملك لما علموه من خفته وطيشه فلما استقر بالعساكر المقام دخل قائدهم الامير غليان على الوزير المذكور وتمثل بين يديه وطلب منه أن يرسم بعرض العساكر على الملك وأن يسير بهم أمامه ليرى في نظامهم فسر الوزير من ذلك ودخل على الملك وكلمه في عرض الجند فقام الملك وحضر الى الميدان ومعه الوزير وسلم كالعادة على جميع البيروقراطية ثم صار يمر بين صفوف العساكر ويتنظر في نظافة آلاتهم ونظام معداتهم والوزير يتنظر لهم بعين التعاطف كأنهم صاروا أعوانه المقيدين بأمره فلما توغلوا الى قلب الصفوف أحاطت بهم العساكر احاطة السوار بالمعصم وبرز من بينهم فتى وانقض على الوزير فطعنه في صدره فوق صريعاً تحت أقدام الملك * وشاع خبر قتله ففرح الناس فرحاً عظيماً وعلت الضوضاء في ذلك الميدان ثم انعطف الامير غيناس ومعه طائفة من الجند الى أعوان الوزير فأوقع بهم وأعمل فيهم القتل والسلب وقامت الغوغاء على من بقي منهم ففتكوا بهم عن آخرهم وأخذوا جملة الوزير وطاقوا بها محباً على الارض في الاسواق والشوارع ورفعوا رأسه على سنان رح وطاقوا بها وقطعوا يده اليمنى ليمثلوا به وجعلوا ككفه ممدودة مبسوطة كأنه يسأل الناس المغارم والمطالب كما كان يفعل قبل موته * وهربت زوجته وابنه الى دير بيت المقدس فرارا من القتل فضبطت أمواله وأحصيت مقتنياته فكانت شيئاً كثيراً وبعد قتله ولي الملك مكانه اطروبيس الطواشي وكان قبل ذلك حاجب الدولة وكان اسطيليقوس زعيم الدولتين يرى أن له حق كفالة قيصر المشرق ويدعيها مستنداً على وصاية طيودوسيوس والده ثم رأى بعد ذلك أن في تمسكه بهذا العزم ما يوقع العداوة بين الاخوين ويشير نار الحرب بين الدولتين فترك ارقاديبوس شأنه مع وزرائه وزوجته ولم يتخترش قط للسياسة ولا للتدبير فكانت كل دولة من الدولتين ليس لها على الاخرى أمر ولا نهى فلم يكن لذلك بينهما جامعة قوية ولا رابطة تذكر * وكان الارينق ملك الغوطية يتربق الفرص للانتقام من الدولة المغربية فلما رأى من ابتعاد ارقاديبوس عن أخيه تحبب الى ارقاديبوس واصطلح معه وانتظم في سلك جنوده وحسب نفسه من أتباعه فجعله ارقاديبوس رئيس عموم عساكر الرومانية المرباطة بسواحل ايطاليا الشرقية وكانت يومئذ تابعة للقسطنطينية قال بعض أهل التاريخ فأظهر الفرع بذلك وكال المحبة لارقاديبوس وهو في الحقيقة عدو للطرفين حاقده عليهما ما كرمخادع وما زال حتى

تقوى أمره وتمكن من قلوب عساكره وقوى جأشه على القتال فسار الى رومة في جيش عظيم لقتال قيصرها وظهر عليه وهزمه شر هزيمة وكاد يأخذ ملكه فشق هذا الامر على الامير اسطيليقوس وخشى ضياع الملك من يد القيصر وسقوطه في يدي آلاريق فقام ومعه بعض الجنود وركب على آلاريق ومن معه وصدمه صدمة قوية وهزمه في واقعة شر هزيمة وأخذ زوجته أسيرة وفر آلاريق ونجا بنفسه وتفرق من كان معه من الجنود أيدي سباً وزال البأس عن القيصر

قال أهل التاريخ وكانت أيام ارقاديوس كلها متاعب ومصاعب وفساد أخلاق وظلما في الرعية وكان العمال في جميع جهات المملكة أرباب ظلم وخيانة منهمكين على اللذات والشهوات غافلين عن أمور البلاد وشؤون الرعية وكان الامر كله في يد اطروبيس الطوائى الوزير فكان هو رئيس المجالس والمحاكم وأمير الجيوش كافة وكان يكره الغوطية جدا ففرح الناس بتقلده منصب الوزارة ليأمنوا بتدبيره شر أعدائهم اذ كانوا لا يرون من ارقاديوس قدرة على ذلك ومع فرحهم به فقد تذكر خيار الناس وأهل الاستقامة من طوائف الجنود والعساكر والرعية من تقليده هذا المنصب لما يعلمونه فيه من أخذه للرشاوى والبراطيل وضياع حقوق الامة والوطن بل حقوق المملكة نفسها بان يبيع للاعداء من البلاد كل ما يقدر على بيعه وكان من خصاله الاصغاء لوشى الوشاة وأهل السعاية بالنيمة ميالا الى أخذ المغارم غنمة لنفسه وكان كثير السعي خلف الايقاع بكل من امتاز من أمراء الجنود في أيام طيمودوسيس بالاستقامة وشرف النفس والتمسك بالأصول والفتك بهم خوفا على نفسه منهم

وكان يعلم ما في صدور العامة وأهل البلاد من بغضه والحقد عليه ويخشى القدح في عرضه كما هو مذهب الكثير من الحكام فاسدى الاخلاق فكان لذلك يجاوز في غدره ويحتس من الملامة ونشر مرسوم يقول فيه ان كل من طعن في ذات الملك أو في أهل ديوانه جزأؤه القتل وأن من سعى بالشفاعة في مذنب جزأؤه الفضيحة وأذاع هذا المنشور وشدد على الحكام في العمل بموجبه فلما علم الناس بما فيه غضبوا كثيرا وقاموا قومة واحدة وأضرموا نار الفتنة فسرى لهيها في جميع العمالات والاقاليم الرومانية وانحاز رؤساء الاحزاب الى زوجة الملك وطلبوا من القيصر أن يرسم بضرب عنق الوزير المذكور وأن لاتسكن نار الفتنة الا بقتله فلم يقبل فانكبت زوجته على أقدامه وبكت وشكت أيضا من أنه أى الوزير المذكور أساءها وخاض في عرضها فحن الملك لها ورسم بقتله

وما ظهر الامر بقتله حتى أظهر له الشماتة كل من كان يتزلف اليه من أهل البلاد وأهل الديوان ولم يبق أحد الا وكان يوسعه سببا وطعنا وضربا وخرجوا به الى الميدان ليقتلوه وعلت الضوضاء وتراحم الناس وأتوا للتفرج عليه من كل صوب وحذب فيمناهم على هذا الحال والوزيرين أيديهم اذ برز القديس خروصو صطومس وانكب عليه وحال

بينه وبين الجوع المتزاجة على قتله ونادى قائلاً تنحوا عنه أيها الناس فإن الدنيا لا تدوم على حال وإن الطبيعة البشرية ليست معصومة من النقائص الدنيوية وسوء المقاصد إلى آخر ما قاله من المواعظ في هذا المعنى فانكف الناس عنه وبرز الأمر بعد ذلك بتغريبه وإبعاده إلى جزيرة قبرص ولكنه لم يلبث فيها الا قليلا حتى قام عليه واليها وأهدر دمه وأراح العباد منه

فاستوزر الملك بعده الوزراء من الاجانب والاعراب وسلمهم قيادة المملكة كما كان يفعل مع غيرهم من قبل ثم أفضى الحال بعد ذلك إلى أن سلم زمام المملكة لزوجته حكمت واستبدت وأمرت ونهت وتصرفت في جميع الامور وكانت تكره الاسقف خروصوصطومس وتعاديه فرسمت يوما بنفيه وتغريبه فنقوه وكان معظما محبوبا من الناس موقرا عندهم فقاموا لذلك جميعا واجتمعت الاهالي أحزابا وأشهروا السلاح وأحاطوا بقصر الملك وعالت الضوضاء تخافت المملكة من ذلك وخشيت عاقبة هذه الفتنة وتمثلت بين يدي الملك وأشهدت على نفسها أنها أخطأت فيما فعلت وندمت وأمرت بعوده عاجلا إلى القسطنطينية فرجع فزين الاهلى لقدمه سواحل القسطنطينية شرقا وغربا فلما دخل المدينة ارتقى منبر الخطابة وخطب يعظ الناس بالصلح والسلم * قال بعض الكتاب ولكن أنساه تعاضمه الدنيوى ذل حرقته وأذهله عن حقوق خرقته ولم يعمل بما جاء في الانجيل حيث عرض بذم النساء كافة وذكر معايين وتطرف للخوض في عرض الملكة وقذفها فقال انها محبوبة لبعض اللثام وإن عشاقها عبدوها عبادة الاصنام قالوا ومع أن ذكر هذا لا يليق من مثل هذا الاسقف فقد أصغى الناس اليه بأذان واعية ولكنهم عادوا بعد ذلك فجمعوا مجمعا آخر وحكوا عليه بالنفى وساعد على نفيه جماعة الارويسية التابعون لمذهب أريوس اذ كانوا من حزب الملكة ومن أعوانها فاتفق بعد نفيه أن انتابت على البلاد المصائب وأتلف الجراد المزروعات وكثرت بها الزلازل فاعتقد الناس أنها انما حلت بالبلاد بسبب نفى هذا الاسقف

وقد ذكرنا فيما تقدم أن طيمودوسيس الملك كان قد خفف في أيامه عن مصر المحن وقطع أسباب الاحن وأعاد لها رونقها القديم بما منحها من المزايا وما جددته فيها من العمارات فلما تولى ارتقاديوس منصب أبيه سار على سيرته وأمر بأن تغلق جميع هياكل الاصنام في ديار مصر ومنع من الزدين الا بالدين المسيحى فاستدعى أهل البلاد أن يتولى عليهم ملك من قبل الرومانيين يسوسهم بما فيه المصلحة وحسم الفتنة فبعث لهم الملك قانونا شديدا وحث الاهالى على الطاعة فحمت حكم عماله وفوايه وأباح لهم بعض اباحات دينية لا بد منها ورخص لهم أن يتخذوا كهانا لعبادة الشمس والبقر وأقام على المسيحيين منهم (ثوفيلس) بطركا بالاسكندرية قال بعض أصحاب التاريخ فكان ثوفيلس هذا كثير الحيسة الدينية قليل الفضل والمعرفة فأظهر العداوة لأصحاب الدين الوثنى وتعرض لخصتهم في دينهم وتحصل على مرسوم

آخر من الملك بكسر الاصنام وهدم المعابد والهيكل فعاتت الشدة على الوثنيين من المصريين وكان البطريق ثوقيلس هو المأمور بذلك وكان تحت أمره متوليا وأميرها فبلغ ثوقيلس ماآمنه وبلغ في هدم الهيكل وتخريب المعابد وتبعه في ذلك كافة أساقفة مصر وقراها فحصل لدين الجاهلية بمصر مذلة وشدة وصار الفخر للبطريق والاساقفة وفوض لهم الحكم في الرعية وقد كانوا قبل ذلك من أيام قسطنطين الاول مفوضين في التعليم والتربية وتهذيب الاخلاق وتحسين العوائد دون تنفيذ الاحكام وكان القضاة مأمورين أن ينفذوا ما تحكم به طائفة القسيسين فتم لهم النفاذ في حكومة البلاد وكل لهم التدخل في المصالح كافة وصار الأمر منهم واليه ولم تبق فوق يدهم يد

قال بعض الكتاب وباضمحلال الديانة الوثنية على التدريج صار يلج بطرف خفي قرب زوال التمدن القديم وهو تمدن أزمان الجاهلية وقد عم ذلك جميع البلاد الرومانية وأخذت الامة القديمة على التدريج في استبدال دينها القديم وقد زادها ضررا كثرة تدخل الاجانب في أهلها لاسيما المنسبرون وتقلدهم المناصب الملكية والوظائف العسكرية فضلا عن اخسل البلاد من الفرنجة والغوطية وانتشارهم فيها من نهر الرين الى حد القرات بالمشرق وشنهم الغارة على جميع إيلات المملكة من وقت الى آخر وتبعهم النهب والسلب فيها حتى عمها الخلل ولازمها الارتباك وسرى فيها عرق الفساد الى حد أن تطاولت أيدى الرعية الى معاقبة الملوك والقيصرة تخلصا من تعذيبهم وظلمهم للاهالي ثم طردهم واستقدهم للاغراب ليدخلوا بلادهم فانهم اختاروا أن يكونوا مستعبدين للفرنجة والغوطية ورضوا بذلك وآثروه على أن يكونوا أحرارا تحت أحكام ملوكهم الجائرين لاسيما وقد أثقلتهم الضرائب والمغارم بما لا يطاق فضلا عن تعرضهم لمذلة عبادة الاوثان وقتل من يتسك بهذا الدين وقد كسر أحد العساكر يوما صنم الشمس وكانوا يعتقدون أنه اله الدنيا بأسرها وأخرج منه جلة من الفيران مع مارسب فيه من فضلاتها فلم يترتب على كسره يومئذ فتنة لضعف أهل هذا الدين وفشلهم وقد اسود هيكل رومة العظيم المحلى بالذهب الخالص وعلاه التراب وصار مهجورا لا يدخله عابد ولا يؤايله بالاشارة راعع ولا ساجد وكذلك بقية هيكل الاصنام وتأيددين المسيح بقدر ما قاساه من الشدة والمذلة وصار الناس يدخلون فيه أفواجا لاسيما في أيام ارقاديوس على ما فيها من العسف والجور

ومات ارقاديوس الملك حثف أنفه في سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة للميلاد أي سنة أربع عشرة ومائتين قبل الهجرة وكانت مدته ثلاث عشرة سنة ويضاف الى هذه المدة أيضا مدة الأربع عشرة سنة التي هي من تاريخ مرسوم طيمودوسيس الملك باتباع الملة النصرانية وهي المدة التي حكمها طيمودوسيس أبوه في القسطنطينية وقد أوصى قبل موته أن يكون يزجرجين بهرام المعروف بالاثيم كفيلا على ولده طيمودوسيس الثاني ولعله قصد بذلك تدخل أهل فارس في مصالح الروم والقسطنطينية تشفيا غير أن بعض المؤرخين أنكر هذه

الوصية وقال انها لم تصدر منه واستدل على ذلك بان كسرى فارس المذكور لم يطالب بالكفالة ولم يتدخل في مصلحة البلاد مع ما كان عليه من القظاظه والغلظة ولؤم الاخلاق قال ولو كان لهذه الوصية اثر لما تنازل عنها كسرى المذكور ولدافع عنها ببذل النفس والنفيس ومات في أيام ارقادىوس (ثوناوس) بطريك الاسكندرية بعد أن أقام خمس سنين أوسبعا وفي أيام ثوناوس المذكور كان الجمع الثاني بالقسطنطينية في سنة اثنتى عشرة ومائة لدقظيانوس فاجتمع فيه مائة وخمسون أسقفا وحرموا مقدونيون عدو روح القدس وكل من قال بقوله وكان سبب ذلك أنه قال ان روح القدس مخلوق وحرموا معه أيضا أناسا آخرين لعقائد أخرى شنيعة تظاهروا بها في المسيح وكان رئيس هذا الجمع ثوناوس بطريك الاسكندرية

وزاد الاساقفة يومئذ في الامانة التي رتبها للثلاثمائة وثمانية عشر * ونؤمن بالروح القدس الرب المحي المنبثق من الاب * وحرموا أن يزداد فيها شئ بعد ذلك أو ينقص منها شئ وكان هذا الجمع بعد مجمع ((نقيية)) بثمان وخمسين سنة وبعد مولد المسيح بمائة وثلاث وسبعين سنة

وفي أيام ثوناوس بنيت عدة كنائس بالاسكندرية واستتيب جاعة كثيرة من مقالة اريوس وأطلق للاساقفة والرهبان أكل اللحم يوم الفصح ليخالفوا الطائفة المنائية فانهم كانوا يحرمون أكل اللحم مطلقا ورد ارقادىوس كل من نفاه الملك واليس من الاساقفة وأمر أن يلزم كل واحد منهم دينه ما خلا المنائية ثم أقيم بعد ثوناوس ثاوفيلوس وهو ثالث عشرهم وأخو بطرس الثاني ويعرف بابن الخطاب وكان في أيامه من الحوادث ما سيذكر بعد

(في الملك طيودوسيس)

(قيصر الثاني)

ثم قام بالامر ابنه طيودوسيس الثاني بعهد من أبيه ارقادىوس وذلك سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة لليلاد أى سنة أربع عشرة ومائتين قبل الهجرة ببيع وله من العمر تسع سنين وقد كان بحسب الشريعة الرومانية لعمه أرنورىوس قيصر المغرب حق الكفالة عليه فلم يرص أعيان مملكة القسطنطينية بذلك * وكان من الاغنياء المتزمين أصحاب الجاه والبأس بمدينة القسطنطينية رجل اسمه أنطيمس وكان ذا معرفة وخبرة بالامور واستقامة وشهرة بالمعارف وكان قد تقلد نيابة المشرق ثم تخلى عنها فولاه وجوه القسطنطينية كفالة طيودوسيس ولكن لم تطل مدته حيث مال الى العزلة واختار الراحة والاشتغال بأموره الخصوصية وآثر ذلك

على نيابة الدولة فتنازل ابونخارية أخذت الملك عنها حيث رغبت في ذلك فاستولت بونخارية على سرير الملك ولم يكن عمرها اذذاك الا ست عشرة سنة فقامت باعبائه خير قيام مع الشهامة والحماسة ولازمت جادة العدل وساست الامور وديرتها فأحسن تدبيرها فلقبها المجلس بلقب (أغسطس) وحكمت بالنيابة عن أخيها مع الوزراء نحو الاربعين سنة قال بعض المؤرخين فكانت ورثت فضائل جدها طيودوسيس الا كبر ونالت من مكارم أخلاقه الحظ الاوفر كما ورثت عنه الشجاعة والبسالة فبلغت في حسن التدبير درجة البراعة

وكان الناس يتوسمون في طيودوسيس الملك سمة النجابة والخير للبلاد فلما بلغ رشده رأوا أن حاله كحال أبيه في عدم الثبات وضعف العقل وقلة الادراك والتميز فكانت بونخارية تجهد نفسها في تهذيب أخلاقه واصلاح شأنه وتقويم أودعه لعله يقوم بأمر الملك ويحسن تدبير الدولة فلم تنجح وكانت ذات عدل تكره الجور والعسف فأسكنت بعزمها جميع الفتن وأزالت كافة المحن فاطمأنت بها نفوس الرعية وانتظم حال الملك وانقطعت المنازعات واستقامت الامور فتعلقت بها قلوب الرعية وأحبوها حبا جادا * ولم يشغلها عن الحوادث الخارجية الا إغارة طائفة الهونية من قبائل التتار وزحفهم من بلاد الجبار على ممالك القسطنطينية تحت راية ملكهم أطيلا فصالحتهم بونخارية بتقرير خراج حتى تمكنت من ردهم وابعادهم عن البلاد * وكان من همها تقدم العلوم والفنون والصنائع وكانت تحسن اللغة اليونانية واللاطينية فشغلت أختها بتلقى العلوم والمعارف والفنون لتكون الحاكمة عليه زمنا طويلا وجلبت اليه كبار العلماء ومشاهير الحكماء من لهم شهرة في العلوم وكان ارقاديوس مع قلة فطنته مهيبا سالكا سبل الجد بعيدا عن المزاح حافظا لناموسه قابلا للتعليم وان لم يكن مستجمعا لصفات الرجال الراضين في صفات الكمال فكان ممدوحا بالعفة والقناعة والرفق والراقة والحلم غير أن هذه الصفات لم تكن فيه غريزية بل اكتسابية فكان في حياته كالطفل تحيط به الطواشية والخدمات من كل جانب وكان شغله في كل يوم النقش والرسم والصيد وماشا كل ذلك وقد لقب بالخطاط لحسن خطه ولطافته وكان فائز الهمة في قضاء المصالح العمومية ميالا للسكسل والدعة حتى كانوا اذا أحضروا اليه الاوراق ليوقع عليها أهمل قراءتها ووقع عليها بدون التفات ولا اكتراث قدست له أخته بونخارية يوما خطابا عن لسانه وأظهرت أن فيه مصلحة للبلاد مضمونه * اني خلعت نفسي عن المملكة وخلعت بيعتي من أعناق أهل البلاد * فوقع عليه ولم يقرأه ثم أطلعت عليه ومزقته أمامه ليقف على عيبه ويحاذر في أموره * وكان ابتداء ملكه يشرب نمر الروم ونجاحهم فانه غلب الهونية في بلاد الروم ايلي وقهر ملكهم هولدين وضيق عليهم تضيقا كثيرا وحصرهم وقد كان هولدين المذكور أقسم أن لا يدع الفتوحات ولا يكف عن الغزو الا اذا بلغت فتوحاته مغرب الشمس فحنثه القيصر في عينه اذ أوقفه وطرده من روم ايلي فجازنهر طونة وهرب راجعا لبلاده وقد هلك جميع عسكره ومزق في هذه الواقعة كل ممزق

فلما رأت بونخارية أن أناها قد نجح في أموره واستحق الزواج بحثت له عن زوجة مشهورة بالفضل لبالنسب وكان في مدينة أثينا فيلسوف اسمه ديونقوس وله ابنة من أجل بنات اليونان اسمها أطمائس ذات علم وفصاحة كأبيها وتنازل في الخطابة بقوة البرهان وكان لابنها من الذكور ولدان فتبرع لهما بجميع أمواله ولم يورثها شيئا اكتفاء بجمالها ولكنها بعد موت أبيها المذكور وضيع ذات يدها طالبت أخويها بحقوقها وشكت للملكة بونخارية فلما رأتها تعجبت من لطفها وحسنها ووفور عقلها ووجدتها أهلا لأن تكون زوجة ل أخيها فلما بلغ الملك أمرها ولع برؤيتها فأتى متسكرا عند أخته فواقع بصره عليها وسمع خطابها حتى أخذت عجامع قلبه فعقد عليها وعدها وسميت من هذا اليوم (أودقسية) فلما علم أخوها بأنها صارت زوجة للملك خشيا صولتها فاختمها فبحثت عنهما وأرسلت من كشف عن حالهما فوجدوا وتملا بين يديها فلاقتهما بالباشية والطلاقا وقلدتهم المناصب العالية وكانت عاقلة واسعة الفكر مواظبة على ما تعودت عليه أيام فراغها من مطالعة ودراسة فنظمت مافي التوراة وألفت تأليف جديدة مفيدة جدا وسارت الى بيت المقدس فبحثت وذهبت الى أنطاكية وخطبت بمجلسها خطبة بليغة أثرت مواظبتها ونصائحها في القلوب والنفوس حتى أعجب كبار الاساقفة بحالها وأصبحت معها من بيت المقدس الى القسطنطينية ما تبرك به من آثار الصالحين والعقديسين

ونافقت نفس أودقسية بعيد ذلك أن يكون لها الامر والنهي على زوجها وعلى الدولة بتمامها وقد كان الحل والعقد وتدير الامور في يد الملكة بونخارية كما تقدم القول فلم ترض بالتنازل لادوقسية وظلت تمسكه زمام الحكومة فوقع بأسباب ذلك الفشل والخلف بين الاثنين وترتب على اختلافهما اختلاف الامراء والاحزاب فانقسم الديوان الملوكي الى حزبين أحدهما متعصب لزوجته الملك والآخر منتصر لاخته فغلب حزب الاخت على حزب الزوجة وتم لها النصر وصار لها تمام النفوذ فاتهمت الملكة مع أخصائها المتعصبين معها من أهل الديوان بالعشق والميل عن العفة وأغررت الملك بنفهم وتغريهم الى أقصى البلاد فنقوا وغضب على زوجته وأساء الظن بها فاستأذنت بان تخرج من قصر الملك وتعتكف في بيت المقدس فأذن لها فذهبت واعتكفت هناك ولم يتركها أخصامها وشأنها بل كانوا لها بالمرصاد فاتهموها أيضا بالزنا مع اثنين من القسيسين فرسم الملك بقتلها فقتلا فغضبت وسعت في قتل قاتليها حيث كانت بريئة من هذه التهمة فتقويت التهمة بذلك وبلغت مبلغ التحقيق * ومكثت ست عشرة سنة معتكفة منزوية في زوايا الاهمال وهي تشكو دهما من الظلم والجور بلاذنب ولا خطيئة

وقامت على طيودوسيس في هذا الحين قائمة الحرب من كل الجهات منها الحرب مع بهرام جور بن يزجرد الانيم والحرب مع أطملا ملك قبائل الهونية * قال بعض أهل التاريخ وقد كان من أمر بهرام جور المذكور أن أباه سلمه الى النعمان بن امرئ القيس أحد ملوك اليمن

من العرب وهو صاحب الخورنق ليربيه ويعلمه الفروسية فلما مات أبوه وكان هو غائبا تولى الملك كسرى خسرويه من ولد أزدشير فلما بلغ ذلك بهرام جور انتصر بالنعمان ووقع بين بهرام ونخصمه مراسلات كثيرة ثم اصططحوا على أن يجعل تاج الملك بين أسدين شبليين فمن تناوله منهما فهو الملك فوثب بهرام على الشبليين فقتلهما ولبس التاج واستقر على سرير الملك وكان عاقلا شديد البطش على أعدائه وكان يتقن نظم الشعر بالعربية

وكانت مدينة القسطنطينية في تهديد دائم من قبائل الهونية فكانوا لا ينكفون عن الاغارة على بلادها وتكدير صفو راحتها وقيامهم على قدم الارهاب وكان رئيس هذه القبائل يومئذ أميراً اسمه روجلاس وكان مقره ببلاد الالمان وكان يبغض طيودوسيس ويتوعدده بالاغارة وتخريب ممالكه فخافه طيودوسيس جداً وبعث اليه سفراء يسترضونه ويصدونه عن شن الغارة فلما وصل السفراء وجدوه قد مات وورث الرئاسة بعده اثنان من بني عمه هما آطيلا وايليد فلنبثت السفارة أيما تطلب الاذن بمقابلتهما فقبلاهم وهما على ظهور الخيل كعادة ملوك هذه القبائل فلما تمثل السفراء بين أيديهما اشترطا عليهما زيادة الجزية المقررة التي كانت تدفعها القسطنطينية من قبل للهونية وأن يتنازل لهما القيصر عن أحد الميناء الواقعة على نهر طونة لتكون خالصة حرة لاسيادة الرومانيين عليها وأن لاتعقد دولة القسطنطينية أى معاهدة مع أحد من أعداء الهونية فرضى القيصر بهذه الشروط مع ما هي عليه من المذلة والحييف بناموس الدولة قالوا فكانت هذه أول مرة رأى فيها الرومانيون آطيلا المذكور وقد كان بلغهم قبل الاجتماع به أنه فظ غليظ جبار عنيد مولع بالحروب يحسن سياسة الجنود ورياستهم فلما تأملوه وجدوه على صورة أهالى القملوق الذين يقال لهم الكيماكية عريض الرأس أصفر اللون أفطس الانف قصير القامة مربع القصد يكاد الشرر يقدح من عينيه ولم يعض على آطيلا وأخيه في تدبير أمور قبائل الهونية الا زمن يسير حتى قام آطيلا على أخيه وقتله واستبذ بالملك فانتقدت له جميع قبائل الهونية وغيرها من القبائل التتارية ثم تغلب بعد ذلك على سائر القبائل الجرمانية المعروفين بالالمان واستولى على كافة الامم الشمالية كالاسوج والتروج والدينمارقة وتهيئت منه أمم الغلية والرغونية القاطنون في بلاد الفرنسيس وزحف على هذه البلاد بجيش جرار وتوغل فيها حتى وصل الى مدينة أورليان فاتحده انطيموس قائد عساكر رومة ومرويه ملك الفرنسيس وطيودويراق ملك الغوطية معاً وحملوا عليه جملة رجل واحد فقهروه وأخرجوه عنوة وأوقعوا به بقرب شالون من بلاد شامبانيا مات فيها ربع جنوده ورجع الفهقري الى بلاد ايطاليا ومع ذلك فقد انبسطت يده على جميع الامم المتبربرة حتى تلك جهة نهري الأتل وطونة وبحر الشمال ونهر الرين وجبال البسه بايطاليا وزادت هيئته في جميع الممالك وكانوا يعتقدون أنه صاحب خروج وأنه له معرفة بالسحر والشعبة وأنه متى قصد مملكة لا يصده عن التغلب

عليها أحد * قال أصحاب التاريخ وكان اذا قدم ملكة من الممالك شرقا أو غربا سجدت ملوكها بين يديه حتى تصل تيجانهم الى الارض وكافوا يفتخرون بحضورهم في مجلس مشورته ويحسبون أنفسهم من وزرائه وأمرائه فكان الرؤساء والامراء من جميع القبائل يصدقون بقصره وينباهون بالمحافظة على ذاته الملوكية وكانت قبائلهم وطوائفهم منظومة في سلك جنوده داخله تحت أعلامه وبنوده وكانت عساكره نحو ثلثمائة ألف مقاتل وغزا فارس وأغار على بلادهم فامتدت غزواته في المشرق حتى وصلت الى الشام ولكنها كانت مجرد اغارات لا فتوحات وكان قد وقع بينه وبين طيمودوسيس الملك عقد مصالحة على قاعدة تقررت بينهما كما تقدم فعاد وادعى أن العهد انتقض بعدم وفاء القسطنطينية بشروطه وزعم الهونية أن الروم سرقوا منهم في إحدى موانى طونة الحرة خزينة أحد أمرائهم وطلبوا القيصر بهذا القدر من المال وأن يسلم لهم أحد أساقفة النصارى ليصنعوا فيه كيف شاؤوا فامتنع ديوان القسطنطينية من الاجابة الى شئ من ذلك فأشهروا الحرب وأغاروا على بلاد الروم ودخلوا المدن القريبة من القسطنطينية وسلبوا في طريقهم ونهبوا وقتلوا وأسروا وهدموا القلاع والقصور وسبوا النساء والاولاد ودمروا المدن التي بين البحر الاسود وخليج البنادقة فكانت جميع هذه النكبات لا تبعث همة طيمودوسيس الملك على التحرك من ديوانه والخروج مع عساكره للذب والدفاع لخوفه وجبنه بل ناط أمراءه وقواده بذلك فكافوا اذذاك لا يستطيعون جمع العساكر ولا يحسنون تنظيم الجنود ولا ترتيب الصفوف للقتال فكانت هزيمتهم متتابعة وقد انهزموا في واقعة بقرب نهر طونة وفي أخرى بسفح جبال البلقان وفي أخرى بسواحل روم ايلي وكانت هزيمة عظيمة جدا دمرت عساكرهم تدميرا فلم يبق منهم بقية

وعاث أطيلا في أرض مقدونيا وأهلك الحرث والنسل وأحرق نحو سبعين مدينة وجال في أرض روم ايلي حتى وصل الى رساتيق القسطنطينية وضواحيها فلم يمنعه عن دخول المدينة الا أسوارها لانه كان لا يحسن الحرب الا في السهول والفضاء وكان يجهل محاصرة المدن والقلاع وكانت محاربتة تعدت من العجائب عادة يعقبها خراب البلاد وهلاك العباد ولذلك تهيدت منه جميع أمم أوروبا وآسية وكان اذا انتصر على قبيلة أو أمة أخرى أباح لقومه أسر أهلها وأدخل في عسكره كل من كان يصلح للخدمة العسكرية وضرب الرق على الشيوخ والنساء اذا لم يقتلوهم بلا شفقة ولا رحمة وكان الهونية اذا كثرت عندهم الاسرى وزاجوهم على الزاد والراحلة ذبحوا القدر الزائد ومع ذلك كله فقد اتحد بعسكر الهونية كثير من الرومانيين وامتزجوا بهم امتزاج الراح بالماء

وبعد توالى انهزام أصحاب طيمودوسيس الملك بات ولم يبق عنده من العساكر ما يدفع به عدوه وكان أضعف من أن يحیی قلوب رعيته وينعش نفوسهم ويقوى عزيمتهم ويحترضهم على قتال الاعداء ويجعلهم جميعا عسكرا يحامى عن الوطن فلما لم يستطع أن يفعل ذلك

اعتكف في قصره كالراهب ولم يخرج منه الا للكنيسة ثم عقد بعد ذلك مع أطيلا صلحا
بشرين بشرفه وشرف دولته وترك لدولة الهونية الارض التي في جنوب نهر الطونة من
مدينة بلغراد الى داخل ترخالة من بلاد روم ايلي وتعهده بأن يدفع في كل سنة ألفين ومائتي
رطل من الذهب وستة آلاف مجلبة وذلك غير نفقات الحرب وكان قد ذهب مافي أيدي
الاهالي واشتدت بهم الفاقة لاسيما من فعال جبابة الاموال والعوائد والمكوس فلذلك تأخر
دفع هذه المغارم عن مواعيدها وتعذر على طيودوسيس دفعها

وكان مابقي من العساكر الرومانية أيضا قد داخله الجبن ولازمه الفتور وارتبك الحال
على أهل الديوان فانعكست أحوال الدولة وفشلت أمورها وذهب رونقها ولم تقم لهم من
هذا الحين قائمة الآن أهالي مدينة (أسومدوس) من أعمال روم ايلي دببت فيهم
الخوة الجاهلية وتمسكوا بعروة الاتحاد الوثقى ولم يرضوا بالدخول تحت شروط هذا الصلح
وأبوا أن يسلموا للهونية الابحر ثم خرجوا ووقف جمعهم خارج الاسوار وطلبوا النزال
فاجتمع عليهم كثير من العساكر الرومانية الفاترين من ساحة الحرب ومن الاسرى الهاربين
فعظم جمعهم وضخم جيشهم والتقى بالهونية وأوقع بهم في واقعة هائلة ولا هول القيامة
فهزمهم شر هزيمة وطردهم عن البلاد فشكا أطيلا ملك الهونية للقيصر من خروج أهالي
هذه المدينة وطلب منه اكرامهم على الانتقاد وتسليم المدينة على أصول ما هو في العقد
فأمرهم القيصر بالوفاء فلم ينقادوا وأظهروا الجفاء وعصوه وأجابوا أن الصلح المبني على الذل
والعار والتحقير والصغار لا يعتد من القوانين الواجبة الامتثال فتركوهم ولم يتعرضوا لهم بعد
ذلك بمكره

وكان من شروط هذا الصلح أن طيودوسيس التزم لأطيلا ملك الهونية أن يسلم له كل من
فرعنده من الألمان والغوطية والطوائف التترية وكل من هرب من جيشه ودخل في خدمة
جيش طيودوسيس فلم يستطع الروم أن يجزوا هذا الشرط لانه يترتب عليه هلاك كثير من
ضباط الهونية الكبار الذين أبلاوا بلاء حسنا في حروب الروم وساعدوهم على النصر على
الهونية وامتازوا في ميادين الحرب بالبسالة والاقدام فألح أطيلا يطلبهم قيساما بالعهد فأرسل
اليه طيودوسيس سفراء يستعطفونه ويستميلونه الى الاعضاء ودس لبعض وزراء أطيلا ورشاهم
بالمال ليقتلوا أطيلا المذكور فلما وصل السفراء الى أطيلا قابلهم بغاية الازدراء والتحقير
وأذلهم غاية الاذلال ووضع مقامهم كما كانت الروم تفعل بسفراء الملوك الاجنبية أيام
عزهم وأبقاهم أياما خارجا عن مقر الحكومة قبل أن يتملوا بين يديه حتى أدركوا دلائل
الاهانة وداعى هذا التذليل وبعد عدة أيام دعاهم فساروا اليه يشقون صفوف العساكر حتى
وصالوا ديوانه فوجدوه لابسا ملابس الاتحاضين التترو ولم يكن سريره الملكي الا كرسيا
بسيطا فسجدوا أمامه وخضعوا له وقبلاوا الارض وعرضوا عليه رسالتهم وخاطبوه بالقساظ

العظمة والكبرياء على العادة الرومية القديمة فلم يجبهم الا بالفاظ الوعيد والتهديد وقال لهم وهو مغضب أتظنون أني اذا أردت الشكاية هل أبقى لكم مدينة من مدنتكم على وجه البسيطة فاذا أردتم لمدنكم التدمير ولسلطانكم السقوط فافعلوا ما تريدون فالأولاء القول وتلفوا معه في الخطاب فانطبع ورق فتعشموا الخيرو دعاهم الى مائدته فاستبشروا بذلك قيل ومن صدف الاتفاق أنه كان بديوانه أيضا يومئذ سفراء من رومة فأجلس سفراء الدولتين في المجلس بعد أمراء الهونية تحقيرا لهم وتصغيرا وكان الندماء مدة تناول الطعام يطوفون بالشراب على عادة ملوك البلاد الشمالية وكان أصناف اللاعبين وأرباب الهزل والمزاح يكثر من ألعابهم وحضر أيضا أسرى البلاد المغربية أمام أهل المائدة للمصارعة وعساكر التتار تعمل شكل محاربة والاعاني تتغنى بحروب طوائف الهونية وانتصار ملكهم أطيلا وتغلبه على سائر البلاد وكانت نساء الهونية جالسات على المائدة أيضا مع الرجال يتكلمن مع أهل المشرق بدون استحياء ولا احتفال واختلطن معهم ولا اختلاط الرجال مع الرجال

ثم أجاز اسفراء طيودوسيس بالانصراف وبعث من قبله سفراء الى القسطنطينية كلهم مميّزون بعلو المناصب والمراتب وعليهم رئيس اسمه ايديقون وكان في هذا الحين قد انكسرت شوكة الملكة بونخارية أخت طيودوسيس وضعف نفوذها في الديوان وصار الامر والنهي بيد خروساف انحصرت وكان الملك في قبضة يده فالتجسد خروساف المذكور مع بعض رجال الديوان والمقدم ويجلوس على أن يرشوا ايديقون رئيس السفارة المذكورة بالمال كي يثير فتنة على أطيلا الملك ويقتله ويخلص الروم من شره وأخبر طيودوسيس بما اتفقوا عليه فوافقهم رغما عما جبلت عليه طباعه من المسالمة وبغض الباطل وأهله فعلم أطيلا الملك بمكرهم ولكنه كان أكرم نفسا حيث وقعوا في يده وعفاه عنهم وأعادهم الى القسطنطينية وصفح عن طيودوسيس ليريه أنه أشرف نفسا وأعلى هممة وذلك أنه لما انكشف سر الطواشي وقومه واتضح أمرهم بعث طيودوسيس المقدم ديجلون الى أطيلا ومعه ثلثمائة رطل ذهب فدية المتعصبين على قتل الملك ولما كان ديجلون المذكور من اتفق مع الطواشي على هذه الفعلة قبض عليه أطيلا وسأله في شأن ذلك وقرره فاعترف فعفاه عنه وبعث سفارة أخرى الى القسطنطينية كان فيها الامير اسلار وآخر اسمه أغسطة فلما تمثلا بين يدي طيودوسيس تسكلم اسلار يقول اني مأمور من طرف ملك الهونية أن أقول لكم ان القيصر طيودوسيس والملك أطيلا كلاهما من سلالة ماجدة ذات نسب رفيع وحسب منيع غير أن أطيلا قد أظهر مقام أجداده في حروبه وغزواته وأبان مجدهم في صولاته وغاراته وأثبت نخره بدليل العمل أما طيودوسيس فانه لطيشه وعدم تبصره في عواقب الامور قد أبان أنه ليس أهلا لحياة شرفه ونبله وانه لم يخلف أباه الكرام بل يخس بنفسه وأخل بناموسه وناموس أهل مملكته حيث رضى بالذل والهوان وأن يدفع لملك الهونية جزية توجب الصغار فكأنه يدفعها قد أشهد على نفسه أنه عبد رقيق الملك الهونية الذي رفع الدهر مقداره وأيد مجده ونفاره فكان يجب على القيصر حينئذ أن يسلك أمام أعين سيدنا مسالك آحاد الناس من

الرعية ويتمسك بالصدافة وحق العبودية ويظهر لسيدته (أطيلا) كمال الطاعة والاحترام ولا يلبق به الكفران بنعمة عليه ويعمل على قتله فإنه سار بهذا الفعل الذميم سير عبد السوء اللثيم

وكان طيودوسيس عند سماعه هذا الكلام جالسا على سرير جده طيودوسيس الأكبر المصوغ من الذهب صامتا ولم يكن قبل ذلك قد طرق أذنيه غير المدح والاطراء من قومه فلما أسمعه اسلار كبير السفارة هذا الكلام ثبت نفسه وقوى جاشه وأفرغ أذنه للسمع مع ما كان فيه من الخجل ومزيد الوجل ولم يظهر سامة ولا ملالة ثم رسم بتسليم وزيره خروساف الطواشي لأرباب السفارة وانتخب عدة من أمراء ديوانه منهم ليونيوس خازن دار المملكة وانطونيوس رئيس جند الحرس القيصري وأرسلهم سفارة من عنده الى الملك أطيلا لتسكين غضبه واستجلاب رضاه * قيل وكان لم يزل في الدولة المشرقية رمق الفخار وبقية من المجد القديم فكان لبعثة هذه السفارة وقع حسن عند ملك الهونية اذ رأى في ذلك غاية التعظيم له فسمي اليهم وسامح القيصرو عفا عنه وعن الطواشي والمقدم وجميع من اشترك في هذه الفعلة وأحسن على طيودوسيس برد عدة مدن مما كان قد أخذ منه وفك كثيرا من الاسرى الرومانيين عدا ما كان قد طلبه من الهاريين من عساكره الى العسكر القيصري ووجد عقد الصلح ولكنه طلب كثيرا من المال فدية عن قتل الطواشي لا تقدر الدولة على دفعه يومئذ * واتفق بعد عقد شروط هذا الصلح أن خرج طيودوسيس على جواد للترهة فكباه الجواد فسقط على الارض فانكسرت فقار ظهره وفارق الدنيا وذلك سنة أربع وستين وأربعمائة للبلاد أى سنة اثنتين وسبعين ومائة قبل الهجرة وله من العمر ثلاث وخسون سنة فكانت مدة حكمه نحو ست وأربعين سنة قال بعض الكتاب وفي السنة الخامسة عشرة من ملكه كان ايقاظ أصحاب الكهف من رقدتهم واختلف في حكايتهم المفسرون وأرباب السير والخبار وتلخيص ذلك * أن بعض القياصرة الرومانيين شدد وطأة الجود على رعاياه واضطروهم الى عبادة الاوثان والذبح للطواغيت وكان في الروم كثير من الناس على دين المسيح ومن أولئك القياصرة دوقسوس الملك وهو المسمى أيضا دقليانوس زاد في العتو والشدة على النصارى وأمر بعبادة الاوثان وقتل كل من خالفه وكان ينزل بلاد الروم ليكره الناس على ذلك فنزل على مدينة افسس التي هي الآن أباصولوق أو مدينة منبج ببلاد أناطلي بقصد اكراه أهلها على ذلك فكبر هذا الامر على أهل الايمان فهربوا منه في كل جهة فجعل الوثنيون من أهل المدينة يجثون عن الختفين ابدلوا عليهم دقليانوس فيضيرهم بين القتل والذبح للطواغيت فن اختار عبادة الله قتله ومن أطاعه في ذلك تركه

فلما رأى ذلك الفتية الثمانية وكانوا من أبناء أشرف الروم وعظمائهم حزنوا حزنا شديدا واشتغلوا بالعبادة والتضرع الى الله تعالى فيبينهم يصلون في مكان لهم اذ دخل عليهم

أعوان الملك فوجدوهم سجدا يتضرعون فرفعوا أمرهم الى دقلياوس فأمر باحضارهم
خضروا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا فقال لهم مابالكم لاتتقدون بغيركم من حيث الذبح
للالهة فاما أن تذبجوا لآلهتنا كما يذبج الناس واما أن أقتلكم فقال له كبيرهم مكسلينا أما
الطواغيت فلا نعبدها فاصنع مابدالك وقال بقية الفتيمة مثل ذلك فجردهم من ملابسهم ومن
حلى الذهب والفضة وقال انى أراكم شبابا فلا أحب أن أهلككم قبل أن أجعل لكم
أجلا تراجعون فيه عقولكم

وانطلق دقلياوس بعد ذلك الى مدينة أخرى قريبة لبعض أمور فلما علم الفتيمة بخروجه
وأنه ان رجع يذكركم فأتعروا بينهم أن يأخذ كل رجل منهم نفقة من بيت أبيه يتصدق منها
ثم يتزود بالباقي ثم ينطلقون الى كهف قريب بالمدينة يقال له منخلوس يعتكفون فيه لعبادة
الله حتى اذا جاء دقلياوس الملك أتوه ليصنع بهم ماشاء ففعلوا ذلك وانطلقوا بنفقتهم واتبعهم
كلب كان لهم حتى أتوا ذلك الكهف فلبثوا فيه ليس لهم عمل الا العبادة وجعلوا نفقتهم الى
فنى منهم اسمه تليخا كان من أجلهم وأجلدهم فكان يتناع لهم أرزاقهم من المدينة سرا
ويذهب متسكرا ويتجسس لهم الخبر فلبثوا على ذلك مدة

وقدم دقلياوس الملك المدينة فأمر بالمسيحين فذبجوا للطواغيت وكان تليخا يومئذ في المدينة
فرجع مسرعا الى أصحابه وهو يبكي وأخبرهم بالخبر فحصل لهم الفرع من ذلك ووقعوا سجدا
يتضرعون ويتعوذون بالله من الفتنة وكان تليخا قد جاءهم ييسير من الطعام فقال لهم
ارفعوا رؤسكم وكلوا وتوكلوا على الله تعالى ففعلوا وكان ذلك عند غروب الشمس ثم جلسوا
يتحدثون فيبيناهم على هذه الحال اذ ضرب الله على آذانهم في الكهف وكلهم باسط ذراعيه
بالوصيد وهو باب الكهف فأصابه ماأصابهم

فلما كان من الغد تفقدتهم دقلياوس والتهمهم فلم يجدهم فقال لبعض أصحابه قد ساءنى
هؤلاء الفتيمة الذين ذهبوا ولو جاؤا في الاجل المسمى وعبدوا الهى ما كنت لأجهل على أحد
منهم ثم أرسل الى آبائهم وتوعدهم بالقتل فاخبروه بانهم انطلقوا الى الكهف تخفى سبيلهم
فالتقى الله تعالى في نفس هذا القيصر أن يأمر بسد الكهف عليهم ليموتوا جوعا وأراد الله
أن يجعلهم آية لمن بعدهم وأن يبين للناس أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من
في القبور وكان في بيت الملك دقلياوس رجلان مؤمنان اسم أحدهما سندروس والثانى دوماس
فأتعروا أن يكتبوا أسماء الفتيمة وأنسابهم وخبرهم في لوح من رصاص ويجعلاه في تابوت من
نحاس ثم يجعلوا التابوت في البنيان قالوا لعل الله يظهر على هؤلاء الفتيمة قوما مؤمنين فيعلم
من يفتح عليهم خبرهم

وبقى دقلياوس مابقي ثم مات هو وقومه ومضت عدة أجيال وخلفه عدة من القياصرة
الى أن ملك على أهل تلك المدينة ملك صالح اسمه طيودوسيس قيصر الثانى وكان متمسكا

بدين المسيح ففي أيامه ألقى الله في نفس رجل من أهل ذلك الجبل الذي فيه الكهف أن
يبنى فيه حظيرة لغنمه فاستأجر عاملين فجعلوا ينزعان الأحجار التي على باب الكهف ويبنيان
بها تلك الحظيرة حتى فرغ ماعلى فم الكهف من السد وفتح عليهم باب الكهف أذن الله أن
يستيقظوا من رقدتهم ويجلسوا في الكهف فجلسوا فرحين مستبشرة وجوههم طيبة أنفسهم
فسلم بعضهم على بعض كأنهم استيقظوا من ساعتهم التي يستيقظون فيها على عادتهم إذا أصبحوا
من ليلتهم التي يبيتون فيها ثم صلوا صلاتهم على عادتهم ولم يروا على وجوههم ولا ألوانهم شيئا
يكرهونه بل هم كهيتهم حين رقدوا وهم ينظنون أن ملكهم هو دقلياوس

فلما فرغوا من صلاتهم قالوا لتلميذا صاحب نفقتهم ائتنا يا أخى بالذى قاله الناس في
شأننا عشيمة أمس عند الجبار دقلياوس ظنا منهم أنهم رقدوا كعادتهم وإنما خيل لهم أنهم
طالت مدة نومهم عن العادة ثم قال مكسلينا لتلميذا انطلق الى المدينة لتسمع ما يقال في شأننا
بها هذا اليوم وما الذى نذكر به عند دقلياوس وتلطف ولا تشعر بنا أحدا وابتع لنا طعاما
وائتنا به فإنه قد نالنا الجوع وزدنا على الطعام الذى جئتنا به على العادة فإنه كان قليلا وقد
أصبحنا جوعا فأخذ تلميذا ورقا من نفقتهم التي كانت معهم مما ضرب بطابع دقلياوس
الملك وانطلق خارج باب الكهف فلما مرر بالبواب رأى الحجارة بعيدة عنه ففجب منها ولم يبال بها
حتى أتى باب المدينة متسكرا لئلا يراه أحد من أهلها فبعرفه فلما رأى تلميذا باب
المدينة رفع رأسه فرأى فوق ظهر الباب علامة الصليب فجعل يتظر اليها متعجبا ونظر يمينا
وشمالا فلم ير أحدا ممن يعرفه فترك ذلك الباب وتحول الى باب آخر فرأى مثل ذلك فقبل
له أن المدينة ليست بالتي كان يعرفها ثم رجع الى الباب الذى أتى منه فجعل يتعجب منه ومن
نفسه ويقول ياليت شعرى أما هذه عشيمة أمس وقد كان المؤمنون بالمسيح يخفون هذه
العلامة ويستخفون بها ثم دخل المدينة فجعل يمشى في سوقها فيسمع كثيرا يحلفون
بالله ثم بالمسيح فزاده ذلك عجباً ورأى كأنه حيران ولقي فتى من أهل المدينة فقال ما اسم هذه
المدينة فقال افسس فدنا من الذين يبيعون الطعام فأخرج الورق التي كانت معه فأعطاهما
رجلا منهم وقال له يا عبد الله بعنى بهذه الورق طعاما فأخذها الرجل ونظر الى نقشها
وعجب منها ثم طرحها الى آخر فنظر اليها وهكذا جعلوا يتطرحونها بينهم من رجل الى رجل
وهم يعجبون منها ثم جعلوا يتسارون ويقول بعضهم لبعض ان هذا الرجل قد أصاب كنزا فلما
رأهم يتسارون من أجله ظن أنهم فطنوا به وعرفوه وأنهم يريدون أن يحملوه الى دقلياوس
الجبار فارتعدت مفاصله وقال لهم افضوني حاجتى فقد أخذتم ورتقى والافأمسكوا طعامكم
فلا حاجة لي به فقالوا من أنت يا فتى وما شأنك والله لقد وجدت كنزا من كنوز الأولين
وتريد أن تخفيه عنا فانطلق معنا وشاركنا فيه والا أتينا بك الى السلطان فنسلمك اليه فلما
سمع قولهم عجب في نفسه وصار لا يدري ما يقول فلما رأوه لا يتكلم طوقوه بكسائه في عنقه

وجعلوا يقودونه في سكك المدينة مكبلا فاجتمع عليه أهل المدينة صغيرهم وكبيرهم وهم محدقون
 به ثم اختطفوه وانطلقوا به الى رؤساء المدينة * وكان للمدينة رئيسان صالحان يدبران أمرها
 اسم أحدهما أرسوس والثاني اصطفوس فلما انطلق به اليهما ظن تلميذا أنهم انما انطلقوا به
 الى دقليانوس فجعل ياتفت يمينا وشمالا والناس يسخرون به فلما تمثل بين يدي أرسوس
 واصطفوس ورأى أنه لم يذهب به الى دقليانوس كما كان يظن أفاق لنفسه فأخذ كل من أرسوس
 واصطفوس الورق ونظرا اليها وعجبا منها ثم قال له أحدهما أين يافتي الكنز الذي وجدته ان هذا
 الورق يشهد عليك أنك قد وجدت كنزا فقال تلميذا ما وجدت كنزا ولكن هذا ورق آبائي من
 نفس هذه المدينة ووالله ما أدري ما شأني ولماذا أقول لكم فقال أحدهما من أنت فقال تلميذا
 أنا من أهل هذه المدينة فقال له من أبوك ومن يعرفك بها فأنبأهم باسم أبيه فلم يجد أحدا يعرفه
 ولا أباه فقال له أحدهما أنت رجل مفتر لا تخبر بالحق فنكس تلميذا رأسه الى الأرض فنههم من
 قال أنه رجل مجنون ومنهم من قال أنه يتغابي ليخلص منكم فنظر اليه أحد الرئيسين نظرا
 شديدا وقال أظن أننا نرسلك ونصدقك في قولك ان هذا مال أبيك ونقش هذا الورق قديم وأنت
 غلام شاب تظن أنك تسخر بنا ونحن ولاة المدينة وخزائنها بأيدينا وليس عندنا من هذا الضرب
 درهم ولا دينار فلا بد من أن تعذب عذابا شديدا أو توتق حتى تقر بالكنز الذي وجدته * فقال
 تلميذا أنبؤني عن شيء أسألكم عنه فان فعلتم صدقتكم ما عندي فقالوا سل لانكتمك شيئا قال
 ما فعل الملك دقليانوس فقالوا لانعرف اليوم على وجه الأرض ملكا بهذا الاسم وانما كان
 وهلك من دهر طويل فقال تلميذا فوالله لم يصدقني أحد من الناس بما أقول لقد كنا قبية
 الملك دقليانوس وأكرهنا على عبادة الاوثان والذبح للطواغيت فهر بنا من عشية أمس في
 الكهف فبنينا فلما انتهينا خرجت لاشترى لاصحابي طعاما وأتخس لهم الخبز فاذا أنا كما ترون
 فانطلقوا معي الى الكهف أريكم أصحابي * فلما سمع أرسوس واصطفوس قوله قالوا يا قوم لعل
 هذه آية من آيات الله سبحانه جعلها لكم على يدي هذا الفتى فانطلقوا بنا معه ليرينا
 أصحابه فانطلق معه أرسوس واصطفوس وانطلق معهما أهل المدينة نحو أصحاب الكهف
 لينظروهم * ولما رأى أصحاب الكهف أن تلميذا احتبس عنهم بطعامهم وشرابهم عن
 الوقت الذي كان يأتهم فيه ظنوا أنه قد أخذ وذهب به الى دقليانوس فينماهم يظنون
 ذلك ويتخفونه اذ سمعوا الاصوات وصهيل الخيل فظنوا أن القادمين هم رسل دقليانوس
 بعنهم اليهم ليأتوا بهم فقاموا حين سمعوا ذلك وقالوا انطلقوا بنا الى أخينا تلميذا فانه الآن بين
 يدي الجبار دقليانوس ينتظر حتى تأتيه مع الرسل فينماهم على هذه الحال اذ وفد عليهم
 ارسوس وأصحابه ووقفوا على باب الكهف وقد سبقهم تلميذا ليطنهم فدخل عليهم وهو يبكي
 فلما رأوه يبكي بكوا معه ثم سأله عن شأنه فاخبرهم بجزئه فعرفوا عند ذلك أنهم كانوا نياما
 باذن الله ذلك الزمن وانما أوقفوا ليكونوا آية للناس وتصديقا للبعث وليعلموا أن الساعة
 آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور

ثم دخل على أثر تليخا أرموس فرأى عندهم تابوتاً من نحاس مخنوماً بخاتم فضة فقام
بباب الكهف ودعا رجلاً من عظماء أهل المدينة وفتح التابوت فوجدوا فيه لوحين من
رصاص مكتوباً عليهما أسماء الفتيّة وأنهم هربوا من ملكهم دقليانوس الجبار خوفاً أن يقتلهم
عن دينهم فدخلوا في هذا الكهف وان دقليانوس لما أخبر بمكانهم أمر بسد الكهف عليهم
بالخجارة وأنا كتبنا شأنهم ليعلم من بعدهم ان عثر عليهم * فلما قرأوه عجبوا جداً ثم دخلوا على
الفتية الكهف فوجدوهم جلوساً ووجوههم مشرقة ولم تبل ثيابهم فخرّ ارساروس ومن معه
سجداً لله تعالى فأنبأهم الفتيّة عن الذي لقوه من ملكهم دقليانوس فبعث ارسوس وأصحابه
يريداً الى الملك طيودوسيس أن يحل بالحضور الملك تنظر آية فتيّة بعثهم الله تعالى وكان قد
توقاهم منذ دهر طويل فلما اتصل الخبر بالملك قام لساعته ومعه أهل المدينة حتى صعدوا نحو
الكهف وأتوه فلما رأى الفتيّة طيودوسيس الملك فرحوا به وخرّوا سجداً على وجوههم وقام
طيودوسيس أمامهم ثم اعتنقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الأرض ثم قالوا له نستودعك الله
ونقرئك السلام حفظك الله وأمد في أيام ملكك وبينما الملك قائم اذ رجعوا الى مضاجعهم
فناموا وتوفي الله أرواحهم فقام الملك وجعل ثيابه عليهم وأمر أن يجعل لكل واحد تابوت
من ذهب فلما أمسى المساء ونام أتوه في المنام وقالوا له لم نخلق من ذهب ولا من فضة ولكن
خلقنا من التراب والى التراب نعود فأتركنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله
فأمر الملك حينئذ بتابوت من ساج فجعلوا فيه وأمر أن يجعل على باب الكهف مسجد
يصلى فيه وجعل لهم عيداً كل سنة فهذا حديث أهل الكهف على تعدد رواياته وذلك
من نومتهم الاولى في أيام الملك دقليانوس الى يقطعتهم في أيام الملك طيودوسيس وهو المسمى
تاودوسيسوس أيضاً وقد اشتهرت أيام طيودوسيس هذا بهذه الحادثة التي هي عبرة من
العبر

وفي أيامه مات ثاوفيلوس بطرك الاسكندرية في ثامن عشر ربه وقد أقام سبعا وعشرين
سنة وكان صاحب حجة وشدة في الدين قد خرجت به عن جادة الاعتدال فخرّب هياكل
الوثنيين بديار مصر وكسر أصنامهم كما تقدم بيانه ونفي في أيامه يوحنا فم الذهب واشتد الملك
ارقاديوس على الاربوسيين وضيق عليهم وأمر بأخذ الكنائس بعد أن حكوها نحو أربعين
سنة وأسقط من جيشه من كان اريوسياوطرد من كان في ديوانه وخدمه منهم وقتل من الخنفاء
خلقا كثيراً وهدم بيوت الاصنام في كل موضع * وفي أيامه بنيت كنيسة مريم بيت المقدس
وبني ارقاديوس الملك دير القصر الذي سمي بعد ذلك بدير البغل في جبل المقطم شرقي طرا
خارج مدينة فسطاط مصر وقد عفت آثاره الآن فلحقات أقيم بعده كيرلس وهو رابع
عشر م - وهو أول من أقام القومية في كنائس الاسكندرية وأرض مصر وكان في أيامه من
الحوادث ما سيذكر في حينه

ولما مات طيودوسيس الملك على ما تقدم بيانه تولت الملك بعده أخته بونخارية وزوجها
مرقافوس

(في الملكة بونخارية والملك مرقافوس زوجها)

ثم قامت بالامر الملكة بونخارية ببيع لها بالملك بعد موت أخيها طيودوسيس وذلك سنة
أربع وستين وأربعمائة للميلاد أى سنة اثنتين وسبعين ومائة قبل الهجرة فلما استقر بها
المنصب تزوجت بالامير مرقافوس وأشركته معها في الملك وذلك سنة سبع وستين وأربعمائة
للميلاد أى سنة تسع وستين ومائة قبل الهجرة * وتحرير الخبر أنه لما كانت دولة القسطنطينية
قد تقهقرت وانحط شأنها على عهد الملك طيودوسيس أخى بونخارية وكان قد طمع فيها العدو
وصارت على شفا جرف كما تقدم اتحدت كلمة وجوهها وأعيانها وأمراء عساكرها وأرباب
مجلسها وكافة الرعية على مبايعة بونخارية عسى أن تقوى بسياستها شوكة البلاد ويعود
لها رونقها ومجدها القديم وقد كانت بونخارية من الحزم وحسن السياسة على جانب عظيم
وفى تدبير الامور وضبط مصالح الرعية آية فكانت أول أنثى جلست على سرير ملك
الرومانيين فلما قبضت على زمام الملك نظرت في أمور أعداء الدولة العاملين على تخريبها
فأمرت فضرب عنق خروساف الوزير على باب الديوان بدون اقامة دعوى ولا عمل تحقيق
وتطرت في أمور غيره منهم فانطبعت لذلك هيبتها في قلوب الرعية وخافها أصحاب الغايات
وسارت كلمتها في أرجاء الحكومة ونفذت ومالت اليها قلوب الرعية واستبشروا بأيامها وعظموا
قدرها وظلت على هذا مدة * قال بعض أهل التاريخ ولكن لما كانت تعلم أن حكم
الانثى على الروم هو على خلاف الاصول والعوائد وكانت تخشى أنه ربما يترتب على استمرار
حكمها انفصام عروة الاتحاد التي بين الرعية والانحلال رابطة كلمتهم وكانت لا تنظر الا لخير البلاد
وسعادتها تزوجت بأحد أكابر المجلس وأعظمهم قدرا وهو الامير مرقافوس وكان عمره اذذاك
ستين سنة وألبسته الحلة الملكية وعاهدته على أن يحترم على الدوام ناموس نفوذها وأن يحافظ
على حقوقها الاشتراكية ولا يعمل الاعلى تأييدها في السياسة والتدبير وأن يتجاوز لها عن
حقوق المباشرة التي تقتضيها الزوجية لانها كانت نذرت أن لا تمكن أحدا من أن يفتضاها
وأن تترهب مدة عمرها فعاهدها مرقافوس على ذلك ووعدا أن لا يسها ووفى بوعد

وكان لبونخارية أختان وهما مريئة وارقادية فكانتا مثلها في الرهبانية وقد كتبت
صورة تندر بحفظ توليتهن على لوح مصفح بالجوهر وبعثته الى كنيسة أيا صوفية كانه
قربان لمريم العذراء أم المسيح عليهما السلام وكن لا يحضرن مجلس الرجال أبدا وكان قصرهن

أقرب شهما بالديروديو نهن عبارة عن معبد المترهبات وهن على غاية من النسك والتعبد مع العفة والتواضع * فلما استقر جرفيانوس المنصب أجرى السياسة في البلاد على ما تشتهى بولخارية من الحزم وحسن السلوك ورتب من القوانين ما يحا به الظلم وصرف به وجه العدوان عن الرعيمة وتجب اليهم وتطرا اليهم نظر الأب الحنون على ولده فعلق به قلوبهم وأحبوه حبا جبا

وبعث اليه أطيلا ملك الهونية بطالبه بالخراج المقرر الذي كان يدفعه الملك طيودوسيس وشدد في الطلب مع العظمة والكبرياء فرد عليه يقول قد انجلى الزمن الذي كانت تنتهك فيه حرمة الدولة الرومانية وخلا الدهر الذي كان يخل بناموس المملكة القيصرية وأما في عهدي هذا فاعلم اني لأعطي شيا بالاطوع والاختيار وأن لا يكون الامدادا واعانة على صيانة بلادك كما هي القاعدة بين الملوك المتعاهدين معي الخادمين لحكومتى وليس عندي لغيرهم عن يمدني من الاعداء جواب الا أن أرسل عليهم جنودا من الصناديد قلوبهم كالجلايد وأجسامهم من حديد وأي حديد * وبعث له أيضا سفراء بشافهونه بهذا الكلام فاغتاز أطيلا وكاد يتميز غضبا وأقسمت قبائل الهونية وتعاهدت على تدمير الدولة الرومانية وتخريبها ومحو اسمها ورسمها من الدنيا * قال أهل التاريخ وكتب أطيلا الملك القسطنطينية وملك رومة يقول

ان أطيلا مولاك وسيدك يأمرك أن تجهز له قصرك عاجلا لتلقاه فيه فهو حاضر ليأمرك بما تقتضيه المصلحة

ثم بعد أن بعث الجواب أتته الاخبار بما عليه ملك القسطنطينية من المنعة وماصارت عليه جنوده من الشدة والبأس تخافه وعاد الى مسيرته وأبقى معه شروط الصلح على ما كانت عليه وعقد النية على أن لا يغير على دولة المشرق الا بعد الاستيلاء على مملكة المغرب فسار صوب المغرب وتبعه كثير من ملوك الامم المتبربرة وأمراءهم ورؤسائهم يريدون الحرب مع رومة وجرمانيا فقامت بينهم الحرب على ساق وحى وطيسها في ميدان شالون من أعمال بلاد الفرنسيس وبعد واقعة هائلة جدا بذلك الميدان وقف جند الملك أطيلا وجند أعدائه متقابلين فخرج أطيلا من مكانه وبرز في وسط الصفوف وعليه الهبة والوقار وخاطب رؤساء عساكره وقد صكافوا مختلفي الاجناس فقال لهم لا تخافوا شيا فاني رئيسكم وقائدكم وصنم الحرب حاميك وقد تعودت النصر فيما مضى فلا أحرص النصر فيما بقي وقد كفل لكم أيضا النصر والتأييد جبن الروم وفتور همهم فهزيمهم لدينا محققة فن يصادمنا من الاعداء في حومة الميدان أو يطاردنا في حلبة الرهان فان كانت الخشية من طائفة الافرنجية فيبينهم الشقاق والاختلاس وسترون عن قريب أكثرهم منتظما في سلك جنودنا داخلا تحت ظل أعلامنا وبودنا وان خشيتهم الغوطية والبرغونية فان شوكتهم قد

ضعفت وطالما هربوا خوفا من أصحابنا عند الالتحام فان قلمهم انهم نزلوا هنا وهم مصممون على قتالنا فلا وما نزلهم الا محض الاستراحة من التعب وليس لهم قصد من حرب وقد اضطربت بينهم نيران الفتن وظهرت علامات الخلل والحن ولم يبادروا باطفاء ذلك ولم يعولوا على ما هنالك فسيروا أيها الشجعان على أعدائكم ثقة بالنصر والظفر واعتمادا على التأييد ولا مفر فليس فوق قوتكم قوة بشرية الى أن قال وقد أنطقني من أنطق كل شيء أن أقول هذه الكلمة اني أطعن العدو برمحى قبل أن تقاتلوه وأقتل كل جبان شر قتله

فلما فرغ من مقالته اتقدت نار الحمية في صدور الابطال والتحم الصفان فهجم الرومانيون على الهونية من كل جانب فأذاقوهم عذاب الهون وصبوا عليهم صيب المصائب ومزقوهم كل ممزق فخرج أطبلا الملك وسط الجنود وصار يزار كالاسد وينادى على عسكره بان يحملوا على العدو حملة رجل واحد فلم يفعلوا وعصوه ولم يصغوا لصوت ندائه وخاب منه الامل وكنت منه العزائم فكانت هذه أول مرة حرم فيها الطاعة من قومه ثم ولوا مدبرين فتنبعهم العدو وأعمل فيهم القتل حتى خرجوا عن البلاد وعادوا من حيث أتوا وجعل الروم يقتلون ويأسرون ويذبحون الاسرى صغارا وكبارا ذكورا واناثا ويسلبون ماشاؤا حتى قتلوا من النساء مائة صبية تحت سنابل الخيل وهذا كله من جهة بلاد الفرنسيس وما جاورها من الاقاليم * ولم تضعف الهزيمة عزم أطبلا بل سار الى ايطاليا قاصدا حربها واجتاز الالب وركب على المدينة المنجنيقات وكانت هذه أول مرة أغار فيها الهونية على ايطاليا بقصد فناء الرومانيين وكان قيصر رومة اذ ذاك ضعيف الشوكة والبأس لفتور همة الرومانيين وخولهم بعد العز حتى صاروا لا يستطيعون أن يقاوموا الهونية بغير الاستعانة بعساكر أجنبية فاستغاثوا بالملك آلاريق الغوطي ملك الغوطية واستجدوا بجنوده فأمدتهم ففويت عساكر الرومانيين واشتدت عزائمهم وهاجوا الهونية مهاجرة الابطال ولا زالت الحرب سجالا ثلاثة أشهر لم يحصل منها للهونية فائدة فقام العساكر على أطبلا وطلبوا منه أن يرفع الحصار عن المدينة ويرجعوا الى أوطانهم فراجعهم فلم يقبلوا وبيناهم على أهبة الرحيل اذ لمح أطبلا طائرا أهليا يحوم على أبراج المدينة ويبعد عنها ثم يعود فقال لكبار عساكره انظروا ان طيران هذا الطير هو فال السعادة والخير يشرنا بقرب النصر والتجاح وبعدنا بالين والفلاح فكانه ألهم أن هذه البلاد قريبة الدمار سريعة البوار فلتقو عزائمنا ونحمل عليها حملة رجل واحد والنصر يحادينا * فصدق الجنديا مقله واعتقدوا بين الطائر وقاله وقوى عزيمتهم وهجموا على مدينة اكيله وكان الملك محصورا بها فاخذوها عنوة ونهبوا وسلبوا وأسروا أهل المدينة ودمروها بالنيران فسهل بذلك الامر على أطبلا وصار يتغلب على جميع مدن ايطاليا ويفتحها قوة واقتدارا حتى وصل بعسكره الى مدينة ميلان فألقت اليه مقابلتها ولم ترفع في وجه قومه سلاحا * قال بعض أهل التاريخ * فلما دخلها وجد فيها لوحا منقوشا عليه صورة القيصر على سريرته وأمامه ملوك التتار يسجدون له فغضب وأحرق هذه الصورة وأمر أن يضعوا مكانها صورته

على كرسية حين يستقبل وفادة القيصريين عند دفعهم الجزية التي تقررت عليهم * ولم تكف الهونية ومن صعبهم من القبائل المتبررة بالسلب والنهب والقتل بل أهلكوا الحرث والنسل وخربوا الديار وقطعوا الأشجار وأحرقوا القرى والامصار وكان ملكهم أطيلا يحرضهم على العتق والفساد ويقول لهم انه لا يثبت زرع في مكان وضع فيه جوادى قدمه فكان أهل ايطاليا يهاجرون من بلادهم وهاجروا كذلك أهل البنادقة الى جزائر خليجهم وأسسوا بها مدينة البندقية التي يقال لها وندنق وبنوا مساكنهم على سدود وقناطر وعمروا البحر بالمداين والمنازل واجتمع عليهم من ألبانه الضرورة فصاروا شعبا وتألفت حكومة بلادهم من جمهورية مؤلفة من عشرين جزيرة متصلة وكل جزيرة محكومة بحاكم وكثرت عندهم الصنائع والزراعة واتسع نطاقها ثم قويت تلك الجمهورية وصارت غنية مثرية تسير بذكرها الركان

وبعد انتصار الهونية هذه النصر العظيمة على بلاد الرومانيين بعث قيصر رومة الى أطيلا ملك الهونية سفراء يلتمسون منه الصلح على قاعدة تتقرر بينهما فأجابهم الى ذلك وعقد صلحا كان من شروطه أن يتزوج أطيلا بنت من بنات قيصر رومة اسمها الاميرة هو فورية وكان قد سبق له أن خطبها من أبيها ورده فتزوجها في هذه الدفعة ومادري أن السم في الدسم قال أهل التاريخ اذ كانت علة موته وسبب هلاكه * فلما جلت اليه عمل لها الافراح يوما وليلة وأكثر فيها من الشراب ولم يزل يشرب ويتفكك حتى سكر وأخذت منه الخمرة مأخذها ثم قام وأخذ بيدها الى محل فراشه وقد كانت تبغضه جدا وتنفر منه فبات ليلته تلك معها وفي الصباح قام الخدم ينتظرونه فلم يخرج على عادته فلما أبطأ وعلم قومه بأبطائه دخل بعضهم نعيمته فوجدوه مضرجا بدمائه فقالت عشيته انه مات بالسكينة وقال الروم انه مات قتيلا قال بعض أهل التاريخ ولو بقيت دولته لكانت أشبه بدولة الاسكندر في الغزوات والفتوحات ولكنها شابهتها في الانقراض المستتب على مقاسمتها بين أولاده وأمرائه اذ ضاع بينهم الملك وذهبت شهرته فارتاحت لذلك خواطر الروم في المشرق والمغرب وزال عنهم البأس بموته وزوال ملكه

وقد كانت دولة القسطنطينية في أيام مرقيانوس غاية في الامن والراحة وصفو العيش وكانت الديانة المسيحية منصورة مؤيدة فلما كانت سنة سبع وستين وأربعمئة للميلاد أي سنة تسع وستين ومائة قبل الهجرة ماتت بونطارية فكانت مدة ملكها منفردة ومتمدة مع مرقيانوس زوجها ثلاث سنين فانفرد مرقيانوس بالملك سنة سبع وستين وأربعمئة للميلاد أي سنة تسع وستين ومائة قبل الهجرة الى سنة خمس وستين ومائة ثم مات في هذه السنة فكانت مدة حكمه منفردا أربع سنين وكانت مدة حكمه وحكم زوجته نحو سبع سنين وكان موته بعد زواجه بثلاث سنين وهو آخر قيصرية عائلة المشرق الاولى التي أولها ارقاديوس * وفي أيامه وأيام زوجته ظهر مذهب أوطاخي أحد القنوميين بمدينة القسطنطينية

وزعم أن جسد المسيح لطيف غير مساو لاجسادنا وإن الابن لم يأخذ من مريم شيأ فاجتمع عليه مائة وثلاثون أسقفًا وحرموه وزيفوا مقالته

واجتمع في هذه الايام بالاسكندرية كثير من اليهود في يوم الفصح وصلبوا جسما على مثال المسيح وعذبوا به فثار عليهم النصارى واقتتلوا فقتل بين الفريقين خلق كثير فبعث مرقيانوس الملك جيشا عظيما فقتل أكثر يهود الاسكندرية ومزق شملهم وأذاقهم مر العذاب فانكشوا وخافوا * وفي أيامهما أيضا كان المجمع الرابع من مجامع المسيحيين بمدينة خلدونية وسببه أن دسقورس بطررك الاسكندرية قال إن المسيح جوهر من جوهرين وأقنوم من أقنومين وطبيعة من طبيعتين ومشئنة من مشئنتين وكان رأى مرقيانوس الملك أنه جسد وأهل مملكته أنه جوهران وطبيعتان ومشئتان وأقنوم واحد فلما رأى سائر الاساقفة أن هذا رأى الملك خافوه فوافقوه على رأيه ما خلا دسقورس وستة أساقفة فانهم لم يوافقوه وكتب من عداهم من الاساقفة خطوطهم بما اتفقوا عليه فبعث دسقورس يطلب منهم الكتاب ليكتب فيه فلما وصل اليه كتابهم كتب فيه أمانته هو وحرّمهم وحرّم كل من يخرج عنها فغضب مرقيانوس وهم بقتله فأشير عليه باحضاره ومناظرته فأمر به فحضر ستمائة وأربعة وثلاثون أسقفًا فأشارت الاساقفة والبطاركة على دسقورس بالاذعان الى رأى الملك واستمراره على رياسته فقال إن الملك لا يلزمه البحث في هذه الامور الدقيقة بل ينبغي له أن يشتغل بأمور مملكته وتديرها ويدع الكهنة يبحثون عن الامانة المستقيمة فانهم يعرفون الكتب وخبره أن لا يعمل مع الهوى ولا يتبع غير الحق فقالت بونخارية زوجة الملك وكانت جالسة بازائه يادسقورس قد كان في زمان أبى انسان قوى الرأس مثلك فخرم ونفى من كرسيه) تعنى به يوحنا فم الذهب بطررك القسطنطينية) فقال لها نعم وقد علمت ماجرى لأمك وكيف ابتليت بالمرض الذى تعرفينه الى أن مضت الى جسد يوحنا فم الذهب واستغفرت فعوفيت * فحنقت بونخارية من قوله ولكته فانقطع له ضرسان وتناولته أيدي الرجال فنتفوا أكثر لحيته وأمر به مرقيانوس الملك فاجتمعوا عليه وحرموه ونفوه وأقيم عوضه برطاوس وهو من القائلين بمقالة الملك

ومن ذلك اليوم افترق المسيحيون وصاروا ملكية على مذهب مرقيانوس الملك ومتأصلين على رأى دسقورس * وكان ذلك في سنة ثلاث وتسعين ومائتين لدقلطيانوس * وكتب مرقيانوس الى جميع مملكته أن كل من لا يقول بقوله يقتل وكان بين المجمع الثالث وبين هذا المجمع احدى وعشرون سنة على ما قاله بعض الكتاب * وأما دسقورس فانه أخذ ضرسيه وشعر لحيته وأرسلهما الى الاسكندرية وكتب يقول للأحزاب بعد كلام هذه هى يا اخوتي نتيجة تعبى على الامانة فتبعه أهل الاسكندرية ومصر وتوجه الى محل نفيه فعبّر من بيت المقدس وفلسطين وعرفهم مقالته فتبعوه وقالوا بقوله وقدم عدة أساقفة على أمانته ومات وهو منفي في الرابع من توت فكانت مملكته أربع عشرة سنة وبقي كرسيه بغير بطررك بقية أيام مرقيانوس وقيل بل تولاه برطاوس * ولما اختلف دسقورس في مقالته ولم يقل بمقالة

مرقيانوس الملك دعا أصحاب مرقيانوس أصحاب دسقورس باسم اليعاقبة أو اليعقوبية وأطلقوا عليهم جميعا هذا الاسم واختلف في تسميتهم بذلك ف قيل ان دسقورس كان يسمى قبل بطركيته باسم يعقوب وانه كان يكتب وهو منقّى الى أصحابه بأن يثبتوا على أمانة المسكين المنقّى يعقوب * وقيل بل كان له تليذ اسمه يعقوب وكان يرسله وهو منقّى الى أصحابه فنسبوا اليه * وقيل بل كان يعقوب تليذ ساويرس بطرك أنطاكية وكان على رأى دسقورس فكان ساويرس يبعث يعقوب الى سائر المسيحيين ويثبتهم على أمانة دسقورس فنسبوا اليه * وقيل بل كان يعقوب هذا كثير العبادة والزهد يلبس خرق البراذع فسمى يعقوب البراذع من أجل ذلك وانه كان يطوف البلاد ويردّ الناس الى مقالة دسقورس فنسب من اتبع رأيه اليه وسموا يعقوبية * ويقال ليعقوب أيضا يعقوب السروجي والله أعلم بالحقيقة * وفي أيام مرقيانوس الملك كان سمعان الحبيس صاحب العامود وهو أول راهب سكن صومعة وكان مقامه بمغارة في جبل أنطاكية * ولما مات مرقيانوس وثب أهل الاسكندرية على بطراوس البطريك وقتلوه في الكنيسة وجعلوا جثته الى الملعب الذي بناه بطليموس وأحرقوه بالنار لانه ملكي الاعتقاد فكانت مدة بطركيته ست سنين وأقاموا عوضه ثيموثاوس الثاني وهو سادس عشرهم وكان متأصلا أى من القائلين بمقالة دسقورس بطرك الاسكندرية ووقع من الحوادث في أيامه ما سيذكر في محله

وقد خلف مرقيانوس الملك بعد موته ليون الاكبر المعروف بالاقدم

(في الملك ليون قيصر الاكبر)

(ويسمى أيضا)

(الاقدم)

ثم قام بالامر ليون الاكبر ببيع له بالملك سنة احدى وستين وأربع مائة لليلاد أى سنة خمس وستين ومائة قبل الهجرة وقد نشأ ليون المذكور بيلاد روم ايلي وكان الذي ساعده على ارتقاء هذا المنصب البطرك الامير اسبار الغوطي الذي كان في خدمة الروم وكان معدودا من أمجادهم وأبطال قوادهم وهو رئيس الاساقفة وكان مسموع الكلمة نافذ الاشارة مهيبا فعمل على مبايعة ليون المذكور واستمال اليه الناس والامراء فبايعوه بعد عناء كثير ولما استقر بليون المنصب أعاد الصلح مع أمراء الغوطية الشرقية اكراما لبطركهم الامير اسبار الذي أعانه على ارتقاء سرير الملك واستوثق على دوام الصلح معهم بأخذ طيودوريق بن طيودومير أحد ملوكهم رهنا في القسطنطينية وأدخلهم تحت الطاعة وكان عمر

طيمودوريق اذذاك ثمان سنوات ولم يفك أسره الا في زمن الملك زينون ثم سار لقتال طائفة
الوندال الذين هم أصول الاندلسيين واشتدت الحرب بينهم وكانت سجالا فبينما هم على هذا
الحال من الطعن والنزال واشتداد القتال اذ علم ليون بخيانة الامير اسبار البطرك وعمله على
تذليله وتنكيل قومه فسار اليه من فوره وقتله وقتل جميع عائلته ولم يراع له حرمة ولا معروفا
فكان لما فعله أسوأ وقع في قلوب الرعية ثم لم يلبث بعد ذلك أن مات في سنة خمس وثمانين
وأربعمئة لليلاد أى سنة احدى وخسين ومائة قبل الهجرة فكانت مدة حكمه أربع عشرة
سنة وخلفه ليون الثانى الملقب بالسلقى

(فى الملك ليون الثانى)

(الملقب)

(بالسلقى)

ثم قام بالامر ليون الثانى الملقب بالسلقى ببيع بالملك سنة خمس وثمانين وأربعمئة
لليلاذ أى سنة احدى وخسين ومائة قبل الهجرة * قال أهل التاريخ وهو سبط ليون الاكبر
ابن زينون السلقى نسبة الى سلوقية ببلاد أناطولى كان أمير العسكر المرباط فى احدى ولايات
أناطولى وقد أشركه جده لأمه معه فى الملك مدة حياته ثم خلف جده وكان عمره اذذاك أربع
سنتين فكفله أبوه زينون وكان يحكم بالنيابة عنه ولم تطل أيام ليون المذكور حيث مات فى
السنة التى ولى فيها فى حياة أبيه فانتقلت المملكة الى أبيه بالوراثة من ابنه ضد المعتاد فى
الممالك فقد * يسمو بطيب الفرع طيب العنصر * فكانت مدة ليون الثانى المذكور عشرة
أشهر لا غير

وبعض المؤرخين بسقط ليون الثانى هذا من عداد القياصرة فيجعل مدة التولية لابيه
زينون قبصر أصيلة

(فى الملك زينون والملك باسيلمقوس)

ثم قام بالامر زينون ببيع له بالملك فى نحو سنة خمس وثمانين وأربعمئة لليلاذ أى فى
أواخر سنة احدى وخسين ومائتين قبل الهجرة وقد كان زينون هذا أمير العسكر المرباط فى
اقليم ايسوريا من أعمال أناطولى وكان صهرا لليون الاكبر فلما مات ليون المذكور وانتقل
الملك بالوراثة الى ليون الثانى ولده الذى هو سبط ليون الاكبر ولى المملكة بالكفالة عن ابنه

فلما مات ابنه في حياته بعد عشرة أشهر كما تقدم وتولى هو الملك واستقر به المنصب قامت
فتنة عظيمة في المملكة وتطاي شررها في جميع العمالات وكان الذي قد أثارها على زينون
زوجة ليون الأكبر فقام رؤساء الأحزاب على زينون واتهموه بضعف العزيمة وفساد الرأي
وعدم قدرته على حماية الوطن وتدابير الدولة طردوه وذلك سنة تسع وثمانين وأربعمائة للميلاد
أي سنة سبع وأربعين ومائة قبل الهجرة فهرب من القسطنطينية ورجع إلى أنطاكي
ولبت بهاسنتين فقلد أرباب الفتنة بعد هروبه بأسيلقوس الخارجي المنصب فكان ماعله
زينون المذكور في بحر ولايته الأولى التي حسبها له أهل التاريخ مدة أولى أنه أيد الدين
المسيحي وعضده ونصره وأثبت وحدته بمرسومه المسمى (جمع الكاثوليكية واتحادهم)
وعند أهل التاريخ أنه لم ينشأ عن هذا المرسوم سوى الاختلاف في الدين وكثرة الفتن وتوالت
الحن بما لم يسبق له مثيل * وبعد لبت زينون عدة سنين بأنطاكي هب إلى استرجاع الملك
واستجد بالقوطية فأجده وأمدوه بالمال والرجال فسار إلى القسطنطينية وقاتل رؤساء
الأحزاب فقامت الحرب بين الفريقين واتصر زينون بعساكر القوطية عدة نصرات ومازال
حتى دخل المدينة وأعمل فيها السيف فقتل خلقا كثيرا جدا وجلس على سرير الملك ثانية
وذلك سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة للميلاد أي سنة أربع وأربعين ومائة قبل الهجرة * ولم
يستقر به المنصب حتى طغى واستعمل الظلم والجور وتجبّر وزاد الحدود في الطغيان ونسى ما صنعه
معه القوطية من الجبيل فجرد عليهم وحاربهم واشتد في قتالهم ورجع فقهر جميع أصحاب
الفتنة من أمرائه وبدد ثملهم تبديدا فلما تمت له الأمور على ما أراد انهمك على الذات
وانغمس في الشهوات فأبغضته الرعية وحقدت عليه وعلمت على هلاكه * فبينما هو يوما
مضطجع على فراشه سكران لا يعبى أذ دخل عليه بعض قومه فخلوه ودقوه حيا وذلك سنة
خمس وخمسمائة للميلاد أي سنة إحدى وثلاثين ومائة قبل الهجرة فكانت مدة ملكه عشرين
سنة منها سنتان لباسيلقوس وحده * وقد أعز زينون في أيامه المتأصلين أصحاب مقالة
دسقورس ورفع شأنهم لأنه كان على مذهب دسقورس وكان يحمل إلى دير يوقنا كل سنة
ما يحتاج إليه من القمح والزيت وغير ذلك فهرب ساويرس بطريرك الاسكندرية الملكي في
أيامه إلى وادي هبيب ورجع ثيموثاوس بطريرك المتأصلين من نفسه إلى كرسيه بالاسكندرية
فأقام سنتين ومات فكانت مدة بطريركيته كلها اثنتين وعشرين سنة على المشهور فأقيم بعده
بطرس الثالث وهو سابع عشرينهم وأصله من الاسكندرية وكان ورعا تقيا كابد من الشدائد
أكبرها ونفى ثم عاد ثانية فأقام ثمان سنين ثم مات في رابع هاتور وفي رواية سبع سنين وسبعة
أشهر وستة أيام * فأقيم بعده اثنا سيوس الثاني وهو ثامن عشرينهم فأقام ست سنين وفي رواية
سبع سنين ومات في العشرين من توت ولم يحدث في أيامه من الحوادث شيء يذكر * فأقيم
بعده يوحنا وكان متأصلا وهو ناسع عشرينهم وأصله من الاسكندرية وكان تقيا جدا وحدث
من الحوادث في أيامه ما سيذكر في حينه * ولما مات زينون الملك خلفه انسطاش الأول

(في الملك انسطاش الاول)

ثم قام بالامر انسطاش الأول بوضع له بالملك سنة خمس وخمسة لئلا يد أي سنة احدى وثلاثين ومائة قبل الهجرة وقد كان نشأ بمدينة ايليريا من مدن سواجل ايطاليا وهو من عائلة حاملة ثم دخل في خدمة العسكرية ونقل فيها الى أن صار من جلة ضباط القصر الملوكي المنوطين بمناظرة عدم رفع الاصوات والغوغاء وتسكين العامة حول القصر والزامهم الصمت فلذلك كان يلقب بالمسكت وما زال الى أن تزوج بالقيصرة اريانة أم القيصر زينون فسعت في اظهاره واعلاء شأنه وعملت على تقليده المنصب الملوكي واستمالت الى ذلك أرباب المجلس فنادوا بملكه وبايعوه في السنة المذكورة فكان في مبدا أمره محترما لدينه وعدله ميالا للجمارية ولما استقر به المنصب سلك مسالك الجور وتغيرت طباعه وانعكست أحواله فظلم الرعية وضيق عليها واستعمل الحرص في أموره فكرهته الرعية ومقتته وحقدت عليه وتمت الخلاص منه

وقد كان قبل ولايته حاقدا على بطريرك أنطاكية وكان يريد الايقاع به فصعد عن عزمه بالولاية فلما تمكن من المنصب وسار سيرته الرديئة من الظلم والعسف أجهد نفسه في الايقاع بالكاثوليكية وانتصر للاوثودوكسية فعزل مقدونيوس بطريرك الكاثوليكية وضيق على هذه الطائفة وبالغ في التنكيل بها فخرج في هذه الاثناء خارجي اسمه ويطاليانوس متعللا بأخذ النار للكنيسة وهو في الحقيقة انما يطلب الملك بجمع الجوع الكثيرة وأوقع الفتن وأثار المحن وحضر بقومه وعساكره تحت أسوار القسطنطينية وأقام على هذه الحال مدة من الزمان حتى كادت تفشل عصابة انسطاش ثم أحس بقرب خروج الرعية عليه وشق عصا طاعته فجعل يستميلها بالرفق وحسن المعاملة وأزال عنها بعض المكوس والمغارم وأنواعا أخر من المظالم كبيع المناصب والرتب فغضوا عنه ولكنهم مع ذلك حاقدون عليه وما زالت أيامه في اضطراب حتى مات سنة اثنتين وثلاثين وخمسة لئلا يد أي سنة أربع ومائة قبل الهجرة فكانت مدة ملكه سبعا وعشرين سنة كلها كدار وأحزان

وفي أيامه مات يوحنا بطريرك الاسكندرية فخلفه الكريسي بعده سنة لتفاهم الخلاف وكانت مدته تسع أو ثمان سنين وكان موته في رابع بشنس خلفه يوحنا الثاني المعروف بالحبيس وهو المتهم للثلاثين وأصله من الاسكندرية ولم يعلم من حوادثه شيء يذكر ومات في سابع عشرين بشنس فكانت مدته احدى عشرة سنة وكان تقيا ورعا محبا للجميع خلفه ديسقوروس وهو حادي ثلاثين وكان من الحوادث في أيامه ما سيذكر في حينه

ولما مات انسطاش خلفه في الملك يوستينيوس الاكبر ويقال له أيضا جوستينيوس الاول

(في الملك يوستينيوس الاكبر)

(ويسمى أيضا)

(جوستينيوس الاول)

ثم قام بالامر يوستينيوس الاكبر ببيع بالملك خدعة في سنة اثنين وثلاثين ومائة
للميلاد أى سنة اربع ومائة قبل الهجرة وهو رأس الدولة المشرقية المسماة باسم الدولة
(الجوستيانوسية) وقد كان مولده في بلاد روم ايلي وكان في أول أمره راعيا للماشية ثم
انتظم في سلك العسكرية وارتقى المناصب العالية في خدمة ليون قيصر الاكبر ثم ارتقى سرير
الملك بالتخييل والخداع والرشاوى والبراطيل فلما استقر به المنصب سلك في الرعية سبيل العدل
والرفق وأسكن الفتنة الدينية التي مات عنها انسطاس الملك وعمل على استتباب الامن وتوطيد
دعائم الراحة وأشركه معه في الملك ابن أخيه المدعو يوستينيانوس وسار سيرا حسنا للغاية فأجبت
الرعية ومالت اليه القلوب ووقعت في أيامه فتنة عظيمة جدا بين فرقتين من المسيحيين
احدهما تسمى الملة الخضراء والثانية الملة الزرقاء وهما من الفرق الزائغة التي لاخلق لها
وكانتا على طرفي نقيض فيما لا يستلزمه الدين المسيحي ولا التدين به فاشتدت يومئذ تلك الفتنة
وعلا لها وكادت تم البلاد ويتفاقم أمرها فعمل على تسكينها وقطع دابر الاحزاب وقتل
ويطاليانوس الذي كان رأس هذه الفتن فعاد الامن وسكنت الخواطر واطمأنت القلوب وبطلت
تلك البدعة أو كادت

وكانت طوائف اللاذخ الى هذا الحين يدفعون الخراج لكسرى فارس وكان لقيصر الروم
حق الرعاية عليهم فكانت الروم تطلب ذلك فجعلت تسعى وتعمل حتى أدخلتهم في حكم
القسطنطينية فكان ذلك سببا لانتقاض الصلح بين فارس والروم وأعقب ذلك وفاة يوستينيوس
الملك وتولى ابن أخيه يوستينيانوس بعده فهم الفرس عند ذلك بقتال الروم وركبوا عليهم
فشبت الحرب بين الفريقين على ما سيذكر في محله وكان موت يوستينيوس سنة احدى وأربعين
وخمسمائة للميلاد أى سنة خمس وتسعين قبل الهجرة فكانت مدة حكمه تسع سنين فاستقبل
ابن أخيه يوستينيانوس بالملك ولم تنل ديار مصر في أيامه شيئا من المزايا المادية ولا الادبية
غاية الامر أنها كانت حاصلة على بعض الراحة والطمأنينة بعد ازالة ما كان قائما بها من الفتن
من الاحزاب * وفي أيامه مات ديسقوروس بطرك الاسكندرية بعد أن أقام سنتين وقيل سنتين
وخمسة أشهر وكان موته في سابع عشرين من أيامه كتب ايليا بطرك بيت المقدس الى
يوستينيانوس الملك بأن يرجع عن مقالة ديسقوروس الى مقالة الملكية وبعث اليه جماعة
من الرهبان بهدية سنوية فقبل هديته وأجاز الرهبان بجوائز جليلة وجعل له مالا جزيلا لعمارة

السكنائس والديارات والصدقات وأوشك أن يقول بمقالة الملكية ويترك مقالة ديسقوروس فلما شاع الخبر بذلك جاءه ساويرس الذي كان بطركا للملكية واجتمع به وأعلمه أن الحق هو اعتقاد القائلين بمقالة ديسقوروس لا للملكيين فرسم بأن يكتب إلى جميع مملكته بقبول قول ديسقوروس وترك الجمع الخلق دوني فبعث إليه بطركا انطاكية بأن هذا الذي فعلته غير واجب وأن الجمع الخلق دوني هو الحق فكبر هذا الأمر على الملك ونفاه وأقام بدله فأمر ايليا بطرك بيت المقدس بجمع الرهبان ورؤساء الديارات فاجتمع لهم منهم عشرة آلاف وحرّموا الملك ومن يقول بقوله فأمر الملك بنى ايليا إلى مدينة (آيلة) فاجتمع عنده ثلث بطارقة الملكية وأساقفتهم وحرّموا الملك ومن يقول بقوله فلم يبال وظل على ما هو عليه من الشدة * وبموت ديسقوروس قام بعده تيموتاوس وهو ثاني ثلاثتهم وكان من المتأصلين ووقع من الحوادث في أيامه ما سيذكر في حينه

(في الملك يوستنيانوس)

(قيصر الاول)

استتب يوستنيانوس الاول بالحكم بعد موت يوستينيوس سنة إحدى وأربعين وخمسمائة لليلاد أي سنة خمس وتسعين قبل الهجرة وكان مولده في مدينة طرسيس ولم يستقر به المنصب منفردا حتى قامت الفتنة بين الأحزاب وعظمت وظهر أصحاب الملة الخضراء والملة الزرقاء ثمانية وقاموا يناظرون ويجادلون في الدين فانعقدت المجمع واشتدت المناظرة وما زالوا على هذا الحال حتى نال أصحاب هذين اللونين بعض الامتيازات ومنحوا من الملك شيا من الحقوق ولم تكف فتنهم تزول حتى ظهر بعض المشاكل السياسية وتجرد الملك للغزو والقتال فأرسل قائد جيوشه بليسيسيرس والطواشي نريس للغزو وغزوا قوطية ايطاليا ووندالية افريقية وانتصرا عليهما نصرة عظيمة وسار هو لقتال فارس وظفر بهم فاشترت سطوته وعلت كلمته ثم وجه عنايته إلى ترتيب الاحكام السياسية وتهذيب القوانين الملكية فرتبها أحسن ترتيب واشتغل باصلاح الامور الدينية وتنقيح العقائد المسيحية وكان متعصبا في دينه صاحب حجة وغيرة عظيمة * قال بعض الكتاب كانت حجة أقوى من معارفه * وتزوج بزوجة بدعيّة الجمال اسمها تيودوره فكان لها على قلبه كمال السلطة والولاء لا يكاد يخالف لها أمرا لاستيلائها على فؤاده فكانت سببا في تديس عهد ولايته وأعمالها كالمقطعة السوداء في تاريخه

وقد أغار كسرى قيصاد ملك فارس على عساكر الرومانيين وهم يبنون حصنا في طريق مدينة دارا على مقربة منها وقصد الفتك بالرومانيين وتخريب ذلك الحصن فسار إليه بليسيسيرس

قائد جيوش المشرق ونائبه لرده وتخليص الحصن منه فوقع الحرب بين الفريقين فانتهصر أمير الروم على فارس نصره عظيمة اشتهر بها بين الاقران وماقت هزيمة الفرس حتى وجهوا عساكرهم صوب ارمينية وكانت يومئذ منقسمة بين الروم والفرس ولما كانت ارمينية قريبة من الديار الشامية خاف الروم على الشام من أهل فارس فحول بيليسيرس عساكره صوب أنطاكية لقتالهم هناك وحاصروا المدينة فلم ينتصر بيليسيرس في هذه الواقعة ولم يظهر على نصبه ولكنه خلص الديار الشامية ومع ذلك لم تنكف فارس عن محاصرة انطاكية وهي يومئذ تحت الديار الشامية فلما رأى القيصر اشتداد الحال وتضييق فارس الحصار بعث قائده سبطاس بدلا من بيليسيرس فسار الى أنطاكية فلم يستطع أن يرفع الحصار عنها في أيام قوباز بن فيروز مع ما كان عليه قوباز المذكور من المذلة والاحتقار بين قومه لعدم استقامته دينا ودنيا وبقي قوباز محاصرا لانطاكية أياما كثيرة الى أن قتله العرب في مدينة الرى خلفه ابنه كسرى أنوشيران العادل في نحو حدود سنة تسعين قبل الهجرة * قال بعض أهل التاريخ فتغيرت بتوليته أحوال ديوان فارس بالمداين * وذلك انه لما جلس على سرير الملك وكان صغيرا قال لأصحابه اعملوا أفى عاهدت الله على أنه ان آل الملك الى أعيد آل المنذر الى الحيرة وأقتل طائفة المزدكية الذين أفسدوا أحوال الناس وهم أصحاب مزداك الذي خرج على عهد أبيه قوباز فتبعه أبوه وكان خليفة المزدكية قائما الى جانب السرير فقال هل تقتل الناس جميعا هذا فساد في الارض والله قد ولاك لتصلح لالتفسيده فذكر أنوشروان للخليفة المذكور معايبه وأمر بقتله فقتل بين يديه وأخرج وأحرقت جثته وأمر بقتل شيعته فقتل منهم خلق كثير وأثبت ملة المجوسية القديمة وكتب بذلك الى عماله وقوى جنده بالاسلحة وعمر البلاد وقسم أموال الزنادقة على الفقراء ورد الأموال الى أصحابها وأرجع المنذر الى الحيرة وطرد الحرث بن جرجة امرئ القيس عنها * قال بعض أهل التاريخ وكان الحرث كنديا فترتب على ذلك قتل جرجة المذكور وزوال دولة الكنديين وما جرى لامرئ القيس بعد قتل أبيه كان في عهد يوسطنيانوس قيصر الاول المذكور * وسند كرفصة امرئ القيس على سبيل الاستطراد ومحصلها أن أباه جرجة كان قد طرده لما هوى ابنة عمه فاطمة الملقبة بعنيزة وكان له معها يوم بدارة جرجة فنظم معلقته التي مطلعها * قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل * فلما بلغ ذلك جرجة أباه دعاهمولى يقال له ربيعة فقال له اقتل امرأ القيس وأتني بعينه فأخذه ربيعة وانصرف ثم ذبح جوذرا وأتى بعينه الى أبيه فندم جرجة على ذلك فقال ربيعة أبيت اللعن انى لم أقتله قال فأنتى به فانطلق فاذا هو في رأس جبل وهو يقول

فلا تتركنى ياربيع لهذه * وكنت ترانى قبلها بك واثقا

فرده الى أبيه ثم قال قصيدته المشهورة التي مطلعها

ألاعم صباحا أيها الطلل البالى * وهل يعمن من كان في العصر الخالى

وهل يعمن إلا سعيد مخلد * قليل الهموم ما يبيت بأوحوال

وفيها يقول

ولو أن ما أسعى لادنى معيشة * كفانى ولم أطلب قليل من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤث * وقد يدرك المجد المؤث أمشالى

وكان أبوه قد نهاه عن قول الشعر والتشبيب بالنساء فلما بلغه أنه لم يتقد لكلامه طرده
وبقى مطرودا حتى قتل بنو أسد أباه فبلغه ذلك وهو يجيل دمونه في أرض اليمن فشق ثيابه
وحزن عليه وحلف أن لا يشرب خرا ولا يغسل رأسه حتى يأخذ بثأره ثم انه استنجد ب بكر وتغلب
على بنى أسد فأنجده ثم هرب بنو أسد وتبعهم فلم يظفر بهم فوضع السلاح في كنانة وهم بنو
عمهم حيث بلغ اليهم بنو أسد ونادى امرؤ القيس بالنارات الملك فقالت له عجوز لسانك بثأر
فاطلب ثأرك فاستمر على وضع السلاح في كنانة ففأبوه وقيل انه أدركهم وقد تقطعت خيله
وكرت القتلى والجرحى وحجز الليل بينهم وهرب بنو أسد فأبى بنو بكر وتغلب أن يتبعوهم وقالوا
قد أصبت ثأرك فقال ما أصبت من كاهل ولا أسد أحدا وكاهل من كنانة قال بعض الكتاب
وهذا معنى قوله في قصيدة بأية

ألا بالهف هند اترقوم * هموا كانوا الشفاء فلم يصابوا

يعنى يحق لهند أخته أن تلهف على عدم ادراك بنى أسد وأخذ الثأر منهم وقوله من
قصيدة أخرى

والله لا يذهب شىء باطلا * حتى أبيض مالكا وكاهلا

ومع تخاذل بكر وتغلب عنه فقد طلبه المنذر بن ماء السماء فتفرقت جوع امرئ
القيس خوفا من المنذر فلما رأى ضعف أمره وطلب القوم له ذهب يستنصر بقبائل العرب
قبيلة قبيلة فلم ينصروه وقصد السموأل بن عاديا اليهودى فأكرمه وأقام عنده مدة ثم سار الى
بوسطنيانوس قيصر الروم وأودع دروعه عند السموأل وأنشد في مسيره قصيدته المشهورة
التي منها

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه * وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

فقلت له لا تبك عينك انما * نحاول ملكا أو نوت فنعدرا

ومات امرؤ القيس في عوده من عند قيصر في بلاد الروم عند جبل يقال له عسيب
بقرب مدينة أنقرة بالروم وأنشد عند ما أيقن بالموت بجانب قبر أخيه بدين امرأة غريبة فيه

أجارتنا ان الخطوب تنوب * واني مقيم ما أقام عسيب

أجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب

قال بعض أهل التاريخ ان بوسطنيانوس عجل عليه بحلة مسمومة بالزئبق وهو بعيد
وأبعد منه قولهم إن السبب في ذلك اكتشاف بوسطنيانوس عشقه لابنته ونظمه قصيدته التي
مطلعها * ألام صباحا أيها الطلل البالى * وقد سبق أنه قالها بعد اجتماعه بأبيه قال
بعض الكتاب ولعل من قال انه أنشدها عند قيصر بنى ذلك على قوله فيها ولو أن ما أسعى

البيتين السالفين ولادلالة فيهما على ذلك لاحتمال أنه بعد زوال ملك أبيه عن الحيرة كان يتطلب الملك ويسعى في الحصول عليه اه من بعض المؤلفات

ولنعد الى ما كنا فيه * فلما تولى كسرى أنوشروان الملك بعد أبيه خابره يوسطانيوس الملك في أمر الصلح ورفع الحصار عن أنطاكية فأجابه كسرى لذلك حيث كان يومئذ في شغل بأمور ملكه الداخلية وعقد مع القيصر شروط المحبة الدائمة والسلم المستمر قالوا والحقيقة أنه لم يكن الا مجرد مهادنة ومتاركة وقد هاب الملوك أنوشروان وهادوه بالهدايا السنية وكان ممن ورد عليه رسول ملك الروم يوسطانيوس بهدايا ونحف فنظر الى ايوانه وحسن بنيانه فرأى اعوجاجا في ميزانه فسأل عن سبب ذلك ف قيل ان عجوزا لها منزل في جانب الاعوجاج وان الملك رغبها في الثمن فأبت ولم يكرهها وبقي الاعوجاج من ذلك على ما ترى قيل فقال الرومي هذا الاعوجاج أحسن من الاستواء * قال أهل التاريخ ولاربعة وعشرين خلت من ملك أنوشروان المذكور ولد عبد الله بن عبد المطلب أبو صاحب الشريعة الاسلامية فكانت ولادته في عهد يوسطانيوس الملك وكذلك ولد صاحب الشريعة في السنة الثانية والاربعين من ملك أنوشروان كسرى فارس المذكور وفي عهد يوسطانيوس الثاني قيصر الروم

ولما تقررت قاعدة الصلح بين أنوشروان فارس ويوسطانيوس القيصر تجهز يوسطانيوس لقتال الوندال في افريقية وهم قبائل الاندلسية وسار لذلك في سنة سبع وأربعين وخمسة لليلاد أى سنة تسع وثمانين قبل الهجرة فلبثت الحرب سنة ويوسطانيوس لا ينفك عنهم حيث صمم على استرجاع جميع البلاد التي كانوا استولوا عليها وكانت في هذا الحين قد استحال شجاعة الوندال الى الجبن والفتور حيث داخلهم الميل الى الزينة الشرقية والتخلي بالترف والارتخاء وقد فقدوا النخوة والشهامة وركب بيليسيرس القائد السفن مع عساكره وسار الى قرطاجة فانتصر عليهم واستولى على المدينة وأخذ ملك الوندال أسيرا ثم طلبه ديوان القسطنطينية فسار اليها ودخل بموكب النصر الحافل فكان ملك الوندال في زفاف هذا الموكب تحفة من تحف الموكب يقاد بين الاسرى الوندالية في وسط الغنائم عرضة للمتفرجين ثم سار بعد ذلك الامير بيليسيرس القائد المذكور الى جزيرة سردينيا لينزعها من قبضة الوندال فظهر عليهم هناك أيضا واستولى على الجزيرة وصيرها من ملحقات قرطاجة فلم يقبل المتأصلون من أهل الجزيرة الدخول في زمرة الرومانيين ولم يرضوا أن يكونوا رعية الروم وأبوا أن يدخلوا في دين المسيحية وأصرروا على العصيان وبقوا على جاهليتهم مدّة من الزمان الى أيام موريقوس الملك الذي تولى في سنة ست وتسعين وخمسة لليلاد أى سنة أربعين قبل الهجرة

وتها يوسطانيوس الملك بعد فراغ عساكره من حرب الوندال وظهرهم عليهم لقتال الغوطية فرسم الى الامير بيليسيرس بفتح ايطاليا وأخذها من أيدي الغوطية وذلك سنة ثمان وأربعين وخمسة لليلاد أى سنة ثمان وثمانين قبل الهجرة فسار الامير بيليسيرس وبذل

الجهد وشدد في القتال فلم يتم الفتح على يديه فبعث يوسطانيوس الامبرنرسيس ففتح الله عليه وظفر بالغوطية وقهرهم وكانت شوكة الغوطية قبل هذا الحين قوية جدا في ايطاليا وكان يخشى منها كثيرا ولكن ما لبثت أن تمهقرت وانحطت وأخذت في التناقص فلم تقو على محاربة الرومانيين في هذه الحرب الاخيرة * وكان مركز قوة الغوطية في هذا الحين مملكة اسبانيا وكان لهم فيها ملوك أصحاب تدبير وحزم فتولى عليهم باسبانيا بعد ذلك ملك اسمه اطانا جلدوس كان قليل الحزم وملك آخر في ايطاليا اسمه آجيلا فكان خصما عنيدا لملك اسبانيا فتجهز كذلك آجيلا المذكور في سنة ست وستين وخسمائة للميلاد أي سنة سبعين قبل الهجرة لقتال جلدوس فاستعان جلدوس بعساكر الروم على آجيلا ففرح يوسطانيوس بذلك وسير البطريرك ابريوس الى ايطاليا فهزم آجيلا شر هزيمة وعاد منصورا فسير به يوسطانيوس الى اسبانيا فسار اليها وقاتل الغوطية فانتصر عليهم وأخذ منهم مدينة بلنسية وقرطبة وسائر مدن اقليم الاندلس الشرقية وأضيفت الى القسطنطينية وبقي قسم عظيم من الاندلس تابعا لدولة القسطنطينية الى سنة عشرين وستمائة قبل الميلاد أي سنة اثنتين قبل الهجرة * ونقض كسرى أنوشروان صلحه مع الروم باغراء الارمن والغوطية فقامت الحرب بينهم سنة ثمان وستين وخسمائة للميلاد أي سنة اثنتين وسبعين قبل الهجرة وزحفت عساكر فارس على الديار الشامية وهاجتها فردهم الامير بيليسيرس قائد جنود الروم وطردهم عن البلاد * قال بعض أهل التاريخ فانهزت قبائل اللاظ هذه الفرصة وألقت بنفسها في أيدي كسرى أنوشروان هي ومن حولها من بلاد البحر الاسود وخرجت من تبعة الروم فتقوت بهم عزبة كسرى وأنشأ مراكب الحرب بالبحر الاسود وعقد النية على تسخيرهم في تسييرها فلما أحسوا منه بذلك ندموا على دخولهم في قبضة يده وصمموا على العود الى طاعة الروم فنجحوا وتم لهم الامر وتألوا جميعا على طرد الفرس من بلادهم ففازوا وذلك سنة تسع وستين وخسمائة للميلاد أي سنة سبع وستين قبل الهجرة * واستمرت الحرب بين فارس والروم وطال أمدها وقتل فيها مالا يحصى عددا من الابطال ثم انتهت في سنة ست وسبعين وخسمائة للميلاد أي سنة ستين قبل الهجرة بعقد الصلح بين الطرفين واستقرت قاعدته بينهما على رجوع المملكتين الى حدودهما القديمة وارجاع كل شيء الى أصله

وانفق في سنة تسع وسبعين وخسمائة للميلاد أي سنة ثلاث وستين قبل الهجرة أن اتحد البلغار بالصقالبة من أهل الجنوب واجتازوا نهر طونة في الشتاء وهو متجمد مبلج وأغاروا على ولاية روم ايلي التابعة لدولة الروم وكان قائد هذه الجوع يومئذ الامير زابرطان وكان في ذلك العهد قد غضب يوسطانيوس الملك على قائد جيوشه الامير بيليسيرس وصرفه من خدمته فلزم العزلة والانكماش فلما كثر فساد تلك الجوع وتوالت اغاراتهم على البلاد وعاثوا فيها حتى أهلكوا الحرث والنسل ضاقت صدور أهل البلاد واستولى عليهم الخوف

والوجل واستغاثوا ولا مغيث وعلم الأمير بيليسيرس بما حل بالملكة وأنها في خطب شديد فقام واستمال لنفسه جند الحرس الملوكي وكثيرا من الاهالى ممن حملهم على حمل السلاح وسار بهم لقتال تلك الجوع فظفر بهم وطردهم صوب نهر طونة ففرح به الاهالى فرحا عظيما وأحبوه حبا ماعليه من مزيد وفاز بالفخر والشهرة بعد الخول ولكنه لم يلبث أن اتهمه أعداؤه بأنه يعمل على إثارة الفتن ضد القيصر وأنه يحرض أهالى البلاد فقبض عليه بوسطانيوس واعتقله وصادره وسلب أمواله فمات محزونا مقهورا وترك له في قلوب أهل البلاد أثر لا يمحي ثم مات بوسطانيوس حنفاً أنه سنة تسع وسبعين وخمسمائة للبلاد أى سنة سبع وخسين قبل الهجرة وكان موته بعد موت الأمير بيليسيرس بأشهر قلائل فكانت مدة ملكه ثمانيا وثلاثين سنة قيل وفي أيامه أناط بعض العارفين من أهل العلوم بتقنين القوانين وتنظيم اللوائح واستنباط القضايا المتنوعة والاحكام المتأصلة والمتفرقة واستخراجها من الكتب الرومانية وتنقيحها وتهذيبها فأجازت تلك القوانين لمن يتولى ملك الروم التصرف المطلق بحيث لا يكون مقيدا بفعل في سياسته ما يشاء ويختار * وحدث في أيامه طاعون هلك فيه كثير من الخلق ووقعت الزلازل الهائلة فكان منها زلزلة سنة خمس وستين التي هدمت أكثر المدن العظيمة ودمرتها تدميرا وقد حازت دولة القسطنطينية في أيامه شهرة كبيرة جدا * وكان حبه لمصر عظيما وبجب نجاحها وتقدمها ولذلك تعاهد مع نجاشي الحبشة بقصد جلب التجارة الى مدينة الاسكندرية غير أن نائبه عليها كان غاليا ظالما قد كلف أهل الاسكندرية مالا يطيقونه وأثقلهم بالمغارم وشد عليهم في أمورهم فكان ينهى من لا يقوم بوفاء تلك المغارم الثقيلة ويبعده وقد كان أقام عليهم بطركا اسمه طيودوسيس فقام جميع أهل الحرف والصنائع والاعيان ولم يقبلوه وتهددوا الوالى بالخروج ان هو أصر على ذلك فأمر قائد جنوده المدعو نرسيس فأحرق مدينة الاسكندرية وأقام طيودوسيس عليهم بطركا جبرا ولكنهم عزلوه وطردوه بعد موت بوسطانيوس الملك

ومات في أيامه ثيودوروس بطرك الاسكندرية ونفى فكانت مدته سبع عشرة سنة منها ثلاث سنين في النفي وقاسى شتات عظيمة جدا خلفه ايولاديوس وكان ملكا جفا واجتهد في رجوع المسيحيين بأجمعهم الى رأى الملكية وبذل جهده في ذلك وألزم نصارى مصر بقبول الامانة المحدثه فوافقوه ووافق رهبان ديارات بومقاد بوادى هيب هذا ويعقوب البرادعي يدور في كل موضع وينبت أصحابه على الامانة المستقيمة والقول بمقالة دسقورس * وأمر الملك جميع الاساقفة بعمل الميلاد في خامس عشرى كانون الاول وعمل الغطاس في ست نخلو من كانون الثانى وكان كثير منهم يعمل الميلاد والغطاس في يوم واحد وهو سادس كانون الثانى قلت وعلى هذا رأى طائفة الارمن الى يومنا هذا

وفي هذه الايام أيضا ظهر يوحنا النحوى بالاسكندرية وزعم أن الاب والابن والروح القدس ثلاثة آلهة وثلاث طبائع وجوهر واحد وظهر يوليان وزعم أن جسد المسيح نزل

من السماء وأنه لطيف روحاني لا يقبل الألم الا عند مقاومة الخطيئة والمسيح لم يقترب خطيئة
فلذلك لم يصب حقيقة ولم يتألم ولم يمت وانما ذلك كله خيال فأمر يوسطانيوس الملك ثيموثاوس
البطرك يومئذ أن يرجع الى مذهب الملكية فلم يفعل فأمر بقتله ثم شفع فيه فنقي كما تقدم
القول وما زال اولياديوس يدبر شؤون البطركية حتى مات فاقم بعده بولس وكان ملكيا
فأقام سنتين فلم يرضه المتأصلون وقيل انهم قتلوه وصيروا عوضا عنه ديلوس بطريركا وكان ملكيا
أيضا فأقام خمس سنين ومات فبلغ يوسطانيوس أن المتأصلين غلبوا على الاسكندرية ومصر
وأنهم لا يقبلون بطاركة فبعث الى الاسكندرية أثولنياديوس أحد قواد جنوده وضم اليه
عسكرا كثيرا فلما قدمها ودخل الكنيسة نزع ثياب الجند ولبس ثياب البطاركة وقُدس فهم
الناس برجعه فانصرف وجمع عسكره وأظهر أنه قد أتاه كتاب الملك ليقرأه على الناس
وضرب الناقوس في الاسكندرية يوم الاحد فاجتمع الناس الى الصلاة حتى لم يبق أحد فصعد
المنبر وقال

يا أهل الاسكندرية ان لم تتركوا مقالة اليعقوبية والا أخاف أن يرسل الملك من يقتلكم
ويبيع أموالكم ونساءكم فهموا برجعه وهو على المنبر فأشار الى العسكر فوضعوا السيوف فيهم
فقتل من الناس يومئذ مائة ألف نفس وفتر منهم خلق الى الديارات بوادي هيب وأخذ الملكية
كنائس المتأصلين ومن يومئذ صار كرسي المتأصلين في دير يومقاد بوادي هيب * وفي هذه الايام
أيضا ثار السامريون على أرض فلسطين وهدموا كنائس النصارى وأحرقوا ما فيها وقتلوا جماعة
من النصارى فبعث يوسطانيوس جيشا فقتلوا من السامريين خلقا كثيرا ووضع من خراج
فلسطين جلة وجدد بناء الكنائس وأنشأ مارستانا ببيت المقدس للرضى ووسع في بناء كنيسة
بيت لحم وبنى ديرا بطورسيناء وعمل عليه حصنا حوله عدة قلاع * قلت وهو باق الى يومنا هذا
وكذلك رتب فيها حرسا لحفظ الرهبان

وفي أيامه كان المجمع الخامس من مجامع المسيحيين * قال بعض أهل التاريخ وسببه أن
اريجانس أسقف مدينة نيج قال بتناسخ الارواح وقال كل من أسقف انقره وأسقف المصيصة
وأسقف الرها إن جسد المسيح خيال لا حقيقى فحملوا الى الاسكندرية وجمع بينهم وبين
بطريركها أوطس وناظرهم وأوقع عليهم الحرمان فأمر يوسطانيوس أن يجمع لهم مجمعا ورسم
باحضار البطاركة والاساقفة فاجتمع مائة وأربعون أسقفا وحرموا هؤلاء الاساقفة ومن
يقول بقولهم فكان بين المجمع الرابع الخلقدونى وهذا المجمع مائة وثلاث وستون سنة
وأقام القائد أثولنياديوس بطريركا مدة سبع عشرة سنة على المشهور ومات فقام بعده يوحنا
وكان منانيا فأقام ثلاث سنين ومات فتقوى المتأصلون بعد ذلك وأقاموا عليهم بطريركا اسمه
ناودوسيوس وهو ثالث ثلاثتهم فلم يقف الملكية عند حدهم بل أقاموا أيضا بطريركا ثانيا
اسمه اثيوس وشكوا المتأصلين فكتب الملك الى متولى الاسكندرية أن يعرض على بطريرك
اليعاقبة أمانة المجمع الخلقدونى فان لم يقبلها أخرجه وأقام بدله اثيوس فعرض عليه ذلك

فلم يقبل فأخرجه وأبعده وأقام بعده يوليس التنبسي فلم يقبله أهل الاسكندرية ومات فقفلت كنائس المتأصلين وأصايبهم من الملكية مالا يوصف من الأذى والشدة مما لا يحل ليراده هنا * ولما مات يوستانيوس الملك خلفه على سرير الملك يوستينوس الثاني

(في الملك يوستينوس) (قيصر الثاني)

ثم قام بالأمر يوستينوس الثاني ببيع بالملك في سنة تسع وسبعين وخسمائة لليلاد أي سنة سبع وخسين قبل الهجرة وكان حسن السيرة حميد الخصال مستقيماً عادلاً منصفاً أنسى باستقامة أحواله أعوجاج أسلافه ففرح به الناس وأخلصوا له في المحبة وحسبوه منه من الله سبحانه على عبادته بعد تلك الشدائد والخطوب ولكن لم يلبث أن تغيرت أحواله وتبدلت أطواره فانعكف على اللذات وأسرف في الشهوات وجار وظلم وترك تدبير الدولة لزوجه صوفية فترتب على ذلك فساد حال الأمة واضمحلال أحوال الدولة وذلك أنه لما كان ركن الدولة الرومية والمدير لأمورها والقائم بأعلاء كلمتها إنما هو الأمير نرسيس الطواشي وكان هذا الأمير ارتقى المراتب العلية في أيام يوستينافوس قيصر وكان حازماً مدبراً لأمور الدولة ساعياً في الصلح والحرب ميالاً لرفعة شأنها وأعلاء كلمتها فلما تولى الملك يوستينوس وسلم زمام الدولة لزوجه صوفية غارت منه وحقدت عليه وسعت به عند الملك وما زالت حتى غضب عليه وخلعه من منصبه فتقوى بخلعه أعداء المملكة وصاروا يراقبون الفرص للإيقاع بها * وقدمت في هذه الأثناء رسل من طرف خان التتار الهبارة على القسطنطينية يرغبون في معاهدة يوستينوس فأظهر التعاضم والابهة ولم يرض بمعاهدتهم وعقد مع خان التتركان معاهدة وتحالف معه على مناصرته على كسرى فارس وكانت هذه المعاهدة تؤذن أيضاً بفتح باب التجارة والمعاملة في وسط بلاد المشرق مع الدولة الرومية وكانت المناسبات بين الروم وفارس ما زالت قائمة على بعض الأمور فانتشبت الحرب بين يوستينوس وأنوشروان كسرى فارس لتنازعهما على بلاد أرمينية الفارسية فأغار أهل فارس على أراضي الروم وعاثوا وقتلوا ونهبوا وأسروا ثم انقطع الحرب بموت كسرى وقيصر إلى حين فلما مات كسرى أنوشروان تولى الملك بعده ابنه هرمز الذي سيأتي الكلام على ما وقع منه في محله إن شاء الله تعالى غير أننا نقول هنا حرصاً على الفائدة أنه يوم ملك هرمز المذكور نطق بالحكم في مقالة مطلعها * الحكم عماد الملك * والعقل عماد الدين * والرفق ملاك الأمور * والفطنة ملاك الفكرة * أيها الناس إن الله خصنا بالملك وعكم بالعبودية وكرم مملكتنا فأعتقكم بهامن عبوديتنا وأعزنا وأعزكم بعزنا وقلدنا الحكومة فيكم وقلدكم الانقياد لأمرنا * إلى أن قال ولاتسموا بالنسك رياء

ولا الرياء مراقبة ولا الشر شجاعة ولا الظلم عزما ولا الرحمة نعمة ولا الصنع عفافا ولا الاخذ بالفضل ذلا ولا العناية غفلة ولا الغدر ضرورة ولا الورع اجتهدا ولا الحيانة غنما ولا القصد تقيرا ولا البخل اقتصادا ولا الزهد مرواة ولا التواني تؤدة ولا الحياء مهانة ولا السفه صرامة ولا العجب كمالا ولا مالا يكون كائنا ولا المعاتبة مفسدة أيها الناس اجتنبوا المردول من هذه الامور المتشابهات وثابروا على ماتحظون به عندنا الى آخر ما قاله من الحكم البليغة والنصائح المؤثرة في النفوس التي لم يسبقه اليها قائل

أما يوسطينوس * فقال أهل التاريخ * انه سار في الرعية سيرة رديئة جدا فخار وظلم وسامها الخسف وألحت عليه زوجته صوفيه فتبنى طيبروس قسطنطين أمير جند الحرس الملوكي ثم مرض وأصابه الخبال في عقله ولبث على هذه الحال الى أن مات حتف أنفه في سنة اثنتين وتسعين وخسمائة أى سنة أربع وأربعين قبل الهجرة فكانت مدة ملكه ثلاث عشرة سنة خلفه في الملك طيبروس قسطنطين متبناه

(في الملك طيبروس قسطنطين)

(قيصر)

ثم قام بالامر طيبروس قسطنطين فيصير بويعل بالملك في اليوم الذي مات فيه يوسطينوس سنة اثنتين وتسعين وخسمائة للميلاد أى سنة أربع وأربعين قبل الهجرة وكان يوسطينوس قد عهد اليه بالملك من بعده باغراء من صوفيه زوجته كما تقدم القول وكان الحامل لها على ذلك حبها له وتعلقها به ورغبتها في التزوج به بعد موت يوسطينوس زوجها فلما استقر بطيبروس المنصب أعرض عن التزوج بها وتعادى على اعراضه فطاواته واستمالته وتحييت اليه فلم يقبل فلما أيست أنارت عليه الفتن والشور وعلمت على تذليله وحرضت العساكر على خلعه فلم تظفر بمرامها ولم تنجح في مسعاها ومع ذلك فانه لم يعاملها الا بالرفق واللين ولم يسلك معها الا سبل الحلم والصفح وكان حازما كريما متمسكا بالدين المسيحي أشد تمسك وكان يحب الديار المصرية كثيرا فلما علم أن أهلها شديدو التمسك بمذهب ديسقورس بذل الجهد في تثبيت أركان هذا المذهب فيها وهم بان يجعله معتقد جميع نصارى مصر وأيد كنيستهم وعضدها وجعلها راسخة القدم كما هي الى يومنا هذا

وقد قلنا فيما سبق ان الملك يوسطينوس كان قد ناوى فارس على الحرب وان الحرب تأخرت بموته وموت أنوشروان فلما تولى طيبروس الملك جرد جنوده على فارس وسار لقتال هرمز بن أنوشروان فقامت الحرب بينهما وكانت سجالا * قال بعض أهل التاريخ وكان هرمز

المدكور عادلا عاقلا كايه ينتصف للتظلم من الظالم وقد بالغ في ذلك جدا حتى أبغضه خواصه ومن مآثره انه اصطنع صندوقا ليلقى المنظم قصته فيه وكان يختم الصندوق بخاتمه لئلا تصل اليه أيدي بطانته وأمر باتخاذ سلسلة من الطريق نافذة الى مكانه وجعل بها أجراسا فكان المنظم يجيء فيحرك السلسلة فيعلم به وينتقم باحضاره وازالة مظلمته وكان مهيبا محسنا للسياسة جوادا أمضى من ملكه عشر سنين ولم يتحرك أحد من ولاته ولا خرج خارج من رعيته حيث كان أبوه قد مهد له الملك وسخر له الرعيمة ورتب له أمور الدولة ولم يخرج عليه الا طيبروس ملك الروم وآخرون من ملوك الخوارج وكان خروج طيبروس في ثمانين ألف فارس فانتصر على هرمز نصرات متعددة وجند فارس لم تزل متاربة على الحرب والروم تسعى في عقد الصلح فلم تتمكن من ذلك وما زالت الحرب قائمة على ساقها الى زمن موريقيوس قيصر كما سيأتي ذكر ذلك في محله * وطررد طيبروس قيصر التتار الهبارة الايغورية عن بلاده أيضا وأبعدهم الى بلاد المجار والافلاق والبغدان وكانت أيامه مسعودة وغزوانه موفقة فكانت الرعيمة تودلوتدوم عليها أيامه ويمتد سلطانه عسى أن يعيد للبلاد رونقها القديم وبهجتها الاولى الآن المنية اخترمته في أقرب وقت فمات حتف أنفه سنة ست وتسعين وخمسمائة للميلاد أي سنة أربعين قبل الهجرة فكانت مدة ملكه أربع سنوات وقد عهد قبل موته بالملك لزوج ابنته الامير موريقيوس القائد الشهير خلفه على سرير الملك

(في الملك موريقيوس وهو موريقيوس)

(ويقال له أيضا)

(مورثيوس طيبروس)

ثم قام بالامر موريقيوس زوج ابنة طيبروس بعهد منه في سنة ست وتسعين وخمسمائة للميلاد أي سنة أربعين قبل الهجرة وكان قائدا لفريق من الجيوش الرومية فاشتهر بالبسالة والاقدام وكان موفقا في حروبه فانتصر على فارس عدة نصرات فأحببه طيبروس الملك جدا شديدا وزوجه ابنته وعهد اليه بالملك من بعده

فلما استقر به المنصب دبر فأحسن التدبير ورتب الامور وقد حاز غاية الفخر والشهرة لانه أعاد الى كرسى سلطنة فارس ابرويز خسرو بن هرمز بعد أن كان قد فر منها عقب فتنة عظيمة لابس باراد خبرها هنا لان لها علاقة بتاريخ بعض القياصرة المتأخرين * وبيان ذلك أنه لما خرج على هرمز ملك الروم وملك الخزر والترك وكانوا كلهم أعداء له ويخشى منهم على مملكة فارس أحضر اليه قائدا من قواده صائب الرأي مسموع الكلمة اسمه

بهرام جوبين * ومعنى جوبين اليابس الصلب * وكان بهرام جوبين المذكور شجاعا مبارزا طويلا أعجمي كأنه العود اليابس فأعدده لقتال أعدائه فسار لقتال قبائل التركان فاشتد عليهم وهزمهم ونهب وسلب وأسر وأجلى الجمل الغفير منهم عن البلاد واستولى على مدن كثيرة وأرسل بذلك الى هرمز كسرى تخاف عند ذلك هرمز على ملكه من بهرام جوبين المذكور وحقد عليه فقامت بينهما فتنة واشتدت حتى أدت الى القتال فانهزأ أكثر العساكر الى جانب بهرام وصاروا له عوناً على هرمز وكان ابرويز بن هرمز مطروداً من أبيه مقيماً باذربيجان قبله ما كان عليه أبوه من حالة الضعف وخشي من استيلاء بهرام جوبين على الملك فقصداً ابرويز أباه وأمسكه وسمل عينيه ولبس التاج وجلس على سرير الملك فكان من ابتداء ملك هرمز الى استقرار ابنه ابرويز في الملك نحو ثلاث عشرة سنة ونصف سنة قال أصحاب التاريخ وصار ملك فارس الى ابرويز في السنة التاسعة عشرة من مولد صاحب الشريعة الاسلامية وطال ملكه الى أن خلفه ابنه شيرويه في السنة السادسة من الهجرة كما سيأتي ذكر ذلك في محله * وكان قد بعث اليه صاحب الشريعة الاسلامية كتابه مع دحية الكلبي يدعو الى الاسلام فزقه ابرويز شذراً مذر فعدا عليه صاحب الشريعة بأن يمزق الله ملكه كما مزق هو الكتاب فأرسل ابرويز الى عامله باذان ملك الين أن يقتل صاحب الشريعة فعين باذان الى المدينة فاصداً لينظر في انفاذ هذا الامر بطريق الحيلة فلما جاء القاصد الى صاحب الشريعة أخبره صاحب الشريعة أن كسرى ابرويز قتله أولاده اليوم فعاد القصاد الى باذان خاسراً خائباً وحادثه بالخبر فلما صح قيل ان باذان أسلم وحسن اسلامه وخالف بهرام ابرويز كسرى المذكور وخرج عليه مظهراً أنه يريد الانتقام منه نظير ما فعله بأبيه هرمز فجرت بينهما حروب هائلة كانت نهايتها تغلب بهرام على ملكة فارس وأخذته تاج الملك تخشى ابرويز من بهرام أن يقيم والده الاعشى ملكاً بالاسم ويتصرف هو في الملك ويستفحل أمره فانفق مع خواصه على قتل أبيه هرمز نخفته ولحق بموريقس ملك الروم مستنجداً به على بهرام جوبين فلامه موريقس على ما فعله بأبيه أولاً وثانياً ومع أن ابرويز كان من أشد أعداء موريقس فقد أخذ بناصره ولم يرد خائباً وأرسل معه جيشاً بجواراً مقدمه الامير قومنديولس فانتشب القتال بينه وبين بهرام جوبين ولبثت الحرب ثلاث سنين متتابعة حصل فيها ثلاث وقائع هائلة غير الحروب الصغيرة وتم الامر بانتصار خسرو ابن ابرويز على بهرام فهرب بهرام الى خراسان عند ملكها شاريه شاه وكان جد ابرويز لاهم فدرس لبهرام من يقتله بالسم فهلك بهرام بخراسان وعاد ملك فارس الى ابرويز ففرق في عساكر الروم أموالاً جلية ثم أهادهم الى موريقس بعد ان أقاموا أربع سنين وكان موريقس قد اشترط على كسرى أن يعيد اليه ما كان قد استلبه بهرام من البلاد الرومية وعاهده على ذلك سنة خمس عشرة وستائة للميلاد أي سنة احدى وثلاثين قبل الهجرة وبذل موريقس الجهد في اخفاق تثار الهيرة وتمزيق شملهم فبعث اليهم قائد جيوشه

قطفريهم على سواحل نهر طونة في خمس وقائع غير أنه أسرفها من عساكر الروم اثني عشر ألف نفس وطلب خان الهيرة من موريقيس القداء وجعل على كل رأس منهم ديناراً وكان موريقيس شديد البخل فلم يرض بذلك فطلب نصف دينار فأبى أن يعطيه شيئاً قال بعض أصحاب التاريخ فغضب خان التتار من فعال موريقيس فأمر بالأسرى فذبحوا عن آخرهم فقام الروم وصار يطلب الوالد ولده فلم يجد الوالد أباه والزوجة زوجها والآخر أخاه فعملوا أن ما أصابهم من قبل التتار وأن السبب في ذلك موريقيس فقاموا عليه وكان الأمير فوقاس القرمانى أحد قواد العساكر الرومية خارجاً عن القسطنطينية في هذا الحين فلما علم بخبر الفتنة وتحقق كراهة الرعية للملك وقيامها عليه سعى في استمالة الجنود الخارجة عن طاعة الملك فقالوا اليه وبابعدوه بالملك فزحف بهم على القسطنطينية وناوش من فيها ثم تملكها بعد حروب خفيفة جداً فلما دخلها قبض على موريقيس الملك وأولاده وضرب أعناقهم جهاراً وجلس على سرير الملك وكان أولاد موريقيس الذين قتلوا معه يومئذ ستة كلهم ذكور

وفي أيام موريقيس مات تودوسيوس بطريرك الاسكندرية بعد أن أقام اثنتين وثلاثين سنة وقيل إحدى وثلاثين قضى منها ثمانية وعشرين سنة منفياً مبعداً عن الاسكندرية في صعيد مصر وفي رواية أن مدة نفيه كانت أربع سنين لا غير وكان موته في ثامن عشر بؤنة وفي أيامه جدد المتأصلون كنيستين في سنة ثمان وأربعين ومائتين لادقطيانوس وخلف تودوسيوس المذكور بطرس الرابع وهو رابع ثلاثتهم وكان متأسلاً فأقاموه في خفية بدير الزجاج بالاسكندرية قدمه ثلاثة أساقفة وكان من الجوادث في أيامه ماسيدكر في محله * وظهر في أيام موريقيس الملك أيضاً راهب اسمه مارون زعم أن المسيح طبعته ومشيته واحداً وأقنوماً واحداً فتبعه أهل حجة وقسرين والعواصم وجاعة من الروم ودانوا بقوله فعرفوا بين المسيحيين إلى يومنا هذا بالمارونية أو الموارنة فلما مات مارون هذا بنوا على اسمه دير مارون بحماة وهو قائم إلى يومنا هذا

(في الملك فوقاس)

(قيصر)

ويقال له أيضاً

(فوقا)

ثم قام بالامر فوقاس قيصر جلس على سرير الملك في اليوم الذي قتل فيه موريقيس

وجميع أولاده سنة ست وعشرين وستمائة للميلاد أى سنة عشرين قبل الهجرة وكان فوقاس هذا عتلا زنيما منهمكا على اللذات والشهوات كثير الحرص والطمع قليل الحساب جبانا وكان بكره المصريين ويميل الى نكايتهم فرسم بان يحظر عليهم التقليد بالمناصب الملكية والرتب والوظائف وكافة الخدمات الميرية فقامت لذلك فتنة في مدينة الاسكندرية قال بعض الكتاب وكان معظم القائمين من يهود هذه المدينة فقام عليهم فوقاس وقهرهم وألزمهم الدخول في الديانة النصرانية فدخلوها صاغرين وسكنت بذلك الفتنة وعادت الامور الى ما كانت عليه من قبل

وكان ابرويز خسرو بن هرمز ملك فارس قد رسخت قدمه في ملك البلاد بعد انتصاره بجيوش الروم على عدوه فطغى وبغى واحتقر الاكابر وظلم الأصاغر وأهان الرعية وسامها الخسف وكان قد عقد مع موريقيس صلحا كاذبا ولكنه لما علم يقتل فوقاس لصاحبه موريقيس أظهر الأسف والحزن عليه وأنه يريد الاخذ بشاره من فوقاس فجرد على فوقاس عسكريا جرارا واسترد من بلاد فارس التي كانت بيد الروم اقليم ارفقة والجزيرة وارمينه والشام وقطنة من أعمال أناضلى فنال الفرس من الروم وغلبوهم أشد الغلبة على بلادهم فصار ابرويز أعدى عدو لفوقاس ومع ضعف فوقاس عن مقاومته وعدم قدرته سير جيشا عظيما لقتاله وكانت جنود هذه الحملة جميعها تكره فوقاس وتتمنى انخذاله فساروا للقتال على كره فانتصر عليهم ابرويز وبدد شملهم فهربوا وتشتتوا وتقدم ابرويز بجنوده حتى صار على مقربة من قسطنطينية وكان بها رجل من ذوى الوجاهة والاعتبار اسمه فوثيوس وكان له زوجة بديعة في الجمال عفيفة قد تعلق بها فوقاس الملك وفضحها لانهما كره على الفسق وانعاسه في القبايح فلما حاصر ابرويز المدينة وضيق عليها وشدد على فوقاس قام فوثيوس المذكور مع بعض الروم وراسلوا الأمير هرقل والى بلاد افرقيصة سرا بان يقدم الى القسطنطينية ويخلصها من يدى العدو المحدث بها من كل جانب ويخلع فوقاس ويتولى الملك بدله وشددوا في طلبه وحذروه من عاقبة التأخير كيلا تسقط البلاد في أيدي الأعداء فلما وصل الكتاب لهرقل جهز عمارة سفن قرطاجة وسيرها مع ابنه من افرقيصة فرسا في بونغازها وجاء الخبر الى فوثيوس بمقدم هرقل فاندفع فوثيوس ومن معه من الروم الى اضرام نار الفتنة في جوف البلاد ضد فوقاس وما زالوا حتى اشتدت وعمت سائر الانحاء وقامت الرعية تطلب خلع فوقاس وتنصيب هرقل مكانه

ووصل هرقل وجعل يحتال على فتح البونغاز ودخول المدينة بينما كان فوثيوس يحاول مع أصحابه حصر فوقاس في قصره فقام لهرقل الدخول من بونغاز المدينة حتى تم لفوثيوس القبض على فوقاس فألقى به الى هرقل في سفينة وأوقفه بين يديه فنظر فوقاس الى هرقل شزرا وأغلظ في القول وكانت العامة على الشاطئ تطلب قتل فوقاس فعلت أصواتهم عند ذلك وصاحوا يقتل يقتل الساعة فأمر هرقل أن يسلم لهم فضربوا عنقه في الحال وعنق

جميع إخوته وأصحابه كما فعل هو بموريقس سلفه وبايعوا هرقل على ظهر سفينته بالملك وذلك سنة اثنى عشرة قبل الهجرة أى سنة أربع وعشرين وستمائة للميلاد فكانت مدة ملك فوقاس ثمان سنين

وفى أيام فوقاس المذكور سير كسرى ملك فارس جيوشه الى الشام ومصر فخرّبوا الكنائس بيت المقدس وفلسطين وكافة بلاد الشام وقتلوا المسيحيين بأجمعهم وأتوا الى مصر فأعانهم يهود مصر على قتل المسيحيين بها وتخريب كنائسهم فقتلوا ونهبوا وعاثوا وفعالوا مالا خيرا فيه وأقبلوا نحو القدس من طبرية وجبل الجليل وقرية الناصرة ومدينة صور وبلاد القدس بأسرها فتلوا يومئذ من النصارى كل منال وأعظموا النكاية فيهم وخرّبوا لهم كنيستين بيت المقدس وحرّقوا أماكنهم وأخذوا قطعة من عود الصليب وأسروا بطرك بيت المقدس وكثيرا من أصحابه ثم سار كسرى بنفسه من العراق لغزو القسطنطينية كما أشرنا الى ذلك فيما تقدم فحاصرها وضيق عليها أربع عشرة سنة ولم ينل منها

ومات فى أيام فوقاس بطرس بطرك الاسكندرية فكانت مدته سنتين انتين لم يدخل فيهما الاسكندرية لتغلب الملكية وضعف المتأصلين فأقام الملكية يوحنا المعروف بالرحيم بطريركا عليهم واتخذ المتأصلون فلم يقدرّوا على اقامة بطريرك منهم فدبر يوحنا هذا أرض مصر كلها عشر سنين ومات بقسبرس وهو فار من وجهه الفرس بعد دخولهم بلاد مصر فخلا كرسى الاسكندرية سبع سنين تخلوا أرض مصر والشام من الروم بأسباب الحروب وتوارى من بقي بها من المسيحيين خوفا من الفرس فحدث بسبب ذلك شدة عظيمة جدا

(فى الملك هرقل)

(قيصر)

ثم قام بالامر بعد فوقاس الملك هرقل بايعة الأهالى وأعيان المدينة والعسكر على ظهر سفينته بموغاز القسطنطينية فى اليوم الذى قتل فيه فوقاس الملك سنة اثنى عشرة قبل الهجرة أى سنة أربع وعشرين وستمائة للميلاد

قال بعض أهل التاريخ فكان مشؤم الطالع وقع فى أيامه من المجائب والحروب ما يذهل العقول ويحير الالباب وقد ذكرنا فيما سبق أن ابرويز بن هرمز ملك فارس كان قد حضر على مقربة من القسطنطينية لقتال فوقاس والانتقام منه جزاء ما فعله بصاحبه موريقس فلما علم بموت فوقاس وتولية هرقل تقوّت عزيمته ولم ينكف عن اثاره الحرب وتقدم الى قتال هرقل فخبره هرقل فى عقد صلح فلم يقبل وتطاولت عساكره الى الاغارة على الشام حيث كانت بلاد الموصل اذذاك فى قبضة ملكهم ثم أغاروا كذلك على ديار مصر وهاجوا

الشام وأحرقوا أنطاكية ودمشق ومدينة بيت المقدس حتى وصلوا الى طريق الحجاز وكان في عزمه أن يجس جميع المسيحيين في هذه الجهات أي يجعلهم عبادا للنار ويحرقهم ويقطع شفتهم ثم أرسل قائدا من قواده بجيش جرار الى ديار مصر وبلاد المغرب قتال من ذلك مانال وانتصر عليهم نصرات عظيمة ثم صالح مصر على أن تدفع له مالا معلوما كما كانت تدفع الى الروم وأعاد الكرة على بلاد الاناضول فاستولى على بلاد بروسه الواقعة في بوزار قسطنطينية سنة ثمان وعشرين وستمائة للميلاد أي قبل الهجرة بثمان سنوات واستعان ابرويز على تدوين الروم بقبائل التتار الهبارة الذين هم الاوارة وتعاهد معهم على أن يشنوا الغارة على اقليم روم ايلي فأغاروا عليه حتى وصلوا الى أسوار القسطنطينية وذلك قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين فتمت الهزيمة على الروم في بلادهم بآسية وأوروبا وحوصروا برا وبحرا فأيس هرقل من النصره وارجاع البلاد وعقد النية على المهاجرة الى تونس ببلاد المغرب اذ كانت يومئذ من أملاك الروم وأن يتقل سريره اليها فصده عن هذه النية بطرك القسطنطينية وما زال به حتى كف عنها

ولما منع بطرك القسطنطينية هرقل عن التخلي عن المملكة وعن الذهاب الى المغرب جمع البطريك المذكور أموال الكنيسة وأمتعتها الثمينة وأمد بها هرقل على حفظ ما بقي من دولة الروم من الزوال وكان هرقل قد استيقظ من غفلته فقوى جيشه وجأشه ونقل ميدان الحرب خلف جبل طورس وقاتل الفرس فانتصر عليهم في الموضع الذي انتصر فيه الاسكندر على دارا فكانت هذه أول غزوة انتصر فيها الروم على الفرس بعد التغلب في السنة الثانية من الهجرة ثم سير جنده بجرا حتى أرسى على طرابزان وتعاهد مع الخزر وأغار على خسرو ابرويز حتى كاد يتغلب على حدود مملكته وبدد شمل التتار المعاهدين لفارس وهزمهم على مقربة من القسطنطينية وكان قد تقوى بأربعين ألفا من الخزر فغزا فارس وأعاد جميع المدن والولايات التي كانت ملوكهم قد أخذوها وسار جنوده بعد ذلك الى المدائن بعد هزيمة الفرس عند الموصل * قال بعض الكتاب وكان بعض المنجمين قد أئذرا ابرويز بأن بعض ولده يغتاله فتشاءم ابرويز من جميع أولاده فحبسهم وكان في سجنونه ستة وثلاثون ألفا موثقين بالحديد فأمر لعتوه بقتلهم جميعا فنقم ذلك عليه أهل الدولة وأطلقوا جميع المسجونين مع أولاده ولم يقتلوا أحدا منهم وجعلهم الى شيرويه أحد أولاده فجري بين شيرويه وبين أبيه مراسلات وتفريع وقد قال شيرويه لآبيه في ختام المراسلة لا تعجب ان أنا قتلتك فاني انما أفعل كما فعلت أنت وأرسل شيرويه بعض أولاد الاساورة الذين قتلهم ابرويز وأمرهم بقتله فقتلوه في السنة السادسة من الهجرة وكان قد خلف ابرويز ثمانية عشر ولدا غير شيرويه المذكور فقتلهم شيرويه كلهم وجلس على سرير الملك فلما استقر به المنصب عقد الصلح مع الروم على الشروط التي اقترحتها هرقل كما شاء بلا خلاف فانحسم النزاع بين الفريقين وبطلت الحرب في هذا العهد

ولم تكن أم شيرويه بنت موريقيس قيصر الروم كما زعم كثيرون من مؤرخي الفرس وغيرهم حيث قالوا ان اسمها مارية وانه زوجها لخسروا برون حين استنجد به على أعدائه فان هذا بعيد * ولم تطل مدة شيرويه ولم يتمتع بالملك الا قليلا من الاشهر فانه لما سكنت الفتنة وانقطعت الحروب واستقر به المنصب الملوكي وكان قد علق بحب شيرين زوجة أبيه فراودها عن نفسها فامتنعت فضيق عليها ورمأها بالزنا وأراد قتلها ان لم تفعل فقالت أفعل على ثلاث خصال قال وما هي قالت تسلم لي قتلة زوجي فأقتلهم وتصعد المنبر فتبرئ مما قدفتني به وتفتح لي ناوس أبيك فان له عندي وديعة عاهدني ان تزوجت بعده أن أردّها اليه فدفع لها قتلة زوجها فقتلتهم وبرأها مما قاله لها وفتح ناوس أبيه وبعث معها الخدم فجاءت الى ابرويز فعانقته ومصت فصا مسموما كان معها فماتت من وقتها وأبطأت على الخدم فصاحوا فلم تردّ عليهم فدخلوا فوجدوها معانقة لابرويز ميتة رحها الله

وكان شيرويه المذكور سيئ المزاج كثير الامراض وكانت اخوته على خلاف ذلك قد كملوا في الخلق والخلق والادب قيل فقدم على ما فرط منه من قتلهم وجرع عليهم جرعا شديدا وانفق انه دخل لينظر مافي خزينة أبيه فرأى فيها برنية مكتوبا عليها (نافع مجرب لتقوية البلاء) وكان شيرويه المذكور مغرما بالنساء مولعا بحبهن فتناولها وكان الذي فيها سما وضعه أبوه ابرويز فلما ذاق منها مات لساعته فكانت مدة حكمه ثمانية أشهر لا غير ومات وعمره اثنتان وعشرون سنة خلفه ابنه اردشير * قلت وعلى ذكر ما فعله شيرويه المذكور بأبيه ابرويز وما جرى له بعد قتله لأبيه نذكر هنا حادثة ما جرى لمحمد المنتصر العباسي بعد قتله لأبيه المتوكل وهي أنه لما قتل محمد المنتصر المذكور أباه المتوكل ليتولى الملك بعده تحدث الناس بأنه لا يطول عمره بعده وشبهوه بشيرويه بن ابرويز حين قتل أباه ولم يتمتع بالملك بعده ف قيل أنه بعد أن جلس المنتصر على سرير الخلافة بعد أبيه فرش له بساط لم ير مثله وعليه كباة عجيبه بالفارسية فنظر اليها المنتصر نظر الاستحسان فاستحضر من يعرف الفارسية وأمره بقراءتها فأججم عن ترجمتها فقال له المنتصر قل وما عليك من بأس فقال مكتوب على هذا البساط أنا شيرويه بن كسرى قتلت أبي فلم أمتع بالملك بعده فتطير المنتصر من ذلك ونهض من مجلسه غضبان فلم تتم له مدة شيرويه حتى مات اه فان صح ذلك كان من غريب الاتفاق

هكذا ولما اطمأن الروم من اغارات الفرس وارتاح هرقل الملك من العناء تفرغ لتحقيق العقائد الدينية التي كانت في أيامه محلا للتراع وأخذ يجمع الجوع من العلماء ويعقد المحافل وغير ذلك وظهر المتأصلون بديار مصر بعد الانكماش فأقاموا لهم بطريركا منهم بعد خلو كرسي الاسكندرية مدة وهو داميافوس خامس ثلاثهم وكان راهبا بدير أبي مقار فلم يدخل الاسكندرية لقيام الملكيين وأخذهم جميع كائسها فما زال يعمل مع قومه حتى دخلها واسترد ما استولت عليه الملكية من كنائس المتأصلين ورم منها ما تشعث في أيام الفرس وجعل من ذلك العهد اقامته بالاسكندرية وأرسل اليه انبا سيموس بطريرك انطاكية هدية حجة جاعة من

الاساقفة ثم قدم عليه زائرا فتلقيه وسرّ جدا بقدمه وصارت أرض مصر في أيامه جميعها
للتأصلين نخلوها من الروم

ونار اليهود في أثناء ذلك بمدينة صور وراسلوا الباقين منهم وتواعدوا على الايقاع
بالمسيحيين وقتلهم فكانت بينهم حرب اجتمع فيها من اليهود زهاء عشرين ألفا وهدموا كنائس
النصارى خارج صور فتقوى النصارى عليهم وكاثروهم فانهمز اليهود شرهزيمة وقتل منهم خلق
كثير وكان هرقل الملك قد خرج من قسطنطينية ليهمد الشام ومصر ويحدد ما خربه الفرس
بعد تلك الحروب الهائلة فخرج اليه اليهود من طبرية وغيرها وقدموا له الهدايا الجليلة وطلبوا
منه أن يؤمنهم ويحلف لهم على ذلك فأمنهم وحلف لهم ثم دخل بيت المقدس وقد نلقاه
المسيحيون بالصليبان والجذور والشموع المشعلة فوجد المدينة وكنائسها وقيامتها خرابا
فساء ذلك وتوجع له فأعلمه المسيحيون بما كان من ثورة اليهود مع الفرس وابقاعهم بالمسيحيين
وتخريبهم للكنائس وأنهم كانوا أشد نكاية عليهم من الفرس وقاموا قياما كبيرا في قتلهم عن
آخرهم وحنوا هرقل على الواقعة بهم وحسنوا له ذلك فاحتج بما كان من تأمينه لهم وحلفه
فأفناه القسوس بان لاخرج عليه في ذلك فانهم عملوا عليه حيلة حتى آمنهم من غير أن
يعلم بما كان منهم وانهم يقومون عنه بكفارة عينية بان يلتزموا ويلتزموا المسيحيين كافة بصوم
بجعة في كل سنة عنه على ممر الازمان والدهور فقال الى قولهم وأوقع باليهود وقبعة شنعاء
جدا حتى أبادهم جميعا ولم يبق في ممالك الروم بمصر والشام منهم الا من فتر واختفى فكتب
البطاركة والاساقفة الى الآفاق بالزام المسيحيين بصوم أسبوع في السنة فالتزموا بصومه الى يومنا
الذي نحن فيه وعرف عندهم بجمعة هرقل وتقدم هرقل بعد ذلك بعارة الكنائس والديارات
وأنفق عليها مالا جزيلا حتى أعاد الكثير منها الى ما كان عليه من الرونق والبهجة ثم مات
حنف أنفه سنة تسع عشرة للهجرة أي سنة أربعين وستمائة للبلاد فكانت مدة ملكه إحدى
وثلاثين سنة وهو آخر من ملك مصر من ملوك القسطنطينية وكان في أيامه فتح جيوش المسلمين
لديار مصر كما سيأتي بيانه في محله ان شاء الله

(خاتمة)

(في ملاحظات تتعلق بديار مصر في أيام هذه الدولة)

(التي هي دولة الروم المسيحية)

(وفيما كان سببا سهولة فتحها على يد عمرو بن العاص وخدنة الروم)

اعلم أنه وإن كانت ديار مصر لم تنل في أيام دولة الروم تمام حظها من الراحة والعمار والتمدن وذلك لتوالي المصائب وعدم استقرار الأمور على حال من الأحوال غير أنها قد نالت منزلة أخرى وفائدة كبرى ألا وهي انسلاخها من دين الجاهلية وتدينها بالدين المسيحي فمع جميع مدنها وقراها واشتهر من هذا العهد أهلها باسم القبط فكانت الديانة الرسمية فيها الديانة المسيحية وكان ابتداء ذلك من اليوم الذي أصدر فيه الملك طيودوسيس الأول مراسيمه بوجوب اعتناق ذلك الدين وجعله الدين الرسمي كما تقدم الكلام فبقيت بها الحكومة مسيحية إلى السنة الثامنة عشرة من الهجرة أي سنة تسع وثلاثين وستمائة للبلاد عبارة عن مائتين وتسع وخمسين سنة وكانت مصر إلى هذا الحين معدودة من الولايات التابعة لدولة الروم بمدينة القسطنطينية وكانت في جميع هذه المدة محافظة على لغتها القديمة لاتسكلم الأهلها ولكنها أهملت طريقة الكتابة بالقلم البراني واعتاضت عنه بالكتابة اليونانية على الطريقة المستعملة بمدينة الاسكندرية فكانت لغتها قبطية قديمة وطريقة كتابتها يونانية ولا زالت على هذا الحال إلى يومنا هذا وقد تأخرت جدا إلى أن صار لا يستعمل منها إلا العبارات الدينية عند المؤمنين من الأمة القبطية * قال بعض الكتاب واعتري بعض ألفاظها تغيير يسير بحكم التلقى وبقي الباقي منها على ما كان عليه

فلما انتشرت الديانة المسيحية واتسع نطاقها وعظمت الراحة واستتببت الطمأنينة حينئذ عادت فصارت علة للحروب والمنافسات وسببا في اشتداد الخطوب والمجاذلات وتفاقم الخلل الداخلي وميدانا للخلاف بين أساقفة القسطنطينية وأساقفة الاسكندرية إلى حد افترقت معه الفرق وخرجت بسببه الخوارج واعتزلت معسمة المعتزلة وصرفت الأموال الطائلة من شبيعة الأحزاب وأصحاب الحل والعقد * وكان لفريق الاساقفة في هذا الحين غاية النفوذ والاعتبار في الدولة فكان ملوك الروم يعضدونهم على أغراضهم ويقومون بتنفيذ سائر رغائبهم ويبالغون في تعظيمهم واجلالهم ويخضعون لهم الخضوع التام بصفة كونهم أمناء الدين وكانوا يجنحون إلى صاحب الشوكة والاعتبار منهم ويميلون إلى حزبه ويساعدونه على تأييده ونصره فنجم عن

ذلك ضعف نفوذ الحكام وتعطيل سير الاحكام وعجزهم عن العمل الابشورة أولئك القوم حتى انهم كانوا اذا استقلوا برأيهم في شئ وعملوا بما تقتضيه مصلحة البلاد والشعب مثلا كان ذلك الطامة الكبرى على أولئك الحكام فيعزلون أو يقتلون أو يبعدون الى أقصى البلاد ولم يزل الحال على هذا الوصف حتى قامت الغيرة الدينية والحمية المذهبية بين الفرق على اختلافها وانتصر لكل مذهب من تلك المذاهب ملك من الملوك في أيام سلطانه وحقد على باقي المذاهب وخالفها وعمل على تذييلها أو محو آثارها فكانت الفتنة لا تكف الاياما ثم تهب باشد ما كانت عليه حتى افتتنت العائلات وحقد الاب على ولده والزوجة على زوجها والاخ على أخيه والابنة على أمها * هذا ما كان في القسطنطينية وقد امتد عرقه الى ديار مصر وسرى في أهلها وأمناء الدين بها فاختلقت فيها أيضا المذاهب وتشعبت المشارب وتفرقت الفرق وتحزبت الاحزاب وكان كل حزب منها له كمال النفوذ والسلطة على الحاكم السياسي فقامت من وراء ذلك الفتن وعمت الخطوب والاحن وأريقت الدماء هدرًا في الشوارع والازقة لاسيما بمدينة الاسكندرية وليس ذلك بين أمناء الدين والمتجادلين من المسيحيين فقط بل بين اليهود والمسيحيين أيضا لما بين الفريقين من البغضاء والشحناء الكامنة في الصدور وتربص كل فريق منهم الفرص للايقاع بالآخر * قال بعض الكتاب وبلغت سلطة أمناء الدين ونفوذهم يومئذ الى حد أن جماعة الاساقفة أو واحدا منهم افتتات على نائب مصر من قبل الروم وجع جوعا كثيرة جدا من رهبان دير البرية فصاروا جيشا ضخما وسار بهم لقتال يهود الاسكندرية فهزم النائب بمنع ذلك فلم يقدر اذ قام على أصحابه أولئك الرهبان وضربوا وجرحوا منهم خلقا كثيرا وقبضوا على خدامه فقره هاربا هو ومن كان معه الى مصر واستصرخ أهلها واستنصرهم فقاموا لنصرته وقبضوا على رئيس الفتنة فحوم وحكم عليه بالجلد ومازالوا يجادلونه حتى قضاوا عليه

وقد عظم الهول في ديار مصر واشتد عليها الكرب في القرن الذي قبل الهجرة اشتدادا عظيما رغما عن كل ما بذله بعض ملوك الروم من العناية بمنع الشقاق والخصام وتوحيد السلطة الدين في جميع البلاد المشرقية حتى انهم كانوا كلما شددوا في ذلك زادت الشحناء وقويت جيتهم المذهبية وتزايد عنادهم وتفرقت كلمتهم لاسيما وقد كانوا لا يعترفون لملوك الروم بحق التعرض للامور الدينية بوجه ما * قال بعض الكتاب وقد بلغ التعصب الى حد أن فرقة المتأصلين بكنيسة الاسكندرية تفرقت الى عشرة مذاهب مختلفة كان يسميها الملكيون قسوس الهراطقة كما كان المتأصلون يسمون أيضا الملكيين هراطقة ومعناها خوارج وكان القسيسون العشرة المذكورون في كنيسة الاسكندرية في أيام الملك زينون قيصر فلما علم بأمرهم وما عم عليه من الخلاف غضب وزاد المال المقرر على مصر فبلغ خمسمائة رطل ذهب فلما ملك انسطاش قيصر بعد زينون نظم دفتر العوائد تنظيما حتى أكثر الاراد كثرة باللغة واشتدت وطأة هذه العوائد على أهل البلاد فأصبحوا في قلق دائم وكدملازم ثم نهضوا الى

شق عصا الطاعة فاشتدت نار الفتنة وحدثت من الحوادث ذات الشأن ما لا يكاد يسمع
يُنظِّره في غابر الزمان فعمت بذلك الفوضىّة وتوالى قيام الاهالي في الازقة والحارات وكثر
الخوف بقطع الطرقات وتتابع الحريق والتخريب ونج من ذلك كله ما ترتب على حصول
الفتن الداخلية من البلبا والرزايا والحرب ودرس معالم العمران والمدنية وما هذا الاختلاف
المذاهب وتفرق الشيع وتحتزب الاحزاب وتعصب ولا الامور لفريق دون الآخر وقد
اجتمعت كلمة أصحاب التاريخ على انه لم يدب عرق هذا الفساد في ديار مصر الا بعد أن
فتحها ملوك القسطنطينية حيث كثر فيها الخلل وعمت القلاقل وفشا فيها الانهماك على الكبار
من الأعيان والأكابر والعريضة من الجنود والأصاغر ولم يكن لديها باعث آخر لاثارة نار
هذه الفتن غير ما أوجبه الدين فكان هذامن أسباب فتوح الاسلام للبلاد ودخولها في دور
آخر غريب لم يكن لعامتها في حساب وفي خلال هذه الخطوب المهمة والكروب الملهمة
وطى العرب أرض الشام وطرقوها وفصد المغاربة ديار مصر وكادوا يحتلونهم فقام عليهم عامل
الروم ودهمهم بالعساكر المصرية وأبعدهم فكانوا يعاودون الكرة عليها حيناً بعد حين
ولا ينفكون عنها طمعاً فيما باتت فيه من الضعف وتفرق الكلمة

ولما اشتدت المنازعات الدينية وعلا لهيها بين فريقين المتأصلين والملكية وطالت أيام
الفتنة وضاق خناق أهل البلاد وأعيتم الحيل من الأخذ والرد نهضوا الى الاستجداء بالعرب
على التخلص من الروم كما استجد شاور وزير العاضد العلوي على الترك بالروم فقبوا الى
المقوقس عظيمهم أن يرسل صاحب الشريعة الاسلامية ويخاطبه في الامر ففعل وبقي
السر مكتوما لا يعلم به أحد حتى استخلف عمر بن الخطاب فكان من قدوم العرب الى مصر
ونزولهم على بلادها ومعاونة القبط لهم على قتال الروم وتهديمهم السبل والعقبات أمام
جيوش المسلمين وامدادهم بالمال والميرة وجميع الاحتياجات الجندية ما سيذكر في محله
وكان آخر ملوك القسطنطينية على ديار مصر قبل الفتح الاسلامي الملك هرقل وكان
نائبه عليها المقوقس عظيم القبط فكان عدد ملوك القسطنطينية خمسة عشر ملكاً أولهم
طيودوسيس وآخرهم هرقل المذكور وكانت مدة ملكهم مائتين وتسعا وخمسين سنة كما رواه
أكثر أهل التاريخ

(تم الجزء الاول وبليه الجزء الثاني)

مبتدئاً بفذلكة من تاريخ العرب في الجاهلية الى ظهور صاحب الشريعة الاسلامية ثم

تاريخهم في الاسلام الى مجيء السلطان سليم بجيوشه وأخذ البلاد عنوة

وابسعه شعار الخلافة في سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة هجرية

أي سنة سبع عشرة وخمسمائة وألف

ميلادية والله سبحانه

المستعان

(فهرست)
الجزء الاول
من
تاريخ الكافي

(فهرست الجزء الاول من تاريخ الكافي)

صفحة	موضوع	صفحة	موضوع
	خطبة الكتاب	٢	التي كان تحت حكمها جزيرة اسوان
	المقدمة وفيها فصلان	٩	في الملك اسكاف الذي يقال له اسركاف
٩	الفصل الاول في دخول فوح عليه السلام السفينة وفيمن نزل مصر من ذريته	٣٧	» » دكارع الذي يقال له أيضا تنخرس
١١	الفصل الثاني في تاريخ مصر القديم وفيما يعتبره المصريون قاعدة لتأسيس مملكتهم	٣٨	» » أوتاس الذي يقال له أيضا آتوس
٢٤	كتاب الاول في ملوك الطبقات الثلاث وفيه أبواب	٤٠	الفصل السادس في العائلة السادسة التي قاعدتها جزيرة اسوان
٢٤	الباب الاول في الطبقة الاولى والطبقة العليا وفيه فصول	٤٠	في الملك آتي والملك تناشريكه
٢٥	الفصل الاول في العائلة الاولى الطينية في الكلام على الملك منا	٤٠	» » مريع الذي يسمى أيضا فيوس
٢٦	في الكلام على الملك أوتيس ومن ملك بعده من هذه العائلة	٤٢	» » مرزوع أومته سوفس الاول
٢٧	الفصل الثاني في العائلة الثانية المعروفة بالطينية	٤٢	» » نفركارع ويسمى أيضا فيوبس
٢٩	الفصل الثالث في العائلة الثالثة المعروفة بالمنفية	٤٣	» » مرزوع الثاني ويسمى أيضا مته سوفس الثاني
٣١	الفصل الرابع في العائلة الرابعة المنفية في الملك خوفو	٤٣	في الملكة نيتوقريس
٣٢	» » رع ددف	٤٤	الفصل السابع في العائلة السابعة والثامنة المنفية والتاسعة والعاشره
٣٣	» » خفرع	٤٤	الاهناسية
٣٤	» » منكورع المسمى أيضا منخرس	٤٦	الفصل الثامن في العائلة الحادية عشرة الطينية
٣٥	» » شبسكاف المسمى أيضا سبرخرس	٤٦	في الملك انتف الاول الذي يقال له أيضا انتف عا الاول
٣٦	الفصل الخامس في العائلة الخامسة	٤٨	الباب الثاني في الطبقة الثانية
		٤٩	الفصل الاول في العائلة الثانية عشرة الطينية
		٤٩	في الملك امنمحت الاول
		٥٠	» » اوسرتسن الاول
		٥٢	» » امنمحت الثاني

صحيفة	صحيفة
٧٢ في الملك توتوميس الثالث	٥٢ في الملك اوسرتسن الثاني
٧٥ » » أمنوفيس الثاني	٥٤ » » اوسرتسن الثالث
٧٥ » » توتوميس الرابع	٥٤ » » امنمحت الثالث
٧٦ » » أمنوفيس الثالث	٥٧ » » امنمحت الرابع وأخته
٧٨ » » أمنوفيس الرابع	الملكة سبك نفورع
٧٨ » » آي	٥٧ الفصل الثاني في العائلة الثالثة عشرة
٧٩ » » توت عنخ أمن	الطيبة
٧٩ » » حوربي أو حور محب ويسمى أيضا	٥٩ الفصل الثالث في العائلة الرابعة
رع سرخبر واستبن رع	عشرة السخاوية
٨٠ الفصل الثاني في العائلة التاسعة عشرة	٦٠ الفصل الرابع في العائلة الخامسة
٨٠ في الملك رمسيس الاول	عشرة
٨١ » » سيطوس الاول الملقب رعمان	٦١ في الملك سلاطيس المعروف عتد العرب
٨٢ » » رمسيس الثاني المعروف بسيزوستريس	بالوليد بن روفع
٩٠ » » منقفا الثاني ابن رمسيس الاكبر	٦٣ الفصل الخامس في العائلة السادسة
٩٩ في الملكة طوسير بنت منقفا الثاني وأخيها	عشرة الصانية
الملك منقفا الثالث	٦٣ في الملك آبابي أو أبوفيس الملقب رعما كنن
١٠١ في الملك سبتاح	الذي تسميه العرب الريان بن الوليد
١٠٢ » » سيتخت	٦٥ الفصل السادس في العائلة السابعة
١٠٣ الفصل الثالث في ملوك الدولة المنمحة	عشرة
للعشرين الطيبه	٦٥ في الملك ناعا الاول الملقب رعسكن الاول
١٠٣ في الملك رمسيس الثالث الملقب رع أو	الباب الثالث في الطبقة الثالثة
سرماميامون	٦٦ الفصل الاول في العائلة الثامنة عشرة
١٠٨ في الملك رمسيس الرابع	الطيبة
١٠٨ » » رمسيس الخامس	٦٧ في الملك أموسيس الاول الذي يقال
١٠٩ » » رمسيس السادس الملقب	له احمس الاول
بناميامون	٦٨ في الملك امنحوتب الاول
١١٠ في الملك رمسيس العاشر الملقب بنفر	٦٩ » » نخوتس الاول ويسمى أيضا
كاوورع استبن رع	توتومس الاول
١١٢ في الملك رمسيس الحادي عشر	٧٠ في الملك توتوميس الثاني
١١٤ » » رمسيس الثاني عشر	٧١ في الملكة حعتشيسو وتسمى أيضا رمكا

صحيفة	صحيفة
الاعرج	١١٥ في الملك رمسيس الثالث عشر
١٥٠ في الملك بسامتيك الثاني	١١٥ الفصل الرابع في ملوك الدولة الحادية
١٥٠ « » وح أبرع ويقال له أيضا فرعون حفرع	والعشرين التنيسية
١٥٢ « » أموزيس ويسمى أيضا أحمس	١١٦ في الكلام على الكاهن حرخور
الثاني	١١٧ في الكاهن يعنخي
١٥٥ في الملك بسامتيك الثالث	١١٧ في الكاهن ينفوزم الاول
١٥٦ فصل في ترتيب ملكة مضر في القدم وفي	١٢٠ الفصل الخامس في ملوك الدولة الثانية
أقسامها ومعبوداتها	والعشرين
١٦٠ في الكلام على أقسام الوجه البحري المسمى	١٢٠ في الملك ششنق الاول
قديمًا يتوحيث	١٢١ « » ارسرخان الاول
١٦٣ فصل فيما كانت عليه سياسة البلاد وفي	١٢١ « » تاكوت الاول
اقامة القضاة وفي الدعاوى والاحكام	١٢١ « » ارسرخان الثاني
١٦٦ فصل في كيفية الحدود والعقوبات عندهم	١٢٢ « » ششنق الثاني
١٦٧ « » تمدن المصريين وفي صنائعهم	١٢٢ « » تاكوت الثاني
وعقائدهم وبعض عوائدهم	١٢٣ الفصل السادس في ملوك الدولة الثالثة
١٧٦ فصل في أعيادهم ومواسمهم	والعشرين التنيسية
١٨٠ الكتاب الثاني فيمن تغلب على مصر بعد	١٢٤ الفصل السابع في ملوك الدولة الرابعة
الطبقات الثلاث المتقدمة	والعشرين الصاوية
١٨٠ الباب الاول وفيه فصول	١٢٥ في الملك تفتخت الذي يسمى أيضا تفتختاس
١٨٠ الفصل الاول في العائلة السابعة	١٣٥ في الملك باكوريس
والعشرين الفارسية الاولى وفي الملك كبر	١٣٥ الفصل الثامن في الدولة الخامسة
ابن كورش رأس هذه العائلة	والعشرين السودانية
١٨٥ في الملك دارا الاول	١٣٦ في الملك سباقون
١٨٨ في الملك شيارش بن دارا	١٣٧ « » سيخون ويقال له أيضا شبانا
١٨٩ « » ارتخشارشا الاول ويقال له أيضا	١٣٧ « » طهراق ويقال له أيضا تارافوس
ارتخشار	١٤٠ « » نوات ميامون الملقب بى كارع
١٩٠ في الملك شيارش الثاني والملك سوغديانوس	١٤٣ الفصل التاسع في الدولة السادسة
والملك دارا الثاني	والعشرين الصاوية
١٩١ الفصل الثاني في الدولة الثامنة والعشرين	١٤٥ في الملك بسامتيك الاول
الصاوية	١٤٨ في الملك نيخاوس الثاني المعروف بفرعون

صفحة	صفحة
٢٠٧ في الملك بطليموس الاول	١٩٢ الفصل الثالث في الدولة التاسعة
٢٠٩ » » بطليموس الثاني الملقب	والعشرين الاشمونية
بفيلادلفوس	١٩٢ في الملك نفريتس الاول
٢١٠ في الملك بطليموس الثالث الملقب بالكريم	١٩٣ » » أنخوريس
٢١١ » » بطليموس الرابع الملقب بحب	١٩٣ » » بساموتيس
أبيه	١٩٤ » » نفريتس الثاني
٢١٣ في الملك بطليموس الخامس الملقب	١٩٤ الفصل الرابع في الدولة المتممة للثلاثين
بالمسجد	السمنودية
٢١٧ في الملك بطليموس السادس الملقب بحب	١٩٥ في الملك نكتاناب الاول
أمه	١٩٦ » » طاخوس ويقال له أيضا زيت حمر
٢٢١ في الملك بطليموس السابع الملقب	١٩٦ » » نكتاناب الثاني
باويطور	١٩٨ الفصل الخامس في الدولة الحادية والثلاثين
٢٢١ في الملك بطليموس الثامن الملقب أوير	وهي دولة الفرز الثانية المنقرضة
جيطه الثاني	باغارة الاسكندر المقدوني على ديار مصر
٢٢٤ في الملك بطليموس التاسع الملقب سوطير	١٩٨ في الملك دارا أخوش الفارسي
الثالث	١٩٩ » » أرسيس بن دارا أخوش
٢٢٦ في الملك بطليموس العاشر و بطليموس	١٩٩ » » دارا الثالث
الحادي عشر وهما اسكندر الثاني	٢٠٢ الباب الثاني في الدولة المقدونية الاولى
وأوليطيس	التي ظهرت بظهور الاسكندر وفيه فصول
٢٣١ في الملك بطليموس الثاني عشر الملقب	٢٠٢ الفصل الاول في العائلة الثانية والثلاثين
بدنيس يعني الخمار	احدى العائلات الثلاث الباقية من
٢٣٤ في الملك بطليموس الثالث عشر	الجاهلية
٢٤٠ الباب الرابع في الدولة الرومانية	٢٠٢ في الملك اسكندر الاكبر المقدوني
وهي الدولة اللاتينية وفيه فصول	٢٠٥ في الملك اريدس فلبس ويسمى أيضا
٢٤٠ الفصل الاول في الدولة الرابعة والثلاثين	ارهيدة فلبس
٢٤١ في الملك أغسطس قيصر	٢٠٦ في الملك اسكندر الثاني
٢٤٧ » » طباريوس قيصر الاول	٢٠٧ الباب الثالث في الدولة البطلموسية
٢٤٩ » » قاليبولا قيصر	اليونانية وفيه فصول
٢٥١ » الامبراطور قلودس الاول	٢٠٧ الفصل الاول في العائلة الثالثة
٢٥٢ » الملك نيرون قيصر	والثلاثين

صحيفة

- ٢٦٠ في الملك اسامقيوس غلبا قيصر
 ٢٦١ » » » مرقس أوطون قيصر
 ٢٦١ » » » ايطالس قيصر
 ٢٦٢ » » » وسباسيانوس قيصر
 ٢٦٤ » » » طيطوس قيصر
 ٢٦٥ » » » دوميطيانوس قيصر
 ٢٦٧ » » » نير وقيصر
 ٢٦٧ » » » أولبيوس طريانوس قيصر
 ٢٧٠ » » » ادريانوس قيصر
 ٢٧٢ » » » طيطوس انطمينوس قيصر
 ٢٧٣ » » » مرقوريلس قيصر
 ٢٧٦ » » » قومودس قيصر
 ٢٧٨ » » » برطيناش قيصر أو غرديانوس
 قيصر
 ٢٧٩ في الملك ديدوس يوليانوس قيصر
 ٢٨٠ » » » سبطيس سويرس قيصر
 ٢٨٢ » » » بسانوس قراقله قيصر
 ٢٨٤ » » » أوبليوس مقرينوس قيصر
 ٢٨٦ » » » بسانوس هيلوغياله قيصر
 ٢٨٧ » » » الاسكندر سويرس قيصر الثاني
 ٢٩١ » » » مقسيمينوس قيصر الاول ويسمى
 أيضا مخشيمان قيصر
 ٢٩٢ في الملك غرديانوس الاب والمملك
 غرديانوس الابن
 ٢٩٣ في الملك غوردانوس قيصر الثالث
 ٢٩٤ » » » فليش قيصر
 ٢٩٥ » » » دوقيوس قيصر
 ٢٩٧ » » » غالوس قيصر ويقال له أيضا
 والوس
 ٢٩٨ في الملك امليانوس قيصر

صحيفة

- ٢٩٨ في الملك والريانوس قيصر
 ٣٠٠ » » » غليانوس قيصر
 ٣٠١ » » » فلودس قيصر الثاني
 ٣٠٢ » » » أورليانوس قيصر
 ٣٠٤ » » » طاقيطوس قيصر
 ٣٠٥ » » » بروبيوس قيصر
 ٣٠٦ » » » قاروس قيصر
 ٣٠٧ » » » قارينوس قيصر والمملك
 نومريانوس قيصر
 ٣٠٨ في الملك دقليانوس قيصر
 ٣١٢ » » » غاليرس قيصر والمملك قسطنطيوس
 خميرس قيصر
 ٣١٤ في الملك مقسيمينوس الثاني وقسطنطين
 الاكبر ومقسنةقوس وليقيينوس
 ٣١٦ وصل في انفراد الملك قسطنطين الاكبر
 بملك الدولة الرومانية
 ٣٢١ في الملك قسطنطين الثاني والمملك
 قسطنطوس الاول والمملك قسطنطوس
 ٣٢٣ في الملك بوليانوس قيصر المرتد
 ٣٢٤ » » » يويانوس قيصر
 ٣٢٥ » » » ولنطيانوس الاول والمملك
 ولنسوس أخيه
 ٣٢٦ في الملك غريمانوس والمملك ولنطيانوس
 الثاني والمملك طيمودوسيس الاكبر والمملك
 مقسيموس
 ٣٣٠ وصل فيما كانت عليه مصر أيام
 الدولة الرومانية
 ٣٣١ الباب السادس في دولة الروم المسيحية
 التي قامت بالاسكندرية وفيه فصول
 ٣٣١ الفصل الاول في العائلة الخامسة والثلاثين

تصويب في الجزء الاول من الكافي

صواب	خطأ	سطر	صحيفه
بألفين ومائتين وست وخسين	بألف وستمائة وست وخسين	٧	١١
خمسـة آلاف وأربع	أربعة آلاف وخسين	٧	١٣
عتليا	عليا	٥	٢٠
احاز	احاذ	١٢	٢٠
احاز	لاحاذ	١٥	٢٠
احاز	لاحاذ	٢٥	٢٠
يهوياحاز	يهوياحاذ	٩	٢١
يهوياحاز	يوشيا	١٩	٢١
يهوياحاز	يهوياحاذ	٢١	٢١
يهوياحاز	يهوياحاذ	٢٢	٢١

صحيفة	صحيفة
٣٦٧ في الملك يوستينوس قيصر الثاني	٣٣٢ في الملك ارقادوس قيصر
٣٦٨ » » طيبروس قسطنطين قيصر	٣٣٨ » » طيودوسيس قيصر الثاني
٣٦٩ » » موريقيوس وهو موريقيس	٣٥٠ في الملكة بولخارية والملك مرقانوس
ويقال له أيضا موريقيوس طيبروس	زوجها
٣٧١ » » في الملك فوقاس قيصر ويقال	٣٥٥ في الملك ليون قيصر الاكبر ويسمى
له أيضا فوقا	أيضا الاقدم
٣٧٣ في الملك هرقل قيصر	٣٥٦ في الملك ليون الثاني الملقب بالسلوقي
٣٧٧ خاتمة في ملاحظات تتعلق بديار مصر	٣٥٦ » » زينون والملك باسيلئوس
في أيام هذه الدولة التي هي دولة الروم	٣٥٨ » » انسطاس الاول
المسيحية وفيما كان سبب السهولة	٣٥٩ » » يوستينوس الاكبر ويسمى
فتحتها على يد عمرو بن العاص وخذلة	أيضا جوستينيانوس قيصر الاول
الروم	٣٦٠ في الملك يوستينيانوس قيصر الاول

﴿ عت ﴾

خطأ وصواب الجزء الاول من الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث

صواب	خطأ	سطر	صفحة
بألف ومائتين وست وخسين	بألف وستمائة وست وخسين	٧	١١
خسة آلاف وأربع	أربعة آلاف وخسين	٧	١٣
علميا	علميا	٥	٢٠
احاز	أحاذ	١٢	٢٠
احاز	لاحاذ	٥	٢٠
احاز	لاحاد	٢٥	٢٠
يم وياحاز	يم وياحاذ	٩	٢١
يم وياحاز	يوشيا	١٩	٢١
يم وياحاز	يم وياحاذ	٢١	٢١
		٢٢	٢١
فانه	فانه	٥	٢٨
تركتني	تركتي	٤	٣٥
من	امن	٣٠	٤١
الملوك	الملوك	٣٠	٤١
المتخذ	المتخذ	١٤	٥٩
سنة	تسنة	٢	٦١
تسكنوا	تسكوا	٢٢	٧٠
قاصرا	قاصر	٧	٧١
لقصد	القصد	٧	٧١
ورائه	ورأه	١٢	٧٥
لفصر * ونحري	لفصرو *	٢٧	٧٦
ومحت	ومحيت	٢	٨٠
اختوخ	ايليا	١٢	٨٣
اختوخ	ايليا	١٣	٨٣
اختوخ	ايليا	١٥	٨٣

(تابع الخطأ والصواب)

صواب	خطأ	سطر	صفحة
يخبروا	تخبروا	٣٠	٨٤
صور	حور	١٨	٨٩
عليه	وعليه	١٨	٩٠
لرجل	رجل	٧	٩٣
بملك	ملك	١٦	١٠١
ومات	وقدمات	١٧	١٠٨
تصل الى رمسيس السادس عشر	تصل اليه	٧	١١٧
التي	الى	٢٨	١١٨
الملوك	الملوك	١٤	١٢٣
قيل	وقيل	١٩	١٢٤
لا فانين	لافتانين	٢٩	١٢٧
وسرر	وسزر	١٣	١٣٣
وعاد	وقد عاد	٢٦	١٤٧
لما	ولما	٦	١٦٣
السعادة	السعادة	١٢	١٦٣
معلقة	معلق	١٩	١٦٤
فيها	فيه	١٩	١٦٤
من	عن	٢٢	١٦٥
التصير	التصير	٥	١٦٨
بالمدينة	بالمدينة	١٢	١٧١
مسبرو	سيرو	١٩	١٧٢
فكان	فكانت	١١	١٧٩
ملكهم	ملوكهم	١٦	١٩٢
ثمانين	ثمانين	٤	١٩٤
سار سيرة	ساسيرة	١١	٢٠٩
عن	من	١٤	٢١٨
اهم كلمة	لهم في كلمة	٢٣	٢١٩
اباعه	اباعه	١٧	٢٢٠
كراهة	كراهية	١٢	٢٢٢

(تابع الخطا والصواب)

صواب	خطا	سطر	صحيفة
وبجرا	وبجر	٢	٢٢٥
خلفن	حلفن	١٠	٢٢٧
متريدا طس	دمتريدا طس	١٢	٢٢٨
بمنصب	منصب	٢٤	٢٤١
مصارفه	مصاريفه	٥	٢٤٣
هرودوس	هرودوس	١٣	٢٤٦
ذمة	ذبه	٧	٢٦٤
الانطوفونية	الانطوفونية	١٩	٢٧٦
الانطوفونية	الانطوفونية	٣١	٢٧٧
خشي	وخشي	٨	٢٨٩
منها	متمم	١٥	٢٩٠
اتفق مع	اتفق غليانديس مع	١٧	٣٠٢
نومريانوس	مريانوس	١٣	٣٠٧
ضربة	ضربا	١١	٣١١
والرفاهية	في الرفاهية	٢٣	٣١٣
بيزنطيا	بيزنطيه	١٩	٣١٨
ولم يلبثوا	ولم يلبثوا	١٩	٣٢١
ملك	ملك	٢٥	٣٢١
يستبد به	يستبد بالملك	٩	٣٢٧
نوربوس	لودبوس	٢٢	٣٢٨
وانجس	وانجس	١٩	٣٤٨
ارسوس	ارسادوس	٦	٣٤٩
بتولينين	تولينين	٢٦	٣٥٠
وطردوه	طردوه	٤	٣٥٧
قنشيت	قشبت	٢١	٣٥٩
تحت	تحت	٧	٣٦١
القاصد	القصاد	١٧	٣٧٠
فعلوا ما	فعلوا ان ما	٥	٣٧١
ومن	عن	١٣	٣٧٤
وسارت	وسار	٢١	٣٧٤
مر	مر	١٤	٣٧٦

مركز الوثائق والبحوث



30018000012292

المكتبة

